القول المكتوب في تاريخ الجنوب

(موسوعة تاريخية حضارية)

(من ق١ - ق ١٥هـ/ ق ٧ - ق ٢١م)

الجزء الثاني والثلاثون

أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ بجامعتي الملك سعود والملك خالد سابقاً

الطبعة الأولى

(١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٦م)

القول المكتوب
في تاريخ الجنوب

(موسوعة تاريخية حضارية)

(من ق١ - ق ١٥هـ/ ق ٧ - ق ٢١م)

الجــزء الثانــي والثلاثــون

أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ بجامعتي الملك سعود والملك خالد سابقاً

الطبعة الأولى

(١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٦م)

عنوان الكتاب :	القول المكتوب في تاريخ الجنوب (موسوعة تاريخية حضارية) (ق١ - ق١٥هـ/ ق٧ - ق٢١م)
الجـــــزء :	الثانـــــي والثلاثـــــون
عدد الصفحات :	٦٤٨ صفحة | المـقـــاس : ١٧ × ٢٤ سم
اسـم المـؤلـف :	أ . د : غيثان بن علي بن جريس
ايميـل المـؤلـف :	Email:ghithanjris@gmail.com (أبها- المملكة العربية السعودية)
رقـم الطبعـة :	الطبعة الأولى : ١٤٤٧هـ / ٢٠٢٦م
رقـم الإيــداع :	٣٧٢٤٢ / ٢٠٢٥
الترقيم الدولي :	٦ - ٣١٠ - ٩٧١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

تليفون : 00201211132879 - 00201030502390

بريد الدار : mohamedhamdy217217

المدير العام : د . فادية محمد هندومة

التنسيق الداخلي ، وتصميم الغلاف : نبيل كمال - ت : 00966 559852754

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرست العام لمحتويات الكتاب

المقدمة

الحمد لله البر الرحيم ، ذي الإنعام والإفضال على عباده المؤمنين به وبلقائه، القانتين له ، المستجيبين لندائه، والصلاة والسلام على رسوله الرؤوف بالمؤمنين الرحيم، وعلى آله الطاهرين إلى يوم الدين. وصحابته أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد : فالحمد لله حمداً كثير، والشكر لله - عز وجل -على فضله وكرمه وجوده عليٍّ الذي وفقني في حياتي بشكل عام ، وفي مسيرتي العملية والعلمية ، ومواصلة جهودي البحثية والتوثيقية، وخدمة بلادي وأهلي في المناطق التهامية والسروية (١).

إن رحلتي العلمية مع بلاد تهامة والسراة تجاوزت الخمسين عاماً، وأجد نفسي مقصراً في كل ما استطعت الوصول إليه وإنجازه علمياً وبحثياً، وأسأل الله ألاَّ يحرمني أجر ذلك، وأن تكون جهودي المعرفية حجة لي لاحجة عليّ، إنني اكتب هذه السطور وأشعر بالعجز، فمازال عندي خطط وطموحات عديدة لدراسة بعض الموضوعات والحقب الزمنية التي عاشها السرويون التهاميون في القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق ١ - ق ١١ هـ/ق ٧ - ق ١٧م) ، ولا أعلم هل سوف تتحقق جميع أمنياتي أم سوف يتحقق شيء منها ؟ ، وأسأل الله العون والتوفيق، وإذا لم أنجز الأهداف التي أرجوها وقصر بي المرض أو الأجل فأسال الله حسن الخاتمة ، والنجاة من النار والفوز بالجنة(٢).

ما زلت مستمراً في إستكمال موسوعتي التاريخية الحضارية عن جنوب شبه الجزيرة العربية . هذه الأوطان التهامية والسروية الثرية بتاريخها وحضارتها. وإنسانها الذي استوطنها منذ الآف السنين، وجزئيات كثيرة وكبيرة من موروثه قبل

(١) هذه البلاد (السراة وتهامة) الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز، أوطان قديمة وعريقة في تاريخها وموروثها وحضارتها، وتستحق من أبنائها الاجتهاد والتفاني في خدمتها، كل في تخصصه ومجاله، ومعاشر المؤرخين والأثاريين عليهم مسؤولية كبيرة تجاه تاريخها وإرثها الحضاري فيدرسونه وينقبون عنه في جميع المصادر العربية والأجنبية المادية والمعنوية.

(٢) إن الإنسان يعيش على الأمل وبعض الطموحات ولا يدري ماذا يخفي له القدر، والواجب على المسلم الحق أن يضع نصب عينيه مخافة الله ، وطلب العفو والرحمة منه (عز وجل) ، وأن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً، ويعمل لأخرته كأنه يموت غداً ، ونسأل الله العفو والعافية، والسلامة من كل شر.

الإســلام وبعده ما زلنا نجهله، ونأمل إن تظهر لنا مصادر داخلية أو خارجية توضح لنا شيئاً من حياة هذه البلاد في عصور وقرون غابرة[١] .

أمــا هذا السـفر فهو الجــزء رقم **(٣٢)** من موســوعة : **القـول المكتـوب في تاريخ الجنوب**. ويتألف من مقدمة ، وخاتمة، وملحق وثائق، وأربعة أقسام رئيسية على النحو الآتي :

١ - القسـم الأول : دراسـات تاريخيـة إسلامية قديمة وحديثـة في جنوب شبه الجزيرة العربية ، وعدد هذه البحوث أربعة :

الأول: قوافـل الحج اليمنية والطريق الجبلية التـي تخرج من مرتفعات اليمن إلى الحجاز من القرن الثالث إلى الرابع عشر للهجرة. **والدراسة الثانية:** تناقش أربعة نقوش لأسرة حجرية في إحدى نواحي بيشة في القرن (٣هـ /٩م) . **أما البحث الثالث:** فيوثق لمحات من اعتداءات البرتغاليين على بعض بلدان جنوب الجزيرة العربية ، وصراعاتهم مع العثمانين خلال القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي). **والدراسة الرابعة والأخيرة:** عن رحالة أوروبي زار اليمن ونجران عام (١٢٧٨هـ ١٨٧٠م) ، والهدف من هذا البحـث توثيـق – مقتطفـات مـن تاريـخ نجـران في مدونـات هــذا الرحالة الفرنسـي (Joseph Halevy).

٢ - القسم الثاني : قراءات في بحوث وكتب مطبوعة ومنشورة في تاريخ السروات وتهامة (تصويبات ، وإضافات ، وإنتقادات) :

يحتـوى هذا المحور على أربعة أعمــال علمية لأربعة أســاتذة، اثنان يحملان درجة الدكتــوراه ، وباحثــانٍ آخــران لهما اهتمامــات علمية وبحثيــة قيمة وجــادة. وجميعهم درسوا وراجعوا عدداً من الكتب والبحوث العلمية وذكروا العديد من الاضافات والنقد والتصــويب على المادة العلمية المطبوعة والمنشورة في البحوث المذكورة عناوينها في متن القسم.

(١) هــذا الذى عرفته وبذلت الكثير من الجهود من أجل العثور على مصــادر حقيقيــة تبين لنا التاريخ القديم لهــذه البلاد. ولا ننكر أن هناك القليل من الدراســات والمادة العلميــة القديمة والحديثة التي ذكرت لمحات من حياة الأرض والناس في عصــور ما قبل الإسلام ، والقرون الاسلامية المبكرة الوسيطة، لكنها محدودة ولا تفي بما نتطلع إليه ونريد معرفته .

٣- القسـم الثالث : مقـالات تاريخية وحضارية مختصرة عن السروات وتهامة في العصرين الحديث والمعاصر (الجزء الثالث) :

هـذا البـاب تكملـة لجزأيـن سـابقين تم نشـرهما في المجلديـن (٣٠ و ٣١) مـن **(موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب)** ، والمقالات المنشورة في هذا الجزء متنوعة في موضـوعاتها وعناوينهـا تاريخياً وحضـارياً، وترصـد صـفحات من حيـاة التهامين والسرويين خلال القرنين (١٤ - ١٥هـ / ٢٠-٢١م).

٤- القسـم الرابـع : صفحـات مـن تاريخ عسير الحديـث والمعاصـر في عين مؤرخ مصري (سردية من التجارب الإنسانية والعلمية).

حصلت على مادة هذا المحور من الأخ الزميل الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن محمد رمضـان، أسـتاذ التاريخ في العصور الوسطى بجامعتي عين شـمس والملك خالد. وهذا الأستاذ القدير جاء من مصر عام (١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م) للعمل في قسم التاريخ والآثار بكلية العلوم الانسانية بأبها، ومازال في هذا القسم حتى كتابة هذه السطور من منتصف عام (١٤٤٧ هـ/ ٢٠٢٦م) . ولمعرفتي الراسـخة بالتميز العلمي الذي يتصف به هذا الأستاذ والباحـث الجاد، عندئذ طلبت منه أن يوثق بعض المشـاهدات والانطباعات والتجارب التـي عرفها وعاصـرها خلال السـبع سـنوات الماضـية (١٤٤٠ - ١٤٤٧هـ/ ٢٠١٨ - ٢٠٢٥م).

وقد أبدى اعتذاره وعدم رغبته في تحقيق ما طلبت منه، لكن مع إلحاحي الشـديد عليه، ولما يتصف به من الحياء والخلق الحسن وافق على مضض ، وفي النهاية وصلتني هذه المدونة الجيدة والرصـنية التي دون فيها صـفحات من التاريخ الإنسـاني والعلمي الذي عرفه وعاصره في سروات منطقة عسير وبخاصة في حاضرة أبها [١].

---

(١) في الواقع يا دكتور عبد العزيز رمضـان أننا نعجز عن شـكرك ورد جميلك علينا (بعد الله) ، فقد أفدتنا كثـيراً علمياً وبحثياً ومعرفياً. ولو توقفت مع دراسـاتك التي زودتني بها عن جنوب شـبة الجزيرة العربية عن نجران تحديداً في عصـور ما قبل الإسـلام فهذا العمل وحده عظيم وكبير، ولا نقول إلاَّ شكرا لله لك، ونسـأل الله ألَّا يحرمك أجر ما قدمت لخدمة بلادنا، جنوب المملكة العربية السـعودية (تهامة والسراة)، للمزيد ينظر إلى عدد من الدراسات العلمية الجادة للأستاذ الدكتور عبد العزير منشورة في بعض أجزاء **(موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب)** **(٣٢)** مجلداً.

وفي الختام : أقول :

اللهم يارب إنني اجتهدت فإن أحسـنت وأصـبت فمنك (عز شـأنك) ، وإن أسأت فمن نفســي والشيطان . ولا أدعي الكمال فيما تم توثيقة وإدراجه في هذا المجلد ، وأسأل اللّه -عز وجل - أن يرزقنا العلم النافع، والاستقامة على منهج اللّه ، وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين، وصل اللّه وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه

غيثان بن علي بن عبداللّه بن جريس الثوابي الجبيري الشهري الحجري الهنوئي الأزدي في مدينة بيشة يوم الجمعه (١٣/ رجب/١٤٤٧هـ الموافق ٢/يناير/٢٠٢٦م).

القســـم الأول

دراسات تاريخية إسلامية قديمة وحديثة في جنوب شبه الجزيرة العربية

القسم الأول

دراسات تاريخية إسلامية قديمة وحديثة في جنوب شبه الجزيرة العربية

أولاً: مدخل:

إن شبه الجزيرة العربية من الديار ذات التاريخ والعراقة منذ الزمن القديم إلى العصر الحديث والمعاصر. وخُدمت علمياً وبحثياً من مؤلفين عرب ومسلمين وأجانب. وإذا توقفنا مع أجزائها الصغيرة أو الداخلية وجدناه تتفاوت من حيث العناية البحثية التوثيقية المطبوعة والمنشورة الجادة [1]. والمدن والحواضر والمراكز الحضارية الكبيرة حظيت بالاهتمام العلمي والبحثي عند المتقدمين والمتأخرين، ومازال هناك بلدان ريفية،

(١) من يبحث في فهارس المكتبات الورقية والرقمية فسوف يجد الكثير من الكتب والبحوث العلمية والرسائل الجامعية باللغة العربية وغيرها من اللغات التي أرخت لبلدان عديدة في جزيرة العرب من قبل التاريخ إلى عصرنا الحديث والمعاصر.

وبدوية، ونائية لم تنل حقها من الدراسات التاريخية والأثرية العميقة والرصينة(١).

وإذا حصرنا عملنا العلمي على جنوب شبه الجزيرة العربية، فهي الأخرى لا تخرج عن الخلاصة التي رصدتها في السطور السابقة، فلم تكن على وتيرة واحدة من حيث الخدمة البحثية. وحواضر اليمن الرئيسية ، مثل: صنعاء، وصعدة، والحديدة، وعدن وغيرها من المدن الحضارية الكبيرة التي نالت نصيباً جيداً عند الكُتاب والمؤرخين وأرباب القلم في العصر القديم والحديث . وهناك أيضاً قرى ونواح وأقاليم أخرى مازالت تعاني من فقر علمي ومعرفي وبخاصة في عصر ما قبل الإسلام والعصور الإسلامية المبكرة والوسيطة. وبلاد السراة وتهامة، الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز الكبرى، من أكثر الأوطان التي لم يُكتب ويحفظ تاريخها وحضارتها في تلك العهود القديمة (٢).

من يطالع ويقرأ موسوعتي: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب، (٣١) مجلداً**، فسوف يجد الكثير من التوثيقات والأقوال والخلاصات التي تؤكد على الضعف البحثي والمعرفي الذي عانت منه أرض تهامة والسراة في العصر القديم، والعهد الإسلامي حتى بدايات العصر الحديث. وهناك أسباب كثيرة لعبت أدواراً متنوعة ومختلفة في هذا التجاهل الذي عاصره وعاشه التهاميون والسرويون منذ العصر الحجري إلى القرنين (١١ـ ١٢هـ/١٧ـ١٨م) (٣).

أدرجت في هذا القسم أربع دراسات علمية. الأولى والثانية أرختا لجزئيات من حضارة السروات الواقعة بين اليمن والحجاز. **فالبحث الأول** سجل لمحات محدودة عن الطريق الجبلي الذي يخرج من قعر اليمن ويسير على المحطات السروية الشرقية منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) إلى القرن الهجري الماضي ، وكيف كان

(١) هذا الذي توصلت إليه وأنا أدرس وأبحث في موروث وتراث وتاريخ وحضارة شبه الجزيرة العربية . وربما يعارض قولي بعض الدارسين والباحثين ويذكرون أسماء الكثير من الأعمال العلمية التي صدرت عن نواحي وموضوعات عديدة في جزيرة العرب . وهذا قول صحيح، لكن من يفتش عن الأوطان التي مازالت تستحق عناية واهتمام بحثي. فسوف يجد أيضًا نسبة ليست صغيرة أو قليلة في هذا الباب .

(٢) هذا الذي وثقته وأكدت عليه في كثير من بحوثي. وهذه الديار ذات موروث كبير ومتنوع، لكنه اندثر وضاع، ولم يجد الرعاية والاهتمام الكافي عند العلماء والمؤرخين الأوائل قبل الإسلام وبعده حتى القرن (١٢هـ/١٨م).

(٣) آمل أن يظهر لنا باحثون جادون يدرسون تلك الظروف والأسباب التي كانت سبباً في عدم الاهتمام والذكر والرعاية العلمية البحثية لأرض وإنسان تهامة والسراة قديماً وحديثاً .

مطروقاً بالمسافرين من الحجاج والتجار وغيرهم[١].

أما البحث الثاني فقد ركز صاحبه على بعض نقوش صخرية أرخت لبعض الجزئيات المتعلقة بأسرة حَجْرية في أجزاء من محافظة بيشة في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، واتضح لنا من خلال هذه الدراسة وغيرها أن ديار السروات مليئة بالنقوش والكتابات الحجرية، بالإضافة إلى آثار أخرى متنوعة سطحية ومدفونة، وآمل أن يسخر الله لهذه المصادر المهمة والأصلية من ينقب عنها ويجمعها ثم تُدرس دراسات علمية أثرية وتاريخية وحضارية .

الدراسة الثالثة تشتمل على إشارات مختصرة عن جنوب شبه الجزيرة العربية وبخاصة الموانئ والبلدان القريبة من سواحل البحر الأحمر الشرقية. ثم اتصال أوائل المستعمرين الغربيين (البرتغاليين) بتلك البلاد العربية في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وما جرى بين الطرفين من حروب وصراعات كان لها العديد من الجوانب السلبية.

والدراسة الرابعة ركزت على تقرير رحالة فرنسي (جوزيف هاليفي) الذي وصل إلى بعض بلدان اليمن ونجران في القرن (١٣هـ/١٩م)، ودون معلومات قيمة يصعب الحصول عليها في أي مصدر آخر، والبحث أشار إلى لمحة من سيرة هذا الرحالة الأوربي ومسار رحلته وأهدافها ، وذكر بعض الشروحات عن نجران من خلال المشاهدات، ثم الحديث عن الرحالة ودليله اليهودي المعروف بإسم (حبشوش)، بالإضافة إلى انطباعات وتوضيحات أخرى خلال رحلته من اليمن إلى نجران، وأخيراً. بعض الخلاصات الايجابية والسلبية، والملاحق المدونة في نهاية الدراسة[٢].

---

(١) لقد صدر بعض البحوث العربية والأجنبية عن هذا الدرب التاريخي المهم ، ومازال يستحق أن تُدرس محطاته تاريخياً وأثرياً عبر العصور التاريخية. ونأمل أن يتحقق ذلك عن طريق مؤسساتنا وجامعاتنا السروية في البلاد الممتدة من الطائف إلى نجران وصنعاء.

(٢) أشكر الفرسان الأربعة (آل الثبيت، والأكلبي، والعولقي ، والسنيدي) الذين سجلوا صفحات تاريخية متنوعة ومتباينة عن بلدان عديدة في بلاد تهامة والسراة الممتدة من الطائف ومكة المكرمة إلى عدن وصنعاء وغيرها في بلاد اليمن. ويالها من ديار ذات جذور تاريخية قديمة وكثيرة، ومازالت جديرة بأعمال علمية بحثية نوعية ، وسوف يتحقق ذلك (بإذن الله) على أيدي أهلها من الباحثات والباحثين الجادين والمخلصين.

ثانيـاً : قوافل الحج اليمنية العابـرة للطريق العالية (الجبلية) ببلاد السـراة خـلال القـرون الإسلاميـة الوسطيـة والحديثـة (ق٣ـ ق١٤هـ/ ق٩ـ ق٢٠م) (الأثـر والتأثـير)[٣]. بقلـم . أ. منصور بن أحمـد آل الثبيت عسيري[٤].

(٣) هذا الموضـوع كبير جداً في مكانه وزمانه . وكتب التراث الإسـلامي احتوت على تفصـيلات لابأس بها عن الطرق البرية التي تربط بين اليمن والحجاز عبر أرض تهامة والسراة، ومنها الطريق الجبلي الذي يخرج من قعر اليمن، ويسـير في الأجزاء الشـرقية من السـروات. وهذا الدرب أشـارت إليه الكثير من المصادر الإسلامية المبكرة، مع أن هناك طرق أخرى عديدة في أرض السروات، لكنها لم تحظ بالرعاية والاهتمام عند مدوني التراث الأوائل. وقد أشار صاحب هذه الدراسة إلى بعض تلك الدروب (ابن جريس).

(٤) للمزيـد عن سـيرة الأسـتاذ منصـور، انظر: (موسـوعة القول المكتـوب في تاريخ الجنـوب)، ج١٦، ط٢، ص٢٠٩، ج(٢٦)، ص ٤٥٠. ج (٣٠) ، ص ٤٩٢(ابن جريس).

أولاً : تمهيد:

تمثل الطرق عصب الحياة للإنسان منذ بدء تنقله بحثا عن قوته، فحفظ طريقه إلى حيث يجده، فعرفت كمواقع استطراق على حالها. ولكن منذ ان استأنس الإنسان الحيوان واستعمله كوسيلة تنقل فقد أصبح لزاماً عليه تعبيد وإزالة العوائق من الطرق لتصبح صالحة للمرور، وعندما اخترع العربة فقد كانت الحاجة أكثر لتعبيد الطرق الملائمة لمرور العربة بعجلاتها، فأضحت الطرق المرصوفة والمعبدة تمثل شرايين الحياة للدول والحضارات عبر التاريخ[١].

وعندما ننظر لتاريخ الحضارات التي قامت في عمق الجزيرة العربية، فإننا نجدها حضارات تجارية، قامت على ظهور إبل القوافل التي كانت تعبر الجزيرة العربية ناقلة معها البضائع النادرة، إلى حيث الأسواق التي تطلبها في الشمال خارج الجزيرة العربية، لذا فقد حمَل التجّار وأصحاب القوافل عنوان وهوية هذه الحضارات التي نسبت إليهم بصفتهم واجهتها وسرّ وجودها، فأهمية الطرق بالنسبة للحضارات القديمة في الجزيرة العربية تفوق أهمية كل ما سواها، لذا عني العرب بتأمينها ورصفها وإزالة كل ما يعيق استمرار تدفق البضائع إلى حيث تطلبها الأسواق خارج الجزيرة العربية[٢].

من أشهر هذه الطرق: تلك التي كانت تعبر الجزيرة العربية متجهة من جنوبها إلى أقصى الشمال، حاملة البخور والعطور واللبان والصبر والبهارات والبضائع، بعضها مما تنتجه الأرض ذاتها، وبعضها مستوردة من شبه القارة الهندية عبر البحار. إلا أن هذه الطرق البرية فقدت جزءاً كبيراً من أهميتها منذ القرن الثالث للميلاد، حيث أدى حفر الملك الروماني تراجان (توفي: ١١٧م) قناة تصل النيل بالبحر الأحمر، في نهاية القرن الميلادي الأول إلى ربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر عبر النيل، ومن ثم دخول الطرق البحرية القادمة من الشمال إلى أقصى جنوب الجزيرة العربية تدريجياً في المنافسة، إلى أن أصبح البحارة يصلون إلى موانئ جنوب الجزيرة العربية حيث المخا وعدن وقتا ليحملوا البضائع مقللين بذلك من أهمية تلك الطرق البرية، التي ظلت قائمة ولكن بأهمية أقل.

---

(١) من يبحث في فهارس المكتبات العربية والأجنبية يجد مصادر ومراجع كثيرة فصلت الحديث عن الدروب البرية والبحرية في جميع البلدان والقارات. (ابن جريس) .

(٢) الجزيرة العربية بلاد واسعة وبعض طرقها التجارية البرية مدروسة ومذكورة في بعض المصادر. ومازال هناك الكثير من الطرق الداخلية التي لا نعرف عنها شيئاً. (ابن جريس).

هـذه الطـرق البرية، بين جنـوب الجزيرة العربية وشـمالها، هي التي وصـفت في القرآن الكريم برحلة الشتاء والصيف، والتي كانت جرش ـ حاضرة إقليم عسير وكافة الجنوب السعودي في العصور القديمة ـ واحدة من مراكزها الرئيسية التي تضرب لها اكباد الإبل من أقصى الشمال ومن أقصى الجنوب.

عندما جاء الإسـلام اسـتجدت الحاجة لهذه الطرق القديمة، للاتصـال المستمر بمكـة المكرمـة لأداء فريضـة الحج ولأداء مناسـك العمـرة، ومن ثم فإن تلـك القوافل العابرة للطرق المحلية للتجارة التي كانت قد بدأت تتضـاءل قبل الإسلام، عاد نشاطها وازداد عدد أفرادها بعد الاسـلام، وأصـبحوا يردون من جهات كثيرة، ويعبرون أنحاء الجزيرة العربية متجهين إلى مكة والمدينة.

اسـتمرت هـذه القوافـل تحمل معهـا التجـارة كأحد الأهـداف الثانويـة من هذه الرحـلات، اتباعاً لقـول الله عز وجـل ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (البقـرة، آيـة: ١٩٨) قال الشـيباني: "يَعْنِي التِّجَـارَة فِي طَرِيق الْحَج"[١]، فـكان الحجاج القادمون مـن كل الجهات يحملون معهم بضـائعهم للتجارة بها في مكة وفي الطريق إليها ومنها، فيبيعون بضـائعهم ويشترون بعض احتياجاتهم في الطريق إلى ومن مكة من خلال محطات خصصـت لهذه الغاية على امتداد الطرق، فيشـتري منهم التجار المحليون ويبيعون عليهم، كما يتبضع منهم العامة من الناس أثناء توقفهم في هذه المحطات، ويبيعون عليهم بضائعهم، فنَشَّطت - هذه القوافل - التجارة المحلية والتجارة العابـرة في الجزيـرة العربية[٢]، كما كانت هذه القوافل تحمل معها العديد من الثقافات المختلفـة والكتب والوثائـق التي يحملها الحجاج إلى مكة[٣]، كما إن قوافل الحج والعمرة عادة ما تحمل العديد من رجال العلم الذين تتوثق صـلاتهم برجال العلم المحليين، ومن أمثلة ذلك ما رواه جحاف في أحداث عام (١١٩٦هـ) عن رثاء قاضي تبالة مناع الخثعمي لرئيس حملة الكبسي حسين بن مهدي الكبسي عندما علم بوفاته، قال :

---

(١) الشـيباني، : محمد بن الحسـن، الكسب، بشرح شمس الأئمة السرخسـي، حققه وقدم له: د. سهيل زكار، الناشر: عبد الهادي حرصوني- دمشق، ط١ (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص٤٠.

(٢) لا يخلو كلام صـاحب الدراسـة من الحقيقة، لكن إذا بحثنا عن الطرق التجارية وغيرها في بعض الأرياف والبلـدان النائيـة في شـبه الجزيرة العربية قبل الإسـلام وبعده، فـلا نجد عنها مصـادر ومراجع تذكر تاريخها وأنشطة الناس عليها. (ابن جريس).

(٣) شـاهدت في مكتبـة الأسـتاذ محمد بن خالـد البحري (من أهـالي آل يعلى ببلاد بني مالـك) العديد من المخطوطات القيِّمة التي حرص في أيام شـبابه على جمعها بالشراء من الحجاج القادمين من بلاد الشرق المسلمة حيث الهند وباكستان وإندونيسيا وما إليها.

خطب ألمّ بأرض نجد أفجعا　　وأفاض دمع العين مني أربعا
رزء أصاب صغارنا وكبارنا　　وأقام وسط القلب حزناً موجعا

إلى أن يقول:

قد كان شمساً يستضاء بنوره　　ويجيب دعوته الإله إذا دعا

كان لهذه الحملات التي تعبر أنحاء الجزيرة العربية إلى مكة والمدينة أثر إيجابي في ارتفاع المستوى الثقافي لإنسان الجزيرة العربية في المواقع التي ليس بها دول وسلطة جامعة عن أولئك الموجودين في بيئة مماثلة في المواقع الأخرى بتأثير هذا التبادل الثقافي والتجاري. فظل بذلك مطلعاً على ثقافات ومفاهيم الأمم الأخرى، وكان لذلك حضور مستمر في أدبياته المتمثلة في الشعر سواء الفصيح أو الشعبي، كما مر معنا(١).

في إقليم عسير كانت الحملات المارة بهذه المنطقة - سوى تلك التي من المنطقة ذاتها - هي الحملات القادمة من اليمن وحضرموت ومن جنوب شرق آسيا، وكانت هي الحملات الأهم، والأكثر أثراً على البلدات التي تمر بها، نظراً لكبر حجمها وتنوع مصادرها، فقد كانت السفن القادمة من جنوب شرق آسيا حيث اندونيسيا وماليزيا ومن شبه القارة الهندية ومن القرن الأفريقي تحط في الموانئ الجنوبية للجزيرة العربية على بحر العرب، وينطلق الحجاج من هناك ضمن حملات الحج الحضرمية واليمنية المنظمة المتجهة إلى مكة عبر الطرق المعروفة التي تمر بمنطقة عسير ونجران وجازان والباحة متجهة إلى مكة، وتتوقف خلال ذلك في عدد من المحطات في طريقها.

كانت الطرق الرئيسية المتجهة من اليمن إلى مكة والعكس ثلاثة طرق، واحدٌ منها مساره فوق الهضبة ويدعى الطريق العالية، وآخران يسيران عبر مناطق تهامة، أحدهما الأوسط ويمر بتهامة الوسطى (شرقي تهامة) حيث محايل وبارق وبيبه وقنونا وما إليها وصولاً إلى مكة والثاني يسير عبر الطريق الساحلي مارة بسواحل جازان وسواحل عسير والقنفذة وما إليها إلى مكة(٢).

---

(١) جحاف، المصدر السابق، ص ١٦٥. (منصور)، من يتجول في أرجاء جنوب شبه الجزيرة العربية، وبخاصة تهامة والسراة، الواقعة بين اليمن والحجاز، يجد مستوطنات بشرية منذ القدم، ولهم حراك وأنشطة تجارية متنوعة في قراهم، ومدنهم وأسواقهم وطرقهم، لكننا للأسف لم نجد شيئاً من ذلك مكتوباً ومدوناً. (ابن جريس).

(٢) الباحث استخدم مصطلح (عسير)، وكان الأفضل يقول: تهامة أو السروات بخاصة إذا كان حديثه خلال العصر القديم أو الإسلامي المبكر و الوسيط . (ابن جريس) .

(*) سنبحـث هنا حـول ما أطلق عليه اليمنيون الطريـق العالية، وتفاعلاتها مع البيئة المحلية، وما طرأ عليها من تغيرات عبر المراحل التاريخية، وسنلقي نظرة على مسار الطرق والمحطات التي مرت بها القوافل عبر القرون المتتالية من حيث اتجاهها ومحطاتهـا، وعلى الأحـداث التي صاحبت حمـلات الحج عبر العصـور، وأثرها على مسـار الطريق عـبر العصور، والتغيرات التي طرأت عليـه. وتأتي أهمية هذا البحث من حيث تحقيقه لثلاثة أهداف:

١- طـرق الحجاج المارة بمنطقة عسـير هي - غالباً - امتـداد لطرق التجارة القديمة ما بين الشـمال والجنـوب، فقد كانت جرش واحدة من مقاصـد التجار في رحلات التجـارة بين الشـمال والجنوب وكان تجارها أيضـا يخرجون جنوباً وشـمالا لجمع البضـائع ولتسـويقها، كما تدل على ذلك كتب السيرة والتاريخ[١] ،وقد شكلت بذلك رابطاً تجاريا بين الشمال والجنوب، فيقصدها التجار والمتسوقون من الشمال لبيع بضائعهم وشراء البضـائع القادمة من الجنوب، ويقصدها المتسوقون من الجنوب لبيـع منتجاتهـم القادمة من بلادهـم أو من وراء البحار، وجلب بضـائع الشـمال منها، كما يخرج تجارها في الاتجاهين بدافع التجارة، لذا فإن الاهتمام بالطرق في مناطقنا هو بحث في الدور الذي ساهم به سكان هذه الأرض في سَوق القوافل، ومن ثم صنع الحضارة العربية من خلال طريق التجارة الدولي، وسَوق القوافل من وإلى الأسواق الكبرى في العالم القديم، فاستقرار أجدادنا في هذه الأرض ربما تعلق بهذه الطرق وتلك التجارة[٢].

٢- تقييم صلة الحجاج عامة بالسكان المحليين، وبما نجده في بعض المناطق على طرق الحج من آثار ونصـوص ونقوش ووثائق يتيمة لا يعرف من صاحبها، ولا لمن ينتمي، وهـل هو محلـي أم من العابرين ضـمن قوافل الحـج، وإذ كانوا مـن الحجاج، فما

---

(١) للمزيد حول ذلك انظر: العسيري، منصور أحمد، جُرش أم جَرش ....، بحث ضمن موسوعة القول المكتوب، ج٢٦/ ص٤٦١ـ ٤٨١. (منصـور). ليسـت جُرش إلا ناحية صغيرة في بلاد تهامة والسراة. وإذا كان هناك بعض الإشـارات إلى بعض النواحي في هذه الديار، ومنها محطات الطرق البرية الواقعة على الطرق التي تصل الحجاز باليمن، إلا أننا مازلنا نجهل الكثير عن حياة الناس في هذه البلاد سياسياً وحضارياً. (ابن جريس).

(٢) هـذا يـا أسـتاذ منصـور اسـتنتاج، ولا يخلـو مـن الحقيقـة، لكـن الـذي نريـد معرفتـه، تاريـخ النـاس في بلادهـم (سـراة وتهامـة)، ومـا مـن شـك أن لهـم حضـارة وتاريـخ وثقافـة لكنهـا غـير معروفـة عندنـا، ولـو درسـت آثـار المنطقـة المدفونـة والسـطحية فقـد نجـد شـيئاً مـن هـذا التاريخ. (ابن جريس).

مصـــدر الحجاج الذين تركوا هذه الآثـــار في تلك المرحلة، إذ ان معرفة مرحلة تغير مسار القوافل ومصادرها يُمَكّننا من وضع احتمالية الربط بينها وبين ما في الطريق من آثار أو استبعادها منه[١].

٣- يمكننـــا مـــن خلال تتبع الأحـــداث وتغير مســـارات طرق الحج، معرفـــة العلاقة بين الأحداث التي تعرض لها الحجاج وتغيُّر اتجاه الطريق، أو اســـتطراق طرق جديدة، وربما ســـار بنا ذلك إلى معرفة المزيد من التفاصـــيل حول ارهاصات تلك الأحداث والمزيد من تفاصيلها، للكشف عن التاريخ المحلي.

لم أجـــد خـــلال بحثي ما يدل علـــى طرق الحـــج ومحطاتها خلال القرنـــين الأولين للهجرة النبوية، ولعل التدوين لذلك لم يأخذ جديته خلال تلك المرحلة لتوثيق مســـارات الحج والحجاج، أو لعلي لم أصل إلى المصادر.

فأقدم الإشـــارات التي توصـــلت إليها ــ وقد أكون مقصـــراً ـــ عن تفاصـــيل طريق الحجـــاج اليمنيـــين كانت خـــلال القرن الثالـــث للهجرة، وهـــو لابن خرداذبـــة في كتابه المتخصـــص «المســـالك والممالـــك»، والحربـــي في كتابـــه المتخصـــص أيضـــاً «المناســـك وأماكـــن طرق الحج ومعـــالم الجزيرة»، ومن ثم فقد ظهر بعدهما العديد من المصـــادر للجغرافيـــين والبلدانيين والاخباريين الذين أوردوا تفاصـــيل طرق الحج مثل: قدامة بن جعفر، والحسن بن أحمد الهمداني، والمقدسي، والإدريسي، وابن المجاور، وبوركهارت، واليافعي، والحجري. وكان بين من ذكروا طريق الحج عدد ممن أورد إشارات مقتضبة اختزلت الطريق بالإشـــارة إلى المدن الرئيســـية الواقعة على الطريق، أو الواقعة ما بين صـــعدة والطائف، كالإصطخري، وابن حوقل، وابن سباهي. كما أن هنالك إشارات إلى أحـــداث وقعـــت لحجاج اليمن أثنـــاء عبورهم إلى - ومن - مكة، وهـــي تحمل أهمية من حيث تحديدها للمسارٍ خلال المرحلة، خاصةً عندما تتوالى الإشارات المتممة لبعضها[٢].
وسنورد فيما يلي عدداً من المصادر التي أوردت خبر طريقٍ الحج ودلالة هذه النصوص عن الطريق ومحطاته وبعض الأحداث التي وقعت فيه بدءاً من القرن الهجري الثالث.

---

(١) الذي ذكرته وذهبت إليه رأي وجيه ومنطقي. (ابن جريس).

(٢) أوردت يا منصـــور عدم معرفتنا بمحطات الطرق في تهامة والســـراة خلال القرنين الأولين من الإســـلام، مع أننا نجد كتب الســـير والتراجم والتاريخ الحولي والمحلي وغيرها تشـــير إلى وصـــول الإسلام إلى بلدان عديدة في جنوب شـــبه الجزيرة العربية، لكن هذه المصـــادر للأســـف لم تذكر أي شـــيء عن الدروب التي سلكها الدعاة والرسل المسافرون من التجار والحجاج وغيرهم. (ابن جريس).

ثانيـاً: صفحات مـن تاريخ الحج اليمني السروي خلال القـرون الإسلامية الوسيطة والحديثة (ق٣ـ ق١٤هـ/ق ٢٠م):

١ـ القرن الثالث للهجرة (التاسع الميلادي):

لدينا نص واضـح يصـف الطريق بـين مكة واليمن ومحطاتـه أورده ابن خرداذبة (تـوفي: ٢٨٠هــ)، في القرن الثالث للهجرة، والذي أفرد مسـاحة للتفصـيل في الطريق مبتدئـاً من الشـمال إلى الجنوب، فقال: «الطريق من مكـة إلى اليمن: من مكة إلى بئر ابن المرتفع فيه بئر، ثم إلى قرن المنازل قرية عظيمة، ثم إلى القنف قرية كبيرة، ثم إلى صـفن فيها بئران، ثم إلى تربة قرية كبيرة، ثم إلى كرى فيها نخل وعيون، ثم إلى رنية فيها نخل وعيون، ثم إلى تبالة مدينة كبيرة فيها عيون، ثم إلى بيشة بعطان كبيرة فيها ماء ظاهر، قال حميد بن ثور الهلالي:

إذا شئت غنتني بـأجـزاع بيشـة   إلى النخل مـن تثليث أو يبنبما

ثـم إلى جسـداء فيها بئر ولا أهل فيها، ثم إلى بنـات حرب قرية عظيمة فيها عين وبئر، ثم إلى يبنبم ولا أهل فيها، ثم إلى كتنة قرية عظيمة فيها آبار، ثم إلى الثجة فيها بئر، ثم إلى سـروم راح قرية عظيمة فيها عيون وكروم، وجرش منها على ثمانية أميل، ثم إلى المهجرة قرية عظيمة فيها عيون[(١)]، وفيما بين سـروم راح والمهجرة طلحة الملك شـجرة عظيمة تشـبه الغرب غير أنها أعظم منه وهي الحد بين عمل مكة وعمل اليمن، ثم إلى عرقة وماؤها قليل ولا أهل فيها، ثم إلى صعدة مدينة عظيمة..»[(٢)].

هنـا نجد أن ابن خرداذبة حدد الطريق بمحطاته بشـكل تفصـيلي، بدءاً من مكة إلى اليمن، موضـحاً المدن والبلدات التي يمر بها الحجاج إلى أن يصلوا اليمن، ولا شك أن ابن خرداذبة صاحب هذا النص التفصيلي قد استخبر عن الطريق من أهل الشأن، فأورد الطريق كما وصـفه عابروه، إذ التفصـيل هنا يدل على وقوف المصـدر الأساسي على الطبيعة، ومسار الطريق كما هو واضح هو الطريق الشرقي الذي يمر بتربة وبيشة وما إليها إلى أن يصل صعدة.

---

(١) ابن خرداذبة، نقل معلومات عن بعض الرواة وما سـمعه، لكن توثيقاته مازالت محدودة ولاتعطينا صـورة واضحة عن الطريق والمحطات التي ذكرها.(ابن جريس) .

(٢) ابن خرداذبة، أبو القاسـم عبيد الله بن عبدالله (توفي ٢٨٠هـ)، المسـالك والممالك، مطبعة بريل ــ ليدن، ١٨٨١م، ص١٣٤ ــ ١٣٥.

في نفس القرن أورد أبو إسحاق الحربي (توفي: ٢٨٥هـ) الطريق نفسه، ولكن مبتدئا من الجنوب باتجاه الشمال، وأورد أسماء مدن أكثر مما أورده ابن خرداذبة، فكان أكثر تفصيلاً ودقة، وهذا يدل على أنه استخبر بذاته أيضاً، ولم ينقل عن ابن خرداذبة، فقد أضاف لنا الحربي معلومات أكثر دقة، رغم أن الطريق هو نفسه الطريق الشرقي الذي ذكره ابن خرداذبة، والمار بتربة وبيشة وسروم راح وجسداء وغيرها، فقال: «طريق اليمن إلى مكة: وهما طريقان، فطريق على البحر، وطريق على تهامة. فطريق البحر: من صنعاء إلى الرحابة، ومن الرحابة إلى ريدة، وبين الرحابة وريدة من الماء بركتان، ثم رأس الحيفة ثم ماجل الطريق. ومن ريدان إلى خيوان وبينهما بركة ذي قين، ثم أثافت، ثم الفقع، ومن خيوان إلى خافق، وبينهما بركة الرداعين، ثم صالعين، ثم العرايق، ثم الأعسية ثم عرعرة الغراب، ثم الحبط، ثم الأعين، ثم سوب السعين (؟) ومن خافق إلى صعدة، ومن صعدة إلى سروم الابل وبينهما الغيل، ثم العشرة، ثم البطنه، ثم العرض، ثم البقعة، ثم عمدان ثم مهجرة ثم الغيل أصل النقيل الذي يسمى المنضج، ثم أرينب ومن سروم الابل إلى حلاحل الجميلين، ثم الفرجة ثم الثجة[1]، ومن حلاحل إلى طلحة الملك ومنها إلى قبور الشهداء، ومن قبور الشهداء إلى ذات عش، ومن ذات عش إلى كتنة، ومن كتنة إلى يينبم، وبينهما الماء. ومن يينبم إلى بنات حرب، إلى بيشة وبينهما المسلة ثم جسداء، ثم الميثاء. ومن بيشة إلى تبالة، ومن تبالة إلى أجرب، ومن أجرب إلى كراء وهي حرة بني سليم، وبينهما بئر خلافة، ثم الماء بارح ثم القريحاء. ومن كراء إلى تربة، ومن تربة إلى صفن، ومن صفن إلى أوقح وبينهما ناحمة ومن أوقح إلى الفتق، ومن الفتق إلى قرن وبينهما شرب ثم العايب وقرن نخلة وهو البستان ومن نخلة إلى مكة آبار الرمة، آبار الحدا، مساس، الصفاح الانصاب، بئر عبدالصمد»[2].

وصف الحربي الطريق النجدي هنا بدقة جيدة، رغم أنه سماه طريق البحر مقابل طريق تهامة، والصحيح أنه وصف ما يسميه اليمنيون: الطريق العالية، وتحديداً فقد وصف الطريق الشرقية، أو طريق بيشة، وهو موافق للمسار الذي أورده ابن خرداذبة والذي يمر بالجهات الشرقية حيث طلحة الملك وبيشة وتبالة وسواها، ... إلى الطائف.

(١) ليس الحربي بعيداً في جمع معلوماته ومدوناته عن ابن خرداذبة، لكن هؤلاء الرحالة للأسف لم يزوروا تهامة والسراة، ويوثقوا أخبارهم من مشاهداتهم ، ومع ذلك مازالوا أفضل ما عندنا من مصادر إسلامية مبكرة. ولو درست آثار البلاد والنقوش فقد نعثر على مادة علمية جيدة ليست موجودة عند أولئك الجغرافيين الأوائل. (ابن جريس) .

(٢) أبو إسحاق الحربي، إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم ابن بشير بن عبدالله بن ديسم (١٩٨هـ -٢٨٥هـ)، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص ص٦٤٢-٦٤٥ .

٢ـ القرن الرابع الهجري : (العاشر الميلادي) :

في هذا القرن ظهرت لنا نصوص مختلفة عن طريق الحج اليمني، بعضها تفصيلية، وعلى درجة كبيرة من الأهمية كنص الهمداني الذي سيأتي معنا، وأخرى تمثل إشارات مبهمة لا تفصيل فيها. وأقدم ما وصلنا إليه عن طريق حج اليمن في هذا القرن نصٌّ مختزل أورده الاصطخري (توفي:٣٢٨هـ) ، قال: «ومن عدن إلى مكة نحو شهر ولها طريقان إحداهما على ساحل البحر وهو أبعد والآخر يأخذ من صنعاء وصعدة وجرش ونجران والطائف حتى ينتهي إلى مكة، ولهم طريق على البوادي وتهامة هو أقرب من هذين الطريقين إلا انه على أحياء اليمن ومخاليفها تسلكه الخواصة منهم»[(١)].

ونص الإصطخري كان مبهماً جداً، فقد ذكر صعدة وجرش ونجران فقط على الطريق من صنعاء إلى الطائف، واختزل بذلك الكثير من البلدات والقرى والمواقع التي يمر بها الطريق بين صنعاء والطائف في هذه المدن الثلاث، بينما لا تستطرق المدن الثلاث معاً للمتوجه من صنعاء إلى الطائف حيث نجران وجرش على مستوى واحد بالنسبة لصعدة، فالأولى قصية إلى الشرق، والثانية إلى الغرب، فإما هذه أو تلك، للمتجه من صعدة إلى الطائف، فالطريق الذي يمر بصعدة في حينه يتجه عبر عدد من البلدات إلى المهجرة ومنها إلى سروم راح ثم يتجه شرقاً إلى ذات عش وبنات حربٍ وجسداء إلى بيشة وتبالة ورنية وكراء وتربة إلى الطائف، ولم نجد من أورد طريقاً يمر بهذه الحواضر الثلاث معاً. ويبدو أن تقديره بني إما على ذكر المدن الشهيرة بين الطائف وصنعاء، مفترضاً المرور بها، أو أنه عنى بإشارته إلى مفهوم جرش المخلاف الواسع الذي تمر عبر حدوده قوافل الحجاج اليمنية منذ أن تصل إلى طلحة الملك، ومفهوم نجران المخلاف الواسع الذي يضم الهجيرة وحبونا ويدمه وبدر، لذا كان الطريق مختصرا ما بين صنعاء والطائف بهذه المخاليف الثلاثة الواسعة، ورغم أن مرور بعض الحجاج بجرش في طريقهم إلى بيشة وتبالة ثم إلى الطائف أمر وارد، إلا أنه لا يبدو أن النص بني على اطلاع أو استخبار من أهل الشأن، وإلا لكان أورد تفصيلا للطريق كما أخبِر.

---

(١) الكرخي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، مسالك الممالك، مطبعة بريل ـ ليدن، ١٨٧٠م، ص٢٨. (منصور) ، الإصطخري سلك نفس المنهج الذي سلكه ابن خرداذبة والحربي وغيرهما. ومن يبحث في بعض مصادر الأدب واللغة، والمعاجم الجغرافية المبكرة وغيرها فسوف يجد إشارات قليلة عن طرق الحج والتجارة داخل شبه الجزيرة العربية. (ابن جريس) .

وممن أورد هذا الطريق بالتفصيل في القرن الرابع أيضاً: قدامة بن جعفر (توفي ٣٢٩هـ) فقال: «ومن يخرج من مكة يريد الطائف يأتي عرفات، ثم يجوز منها إلى بطن نعمان جبلا يقال له نعمان السحاب، لأن السحاب أبداً عليه. ثم يصعد منه عقبة فإذا استوى عليها الصاعد أشرف على الطائف. ثم ينحدر ويصعد عقبة خفيفة تسمى تنعيم الطائف. ومن الغمرة تعدل إلى اليمن فمن الغمرة إلى الجدد اثنا عشر ميلا، وهو موضع البريد ومنقسم لقوافل وليس فيه إلا بئر واحدة ونخل وزرع تستقي منها الإبل وهي موضع يسر مولى عثمان بن عفان. ومن الجدد إلى الفتق، ومن الفتق إلى تربة وهي قرية عظيمة بها عيون جارية وزروع. وهي خالصة مولاة المهدي ومن تربة إلى صفر وهي منزل فيه داران لصاحب البريد في الصحراء وفيه ماء عذب من بئرين، ومن صفر إلى كرا منزل فيه نخل وعين عذبة وليس الا منزل صاحب البريد[١]، ومنزل القوافل وهو بطن واد كثير النخل، ومن كرا إلى رنية منزل في صحراء ونخل كثير وعين عظيمة عذبة، والعمران حولها على دعوة ومن رنية إلى تبالة إلى بيشة قرية عظيمة كثيرة الأهل في بطن الوادي ظاهرة الماء من عيون وآبار مضرية قيسية، ومن بيشة إلى جسداء منزل أعراب من قيس ومن جسداء إلى بنات حرم قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع، والماء من عين وبئر عذبة ومن بنات حرم إلى سميص، منزل في صحراء فيه بئر واحدة عذبة وليس به أهل وحوله أعراب من خثعم. وبينها وبين جرش نحو أربعة عشر ميلاً، ومنه إلى كثبة قرية عظيمة، ومنازل وقصور، وآبار في صحراء بينها وبين جرش ثمانية أميال ومن كثبة إلى الثجة (موضع البريد وفيه بئر ماء تنزله القوافل وهو في بلاد زبيد وحوله أعرابهم) ومن الثجة إلى شروم راح وهي قرية عظيمة في صحراء فيها عيون، كثيرة الكروم فيها فخذان من همدان، يقال لهم جنب ومن شروم راح إلى المهجرة وهي قرية عظيمة جبلية كثيرة العيون والأهل وفيما بينها وبين شروم راح شجرة تسمى طلحة الملك وهذه الشجرة حد ما بين اليمن والحجاز وهي شجرة تشبه شجرة الغرب إلا أنها أعظم، وكان النبي ﷺ حجر بها بين اليمن ومكة، ومن المهجرة إلى عرفة منزل في جبل فيه أعراب من خولان والماء فيه ربما قل وربما كثر وهي أول عمل اليمن وإلى عمل صعدة، ومن عرفة إلى صعدة وهي قرية عظيمة ...»[٢].

---

(١) ليس أمامنا حتى الآن (١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م) إلا هذه المصادر التقليدية التي تذكر لنا شذرات غير وافية عن تاريخ بلادنا المحلي في القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة. وهذا قدر بلاد تهامة والسراة التي سادها الإهمال والنسيان والتجاهل عند مدوني التراث الإسلامي الأوائل. (ابن جريس).

(٢) البغدادي، قدامة بن جعفر، الخراج وصنعة الكتابة، شرح وتحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر – بغداد، ١٩٨١م، ص ص٨١–٨٣. (منصور). رحمك الله ياقدامة بن جعفر ومن عاصرك من علماء زمانك فقد حفظتم لنا معلومات قليلة عن بلادنا وأهلنا التهاميين والسرويين. وآمل أن نعرف مزيداً من تاريخ أوطاننا (تهامة والسراة) لو درست خزائنها الأثرية السطحية والمدفونة. (ابن جريس).

قدم لنا قدامة هنا نصــاً مستقلاً عن النصوص السابقة، لطريق الحج اليمني من الشمال باتجاه الجنوب، إذ أنه أورد محطات جديدة مثل «سميص» التي ذكر أنها تبعد عــن جرش أربعة عشــرة ميــلاً، ومعلومات جديدة حــول البلدات التي يمــر بها الطريق تختلـف عمَّن قبله، ومنها قوله أن كثبة (كتنة) تبعد عــن جرش ثمانية أميال، وأنفراده بوصــف سروم راح بقوله: «وهي قرية عظيمة في صحراء فيها عيون، كثيرة الكروم فيها فخذان من همدان، يقال لهم جنب»، بما يدل على أنه استخبر بذاته عن الطريق، ومن ثم فهو شاهد عصره على الطريق.

أتم هذه النصوص الهمداني (توفي: ٣٣٨هـ) عندما أورد الطريق بتفصيل دقيق[١]، لم يُســبق إليه، حين يقول: «محجة صــنعاء على تقدير العروض الذي بين صــنعاء ومكة على طريق نجد اثنتانٍ وعشــرون مرحلة، ومن البرد خمسة وثلاثون بريداً، تكون أميالاً أربعمائة وعشرون ميلاً، فما كان بين صنعاء وصعدة فعلى سمت ما بين مطلع بنات نعش ومغيبها، وإلى كتنة على ســمت مغيب الأول منها، وإلى بيشــة على سمت مغيب الأوسط منها الذي إلى جنبه الســهى وهو نجم صغير لا يدركه إلا بصر الشاب من الناس، ومن رأس المناقب إلى مكة آخذاً نحو المغرب ونحو الجنوب لأن مكة في غربي الفتق وبين الفتق والمناقب مرحلة فاعرف هذا المعنى. من صــنعاء إلى ريدة عشــرون ميلاً وعرضها أربع عشــرة درجة وأربعة أخماس درجة، ومنها إلى أثافت ســتة عشر ميلاً، وعرضها خمس عشــرة درجة ونصف عشر، ومنها إلى خيوان خمسة عشر ميلاً، وعرضها خمس عشرة درجة وخمس وســدس عشر درجة، ومنها إلى العمشية سبعة عشر ميلاً وعرضها خمس عشــرة درجة وربع وخمس درجة، ومنها إلى صــعدة اثنان وعشرون ميلاً وعرض صعدة خمس عشرة درجة وأربعة أخماس درجة، ومنها إلى العرقة في المحجة اليسرى القديمة وإلى بقعة في المحجة اليمنى المحدثة اثنان وعشــرون ميلاً وعرض العرقة ســت عشــرة درجــة وثمن درجة، ومنها إلى المهجرة اثنا عشــر ميلاً، وقد يجعل مرحلة، ويطوي أكثر من ذلك إلى أرينب، من العرقة إلى أرينب خمســة وعشــرون ميلاً وعرضــها ستة عشر جزءًا وثلث وخمس جزء، ومنها إلى ســروم الفيض أربعة عشر ميلاً وعرضها ستة عشر جزءًا ونصــف وخمس جزء، ومنها إلى الثجة ســتة عشر ميلاً وعرضها ستة عشر جزءًا وثلثا جزء وربع جزء، ومنها إلى كتنة عشــرون ميلاً وهي على تمام خمســة عشــر بريداً

(١) يعد أبو محمد (لســان اليمن) الهمداني أفضــل من سجل معلومات مهمة وجيدة عن السروات وتهامة في العصر الإسلامي الوسيط. وإذا كان يختلف عن غيره فقد سافر وتجول في مناكب السروات وتهامة، وكتب ملاحظات ومشاهدات لا نجدها عند غيره، مع أنها لا تخلو أيضاً من بعض العيوب، لكنه يبقى رائداً فيما حفظ ووثق. (ابن جريس).

من صنعاء وثمانين ومئة ميل، وكتنة أول حد الحجاز وعرضها سبعة عشر جزءًا وسدس ونصف عشر، وعرضها وعرض جُرش واحد لأنها منها على خط الطول من المشرق إلى المغرب على مسافة أقل من يوم، ومن الهجيرة وتثليث عن يوم في مشرقها، ثم منها إلى يبنبم عشرون ميلاً، وذلك مئتا ميل من صنعاء وعرضها سبعة عشر جزءًا ونصف، وسدس عشر جزء، ومنها إلى بنات حرب عشرون ميلاً، وعرضها سبعة عشر درجة وأربعة أخماس درجةٍ وثلث وثمن، ومنها إلى تبالة أحد عشر ميلاً وهي من صنعاء على ثلاثة وعشرين بريداً ومئتين وستة وسبعين ميلاً وعرِضها ثمانية عشر جزءًا وثلث وثلاثة أعشار جزء، ومنها إلى القريحا اثنان وعشرون ميلاً، وعرضها تسعة عشر جزءًا، ومنها إلى كرى ستة عشر ميلا وعرض كريٍ تسعة عشر جزءًا وسدس وثلثا عشر ومن كرى إلى تربة وهي أبيدة خمسة عشر ميلاً وعرضها تسع عشرة درجة وثلث وثمن درجة، ومنها إلى الصفن اثنان وعشرون ميلاً وعرض الصفن تسع عشرة درجةٍ وثلاثمائة وثمن، ومنها إلى الفتق ثلاثة وعشرون ميلا وهي من صنعاء على ثلاثين بريداً وثلاثمائة وستين ميلاً، والفتق والطائف ومكة على خط الطول من المشرق إلى المغرب ...»[(١)].

ولنَص الهمداني أهمية قصوى لا تصل إليها بقية النصوص، لأنه كان يعمل في نقل الحجاَج مع أسرته عبر هذه الطريق، ومن ثم فإن تحديده للطريق والمحطات التي يمر بها الحجاج في عصره يعتبر الأكثر دقة، وتمثيلاً لواقع الطريق في مرحلته، والمسار الذي أورده هو نفس المسار الشرقي الذي وصفه ابن خرداذبة والحربي وقدامة وغيرهم كما سيأتي، وهو المار بكتنة وبنات حرب وتبالة وتربة وما إليها.

وبعده أشار ابن حوقل (توفي: ٣٦٨هـ) لطريق حجاج اليمن ولكن باقتضاب شديد، فقال: «ومن عدن إلى مكة نحو شهر ولها طريقان إحداهما على ساحل البحر وهي أبعدهما وهي جادة تهامة والسير في نحوها يأخذ على صنعاء وصعدة وجرش وبيشة وتبالة حتى ينتهي إلى مكة، وطريق أخرى على البوادي غير تهامة يقال له الصدور في سفح جبل نحو (٢٠) مرحلة وهو أقرب إلا أنه على أحياء اليمن ومخاليفها يسكنها الخواص منهم»[(٢)] .

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ص٣٠٢-٣٠٣ . (منصور). رحمك الله يا الهمداني ، وحبذا أن غيرك من علماء أهل عصرك زاروا بلادنا (تهامة وسراة) ووثقوا شيئاً من تاريخها وحضارتها. (ابن جريس).

(٢) ابن حوقل، أبو القاسم محمد الحوقلي البغدادي، المسالك والممالك، مطبعة بريل - ليدن، ١٨٧٢م، المسالك والممالك، ص٣٥. (منصور) . إن منهج ابن حوقل مثل أهل عصره من الرحالة المسلمين الأوائل الذين كتبوا لمحات من تاريخ السراة وتهامة من خلال ما سمعوه من الحجاج والمسافرين والرواة الذين التقوا بهم في الحجاز، أو خارج شبه الجزيرة العربية. (ابن جريس) .

ووصــف ابن حوقل هنا مختصــر جداً، وهو لا يمر عبر تهامة كما أسماه، فهو أورد الطريق مختزلاً على أســماء المدن الرئيســية الواقعة ما بين صــنعاء ومكــة، وكلها فوق الهضــبة، ولكنه لم يفصــل في المســار، فما بين صنعاء وصــعدة مفازات وبلدات كثيرة، ومــا بين صــعدة وجرش مفــازات وبلدات كثيرة وما بين جرش وبيشــة مفــازات وبلدات كثــيرة، وما بين تبالة ومكة مفــازات ومدن وبلدات كثيرة منها الطائف التي لم يذكرها. فهو أشــار إلى الطريق الشرقي المار بتبالة وبيشة، إلا أنه أورده ماراً بجرش على خلاف المعتاد، ونحن لا نجزم باستبعاد ذلك، ولكن ذلك ربما ارتبط بمرحلة قصيرة أو أنه كان طريقا للقليل من الحجاج، فالطريق الأوضح، الذي يجمع عليه العارفون - في مرحلته - الذين أوردوا تفاصــيله هو طريق الشرق الذي يمر بسروم راح وبنات حرب وكتنة وذات عش وجســداء وترج وبيشــة وتربة إلى الطائف، وهذا الطريق - حســب تفصيل كل من وصفوه - لا يمر بجرش.

يقول المقدســي (توفي:٣٩٠هـ): «ومن أرادها من صنعاء أخذ إلى الريدة مرحلة ثم إلى أثافت ثم إلى خيوان ثم إلى الأعمشية، ثم إلى صعدة ثم إلى غرفة، ثم إلى المهجرة، ثــم إلى شــرواح[١]، ثــم إلى الثجة، ثــم إلى كثبة[٢] ثم إلى يبنبم - علــى (٨) أميال من جرش - ثم إلى بنات جرم[٣] مرحلة ثم إلى جســداء، ثم إلى بيشــة ثم إلى تبالة ثم إلى رنية، ثم إلى كدي، ثم إلى صفر ثم إلى تربة ثم إلى الفتق ثم إلى الجدد ثم إلى الغمرة وطريقها القاصدة على الطائف، ...»[٤].

ونص المقدسي مكمل لنصوص من قبله كالهمداني وقدامة بن جعفر وجميعها تشير إلى الطريق الشرقي المارّ ببيشة وتبالة بصفته المسار الرئيسي لقوافل الحج اليمني.

٣ـ القرن السادس للهجرة (الثاني عشر الميلادي) :

في أواخر سنة (٥٣٦هـ) من هذا القرن، أورد الثقفي بعض الأحداث الهامة المتعلقة بطريــق الحج والتي جرت في القرن الســادس فقال: «وكان ممن وصــل في تلك المدة[٥]

(١) لعله يقصد سروم راح: انظر الهمداني: ص٣٠٢.

(٢) لعله يقصد كتنة: نفس المصدر.

(٣) صحتها بنات حرب انظر: الهمداني ص ص٣٠٢ -٣٠٣.

(٤) المقدســي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ص١١١-١١٢، (منصور). يعد المقدسي من العلماء الجغرافيين الأوائل الذين كتبوا معلومات قيمة عن جزئيات من تاريخ شبه الجزيرة العربية ، لكن أرض تهامة والسراة لم تحظ بنصيب كثير من توثيقاته ومدوناته. (ابن جريس).

(٥) كانت هذه الحادثة في الأشهر الاولى من عام (٥٣٦هـ) حسب ما ورد في المصدر، انظر: الثقفي، سليمان بن

إليه مشايخ من جنب بن سعد من أهل راحة وما يليها، وذكروا له أمر رجل من عنز يقال له عرفطة بن الطحل، أنه قطع طريق الحاج إلى بيت الله الحرام، وسألوه المخرج إليه ففعل ذلك.» إلى أن يقول: «ووفد إليه محمد بن منصور بن عبدربه وجماعة من أصحابه ومشايخ من خثعم ومنهم مزروع بن زياد فهم بالمخرج معهم إلى بلاد عنز، وعلمت بذلك خولان فوصلوا إليه وسألوه التوقف لاشتغالهم ذلك الوقت بالزرائع وغيرها إلى أن يفرغوا ففعل ذلك»[1].

يتضح مما سبق وجود مشكلة تخص حجاج اليمن تتعلق بقطع طريق الحج، وهي مشكلة يبدو أنها لم تحل في وقتها، فقد حالت الظروف دون اكتمال جيش الإمام لغزو عنز بن وائل وتأديب قاطع الطريق.

والواضح من الرواية أن المشكلة كانت ببلاد خثعم وسنحان وجنب، علماً بأن طريق الحج إلى تلك المرحلة، كان بالفعل - حسب الروايات المتتالية - يسير على المسار الشرقي الذي يمر ببلادهم، ولا يمر ببلاد عنز بن وائل (بلاد قاطع الطريق)، ولو كان قطع الطريق ببلاد عنزٍ لما كان هنالك ضرر يقع على هذه القبائل الشرقية، فهل كان الأمر يخص صعلوكاً يقطع طريق الحجاج لنهبهم؟، أم أن الأمر غير ذلك. والمثير أنه تغير اتجاه الطريق بعد هذه المرحلة حسب ما ورد في المصادر اللاحقة ابتداء من ابن المجاور، فهل كان لهذه الأحداث، التي لا يبدو أنه تم إيقاف تداعياتها في حينه، أثر لاحق في تغيير مسار طريق الحج اليمني؟.

وفي سنة (٥٤٨هـ) من هذا القرن كتب الإدريسي (توفي:٥٦٠هـ) كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، وفيه وصف طريق الحج وصفاً دقيقاً، من الشمال إلى الجنوب، فقال: «والطريق من مكة إل صنعاء يخرج من مكة إلى بئر بن المرتفع وفيه بئر ثم إلى قرن المنازل وهي قرية كبيرة ثم إلى صفر وهي قرية صغيرة وبصفر بئران ماؤهما عذب يشرب منهما ثم إلى كرى وهي قرية كبيرة فيها نخل وعيون جارية ثم إلى مدينة تبالة وبها عيون كثيرة ونخل ومزارع وهي صغيرة في منخفض أكمة ثم إلى بيشة

يحي، «سيرة الإمام أحمد بن سليمان»، تحقيق د. عبدالغني محمد عبدالعاطي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (مصر، ط١-٢٠٠٢م،) (منصور). نجد صاحب هذه الدراسة يشير إلى أحد المصادر الزيدية، الذي احتوى معلومات عن لمحات من تاريخ أهل السراة في القرن السادس الهجري. وأقول إن المصادر اليمنية وبخاصة الزيدية فيها معلومات جيدة متناثرة عن تهامة والسراة في العصر الإسلامي الحديث والوسيط. وهذا الصنف من المصادر مازال بحاجة إلى من يجمعه ويدرس تاريخ أهلنا وبلادنا (سراة وتهامة) من خلالها. (ابن جريس).

(١) الثقفي، نفس المصدر، ص٩٨ - ١٠٣.

يقظان (بعطان) وهي مدينة صغيرة متحضرة جيدة المساكن حسنة البقعة فيها ماء ظاهر وقليل نخيل ثم إلى قرية جسداء وفيها بئر فيها ماء قليل وساكنها قليل ثم إلى بيات وهي قرية عظيمة بها بشر كثير ونخل كثير وبها عين ماء عذبة ثم إلى سبخة وهو منزل خلاء لا عامر فيه ثم إلى كتنة وهي قرية عامرة فيها بئر ومنها إلى سدوم راح وهي قرية كبيرة فيها سكان وعمارتها متصلة وفيها عيون كثيرة وكروم ومدينة جرش منها على ثمانية أميال وجرش ونجران متقاربتان في الكبر وبهما نخل كثير وبهما مدابغ للجلود وهي بضائعهم وبها تجاراتهم وأهلها مشهورون بذلك. ومن سدوم إلى المهجرة وهي قرية عظيمة فيها عيون وفيها بئر بعيدة القعر غزيرة الماء وبهذه القرية شجرة عظيمة تسمى طلحة الملك تشبه شجرة الخلاف غير أنها أعظم منها وهي الحد ما بين عمل مكة وعمل اليمن ومنها إلى عرقة وهي قرية حسنة ثم إلى صعدة ....»[١].

نص الإدريسي غير بعيد عن مرحلة الأحداث السابقة، وهو يشير إلى أن الطريق كان لم يزل يمر بالجهات الشرقية، كما كان سابقاً ولم يتغير اتجاهه بعد حال استخبار الادريسي عنه.

وفي هذا القرن أيضاً أورد عمارة اليمني (توفي: ٥٦٩هـ) خبر بناء الحسين بن سلامة للجوامع وحفر الآبار على طريق الحج من عدن إلى مكة، كما وصف مسارات طريق الحج اليمني إلى مكة، ومنها طريق الجبال «الطريق الأعلى، ومما جاء في وصفه لطريق الجبال قوله: «ثم من صنعاء إلى صعدة عشرة أيام في كل مرحلة من ذلك جامع ثم من صعدة إلى الطائف عشرة أيام في كل مرحلة جامع ومصانع للماء ثم عقبة الطائف»[٢].

ووصف عمارة هنا، ورغم أنه أورد تفصيلاً معقولاً للمحطات التي تمر بها الحملة فيما بين عدن وصنعاء، إلا أنه اختزل الطريق بعد صنعاء فذكر صعدة فقط ثم الطائف، وهي مسافة كبيرة تحوي الكثير من البلدان والمواقع، وهو ما يجعل الوصف هنا غير ذي جدوى في تحديد المسار المعتمد لحملات حجاج اليمن فوق الهضبة بإقليم عسير وما جاورها في عصره.

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص ص ٤٥-٤٦ . (منصور) . رحمك الله يا الإدريسي وغيرك من علماء المسلمين في العصر الإسلامي الوسيط الذين ذكروا أهلنا وبلادنا في مصنفاتهم، ولو كان حظ هذه البلاد وسكانها جيداً كانت تشرفت بزيارة أولئك الأعلام، وبالتالي كنا فزنا ببعض علومهم ومعارفهم عن أرضنا في تلك العصور الغابرة. (ابن جريس).

(٢) عمارة اليمني، نجم الدين عمارة بن علي الحكمي (توفي: ٥٦٩هـ)، تاريخ اليمن المسمى المفيد في تاريخ صنعاء وزبيد، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، ، ص٧٥ .

٤ـ القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي):

في هذا القرن أورد ابن المجاور (توفي ٦٩٠هـ) نصاً مختلفاً عن كل سابقيه من مكة إلى الطائف ثم من الطائف إلى صعدة، متضمناً تفصيلاً للطريق ومشيراً إلى محطات جديدة في جهة الغرب، ومما جاء عن الطريق من الطائف إلى صعدة قوله: «من الطائف إلى صعدة: حدثني محمد بن زنكل بن الحسين الكرماني قال: إن من الطائف إلى المعدن[١]. أربع فراسخ، وإلى الران[٢].ثمان فراسخ، وإلى محرى[٣]. ثمان فراسخ، وإلى الدروب أربع فراسخ، وإلى يافع ثمان فراسخ، وإلى عدا ثمان فراسخ، وإلى ران كيسه أربع فراسخ، وهو جبل ذو طول وعرض وعليه مجاز الخلق، وإلى صفي أربع فراسخ، وهو سوق يقوم يوم الجمعة، وإلى خفن[٤].أربع فراسخ، وإلى مدر أربع فراسخ، وإلى بلاد بني القرن[٥] . أربع فراسخ، وإلى بلاد بني عبدالدار[٦].عشرون فرسخاً، وإلى ذهبان سبع فراسخ»[٧]. وبعد وصفه لقرى هذه المناطق وتقاربها وغناها يسترسل في وصف الطريق فيقول: «وأما ذهبان فهي أم القرى بلاد عز، ويقال: إن دور أعمالها أربعون فرسخاً، وهي نجد اليمن، والأصح أطراف نجد اليمن من شرقي تهامة، وهي قليلة الجبال مستوية البقاع، ونجد اليمن غير نجد الحجاز، غير أن نجد الحجاز يتصل بشمال نجد اليمن. وإلى بلاد قحطان أربع فراسخ، وإلى راحة بني شريف فرسخان وادٍ فيه وضعت مدينة البصرة ويسمى درب العقيق، وإلى صعدة

---

(١) المعدن: ويعرف اليوم باسم «معدن البرام»، ويقع إلى الجنوب عن مدينة الطائف في بلاد بني سعد بالقرب من طريق بني سعد الباحة من الجهة الغربية .

(٢) الران: وتعرف اليوم باسم «الرانة» وهي في بلاد بني سعد على مسافة (١٦,٦كم) ـ بالخط المستقيم ـ إلى الغرب من بلدة قيا.

(٣) لعلها مخرى (أو مخرة): وهي قرية من بلاد قبيلة ناصرة التابعة لبني الحارث ذكرها بوركهارت عام (١٢٢٨هـ) على طريق الحاج اليمني؛ انظر: بوركهارت، ص٣٦٩.

(٤) خفن، لعلها جفن: وهي قرية تقع في منطقة الباحة على الطريق الواصل بين مدينة الباحة ومطار الباحة بالعقيق.

(٥) بلاد بني القرن (بلقرن) لا زالت معروفة ومركزها سبت العلايا. (منصور). نجد هنا تفاوت في معلومات العلماء والرحالة الأوائل عندما ذكر ابن المجاور ومن جاء بعده. ومن المؤكد أن هناك ظروف وأسباب أوجدت هذا التباين ، وليس عندنا صورة واضحة عن تاريخ البلاد والعباد في ذلك الزمن. ونأمل أن يظهر لنا مصادر جديدة تشرح لنا هذا الغموض والجهل المعرفي الذي عرفته البلاد آنذاك. (ابن جريس) .

(٦) بلاد بني عبدالدار: حالياً لا يوجد أي قرية بهذا الاسم في المنطقة التي حددها ابن المجاور (تقريبا بعد قطع (٧٥٪) من المسافة بين بني القرن وذهبان) ، ولعلها ما بين عبل وحضن ابن الشاعر واللتان تقعان على طريق الحاج بالفعل وتمثل محطة ابن الشاعر محطة رئيسية على الطريق إذ عندها تفترق قافلة طريق الحجاز وقافلة طريق تهامة الحجاز عن بعضهما في الذهاب ويلتقيان في الإياب.

(٧) ابن المجاور، مصدر سابق، ص٤٩.

عشـرون فرسـخاً وهي مدينة ذات عمارة وأرض نزه ودرب أمن. قـال ابن المجاور: وفي هـذا الطريـق مـن الأمم والبلاد والمدن والقـرى ما لا يعد ولا يحصـى ولا تحويه أقلام الدواوين، أي في صـنعة الحساب. وشرب أهل البلاد من أنهر سائحة، وبعضهم يشرب من آبار ماؤها خفيف على الفؤاد ذات هضم ولذة.»(١) .

من الواضـح أن مسـار طريق ابن المجـاور اتجه غرباً إلى جبـال الحجاز، ولم يمر ببيشـة وتبالة وجسداء وبنات حرب وما إليها، ويدل على ذلك مواقع القرى التي ذكرها والتـي تقع غربا مثل رفيدة وذهبان وبلاد بني القـرن وجفن ومخرة والرانة، فكلها تقع إلى الغرب عن الطريق السـابق الذي أوردته كل المصـادر السابقة له، خاصة تلك التي فصلت في محطات الطريق.

٥. القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي):

أشـار أبو الفداء (توفي عام ٧٣٢هـ) لطريق الحجاج من اليمن لمكة فقال:» ولعدن طريقـان إلى مكـة أحدهمـا على سـاحل البحر وهو الأبعـد والثاني يأخذ على صـنعاء وصعدة وجرش ونجران والطائف حتى ينتهي إلى مكة وهو الأقرب»(٢) .

والوصـف هنـا، وإن كان صـحيحاً في مجمله، ويؤيد ما أورده ابـن المجاور من تغير اتجاه الطريق إلى الغرب، حيث أصبح يمر بجهات جرش (رفيدة)، خاصةً وأنه لم يورد تبالة وبيشـة، إلا أنه مختزل جداً، كما أنه نفس نص الاصـطخري حرفياً، بما يدل على أنه نقل عنه، وهو ما يفقده خبريَّته، ومن ثم أهميته في الدلالة على مرحلته، خاصةً وأن جرش لم تعد موجودة في تلك المرحلة كحاضـرة بنفس مسـماها القديم، فقد تجاهلها الرحالة ابن المجاور في وصـفه للطريق بين الطائف وصعدة، كما تجاهلها في وصفه - في موقع آخر - للبلاد ما بين صعدة وذهبان فذكر رفيدة بدلا من جرش(٣) .

(١) نفس المصدر، ص ص٥٠-٥١ .

(٢) أبـو الفـداء، عماد الدين إسـماعيل بن محمد بن عمـر، (توفي: ٧٣٢هـ)، دار صـادر - بيروت، (١٨٤٠م)، صـ٨٣ .(منصـور). بـذل الأسـتاذ منصـور جهداً لا بأس به فيمـا تم توثيقـه، وهناك باحثـون آخرون درسـوا وناقشـوا لمحـات مـن الطرق التي تصـل بـين اليمن والحجـاز في القرون الإسـلامية الوسـيطة ، ومازلنـا نعول على المصـادر الأثريـة لعلنا نجد فيها معارف جديدة تبين صـفحات من تاريخ هذه البلاد . (ابن جريس) .

(٣) ابن المجاور، المصدر السابق، ص٢٣٨.

٦ـ القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) :

فيه نقل القلقشندي (توفي:٨٢١هـ) عن تقويم البلدان لابي الفداء، فقال:» الجملة الثالثة في الطريق الموصلة إلى اليمن وله طريقان طريق في البر وطريق في البحر اما طريقه في البر فالطريق من مصر إلى مكة معروفة قال في تقويم البلدان ومن مكة إلى عدن نحو شهر قال ولها طريقان أحدهما على ساحل البحر وهو الأبعد والثاني على نجران وجرش وصعدة وصنعاء وهو الأقرب»[١] .

وفي سياق آخر تحت عنوان: «الجملة الثانية (في الطريق إلى هذه المملكة)» قال: «قد تقدم أن الطريق من مصر إلى مكة معروفة. قال ابن خرداذبة: ثم من مكة إلى بئر بن المرتفع، ثم إلى قرن المنازل: قرية عظيمة، وهي ميقات أهل اليمن للحج منه يحرمون، ثم إلى الفتق: وهي قرية كبيرة، ثم إلى صفر، ثم إلى تربة: وهي قرية كبيرة، ثم إلى كدي، وفيها نخيل وعيون، ثم إلى رنية، وفيها نخيل وعيون أيضاً، ثم إلى تبالة، وهي مدينة كبيرة فيها عيون جارية، ثم إلى جسداء وفيها بئر ولا أهل فيها، .....»[٢] .

والقلقشندي في وصفه للطريق، نقل بداية عن أبي الفداء ــ كما يقول ــ ما أورده في تقويم البلدان، فهو هنا مقلد لمقلد، وليس بصاحب خبر، وبالتالي فإنه يسري على نصه ما سرى على نص أبي الفداء، كما أسلفنا، ثم نقل عن ابن خرداذبة ــ كما يقول ــ تفاصيله للطريق في القرن الثالث، بما يعني أنه لم يستخبر بذاته بل نقل عن نص كتب في القرن الهجري الثالث، وبالتالي فلا قيمة خبرية لنصه، فهو لا يحمل أي دلالة على مرحلته.

٧ـ القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي):

في هذا القرن يذكر ابن الديبع (ت ٩٤٤هــ) أحداث عام (٩١٥هـ)، إلى أن يقول: «وفي شهر ذي الحجة رجع حجاج اليمن من الواديين بسبب أن الشريف بركات منعهم من الوصول من ناحية البر وكان قد بلغه أنهم في العام الذي قبله دخلوا من ناحية البر بمعشر كثير لم يطلع عليه فمنع نوابه الحجاج من السير في البر ولم يكن بينهم وبين مكة إلا أياماً يسيرة.»[٣] .

---

(١) القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١ ـ ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، ج٥/ ص١٦.

(٢) نفس المصدر، ج٥/ ص٤٣.

(٣) انظر: ابن الديبع، أبي الضياء عبدالرحمن بن علي الديبع الشيباني الزبيدي، قرة العيون بأخبار اليمن

وهنـا خـبر يحمل دلالة على وضـع الطريـق في تلـك المرحلة، فالواضـح أن طريق الحجـاج في أوائـل القـرن العاشـر كان يمر بالجهـة الغربية عـبر بلاد رفيـدة ـ حيث الواديـين، بما يعني اسـتمرارية الطريق الـذي أورده ابن المجاور بين الطائف وصـعدة والذي يمر بذهبان وبلاد رفيدة وبلاد قحطان والبصـرة براحة بني شـريف. وفي نفس القرن يقول ابن سـباهي (توفي: ٩٩٧هـ): «ولعدن طريقان إلى مكة أحدهما على ساحل البحر وهو الأبعد، والآخر على صنعاء وصعدة وجرش ونجران والطائف حتى ينتهي إلى مكة.» [(١)]. ولا يبدو أن ابنٍ سـباهي يتحدث عن اسـتخبار أو معرفة بالطريق بل هو ناقل عن الاصـطخري أيضـاً، إذ أورد نفس النص المختزل فوقع في النقص الواقع في الأصل بالضبط.

٨- القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي):

في هـذا القرن وجدنا عدداً من الإشـارات لمسـار حملات الحج ومن ذلك إشـارة الجرموزي في خبر مقتضـب إلى مسار بيشـة وعصبة الحج عام (١٠٤٠هـ)، حين قال: «كما فرضناه في بيشة حرسها الله تعالى على سالكيه وهو ستة وعشرون بقشة مصرية، على كل جمل يحمل وكيله العدواني، وثلاث بقش مصـرية على كل حمار تحمل أيضا في غير عصـبة الحاج، فليس على حميرهم شـيء، وأربع بقش مصرية على كل شاة، وكما يفرضـ من الآداب المالية بحسـب الأحوال لردع السـفهاء عن العـدوان، وقمع الجهلاء عـن معصـية الرحمن للرجوع في جميـع ذلك إلى أدلة الكتاب وسـنة الرسـول الناطق بالصواب.» [(٢)].

الميمـون، حققـه وعلق عليه محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشـاد – صـنعاء، ط١ – (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، صـ٥٥٨. وبامخرمـة، أبـو محمد الطيب بن عبـدالله بن أحمد بـن علي بامخرمة الهجراني الحضـرمي الشـافعي، قلادة النحر في وفيات الدهر، عني به: بو جمعة مكري/خالد زواري، دار المنهاج – جدة، ط١ – ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، ج٦/ ص٥٦٤.

(١) ابن سباهي زاده، محمد بن علي البروسوي (المتوفى ٩٩٧هـ/ ١٥٨٩م)، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق المهدي عيد الرواضية، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١ – ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٢٧٤. (منصور)، نجد صاحب الدراسة يذكر لمحات من تاريخ الطريق وأهل السراة في القرن العاشر الهجري. ونجد مصـادر العصر الإسلامي الوسـيط (ق٧ـ ق١٠هـ/ ق١٣ـ ق١٦م)، لا تذكر الشيء الكثير عن حياة أهل تهامة والسـراة، ومع بداية العصـر الحديث، وبخاصـة من القرن الحادي عشر الهجري (١٧م) بدأ تظهر لنا مصادر تحتوي على معلومات لا بأس بها عن التهاميين والسرويين. (ابن جريس).

(٢) الجرموزي، المطهر بن محمد، بناء الدولة القاسمية في اليمن في عهد المؤيد محمد بن القاسم، مع تحقيق مخطوطة الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السـيرة، دراسـة وتحقيق الدكتورة أمة الملك إسماعيل قاسم الثور، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية – صنعاء، ط١ – ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج٣/ ص٨٩٢.

الإشـارة هنا إلى تدخل إمام اليمن في الحجاج العابرين بمسـار بيشة، يعود إلى أن حاكمهـا «حسـين ابن مغامس» الذي نقل تبعيته بمحض إرادته ـــ في نفس العام ـــ إلى إمام اليمن بسـبب خلاف واضـطراب في أحوال مكة[١]. وهو مسـار لم تعد تشـير إليه المصـادر التاريخية بعد القرن السـادس في وصفها لمسـار قوافل حجاج اليمن، ولكنه لا شـك درب لقوافل الحجاج المحليين أو سـواهم من المجاوريـن، أو الواقعين على امتداد الطريق جنوباً أو شرقاً.

ويقول حسـام الدين محسن ابن القاسم الملقب بأبي طالب (توفي:١١٧٠هـ): «وفي سنة(١٠٧٧هـ) حج مولانا علي بن أحمد ابن الإمام القاسم وسلك على الطريق الشرقية وجهات بيشة حتى خلص إلى البيت الحرام.»[٢].

مـن المؤكـد أن الطريق الشـرقي القديم المار عبر بيشـة وتبالة ظـل قائماً كطريق للحجاج، وربما اسـتطرقه بعض حجاج اليمن بشـكل خاص، ولكنه - حسـب ما وجدنا من إشـارات لطريق حجاج اليمن بما فيها القرن العاشـر - لم يعد هو المسـار الرئيسي لقوافل وحملات الحج اليمنية القادمة من صنعاء وما إليها، إلا أنه - وبلا شك - المسار الرئيسـي للحجـاج المحليين المقيمـين حواليـه، أو القادمين من مناطق امتـداده جنوباً وشـرقاً، مثل الجوف ونجـران وتثليث وعقيق تمرة (وادي الدواسـر) وما إليها. وتنبيه المؤلف إلى استطراق الإمام اليمني للطريق الشرقية وجهات ببيشة، توحي بأنه قد اتخذ طريقا مختلفاً عن المعتاد لحجاج صنعاء في تلك المرحلة.

يذكـر الوزيـر (توفي:١١٤٧هــ) في أحداث عـام (١٠٧٨هـ) أن حجـاج اليمن عاد بعضـهم من صـبيا بسـبب القحط الذي عم اليمن وتهامة إلى مكة، قال: «ضـعف حج اليمن هذا العام بسـبب ما اتّفق فيه من القحط العام واتفق أيضـا بمكّة وسـائر تهامة بحيث رجع بعض الحاج من صبيا»[٣]. وفي هذا النص نجد الإشارة إلى اعتماد الحجاج

(١) نفس المصدر، ص ص٨٨٠-٨٨١ . (منصور)، حديث الباحث عن الطريق الجبلي الذي يربط بين الحجاز واليمن، وإذا توقفنا مع تاريخ تهامة والسـراة من القرن (١٠ــ١٢هـ/١٦ــ ١٨م)، فلا نجد دراسـات أو أعمال علمية جادة عن هذه الفترة، ومازالت من العصور الجديرة بالاهتمام البحثي الجاد الرصين. (ابن جريس).

(٢) أبو طالب، حسـام الدين محسـن بن الحسن بن القاسم بن أحمد بن القاسم بن محمد (توفي: ١١٧٠هـ)، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مطابع المفضل للأوفست – تعز، ط١ – ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص٩٧.

(٣) الوزير الحسـني، عبد الله بن علي بن أحمد بن محمد الحسـني (ت ١١٤٧هـ)، تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري- السابع عشر الميلادي/ تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، دار المسيرة – بيروت، ص٢٣٢ .

القادمين من اليمن على سـكان المناطق الواقعة على طريق الحج في تأمين احتياجاتهم من الطعام ومؤونة الطريق إلى ومن مكة والمدينة.

في سـرد أحداث عام (١٠٨٢هـ) يقول يحيى بن الحسـين في مطلعها: «وفي مدخل يومـين أو ثـلاث وصـل الخبر إلى صـنعاء من طريق السـراة أنه وقع بمنـى عند جمرة العقبـة واقعـة عظيمة»[١]. إلى أن يقـول: «تأخر الحجاج الذين يصـلون من البحر، ولم يصـل من الحجاج في هذه الأيام إلا أهل السـراة فقط، وسـببه عدم التمكن للسفر من مكة إلى جدة للخوف، ثم وصـل أهل البحر عقب ذلك»[٢]. ومصطلحي «طريق السراة» و«أهل السـراة» هنا تحمل الدلالة غالباً علي الطريق المار بقمم الجبال الغربية بسـراة منطقة عسير والباحة والطائف[٣]، إذ غالباً ما تستخدم في هذه المرحلة عبارة «الطريق الشرقية» للدلالة على طريق بيشة[٤] .

ويشـير يحيى بن الحسين إلى حدث جرى لحجاج اليمن في بداية عام (١٠٩٤هـ)، أثنـاء قدومهم من الحج في قرية المضـفاة[٥]، فيقول: «وأخبر الحجاج من بني عضـية الذيـن جـاءوا طريق السـراة أنهم لما وصـلوا قرية مضـفاة وجدوا جماعـة على أبواب قريتهـم مقتولين وذلك لغزوة غزتهم قرية أخرى بينهم وبينهم خصـومة وفتنة لا تزال ثائرة، لعدم الدولة عليهم، لأن هذه البلاد بين دولة صـاحب اليمن والشـريف صـاحب مكـة ما بين الحرجـة وتبالة وبين هذين المحلين نحو خمسـة أيام، وهـي البلاد المقابلة لبلاد الحرامية على طريق تهامة، ومن جملتها قرى وادي ذهبان شـهران، فهذه البلاد

(١) الأمير. د. أمة الغفور عبدالرحمن علي، الأوضاع السياسية في اليمن في النصف الثاني من القرن الحادي عشـر الهجري السابع عشـر الميلادي مع تحقيق بهجة الزمن في تاريخ اليمن للمؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ــ صنعاء، ط١ ـــ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج٢/ ص٧٧٥.

(٢) المصدر السابق، ج٢/ ص٧٧٧.

(٣) الأمير، د. أمة الغفور عبدالرحمن علي، الأوضاع السياسية في اليمن في النصف الثاني من القرن الحادي عشـر الهجري السابع عشـر الميلادي مع تحقيق بهجة الزمن في تاريخ اليمن للمؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم، تحقيق، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية – صنعاء، ط١ – ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج٣/ ص١٢١٤

(٤) أبو طالب، حسـام الدين محسـن بن الحسن بن القاسم بن أحمد بن القاسم بن محمد (توفي: ١١٧٠هـ)، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مطابع المفضل للأوفست – تعز، ط١ – ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص٩٧ .

(٥) المضـفاة: قرية ببلاد بللسـمر السـراة على قمم جبال الحجاز بمنطقة عسـير على طريق قوافل الحجاج اليمنيين. (منصـور). تجولت خلال الخمسـين سـنة الماضـية (١٣٩٥ – ١٤٤٦هــ/١٩٧٥ – ٢٠٢٤م)، في البلاد الممتدة على قمم السـروات من أبهـا إلى الطائف فوجدتها مليئة بالتاريـخ والآثار المادية والمعنوية، وللأسف أنها لم تخدم عند مدوني التراث الأوائل، ومازالت حتى اليوم (١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م) بحاجة ماسة إلى من يدرسها ويوثق تراثها وتاريخها عبر العصور. (ابن جريس).

لا دولة عليها لانقطاعها وانفصالها بين الدولتين دولة صاحب اليمن وصاحب الشام»[١].

« المضـفاة »: قرية على طريق الحج تقع فوق قمم جبال السـراة الغربية، وهي من قـرى قبيلة بللسـمر، وهذا النص هو خبر واضـح صـريح جاء متمماً لما قبلـه، ومؤكداً على بقاء المسـار الرئيسـي لحملات الحج اليمنية المتجه من صعدة إلى الطائف ماراً بقمم جبال السـراة الغربية، استمراراً لحاله منذ القرن السابع للهجرة. (الثالث عشر الميلادي) .

ويذكر يحيى بن الحسـين في أحداث عام (١٠٩٨هـ) إشـارة إلى السـراة في طريق حجاج اليمن وذلك في قوله: «وأن حاج اليماني ضـعيف إلى العام لم يحج إلا بنو عضـية الذين جاؤوا السراة وهم قليل. والشامي كان حجه قوياً زائداً على العادة ...»[٢]. ولفظ السـراة هنا يشـير إلى جبال الحجاز الغربية إذ كان يشـار إلى جهات بيشة وتبالة وما إليها بمسمى «طريق بيشة»[٣]، أو الطريق الشرقي[٤]، ووصف الحملة بقولة أهل السراة هو من باب التمييز لهم عن الحملات التي كانت تعبر على مسارات تهامة.

٩ـ القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) :

أورد جحـاف بعضـ الأخبار حول طريق الحـج في أحداث عـام (١١٩٦هـ) بقوله: «وفي نهـار الخميسـ ثالث شـهر المحرم عدت قبائـل بني تغلب وخثعم علـى حاج اليمن فتفرقت عصـبهم في ذلك اليوم أيدي سـبا لأنه اسـتطال عليهم المعـدى خمس مرات، وتقطعوهم بالآكام والملاوي، واستفصـحوا الخبر عن السبب فقيل لهم إن بني تغلب قد اجابـت داعية نجـد ودخلت مع خثعم من ذلك العام وأن تقطعهم لهم بأمر من الشـيخ عبدالعزيـز الدرعي فلما ذهبوا بأسـلاب حاج اليمن إلى عبدالعزيز قال: اسـأتم فإني

(١) الأمير، د. أمة الغفور عبدالرحمن علي، الأوضاع السياسية في اليمن في النصف الثاني من القرن الحادي عشـر الهجري السابع عشـر الميلادي مع تحقيق بهجة الزمن في تاريخ اليمن للمؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم، تحقيق، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية – صنعاء، ط١ – ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج٣/ ص١٢١٤.

(٢) نفس المصدر، ج٣/ ص١٣٥٥.

(٣) الجرموزي، المطهر بن محمد، بناء الدولة القاسمية في اليمن في عهد المؤيد محمد بن القاسم، مع تحقيق مخطوطة الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السـيرة، دراسـة وتحقيق الدكتورة أمة الملك إسماعيل قاسم الثور، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية – صنعاء، ط١ – ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج٣/ ص٨٩٢.

(٤) أبو طالب، حسـام الدين محسـن بن الحسن بن القاسم بن أحمد بن القاسم بن محمد (توفي: ١١٧٠هـ)، تحقيـق عبدالله محمد الحبشـي، مطابع المفضـل للأوفسـت – تعـز، ط١ – ١٤١١هــ/ ١٩٩٠م، ص٩٧. (منصـور). القرن الحادي عشر الهجري (١٧م) مازال من أكثر الفترات التي نجهل تاريخ بلادنا (سراة وتهامة) فيها، وقلة المصادر الحقيقية والجيدة أحد المعوقات الرئيسية لتلك المشكلة. (ابن جريس) .

ما بعثتكم للسـلب ولكن لتأتوني برأس أميرهم، فقالوا طب نفساً سيقدمون عامهم هذا ونأتيك برأس العصبة وسنأتي على خبرهم»[(١)] .

إلى أن يقول ﴿ أخبار نهاية العام نفسـه: «وفيها نحى امير الحاج محمد بن حسين المراجل بعُصَب اليمن قاصـداً بيت الله الحرام، وجاءت طريقـه المعتاد الحجاز، وهي الطريق المعروفة التي ابتدع سـفرها والده الحسـين بن مهدي الكبسـي فلما قاربوا بني تغلب خافوا بطشـهم بهم فعدلوا تهامة الحجاز وسـاروا بالجوف والروحاء على مشـقة صـادوها. فبلغ بني تغلـب عدولهم فكتبوا إلى النماص يرغبون الحاج في سـلوك طريق الصلبات وبلاد خثعم واشترطوا جعلاً واسعاً، وحلفوا بالله لا غدروا بهم ولا نالوا منهم سوءاً، وأناطوا الامر بالقاضي مناع بتشديد النون قاضي تبالة وخثعم»[(٢)] .

ويبدو من ذلك أن الطريق قد تعرض لتغيير المسار أكثر من مرة والله أعلم، ويتضح من الرواية أن الأحداث التي تواجهها القوافل من قطاع الطرق، لها أكبر الأثر في تغيير مسـار القوافل والبحث عن المسارات البديلة في السـنوات القادمة، ولكن رواية جحاف هنـا وإن كانـت في عمومهـا مقبولة كحـدث واجهته حملة الحـج، إلا أنه يشـوبها بعض الاضـطراب في تفسير الأسـباب وإيراد بعض السرد حول ذلك، فخثعم وبيشة وما اليها لم تتبع للدولة السعودية فتأتمر بأوامر الإمام في الدرعية إلا بعد هذه المرحلة بأكثر من عشر سنوات، فلم يبدأ تواصل هذه المناطق مع الدولة السعودية إلا بعد أن دخل ربيع بن زيد عام (١١٩٩هـ) [(٣)] ثم ابن قرملة (١٢٠١هـ) [(٤)] في كنف الدولة السعودية، وبدأت من ثم حملاتها في اتجاه الجنوب، وكانت الدولة السـعودية قد شـنت حملات على الجنوب عام (١١٩٩هـ ـــ ١٢٠٠هـ) وانتصر ابن سعود من حيث عدد القتلى والغنائم[(٥)]، ولكنها لم تؤدِّ إلى ضـم مناطق الجنوب وخاصة جهات بيشـة وما إليها، وبعد دخول المذكورين بدأت الحملات على بيشة ورنية، وكان أول دخول للجيوش السعودية لديار البقوم بتربة

(١) جحـاف، لطف الله، درر نحور الحور العين في سـيرة الإمام المنصـور علي وأعـلام دولته الميامين، تحقيق عبدالله المقحفي، مكتبة الإرشاد بصنعاء، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١٥٧.

(٢) المصدر السابق، ص١٦٥ .

(٣) ابن غنام، حسين، روضة الأفكار، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار الشروق، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ، ج٢/ ص ص ٨٥٣ .

(٤) نفـس المصـدر، ج٢/ ص ص ٨٦٥ . (منصـور). جاء القـرن (١٢هـ/١٨م)، وبدأ الظـلام التاريخي الذي عاشـته البلاد في القرون السابقة يتبدد تدريجياً، وبدأت تظهر مصادر مكتوبة تذكر شيئاً من حياة البلاد والعباد في مناطق جازان، ونجران، وعسير، وبلاد غامد وزهران وغيرها. (ابن جريس).

(٥) نفس المصدر، ج٢/ ص ص٨٥١-٨٥٢، ٨٥٧-٨٥٨.

ومـا حولها ـ حسـب ما يرويه ابن غنام الذي عاصـر الأحداث وكان على اتصـال بأحد أطرافها ـ عام (١٢٠٨هـ) [(١)]، وإلى بيشة عام (١٢١١هـ) [(٢)]، كما أن طريق الحجاز كان معروفاً قبل مرحلة حسـين بن مهدي الكبسـي، تدل عليه الكثير من الروايات والأحداث منذ القرن السـابع، مثل حادثة المضـفاة عام (١٠٩٤هـ) التي رواها يحيى بن الحسـين كمـا ورد معنـا ـ ولعـل التحول الذي عناه كان في الجهات الشـمالية، متجهاً من شـرقي الجبال الغربية للسراة – حيث الصلَّبَات وما إليها – إلى قممها ـ حيث رغدان وما إليها؟

١٠ـ القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي):

أورد بوركهارت طريق الحجاج المار بالحجاز بالتفصيل في أوائل القرن الثالث عشر الهجري إبـان وجوده في الجزيرة العربيـة (١٢٢٨-١٢٢٩هـ/١٨١٤-١٨١٥م) عندما وصـف مسـارٍ حملة الكبسي لحجاجٍ اليمن من مكة إلى صـنعاء، فأورد بين مكة وصعدة (٣٦) موقعـاً علـى الطريق قائـلاً: «محطات قافلـة الحج، وتدعى «حج الكبسـي» عبر الأراضـي الجبلية بين مكة وصـنعاء في اليمن: مكة(١): اليوم الأول: شـداد فيها بعض المقاهي.(٢): قرى، وهي قرية صغيرة على قمة جبل المدعو بهذا الاسم.(٣): الطائف.(٤): عباسـة، في مقاطعـة عرب ثقيـف.(٥): ملاوي جدارة، وهـي مقاطعة عرب بني سعد.(٦): مخره، وهي مقاطعة عرب ناصرة. إن القرية الرئيسية لقبيلة بني سعد هي لغم، ولقبيلة ناصـرةٍ هي صور التي تبعد مسافة يوم واحد شمالي أقصى حدود زهران. في هذه القرية أيضـاً قرية بجيلة المحصـنة. (٧): السـرار لعرب ثقيف. (٨): برحرح، وتقـع على الطرف الشـمالي مـن زهران، وهي مقاطعة يسـكنها عرب يحملون الاسـم نفسه. والزهران هذه هي إحدى البلاد الأكثر خصوبة في السلسلة الجبلية، على الرغم من أن قراها تنفصـل عن بعضـها بعضـاً بصـخور جرداء. وتقطنها قبائل زهران من بني مالك وبني غامد. إن زعيم زهران (بخروش)، بعد أن قاوم محمد علي بشـجاعة، أخـذ على حين غـرة في آذار/مارس، سـنة (١٨١٥م)، وتم تقطيعه بوحشـية من ذلك الجنرال التركـي.(٩): وادي علي، في المقاطعة نفسها.(١٠):مشـنيَّة، وتقع على حدود زهـران الجنوبية.(١١): رغدان، وهي سـوق لعرب غامد.(١٢): قرن المغتسـل، لعرب غامد.(١٣): الزاهرة، للعرب نفسـهم. تملك قبيلة زهرانٍ وغامد الحجاز والمقاطعات المحاذية في تهامة، أو السـهل الغربي باتجاه البحر، فضـلاً عن السهل الشرقي الأعلى. إن المركـز الرئيسـي لقبيلـة غامـد، هو مخوع، وهـي مدينة لا يجب الخلـط بينها وبين

(١) نفس المصدر، ج٢/ ص٩٢٣ .

(٢) نفس المصدر، ج٢/ ص ص٩٦٥ .

مخـا.(١٤): الرهيطـة، لقبيلة شـمران القوية النافـذة.(١٥): أدمة، لعرب شـمران. (١٦): تبالة، لعرب شـمران، وهي تمتد على طريق الجبال في السهل الغربي والشرقي. (١٧):الحصباء، وهي سوق عرب شمران.(١٨): العسابلي، وهي قرية لقبيلة عسابلي. (١٩): بنو شـفرة، وهي سـوق لهذه القبيلة التي كانت سـابقاً موحدة مع عسابلي، لكن الزعيـم الوهابي جعـل منها قبيلة مختلفة وبارزة. (٢٠): شـط ابـن عريف[١].(٢١): سدوان، ويسكن هذا المكان، وشط بن عريف، قبيلة تدعى أهل العريف.(٢٢): المطسا. (٢٣): ابن معان، وهي تخص مع المطسا، عرب ابن قطلان.(٢٤): عبل، وتقع في أراضي قبيلة عسـير القوية.(٢٥): ابن الشاعر[٢]، لقبيلة عسير.(٢٦):ذهبان، لعرب قحطان، وهـي إحدى القبائل الأشـد قوة في الصـحراء الشـرقية.(٢٧): درب ابـن العقيدة[٣]، وهـو واد تسـكنه قبيلـة رفيدة التي تنتمي إلى عسـير، وهم خيالة أشـداء. (٢٨): درب سلمان[٤]، لقبيلة رفيدة.(٢٩): وقشة[٥]،لعرب عبيدة. في مقاطعة عبيدة، هناك مدينة عرين في أراض شـديدة الخصـوبة. ومن عرين جنوبا، يحتفـظ العرب ببعض الجمال على الجبال والعديد من الخراف والمعز. وهم ما يدعونهم البدو باسـم شـواوي، أو أهل شـاة، أو أهل ابـل.(٣٠):وادي يعوض[٦]،لعـرب عبيدة. (٣١):حوض بـن زياد، لعرب عبيـدة.(٣٢): ظهران[٧]،وهـي مقاطعة وسـوق لقبيلـة وادعة.(٣٣): كراض، لقبيلة

---

(١) عرفت بلدة تنومة ببلاد بني شـهر قديما باسـم «سـوق ابن العريف» نسبة إلى أسـرة «آل عريف»، ومنهم حالياً «آل الشبيلي» شيوخ بني يثلة من بني شهر.

(٢) (حضـن) ابن الشاعر: هكذا عرفت المحطة والسـوق الذي يقام فيها من قبل الحجاج، نسبة إلى العشيرة التي كانت تنتشـر في الموقع وهي: «عشـيرة آل الشـاعر» مـن قبيلة التلادة، والتي كانـت تقيم حول الموقع، إلى أن انقرضـت بكاملها وبقي منها امرأة باعت نصـيبها من الإرث على أحد أبناء القرى الأخرى حوالي منتصف القرن الرابع عشر للهجرة ؛ للمزيد انظر:
- بوركهارت، المصدر السابق، ص٣٧٠ .
- آل حامـد، عبدالرحمـن بن عبدالله، العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسـير دراسـة وثائقية، نادي أبها الادبي، ١٤٢٦هـ، ص٨٥٨ .
- الثبيت، محمد صالح، التلادة قرى وسكان، ب. د. ن، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٥٥، ٥٦ .

(٣) درب العقيـدة: سـوق قديم يقع في الطرف الشـرقي لمدينة أحد رفيـدة التي تقع بطرفها آثـار بلدة جرش التاريخية.(منصـور)، ارتحلـت في بـلاد السـراة من نجران إلى الطائف وشـاهدت وسـمعت الكثير من الأخبار والقصص التي تعود إلى القرن (١٣ــ ١٩م)، لكن هذه البلاد خلال تلك الفترة تستحق مزيداً من البحث العلمي الجاد. (ابن جريس) .

(٤) درب سلمان: سوق قديم على طريق الحجاج يقع في قرية آل نادر بالفرعين ويعود لقبيلة رفيدة.

(٥) وقشـة: هي إحدى البطون المحسـوبة على قبيلة رفيدة، وتقع بلادها إلى الشمال الغربي لسراة عبيدة وهي عبارة عن عدة قرى ممتدة ما بين آل بلحي وسراة عبيدة.

(٦) وادي يعوض: واد بمحافظة الحرجة بمنطقة عسير، أعلاه لقبيلة شريف، وأسفله لقبيلة عبيدة. ويصب في وادي الفيض لقبيلة سنحان.

(٧) هي حالياً: «ظهران الجنوب» بجنوب منطقة عسير .

وادعة. (٣٤) :رُغافة، لعرب صحار. (٣٥) : ضحيان، لعرب صحار. (٣٦) : صعدة لعرب صحار. من صعدة تنطلق القافلة، أو الحج الكبسي، وهي تدعى كذلك من الأمير أو زعيم الحج، المصنف بالكبسي))[١].

هذا النص يعد أهم النصوص التي أوردت طريق الحج في القرون المتأخرة، حيث كان بوركهارت دقيقاً في الرصد والوصف، فقد استرشد ببعض حجاج اليمن في حملة الكبسي أثناء وجوده في مكة، فأحسن الوصف، والطريق الذي أورده هنا يمر بقمم جبال الحجاز الغربية، وهذا الطريق كان موجوداً ومستطرقاً من قبل حجاج اليمن منذ وقت مبكر، فهو - في غالبه - امتداد لما ذكره ابن المجاور ما بين الطائف وصعدة، ويؤكد حقيقة ذلك ما أورده يحيى بن الحسين عن بعض الأحداث التي واجهها الحجاج في المضفاة الواقعة على القمم الغربية لجبال الحجاز عام (١٠٩٤هـ) .

في هذا القرن أيضاً ورد - ولأول مرة - نص يدل على أن وادي تيَّة كان مستطرقاً من قبل القوافل - والتي من ضمنها حملات حجاج اليمن دون شك - وكان ذلك في قصيدة محمد بن أحمد المتحمي الذي عاش حتى نهاية الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، حين قال وهو في الأسر مع قوات محمد علي باشا:

ألا أيها الركب اليمانون وقفوا ... لأصحبكم مني وصيّةَ هائم
إذا جئتم الوادي المنيع بتيَّة ... فعوجو صدور اليعملات الروازم
إلى طبب حيث الصوارم والقنا ... وفتية صدق كالأسود الضراغم[٢]

هذا النص يدل على استفاضة عبور القوافل المتجهة إلى اليمن من خلال وادي تيَّة - الذي ينزل من السراة من باحة شعار، بالقرب من طبب - قبل القرن الثالث عشر الهجري، ولا شك أن قوافل حجاج اليمن كانت ضمن الركب اليماني الذي عناه المتحمي، وكانت تعبر خلاله، وقد أورد هذا الطريق مؤرخان يمنيان في منتصف القرن

---

(١) بوركهارت. جون لويس، رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ترجمة هتاف عبدالله، الانتشار العربي بيروت، ص٣٦٩-٣٧١ . (منصور) . نجد المصادر الحديثة المتأخرة تذكر طرق ومحطات لم تذكرها المصادر الإسلامية المبكرة . وهذا لا يعني أن الدروب المذكورة مؤخراً غير موجودة ومستخدمة ، لكنها لم تكن مسلوكة بشكل كبير من قبل العلماء والرحالة الأوائل، وإجراء دراسات مقارنة على الطرق القديمة والحديثة من الموضوعات المهمة والجديدة، وتستحق الخدمة العلمية. (ابن جريس) .

(٢) النعمي، هاشم بن سعيد، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية — الرياض، ط٢. ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٢٠١ . (منصور) . معظم الدراسات الحديثة المنشورة تدرس التاريخ السياسي والعسكري ، والجوانب الحضارية الأخرى مازالت تستحق مزيداً من التركيز والخدمة العلمية البحثية الجادة. (ابن جريس) .

الرابـع عشـر الهجـري، ولكن لم نجد إشـارة قبل ذلـك، فهذا أقدم نص واضـح لهذا الطريق، ولعله يظهر لنا المزيد من النصوص التي تظهر المزيد من التفاصيل حول هذا الطريق السروي التهامي.

١١ـ القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) :

امتداداً للنص السـابق، ظهرت نصـوص تشير إلى أن حملات الحج اليمنية كانت تعـبر مـن طريق آخر، سـروي تهامي، يعـبر خلال سـراة منطقة عسـير وتهامتها إلى (ومن) مكة، فيمر بالسراة عبر عدة محطات وهي: الحرجة، ونجران، ودرب العقيدة، وذهبان، والمجزعة (ابن الشـاعر) ثم ينزل تهامة من باحة شعار عبر عقبة تيّه، ووادي تيَّة إلى محايل ثم المصبح ثم بارق والجهفة ثم إلى وادي يبة ثم يمر بعدد من المحطات إلى مكة، وهو طريق لم نجد ما يشير إليه في القرون الأولى، ولا نعلم متى بدأ استخدام هذا الطريق من قبل حملات الحج اليمنية.

فقـد أورد كل مـن اليافعـي والحجري في منتصـف القـرن الهجري الماضـي خبر هذا الطريق، ومحطات مروره عبر المنطقة، في السراة وفي تهامة، علماً بأن الطريق ذاته معروف ومستطرق قبل أن يشيرا إليه بفترة طويلة، كما جاء معنا في قصيدة محمد بن أحمد المتحمي.

أشـار اليافعي عام (١٣٥٥هـ) لطريق الحج من حضـرموت إلى مكة ماراً بسـراة منطقة عسـير ثم تهامة فقال: «يقوم المسافر من حضـرموت الوسطى إلى رهطان، ثم إلى سـور اليمنة، فإلى بئر يوسف، ثم يسـير إلى الشاغبة بعد أن يخترق وادي المنقلقة، ثم إلى العسـير، فإلى غر اليماني ثم إلى الزماريم، فإلى غر الزنافر، ثم إلى المشـينقة فـإلى المخـا، ثم إلى خب، ثـم إلى النخلة، ومنهـا إلى الخمرة عقبة عرقوب، ثم يسـير في أوديـة يقـال لها عتبة عمق المراشـي، ويقطع وادي مذاب، إلى المجـاد بلاد آل عمار، ثم إلى شـرمات في طريقهم إلى صـعدا بلاد آل سـالم، ومنها إلى رفاقة، ثم إلى عقبة مخارش في طريقه إلى جياد ومنها إلى الحوض فإلى الحرجة[١] ثم إلى نجران، ومنها إلى درب العقدة[٢] في سـهل منبسـط، ومنها إلى المجزعة[٣]، ثم إلى ثايب بعد أن يقطع عقبـة تيـة[٤]، ومنها إلى وادي حفر في طريقـه إلى محايل فإلى المصـبح، ثم إلى بارق

(١) الحرجة: بلدة معروفة على طريق الحجاج القادمين من اليمن، وهي حاضرة بلاد شريف.

(٢) درب العقيدة: بلدة وسوق قديم على طريق الحج في بلاد رفيدة.

(٣) المجزعـة: إحـدى قرى بني منبه من بني مالك عسـير وهي واحدة من القرى الثلاث التي تطل على سـوق المعروف بحضن ابن الشاعر، وهي كل من: صعبان، والطحل، والمجزعة.

(٤) عقبة تية: هي العقبة التي تنزل من شـعار في السـراة (على بعد حوالي ٢٥ كم من مدينة أبها) إلى وادي

والجهفة، فإلى وادي يبة حيث عيون الماء تنبع بكثرة، ثم إلى حدبة مشرق فإلى القوز ومنه إلى القنفذة، ثم إلى دوقة فإلى خبت صبوة، ثم إلى الليث، ومنه إلى وادي مرخ، فإلى السعدية، فإلى البيضاء، ومنها إلى مكة»[١]. ونلاحظ أن الجزء الأول من الطريق، والذي يمر ببلاد السراة إلى ما قبل عقبة تيّة، هو الطريق المعروف والمسمى الطريق العالية، ومحطاته هي مما ذكره بوركهارت في الثلث الأول من القرن الثالث عشر للهجرة ما بين عبل وظهران.

كما أشار الحجري (توفي: ١٣٨٠هـ) إلى نفس طريق اليافعي، ولكنه أوضح أنه في المجزعة يفترق الحجاج فحجاج تهامة ينزلون من المجزعة عبر عقبة تية إلى وادي بعرور ثم إلى سبت محايل، أما حجاج السراة فيستمرون عبر السراة موضحاً المحطات إلى رغدان، فقال: « ومن جبال عسير طريق حاج اليمن من جهة صعدة يخرجون بلاد الحرجة من سنحان ثم الوقشة من بلاد عبيدة ثم درب سلمان بعبيدة ثم درب العقيدة لرفيدة ثم ذهبان بلاد ابن مشيط ثم شهران شرقي أبها على نحور ثلاث ساعات ثم المجزعة من شهران[٢].ومنها ينحدر أهل المطي ومن يريد طريق ساحل تهامة فمن رأس عقبة تية ثم وادي بعرور وهو واد ضيق على مسيرة نحو (١٨) ساعة من الشرق إلى الغرب ومنه يخرجون إلى سبت محايل، وأما محمل الجبال فيمرون من المجزعة إلى الحمراء ما بين بني الأسمر وبني الأحمر من بني شهر ثم المضفاة ثم ساق الغراب ثم تنومة ثم النماص من بلاد بني شهر ثم غامد إلى رغدان.»[٣].

هنا نجد إشارتين مختلفتين، كلاهما في القرن الرابع عشر للهجرة (العشرين الميلادي)، إلى طريق الحج النازل من المجزعة (حضن ابن الشاعر) إلى تهامة عبر

تية في تهامة الذي يمتد إلى أن يصب في وادي حلي، والعقبة حاليا بها طريق عام مسفلت به العديد من الأنفاق والكباري الضخمة وهي المعروفة حالياً باسم «عقبة شعار».

(١) اليافعي، صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر – القاهرة، ط١ – ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، ج٢/ ص٢٦

(٢) المجزعة: من بلاد بني منبه من بني مالك عسير، وقد خلط الكاتب بين بني منبه عسير وبني منبه شهران، والتي تقع بلادها في محافظة بيشة، فالصحيح ما ذكرنا، وهي على مشارف باحة شعار حيث تجاور عقبة تيَّة النازلة إلى وادي بعرور، وكانت المجزعة واحدة من القرى الثلاث المطلة على محطة الحجاج المعروفة باسم «حضن ابن الشاعر» والتي كان يقام فيها سوق العصبة، وهي كل من: صعبان، والطحل، والمجزعة.

(٣) الحجري اليماني، محمد بن أحمد، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق وتصحيح ومراجعة إسماعيل بن علي الأكوع، دار الحكمة اليمانية – صنعاء، ط٢ – ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص٦٠٤(منصور) . أشكرك يا أستاذ منصور على هذه المقتطفات التي أوردتها في هذه الدراسة، وآمل أن تكون منارة علمية يُستفاد منها في أبحاث علمية أفضل وأطول وأعمق. (ابن جريس).

وادي تية، إلا ان لدينا شهادة سابقة على استطراق هذا الطريق منذ ما قبل القرن الثالث عشـر، كما أسـلفنا، وهو بدون أدنى شـك طريق قديم جدا قدم اسـتيطان الإنسان لهذه الأرض حيث أنه طريق هام محليا، إذ يربط بين بلدات وقرى كثيرة في السراة وتهامة، إلا أن اسـتطراق قوافل حجاج اليمن له لم يرد في المصـادر اليمنية القديمة ولا سواها. ولعل رواية جحاف المضـطربة عن أحداث القرن الحادي عشـر عندما غيرت قافلة الحج خط سيرها فيما سماه (تهامة الحجاز) خوفاً من تعدي التغالبة عليها، كانت تشير إليه.

ثالثاً: بعض النتائج والتوصيات:

(*) من خلال تتبع المسارات والأحداث على طريق الحج اليمني نجد التالي:

١- مـن خلال كل ما سـبق فإن طريق الحج اليمني قـد تعرض لتغيرات خلال مراحل التاريـخ الإسـلامي فنحن نجـد أن المؤلفين الأوائـل الذين وصـفوا الطريق حتى القـرن السـادس الهجري كانوا يشـيرون إلى الطريق الشـرقي المار بوادي بيشـة وتبالة إلى صفن فالطائف، ويسردون محطاته المعروفة، بصفته الطريق الرئيسي لحجـاج اليمـن، أما ما بعد الإدريسـي وبـدءاً بابن المجاور في القرن السـابع فقد كانت المصـادر التي وصفت الطريق بالتفصـيل تشير إلى الطريق المار عبر جبال الحجاز الغربية والذي يمر براحة شريف (البصرة)، ودرب العقيدة وذهبان وابن الشاعر وعبل وبلقرن ومخرة وجفن والران والمعدن وغيرها، كما يشار في المصادر المتأخرة إلى القرى الواقعة فوق قمم جبال الحجاز مثل عبل، وسدوان، والمضفاة، وتنومة، ورغدان، وغيرها، بصـفتها محطات الطريق الرئيسية، وهو ما يدل على تغير اتجاه حملات الحج اليمنية إلى جهة الغرب، فبعد أن كانت كل الإشـارات في القرون السـتة الأولى تذهب بالطريق إلى الشـرق في بلاد سنحان وعبيدة وخثعم وسـبيع، أصـبح الطريق بعد القرن السـادس الهجري يمر بجهات جبال الحجاز حيث بلاد شريف وبني بشر وعنز بن وائل وبللحمر وبللسمر وبني شهر وبني عمرو وبني القرن وشمران وخثعم وزهران وغامد وبجيلة وبلحارث وبني سعد.

لا شـك لدينا أن الطريق الغربي المار من جرش إلى ذهبان ثم جبال الحجاز كان عامـراً من قبل أهـالي جرش وما حولها من القرى والبلدات والسـراة عامة، قبل اسـتطراق قوافل حجاج اليمن له (منذ أواخر القرن السـادس الهجري)، إذ أنها طريق الحج وطريق التجارة والتواصـل المحلي، والتواصـل مع مكة والمدينة المنورة وغيرهـا من المناطق منذ العصـور القديمة، وقد اسـتطرقته القوافل اليمنية بعد القرن السـادس الهجري تأسـيا بالاسـتطراق المحلي له، ربما لأنهـا وجدَته أكثر أماناً، وجوُّه أكثر اعتدالاً في الصيف.

لا شك أيضاً أن الطريق الشرقي المار ببيشة وتبالة لم ينقطع مرتادوه بعد منتصف القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) سواء من المارين من الجهات الشرقية من جوف اليمن وشمالي نجران أو من مجاوريه في شرقي منطقة عسير وما جاورها، ناهيك عن الاستطراق الخاص الذي يحدث بين حين وآخر من قبل بعض حجاج اليمن لأي سبب، على خلاف حملات الحج الرئيسية التي من الواضح أنها غيرت اتجاهها إلى الطريق الغربي منذ أواخر القرن السادس الهجري.

٢- استجد في أخبار طرق قوافل الحج اليمنية خلال القرون الأخيرة، طريق (وادي تيَّة) وهو الذي يخرج من صعدة إلى سراة منطقة عسير، إلى ان يصل منطقة شعار، فينزل من عقبة تية (عقبة شعار حاليا) عبر وادي تية إلى محايل ثم بارق ثم إلى وادي يبة ثم يمر بعدة بلدات إلى ان يصل إلى الميقات يلملم ثم إلى مكة، وأقدم إشارة لعبور قوافل حجاج اليمن عبر طريق وادي تيَّة كانت في القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر الميلادي)، في قصيدة محمد بن أحمد المتحمي، ولا شك أنها كانت تمر قبل ذلك، ولكننا لم نعثر حتى اللحظة على إشارات إليه قبل القرن الثاني عشر فيما بين أيدينا من مصادر. ومن البديهي أيضاً التأكيد على أن طريق وادي تيَّه هو طريق محلي معروف لاستطراق قوافل الحج اليمنية له، وأنه كان يخدم طرق التجارة والحجاج المحليين أيضا منذ الأزل، ثم استطرقه حجاج اليمن تأسياً بالاستطراق المحلي له، نظراً لسهولته وسهولة الوصول إليه.

٣- يبدو من خلال ما واكب تغير مسار حملات الحج في القرن السادس وفي القرن الثاني عشر الهجريين من أحداث تناولتها المصادر، تتعلق بقطع الطريق، أن من الأسباب الرئيسية لتغير مسار القوافل من طريق لآخر عبر التاريخ ما تتعرض له القوافل من قطاع الطرق. ويظهر لنا من خلال الأحداث ان الناس كانوا يعون هذا التأثير، وربما حاولوا التأثير على مسار الحملات من خلال قطع الطريق سعياً إلى توجيه طرق الحج إلى ديارهم بحيل مختلفة، والأرجح أن الحادثتين المذكورتين كانتا في هذا الإطار، حيث تغير مسار الطريق بعد الحادثة الأولى من الشرق ال الغرب، حيث بلاد قاطع الطريق المفترض، بينما في الثانية نجد أن قاطعي الطريق يراسلون الحجاج في العام التالي، لإغرائهم بالعبور عبر ديارهم ويتعهدون بضمان أمنهم، ثم يرثي قاضيهم الخثعمي رئيس الحملة ذاته والذي اتهمهم جحاف بالتخطيط لقتله وارسال رأسه للإمام عبدالعزيز.

٤- حالة الجفاف وتردي الأوضاع الاقتصادية في طريق الحج من أهم المؤثرات على حملات الحج أثناء مرورها بالمناطق المستطرقة، وقد تؤدي حالة الجفاف إلى تراجع الحجاج عن الحج ذلك العام، أو إلى تغير مسار قوافل الحج من مسار لآخر حسب الوفرة.

٥- هنالك صلة ما لمسارات الحج الكبرى، خاصةً تلك القادمة من اليمن، بالحضور التاريخي للمدن والقرى المجاورة خلال مراحل معينة من التاريخ، حيث يؤدي استطراق الحملات الكبرى للحجاج والمعتمرين القادمة من اليمن وحضرموت ومن شرق آسيا، إلى مزيد من الازدهار للبلدان الواقعة على طريقها، واضمحلال المنعزلة عنها كحال جرش التي لم ينتهي القرن السادس إلا وقد محي أثرها وذكرها كحاضرة شهيرة، وانتعشت بدلا منها ذهبان في مرحلة لاحقة بعد أن أصبح الطريق يمر بها، كما أن البلدانيين والإخباريين يستخبرون حجاج الحملات الكبرى القادمة من اليمن في مكة والمدينة عن المدن والقرى على طريقهم فيصفونها، لذا نجد أن البلدات الواقعة على طريق الحج الشرقي أكثر بروزاً وذكراً في المعاجم وكتب البلدان التي صدر معظمها فيما قبل القرن السابع الهجري، بينما كان حظ القرى الغربية فوق جبال الحجاز أقل، لانعزالها عن الطريق الرئيسي لمدة ستة قرون، ظهرت فيها الكثير من المعاجم وكتب البلدان، والتي أسست لمفاهيم حول أسماء المدن والقرى، فنقل كل ممن سبقه.

٦- من خلال النصوص الثلاثة الأخيرة، فمن الواضح أن حضن ابن الشاعر[١]. (المجزعة) كانت محطة محورية في طريق حملات الحج اليمنية، فهي مفترق الطرق الرئيسي الفاصل بين طريق تهامة وطريق السراة، فيفترقون منها عند الذهاب، ويجتمعون بها عند الإياب، وهو ما أعطاها شهرة جيدة في المنطقة كسوق هام ينتظره الناس من عام لعام.

٧- يظهر من خلال طرق الحج التي بدأت مُستَطرقةً الجهات الشرقية في القرون الأولى، امتداداً لحال الحملات السابقة للإسلَام، كحملة أبرهة على مكة التي وجد أثرها في مريغان (شرقي منطقة عسير) أن مدينة جرش، حاضرة المناطق

(١) هكذا عرفت المحطة والسوق الذي يقام فيها من قبل الحجاج نسبة إلى العشيرة التي كانت تنتشر في الموقع وهي: عشيرة آل الشاعر التي انقرضت بكاملها وبقي منها امرأة باعت نصيبها من الإرث على أحد أبناء القرى الأخرى حوالي منتصف القرن الثالث عشر للهجرة ؛ للمزيد حول هذه المحطة انظر: بوركهارت، المصدر السابق، ص٣٧٠ ،آل حامد، عبدالرحمن بن عبدالله، العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير دراسة وثائقية، نادي أبها الادبي، ١٤٢٦هـ، ص٨٥٨ ، الثبيت، محمد صالح، التلادة قرى وسكان، ب. د. ن، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٥٥، ٥٦

الجنوبية في عصور ما قبل الإسلام، لم تكن محطة على طريق التجارة الدولية، وامتداداً لذلك لم تكن محطة على طريق الحج في القرون الستة الأولى للهجرة، ولكنها كانت جزءاً من طريق التجارة القديم (طريق البخور) كمركز تجاري يقصده الناس بذاته، في رحلاتهم للتجارة، واستمر ذلك الحال خلال توجههم للحج والعمرة والزيارة في مكة والمدينة، وأن طرق جرش المتجهة إلى الشمال سواء إلى مكة أو سواها، وإلى الجنوب، وإلى بقية الجهات، كانت طرقاً إليها ومنها ولم تكن مجرد طرقٍ مارّة بها.

٨- طرق الحج علاوة على انها كانت طرق تجارة نشطة فإنها نشطت التبادل الثقافي بين السكان وبين الحجاج، ونجد في قصيدة الشاعر الخثعمي في رثاء الكبسي شيئا من هذا التواشج[١].

٩- أعرف أنني لم آت على كل المحاور التي ذكرتها في هذا العمل العلمي ، لكنني اجتهدت، وآمل أن يأت من يستكمل ما لم أستطع إنجازه . ومن يطلع على المادة العلمية المدروسة والموثقة، فسوف يجد فيها ثغرات ومحاور كثيرة تستحق مزيداً من الدراسة والتوثيق والتحليل. والمتأمل في بلاد تهامة والسراة ، الواقعة بين الحجاز واليمن ، خلال القرون الإسلامية المختلفة، فسوف يجدها من البيئات الخصبة لإنجاز دراسات تاريخية وحضارية وأثرية كثيرة ، وآمل من مؤسسات التعليم العالي في هذه البلاد أن تدعم مشاريع علمية نوعية لها صلة بالأرض والإنسان التهامي والسروي، ونرجو أن يتحقق ذلك من خلال أقسام الجامعات الأكاديمية ومراكز بحوثها العلمية.

١٠- لاشك أن هناك مراجع يمنية وربما حجازية وغيرها تحوي المزيد من التفاصيل التي لم أضع يدي عليها. والوصول والالتقاء بمن لهم معرفة بالبلاد ومحطات الطريق من كبار السن على امتداد الطريق، لمعرفة المزيد عن حملات التجار والحجاج ومساراتهم والأثر المتبادل بين السكان المحليين وقوافل المسافرين، وآمل أن يأتي لاحقاً من يكمل ما لم أتمكن من إنجازه، والله ولي التوفيق.

---

(١) جحاف، المصدر السابق، ص١٦٥.

ثالثاً: أسرة بني الأصبغ الحجرية من خلال النقوش الصخرية (مركز الثنية -محافظة بيشة). بقلم.د.محمد بن جرمان العَواجي الأكلبي[١].

أولاً: مقدمة:

يهـدف هـذا البحث إلى دراسـة أربعة نقوش إسـلامية يرجع تاريخهـا إلى القرن الثالث الهجري تَّم اكتشافها في هضبة أم وقر وهضبة أم الوقران اللَّتان تقعان في مركز الثنيـة التابع لمحافظة بيشـة، وبيـان أهميتها التاريخيـة، كما يلقي الضـوء على أخبار رجـال الحجـر وبلادهم في القرون الإسـلامية المبكـرة أي من القـرن الأول إلى القرن الرابـع الهجريين؛ وذلك لأن هذه الفترة هي الفترة الزمنية القريبة من تواريخ النقوش المكتشفة والعائدة لبني الأصبغ من رجال الحجر.

تقع هذه النقوش المكتشـفة في موقع أم وقر وموقع أم الوقران اللذين يقعان في بلدة الثنية شـمالاً من وادي تبالة عندما يحمل اسم الثنية، وهذه النقوش تعطينا أهمية هذه المنطقة تاريخيًا واقتصـاديًا فقـد كانت قديمًا ملتقى لطرق الحـج وقوافله المتجهة من اليمـن ومـن جنوب الجزيـرة العربية إلى مكة المكرمـة والمدينة لأداء فريضـة الحج أو لأغراض التجارة والعلم، كما كانت مسـتقرًا لكثير من القبائل العربية، ولبعض الأسـر النازحة من أقطار أخرى[٢]، لما تتمتع به من خصب ورغد واستقرار، ويظهر ذلك جليًا من كثرة مواقعها الأثرية، ونقوشـها الإسـلامية التي تصـل إلى أكثر من (٤٤٦) نقشاً،

(١) للمزيد عن سـيرة الدكتور العواجي، انظر، كتاب: محافظة بيشـة للدكتور غيثان بن علي بن جريس(ط٢ ١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م)،ص١٥. (ابن جريس).

(٢) انظر عن هذه الأسر، الأكلبي محمد بن جرمان العواجي، النقوش الإسلامية في موقع أم وقر، الحميضي، الرياض، ط١ (١٤٤١هـ/٢٠١٩م)، ص٤١٨ وما بعدها.

فضــلاً عن مواقع الرسوم والكتابات العربية القديمة – الثمودية والمسندية والنبطية – التي تنتشر على جوانبها والتي تدل على الاستقرار والاستيطان البشري على أرضها قبل الإسلام وبعده[١].

ثانيًا : من أخبار رجال الحجر ونسبهم وبلادهم في العصر الإسلامي :

تنسـب رجال الحجر - بفتح الحاء وإسـكان الجيم - إلى الحجر بن الهنو بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان. وتعد من بطون الأزد الكبيرة، وقد خرجت من أرض اليمن بعد انهيار سد مأرب – ضمن قبائل الأزد التي خرجت من أرض اليمن – ثم اسـتقرت فيما يُعرف بسـراة الحجر، وهي المنطقة التي تقع في وسط السراة، وفي أغوارها التهامية ومنحدراتها الشـرقية، وظلوا بها حتى جاء الإسـلام فأسـلموا ضمن سـكان السراة، وحسُن إسلامهم، وشـاركوا في الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام، وبرز منهم رجال كثير في مجالات عدة، فمن مشاهيرهم من الصحابة:

١ـ العباس بن قيس الحجري :

صـحابي جليل، قـال الحافظ: "ذكـره البغوي، وقـال: بلغني أنه حـدث عن النبي – ﷺ – ، فيما يرويه عن ربه تعالى قال: ((يا ابن آدم أعطيتك ثلاثاً لم يكن لك في ذلك حق: ثلث مالك يكفر خطاياك....)) [٢].

٢ـ علقمة بن جنادة بن قيس الحجري :

من أصحاب رسول الله – ﷺ – شهد فتح مصر، واختط بها خطة، وخطته في الجيزة، وتولى إمارة البحر في عهد معاوية بن أبي سفيان – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –، ومات سنة تسع وخمسين [٣].

٣ـ عياض بن سعيد بن جبير بن عوف الحجري :

صحابي جليل شهد فتح مصر، ذكره ابن منده في الصحابة وقال: «شهد فتح مصر وله ذكر ولا نعرف له رواية» [٤].

---

(١) انظـر عـن هذه المواقـع ، الأكلبي، محمد العواجي، الآثار في محافظة بيشـة، مطابع الحميضـي، الرياض ،(١٤٢٦ه/٢٠٠٥م)، ص٦٠ وما بعدها، وكتاب بيشـة دراسـة تاريخية وحضارية ، ط٢، مطابع الحميضي، الرياض ،(١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) ،ص ١٨١ وما بعدها .

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتاب العربي، بيروت، (بدون تاريخ)، ج٢، ص٢٦٣.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص٢٩٤.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٩.

٤ـ عياض بن سفيان بن جبير بن عوف الحجري:

صحابي جليل، قال الحافظ: "ذكره ابن يونس، وقال: شهد فتح مصر"[١].

(*) من مشاهيرهم في علم الحديث الشريف:

أ ـ دخين بن عامر الحجري الأزدي:

محدث ثقة ممن أسسوا الجيزة في القاهرة، روى عن: عقبة بن عامر الجهني، وروى عنه: أبو بكر بن سوادة، وعبد الرحمن بن زياد، وكعب بن علقمة، والمغيرة بن نهيك، وأبو الهيثم مولى عقبة وغيرهم. ذكره ابن حبان في الثقات. وقتله الروم غيلة سنة مائة للهجرة[٢].

ب ـ الربيع بن سليمان بن داود الحجري:

محدث ثقة، يقال له الجيزي، نسبة إلى الجيزة بمصر لأنه من سكانها، روى عن: ابن وهب، وعبد الله بن عبد الحكيم، والشافعي، وأبو الأسود النضر بن عبد الحميد، وعبد الله بن يوسف التنيسي، وغيرهم.

وروى عنه: أبو داود، والنسائي، وابن أبي داود، والطحاوي، وأبو بكر الباغندي، وغيرهم.

قال ابن يونس: "كان ثقة" وقبله قاله الخطيب، وقال مسلمة بن قاسم: كان رجلاً صالحًا كثير الحديث مأمونًا ثقة. توفي يوم الأحد ليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة (٢٥٦هـ) [٣].

ج ـ رزين بن سليمان الأحمري:

من آخر طبقات التابعين، روى عن: عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ في الطلاق، وأخرج له النسائي في سننه[٤].

---

(١) ابن حجر، الإصابة ، ج٧، ص١٨٧.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ج٢، ص٢٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٢١٣.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣، ٢٧٦، والعمروي، عمر بن غرامة، قبائل إقليم عسير، الرياض، مكتبة دار الطحاوي، ط٣، ١٤٢٤هـ، ج٢، ص٢٣٩.

د ـ سلمة بن شبيب أبو عبد الرحمن الحجري:

محدث صدوق وثقة، سكن نيسابور ثم رحل إلى مكة المكرمة، وأصبح يعرف بنزيل مكة. أخرج له الأئمة: مسلم في صحيحه، وأبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد بن حنبل، وغيرهم. وثقه الأصبهاني، وابن حبان، وقال عنه الحاكم: "هو محدث أهل مكة، والمتفق على إتقانه وصدقه»، مات رحمه الله في مكة سنة ست وأربعين ومائتين للهجرة[١].

هـ ـ عباس بن جليد الحجري:

محدث ثقة، روى عن: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن الحارث. ذكره ابن حبان في الثقات، ووثقه أبو زرعة والعجلي ويعقوب بن سفيان. وقال البخاري: "يعد من المصريين". ومات -رحمه الله- قريبًا من سنة مائة للهجرة[٢].

ورد لأخيه عبدالملك بن جليد الربعي ثم النصري ذكر في نقوش الجهوة[٣].

و ـ عبد الرحمن بن نمران الحجري:

تابعي محدث روى عن: أبي الزبير، وروى عنه أبو شريح. روى له ابن ماجه حديث: "أكل الكراث"[٤]. وقد اختلف في اسمه هل هو عبد الرحمن أم عبد الله؟ فقد ذكر ابن ماجه أن اسمه (عبد الرحمن) وخالفه صاحب تهذيب الكمال، وقال: اسمه (عبد الله) [٥]. وقد ورد اسمه صريحًا في نقوش الجهوة بـ(عبد الرحمن بن نمران)، ليحسم هذا الخلاف الذي طال أمده[٦].

ز ـ عبد الله بن جابر أبو عامر المصري الحجري:

محدث، يروي عن: أبي ريحانة الأزدي. وروى عنه: عبدالملك بن عبدالله، وأبو الحصين الهيثم بن شفي الرعيني. قال الحافظ: قال ابن يونس: أبو عامر الحجري من حجر الأزد[٧].

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤، ص١٢٩.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١٠٢.
(٣) العواجي، علي، الجهوة، ص١٨١.
(٤) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٥٨.
(٥) المزي، تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٢٢هـ)، ج٣، ص٨٦.
(٦) العواجي، علي ،الجهوة، ص ص ٥٠، ١٦٩.
(٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١٠، ص١٤٧، العمروي، عمر بن غرامة، قبائل إقليم عسير، ج٢، ص٤٢٨.

ح ــ الإمام المحدث محمد بن يزيد بن ماجه الربعي:

يلقب بابن ماجه، وهي أمه، ويكنى بأبي عبدا لله، وُلد سـنة (٢٠٩هـ) وتوفي سـنة (٢٧٣هـ)، وهو أحد الأئمة السـتة أصـحاب السـنن، ترجمت له كتب التاريخ والتراجم، تراجم مطولة، ولكنها توقفت في نسـبه عند ربيعـة، فلم تحدد من هي ربيعة الواردة في نسـبه، فربيعة كثيرة في بطون العرب. وظل الأمر على هذا حتى قيض الله له الدكتور/ علـي بن محمد العواجي، فقد أثبت نسـب ابن ماجه من خلال النقوش الصـخرية إلى ربيعة بن الحجر بن الهنو، وبين أنه من رواد مدرسة الحديث بمدينة الجهوة [١].

من علمـاء قبائل رجال الحجر الذين استوطنوا خـارج الجزيـرة العربية، وكان لهم دور بارز في العلم والدعوة إلى الله:

١- الطحاوي الإمام المحدث الفقيه أحمد بن محمد بن سلامة الحجري (٢٣٩/٣٢١هـ) الـذي انتهـت إليه رئاسـة الحنفية في مصـر، وأثنى عليـه جمع كبير مـن العلماء مثـل: ابن يونس، وابن عبد البر، والذهبي، والسـمعاني، وابـن كثير، وابن الجوزي وغيرهـم. له أكثر من(١١) مصـنفًا في الفقـه والحديث وغيرهما، من أشـهرها العقيدة الطحاوية[٢].

٢- الشـيخ عبدالغنـي بن سـعيد بن علي الحجـري (٣٣٢هـ/٤٠٩هـ) الإمام الحافظ المحدث شـيخ علماء الحديث في مصـر في عهده، له عدد من المؤلفات من أشهرها: كتاب المؤتلف والمختلف، وكتاب مشتبه السنة وهما مطبوعان[٣].

ونكتفي بما ذكرنا من أعلام هذه القبيلة[٤]، فنحن لا نقصـد الجمع والاستقصـاء وإنَّمَـا نقصـد بيانَ وتوضـيح الـدور القيادي والثقـافي لأبناء هذه القبيلـة خارج حدود بلادهم في القرون الإسلامية الأولى.

(*) أما بالنسبة لبلادهم وفروعهم في القرون الإسلامية الأولى:

لا نجد عنهم في المصادر المتوفرة ـــ خصوصًا القرون الثلاثة الأولى ـــ إلا تلميحات

(١) الجهوة، تاريخها ونقوشها، ص٥٨.
(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٧١. ابن النديم، الفهرست، ص٢٠٧.
(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٦٠، ٦١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٣٨٤.
(٤) للتوسـع عـن أعلام هذه القبيلة انظر، العمـروي، عمر بن غرامة، قبائل إقليم عسـير؛ والعواجي، علي بن محمد، الجهوة، ص ص ٣٥-٦١.

يسـيرة لا تعطينا صورة واضـحة عن حياتهم وبلادهم في هذه الفترة الزمنية الطويلة. لكـن مع بداية القـرن الرابع الهجري ذكر العـالم الجليل أبو محمد الحسـن بن أحمد الهمداني في كتابه «صـفة جزيرة العرب» بعض فروع قبائل الحجر وتحدث عن بلادها ومساكنها فقال وهو يصف جرش وأحوازها: « ثم يتلو سراة عنز سراة الحجر بن الهنو بن الأزد، ومدنها: الجهوة(١)، ومنها تنومة والشرع من باحان، ثم يتلوها سراة غامد»(٢).

ثم يصف أرض السراة فيقول: «بطون الأزد: مما يتلو عنز إلى مكة منحدراً الحجر وتنومة والأشـجان، ونحيان ثم الجهوة قرى لبني ربيعة بن الحجر، وعاشرة العرق وأيد وحضـر، ووراءه قـرى لبني ربيعة من أقصـى الحجر، وحلبا قرية لبني مالك بن شـهر قبلة(٣) الحجر»(٤).

ثم يتحدث عن بلاد الحجر، ويبدأ بها من جهة الجنوب فيقول:» فأول بلاد الحجر من يمانيها(٥): عبل واد فيه الحبل ساكنه بنو مالك بن شهر، وباحان به القرى والزرع، وسـاكنه بنو مالك وبنوٌ ثعلبة وبنو نازلة من بني مالك بن شـهر بن الحجر، وذبوب واد لبني الأسـمر من شـهر، ثم الرهوة رهـوة بني قاعد من العدّميين من بلاد شـهر قريةً شـعفيه على رأس من السـراة، ثم سَـدَوان واد فيه قرية يقال لهـا رَحَب لبني مالك بن شـهر(٦)،ثم يتكلم عن وادي تنومة وعن قرية الأَشجان ونحيان والحرا وحكامها فيقول: «تنومة واد فيه ستون قرية أسفله لبني يسار وأعلاه لبلحارث بن شهر، ثم الأشجان قرية كبيرة ليسً في السـراة قرية أكبر منها بعد الجهوة وسـاكنها بنو عبد من بني عامر بن الحجر، ثم نحّيان واد مسـتقبل القبلة، وصـاحبه علي بن الحصين العبدي من بني عبد ابن عامر وابن عمه اَلحصين بن دُحيم وهم الحكام على نحِيان والأشجان والحرا»(٧).

بعد ذلك يصف مدينة الجهوة وما وراءها من القرى والعمران فيقول: «ووراء ذلك الجهوة مدينة السـراة أكبر من جرش وصاحبها الجابر بن الضحاك الربعي من نصر

---

(١) انظـر عن تحديد وتحقيق هذه القرى والأعلام الواردة في نصـوص الهمـداني، العمروي، عمر بن غرامه، القبس والجذوة في بيان موقع الجهوة، ص٢٦ وما بعدها.

(٢) صفة جزيرة العرب، ص٢٥٨.

(٣) اتجاه القبيلة.

(٤) صفة جزيرة العرب، ص٢٦١.

(٥) من جنوبها.

(٦) صفة جزيرة العرب، ص٢٦١.

(٧) المصدر نفسه، ص٢٦١.

بـن ربيعة بـن الحجر، ووراء الجهوة زنامـه العرق وهي لجابر بن الضـحاك قرية فيها زروع، ثـم بعدهـا أيد واد فيه نبذ من قـرى وزروع، وأهل أيد وجـيرة الحجر من قريش وخليطي حضـر، من ورائـه واد فيه الجيرة القرشـيون، ثم الباحة والخضـراء قريتان لمالك بن شهر وبني الغمّرة. وحلًبا قرية لبني مروان من بني مالك بن شهر انقضت قرى الحجـر»[١]، ثم يذكر المنحدرات الشـرقية من بلادها وبعض صـدور وادي ترج، ويبين من يسـكنها من فروع الحجر فيقول: «رَنما واد ذو عيون كثيرة هو من صـدور ترج، ثم يمح[٢] وهي أقصـى حد الحجر وأهلها الحارثُ بن ربيعة، وبحذاء بلد الحجر أعلى ترج وجوانب بيشـة التي تلي السـراة فيها قرية مما يصلى بيشة يقال لها نضة لبني الأصبغ مـن الحجر[٣]، ثم يتكلم عن أغوار بلادهـا ومنحدراتها التهامية فيقول: «ومن أوديتها الغورية فرشـاط وصدوره حجرية وأسفله عبيدية من كنانة، وقرب واد أهله من الحجر زيد بن الحجر به سـاكنة إلى تهامة ووادي سـاقين إلى تهامة فمحجةً الحجر التهامية وسـاكنه من الحجر جبيهة جبهة الحجر، والعديف عقبة تنصـب مياهها إلى خاط وادٍ وساكنه بنو عامر الغورية من الحجر[٤].

وأشـار الهمـداني في حديثـه عن بلاد الحجـر إلى منتجاتهـا الزراعيـة وثرواتها الحيوانية، فقال: «بسـراة الحجر البر والشـعير والبلس والعتر واللوبياء واللوز والتفاح والخوخ والكمثرى والإجاص والعسل في غربيها، والبقر وأهل الصيد وشرقيها من نجد أهل الغنم والإبل وخيل للاصابغة لا غير»[٥].

نسـتنتج مما تقـدم أن الهمداني هو العالم الوحيد في القـرن الرابع الهجري الذي أمدنـا بمعلومـات قيمة عن بلاد قبائل الحجر وفروعها، مما يعطينا صـورة لا بأس بها عن الحياة الاجتماعية والسياسية في بلاد الحجر في ذلك الوقت، فقد ذكر من فروعها (١٦) فرعًا، ومن بلادها (٣٢) موضـعًا لا يزال أكثرها معروفًا باسـمه إلى اليوم، مما يدل على أصالة هذه القبيلة وتمسكها بموروثها التاريخي والجغرافي طيلة هذه القرون.

---

(١) المصدر نفسه، ٢٦١.
(٢) واد من فروع ترج.
(٣) صفة جزيرة العرب، ص٢٦٢.
(٤) المصدر نفسه، ص٢٦٢.
(٥) المصدر نفسه، ص٢٦٢.

(*) ورجال الحجر في عصرنا الحاضر تطلق على أربع قبائل هي:

١- بنو شهْر
٢- بنو عَمْرو.
٣- باللَّسْمر (بنو الأسمر).
٤- باللَّحَمر (بنو الأحمر).

تنتشر هذه القبائل الأربع في مساحة تمتد من الجنوب من وادي عبل حتى بلاد بَلْقَرْن (بني القرن) في الشمال، وهذا الامتداد الطولي يقدر بحوالي مئة وتسعين كيلاً تقريبًا وتنداح شرقًا إلى وادي تَرْج، فحدود بيشة الجنوبية، كما تنحدر غربًا حتى تلتقي بحدود القبائل التهامية. وتنقسم من حيث طبيعة المكان إلى قسمين رئيسين: القسم الأول يسكن شعاف مرتفعات السراة، والقسم الثاني: يسكن أغوار تهامة[1].

ثالثًا: الدراسة الوصفية والتحليلية للنقوش:

تم اكتشاف أربعة من النقوش في هضبة أم وقر التي تقع شمالاً من قرية مطوية القديمة، وشرقًا قرية ضريب السوق، ونقشًا واحداً في هضبة أم الوقران، التي تقع شمالاً قرية مطوية وشمالاً من موقع هضبة أم وقر على بعد ثلاثة أكيال تقريبًا[2]، وكلا الموقعين يقعان في مركز الثنية شمالاً من وادي تبالة عندما يحمل اسم الثنية ، وفيما يلي دراسة مفصلة للنقوش:

١ـ النقش الأول: (صورة رقم ١)

مقاسه: ٣٠سم × ١٥سم
عدد الأسطر: ٣ أسطر
نوع الخط: كوفي بسيط – **طريقة تنفيذ النقش:** الحز الغائر الدقيق،
صيغته: التصريح بالثقة بالله والرجاء فيما عنده .
تاريخه: غير مؤرخ، ويحتمل التاريخ بالقرن الثالث الهجري.
موقعه: هضبة أم وقر

---

(١) هاشم النعمي، «العرب» ج١، ٢س٢٥ (رجب، شعبان، ١٤١٠هـ)، ص٧٥؛ أبو داهش، عبدالله بن محمد، أهل السراة في القرون الوسطية، ص٤٠؛ ابن جريس، غيثان بن علي، بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر، الرياض، الحميضي، ط٤، (١٤٤١هـ/٢٠٢م) ص٢٢.
(٢) أنظر عن هذه المواقع، الأكلبي، محمد العواجي، الآثار في محافظة بيشة، ص٨٣،٨٤.

نوع الصخر: جرانيت أحمر غامق.
صاحب النقش: زكير بن يحيى بن الأصبغ

(*) قراءة نص النقش:

١- زكير بن يحيى بن الأصبغ يثق
٢- بالله ويرجوه لا خيبا
٣- للّه رجاه

(*) التعليق العام على النقش:

كتب هذا النقش الصخري غير المؤرخ بالخط الكوفي البسيط على صخر جرانيتي. وقد جاء النقش خالياً من الشكل والتنقيط، ومكتمل اللفظ والمعنى ومقروءًا بالكامل، وسليمًا من الأخطاء اللغوية والإملائية.

(*) من السمات الخطية المميزة للنقش:

انزلاق حرف النون النهائية تحت مستوى سطر الكتابة وتقويس محيطها بشكل ربع دائري كما في كلمة (ابن:١)، كتابة حرف العين على شكل مثلث مقلوب كما في كلمة (الأصبغ:١)، وكذلك نقش هامة حرف الهاء المربوطة على شكل مثلث حاد الزوايا كما في كلمة (اللّه: ٢، ٣)، أما القاف المتطرفة فقد كتبت برأس مدور يتصل بقائم طويل ينزل عن خط استواء الكتابة وينتهي بعراقة منحنية ومقوسة كما في كلمة (يثق:١). ومن التأثيرات النبطية الواضحة بالنقش الفصل بين حروف كلمة لفظ الجلالة وكتابتها في سطرين.

(*) أما مضمون النقش:

فهو التصريح بالثقة المطلقة بالله سبحانه وتعالى، والرجاء فيما عنده من الخير؛ فإنه عظيم كريم لا يُخيّب من رجاه، والرجاء من الأمل نقيض اليأس[١]. فهو يأمل من اللّه أن لا يخيب رجاه، وهذه الصيغة من الصيغ الجميلة التي لم أرَ لها مثيلاً في نقوش محافظة بيشة، ولا غيرها من النقوش المكتشفة حتى الآن[٢].

(١) ابن منظور، اللسان، جـ١٤، ص٣٠٩.
(٢) من النقوش القريبة لصيغة هذا النقش نقش باسم أحمد الحجراي في محافظة الطائف وهذه نصه «اللّه ثقة أحمد بن عمر الحجراي ورجاه»، (الحارثي، ناصر، النقوش العربية المبكرة في محافظة الطائف، ط٣، دار الحارثي للطباعة والنشر، الطائف، ١٤١٨م١٩٩٧م ص ٢٤٧).

(*) صاحب النقش:

ورد اسم صاحب النقش بصيغة (زكير بن يحيى بن الأصبغ) وبالبحث في المصادر المتوفرة، لم يتمكن الباحث من إيجاد ترجمة تخص صاحب هذا النقش، ومكونات الاسم (زكير، يحيى، الأصبغ) معروفة في تلك الفترة التاريخية فقد وردت في تراجم بعض الشخصيات الإسلامية، وقد ذكر الهمداني: أن بني الأصبغ من رجال الحجر ويسكنون في قرية نضة[1]،وهم قريبون من هذا الموقع. فنرى أن هذا الرجل ينتسب لهم.

٢ـ النقش الثاني : (صورة رقم ٢)

مقاسه : ٥٢سم × ١٠سم
عدد الأسطر: ٢
نوع الخط: كوفي بسيط
طريقة تنفيذ النقش: الحز الدقيق
صيغته: التصريح بالثقة بعفو الله
تاريخه: غير مؤرخ، ويحتمل التاريخ بالقرن الثالث الهجري.
موقعه: هضبة أم وقر
نوع الحجر: جرانيت أحمر غامق
صاحب النقش: إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن الأصبغ

(*) قراءة نص النقش:

١- إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن الأصبغ
٢- يثق بعفو الله

(*) التعليق العام على النقش:

كتب هذا النقش الصخري غير المؤرخ بالخط الكوفي البسيط على صخر جرانيتي، وقد جاء النقش خاليًا من الشكل والإعجام، ومكتمل اللفظ والمعنى، ومقروءًا بالكامل وسليمًا من الأخطاء اللغوية والإملائية، ماعدا إسقاط ألف المد الوسطى في كلمتي (إسحاق:١، وإبراهيم: ١)، وهذا من التأثيرات النبطية في الخط العربي.

---

(١) صفة جزيرة العرب، ص ٢٦٢.

ومن السمات الخطية المميزة للنقش: استقامة أجسام حروف الألفات وظهور الشكل الخطاية بقاعدة الألف كما في كلمات (إسحاق، وإبراهيم، والله: ٢)، انزلاق حرف النون النهائية تحت مستوى سطر الكتابة وتقويس محيطها ربع دائري كما في كلمة (ابن:١)، وكتابة حرف العين الوسطى على شكل مثلث مقلوب الرأس كما في كلمة (بعفو).

ويخلو النقش من الزخرفة ما عدا الاستمداد البسيط في كلمة لفظ الجلالة (الله:٢).

أما موضوع النقش فهو تأكيدي يصرح فيه صاحبه بثقته بعفو ربه، ومن كانت ثقته بعفو ربه كبيرة فإن الله لا يخيبه أبدًا.

(*) صاحب النقش:

ورد اسمه في النقش بتركيبه الرباعي: (إسحاق بن ابن إبراهيم بن محمد بن الأصبغ)، ومكونات الاسم (إسحاق، وإبراهيم، ومحمد والأصبغ) أسماء معروفة ومنتشرة في وقتنا الحاضر، وكذلك في الفترة التاريخية المصاحبة لكتابة هذا النقش، فقد عُرفت بعض الشخصيات الإسلامية التي تحمل بعض مكونات هذا الاسم، ومع ذلك لم نعثر على ترجمة لصاحب النقش في جميع المصادر المتوفرة.

٣ـ النقش الثالث: (صورة رقم ٣):

مقاسه: ٦٠سم × ٧سم
عدد الأسطر: ١
نوع الخط: كوفي بسيط
طريقة تنفيذ النقش: الحز الغائر الدقيق
صيغته: التصريح بالثقة بالله
تاريخه: غير مؤرخ، ويمكن تأريخه بالقرن الثالث الهجري
موقعه: هضبة أم وقر
نوع الصخر: جرانيت احمر غامق.
صاحب النقش: أبو جعفر بن عبد الله بن الأصبغ

(*) قراءة نص النقش:

١- أبي جعفر بن عبد الله بن الأصبغ يثق بالله

(*) التعليق العام على النقش:

كتب هذا النقش الصخري غير المؤرخ بالخط الكوفي البسيط على واجهة صخرية جرانيتية التكوين بجوار النقش السابق. وقد تعرضت الكلمة الأولى منه إلى الكشط، ولكن يمكن قراءتها.

وقد جاء النقش خاليًا من علامات الشكل والإعجام ومكتمل اللفظ والمعنى، ومقروءًا بالكامل، وسليمًا من الهفوات اللغوية والإملائية ما عدا كتابة كلمة (أبي) بالنصب وصوابها بالرفع (أبو).

(*) تضمن النقش بعض السمات الخطية ومنها:

استقامة أجسام حروف اللامات والألفات كما في كلمتي (الله، والأصبغ)، وكذلك التنوع في كتابة حرف النون النهائية، فقد وردت على صورتين كما في كلمة (ابن:١) الأولى وكلمة (ابن:١) الثانية. أما حرف القاف المتصلة النهائية فقد رسمت برأس دائرية وعراقة مرسلة تنزل بشكل عمودي تحت خط استواء الكتابة كما في كلمة (يثق)، أما الهاء المتصلة المربوطة فقد كتبت على شكل مثلث متصل بزوائد في أعلاه كما في كلمة (الله)، ويلحظ بالنص بعض الظواهر الزخرفية البسيطة، مثل الاستمداد البسيط في كلمة (الله).

(*) أما موضوع النقش:

فهو التصريح بالثقة بالله تعالى من قبل صاحب النقش، مع إثبات اسمه بتركيبه الثلاثي.

(*) صاحب النقش:

ورد اسمه بالنقش بتركيبه الثلاثي أبو جعفر بن عبد الله بن الأصبغ، ويلحظ أنه لم يذكر اسمه وإنما اكتفى بكنيته أبو جعفر فلعل كنيته كانت أشهر من اسمه عند مجتمعه. وبالبحث في المصادر المتوفرة، لم نعثر له على ترجمة.

٤ـ النقش الرابع: (صورة رقم (٤) :

مقاسه: ١٥سم × ١٠سم
عدد الأسطر: ٢
نوع الخط: كوفي بسيط
طريقة تنفيذ النقش: الحز الدقيق
صيغته: التصريح بالثقة بعفو الله
تاريخه: غير مؤرخ، ويحتمل التاريخ بالقرن الثالث الهجري.
موقعه: هضبة أم الوقران
نوع الصخر: جرانيت أحمر غامق.
صاحب النقش: إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن الأصبغ

(*) قراءة نص النقش:

١- إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن الأصبغ
٢- يثق بعفو الله

(*) التعليق العام على النقش:

كتب هذا النقش الصخري غير المؤرخ بالخط الكوفي البسيط على صخرة جرانيتية لونها أحمر غامق، وقد جاء النقش خاليًا من الشكل والإعجام، ومكتمل اللفظ والمعنى، ومقروءًا بالكامل وسليمًا من الأخطاء اللغوية والإملائية، ماعدا تكرار ألف لفظ الجلالة (االله) في السطر الثاني ، وإسقاط ألف المد الوسطى في كلمتي (إسحاق:١، وإبراهيم: ١) ، وهذا من التأثيرات النبطية في الخط العربي.

(*) ومن السمات الخطية المميزة للنقش:

استقامة أجسام حروف الألفات وظهور الشكل الخطافي بقاعدة الألف كما في كلمات (إسحاق، وإبراهيم، والله: ٢) ، انزلاق حرف النون النهائية تحت مستوى سطر الكتابة وتقويس محيطها ربع دائري كما في كلمة (ابن:١) ، وكتابة حرف العين الوسطى على شكل مثلث مقلوب الرأس كما في كلمة (بعفو).

ويخلو النقش من الزخرفة ما عدا الاستمداد البسيط في كلمة لفظ الجلالة (الله:٢).

أما موضـوع النقش فهو تأكيدي يصرح فيه صاحبه بثقته بعفو ربه، ويلحظ أن هذا النقش لا يختلف في موضوعه وخصائصه الخطية والزخرفية عن النقش رقم (٢)

لأن كاتبهما شـخص واحد ولكنهما نفذا في مكانيين مختلفين، لذلك قمنا بدراسـة كل نقش مستقل عن الآخر.

صاحب النقش:

سبق ترجمته في النقش الثاني. وجميع نقوش هذه الأسرة تتسم بالجودة والإتقان، وتأكيد الثقة بعفو الله تعالى، مما يدل على ثقافتها الدينية وتعلم جميع أفرادها.

رابعًا: الشخصيات الواردة في النقوش ونسبها:

بعد دراسـة النقوش وتحليلها توصـلنا بفضـل الله إلى معرفة نسب أصحابها، فقد وردت شخصـيات النقوش بأسـماء مختلفة، وتراكيب متعددة، فمثلاً النقش الأول ورد الاسـم فيه بتركيبه الثلاثي: زكير بن يحيى بن الأصـبغ، وقد وردت مكونات الاسم (زكير، يحيى، الأصـبغ) في أسماء كثير من الشخصيات الإسلامية القريبة من الفترة التاريخية للنقوش، ومن ذلك على سبيل الذكر:

١- أحمد بن زكير الحضرمي: أحد رواة الحديث الشريف[١].
٢- أبو زكير يحيى بن محمد بن قيس المدني: أحد رواة الحديث الشـريف، ومؤدب أولاد أمير البصرة جعفر ابن سليمان العباسي، توفي في حدود المائتين سنة[٢].

وكذلـك النقش الثالث ورد الاسـم فيه بتركيبه الثلاثي: أبـو جعفر بن عبد الله بن الأصـبغ، ولكن لم يذكر اسمه صريحًا وأنمَّا اكتفى بكنيته (أبو جعفر)، ومكونات الاسم (أبو جعفر، عبدالله، الأصبغ) أسماء شائعة ومعروفة في القرون الإسلامية الأولى، ومن أشهر الشخصيات الإسلامية التي تحمل بعض مكونات هذا الاسم على سبيل الذكر:

- أبو جعفر ميمون بن الأصبغ بن الفرات النصيبي، أحد رواة الحديث الشريف، توفي سنة (٢٥٦هـ)[٣].

---

(١) العقيلي، أبو جعفر، الضعفاء الكبير، تحقيق عبد المعطي قلعي، ط١، دار المكتبة العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٢م، ج٣، ص١٠٩.
(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨، ص١٨٩.
(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١٠، ص٣٤٦.

أمـا النقش الثـاني والثالث فقد ورد الاسـم فيهمـا بتركيبه الرباعي: إسـحاق بن إبراهيم بن محمد بن الأصـبغ، ومكونات الاسـم (إسـحاق، إبراهيم، محمد) معروفة ومنتشرة في وقتنا الحاضر، وكذلك في الفترة التاريخية القريبة من تاريخ النقش، ومن أشهر الشخصيات الإسلامية التي تحمل بعض مكونات هذا الاسم على سبيل الذكر:

- اسـحاق بـن إبراهيم بن محمد الباهلي، أحـد رواة الحديث الثقات، روى عنه البخـاري، وأبـو داود، وإبراهيم بن الجنيد، ومات سـنة (٢٥٣هـ) [١]، وكذلك أبو إسـحاق إبراهيم بن محمد ابن سعيد الأصبغ الرعيني، أحد رواة الحديث الشريف، مات سنة (٣٦٥هـ) [٢].

ويوجد نقش خامس في موقع أم وقر، لم نورده في هذه الدراسة لعدم وضوحه وصغر حجمه، وقد اسـتطعنا قراءة سـطره الأول الذي يحمل اسـم صـاحبه، وقد ورد الاسـم بتركيبه الخماسـي، وهو: عبدالله ابن جعفر بن بزيع بن زكير[٣] بن الأصـبغ. ومكونات الاسـم في هذا النقش لا تخرج عن مكونات أسـماء الشخصيات السابقة باستثناء اسم (بُزيع) فهو يرد للمرة الأولى.

وبعد دراسـة النقوش اتضـح أن شخصـياتها تنسـب لأسـرة واحدة هي أسرة بني الأصـبغ، وقد ذكـر الهمداني أن بني الأصـبغ من رجال الحجر بن الهنـو، وأنهم كانوا يسـكنون في قرية نضة وهي في أعلى وادي ترج بجوانب بيشة التي تلي السراة، كما ذكر أنهم أهل خيل وإبل [٤]، وهذا يعني أن لهم بادية، وأنهم يتصفون بالشجاعة والفروسية، ويستطيعون التنقل والارتحال من بلدٍ إلى بلد.

وإذا نظرنا إلى بلدة الثنية مقر نقوش هذه الأسـرة نجد أنها ليسـت بعيدةً عن قرية نضـة التي تقع في جوانب بيشة مما يلي السراة، فلا نستبعد أن هذه الأسرة قد نزحت في القرن الثالث الهجري من قرية نضة إلى بلدة الثنية واستقرت بها، ثم اندمجت مع سكان المنطقة وتسمت باسمهم، أو أنها رجعت بعده فترةٍ إلى موطنها الأصلي في رجال الحجر.

وبالبحث عن بني الأصـبغ في عصرنا الحاضر لم نجد لهم ذكرًا في رجال الحجر، ولا في قبائـل المنطقـة، ولا في المصـادر المتوفـرة لدينـا، فأين ذهبوا بعـد القرن الرابع

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٨٦٧.
(٢) المنصوري، نايف، الدليل المغني لشيوخ أبي الحسن، ج١، ص٦٧.
(٣) اسم زكير قد يكون كثيرا لأن حرف الزاي غير واضح، وقد رجحنا زكيرا لوروده في نقوش الأسرة.
(٤) صفة جزيرة العرب، ص٢٦٢.

الهجري، الذي كانوا فيه من سكان المنطقة الأقوياء، لأنهم أهل خيل وإبل، والخيل قديمًا لا يَمْلِكُهَا إلا القبيلة القوية التي تستطيع الدفاع بها عن نفسها وعن بلادها، وتَغِيرُ بها علَى الأعداء، ولو افترضنا أنهم هاجروا بعد القرن الرابع الهجري خارج الجَزيرة العربية ضمن هجرات القبائل المتأخرة، فإن المصادر التاريخية التي تناولت هذا الجانب-وتم الاطلاع عليها-[١] لا تذكر شيئًا عن هجرة بني الأصبغ، ويظهر لي والله أعلم أن هذه القبيلة قد أفنتها الحروب التي كانت تحدث بين القبائل العربية المتجاورة، فلم تكن بلادها حصينة منيعة مثل بلاد بقية فروع الحجر الأخرى، فهي تسكن في منحدرات السراة الشرقية القريبة من جوانب بيشة، حيث تختلف طبيعة أرضها عن السراة من حيث السهولة والاتساع والمنعة.

وأرى أن من بقي منهم دخلوا تحت مسمى بعض فروع الحجر الأخرى، أو أنهم دخلوا في إعداد القبائل المجاورة وتسمَّوا باسمها، وهذا يحدث كثيرًا في القبائل العربية، فعندما تضعف القبيلة أو أحد فروعها، ينضوي الفرع الأضعف تحت مسمى الفرع الأقوى.

أما قرية نضة التي ذكر الهمداني أنها لبني الأصبغ من الحجر[٢]، فقد قال عنها العمروي: «هذا الموضع لا يوجد في أي مصدر من المصادر، ولم أجد من أبناء القبائل من يعرفها، إلا أحد المعمرين من بني عمرو، قال لي: أنها النضة: قريةٍ تراثية أثرية فيها غلال من المعادن، ومسكونه، وتقع قبل القوباء بأكثر من عشرين كيلاً، على طريق القوباء السرح»[٣].وهذا يفيد أن القرية لا زالت معروفة باسمها إلى اليوم.

---

(١) انظر على سبيل الذكر: ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، المسمى، العبر وديوان المبتدأ والخبر، مراجعة سهيل زكار دار الفكر، بيروت، لبان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م؛ والثعالبي، عبدالعزيز، تاريخ شمال إفريقيا، جمع وتحقيق، أحمد ميلاد، ومحمد إدريس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٠م/١٤١٠هـ، ومصطفى أبوضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين (٥٢٤- ٨٧٦)، الدار البيضاء، مطبعة دار النشر المغربية، ط١، ١٩٨٢م.

(٢) صفة جزيرة العرب، ص٢٦٢.

(٣) العمروي ،عمر بن غرامة، القبس والجذوة، في بيان موقع الجهوة، ص٥٨.

خامسًا: الخاتمة (النتائج والتوصيات):

تكلمنا في هذه الدراســة عن مركــز الثنية وموقعه المتميــز، وأهميته التاريخية والاقتصــادية وعن كثرة نقوشــه الإســلامية، ومواقعه الأثرية التي تدل على استمرارية الاســتقرار البشــري، والنشاط الحضاري على جوانبه قبل الإســلام وبعده، ثم تطرقنا لرجال الحجر وبلادهم، وأخبارهم ومشــاهيرهم في القرون الإسلامية المبكرة، وأخيرًا قمنا بدراســة النقوش الصــخرية العائدة لهذه القبيلة وربطنا شخصــياتها بأصــولها الحَجْريــة، بعــد مقارنتهــا مع كتب الأنســاب القديمة، وقد توصــلنا بعد دراســتنا لهذا الموضوع إلى عدد من النتائج والتوصيات نوجزها على النحو التالي:

أولاً: النتائج:

١- أظهرت الدراســة تميز مركز الثنية لوقوعه على وادي تبالة، فضــلاً عن كونه ممرًا لطــرق التجارة والحج القديمة التي كانت تربط جنوب الجزيرة العربية بشــمالها، بالإضــافة لخصوبة أرضــه وكثرة مزارعه ومياهه في الســابق، وأيضًا كثرة نقوشه ومواقعه الأثرية.

٢- أثبتت هذه الدراســة والدراسات الســابقة من قبل الباحث أن مركز الثنية من أهم المراكز الإدارية من حيث كثرة عدد المواقع الأثرية، وأن موقع أم وقر يعد أكبر موقع للنقوش الإسلامية في منطقة عسير.

٣- بينت الدراســة أن رجال الحجر مستقرون في بلادهم التي جاء الإسلام وهم فيها، والمعروفة بســراة الحجــر، لم يتأثروا بهجرات القبائــل وتموجاتها، ولم تُزحزحهم عنهــا القبائل القوية أثناء الحروب والغارات، وذلك يرجع لقوة بأســهم وحصــانة بلادهم، وتمسكهم بأرضهم وإرثهم التاريخي والحضاري، فلا زالت أغلب مسميات بلادهــم وقراهم وفروعهم التي ذكرها الهمداني في القرن الرابع الهجري معروفة إلى اليوم.

٤- اتضــح أن الســلطة المحلية في بلاد الحجر خــلال القرون الإســلامية الأولى كانت بيد مشــايخ القبائل، فهم الذين يديرون أمور بلادهم وعشــائرهم حسب ما لديهم مــن أعراف وتقاليــد قبلية، ومن المشــايخ الذين ذكرهم الهمــداني في هذه الفترة التاريخية مشــايخ الأشــجان ونحيان والحرا وهما: علي بن الحصين العبدي، وابن عمه الحصــين بن علي العبدي، وجابر بن الضــحَّاك الربعي حاكم مدينتي الجهوة وزنامة العرق.

٥- تبين أن رجال الحجر شاركوا في الفتوحات الإسلامية، واستوطن بعضهم خارج الجزيرة العربية، وكان لبعض رجالهم دور بارز في نشر الإسلام وحفظ السنة أمثال: الإمام المحدث ابن ماجه، والإمام الطحاوي المحدث الفقيه، والشيخ عبد الغني بن سعيد الحجري.

٦- انفرد الهمداني بذكر بني الأصبغ من رجال الحجر في القرن الرابع الهجري، وقد سكتت المصادر التاريخية ــ التي تم الاطلاع عليها ــ بعد الهمداني إلى عصرنا الحاضر عن ذكر بني الأصبغ، حتى خُيِّلَ لأي باحث عن هذا الفرع الحَجْري، أنَّما ذكره الهمداني عنه قد يكون غير صحيح، وقد جاء اكتشافنا لهذه النقوش ليؤكِّد صحة ما ذكره الهمداني عن بني الأصبغ، فهم من رجال الحجر، ومن سكان المنطقة في القرون الإسلامية الأولى.

ثانيًا: التوصيات:

١- نأمل من هيئة السياحة والتراث الوطني والجهات المختصة المحافظة على هذه النقوش في أماكنها وحمايتها من العبث والتشويه، فهي مصادر أولية يُستفاد منها في تطور الخط العربي، وفي معرفة الأنساب العربية، ومعرفة أسماء بعض الشخصيات الإسلامية العائدة للقرون الأولى.

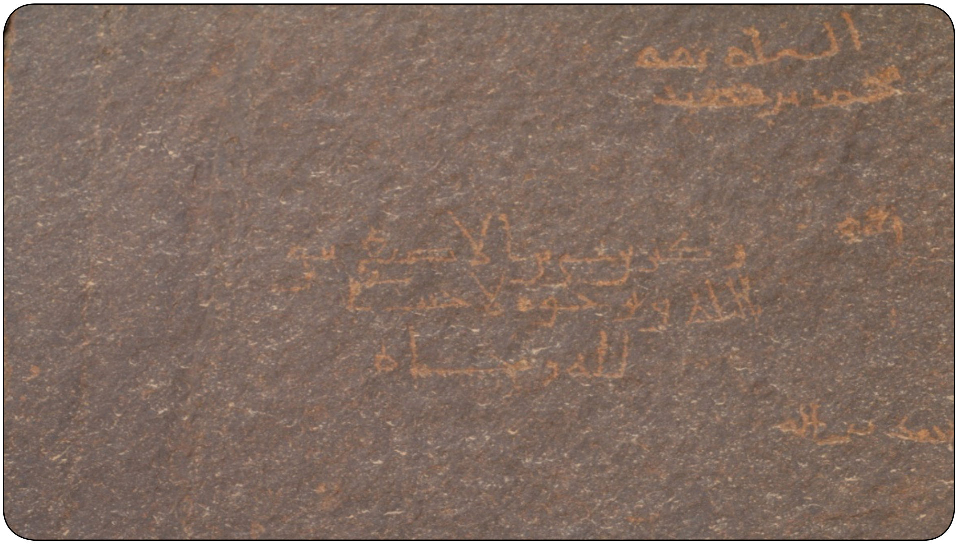
٢- نرجو من الجهات المسئولة ذات الاختصاص، المحافظة على مواقع الآثار المنتشرة في مركز الثنية وحمايتها من الزحف العمراني الذي أحاط بها من جميع الجهات بهدف الاستيلاء عليها وتملكها.

٣- حبذا لو يتصدى أحد أبناء رجال الحجر لدراسة تاريخ هذا الفرع الحَجْري ومعرفة الأسباب الغامضة وراء اختفاء اسمه من المنطقة في القرون الإسلامية المتأخرة وفي العصر الحديث.

وفي الختام آمل أن يكون فيما قدمت خدمة للباحثين والدارسين، والصلاة والسلام على خير المرسلين[1].

(١) أشكرك يا دكتور محمد على هذا المجهود العلمي التوثيقي، وجزاكم الله كل خير. وأعرف أن بلاد السروات الواقعة في محيط محافظات بيشة، وبلقرن، والنماص، وتنومة مليئة بالنقوش والرسومات الصخرية، ناهيك عن الآثار الأخرى المدفونة والسطحية. آمل أن نرى جامعاتنا المحلية تدعم وتشجع أساتذتها ومراكز بحوثها على خدمة بلادنا المحلية (تهامة وسراة)، وهي فعلاً جديرة بالاهتمام والرعاية العلمية والبحثية التوثيقية والتحليلية. (ابن جريس).

سادسًا: صور النقوش:



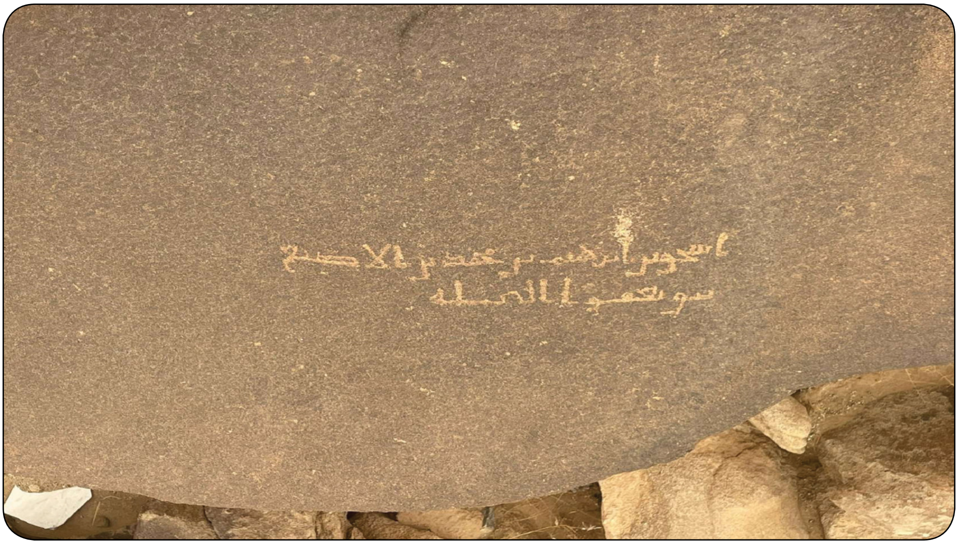
صورة فوتوغرافية للنقش رقم (١)



صورة فوتوغرافية للنقش رقم (٢)



صورة فوتوغرافية للنقش رقم (٣)



صورة فوتوغرافية للنقش رقم (٤)

سابعًا: المصادر والمراجع

١- الأكلبي، محمد بن جرمان العواجي، الآثار في محافظة بيشة، ط١، مطابع الحميضي، الرياض، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

٢- النقوش الإسلامية في موقع أم وقر بمحافظة بيشة، ط١، مطابع الحميضي الرياض، (١٤٤٢هـ).

٣- بيشة دراسة تاريخية حضارية،ط٢، الحميضي للطباعة والنشر، الرياض ،(١٤٤٤هـ /٢٠٢٢ م).

٤- الثعالبي، عبد العزيز، تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، ط٢، تحقيق أحمد بن ميلاد و محمد ادريس ، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

٥- ابن جريس، غيثان بن علي، بلاد بني شهر وبني عمر خلال القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين، ط٤، مطابع الحميضي، الرياض، (١٤ ١٤هـ/ ٢٠٠٢م).

٦- ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، ط١، دار الفكر العربي بيروت، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

٧- الإصابة في تميز الصحابة، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، (بدون تاريخ).

٨- الحارثي، ناصر بن علي، النقوش العربية المبكرة في محافظة الطائف، ط٣، دار الحارثي للطباعة والنشر، الطائف، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ص ٢٤٧.

٩- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، المسمى، العبر وديوان المبتدأ والخبر، مراجعة سهيل زكار دار الفكر، بيروت، لبان،(١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

١٠- ابن خلكان، شمس الدين أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، (بدون تاريخ).

١١- أبو داهش، عبد الله بن محمد، أهل السراة في القرون الوسيطة، ط٢، مطابع الجنوب، أبها، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

١٢- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

١٣- العمروي، عمر بن غرامة، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ــ بلاد رجال الحجر، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط١، ١٣٩٨هـ.

١٤- القبس والجذوة في بيان موقع الجهوة، دراسة ميدانية تراثية، (١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م).

١٥- قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام، الرياض، مكتبة دار الطحاوي، ط٢، (١٤٢٤هـ).

١٦- العواجي، علي بن محمد، الجهوة تاريخها وآثارها ونقوشها الإسلامية، الرياض، الحميضي، ط١ (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

١٧- العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمرو، الضعفاء الكبير، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، دار المكتبة العلمية، بيروت، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

١٨- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (بدون تاريخ).

١٩- المزي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

٢٠- المنصوري، نايف صلاح، الدليل المغني لشيوخ الإمام أبي الحسن الدارقطني، تحقيق أبو الحسن السليماني، دار الكيان، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٧م).

٢١- مصطفى، أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، خلال عصري الموحدين وبني مرين (٥٢٤-٨٧٦هـ)، ط١، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، (١٩٨٢م).

٢٢- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق، الفهرست، دار المعرفة، بيروت لبنان، (بدون تاريخ).

٢٣- النعمي، هاشم بن سعيد، رجال الحجر، مجلة العرب، ج١، ٢، رجب/شعبان، سنة (١٤١٠/ ١٩٩٠م)

٢٤- الهمداني، الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، مطبعة نهضة مصر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، (١٣٩٧هـ/ ١٩٩٧م).

رابعا : مقتطفات من صراع البرتغاليين مع العرب والعثمانيين في جنوب شبه الجزيرة العربية في القرن (١٠هـ-١٦م)[١]. بقلم. عبدالله بن أحمد الباكري العولقي[٢].

م	الموضوع	الصفحة
أولا :	مقدمة .	٧٠
ثانياً :	لمحة عن الأحوال السياسية في شبه الجزيرة العربية وتحديداً. جنوبها في القرن (٩هـ/١٥م).	٧٣
ثالثاً :	وقفة مع الغزو البرتغالي للموانئ العربية للجزيرة العربية .	٧٥
رابعاً :	تأسيس أسطول بحري عربي في جنوب شبه الجزيرة العربية.	٨٠
خامساً :	دوافع ذهاب العثمانيين إلى جنوب شبه الجزيرة العربية.	٨٢
سادساً :	دور البحرية العثمانية في التصدي للغزو البرتغالي.	٨٤
سابعاً :	نتائج المواجهات العثمانية البرتغالية وانعكاساتها.	٨٧
ثامناً :	الخاتمة : خلاصة نتائج وتوصيات .	٩٠
تاسعاً :	بعض المصادر والمراجع	٩١

أولاً : مقدمة :

كان التجار العرب يجوبون المحيط الهندي عبر سفنهم ومراكبهم الشراعية وكأنهم ملوك تلك البحار، وظلوا مسيطرين على تجارة الهند من التوابل والبخور والأقمشة الحريرية والعطور والأخشاب وغيرها منذ أن ازدهرت العلوم الملاحية والفلكية والرحلات البحرية في عصر الدولة العباسية حتى القرن (٩هـ/١٥م) وحظيت الموانئ العربية المطلة على بحر العرب والمحيط الهندي بأهمية استراتيجية، لإشرافها المباشر على طريق التجارة العالمي الذي يربط الجزيرة العربية بموانئ الهند والسند وشرقي أفريقيا، مما جعلها محل أطماع الدول الغربية كأسبانيا والبرتغال وهولندا وبريطانيا.[٣]

---

(١) لست متخصصاً في التاريخ، لكنني اطلعت على بعض المؤلفات التي أشارت إلى بدايات الاستعمار الغربي الحديث، واتصاله بجنوب شبه الجزيرة العربية، وبخاصة البرتغاليين، عندئذ عزمت على إنجاز هذا العمل العلمي، وأرسلته إلى الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس. بهدف نشره في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) . (العولقي).

(٢) للمزيد عن سيرة صاحب هذه الدراسة الأستاذ عبدالله العولقي. انظر: موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥هـ) (الجزء الحادي والثلاثون)، ص ٤٥٧.

(٣) مليكة بن قاري، عزيزة حفصاوي، التنافس البرتغالي العثماني في جنوب شبه الجزيرة العربية خلال القرن (١٦م)، رسالة ماجستير غير منشورة ، ٢٠١٦م، محمد علوي باهارون، الغزو البرتغالي على ساحل حضرموت، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢م. (العولقي).

كانت التجارة العربية تقتضي نقل البضائع الهندية عبر طريق ملاحي بحري يمتد من الموانئ الهندية حتى سواحل جنوب الجزيرة العربية، حيث تتلقفها الموانئ العربية المطلة على بحر العرب، ومن ثمّ تسير عبر طريقين، أحدهما باتجاه سواحل وموانئ الخليج العربي التي كانت مزدهرة اقتصادياً آنذاك بفضل حركة التجارة الهندية العربية، ويتم نقلها إلى العراق والشام ثم إلى أوروبا، وأيضاً باتجاه موانئ جنوب الجزيرة العربية مثل الشحر وعدن. وكان يتم فرض الرسوم التجارية على تلك البضائع ونقلها مرة أخرى عبر البحر الأحمر إلى مصر ثم أوروبا. ولا تصل إلى بقية البلدان الأوروبية إلا وأسعارها غالية جداً ، وهذا أحد الأسباب الجوهرية التي جعلت البرتغاليون يفكرون في مشروعهم للقضاء على نفوذ البلاد العربية وحركة التجارة الهندية في المحيط الهندي.

كان البرتغاليون يراقبون الوضع عن كثب خصوصاً بعد تطور الأوروبيين في مجال صناعة الأسلحة النارية وتقدمهم في مجال الملاحة البحرية وعلوم الفلك الذي كان سابقاً حصراً على الملاحة الإسلامية وبالتالي قرروا الاستيلاء على حركة التجارة الهندية من خلال استراتيجيتين:

١- القرصنة ونهب السفن والمراكب العربية والإسلامية في المحيط الهندي وبحر العرب، وإثارة الفتن والرعب في نفوس الملاحين العرب من أجل منعهم من ممارسة مهنتهم التجارية، وغزو الموانئ العربية المطلة على بحر العرب مثل الشحر والمكلا وعدن والموانئ الأخرى.

٢- البدء بحركة كشوف جغرافية من أجل إلغاء خط الملاحة الهندي- العربي واستبداله بخط ملاحي جديد مباشر بين الهند وأوروبا عبر الالتفاف والدوران حول القارة الأفريقية،

وقد تمّ لهم ذلك بعد عدة محاولات عبر المستكشف البرتغالي الشهير فاسكودي جاما الذي اكتشف طريق رأس الرجاء الصالح، وعُدّ هذا الاكتشاف أحد الفتوحات الجغرافية العالمية وكان له اكبر الأثر على ضعف حركة التجارة العربية والإسلامية في الجزيرة العربية وما حولها كمصر والعراق والشام.

كان المسلمون أصحاب القوة والنفوذ الواسع في التجارة المحلية والإقليمية والعالمية خلال القرون الإسلامية الوسيطة. وصدر عن هذا الموضوع مئات الدراسات العلمية العربية، والفارسية، والشرقية والغربية. (ابن جريس).

أحدثت حركة الكشـوف الجغرافيـة تحولات نوعية في الأوضـاع القائمة في البحار الشـرقية بشكل عام، والسـواحل العربية في شبه الجزيرة العربية بشكل خاص[١]، فهي لم تؤد إلى تدهور السيادة العربية والإسلامية على التجارة الدولية ونظمها الاقتصادية فحسـب، بـل أحدثت تغيرات في موازين القـوى العالمية آنذاك، وبدأت حركة الكشـوف الجغرافية الأوروبية في القرنين التاسع والعاشر الهجريين (١٥ـ١٦م).

كان الأمير البرتغالي هنري ابن ملك البرتغال ايمانويل (١٤١٩م-١٤٦٠م) أول من فكر في البحث عن طريق مباشر يوصل البرتغال بالبلاد الهندية.[٢]. فأرسلت البرتغال الكثير من البعثات الاستكشافية المتعددة إلى أن أثمرت الجهود عن الوصول إلى الطريق الملاحي الجديد عبر المستكشف فاسكو ديجاما (١٤٦٩م-١٥٢٤م)[٣]، الذي تمكن في إحـدى محاولاته من الوصـول إلى الهنـد عـام (١٤٩٨م)، والعودة إلى ميناء لشـبونه البرتغالي في عام (١٤٩٩م) عبر الطريق الملاحي الجديد.

هنـاك بعض العوامـل التي جعلت البرتغاليين يذهبـون إلى سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية ومنها:

١- كانت السـلع الشـرقية كالتوابل والبخور والعطور والعقاقير الهندية والأقمشة الحريرية تجد رواجاً كبيراً في أوروبا، والسـلطات الحاكمة في مصـر والشـام تفرض الرسـوم الجمركية والضـرائب على التجـار، وحقق البنادقـة أرباحاً خيالية من نقل هذه التجارة إلى أوروبا، وكانت الرغبة في التخلص من الرسوم الجمركية دافعاً قوياً للكشوف الجغرافية[٤].

٢- دور الحروب الصـليبية وآثارها في غزو ونشـر الديانة المسيحية في قلب العالم الإسلامي وإضعافه والسيطرة عليه من خلال محاولاتهم غزو الشام والأماكن المقدسة كخطوة ثانية، وقد بارك البابا هذه الحملات البرتغالية وأيدها[٥]

---

(١) أحمـد بو شـرب، مسـاهمة الوثائق البرتغاليـة في كتابة الغزو البرتغالي لسـواحل المغـرب والبحر الأحمر والخليج العربي وما تولّد عنه من ردود فعل، مجلة المنهل، السنة العاشرة، العدد (٢٦) مارس (١٩٨٣م)، صـفحة ٧٧. (العولقي)، هناك دراسـات كثيرة في هـذا الباب، ومازالت بعض الجوانـب في البحر الأحمر جديرة بالبحث والدراسة في نهاية العصر الإسلامي الوسيط وبداية الحديث. (ابن جريس).

(٢) عبدالله سعيد الجعيدي، البرتغاليون في مصادر القرن السادس الهجري العاشر الميلادي (قراءة تاريخية في النصوص).

(٣) المعبري. تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين، صفحة ١٥٦.

(٤) شـوقي عطـا الله الجمـل، تاريـخ أوروبـا (من النهضـة حتى الحـرب البـاردة)، المكتب المصـري لتوزيع المطبوعات، (القاهرة، سنة ٢٠٠٠م)، صفحة ٢١.

(٥) عمـر عبدالعزيـز عمـر، التاريخ الأوروبـي الأمريكـي الحديـث، الطبعـة الأولى، دار المعرفـة الجامعية،

٣- الضعف والتدهور السياسي في العالم الإسلامي في أواخر العصر الإسلامي الوسيط وبداية الحديث شجع البرتغاليون على اقتحام حدود المناطق العربية الجنوبية وبسط سيطرتهم على سواحل جنوب الجزيرة العربية والخليج العربي، وأنشأ البرتغاليون حينها امبراطورية واسعة.[١].

ثانياً: لمحة عن الأحوال السياسية في شبه الجزيرة العربية، وتحديداً جنوبها في القرن (٩هـ/١٥م):

١ـ مملكة هرمز:

مملكة عربية تأسست في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) على السواحل الشرقية للخليج العربي، واشتهرت حينها بالتجارة والثراء، قال عنها الرحالة الإيطالي الشهير ماركو بولو:» إن هرمز مدينة عظيمة ونبيلة على البحر»، واكتسبت موانئ مملكة هرمز أهميتها الاستراتيجية من مواقعها المطلة على المحيط الهندي وبحر العرب والخليج العربي كونها مملكة ممتدة الأطراف، وصارت مركزاً هاماً لتجميع وشحن البضائع الهندية لمدة مائتي عام قبل استيلاء البرتغاليين عليها، واستولى عليها القائد البوكيرك عام (١٥١٤م) وحكمها باسم التاج البرتغالي ثم احتلها الصفويون عام (١٦٢٢م) بعد أن تحالفوا مع الانجليز[٢].

موقع هرمز الجغرافي جعلها محط أطماع وانتباه الأوروبيين، نظراً لثرائها الاقتصادي والتجاري ، فكانت محطة مالية مهمة لكسب الضرائب والرسوم الجمركية للموانئ البحرية التابعة لها، إلى جانب استغلالها لتجارة اللؤلؤ في الخليج العربي التي أضافت لها مصدراً هاماً من مصادر ثروتها.[٣] ويعد الملك قطب الدين من أشهر ملوك

الإسكندرية، ١٩٩٢م، صفحة ٨٣. (العولقي).للمزيد يوجد عشرات الكتب والبحوث العلمية باللغة العربية والإنجليزية فصلت الحديث عن الحروب الصليبية في العصور الوسطى، والأدوار التي قامت بها دول أوربا لغزو العالم العربي والإسلامي. (ابن جريس) .

(١) عمر عبدالعزيز عمر، التاريخ الأوروبي الأمريكي الحديث، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،١٩٩٢م، صفحة ٨٣.(العولقي). أيضاً من يطالع فهارس المكتبات العربية والأجنبية فسوف يجد الكثير من المصادر التي درست بدايات الاستعمار الغربي الحديث، ودور دولة البرتغال في تلك الحروب الاستعمارية. (ابن جريس) .

(٢) كان هناك تقارب وتعاون سياسي بين البرتغالين والصفويين ضد العرب والمسلمين، ويوجد العديد من الدراسات في هذا الباب. (ابن جريس).

(٣) نور الدين السالمي، تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان (القاهرة ،١٩٦١م) ، صفحة ٢١٤.

مملكة هرمز إضــافة إلى السلطان سـيف الدين المهار، وقد بدأ الضعف يصيب المملكة بسـبب الصراعات الداخلية بين الأسرة الحاكمة، الأمر الذي دفع إلى انفصال المناطق التـي كانت تابعــة لها، ونتيجة لهذا الصـراع الأهلـي تولدت حالة من عدم الاسـتقرار السياسـي أدى إلى نشوء أمارة عربية جديدة تنافس إمارة هرمز على تجارتها البحرية وهي إمارة الجبور. (١).

٢ـ الصراعات الداخلية في عمان:

كانت الأوضــاع السياسية عموماً مضـطربة في جنوب شبه الجزيرة العربية، ففي عمان مثلاً، نجد المناطق السـاحلية تحت نفوذ سيطرة ملوك هرمز، والمناطق الداخلية تحت سيطرة النبهانيين الذين كانوا في صراع داخلي دائم مع الإباضيين!،وبقيت الأوضاع السياسـية مضـطربة تتنازعها القوى السياسـية الثلاث، مملكة هرمـز، والنبهانيين، والإباضيين مما سهل مهمة البرتغاليين في غزو المناطق الساحلية لعمان(٢).

٣ـ الصراعات الداخلية في اليمن:

ألقى الصـراع الزيدي الطاهري ظلاله على ضـعف الدولة في بسـط نفوذها على سـواحلها الغربيــة مثل الحديـدة أو الجنوبيــة مثل عدن، فمـع قيام الدولــة الطاهرية وامتدادهــا إلى مناطق واسـعة مــن اليمن، بدأ الاصـطدام مع دويلة الامامــة الزيدية في شـمال صـنعاء، وعندما تولى الشـيخ عامر بـن عبدالوهاب الطاهـري حكم الدولة الطاهرية عام (١٤٨٩م) كان ثلثي اليمن تحت سيطرة الطاهريين، بينما الثلث المتبقي لصــالح الزيـود، وقامت حـروب عنيفة بين الجانبين بسـبب تطلعات الأمـير عامر بن عبدالوهاب في توحيد اليمن والسيطرة على ترابه كاملاً (٣)، وفي سواحل جنوب الجزيرة العربية كانت الدولة الكثيرية تتهيأ في تشكيل جغرافيتها الممتدة على طول سواحل شبوة وحضرموت والمهرة وظفار على يد السلطان بدر بوطويرق الكثيري، الذي أسس أسطولاً بحرياً استطاع أن يُلحق بعض الهزائم بالبرتغاليين قرب ميناء الشحر، بيد أن خلافاته

---

(١) عبداللطيـف الحميـدان، التاريخ السياسـي لإمـارة الجبور في نجد وشـرق الجزيرة العربيــة، مجلة كلية الآداب. (العولقـي). إمـارة الجبـور لها تاريخ سياسـي وحضـاري متنـوع، وعنها دراسـات علمية عربية وأجنبية. مطبوعة ومنشورة. (ابن جريس).

(٢) حبـذا يا عبدالله أنك فصلـت الحديـث عن تلك الصـراعات، ويوجد عنها الكثير من المصـادر المطبوعة والمخطوطة والجديرة بالدراسة والتحليل. (ابن جريس).

(٣) حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، (القاهرة، ١٩٨٧م)، صفحتي ١٩٧-١٩٨.

الكثيرة مع القبائل المتمردة وحتى مع بعض أفراد أسـرته أسـهم في إعطاء البرتغاليين مساحة من الحرية في تحركاتهم البحرية[١].

ثالثاً: وقفة مع الغزو البرتغالي للموانئ العربية الجنوبية للجزيرة العربية:

عندمـا قرّر ملكُ البرتغال غزو جنوب شـبه الجزيرة العربية، أرسـل الجواسـيسَ لجمـع المعلومات عن الهند وتجارة العـرب فيها، فكانوا يتظاهـرون بالتجارة، ويدّعون الإسلام، ويركبون في مراكب العرب ليتجسسوا عليهم عن كثب، ومن هؤلاء بعثة الفونس ودي بايفا التي وصـلت إلى مصـر ومنها الى السـاحل الأفريقي ثم عاد إلى مصر ومعه ذخـيرة هائلة من الأخبار عـن تجارة التوابل والطريق الى الهنـد، ومن ثم بدأ الإعداد لرحلة فاسكو دي جاما الشهيرة[٢].

قـام ملك البرتغال بعدة محاولات بحرية للوصـول إلى الهند منذ منتصـف القرن الخامسـ عشـر، ففي عام (١٤٨٧م) أرسـل الملك البرتغالي بعثـة بحرية بقيادة الملاح برتليميو دياز نحو السـاحل الغربي لأفريقيا، فوصـل إلى رأس العواصف ثم أطلق عليه رأس الرجاء الصالح، وفي عام (١٤٩٧م) تمكن فاسكو دي جاما من الدوران حول رأس الرجاء الصـالح والوصـول إلى المياه الشرقية، وبذلك قضـى على خط الملاحة العربي الإسـلامي، وقاد فاسـكو ديجاما في رحلته الأولى في دورانه رُبّان هندي مسـيحي يقال لـه (كانـاكا) وليس المُعلّم العربي أحمـد بن ماجد، كما تُروّج لذلك بعض المصـادر[٣]، أما أهم الحملات العسـكرية التي أرسلها البرتغاليون فكانت بقيادة القائد الفونسو دي البوكيرك، القائد الوحشـي المتهور، الذي تحرك عام (١٥٠٦م) بهدف السـيطرة على الموانئ العربية في جنوب وشرق الجزيرة العربية:

---

(١) يسلم صالح بن دهاس، الدولة الكثيرية في عهد السلطان بدربوطويرق، صفحة ٩٤. (العولقي). يا عبدالله لم تعط الموضـوع حقه من الدراسـة والتحليل، وبخاصـة أثناء حديثك عن الدولة الكثيرية في نهاية القرن التاسع، ومطلع القرن العاشر الهجريين(ابن جريس).

(٢) أنـور عبدالعليم، ابـن ماجد والبرتغال، الندوة العلمية لإحياء تراث ابن ماجد، الجزء الثاني، صـفحة ٥٥ ،٥٦. (العولقي). صـدرت عشـرات البحوث العربيـة والأجنبية عن بدايات غـزو البرتغاليين لبلاد العرب والمسلمين خلال القرن(١٠هـ/١٦م). (ابن جريس).

(٣) محمد علوي باهارون، الغزو البرتغالي على سـاحل حضـرموت، مركز حضـرموت للدراسـات التاريخية، (٢٠٢٤م). (العولقي) صدر العديد من الدراسات حول الربان الذي قاد فاسكو دي جاما من غرب العالم إلى شرقه. (ابن جريس).

١ـ التدخل البرتغالي في اليمن:

قاد البوكيرك أسطولاً بحرياً مكوناً من (١٤) سفينة لاحتلال جزيرة سقطرى اليمنية الواقعـة وسـط بحـر العـرب، وكان يهدف بذلـك بناء قلعة حصـينة في الجزيـرة لحماية البرتغاليين والمسـيحيين في المنطقة من أجل السيطرة على مدخل البحر الأحمر، بالإضافة إلى تحويل الجزيرة إلى ثكنة عسكرية ومركز للقرصنة البرتغالية في البحر العربي وتخريب حركة الملاحة البحرية. اسـتطاع هذا القائد أن يحتل جزيرة سقطرى عام (١٥٠٧م) لكنه غادرها عام (١٥١١م) بسـبب المواجهة العنيفة والبسـالة التي أبداها السـقطريون ضـد البرتغاليـين بقيادة حاكمها الشـيخ إبراهيم بـن عفرير المهري، وقـد دون في مذكراته أنه تركها بسبب عدم ملائمة مناخها وانعدام الموانئ الآمنة للسفن البرتغالية!!.[(١)].

تحـرك البوكيرك في أواخر عام (١٥١٢م) نحو عدن، وما أنّ علم السـكان بوصـول الأسـطول البرتغالي حتى تحصّـنوا في المدينة واسـتعدّوا للقتال، وسارعوا في الوقت ذاته الاسـتنجاد بسلطانٍ مصـر حينها المملوكي(أشرف الدين قانصـوه الغوري)، الذي هبّ لنجدتهـم مدفوعـاً بحميته الإسـلامية، والدفاع عن تجارة مصـر في البحر الأحمر التي صارت تحت تهديد البرتغاليين[(٢)]. كما أرسل حاكم حضرموت السلطان محمد بن عبدالله الكثـيري حملة لنجـدة عدن ومسـاعدتهم على مواجهة الغـزو البرتغالي، وقد اسـتأجر السلطان الكثيري ما يقارب إحدى وثلاثين سفينة سلمها لحاكم عدن من أجل صد الغزو البرتغالي. وكانت النتيجة فشـل الهجوم البرتغالي على عدن، وفي عام (١٥١٥م) جاءت مجموعة من السفن البرتغالية بقيادة لوبو سورز، وكان حاكم عدن آنذاك الأمير مرجان الظافري (ت ٩٢٧هـ)، فسلم للبرتغاليين المدينة دون أي مقاومة بعد أن أدرك أن المقاومة لن تتمكن من صـد الغزو البرتغالي، وبعدها وجه رسـالة إلى حاكم حضرموت المقيم في الشحر السلطان محمد بن عبدالله الكثيري الذي هب لنصرة إخوانه العدنيين واستنجد

---

(١) محمد السـلمان. الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج العربـي (١٥٠٧ـ١٥٢٥م). مركز زايد للتراث الإمارات، ص ١١٠ـ ١١١. محمد حسـن العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصـر، ط٢، العين للدراسـات والبحوث الإنسـانية والاجتماعيـة، (١٩٩٨م)، صـفحة ٢٣٤-٢٣٦. (العولقـي). مازال هناك مصـادر عربية ووثائق برتغالية تشـتمل على تفصـيلات عن هذه التحركات الأوربية العسـكرية، حبذا أن تُجمع ويتم دراستها وتحليلها. (ابن جريس).

(٢) للمزيد انظر سـليم طه التكريتي، المقاومة العربية في الخليج العربي، صـفحة٥٠. الشهداء السبعة، محمد عبدالقـادر بامطـرف، دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية، بغداد-العراق، (١٩٧٤م)، صـفحة ٧٤-٧٥. (العولقي)، يا عبدالله هذه الموضـوعات التي أشـرت إليها في المتن غـير وافية، حبذا أنك اطلعت على مصادر ومراجع أكثر ثم عالجت هذا الموضوع بطريقة أفضل وأطول وأعمق. (ابن جريس).

بأهالي مدينة الحامي الذين سطروا أروع البطولات في التصدي للبرتغاليين الوحشيين سواءً في عدن أم في الشحر أو في مدينة الحامي نفسها[١].

٢ـ التدخل البرتغالي في مملكة هرمز:

تحرك الأسطول البرتغالي نحو مملكة هرمز وكانت تمثل السوق الرئيسي لمنطقة الخليج والجزيرة العربية، وفي بداية الأمر واجه البرتغاليون مواجهة عنيفة من الأهالي الذي هُزموا بسبب خذلان الصفويين الذين وعدوهم بالنصرة ثم أخلفوا عهدهم، ولشدة القصف المدفعي العنيف على الأهالي الذين دُمّرتْ سفنُهم وأحرقت المنشآت في الموانئ طلب الملك سيف الدين المفاوضات مع البوكيرك، وكانت النتيجة بقاء الملك حاكماً على مملكته تحت سلطة التاج البرتغالي[٢].

بعد أن فرض البوكيرك سيطرته على مضيق هرمز، ألزم حكامها بتوقيع اتفاقية مُجحفة تتضمن الشروط التالية: (أ) دفع غرامة مالية.(ب) دفع أتاوة سنوية ضخمة. (ج)إعلان التبعيّة للبرتغال.(د) فرض حظر على السفن العربية من مزاولة نشاطها إلا بإذن.(هـ) إعفاء البضائع البرتغالية من الرسوم المالية[٣].

٣ــ التدخل البرتغالي في عمان :

توجه الأسطول البرتغالي بقيادة البوكيرك عام (١٥٠٧م) من هرمز إلى سواحل عمان نحو قلهات، وكانت حينئذ أكبر محطة تموين للسفن القادمة من الهند إلى الخليج العربي، وارتكب الكثير من الجرائم والمجازر بحق السكان المسلمين، وحرق مجموعة كبيرة من السفن والمراكب البحرية، ثم واصل مسيره نحو مسقط، وهاجم مع جيشه الأهالي وقتلوهم وشردوهم، ويذكر البوكيرك مُتبجّحاً في مذكراته: "حينما أمكنني العثور على عربي، كان إفلاته مني مستحيلا!!،"[٤]. وتوجه البوكيرك بعد مسقط باتجاه

---

(١) سليم طه التكريتي ، المقاومة العربية في الخليج العربي، صفحة ٥٠ .الشهداء السبعة، محمد عبدالقادر باعبد القادر مطرف، دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية، بغداد ـ العراق (١٩٧٤م)، صفحة ٧٤ـ ٧٥. .

(٢) محمد حمد السلمان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج خلال الفترة (١٥٠٧م–١٥٢٥م)، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الامارات، صفحة ٢٠٩.

(٣) هذه طبيعة الاحتلال بالقوة، فالمغلوب يواجه الكثير من الصعوبات، والإهانات، وهذا ما يولد قيام ثورات ومواجهات للمستعمر المعتدي . (ابن جريس).

(٤) محمود شاكر، موسوعة تاريخ الخليج العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥م. (العولقي). الباحث في قسوة وإيذاء البوكيرك للمسلمين من المواد العلمية المتناثرة في كثير من المصادر والمراجع، حبذا أن تجمع هذه السلوكيات العدائية البربرية وتنشر في عمل علمي مستقل. (ابن جريس).

صـحار حيث استسـلمت له دون أي مقاومة مقابل إبقاء حاكمها أميراً عليها ورفع العلم البرتغالي فوق القلعة بالإضافة إلى دفع الضريبة لملك البرتغال.[١].

أحرز البرتغاليون النصـر على العرب واسـتمروا يطاردون السـفن العربية في المياه الأفريقية، وكان نصيب السفن اليمنية الجنوبية من تلك المطاردة العنيفة أكثر من نصيب السـفن العمانية والكويتية والفارسية واليمنية التهامية، وصار العرب في جنوب الجزيرة العربية وشرقها في حالة اقتصادية صعبة من كثرة ما عانوه وحل بها على يد البرتغاليين.

مما يلفت النظر بعد اسـتيلاء البرتغاليين على سواحل جنوب وشرق شبه الجزيرة العربية موقف الدولة الصـفوية الشـيعية السـلبي من تهديدات الخطر البرتغالي تجاه الخليج العربي، وهي دولة مجاورة تبسـط نفوذهـا على ايران وأجزاء من العراق، وتعد إحدى الدول الكبيرة والقوية في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي).

استمر الصراع بين العرب والبرتغاليين طوال القرن السادس عشر الميلادي، ورغم تفوّق البرتغاليين على العرب بالسـلاح النوعي، وقدرتهم على ملاحقة المراكب العربية وتحطيمها، وتمكنهم من السيطرة على بعض الجزر والموانئ العربية، فإنهم لم ينجحوا في إيقاف النشاط العربي الملاحي بصورة كاملة[٢].

٤- محاولات البرتغاليين لغزو جدة والأماكن المقدسة:

لتحقيق هذه الخطة قـام البوكيرك والقادة البرتغاليون الذين جاءوا بعده بالعديد من المحاولات لعبور مضـيق باب المندب، والتوغل في البحر الأحمر شـمالاً، للوصول إلى ميناء جدة، ومن أشهر تلك المحاولات ما يلي:

أ- المحاولة الأولى:

كانت في عام (١٥١٣م)، عندما خرج البوكيرك من الهند بعشرين سفينة وحاصر عـدن أربعـة أيام، لكنه هُزم في معركـة حامية دارت بينه وبين حاميتهـا الطاهرية، ثم اتجـه بعد ذلك نحـو البحر الأحمر، وتوغل فيه شـمالاً واسـتولى على جزيـرة كمران، وكانت محطة بحرية مهمة بين جدة وعدن، وقتل سـكانها ودمّر كل ما فيها من مظاهر

(١) محمد حمد السليمان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج خلال الفترة (١٥٠٧م-١٥٢٥م)، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات، ص١٥٣.

(٢) للمزيد انظر: محمد علوي باهارون، الغزو البرتغالي على سـاحل حضـرموت، مركز حضرموت للدراسات والنشر، صفحة ٢٠.

الحياة، وانطلقت منها السفن البرتغالية لشن بعض غارات القرصنة، وانتهت محاولته في هذا المكان، وعاد أدراجه إلى قاعدته في الهند[١].

ب ـ المحاولة الثانية:

غادر البوكيرك الهند عام (١٥١٥م)، على رأس حملة بحرية مكونة من (٢٦) سفينة، وألف وخمسمئة برتغالي إلى البحر الأحمر، لكنه أثناء الطريق علم أن أهالي هرمز قاموا بثورةٍ ضد البرتغاليين هناك واستولوا على المدينة، وصاروا يحاصرون الحامية البرتغالية في القلعة، فاضطرّ لتغيير وجهته إلى هرمز وقمع تلك الثورة بوحشيّة، وأعاد هرمز للسيادة البرتغالية، ثم مرض واشتد به البلاء فعاد إلى جوا (كوة)، مركز البرتغاليين في الهند، وتوفي بها في (١٥ ديسمبر ١٥١٥م)، وقد ترك لمن بعده خطة غزو البحر الأحمر إلى أقصى شماله، وزاد تركيز البرتغاليين بعد وفاته على احتلال جدة، لأنها المركز الرئيسي للدفاع عن البحر الأحمر، بعد فشل المماليك في الاستيلاء على عدن[٢].

ج ـ المحاولة الثالثة:

كانت سنة (١٥١٧م)، تاريخ دخول السلطان سليم الأول مصر وسقوط الدولة المملوكية، وفي العام نفسه بعث البرتغاليون حملة بحرية إلى الشرق بقيادة (لوبوسوريز)، نائب الملك على الهند، وخليفة البوكيرك، وقد انطلقت من ميناء جنوة الإيطالي، وتتكون من أربعين سفينة، ومن ألفي مقاتل برتغالي، وتمكنت تلك الحملة من عبور مضيق باب المندب، والتوغل في البحر الأحمر شمالاً، والوصول إلى ميناء جدة، لكنها فشلت في تحقيق هدفها، بفضل التحصينات القوية التي أسسها المماليك قبل ذلك، بالإضافة إلى وجود حامية عثمانية قوية بقيادة سلمان ريّس، ولم يستطع جنود الحملة النزول إلى البر، واضطروا الانسحاب والعودة إلى جزيرة كمران ومنها إلى عدن، حيث تزود البرتغاليون بالماء والطعام والوقود ثم غادروا إلى هرمز[٣].

---

(١) للمزيد عن مهاجمة البرتغاليين لموانئ الحجاز وبخاصة ميناء جدة، انظر غيثان بن علي بن جريس. «بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، (الإسكندرية، دار السماح ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج٢، ص٣٦٧ـ٤٠٦. (انظره ورقياً ورقمياً). (ابن جريس).

(٢) المرجع نفسه.

(٣) لمزيد من حملات البرتغاليين على جدة في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، انظر غيثان بن جريس «جدة في مواجهة الخطر البرتغالي خلال الثلث الأول من القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)». نشر هذا البحث ضمن أعمال مؤتمر (الصراع بين العرب والاستعمار في عصر التوسع الأوروبي الأول) الذي عقد في القاهرة في الفترة (٢٥ـ ٢٧/ جمادى الآخرة/١٤١٥هـ الموافق ٢٨ـ٣٠/ نوفمبر/١٩٩٤م) ص٢٢٧ـ٢٧١. (ابن جريس).

د ــ المحاولة الرابعة: كانت في عام (١٥٢٠م).

أي بعـد دخـول العثمانيـين مصـر وامتـداد نفوذهـم إلى الحجـاز واليمن بثلاث سـنوات، وصـلت إلى مدخل البحر الأحمر حملة برتغالية كبيرة، عام (١٥٢٠م) بقيادة لوبرسكويرا نائب ملك البرتغال في الهند، وكان هدفها الأساسي تدمير جدة، لكن أثناء سـيرها في البحر الأحمر علمت بوجود حشـود عسـكرية كبيرة في جدة، فلم تجرؤ على الاقتراب منها، فغيرت خط سـيرها واتجهت إلى مُصوّع(١)، لإنزال البعثة الدبلوماسية البرتغالية إلى ملك الحبشية.(٢).

رابعاً: تأسيس اسطول بحري عربي في جنوب شبه الجزيرة العربية:

كان الحاكـم لمناطـق جنوب شـبه الجزيرة العربية هو السـلطان بـدر بن طويرق الكثيري الذي يُعد أحد أشهر حكام الجزيرة العربية في القرنٍ السادس عشرٍ الميلادي، وقد مارس سياسـة الشدة واللين مع البرتغاليين، فتجده أحياناً متساهلاً معهم إلى حد كبير ومتغاضـياً عن جرائمهم وقرصنتهم البحرية اتقاءً لشرّهم، وأحياناً حازماً معهمً لدرجة مطاردتهم في البحار والتنكيل بهم!!.

قبـل أنْ نتحـدّث عن الأسـطول البحري نذكر بعضـ الحـوادث التاريخية لأعمال القرصـنة البرتغاليـة، ففي فبرايـر عام (١٥٢٣م) بـدأ الإنزال البرتغـالي على ميناء الشحر، وكان عدد المعتدين حوالي (٤٠٠) مقاتل مُسلح، ومعهم كميات هائلة من البارود ومواد أخرى تسـاعد على الاشتعال، وسـكان تلك المناطق لم يسمعوا حينها عن البارود وآثاره مما سـبّب الرعب في قلوبهم، واقتحم البرتغاليون المدينة وأشـعلوا الحرائق فيها ونهبوا الكثير من ثروات البلاد(٣).

تصـدى الأهالي للمعتدين بأسـلحتهم التقليدية التي تمثلت في السـيوف والفؤوس والعصـي والأحجار والخناجر، ودارت معارك متفرقة بما يشـبه حرب الشـوارع داخل أحياء مدينة الشـحر، وعلتْ فيها أصـواتُ روح الفداء والتضحية، والحقيقة أنه لا سبيل للمقارنة بين القوتين بالنظر إلى واقع المقاومة وإمكاناتها المتواضـعة، إضافة إلى غياب التحصـينات عـن المدينـة مقارنة بمـا كان عليه البرتغاليـون من التفوق العسـكري في مختلف الجوانب.

---

(١) ميناء بحري هام على الساحل الأفريقي يتبع اليوم دولة اريتريا.
(٢) أحمد الظرافي، دراسات تاريخية، مقال في صحيفة البيان، ١٨ فبراير٢٠١٨م.
(٣) د. محمد عبدالقادر بامطرف- الشهداء السبعة . صفحة ٩٤-٩٥.

بعد تزايد أعمال القرصنة البرتغالية لموانئ الشحر وقصيعر وقشن، بالإضافة إلى تزايد أصوات الاستياءات التي أبداها الصيادون والتجار والملاحون قرّر السلطان بدر بوطويرق الكثيري بناء أسطول عسكري بحري بطريقة نظامية بدلاً من العشوائية التي كانت سائدة في الماضي لمواجهة خطر البرتغاليين وتحرشاتهم في الموانئ العربية الجنوبية، ونجح في مهمته بمساعدة الأهالي والأسرى البرتغاليين في تشكيل النواة الأولى للأسطول البحري العربي(١). ونذكر أنواع السفن والمراكب المشهورة في ذلك الزمان وبخاصة التي كانت ضمن ذلك الأسطول العربي(٢).

١ـ الجلبة :

سفينة كبيرة تنقل البضائع والركاب والجمال من الساحل العربي إلى الساحل الأفريقي والعكس، واستمرت الجلبة تجوب مياه البحر الأحمر والمحيط الهندي حتى وقت قريب.

٢ـ الغراب :

سلسلة من السفن، منها الكبير ذو الشراع الواحد، والصغير الذي تُسيّره المجاديف، واشتهرت الغراب كسفينة مقاتلة خلال مهاجمة البرتغاليين لسواحل حضرموت وعمان.

٣ـ الطرّاد :

نوع صغير من السنابيق تُصنع في ساحل المهرة، وتتفوق على جميع المراكب في السرعة وخفة الحركة والالتفاف، وتستعمل في نقل الركاب والبضائع واللحاق بالسفن الهاربة.

٤ـ السنبوق العدني :

اشتهرت مدينة عدن بصناعته، ويُعتبر خليفة الجلبة في البحر الأحمر، وتُباع السنابيق العدنية للتجار والصيادين في مناطق اليمن وحضرموت وعمان والصومال في ذلك الوقت.

(١) اطلعت على الكثير من الوثائق والمصادر المبكرة التي اشتملت على معلوماتٍ قيمة عن مقاومة سكان جنوب شبه الجزيرة العربية للبرتغاليين، وهذا الموضوع مازال يستحق مزيداً من البحث الجاد والعميق. (ابن جريس).

(٢) يسلم صالح بن دهاس- الدولة الكثيرية في حضرموت في عهد السلطان بدر بوطويرق الكثيري، مركز حضرموت للدراسات التاريخية- صفحة ٩٤. (العولقي). الدولة الكثيرية ذات تاريخ مجيد ، وصدر عنها بعض الدراسات المحدودة، ومازالت تحتاج من يدرسها دراسات علمية عميقة مع الحرص على الاطلاع على الوثائق والمصادر التي لم يسبق نشرها حتى الآن. (ابن جريس).

في عام (١٥٣٠م) . قامت سفينة برتغالية بمهاجمة بعض المراكب العربية الراسية في ميناء الشحر عام (١٣٥٠م) ونهب حمولتها، فجهّز السلطان بدر بوطويرق الكثيري طرّاداً بحرياً وأعطى الأوامر السلطانية لقائده صفر سليمان ومن معه من العساكر (الأتراك والمهرة) بتعقب هذه السفينة التي لاذت بالفرار عند قدوم الطرّاد [١]. بلغت أعمال القرصنة بوطويرق البرتغالية ذروتها عام (١٥٣١م)، وتصاعدت في الوقت ذاته المقاومة الشعبية المساندة للجهود الرسمية التي تصدّت للأعمال العدائية التي كانت تقوم بها السفن البرتغالية في سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية.

كان بعض الجنود الأتراك والبحارة المغاربة يشاركون مع جيش السلطان بدر بوطيرق الكثيري في صدّ القرصنة البرتغالية، ويشاركون بفاعلية في أعمال المقاومة، ولا سيّما أنّ أعمال القرصنة لم تكن تستهدف المراكب الحضرمية والعمانية فحسبٌ، بل كانت تهاجم كل ما يصادفها من المراكب الإسلامية مثل السفن العثمانية والمصرية، وفي عام (١٥٣١م)، هاجمت سفينة برتغالية إحدى المراكب العربية وأشعلوا فيها النيران، وأوقعوا فيها أضراراً بالغة[٢]. وفي تلك الفترة، ازداد النشاط التجسّسي البرتغالي مع تصاعد حدة الصراع بين البرتغاليين والدولة العثمانية للسيطرة على ملاحة وتجارة المحيط الهندي، وكان البرتغاليون يجتهدون في جمع المعلومات عن ميناء الشحر، ويرصدون تحركات العثمانيين في المنطقة. وفي سنة(١٥٣٥م)، شنّ البرتغاليون هجوماً عنيفاً على عدد من المراكب في ميناء قشن، وحدثت معركة ضارية استخدم فيها البرتغاليون المدفعية والبارود، وكانت النتيجة استشهاد خمسين مجاهداً غرقاً أو حرقاً، ثم تواصلت بعدها أعمال القرصنة البرتغالية حول ميناء قشن عقوبةً لمقاومة الأهالي[٣].

خامساً: دوافع ذهاب العثمانيين إلى جنوب شبه الجزيرة العربية:

١ـ توطئة:

كان التوسع العثماني طيلة القرن السادس عشر الميلادي متجهاً نحو أوروبا الوسطى والشرقية، لكنّ السلطان سليم الأول (١٥١٢م-١٥٢٠م) رأى أنّ يتحوّل نحو

(١) مازال حكام الدولة الكثيرة يستحقون دراسات علمية عميقة ومطولة، وبخاصة ما بذلوه من جهود في حماية بلادهم والتصدي للأعداء الداخليين والخارجيين، وفي مقدمتهم الأساطيل البرتغالية. (ابن جريس).

(٢) محمد عمر بافقيه- تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر- صفحة ١٩٣-١٩٥.

(٣) محمد عبدالقادر بامطرف- الشهداء السبعة. صفحة ١١٢-١١٣.

العالم العربي في الجنوب بسبب تهديد الغزو البرتغالي لموانئ جنوب شبه الجزيرة العربية، بالإضافة إلى تهديدات الدولة الصفوية بالاستيلاء على المقدسات الإسلامية في مكة والمدينة[١]. واستطاع البرتغاليون أن يحكموا سيطرتهم على موانئ جنوب شبه الجزيرة العربية وجزرها البحرية، وبنوا فيها قلاعاً وحصوناً دفاعية[٢].

كان المماليك في مصر، قبل ذلك، يستفيدون من هيمنة التجار العرب على حركة الملاحة البحرية في المحيط الهندي، فيأخذون ضرائب باهظة على البضائع الهندية المتجهة إلى أوروبا والقادمة إلى مصر عبر البحر الأحمر، ونتيجة للغزو البرتغالي لسواحل وموانئ جنوب شبه الجزيرة العربية توقف مصدراً مالياً كبيراً لخزينة الدولة المملوكية في القاهرة، فعمّ الفقر أرجاء القطر المصري وأثقلت الضرائب كاهل الشعب آنذاك[٣]. هذا الأمر جعل السلطان المملوكي قونصوه الغوري يبذل كل ما في وسعه للتصدي للغزو البرتغالي، فساعد أمير عدن كما مرّ معنا قبل ذلك، لكنه في النهاية انهزم أمام قوة الأسطول البرتغالي، فقرر أخيراً الاستعانة بالسلطان العثماني بايزيد الثاني الذي دعمه في تشكيل قوة بحرية وأسطول مملوكي مصري قوي جعل البرتغاليين يُسارعون بالانسحاب من مياه البحر الأحمر!، بعد ذلك أدرك البرتغاليون أنّ هناك ما يشبه الوحدة الإسلامية ضد تواجدهم البحري في المنطقة العربية عبر اتفاق (العثمانيون والمماليك والعرب) فقرروا تشكيل جبهة اتحاد مضادة مع الصفويين والأحباش[٤].

٢ـ علاقة الفرس الصفويين مع البرتغال:

يعتبر إسماعيل الصفوي المؤسس الحقيقي للدولة الصفوية، وقدّ أعلن نفسه شاهاً لإيران، وسعى إلى صبغ الحركة الصفوية بالصبغة الشيعية المحرّفة[٥]. ولمْ يتوقف

---

(١) إبراهيم خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني (١٥١٦م-١٩١٦م)، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٩٨٣م، صفحة ٢٠. (العولقي). صدر مئات الدراسات التي فصلت الحديث عن بدايات الدولة العثمانية، وحروبها في أوربا، ثم ظهور أعداء جدد في الشرق مثل: البرتغاليين والصفويين الذين صاروا يهددون قلب العالم الإسلامي. عندئذٍ قامت الدولة العثمانية بالكثير من الجهود لدحر أولئك الأعداء.

(٢) عبدالأمير محمد أمين، دور القبائل العربية في صد التوسع الأوروبي في الخليج العربي خلال القرنين (١٧-١٨م)، دار الحياة للنشر والتوزيع، بغداد، (١٩٧٢م)، صفحة ٧٨.

(٣) محمد عبدالله عوده، مرجع سابق، صفحة ١٣-١٤.

(٤) نجد التاريخ يعيد نفسه فأهل الإسلام يتصدى لهم أهل الكفر والفجور، وما عرفناه من اتحاد بين الغزاة البرتغاليين والأحباش والصفويين يوضح هذه الكراهية والعداوة للإسلام والمسلمين. (ابن جريس).

(٥) طارق نافع الحمداني، النزاع العثماني البرتغالي، رؤية جديدة، دار الوراق للنشر، البصرة، (١٩٨٥)، صفحة (١٨٧). (العولقي). الشيعة بجميع فروعهم وفرقهم لهم تاريخ طويل ومتشعب منذ صدر الإسلام،

نشـاط الصـفويين في الداخل الإيراني بل زحف إسماعيل الصفوي نحو العراق مستغلاً تدهور الأوضاع السياسية فيها، وأرغمت الحركة الصفوية العثمانيين أن يوقفوا تمددهم في أوروبـا وأن يعودوا لمواجهة هذه الحركة الشـيعية المتطرفـة وإيقاف زحفها وتمددها في البلاد العربية، لقد حكم الصـفويون إيران سـنة (١٥٠٨م) لكنهم كانوا محاصرين جغرافياً من أهل السـنة، فتحيط بهم دولة الأزبك السـنية في كردسـتان، والعثمانيون في الأناضـول، والمماليك في بلاد الشـام ومصـر، والمغول في الهند، وعندئذ لم يجدوا حليفـاً لهم سـوى البرتغاليين!!.[1]. وعندما أحسّ السـلطان سـليم بخطر الصـفويين بـدأ بالتخطيط والإعداد لمواجهتهم والحد من خطورتهم، فالتقى الجيشـان الصـفوي والعثماني في سهل جالديران على الحدود الغربية لإيران عام (١٥١٤م)، وانهزم الشاه إسماعيل الصفوي هزيمة نكراء ظلّ يتجرّع مرارتها حتى وفاته عام (١٥٢٤م)[2].

سادساً: دور البحرية العثمانية في التصدي للغزو البرتغالي:

لعب الصـراع العثماني البرتغالي خلال القرنين(١٠ـ١١هـ/١٦ـ١٧م) دوراً مهماً في تشـكيل العلاقـات الدولية بين الشـرق والغرب، وتزامن هذا الصـراع بين الطرفين مع اشتداد الصـراع بين القوى الإسلامية الرئيسـية آنذاك (العثمانيون، والصفويون، والمماليك) وكان لهذا التوتر الإسلامي آثاره السلبية على مجريات التاريخ الإسلامي.

١ـ بداية المواجهات العسكرية البحرية بين العثمانيين والبرتغاليين:

ظهرت في النصف الأول من القرن (١٦م) قوتان بحريتان في الخليج العربي، القوة البحريـة البرتغالية التي وصـلت إلى السـاحل الغربي من الهند وتقابلهـا قوة عثمانية بحريـة امتدت من الخليج العربي إلى البحـر الأحمر، وتعاظم نفوذ العثمانيين البحري بعد استيلائهم على مناطق العراق والشام ومصر[3].

ومن يطلع على تفاصـيل عقائدهـم وكتبهم يجدهم أعداء مارقين لأهل السـنة والجماعة، ولا يتورعون في التعاون والتآزر مع الكفار واليهود والمشركين ضد أمة الإسلام. (ابن جريس)

(١) ورد في المتن أسـماء العديد من الدول السـنية التي كانت في حرب وصـدام مع المسـتعمرين الغربيين ومع الصـفويين. وقد صـدر في ذلك التاريخ مئات الكتب بلغات عديدة، ومازالت أيضـاً تسـتحق دراسات أكثر عمقاً وتحليلاً، وخاصـة الدولة الصـفوية وصـراعاتها مع أهل الإسلام الوسـطيين المعتدلين. والذي ينظر في وضـع إيران في الوقت الحاضـر وصلاتها مع العالم يجدها لا تختلف عن سياسات الدولة الصفوية التي عاصرت الدولة العثمانية خلال العصر الحديث منذ القرن (١٠ـ١٤هـ/١٦ـ ٢٠م). (ابن جريس).

(٢) باسـم حطاب الطعمة، العلاقات الصـفوية العثمانية (١٥٨٧م-١٦٢٩م)، مجلة الآداب، البصرة، جامعة البصرة، سنة ٢٠٠٨م، صفحة ١٥١.

(٣) عوض عبدالعزيز. دراسات في تاريخ الخليج العربي (١٩٩١م)، ص ٩.

يعود الفضل في تطوير القوة البحرية العثمانية إلى السلطان سليم الأول، الذي لقّبه بعض المؤرخين بـ (سيّد البحر المتوسط)[١]. ولمّا أحسّ البرتغاليون بقوة الأسطول البحري العثماني سارعوا إلى طلب المساعدة من ملك اسبانيا، وطلبوا منه امدادهم بقوة تساعدهم على مواجهة العثمانيين، لكنّ العثمانيين لمْ يُحققوا تلك النجاحات المأمولة ضد البرتغاليين بسبب صراعاتهم مع الدولة الصفوية الفارسية، ومن الجدير بالقول أن المواجهة العسكرية بين القوتين العثمانية والبرتغالية استمرت لأكثر من ثلاثين عاماً وتميزت تلك الفترة بجملة من التغيرات السياسية والعسكرية في المنطقة لعلّ أبرزها انتصار العثمانيين على الصفويين في العراق وضمّها إليهم.[٢].

انطلقت حملة سليمان باشا من السويس إلى جدة ثم إلى عدن، عام (١٥٣٨م) عندما قتل حاكم عدن الشيخ عامر بن داوود مع بعض كبرائها من الأعيان والتجار ورجال الدين[٣]. اتخذ سليمان باشا من عدن قاعدة بحريّة لمهاجمة المحطات والمراكز البرتغالية في الخليج العربي والمحيط الهندي، ثم ذهب بعدها إلى الشحر وأعطى حاكمها معدات عسكرية لمقاومة البرتغاليين ثم سار إلى عدن مرة أخرى وعيّن مصطفى بك والياً عليها، ومنها توجه إلى السويس ثم إلى الهند.

لقد أظهرت بعض المعارك البحرية تفوّق البرتغاليين على العثمانيين مثل معركة القطيف في الخليج العربي، واتضح عجز العثمانيين عن مجابهة البرتغاليين في المعارك البحرية النظامية، وكان العكس تماماً، فالتفوق العثماني لنْ يكون إلا من خلال مواجهة بحرية غير نظامية، وذلك بسبب عدم تكافؤ القوتين[٤]. وفي عام (١٥٤٧م) استطاع البرتغاليون أن يستولوا على عدن، وكان خروج هذه المدينة من تحت نفوذ العثمانيين خسارة استراتيجية كبيرة بسبب موقعها الاستراتيجي الهام، وبهذه الطريقة استطاع البرتغاليون بسط نفوذهم في المنطقة الواقعة عند مدخل البحر الأحمر في جنوب شبه الجزيرة العربية[٥].

---

(١) محمد السيد دغيم . تاريخ البحرية العثمانية حتى نهاية عهد الخليفة سليم الثاني (١٥٧٤م) (القاهرة، ١٩٩٣م).

(٢) عوض عبدالعزيز – دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، دار الجمل، بيروت، ١٩٩١م، صفحة ١٠. (العولقي) . مازال هناك الكثير من الوثائق العثمانية المليئة بالمادة العلمية التي توضح النشاط العسكري العثماني في البلاد العربية وصراعهم أيضاً مع الصفويين، وحبذا أن تجمع وتترجم ثم تطبع وتنشر. (ابن جريس).

(٣) المعبري، تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين، صفحة ٢٧٧ .

(٤) أفردون أمجان، سليمان القانوني (سلطان البرين والبحرين)، صفحة ٢١٥.

(٥) أفردون أمجان، سليمان القانوني (سلطان البرين والبحرين)، صفحة ٣٣٤. (العولقي). اطلعت على

بعـد ذلك تمكن العثمانيون من اسـتعادة عدن بقيادة القائد العسـكري بيري ريّس عام (١٥٤٩م)، واسـتطاعوا بسـط نفوذهم على الاحساء وسواحل الخليج العربي مما أصـاب البرتغاليين بهلـع كبير من هذا التقـدم العثماني، فالقوات العثمانية أصـبحت تهدد مضـيق هرمز. وفي عام (١٥٥٠م) اسـتولى العثمانيون على القطيف مما زاد من تحركاتهم وبسط نفوذهم بصورة أكبر على سواحل الخليج العربي. وفي عام (١٥٥٤م) تسـلّم القائد سـيّد علـي ريّس الجغـرافي العثماني المشـهور قيادة البحريـة العثمانية، فواصـل عملياته العسكرية البحرية ضد الوجود البرتغالـي في المنطقة، وأبحر من ميناء البصـرة تجاه عمان بعد أنْ علم أنّ البرتغاليين يسـعون إلى استعادة مسقط، وبالقرب مـن ميناء خورفكان دارت معركة عنيفة بين الطرفين، انتصـر فيهـا العثمانيون، وبعد عدة أشـهر دارت معركة أخرى انتصـر فيها البرتغاليون وتكبّد الأسطول العثماني فيها خسائر فادحة.[1]

٢- فترة تراجع المواجهات العثمانية البرتغالية:

حـاول البرتغاليـون أنْ يعقدوا هدنـة مع العثمانيين بسـببٍ الأطماع الأسـبانية في إخضـاع البرتغـال تحـت حكمها في أوروبـا مما انعكـس سـلباً على قدرات الأسـطول البرتغالي في جنوب شـبه الجزيرة العربية، لكنّ العثمانيين رفضـوا تلك الهدنة، وهذه من الأخطاء التي ارتكبها العثمانيون لأنهم لمْ يتمكنوا من اسـتغلال ضـعف البرتغاليين كونهم قد انشـغلوا في صـراعاتهم المستعرة مع الصـفويين، ولمْ تحاول الدولة العثمانية تجديد نشـاطهاٍ العسكري في مياه الخليج العربي إلا في سنة (١٥٨١م) بعد أنْ خضعت البرتغال رسـمياً للعرش الإسـباني وضـعُفتْ الإمبراطورية البرتغالية فيما وراء البحار وأصـبحتْ تحت سيطرة الأسـطول الإسـباني الذي لمْ يكنْ بخبرة البحّارة البرتغاليين وقدراتهـم العسـكرية، بالإضـافة إلى ظهور منافسـين جدد في منطقـة الخليج العربي وهم الانجليـز والهولنديين الذين كانوا أكثر براعة من البرتغاليين في الأمور التجارية،

العديد من الدراسـات عن تلك الصـدامات بين البرتغاليين والعثمانيين ومواطن القوة والضعف لكل قوة. ومازال هناك ثغرات كثيرة غير مدروسـة آمل أن تُدرس من قبل أسـاتذة التاريخ الحديث المتخصصـين. (ابن جريس).

(١) أوزبران صالح، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي (١٥٢٤م-١٥٨١م)، ترجمة عبدالجبار ناجـي، مطبعـة الارشـاد، البصـرة، ١٩٧٩م، صـفحة ٨١. (العولقي). مـازال هناك الكثير مـن الوثائق البرتغاليـة والفارسـية والعثمانية التي تحتـوي على مادة علمية جديدة وجيدة عن تلك الصـراعات، ومن يعتمد على هذه المصادر ويوظفها في إنجاز دراسات علمية، فقد يطلعنا على معارف علمية جديدة. (ابن جريس).

فأنشـأوا الشـركات المالية والتجارية وأقاموا الصـفقات الاسـتثمارية التي درّت على بلدانهـم ثروات ضـخمة على عكس البرتغاليين الذيـن كانوا يديـرون العمليات المالية بعقلية عسكريّة محضـة تسببت في حصول أزمة التضخم الاقتصادي في خزينة الدولة البرتغالية!!. [١].

بعـد دخـول البرتغال تحت سـلطة التاج الإسـباني تمكّن العثمانيون من اسـتغلال الفرصة التاريخية واستطاعوا أنْ ينهوا وجود الإمبراطورية البرتغالية فيما وراء البحار، ويشـكلون عاملاً مهماً من عوامل انهيارها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، سـقوط دولة النباهنة في عمان وصعود دولة فتية جديدة هي دولة اليعاربة التي لعبتْ دوراً كبيراً في إنهاء الوجود البرتغالي في سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية وشرقها [٢].

سابعاً : نتائج المواجهات العثمانية البرتغالية وانعكاساتها :

علـى الرغـم أن البرتغاليـين بسـطوا نفوذهـم وسـيطرتهم علـى حركـة التجارة الرئيسـية في هرمز وموانئ غرب الهند ومسـقط في القرن العاشـر الهجري (السادس عشـر الميلادي) إلا أنهم فشلوا في السـيطرة الكاملة والمستمرة على موانئ جنوب شبه الجزيـرة العربية مثل موانئ حضـرموت السـاحلية كالمكلا والشـحر والديس والحامي وعدن وقشـن بسـبب بسـالة أبناء تلك المناطق ودفاعهم عن أرضـهم، خصوصاً أبناء منطقـة الحامـي الذيـن كبّـدوا البرتغاليين هزائـم نكـراء جعلتهم يبتعـدون عن هذه المناطق [٣]، لكنّ البرتغاليين أثناء محاولاتهم المسـتمرة بسط نفوذهم على تلك المناطق ارتكبوا أبشع الجرائم الإنسانية من القتل والتنكيل والتشريد وسرقة الممتلكات [٤].

---

(١) كان لـكل هذه الدول الأوربية الاسـتعمارية (الإسـبان، والهولنديون، والإنجليز) وغيرهم سياسـات متباينة وعدائية لبلاد العرب والمسلمين، ونتج عن ذلك احتلالهم لأوطان إسلامية كثيرة، ونهب ثرواتهم واضطهادهم والسـعي إلى الوقوف في طريق تحررهم وحماية بلادهم وتطويرها. ومازالت آثارهم الاسـتعمارية السـلبية ظاهرة في البلاد العربية والإسلامية حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٧هـ /٢٠٢٥م). (ابن جريس).

(٢) الأمـير، مايلز، الخليـج بلدانه وقبائله، ترجمة: محمـد أمين عبدالله، المطبعة المركزيـة، عمان، ١٩٨٦م، صفحة ٤٦٧. (العولقي). مازالت الدولتين النبهانية واليعاربة جديرة بإنجاز العديد من الدراسات الجادة مع الاطلاع على كل المصادر العربية والأجنبية التي عاصرت تلك الحكومتين. (ابن جريس).

(٣) الغزو البرتغالي على سـاحل حضـرموت ودور أبناء الحامي في التصـدي له، محمد علوي باهارون، مركز حضرموت للدراسات التاريخية، (٢٠٢٤م). (العولقي). حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس النضال والمقاومة المحلية للبرتغاليين خلال القرن (١٠هـ/١٦م). (ابن جريس).

(٤) انظر كتاب الشهداء السبعة، محمد عبدالقادر بامطرف، دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية، بغداد، العراق، (١٩٧٤م).

(*) هنـاك العديد من العوامل التي أدت إلى فشـل السياسة البرتغالية في منطقة الخليج، وجنوب شبه الجزيرة العربية ، وأهمها :

١- جـاء البرتغاليون إلى سـواحل جنوب شـبه الجزيرة العربية وهم مشـبّعون بالروح الصـليبية، وحاولوا تحويل المسلمين إلى المسيحية بقوة السلاح، هذا الخطأ الشنيع أكسب البرتغاليين عداوات دينية مع المسلمين وجعلهم منبوذين بصورة شنيعة، فلم يتقبلهم الأهالي ولم يكسبوا ودهم.(١) .

٢- غزى البرتغاليون البلاد العربية والإسـلامية بثقافة اسـتعلائية وغطرسة أخلاقية وغرور جعلهم يضـطهدون الأهالي وسـكان السـواحل بصـورة مهينـة الأمر الذي انعكس سلباً على البرتغاليين بالتصدي لهم ومحاولة طردهم.

٣- قلـة العنصـر البشـري في القواعد العسـكرية البرتغالية، وهذا يعـود إلى قلة عدد السـكان في البرتغال والذين لم يتجاوزا المليون نسـمة خلال القرن العاشر الهجري (السـادس عشر الميلادي) وهذا العامل شكل عبئاً كبيراً على التخطيط العسكري، لكنّ البرتغاليين تمكنوا من التغلب على هذا العامل بشجاعتهم التي تحسب لهم في التاريـخ، ومواهبهم البحريـة في القتال ومعرفتهم الواسـعة بعلم الفلك والخرائط الجغرافية، ومع ذلك فإن قلة عددهم كانت من أسـباب فشـلهم في تثبيت مكانتهم في سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية.

٤- تأسست دولة اليعاربة على يد الشيخ ناصر بن مرشد اليعربي عام(١٦٢٢م) ،ولعبتْ هذه الدولة الفتية الدور الأكبر في إنهاء الوجود البرتغالي في سواحل عمان والخليج العربي، وكان لجهودها العسكرية الفضل الأكبر في إقصاء البرتغاليين من المنطقة نهائياً.(٢) .

ترك الغزو البرتغالي لسواحل جنوب شبه الجزيرة العربية آثاره السلبية على سكان بلاد حضرموت وعمان وغيرها. ومن أبرز تلك الآثار هجرتهم إلى شرق آسيا وأفريقيا،

---

(١) العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصـر، صـفحة ٢٦. (العولقي). المصـادر العربية والأجنبية فصلت الحديث عن الحرب الدينية الصليبية في بلاد العرب والمسلمين خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة، ويوجد في هذا الباب مئات الدراسات المطبوعة والمنشورة. (ابن جريس) .

(٢) عائشـة السـيار، دولـة اليعاربة، المكتبـة العربيـة، أبوظبـي، ١٩٨٩م، صـفحة ٥٥. (العولقـي). نعم كان البرتغاليون من أوائل المسـتعمرين الغربيين في العصـر الحديث، ومازلنا لا نعرف الشيء الكثير عن تاريخ الناس الحضاري في شبه الجزيرة العربية أثناء غزوهم بلاد العرب والمسلمين. (ابن جريس).

وذكر المؤرخ (جيمس هنري بريستيد) أنّ سبب هجرات الحضارم هي تلك الغزوات البرتغالية المتكررة على سواحل جنوب الجزيرة العربية وما زامنها من حوادث سيئة مثل المجاعات والسيول العظيمة، ومما قال: وقد كان في أوائل القرن العاشر الهجري زمن حرب وسلب وأمور كثيرة تقتضي نزوح الإنسان الحضرمي عن بلاده متلبّساً لباس المكافحة والمناضلة، وكانت الروح الحربية شائعة فيهم آنذاك، وقد زاد الطينُ بلة ذلك القحط الواقع سنة (٩٤٥هـ) حتى أنهم أكلوا الجلود، كما أنّ السيول العظيمة التي وقعت في عام (٩٣٩هـ) قد أتلفت نخيلهم وأرضهم لدرجة أنه لم يتبقى منها سوى القليل، وأضرت تلك السيول بالجهات الجنوبية الغربية من حضرموت ضرراً بليغاً، وكل هذه الحوادث المتزامنة جعلت الإنسان العربي في ذلك الوقت يرغب في الهجرة من بلاده إلى البلدان الأخرى ولكنه في نفس الوقت يزداد بغضاً وكرهاً للبرتغاليين الذين كانوا يتقطعون طريقه في البحر ويضاعفون من مآسيه وأوجاعه! [١].

من الآثار السيئة التي خلفها الغزو البرتغالي أيضاً، موت واختطاف العديد من الربابنة والملاحين والنواخيذ العرب وضياع سجلاتهم الملاحية والفلكية[٢]، وذكر الأستاذ محمد عبدالقادر بامطرف إنّ في تلك الفترة العصيبة مات غرقاً العديد من الملاحين المشهورين على أيدي البرتغاليين، وضاعت كتبهم وسجلات أسفارهم في البحر[٣].

---

(١) محمد بن عبدالرحمن بن شهاب، بيانات عن الحضارمة، لوثروب ستودارد الأمريكي، ترجمة عجاج نوهض، طبعة دار الفكر، صفحة ١٦٨-١٧١. (العولقي). أشكرك يا أستاذ عبدالله على إشارتك إلى دور البرتغاليين في دفع بعض سكان شبه جنوب الجزيرة العربية إلى شرق آسيا. وقد اطلعت على شيء من ذلك في بعض المصادر العربية والأجنبية والملايوية . كما أنني التقيت ببعض الأساتذة من أصول عربية في جامعات ماليزية وإندونيسيا عام (١٤٣٤ـ ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م) وأكدوا لي أن أجدادهم الأوائل جاءوا من حضرموت ومن جنوب جزيرة العرب خلال القرنين (١٠ـ١١هـ/١٦ـ١٧م). (ابن جريس).

(٢) الغزو البرتغالي على سواحل حضرموت، محمد علوي باهارون، مركز حضرموت للدراسات التاريخية، صفحة ٩٤.

(٣) الرفيق النافع على دروب منظومتي الملّاح باطايع، مطبعة السلام، عدن، ١٩٧٢م، صفحة ١٦. (العولقي). حبذا يا أستاذ عبدالله تبحث هذا الموضوع الذي أشرت إليه في المتن في أعمال علمية أطول وأعمق، وهو جدير بذلك. (ابن جريس).

ثامناً: الخاتمة: خلاصة نتائج وتوصيات:

انتهت صـفحة من أصعب صفحات التاريخ في جنوب شبه الجزيرة العربية بانتهاء حقبة البرتغاليين وتهديداتهم المتكررة للسـواحل والموانئ العربية، وللأسـف الشـديد، كان مـن الآثار السـلبية لتلـك الحقبة أنّ ضـعُفت السـيادة العربية على ميـاه المحيط الهندي (ملاحة وتجارةً) بسبب حركة الكشوف الجغرافية التي تحمّس لها البرتغاليون كثيراً في القرن العاشـر الهجري (السادس عشـر الميلادي) وكان من نتائجها اكتشاف الطريق البحري المباشـر بين الهند وأوروبا عبر رأس الرجاء الصـالح، والقضـاء على طريق المحيط الهندي التي كان العرب فيها بمثابة حلقة الوصـل بين الهند وأوروبا منذ العصـور القديمة حتى عصر الخليفة المأمون العباسي، وقد حدثت حركة ترجمة علمية كثيفة اسـتفاد العرب منها في مجال الملاحة البحرية وعلم النجوم والفلك وبناء السفن والمراكب، وتحولت التجارة بين الهند والعرب إلى ما يشـبه التجارة العالمية ، فتأسسـت سلاسـل توريد مترابطة ومتطورة تبدأ من المراكب البحرية العربية التي كانت تشـحن البضائع من الموانئ الهندية إلى الموانئ العربية في الخليج العربي وجنوب شبه الجزيرة العربية وموانئ البحر الأحمر، وتحوّلت موانئ جزيرة العرب إلى ما يُشبه اليوم بمراكز التجـارة الدوليـة، وليس هذا فحسـب، بل كانت تبعات هـذه التجارة تدر أمـوالاً هائلة علـى المناطق العربية الأخرى كالعراقٍ والشـام ومصـر أثناء مرورهـا إلى أوروبا حيث كان يُفرض على تلك البضـائع رسوماً مالية وضرائب جمركية، وكان التجار الإيطاليون وكلاء العرب في أوروبا، حيث يقومون بمراكبهم البحرية بتوصيل تلك البضائع الشرقية إلى الموانـئ الأوروبيـة المختلفة، وقد تضـرروا مع العـرب بحركة الكشـوف الجغرافية وعمليات القرصـنة البرتغالية التي تعرضـت لها بلاد العرب في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي).

(*) وخلاصة القول:

إن جنوب شبه الجزيرة العربية وبخاصة حضرموتٍ وموانئ البحر الأحمر الشرقية من القنفذة إلى الحديدة وعدن مازالت تستحق مزيداً من البحث العميق والجاد خلال القرنين (٩ـ١٠هـ/١٥ـ١٦م)، مع التركيز على دور البرتغاليين والعثمانيين وصـلاتهم مع سكان جنوب شبه الجزيرة العربية.

تاسعاً: بعض المراجع والمصادر

١- مليكة بن قارة، عزيزة حفصاوي، التنافس البرتغالي العثماني في جنوب شبه الجزيرة العربية خلال القرن (١٦م)، رسالة ماجستير، (٢٠١٦م).

٢- محمد علوي باهارون، الغزو البرتغالي على ساحل حضرموت، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، الطبعة الأولى، (٢٠٢٢م).

٣- أحمد بو شرب، «مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة الغزو البرتغالي لسواحل المغرب والبحر الأحمر والخليج العربي وما تولّد عنه من ردود فعل»، مجلة المنهل، السنة العاشرة، العدد (٢٦ مارس ١٩٨٣م).

٤- أ.د عبدالله سعيد الجعيدي، البرتغاليون في مصادر القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي (قراءة تاريخية في النصوص).

٥- الشيخ أحمد زين الدين المعبري المليباري، تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين، دائرة المعارف الهندية، مؤسسة الوفاء- بيروت- لبنان.

٦- شوقي عطا الله الجمل، تاريخ أوروبا (من النهضة حتى الحرب الباردة)، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، سنة (٢٠٠٠م).

٧- عمر عبدالعزيز عمر، التاريخ الأوروبي الأمريكي الحديث، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٩٢م).

٨- نور الدين السالمي، تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان، القاهرة، (١٩٦١م).

٩- عبداللطيف الحميدان، التاريخ السياسي لأمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية، مجلة كلية الأدب.

١٠- حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للاعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧م.

١١- أنور عبدالعليم، ابن ماجد والبرتغال، الندوة العلمية لإحياء تراث ابن ماجد، الجزء الثاني.

١٢- محمد حمد السلمان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج خلال الفترة (١٥٠٧م-١٥٢٥م)، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الامارات.

١٣- محمد حسـن العيدروس، تاريخ الخليج العربـي الحديث والمعاصـر، ط٢، العين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (١٩٩٨م).

١٤- سليم طه التكريتي، المقاومة العربية في الخليج العربي، سلسلة دراسات الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة، بغداد، العراق، ١٩٨٢م

١٥- الشـهداء السـبعة، محمـد عبدالقـادر بامطـرف، دار الحرية للطباعـة، مطبعة الجمهورية، بغداد-العراق، ١٩٧٤م.

١٦- محمود شاكر، موسـوعة تاريخ الخليج العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، (٢٠٠٥م).

١٧- يسـلم صـالح بن دهاس- الدولـة الكثيرية في حضـرموت في عهد السـلطان بدر بوطويرق الكثيري، مركز حضرموت للدراسات التاريخية، (٢٠٢٤م).

١٨- محمد عمر بافقيه- تاريخ الشـحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: محمد عبدالله الحبشي، مكتبة الارشاد، صنعاء.

١٩- إبراهيم خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني (١٥١٦م-١٩١٦م)، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، (١٩٨٣م).

٢٠- عبدالأمـير محمد أمين، دور القبائل العربية في صـد التوسـع الأوروبي في الخليج العربي خلال القرنين ١٧-١٨م، دار الحياة للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٧٢م.

٢١- محمـد عبدالله عـوده، تاريخ العـرب الحديث، الأهلية للنشـر والتوزيـع، عمان، ١٩٨٢م.

٢٢- طارق نافع الحمداني، النزاع العثماني البرتغالي، رؤية جديدة، دار الوراق للنشر، البصرة، (١٩٨٥م).

٢٣- باسـم حطاب الطعمة، العلاقات الصـفوية العثمانيـة (١٥٨٧م-١٦٢٩م)، مجلة الآداب، البصرة، جامعة البصرة، سنة (٢٠٠٨م).

٢٤- عوض عبدالعزيز- دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، دار الجمل، بيروت، ١٩٩١م.

٢٥- محمود السيد الدغيم، تاريخ البحرية العثمانية حتى نهاية عهد الخليفة سليم الثاني بن سليمان القانوني سنة ١٥٧٤م، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، الحضارة الإسلامية، ١٩٩٣م.

٢٦- أفردون أمجان، سليمان القانوني (سلطان البرين والبحرين) حقائق في ضوء المصادر، ترجمة: جمال فاروق، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة.

٢٧- أوزبران صالح، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي (١٥٢٤م-١٥٨١م)، ترجمة عبدالجبار ناجي، مطبعة الارشاد، البصرة، ١٩٧٩م.

٢٨- مايلز، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة: محمد أمين عبدالله، المطبعة المركزية، عمان، ١٩٨٦م.

٢٩- عائشة السيار، دولة اليعاربة، المكتبة العربية، أبوظبي، ١٩٨٩م،

٣٠- محمد بن عبدالرحمن بن شهاب، بيانات عن الحضارمة، لوثروب ستودارد الأمريكي، ترجمة عجاج نوهض، طبعة دار الفكر.

١٣- محمد عبدالقادر بامطرف، الرفيق النافع على دروب منظومتي الملّاح باطايع، مطبعة السلام، عدن، ١٩٧٢م.

خامساً : نجران في كتابات الرَّحالة الفرنسي جوزيف هاليفي Joseph Halevy (١٢٧٨هـ/١٨٧٠م) . بقلم . أ.د. صالح محمد السنيدي[(١)]

(١) الدكتور صالح بن محمد بن راشد السنيدي حصل على درجتي البكالوريوس والماجستير في التاريخ من جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، والدكتوراه من جامعة غرناطة بأسبانيا، وهو أستاذ متخصص في التاريخ الاندلسي واشتغل في قسم التاريخ والحضارة بجامعة الامام بضعة عقود، وشارك في الكثير من اللقاءات والندوات والمؤتمرات المحلية، والاقليمية، والعالمية ، وحصل على بعض الجوائز المحلية والاقليمية، ومنها تكريمه في اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة عام (٢٠١٩م) ، وفاز بجائزة الملك سلمان ابن عبد العزيز آل سعود للترجمة في مجال بحوث تاريخ الجزيرة العربية ، وتولى العديد من المناصب والأعمال الادارية والعلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، وله اكثر من ثلاثين كتاباً وبحثاً علمياً معظمها في تاريخ وحضارة الأندلس، كما ترجم بعض الكتب والبحوث من اللغة الاسبانية إلى العربية، ومازال حتى الان (١٤٤٧ هـ / ٢٠٢٥م) عاكفاً على العديد من الدراسات العلمية، والدكتور صالح على قدر كبير من الأدب وحسن الخلق ولطف المعشر (ابن جريس) .

أولاً : المقدمة :

في خضمِّ التَّنافس الإنجليزي الفرنسي على خريطة العالم الجديد الذي تمَّ الوصول إليه في بقاع شتَّى من أنحاء المعمورة خلال القرن الثامن عشر والتَّاسع عشر الميلاديين، تعدَّدت وسائل كلا الدَّولتين الاستعماريَّتين وتنوَّعت، ومنها إرسال المبعوثين والجواسيس للاستكشاف وكتابة التَّقارير التي تخدم أهدافهما، وكانت شبه الجزيرة العربيَّة في مرمى هذه الأهداف التي عرض لها وحللها بعض الباحثين[١].

تحدَّثنا عن جهود الفرنسيِّين فيما يتعلق بهذا الشَّأن، في الدِّراسة التي قدَّمنا بها لرحلة الإسباني دومنجو باديا، الذي تسمَّى بعلي باي العبَّاسي إلى غرب الجزيرة العربيَّة (١٢٢٢هـ/١٨٠٧م)، والتي وصل فيها إلى مكة المكرمة، وكانت بتمويل من الفرنسيِّين لخدمة أجندتهم وتعزيز تواجدهم وصراعهم مع غرمائهم الإنجليز بالدَّرجة الأولى؛ ثم كانت رحلة الإنجليزي وليم بلجريف (١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م)، التي جاب خلالها شمال ووسط الجزيرة العربيَّة وشرقها، وتصبُّ في نفس التَّوجه الفرنسي، حيث موَّلوا رحلته لتخدم مصالحهم وتدعم مزاحمتهم للإنجليز، الذين استأثروا بسواحل شبه الجزيرة العربيَّة الشَّرقيَّة منها والغربيَّة وكذلك الجنوبيَّة، فكانت محاولة الفرنسيِّين للبحث لهم عن موطئ قدم بهذه المنطقة الحيويَّة ذات الموقع الاستراتيجي.

تعدَّدت المحاولات التي تمثَّلت بانتداب عددٍ من الرَّحالة والمستكشفين لنواحٍ شتَّى من شبه الجزيرة، برعاية وتوجيه من قادةٍ ومسؤولين فرنسيِّين، كان على رأسهمً القنصل الفرنسي بجدَّة فولجانس فريسنل Fulgence Fresnel (١٢٠٩هـ/١٧٩٥م-١٢٧١هـ/١٨٥٥م)، الذي كان يتابع ويتلقَّى تقارير الرَّحالة الفرنسيِّين، ووجَّه جهوده لجنوب شبه الجزيرة العربيَّة بشكلٍ خاصّ، وكان له الفضل في تنمية معارفنا عن هذا الجزء من الجزيرة العربيَّة حسب جاكلين بيرين[٢]. وفي الحملة التي أرسلها محمد علي لتأديب المتمرِّدين على الدَّولة العثمانيَّة إلى جنوب الجزيرة العربيَّة الغربي سنة (١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، رافقتها بعثة طبيَّة تتكوَّن من عددٍ من الأطبَّاء والصيادلة

---

(١) انظر مثلاً: ما كتبه الدكتور أحمد حسين العقبي في كتابه: التنافس الإنجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وفيه تفاصيل مهمة ودقيقة، وقد نشرته دارة الملك عبد العزيز بالرياض سنة (١٤٣٠هـ).

(٢) اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدري قلعجي، الرياض؟ ص٢٥٢. ومن ضمن جهود هذا القنصل إرساله توماس أرنو لليمن (١٢٥٩هـ/١٨٤٣م)، وكان له الفضل في اكتشاف ونسخ نقوش عديدة في هذه النَّواحي. للمزيد: انظر بحث: جيوم شارلو وكرستيان جوليان روبان: من سبأ إلى صنعاء، البحث الأثري الفرنسي في اليمن حتى عام (٢٠١٢م)، المنشور على النت: (https://books.openedition.org/cefas).

الفرنسـيِّين[١]، وكان لها الفضـل في إضـافة عسـير ضـمن الخرائط الجغرافيَّة، فقبل ذلـك كان موقـع عسـير أبيضـاً علـى الخريطـة الآسـيويَّة، كما تشـير جاكلـين بيرين في كتابهـا (اكتشـاف جزيـرة العرب)، وكان من ضـمن هـذا الفريق موريسـ تامزيه (Maurice Tamisier) الـذي دوَّن أحداث هذه الحملة[٢]، وقبله جيوفاني[٣] الإيطالي الـذي كان مجنَّـداً في جيش نابليون ثم تحوَّل إلى جيش محمد علي، وشـارك في الحملة التي اسـتهدفت جنوب غـرب الجزيرة العربيَّة سـنة (١٢٢٦هـ/١٨١١م)[٤]، كلُّ هذه الرَّحلات تصـبُّ في خدمة المشـروع الفرنسـي لوضـع قدم في جنوب الجزيرة العربيَّة، والذي تطوَّر حتى كاد أن يصل إلى الصِّراع المسلح في مرحلةٍ سابقة[٥].

وتأتي رحلة الفرنسـي جوزيف هاليفي سنة (١٢٨٧هـ/١٨٦٩-١٨٧٠م)، امتداداً لجهود سـبقت تخدم ذات الأهداف، وإن لبست لباس الرَّهبنة والتَّدين، ومحاولة خدمة أهدافً الحركة الصّـهيونيَّة التي أخذت برصِّ صـفوفها وتحريك أتباعها لإنشـاء وطن قومي لليهود في هذه الحقبة كهدف آخر. وهي التي وقع عليها اختيارنا، لأنَّ هذا الموضوع لم يُدرَس من قبل، ولأنه امتداد للمَسار الذي التزمتُ به، وهو الاهتمام الفرنسي بجزيرة العرب، فالرَّحالة الإسباني باديا كان مكلَّفاً من قبل الامبراطور الفرنسي نابليون الأول، بينمـا وليم بلجريف كان نابليـون الثالث هو من موَّل حملته، ثم هاليفي الذي كلفه بهذه المهمَّة وتكفل بمصاريفها الامبراطور نفسه نابليون الثالث[٦].

---

(١) عـن علاقة محمَّد علـي الوديَّة بالفرنسـيِّين ومظاهـر التَّعاون بينهما، يمكـن مراجعة: العقبـي: التنافس الإنجليزي الفرنسي ...، ص٧٣-٧٧.

(٢) أشـارت جاكلـين في الكتـاب المذكور أعـلاه لهذه الحملة، وشـرحت دور هـؤلاء الفرنسـيِّين المرافقين لها، صـ٢٥٢-٤؛ وقد نشـر موريس تامزيه وقائع رحلتـه في مجلدين، ترجمها للعربية الدكتـور محمد آل زلفه ونشـر ما يتعلق بعسـير منها بعنوان: رحلة في بلاد العرب: الحملة المصـرية على عسير، الرياض ١٩٩٣م. وقد عرَّف بموريس في مقدمة الكتاب، ص١٥-١٦.

(٣) نُشـرت مذكـرات رحلته هذه في لندن سـنة ١٨٢٨م بعنوان: جيوفاني فيناتي: حياتـه ومغامراته في جزيرة العرب ١٢٢٦هـ - ١٨١١م، ترجمة ونشر دار بلاد العرب، الرياض ٢٠١٤م، ص١٣.

(٤) انظر: موريس تامزيه: رحلة في بلاد العرب، ص١٣.

(٥) مجدي صالح: رحلة الأسرار المدفونة، برلين ٢٠١٩، ص٢٠-٢٢.

(٦) راجياً يكون هذا الجهد رافداً لمكتبة الجزيرة العربيَّة التَّاريخيَّة، وأشكر الأخ العزيز الدكتور عوض عسيري الـذي وفَّر لي بعض المصـادر والمراجـع عن منطقة نجـران، وكلَّ من مدَّ لي يداً لاسـتكمال متطلبات هذا البحث وبخاصَّةٍ الخريطة التي رسمها هاليفي لمسار رحلته والمواقع التي مرَّ بها.

ثانياً : جوزيف هاليفي (١٢٤٢-١٣٣٥هـ/١٩١٧ -١٨٢٧م)

١- سيرة ومسيرة:

يعدُّ هاليفي أحد المستشرقين والرَّحالة الفرنسيِّين الذين أثروا المكتبة الفرنسيَّة بكتاباتهم متعدِّدة الأغراض والأهداف، وإن كان أبرزها وأهمُّها كتاباته عن جنوب غرب الجزيرة العربيَّة، لما تميَّز به من سبق في اكتشاف نقوش مهمَّة، وصل تعدادها لستِّمئة وستَّة وثمانين نقشاً سبئيّاً ومعينيّاً، نشرها تحت عنوان: دراسات سبئيَّة، كما كتب عن وقائع رحلته هذه كتابين بعنوان: **تقرير عن بعثة أثريَّة في اليمن ورحلة في نجران**، وسنعرض لهما عند الحديث عن أعماله ومؤلفاته.

وصل هذا الرَّحالة مبكراً في إطار الرَّحلات الغربيَّة الاستكشافيَّة حتى عدَّه البعض أوَّل أوروبي يكتشف مدينة نجران، ويلقي الأضواء على ما تحويه من كنوز أثريَّة[١]، ويعدُّه روبن بدول أول أوروبي يدخل نجران منذ أن تركها الرُّومان قبل الميلاد[٢].

(*) فمن هو جويف هاليفي؟ وماهي المهمَّة التي جاء من أجلها؟ ولصالح من كانت مهمَّته؟

جوزيف هاليفي هو أحد أساتذة الدِّراسات العليا بجامعة السّربون في باريس، تسنَّم هذا المنصب بعد صولات وجولات وبحوث أهَّلته ليصل إلى هذه الدَّرجة، ولد هاليفي ذو الأصل والدِّيانة اليهوديَّة في مدينة أدرِنَة بتركيا عام (١٢٤٢هـ/١٨٢٧م)، وفيها نشأ نشأة دينيَّة، وتعلم وأصبح مدرِّساً للغة العبريَّة، ثم انتقل إلى رومانيا ليمارس نفس المهنة، ثم انتدب في مهمَّة إلى الحبشة لدراسة وضع جماعة الفلاشا بتمويل من جمعيَّة يهوديَّة[٣]، عاد بعدها مؤكداً انتماء هذه الجالية للدِّيانة اليهوديَّة في دراسة أعدَّها لمنتدبيه، الذين دعموا هذه الجماعة واهتموا بشأنها بعد تقريره هذا، كان ذلك سنة (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م).

في سنة (١٢٨٦هـ/١٨٦٩م) كلفته أكاديميَّة النُّقوش والآداب وهي إحدى فروع معهد فرنسا (I،Institut de France) التَّابع لوزارة التَّعليم، للقيام برحلة أثريَّة لاستكشاف

---

(١) البرت زيمة: شبه الجزيرة العربية في كتابات الرحالة الغربيين، ترجمة: غازي شنيك، الرياض ١٩٩٩م، ص٤٥؛ فيليب ليبنز: رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية، الرياض ١٩٩٩م، ص١٣٠.

(٢) الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، ترجمة عبد الله نصيف، الرياض ١٩٨٩م ص١٥٧.

(٣) هي أقلية يهودية كانت تعيش في الحبشة، ثم هاجرت إلى الدولة العبرية، للمزيد عنها انظر:
https://www.wikiwand.com/ar/٪D٪٨١٪٩D٪٨٤٪٩D٪٨A٪٧D٪٨B٪٤D٪٨A٧

جنــوب غرب الجزيــرة العربيَّة بحثاً عن النُّقوش السَّــبئيَّة[١]، وهو تكليف يتَّســم بطابع الرَّسميَّة من قبل الحكومة الفرنسيَّة التي أولته اهتمامها وعنايتها كما سنرى. ومع أدائه للمهمَّة التي أوكلت إليه من قبل الفرنسيِّين، إلا أنه أسدى لديانته وقوميَّته اليهوديَّة ولغته العبريَّة خدمة جليلة، وقد عدَّه عبد الرحمن بدوي «صــهيونيّاً شــديد التَّعصــب للقوميَّة الإســرائيليَّة[٢]»، تمثَّــل ذلــك في أعماله المتعدِّدة التي ســنتطرق لبعضــها لاحقاً، وحتى رحلته هذه أحاطها بالطابع الدِّيني والقومي اليهودي؛ وأشار البعض إلى أنه كان يبحث عن مكانٍ لتوطين اليهود كما سيأتي.

جــاب هاليفــي جنوب الجزيــرة العربيَّة الغربــي في رحلته تلك محيطاً شخصــيَّته بالغموض، ومتخفيّاً تارةً في أســمال متسوِّل[٣]، وأخرى في زيِّ راهب يهودي، مدَّعياً أنه قــدمَ من القدس لتفقُّد أحــوال الجاليةِ اليهوديَّة وتلمس احتياجاتها، بل ادَّعى أنه يجمع الصَّــدقات لفقراء اليهود[٤]، مستغِّلاً بعض وجهاء هذه الجالية لتحقيق مآربه، لكنه لم يسلم من اتِّهام يهود اليمن له بالتَّقصير في خِدمتهم وتفقد أحوالهم التي ادَّعاها، فقد اتَّهمه حبشــوش مرافقه ودليل رحلته ـ ضــمناً ـ بالتَّقصــير فيما وعدهم به من السَّــعي لتغيــير واقعهم للأفضــل مــن خلال المنظَّمــات اليهوديَّــة[٥]، وهو يعبِّر عمــا يُتَداول في مجتمعه من أحاديث.

على الرّغم من تكليفه من جهة رســميَّة تكفَّلت بكافَّة مصاريف رحلته، إلا أنه ظهر بمظهــر بائســ، فهو يعتمد على ما يجود بــه عليه الآخرون في معظــم مراحل رحلته[٦]، علــى خــلافٍ أغلب الرَّحالة الذي حاولــوا أن يظهروا بمظاهر الــثَّراء والبذخ، فهل كان يخشى ممَّن حوله في الطمع بما يحمله، ويلاقي نفس المصير الذي لاقاه بعض سلفه من الرَّحالة في نفس الظروف والمكان[٧]؟ أو أنَّ هذا طبعاً اتَّصف به وصبغ سلوكه؟

---

(١) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، بيروت ١٩٩٣م، ص٦٠١؛ كما خصَّه محمد عبد الرحيم الزيني بترجمة وافية في كتابه: الاستشراق اليهودي: رؤية موضوعية، المنصورة ٢٠١١م، ص١٠١- ١٠٨.

(٢) موسوعة المستشرقين، ص٦٠٢.

(٣) نجيب العقيقي: المستشــرقون، القاهرة ١٩٦٤م، ٢١٩/١، هنــاك تفاصيل أكثر في حقل: الإعداد للرحلة من هذا البحث.

(٤) بدوي: موسوعة، ص٦٠١.

(5) Yosef Tobi, An unknown study by Joseph Halévy on his journey to Yemen, Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, Vol. 30, Papers from the thirty- eighth meeting of the Seminar for Arabian Studies held in London, 22-24 July 2004 (2005), p. 289.

(٦) حاييم بن يحيى حبشــوش: رؤيا اليمن بين حبشــوش وهاليفي، ترجمة: ســامية نعيم صــنبر، نشــره مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٩٢م، ص٣٢.

(٧) بيرين: اكتشاف جزيرة العرب، ص٣٦٩.

كانـت الظروف السِّياسـيَّة وحتـى الاجتماعيَّة والاقتصـاديَّة في اليمن مضـطربةً حسـبما يصـوِّره لنا هاليفي(١)، وأوضـاع اليهود الذين خصَّـهم بحيِّز ليس بالقليل من حديثه المتناثر ليسـت على ما يرام، وقد اعتمد عليهم في تسـهيل مهمَّته منذ أن وطأت أقدامـه جنـوب الجزيرة العربيَّـة، وفي مراحل رحلته المتعـدِّدة، فكثيراً مـا يلجأ إليهم ويسـترفد بهم، ويستضـيفوه في منازلهم رغم ظروفهم السَّـيئة، ومنهـم كان أدلَّاؤه في أغلب الأحوال(٢).

٢- أعماله العلميَّة:

لـو توقَّفنـا عند أعمال هاليفي وما قدَّمه من بحوث ونتـاج علمي، لوجدنا أنه أمدَّنا بأعمالٍ علميَّةٍ وتاريخيَّة مهمَّة، فإضـافةً إلى مجموعة النُّقوش التي بلغت سـتُّمئة وسـتَّة وثمانون نقشـاً من الكتَّابات القديمة سـبئيَّة كانت أو معينيَّة، والتي كتبت بالخطِّ المسند والمسـماري، نسـخها من سـبعة وثلاثـين موقعاً مختلفاً في خطِّ سـير رحلتـه في نواحي اليمن وبخاصَّـة الشَّرقيَّة منها ونجران، ونشـرها في المجلة الآسيويَّة، مترجماً لها فاكّاً لرموزها، ومعلقاً عليها بشـروحٍ وافية، ثم نشـرها في باريس سـنة (١٣٠٢هـ/١٨٨٥م) بمعجمٍ خاص(٣).

إضـافةً إلى ذلك، فقد كان له بحوث متعدِّدة أخرى منها: السَّـامريون في القرآن، والخورنق وسـنمار وغيرها من البحوث التي تصبُّ في هذا الاتِّجاه(٤). وقد نشر حصيلة بحوثه ومجريات رحلته في عدَّة قنوات وأوعية نشـر سنشير إلى بعضها، وما زالت بعض كتاباته غير المنشورة محفوظةً في المتحف البريطاني وفي مكتبات باريس(٥).

---

(1) Voyage au Nedjran, Bulletin de la Sociêtê de Géographie de Paris 6’ p.25.

(٢) فمثلاً: يذكر حبشـوش أنهم كانوا بإحدى القرى من أرحب، فاحتاجوا ركاباً يوصـلهم لصنعاء، فكلف يهود هذه القرية أحدهم لتأجير حماره لهاليفي ووعدوه بدفع أجرته، لكنهم لم يوفوه حقَّه حسب كلام حبشوش، وما زال في مقاضاتهم. انظر: حبشوش: رؤيا اليمن بين حبشوش وهاليفي، ص٣٢.

(٣) من بين هذه النقوش ما يقارب الخمسة عشر نقشاً فقط، كان قد تم نسخها من قبل رحّالين آخرين سبقوه، أمَّا الباقي فلم يتمّ نسخها أو نشرها من قبل حسب ما يقول هاليفي: «وإذن فإنَّ عدد النقوش الحميرية في مجموعتي يفوق بسـتِّ مرات ذلك العدد الذي اكتشـفه الرحالون الآخرون»، انظر: تقرير حول بعثة أثرية إلى اليمن قدمه السيد جوزيف هاليفي باريس ٢١ تموز ١٨٧١م/١٢٨٨هـ، ترجمة منير عربش، نشره مركز الدراسات والبحوث اليمنيٍّ، صنعاء ١٩٩٢م، ص١٧٩.

(٤) للمزيـد: يمكـن مراجعة كل مـن: عبد الرحمن بدوي: موسـوعة ...، صـ٦٠١-٢، العقيقي: المستشـرقون، ٢١٩/١؛ محمد الزيني: الاستشـراق اليهودي، ص١٠٤-٥، وكذلك العرض المفصل لكافة أعماله وأنشطته الذي نُشر في ويكيبيديا: https://en.wikipedia.org/wiki/Joseph_Hal٪C٣A٩vy٪

(5) Yosef Tobi, An unknown study by Joseph Halévy, p. 290.

كمـا أسَّـس المـجلـة الـسَّـامـيَّـة لـلـنُّـقـوش والـتَّـاريـخ الـقـديم (Revue semitique d،histoire ancienne) سنة (١٨٩٣م)، وجعلها منبراً لدراساته وآرائه وبخاصَّة ما يتعلق منها بالنُّقوش السَّاميَّة والدِّراسات المتعلقة بالكتاب المقدَّس، وامتدَّت من سنة (١٣١٢هـ/١٨٩٥م) حتى سنة (١٣٣٢هـ/١٩١٤م)، ثم جمعها ونشرها بعد ذلك في كتاب عَنْوَنه بـ: "أبحاث توراتيَّة" في خمسة مجلدات، وقبلها كانت له عدَّة بحوث ودراسات عن الفلاشا نشرها في دوريَّات متعدِّدة، ثم جمعها في كتاب مستقلّ سنة (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م).

لكن فيما يتعلق بموضوعنا، يعتبر سجلُّ رحلته إلى نجران وتقريره عن رحلته إلى اليمـن ومروره بنجران، هي الأهمّ فيما كتب هاليفي، مع أنَّ هناك بحوث أخرى مفيدة، نستعرض هذه الدِّراسات ونركز على ما له علاقة ببحثنا.

فـ «دراسـات سبئيَّة[١]»، تحليل لنصـوص معثوراته من النُّقوش السَّبئيَّة، نشره في المجلة الآسيويَّة، وانصبَّ حديثه فيه على لغة هذه النُّقوش، ومحاولة الرَّبط اللغوي فيما بينها، وبخاصَّـة اللغة العبريَّة واللغات السَّـاميَّة الأخرى، كما يدخـل في مقارنات لغويَّة دون الدُّخـول في التَّفاصـيل التَّاريخيَّة التي يهمُّنا أمرها، لاسـيَّما الإشـارات التَّاريخيَّة والاجتماعيَّـة والاقتصـاديَّة، فهـو وإن تطرَّق لهـا ففي إيجاز شـديد، وكانـت تعليقاته وملحوظاته عليها باللغة العبريَّة، بقلم رصـاص على شـرائط ضـيِّقة من الورق، ليسهل إخفاؤها عن أعين العرب كما يقول[٢].

أمَّا «تقرير حول بعثة أثريَّة باليمن»، فقد كتبه بالفرنسـيَّة ونشـره في باريس سنة (١٢٨٩هـ/١٨٧٢م)، كما نشـره في المجلة الآسـيويَّة التي تصـدر بباريس[٣]، وقد قدَّمه إلى منتدبيـه في الأكاديميَّـة الفرنسـيَّة بباريس في (٢١ يوليه سـنة ١٨٧١م/١٢٨٨هـ)، ليضـعهم بصورة ما وصل إليه برحلته التي كانت بدعمهم ومساعدتهم، ثم نشره مركز الدِّراسـات والبحوث اليمني مترجماً، واعتمدنا عليه كثيراً في هذه الدِّراسـة. وقد قدَّم

---

(١) نشر هذه الدراسة في المجلة الآسيوية JA في عدة أعداد سنة ١٨٧٣م ص٣٠٥-٣٦٥، ثم نشر البقية في سنة ١٨٧٤م ص٤٩٧-٥٨٥؛ وكان بعنوان:
Etudes Sabeennes, Examen critique et philologique des inscriptions Sabeennes, EXTRAIT DU JOURNAL ASIATIQUE, (Mai-Juin, Octobre 1873 et Decembre, 1874).
ثم نشره في باريس بكتاب بعنوان: دراسات سبئيَّة Etudes Sabeennes سنة ١٩٧٥م.

(2) Yosef Tobi, An unknown study by Joseph Halévy on his journey to Yemen, p. 287.

(3) J. Halevy, Rapport sur une mission archeologique dans le Yemen, journal Asiatique, 6’ série, 19: (1872), pp. 5-98, 129—266, 489-547.

لتقريره هذا بقوله: «التَّقرير الذي نحن على وشك قراءته، يسجِّل من حيث الجوهر جميع الملحوظات التي جمعتُها في عامٍ (١٨٦٩-١٨٧٠م /١٢٨٦-١٢٨٧هـ) أثناء رحلتي إلى اليمن، تحت رعاية أكاديميَّة النُّقوش والفنون الجميلة، وكانت ملحوظاتي باللغة العبريَّة مكتوبةً بالقلمِ الرصاص على أوراق رقيقة، وبطريقة التَّشفير لإخفائها عن العرب، فلم يكن سهلاً وبخاصَّة عندما يتعلق الأمر بأسماء الأعلام، أو المعلومات التي أعطيها عن البلدان التي لم أزرها شخصيّاً، أن تأتي بشكلٍ أساسي من اليهود الذين تتحرك في وسطهم معظم جولاتي، والذين يفوق مستواهم الفكري عمومًا مستوى إخوانهم المواطنين المسلمين. ويعدُّ تحديد المسافات هو أصعب مشكلة يجب حلها عند السَّفر في بلد قاس، وبدون الأدوات اللازمة لمثل هذا النَّوع من النَّشاطً[1]»، ولم يسلم هذا التَّقريرً من انتقاد البعض، فقد اتَّهمه جون فيلبي بأنه جانبه الصَّواب في وصفه لبعض معالم الآثار التي مرَّ بها كخربة أبي السُّعود، والخطأ في قراءة بعض أسماء الأماكن، وإن عزى ذلك إلى مرافقه الذي ربما أمدَّه بأسماء أماكن لم يزرها[2]. وقد نشر حصيلة جهوده من النُّقوش التي عثر عليها في هذا التَّقرير، عارضاً لها وواصفاً إياها[3].

كما أفرد رحلته لنجران بعنوانٍ مستقلٍّ أسماه: «رحلة في نجران» نشره أيضاً في باريس سنة (١٢٩٠هـ/١٨٧٣م)، ومع الأسف حاولتُ الوصول إليه دون جدوى، لكني وجدتُه منشوراً في إحدى المجلات التَّاريخيَّة الباريسيَّة على عدَّة حلقات[4]، ومع أنه كان مجرَّداً من التَّفاصيل الدَّقيقة والشَّرح الوافي لمعالم هذه المدينة العريقة، ومجتمعها وحياتها اليوميَّة التي نطمح إليها، بل كانت أحاديثه وإشاراته عابرة، واصفاً مروره بهذه المدينة وقضائه لعيد الفصح بين إخوانه من اليهود، لكنَّها لا تخلو من معلومات مفيدة استفدنا منها ووظفناها في هذا البحث، ووضعت لنا تصوَّراً لنجران في النِّصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التَّاسع عشر الميلادي، وسيكون عليه اعتمادنا في أهمِّ مباحث هذا الموضوع.

---

(١) Halevy, J., Rapport sur une mission archeologique, p.5-6 ؛ هاليفي: تقرير حول بعثة أثرية، ص١٤١-١٤٣؛ مجدي صالح: رحلة الأسرار المدفونة، ص٢٨٧-٢٩٣.

(٢) بنات سبأ: رحلة في جنوب الجزيرة العربية، ترجمة يوسف الأمين، نشرته دارة الملك عبد العزيز بالرياض ٢٠٠١م، ص٤٧٧-٨.

(٣) انظر: Halevy, J, Rapport sur une mission, pp.60-98 ؛ تقرير حول بعثة أثرية، ص١٧٥-١٩٠.

(4) Halevy, J, Voyage au Nedjran. Bulletin de la Sociêtê de Géographie de Paris (1873) 6' série, 6: 5—31, 249—273, 581—606. (1877). 6' série, 13: 466-479.

أثمرت هذه الجهود الاستكشافيَّة بحصول هاليفي على الميداليَّة الذهبيَّة التي تُمنَح سنويّاً للبحوث المميَّزة في مجال الجغرافيا والاستكشاف من قبل الجمعيَّة الجغرافيَّة الفرنسيَّة، والتي تنافس عليها اثنان وثلاثون عالماً، وشُكِّلت لها لجنة للفرز والاختيار، قرَّرت استحقاقه لهذه الجائزة من بين المتقدِّمين لمبررات ارتأتها، وهي:

أ- أنَّ بحثه الذي أرفقه بتقريره عن رحلته يمثل تقدُّمًا جديدًا وملحوظًا في مجاله، كما أنَّ خريطته التي عملها لجزء كبير من اليمن ونجران، تزوِّدنا بعناصر مهمَّة تجعل منها الخريطة الأولى لدقَّة معلوماتها وتفاصيلها[1].

ب- أنَّ ما قام به يمثل استكشافاً جديداً لبلد متنوِّع التَّضاريس، وشرحاً لنقاط غامضة في جغرافيَّة العصور القديمة، وقد عدَّه أحد أعضاء اللجنة بأنهً: «أحد أغنى فروع الدِّراسات السَّاميَّة وأكثرها إثارةً للاهتمام، لأنَّ هذه الحضارة هي أولى الحضارات التي ازدهرت في شبه الجزيرة العربيَّة[2]».

ج- كما أنَّ هاليفي توصَّل لاكتشافات أخرى استحقَّ عليها هذا التكريم، ومنها ما يخصُّ نجران نفسها، لاسيَّما ماً عرضه من دراسات جديدة تتعلق بالأخدود وغيرها[3].

كان هاليفي وما قدَّمه من بحوث ودراسات محلَّ اهتمام وعناية عدد من الدَّارسين، حللوا شخصيَّته وتناولوا نتاجه العلميّ، وألقوا الضَّوء على رحلته مدارً حديثنا، أشرنا إلى أهمِّها في هوامشنا السَّابقة.

٣ـ رحلة هاليفي إلى جنوب غرب شبه الجزيرة العربيَّة:

أ- دوافع الرِّحلة وأهدافها:

يحدِّثنا هاليفي عن أهداف رحلته وملابساتها في أكثر من مناسبة، ويؤكد أنَّ الآثار ونسخ نصوصها كان هو المقصد الرَّئيس لرحلته هذه[4]، هذا هو الهدف المعلن،

(1) H. Stj. B. Philby, Halévy in the Yaman, The Geographical Journal, vol. 102, No.3 (sep, 1943), p.117.

(٢) هو المؤرخ الفرنسي أرنست رينو Ernest Renan انظر:
Rapport sur le concours au›prix annuel pour la decouver te la plus importante en geographie, Bulletin de la Societe de Geographie de Paris, VI/6 (1873) P. 33.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٨.

(٤) انظر: تقرير بعثة، ص١٤١

لكـن لو بحثنا عـن دوافع رحلته التي نحن بصـددها، لوجدنا أنَّ لها بالإضـافة لما ذكر مقاصد أخرى:

(*) لا شـكَّ أنَّ هناك دوافع شخصـيَّة وحبّ للبحث والاستطلاع لدى هاليفي وبخاصَّة بعد مغامرته في رحلة إلى الحبشـة، وبحثه أوضـاع يهود الفلاشـا، ولذا قبل بهذه المهمَّة وتحمَّس لها رغم ما عاناه من عوامل نفسـيَّة وصـحيَّة جعلته طريح الفراش في صـنعاء لمدَّة شـهر كامـل، ولولا دعم الجاليـة اليهوديَّة له في تحقيـق مهمَّته لما تحقق له ما أراد، وهو ما نستشفُّه من وقائع سفراته المتعدِّدة وبخاصَّة في الجوف، وهو ما صـرَّح به في تقرير رحلته، وهناك إشارات توحي أنه قصد اليمن قبل ذلك لكن محاولته باءت بالفشل[١].

(*) تطلعات فرنسـا التَّوسـعيَّة في هذه الحقبة ومنافسـتها للإنجليز، كانت حافزاً مهمّاً في دخولها مضـمار الكشف والاسـتطلاع والتَّحرِّي، فكانت هذه المهمَّة التي كُلِّف بها هاليفـي للتَّعرف على ظروف اليمن السِّياسـيَّة والاقتصـاديَّة باسـم البحث العلمي والكشـف عن الآثار كتغطية لهدفه الأسـاس، فالتَّقارير السِّـريَّة التي تقدَّم للسَّاسة غير ما تسـتقبله الجهات العلميَّة التي كلفته بالمهمَّة، فمباركة الإمبراطور الفرنسـي تشـارلز لويس نابليـون (١٨٠٨-١٨٧٣م) لهـذه الرِّحلة[٢] يعدُّ دليلاً علـى أهميَّتها السِّياسيَّة، لاسيَّما وأنها تزامنت مع افتتاح قناة السّويس التي كانت فكرتها وتنفيذها فرنسيّاً[٣]، وهي التي فَتَحت لأساطيلها آفاق الشَّرق والجنوب، وجعلتها منافساً فعليّاً للوجود الإنجليزي في السَّواحل الجنوبيَّة والشَّرقيَّة لشبه جزيرة العرب.

(*) توقيـت الرِّحلـة هو الآخر لـه دلالات مهمَّة، حيث كانت في وقـت تتهيَّأ فيه الحركة الصّـهيونيَّة للإعـداد لعقد مؤتمرها العالمي بزعامة هرتـزل، لذا كان من أهداف رحلـة هاليفـي التَّعـرف علـى ظـروف اليهـود اليمنيِّـين السِّياسـيَّة والاجتماعيَّة والاقتصـاديَّة، وظهرت توجُّهات هاليفـي الأيديولوجيَّة في محاولـة تحفيز اليهود اليمنيِّين وإعدادهم لذلك التَّجييش الذي سـعت إليه الحركة الصّـهيونيَّة في ذلك الوقـت[٤]، ولا يَسـتبعِد البعض أنَّ مـن أهداف الرِّحلة ـ أيضـاً - لجنوب الجزيرة

(١) رينزو مانزوني: اليمن: رحلة إلى صـنعاء، ترجمه ماسـيمو خير الله، ونشره الصندوق الاجتماعي للتنمية باليمن، صنعاء ٢٠١١م ص٣١.

(٢) مجدي صالح: رحلة الأسرار، ص١٤-٥.

(٣) العقبي: التنافس الإنجليزي الفرنسي، ص٧٧-٨٥.

(4) Yosef Tobi, An unknown…, p. 290.

العربيَّـة، كان البحـث عن مكانٍ مناسـب لإقامة وطـنٍ قومي لليهـود، لكن تقرير هاليفي كان صادماً، فطبيعة اليمن وتركيبته القبلية تجعل من تنفيذ مشروعٍ كهذا على أرضه أمراً مستحيلاً[١].

(*) يشير يوسف توبي إلى عوامل تتعلق بشخصيَّة هاليفي نفسه، التي جعلت منه هدفاً مقبولاً لهذا التَّرشيح، فهو شخصيَّة اكتسبت شهرتها في الأوساط اليهوديَّة كمعلم وشاعر وباحث في الكتاب المقدَّس، ولغوي وصهيوني مؤيِّد للاستيطان اليهوديِّ في الأرض المقدَّسة، ثم بصفته مستشرقاً متميِّزاً، كلُّ ذلك جعله مقبولاً من قبل المنظمة الصّهيونيَّة والأكاديميَّة الفرنسيَّة لهذه المهمَّة الصَّعبة[٢].

من ناحية ثانية، أوحى هاليفي لمن حوله بأنَّه شخصيَّة ذات قُدُرات خاصَّة، تمدُّه بطاقة غير عاديَّة لتحقيق هذا الهدف الذي يسعى إليه: (لقد أتعب هؤلاء الأشخاص الطيِّبون أنفسهم في التَّخمين فيما يتعلق بالغرض من رحلتي إلى تلك البلدان النَّائية والمهجورة، وانتهوا إلى أنَّني كنتُ رجلاً مقدَّساً جدّاً وخبيراً جدّاً في ألغاز الكابالا[٣]، وأنه كان لي شرف جعل نفسي غير مرئي في حالة الخطر؛ هذا الاعتبار غيرَّ مخاوفهم على الفور إلى ثقة؛ لقد أصبحوا مقتنعين الآن بأنَّني سأعود سالماً ومعافى من بين أنياب الأسود؛ لقد بدت رحلتي لهم لغزاً لم يكن من المناسب للشَّخص العادي أن يرفع حجابه)[٤].

ب- الإعداد للرِّحلة:

يصوِّر لنا مجدي صالح في روايته رحلة الأسرار المدفونة[٥] مشهد لقاء هاليفي بالإمبراطور الفرنسي تشارل لويس (نابليون الثالث) عند تكليفه بمهمَّة هذه الرِّحلة، قائلاً له عند التقائه به: لقد بلغني مشروعك، صحيح أنه مثير للاهتمام، لكن تلك البلاد ذات تضاريس وعرة، وكذلك أهلها وعرون أيضاً، يستدرك كبير مستشاريه: "بريطانيا

(١) حبشوش: رؤيا اليمن، مقدمة ص٧-٨.
http://www.mediafire.com/file/1c44r3kh1jjy364/%D8%B1%D8%A4%D9%8A%D8%A9+%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%86+%D8%A8%D9%8A%D9%86+%D8%AD%D8%A8%D8%B4%D9%88%D8%B4+%D9%88%D9%87%D8%A7-%D9%84%D9%8A%D9%81%D9%8A.pdf

(2) Yosef Tobi, An unknown…, p. 290.

(٣) هي أعمال سحريَّة منتشرة في أوساط اليهود لها مختصُّوها، للمزيد عنها يمكن مراجعة هذا المقال تحت هذا الرابط: https://albatine.org/showthread.php?t=١٢٠١٢

(4) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.249.

(٥) ص١٤-١٥.

لم تستطع استكشاف تلك المناطق ولا يمكنها الوصول إليها، هاليفي سيفعل ما في وسعه لاستكشاف اليمن، فهو يهودي واليهود في اليمن نشطون رغم أنهم مضطهدون".

يردُّ هاليفي بثقة: «إنه لشرفٌ لي سيِّدي أن أقدِّم للإمبراطوريَّة الفرنسيَّة كلّ ما أستطيع»؛ نظر كبير المستشارين للإمبراطور بوقار، وقال وهو ينحني:» امنحه دعمك يا سيِّدي"، أخذ الإمبراطور نفساً عميقاً وقال لعامَّة مستشاريه:

- "أمنحُ العالم جوزيف هاليفي دعمي"، فيقابل هاليفي ذلك بقوله: "شرفٌ عظيمٌ يا سيِّدي أن أقضي عمري في خدمة الإمبراطوريَّة الفرنسيَّة".

وخرج مبتهجاً إلى مكتب المستشار، وأمام عينيه اسمه لامعٌ في محافل الاستكشافات، أذن له بالجلوس، وتناول المستشار رسالةً مطويَّةً ومربوطةً بخيطٍ رفيع، ووقف ليقابل هاليفي وهو يقول:

- "مسيو هاليفي مهمَّتك ليست بالسَّهلة، فيجيب هاليفي: نعم، أعلم ذلك ولهذا قبلتُ المهمَّة".

ابتسم المستشار وناوله الرِّسالة قائلاً له: "في الحبشة، سيدلُّك قنصلنا على حاخام سلِّمه مكتوبنا، وسيضع نصف المال المطلوب للرِّحلة لدى صائغ ذهب يهودي في نجران، والنِّصف الآخر في أوراق اعتماد مالي لدى تاجر يهودي في صنعاء، كما سيخاطب حاخام الحبشة حاخام عدن وصنعاء ليُعلِم اليهود بقدومك لتسهيل مهمَّتك، وأتمنى لك النَّجاح في بلاد العرب السَّعيدة(١).»

انطلق هاليفي في رحلته بعد الإعدادات وأخذ التَّوصيات، ليصل إلى الحبشة التي عرفها وخبرها ومنها عبر إلى اليمن، وحسب الاتِّفاق مع مُنتَدبيه - كما سبق ذكره - اتَّصل بحاخامها لينسِّق له مع زملائه باليمن، فيما يدُّل على أنَّ للمرجعيَّة الدِّينيَّة في تلك الحقبة مكانتها بين النَّاس في مجتمعٍ منغلق على نفسه ومتديِّن، فـ"الحاخاميَّة لا بدَّ لي من إخبارها بالغرض الآثاري من رحلتي للتَّوصية بي، وفعلاً، فقد أمدَّتني ببعض المعلومات المفيدة للغاية، حول كيفيَّة توظيف أساطير العرب لصالح مهمَّتي العلميَّة(٢)".

(١) المرجع نفسه، ص١٥.

(2) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.250.

ج- مسَار الرِّحلة ومحطاتها:

انطلــق هاليفــي مبتدئــاً رحلتــه مــن باريــس، مغــادراً فرنســا في خريــف ســنة (١٢٨٦هـــ/١٨٦٩م)، في رحلة بحريَّة اســتمرَّت خمســة أشــهر، ومرَّ بالحبشــة تنفيذاً لتوصية مستشار الامبراطور الفَرنسي، ليلتقي الحاخام اليهودي، ويتزوَّد منه بالتَّوصيات والدَّعم اللازم لهذه المهمَّة حسب الطريقة التي ذكرناها أعلاه.

اســتقلَّ هاليفــي بعدها الباخــرة التي حطَّت بــه في المحميَّــة الإنجليزيَّة «عدن»، ليجعل منها منطلقاً لرحلته، فهذه المدينة كانت نقطة الاتِّصال بأوروبا في هذه المنطقة، وفيهــا يقيم المندوب الإنجليزي مفوَّضــاً مــن قبل حكومته لتكون مركز اتِّصــال بداخل شــبه الجزيرة العربيَّة، ومحطة انطلاق نحو المشرق؛ ورغم العداء الظاهر والمستتر بين إنجلترا وفرنسا إلا أنَّ هاليفي حُظي بعناية سادتها من الانجليز، حيث تعرَّف على عدد من أبرز رجالها من بينهم قاضــي الصُّــلح في المســتعمرة الكابتن مايلز الذي يشــاركه الاهتمام بالنُّقوش الحميريَّة فأحاطه بعنايته[١]، لكنَّها لم تثمر بشــيءٍ ممَّا كان يســعى إليه هاليفي، ولذا وصفها جون فيلبي بالمهمَّة الفاشلة[٢].

كانــت بوصلــة هاليفي تتَّجه نحو صــنعاء لينطلــق منها نحو الدَّاخــل، وفعلاً خطى خطوةً في هذا الاتجاه، فوصــل إلى لحج التي تبعد عن عدن نحو ســتّ ســاعات، وعليها حاكــم موالٍ للإنجليز، لكن ســلطته مزعزعــة ونفوذه محدود، والطريــق أمام هاليفي محفوفة بالمخاطر، ممَّا اضطرَّه للعودة أدراجه إلى عدن، والبحث عن طريق بديلٍ وآمن. وبعــد تــزوُّده بالمعلومات اللازمة عن اليمــن، والتقائه بحاخام المدينة، وطلب التَّوصــية منه لإخوانهم من يهود صــنعاء، كما أخذ توصــيةً من تجَّارها اليهــود، أخذ طريقه إلى الحديدة التي وصــلها على ظهر إحدى السُّفن، وكان مندوب حاخام المدينة باستقباله، ولم يطل المقام كثيراً بهاليفي ليرحل إلى صــنعاء مروراً بتهامة في الخامس والعشــرين من نوفمبر ســنة (١٨٦٩م/١٢٨٦هـ)، تلك المدينة التي تضــجُّ بالحياة والحركة والنَّاس كما يصفها هاليفي، ليبدأ منها مشواره الاستكشافي[٣].

في صــنعاء التــي وصــلها مرهقــاً، أوقعته الحمَّــى ليظلَّ شــهراً وعشــرة أيام تحت وطأتهــا[٤]؛ وبعد أن تعافى بدأ يعدُّ العدَّة للقيام بمشــروعه للغوص في أعماق اليمَن، ثم

---

(١) يراجع حول ذلك: تقرير حول بعثة ...، ص١٤٤؛ رحلة الأسرار، ص٢٠، ٢٢-٣.

(2) Halevy in the Yaman, p. 117.

(٣) انظر: Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p. ٦.

(٤) تقرير حول بعثة، ص١٤٥.

ينطلق بعدها إلى نجران، وقد رحَّب به حاخام صنعاء وأحاطه بالعناية، حيث كانت التَّوصية بالضَّيف قد سبقته إلى هذا الحاخام.

كان على هاليفي أن يسابق الزَّمن للشُّروع في مهمَّته الشَّاقة، «وحتى أبلغ مأربي توجَّب عليَّ إعطاء أبحاثي منحنىً عقليّاً، وتبنِّي مخطط محدَّد لمسار الرِّحلة[١]»، اقتضى ذلك إعداداً وترتيباً تمثل في الإخراج المظهري لشكل الرَّحالة حتى يستطيع الاندماج في هذا الوسط الاجتماعي، فتظاهر تارةً في شكل متسوِّل مقدسي حتى لا يثير طمع المحيطين به، وفي أخرى تزيَّى بلباس حاخامٍ مقدسي أيضاً ليكتسب مكانةً واحتراماً[٢]، وتسمَّى بـ«يزيد لبيب عاطف[٣]».

يقول هاليفي: «عندما أخبرتُ أصدقائي عن قراري الحازم بالذَّهاب إلى نجران عبر الجوف، اعتبروني مجنوناً عرّض نفسه طوعاً لموت محقَّق، لقد رسموا لي بألوانٍ داكنة حالة البلد المقفرة، ووحشيَّة البدو الذين كنتُ سأَلتقي بهم في طريقي، حيث لم يدخل أيُّ شخص غريب هذه المساحات الشَّاسعة في المدى القريب، فلم تكن معروفة ولا حتى لسكان صنعاء، وتعتقد الأساطير الشَّعبيَّة أنَّ الأرواح الشّريرة تطارد زائريها؛ شكرتهم على اهتمامهم، وجعلتهم يفهمون أنه لا شيء من شأنه أن يهزَّ قراري، لا أشرُّ الرِّجال ولا غضب الجانّ، الشَّيء الوحيد الذي طلبته منهم، هو أن يوفِّروا لي مرشداً يتناسب والمرحلة التَّالية[٤]»، فكان اختيار حاييم بن يحيى المعروف بحبشوش، مرافقاً ودليلاً تمَّ انتقاؤه بعناية، فاختبره هاليفي بتجربة قصيرة في نواحي صنعاء، أثبت فيها كفاءته وصلاحيَّته لهذه المهمَّة الشَّاقة، وسيكون مثار حديثنا في مبحثٍ قادم.

حزم أمتعته البسيطة، مكتفياً من المال بالقليل الذي يكفيه مع مرافقه، وتزوَّد ببعض الطعام وأدواته من أقلام الرَّصاص والأوراق، حاملاً الوصايا لليهود في المناطق التي سيمرُّ بها؛ وفي السَّاعة الرابعة بعد الظهر للعشرين من شهر فبراير (١٨٧٠م/١٢٨٦هـ)، خرج هاليفي من صنعاء مع مرشده، ممتطياً حماره مخالفاً

(١) نفسه، ص١٤٦.

(٢) يقول في هذا الشأن عند قراره الخروج من صنعاء: «ثم لبستُ الزِّي اليهودي ساتراً رأسي وتاركاً فقط خصلتين متدليتين عند سالفي، وكانت هذه التَّسريحة ضروريَّة للتعارف عند اليهود، وفي نفس الوقت خلعت البنطال والحذاء، مبدلاً إياهما بقطعة من القماش الأزرق وضعتها حول خاصرتي، وبحذاءٍ مطابق بشكلٍ تقريبي لقدمي، وبهذا الزِّي المستغرب غادرتُ صنعاء»، تقرير بعثة، ص١٤٧-٨.

(٣) حاييم بن يحيا حبشوش: رؤيا اليمن، ص٢٨؛ رحلة الأسرار، ص٣١.

(4) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p. 249.

للعـرف الذي يعامـل به اليهـود في اليمن، ممَّا أجـبره في النِّهاية على المشـي مع إنكار من قابلوه في الطريق وتعنيفهم له، ومحاولاً التَّخفي حتى يسـتطيع تحقيق هدفه المتمثِّل بنسخ النُّقوش التي يجدها في طريقه دون عراقيل، محمَّلاً بتوصيات للمجاميع اليهوديَّة التي تقع في طريق رحلته ليساعدوه في مهمَّته، ويذللوا الصِّعاب في طريقه(١).

ثالثاً : هاليفي في نجران:

١ - نجران: الجغرافيا والتَّاريخ:

يهمُّنا في هذا المقام، إعطاء لمحة سريعة عن جغرافيَّة وتاريخ هذه المدينة العريقة، بما يتناسب وموضوعنا الذي نحن بصَدده.

تقـع نجران في واد يمتدُّ من الغرب إلى الشـرق بين سلسـلتين من الجبال جنوب غـرب المملكة العربيَّة السُّـعوديَّة، ما بين خطَّي عرض (١٧ و٢٠) درجة شـمالاً، وخطَّي طول (٤٤ و٥٢) درجة شـرقًا(٢)، مُتَّكئةً على الحدِّ الفاصـل بين المملكة وبين الجمهوريَّة اليمنيَّة، وتحتلُّ مساحةً شاسعة تقدَّر بـ (٣٦٥ ألف كم٢) ، ويقدر عدد سكانها بـ (٦٢٠) ألف نسـمة، وتضمُّ عدداً من المحافظات والمراكز؛ آخذةً أبعاداً حدوديَّة متناسقة: فمن الشَّرق تحيط بها صـحراء الرُّبع الخالي التي تتبع المنطقة الشَّرقيَّة إداريّاً، ومن الغرب تحدُّهـا منطقة عسـير، أمَّا الشَّـمال فتحدُّها منطقـة الرِّياض، ومـن الجنوب تحدُّها اليمن. وتقع عاصـمته التي تحمل الاسـم نفسـه «نجران» بالقرب من الحدود اليمنيَّة، وتشتهر بالزراعة والصِّـناعات اليدويَّة المميَّزة، ولها قرى متعدِّدة يتَّصل بعضها ببعض على ضفاف الوادي، ممتدَّةً من الجنوب إلى الشَّمال بمقدار ستَّة وعشرين كيلاً.

---

(١) Ibid. p.٢٥٣؛ تقريـر حـول بعثة أثرية، ص١٤٨. تقضـي الأعـراف المرعية في هذه النواحي بعدم السَّـماح لليهود بركوب الدَّواب، بل عليهم المشي في تنقلاتهم.

(٢) عن مسـمَّى نجران ومكانتها وجغرافيتها، يمكن مراجعة: الهمداني: صـفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد الأكوع الحوالي، صـنعاء ١٩٩٠م، صـ٨١-٢، ١٦٢، ٢٢٦، ؛ فؤاد حمزة: في بلاد عسـير، الرياض ١٩٦٨م، ص١٧٠-١؛ تركي بن محمد الماضي: مذكراته، الرياض ١٩٩٧م، ص ٤١١- ٤١٩، ص٤٢٥-٦؛ عبد الله ابن عبد الرحمن الهمداني: خلاصة تاريخ نجران، ط.١، ٢٠١٩م، ص٢٠-٣٢؛ صالح آل مريح: نجران، ضمن سلسـلة هذه بلادنا التي أصـدرتها رعاية الشـباب، الرياض ١٩٩٢م، ص١٣-١٥؛ موسوعة السعودية على النتّ:
https://saudiencyclopedia.com/l/%D9%85%D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A9-%D9%86%D8%AC%D8%B1%D8%A7%D9%86-%D9%83%D9%84-%D9%85%D8%A7-%D8%AA%D8%AD%D8%AA%D8%A7%D8%AC-%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%81%D8%AA%D9%87

أمَّا من النَّاحية التَّاريخيَّة: فهي ضاربة الجذور في أعماق التَّاريخ، وملتقى حضارات متعدِّدة، كانت مسرحاً لأحداثها وتفاعلاتها قبل الإسلام، حيث سادت فيها النَّصرانيَّة والوثنيَّة وتواجدت فيها اليهوديَّة، ثم أسلم أهلها وحسن إسلامهم، فصارت مركزاً لولاة الدَّولة الإسلاميَّة على توالي العصور(١)، ونظراً لموقعها المميَّز الذي يجعل منها همزة وصل بين وسط الجزيرة العربيَّة وجنوبها شرقها وغربها، اهتمَّت بها الدُّول التي تعاقبت على حكم شبه الجزيرة العربيَّة، وتميَّزت بأحداث تاريخيَّة تركت بصماتها على صفحات تاريخ المنطقة، وعلى معالم وآثار هذه المدينة، مِمَّا جعلها محطّ أنظار محبِّي السِّياحة والآثار.

في العصر الحديث انضمت إلى كيان الدَّولة السُّعوديَّة الموحدة في عهد الملك عبد العزيز (رحمه الله)، وأصبحت من أهمِّ أقاليم الدَّولة ومراكزها الحضريَّة.

حين وصلها الرَّحالة هاليفي كانت الأوضاع غير مستقرَّة، والمنطقة تتجاذبها الصِّراعات والمنازعات(٢)، لكن قبيلة يام كانت تُحكم قبضتها عليها، وتفرض نفوذها على ما حولها، حتى أنَّ هذا النُّفوذ وصل لأطراف الَحديدة كما يذكر هذا الرَّحالة(٣).

أكتفي بهذه اللمحة اليسيرة عن هذه المنطقة العريقة، وأترك التَّفاصيل الدقيقة التي كفاني إيَّاها عددٌ غير قليل من مؤرِّخي نجران ومحبِّيها وزوَّارها، أشرتُ لأهمِّها لمن يريد الاستزادة(٤).

٢- الرِّحلة: الطريق إلى نجران

كان أمام هاليفي للوصول إلى نجران طريقان، أحدهما هو طريق صنعاء مأرب، والآخر عن طريق القوافل الذي يمرُّ بالجوف، وهو ما وقع اختياره عليه، نظراً لكثافة

(١) عن هذه القضايا يمكن مراجعة: جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، بغداد ١٩٩٣م، ج٣ ص١٣٢-٧، ج٤ ص١٨٠-١٩٦؛ الهمداني: خلاصة تاريخ نجران، ص٢٢-٢٣ وقائمة المصادر والمراجع التي استشارها.

(٢) انظر: الواسعي: عبد الواسع بن يحيى، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، القاهرة ١٣٤٦هـ، ص١٠٢-٣؛ عبد الله محمد الحبشي: حوليات يمانية أو اليمن في القرن التاسع عشر الميلادي، صنعاء ١٩٩١م، ص٢٦٠-٨.

(٣) هاليفي: تقرير حول بعثة أثرية، ص١٤٤.

(٤) يمكن مراجعة كل من: الهمداني: خلاصة تاريخ نجران، ص١٩٥-٨؛ محمد طحنون آل دغرير: نجران تاريخ وإنسان، نجران ٢٠١٥م؛ هاليفي: تقرير حول بعثة أثرية إلى اليمن، ص١٨٦؛ وما حوته الهوامش السابقة التي كتبت في تاريخ وجغرافية نجران، للمزيد أيضاً انظر : غيثان بن جريس ، نجران (ق١ - ق٤هـ) ج١ ، وللمؤلف نفسه ، منظقة نجران (دراسات ، واضافات ، وتعليقات) (مجلدان).

سـكان هـذا الطريق وازدهاره كمـا يعلل هو ذلك[١]، لـذا تمَّ تحديد مسـار الرِّحلة إلى نجران عبر الجوف، مخترقاً أراضـي أرحب ونهم الواقعة إلى الشَّمال من مأرب، والتي لم يسبقه إلى زيارتها أحد قبله حسب ادِّعائه[٢].

يصف لنا في طريقه معاناته مع النَّاس والأجواء المناخيَّة، ويشير إلى أنه كان مرحَّباً بـه في جميع الأرجاء التي زارها جنوب غرب شـبه الجزيرة مـن قبل الجالية اليهوديَّة، للهالة التي أحاط بها نفسـه، فهو الحاخام الذي جاء من القدس المدينة ذات القدسـيَّة لدى كافَّة أتباع الأديان السَّـماويَّة، كما أشـاع أنه سيتولى جمع التَّبرعات لفقراء اليهود في اليمن، «لذا كان سلوكهم تجاهي مشبَّعاً بإحساسٍ خاصٍّ جدّاً[٣]».

قـد غاص في مشـكلات هذه الجماعة التي يـدور حولها الجدل فيمـا بينهم، فمثلاً حـدث نقاشٌ بين الحاخامـات في إحدى هذه التَّجمعات اليهوديَّـة التي مرَّ بها في طريقه إلى نجران، حول الزُّبدة التي يصنعها العرب من لبن الإبل هل هي حلال أم حرام؟ وهل تصـل إلى مواصـفات زبدة لبن البقر المتماسـكة المحللة لدى اليهود؟ وقد احتدم الجدل بهذا الشَّـأن، لكن أحد الباحثين من الحاخامات اليهود أنفسـهم، توصَّل إلى أنه بإضافة مكوِّن معيَّن تصـل زبدة لبن الإبل إلى التَّماسـك المطلوب، ولذا يمكن قبولها لدى الأقليَّة اليهوديَّـة، وهو ما أيَّده هاليفي بحجَّة عدم حرمان أولئك المسـاكين من هذه النِّعمة التي يندر وجودها[٤]، فغالبًا ما يظلُّ حليب الإبل هو الغذاء الوحيد لأسابيع كاملة لهؤلاء، حيث يصـعب الحصول على القمح والحبوب الأخرى باهظة الثمن على محافظهم، أمَّا اللحم فلا يأكلونه إلا في الأعياد الكبرى أي ثلاث أو أربع مرَّات بالسَّنة[٥]، ويعتقد جازماً أنَّ هذا ينطبق أيضاً على باقي مكوِّنات السُّكان في تلك المجتمعات التي كانت في مدار الزِّيارة.

بعد مدَّة من الزَّمن قضـاها متجوِّلاً في الجوف بقسـميه: الأوسط والأدنى، وتخللها زيارات متعدِّدة للمواقع الأثريَّة كانت في مجملها مثمرة، قرَّر هاليفي السَّفر إلى نجران لمواصلة جهوده في تحقيق أهداف رحلته، يحدوه الأمل في التَّعرف على آثار هذه المنطقة العريقـة، ورغم توسُّـلات إخوانه اليهود في الجوف لثنيه عن مواصـلة السَّـفر إلى تلك البقـاع ونعنـي بها نجـران، بحجَّة أنَّ سـكانها أشـرار ولا يؤمن جانبهم وبخاصَّـةٍ على

(1) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p. 250.
(2) Ibid, p. 251.
(3) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.466.
(4) Ibid, p.468-9.
(5) Ibid, p.473.

الغريب، وضربوا له المثل في حاخام مقدسي ذهب إلى هناك رغم تحذيرهم له قبل حوالي العشرين عاماً، فجرَّدوه من متعلقاته في منتصف الطريق وتركوه مقطوعاً في الصَّحراء[١]. لكن أمام إصراره على الرَّحيل لم يجدوا بُدّاً من البحث له عن مرافقٍ أمين وخبير بتفاصيل الطريق، اختاروه بعنايةٍ من معارفهم[٢].

نصَّت بنود الاتِّفاق مع هذا المرافق تنصُّ على أن يوفِّر وسيلة النَّقل المناسبة، ويتسلم المبلغ المتَّفق عليه مقدَّماً لتوفيرِ احتياجات أسرته أثناء غيابه، وفعلاً وصل قبل السَّفر بيوم واحد برفقة جمله متأبِّطاً رمحه، ومعه كيس دقيق يكفي لعمل قوت أربعة أيَّام هي التي تستغرقها الرِّحلة إلى واحة نجران[٣]. ويعلل هاليفي قراره بالرَّحيل، بأنه لم يبقَ له شيء ليكتشفه في منطقة الجوف الأوسط، لذا قرَّر الذَّهاب إلى نجران، مبيِّتاً النِّية للرجوع إلى بلد همدان عن طريق الجوف الأعلى في طريق عودته من نجران[٤].

في مساء يوم السَّبت الموافق (٢٤) من شهر مايو (١٨٧٠م/١٢٨٧هـ) اجتمع وجوه القوم من مضيفيه اليهود، وقرَّروا تزويده برسالة توصية إلى الزَّعامات الدِّينيَّة في نجران، وأعطوه التَّوجيهات والنَّصائح لكيفيَّة التَّعامل مع من سيقابلهم بطريقه من العرب، ثم تركوه ليرتاح حتى الصَّباح[٥].

مع تباشير صباح يوم الأحد (٢٥ مايو)، انطلق هاليفي برفقة دليله وجمله المحمَّل بالزاد، المكوَّن من الدَّقيق وما جادت به أريحيَّة مضيفيه من أطعمة أخرى، مودَّعاً بالحفاوة والدَّعوات الخالصة بأن يحفظه المولى من كلِّ سُوء[٦]، متَّخذاً طريقه بين وديانٍ ضيِّقة وتلالٍ ثم سهولٍ فصحاري ذات كثبانٍ رمليَّة بل «بحرٌ من الرِّمال» تعرقل الخطى، ويزيدنا هاليفي تفصيلاً: «يتميَّز طريق جبل اللوذ الذي قصدناه بسهولة العبور في بدايته، ثم يصبح أكثر وعورةً كلما اقتربنا من الشَّمال، وبالتَّحديد في المكان

(1) Ibid, p.469.

(2) Ibid, p.470.

(٣) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.٤٧٠. والرمح أو الحربة هو السِّلاح الوحيد الذي يسمح بحمله لليهودي حسب هاليفي (الصفحة نفسها).

(٤) هاليفي: تقرير حول بعثة أثرية إلى اليمن، ص١٥٩. يستخدم هاليفي لفظة «نجرا» قاصداً بها نجران أحياناً، مستخدماً مسمَّى المؤرخ اليوناني بطليموس، نفسه، ص١٨٧.

(5) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.470.

(٦) مودَّعاً بالطقوس الدِّينية التي تقتضيها الشريعة اليهودية من تلاوة بصوت عالٍ وأدعية السَّفر، طلباً للحماية الإلهيَّة من مشاكل الطريق التي غالباً ما يتعرَّض لها المسافرون، ويذكر هاليفي أنهم زوَّدوه بمؤنٍ كثيرة منها: الزبدة والبيض والبسكويت والتَّمر، انظر: (Ibid, p.٤٧٠.)

الذي ترتفع عليه القمَّة الجرانيتيَّة لجبل قديم، فلقد عبرنا هذه السِّلسلة الجبليَّة بمشقَّة حتى وصلنا عند الظهيرة إلى قرية ملاحة، وعند مطلع الفجر مشينا باتجاه الغرب لئلا نلتقي بمحاربي ذو حسين، الذين كانوا راجعين من حملة في بلد همدان[١]»، وفي فترة الظهيرة أناخوا ركابهم للرَّاحة وتناول غداءهم، لكنَّ هاليفي لم يجد بُدّاً من أمر دليله باستئناف المسير، أمام فضول بعض البدو الذي التفُّوا حولهم وأمطروهم بوابل أسئلتهم المريبة[٢].

٣- مشاكل الطريق ومشاكسات الرَّفيق:

مع اشتداد وطأة التَّخوفات التي تراود الرَّحالة ومرافقيهم من مفاجآت الطريق وهجوم قطاع الطرق، أبدى دليله رغبته بعدم مواصلة الرِّحلة والعودة من حيث أتى، وهو ما أربك هاليفي، لكن هذا الدليل طمأنه بأنه لن يتركه لوحده إذا رغب في مواصلة الرِّحلة، بل سيحلُّ ضيفاً على قطين من البدو الرَّحل ليبحث له من بينهم عمَّن يرافقه إلى نجران[٣]، فوافق على ذلك لأنَّه يريد لمشروع رحلته الاستمرار والنَّجاح بدلاً من العودة للوراء؛ وفي هذه الأثناء، دارت تساؤلات سوداويَّة في مخيلة المرسول الإمبراطوري كما يُسمِّي نفسه[٤]: ماذا سيحلُّ بي بين هؤلاء البدو الرُّحل؟ وما هو الاستقبال المنتظر منهم لاسيَّما لأجنبيٍّ مثلي؟ وهل ما تبقَّى من مالٍ يكفي لإيصالي إلى مبتغاي؟

لكن تبدَّدت هذه المخاوف والشُّكوك عندما حلَّ بضيافة هذا القطين، الذين رحَّبوا به وأكرموا وفادته[٥]، وظهر صدق مرافقه الذي أحضر له دليلاً جديداً بمبلغٍ زهيد

(١) هاليفي: تقرير حول بعثة أثرية إلى اليمن، ص١٦٠.

(٢) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.٤٧١؛ وفي التقرير المترجم تفاصيل أكثر، فيذكر أنهم دخلوا إلى واحة خب الجميلة، التي تتكون من العديد من القرى، ويذكر أنه استطاع التجول في هذه القرى دون مضايقة لكنه لم يجد من النقوش إلا واحداً، لم يتمكن من نسخه، كما أنه شرح لنا عن نوع الأسئلة التي تلقاها من هؤلاء الذين وصفهم بالشبان، حيث ألحُّوا عليه بتكرار الشهادة، معللاً ذلك بأنه للتَّسلية ولامتحان إيمانه من قبلهم. (تقرير حول بعثة أثرية إلى اليمن، ص١٦٠).

(٣) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p ..٤٧١وهنا تتضارب الرواية بين التقرير المترجم وبين مدونة هاليفي الأصلية المنشورة باللغة الفرنسية، ففيها يذكر أنَّ دليله تركه بعد أن أمَّنه ووفَّر له الدليل المناسب لمواصلة الرحلة، بينما في التقرير المترجم يفيدنا أن دليله تركه وحيداً بعد أن وصل لنهاية حدود قبيلته عند سلسلة جبال الخضبة، وأنه لجأ بنفسه إلى مخيَّم أولئك البدو بعد أن أنهكه الجوع والعطش، (تقرير حول بعثة أثرية ...، ص١٦٠).

(٤) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p ..٤٧١ ويقصد بذلك الإمبراطور الفرنسي.

(٥) يصف هذا المخيم بأنه يتكون من خمسين خيمة سوداء وبأنَّ قاطنيه يعتمدون على حليب الإبل في غذائهم (تقرير حول بعثة أثرية، ص١٦٠).

لتوصيله إلى نجران؛ لكن مرافقه الأول غدره حيث رحل قبيل الفجر، حاملاً معه مؤونة الرِّحلة ومستلزماتها، وهو ما أصاب هاليفي بالصَّدمة، إذ لم يتبقَّ معه إلا القليل من الزَّاد، لكن مضيفيه الذين استهجنوا فعل صاحبه، لم يقصِّروا معه بما جادت به حالتهم الاقتصاديَّة، فزوَّدوه بالحليب واللبن(١).

على أنَّ مشاكل هاليفي لم تنته بعد، فدليله الجديد طرأ عليه ظرفٌ اضطرَّه للاعتذار عن مرافقته ممَّا أقلق رحَّالتنا، لكن الأمور تيسَّرت بوجود شخص آخر حلَّ محله، هو في الأصل من مدينة نجران، يصفه بأنه «ذو قامة خارقة وجسد مُفعم بالحيويَّة»، مظهره الخارجي يبعث على الطمأنينة، لكن مشكلته أنَّ لَه سوابق إجراميَّة(٢)، ولعدم وجود بديل له فقد قبله على مضض، واتَّفق معه على مبلغ يسلمه له في نجران، ووقَّع له وثيقة مستحقَّة الدَّفع هناك أشهد عليها وصدَّقها القاضي، ومع أنَّ الحجَّة هي عدم توفُّر النُّقود، إلا أنَّ هذا عُرْفاً اتَّبعه الرَّحالة الأجانب، وتواصوا به لضمان التزام الدَّليل بتعهُّداته(٣).

في الثامن والعشرين من شهر مايو (١٨٧٠م/١٢٨٧هـ)، انطلق مع دليله مبكراً نحو الشَّمالي الغربي متَّجهاً نحو نجران، واصفاً الأماكن التي مرَّ بها وتزوَّدهم بالمياه منها، وسرعان ما صادفهم حملة قادمة من حضرموت تحمل بضائع من أقمشة وسيوف ورماح وسكاكين لمبادلتها في نجران ووادي الدواسر بالملح والتُّمور الجيدة؛ ومع محاولة هاليفي إقناع دليله بمواصلة الطريق بمفردهم، إلا أنه أصرَّ على مرافقة هذه الحملة، وهو ما أوقع الرَّحالة في حرج مع هؤلاء الذين يصفهم بالعجرفة والطمع والغدر والصَّخب، وفوق ذلك فهم يكرهُون اليهود(٤)، لقد لقي منهم معاملة سيِّئة أذاقوه فيها صنوف الأذى، فشدُّوه من لحيته ووضعوا السِّكين تحت ذقنه والشَّفرة على صدره، ودفعوه نحو الأشجار الشَّائكة ممَّا ألحق به الأضرار، وزاد حنقه مع عدم مبالاة دليله الذي قابل ذلك بالقهقهة، «ومن المؤكد أنه كان سيسمح لهم بقطع رقبتي لو كان قد حصل على

(1) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.472.

(٢) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.٤٧٣. في تقرير حول بعثة أثرية، نجده يطلق عليه صفاة أخرى: «قامته قامة هرقل وملامحه كلها أوروبية ... طبيعته متناقضة مع مظهره الخارجي اللطيف فهو رجل قاس ومتشدد وهمجي»، ص١٦١.

(٣) فمثلاً نجد وليم بلجريف يوصي زملاءه من الرحالة والمستكشفين الأجانب بوجوب إيداع أجرة السَّفر لدى شخص ثقة قبيل الانطلاق، وعدم تسليمه لمرشد الرِّحلة إلاَّ بعد وصول الرَّحالة إلى هدفه بسلام، ومن ثَمَّ تسليمه رسالة ممهورة بختم وتوقيع الرَّحالة ليسلِّمها لذلك الشَّخص ويستلم المبلغ، انظر: صالح محمد السنيدي: بلجريف في جزيرة العرب، الرياض ٢٠٢٢م، ص٢٩.

(٤) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.474. في تقرير حول بعثة أثرية، يشير إلى أن دليله هو الآخر استولى على ما معه من مال وثياب، وأنه هدده بالقتل. ص١٦١.

أجـره مقدَّماً»، اسـتمرَّ الحال على هذه الوتيرة السَّـيِّئة ثلاثة أيَّـام دون انقطاع، «أيَّامٌ بدت لي على أنها سـنوات»، لم ينقذه منها سوى انفصالهم عن هذه القافلة الحضرميَّة الشَّرسـة كما يصفها، حيث اتَّخذت مساراً آخر يميل إلى الشَّمال باتجاه وادي الدَّواسر فيما يبدو، بينما سلك هو ودليله اتِّجاهاً يميل إلى الغرب(١).

يعرِّج بنا في أحاديث جانبيَّة تتعلق بأهالي حضرموت والتَّدين عند العرب، ومشاكل أخرى حول تعامل العرب من سـكان البادية مع المياه، وكيف أنهم قصيرو النَّظر لدرجة أنهـم لا يعرفـون كيف يدَّخرون لغدهم، ويدلل على ذلك بما حصـل لـه مع رفقاء دربه عندمـا نفد مخزونهم من الماء بعد يومين من سـفرهم، وكادوا يهلكون عطشـاً، لولا أنَّ إبلهم دلتهم على نبع ماءٍ مغطًّى بالحشـائش، بجانب جبلٍ مسـتدير في وسط الصَّحراء أنقذ حياتهم(٢).

٤- هاليفي في نجران

كان علـى هاليفـي ومرافقـه أن يسـرعا الخطى لدخـول نجران قبل حلـول أعياد اليهـود التـي يحرم عليهم فيها السَّـفر، فهذا يـوم الجمعة أظلَّ الرَّحالـة ومرافقه وهو يوافق اليوم الثالث من شـهر يونية، ويسـبق أعيادهم بثلاثة أيام لا يسافر فيها اليهود، ويصادف في هذا العام يومي الاثنين والثلاثاء، «لذلك لم يكن هناك وقتٌ نضيعه» حسب تعبيره، ويوضِّح لنا هاليفي مسوِّغات قرار الإسراع بالدُّخول إلى نجران أكثر: «كان من الضَّروري بأيِّ ثمن الدُّخول إلى نجران قبل غروب الشَّمس، حتى لا نبقى لمدَّة ثلاثة أيَّام في الصَّـحراء معرَّضـين للجوع والعطش، لأنه لا يحقُّ لي الذهاب إلى رفقائي في الدِّين وأنا بحالة السَّفر هذه خلال العطلات، فمن المؤكد أنهم كانوا سيعتبروها تدنيساً للأيَّام المقدَّسـة بشـكلٍ سـيِّء للغاية، وسـيغلقون الباب في وجهي؛ دفعتني هذه الاعتبارات إلى تسريع وتيرة الوصول إلى هناك قبل غروب الشَّمس(٣)».

في ظهر اليوم الثالث(٤) من شـهر يونية (٤ ربيع الأول ١٢٨٧هـ)، بدت لهما جبال

(١) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.٤٧٥. يحدد فيلبي المكان المتوقع الذي ترك فيه هاليفي دليله الأول، لكنه يقع في خطأ حينما يذكر أن هذه القافلة الحضرمية هي التي أنقذته بعد هروب مرافقه، خلافاً لما ذكره هاليفي بنفسه أعلاه، انظر: بنات سبأ ....، ص٤٩٤.

(2) Ibid, p.476-7.

(3) Ibid, p.476.

(٤) في الأصـل «اليـوم الخامسـ» لكن ذلك لا يتوافق مع مسـوغات اسـتعجال الدُّخول التي أشـار لها هاليفي، ويخالف التَّعاليم اليهودية التي تحرِّم السَّـفر يوم السـبت الذي يوافق اليوم الرابع وليس الخامس، وهو ما سنوضحه أكثر في الصَّفحة التالية.

نجران في الأفق، يصف المشهد أمامه بدقَّة، «شرعنا في اجتياز وادي حبونة الشَّهير الذي يشكل مدخل بلد نجران[١]»، هذا الوادي الضِّيق والمنحصر بين سلسلتي جبال غير منقطعة، عند الاقتراب منها انقسمت إلى صفَّين متوازيين، يفصل بينهما واد سعته من اثنين كيلو متر إلى ثلاثة يسمَّى في مدخله بالخضراء[٢]، هذا الوادي يضيقُ ويتَّسع بين هذه الجبال، ويشكل في اتِّساعه واحةً صغيرة، وعلى ضفافه تنمو الأشجار المخضرَّة التي تُسعِد بنضارتها من أضناه التَّعب بعد سفر طويل في صحراء قاحلة؛ ويحتوي على برج حديث وبئر لا تنضب ماؤه، وعلى ذلك البئر يتزاحم أصحاب القطعان الضَّخمة لإروَّاء مواشيهم، كما تحتوي الصُّخور الموجودة على جانبي الوادي على بعض آثارٍ لنقوشٍ أكثرها ممحوة[٣].

حاول هاليفي إقناع مرافقه بحثِّ الخطى للوصول في الوقت المناسب بعد أن ارتووا من ذلك البئر، ومع أنه كان قاسياً وسريع الغضب، إلا أنه تفاعل مع طلب هاليفي، محاولاً التَّكفير عمَّا اقترفه بحقِّه عند تغاضيه عن إيذاء أولئك الصَّحب من الحضارمة له، وطلب منه الصَّفح والعفو معتذراً عمَّا حلَّ به، بتبريراتٍ قبلها هاليفي على مضض علَّه يصل به إلى نجران قبل حلولَ الظلام[٤].

كان توقيت الوصول إلى نجران مع غروب شمس يوم الجمعة ليلة السَّبت الموافق للثالث من شهر يونية، وليس اليوم الخامس الذي يوافق يوم الأحد[٥]، وهذا ما يتوافق مع النَّسق العام لوقائع الرِّحلة، ومع التَّسلسل التَّاريخي للأحداث، ومع تاريخ الأعياد اليهوديَّة لهذه السَّنة أيضاً[٦].

٥- نجران في منظور هاليفي:

كانت الشَّمس قد أوشكت على المغيب، وكان عليهما مسابقة الزَّمن لدخول المدينة كما أشرنا، فكان الحظُّ حليفهما، حيث اجتازا المدخل الضَّيِّق الثاني الذي أحاطت به

---

(١) يقع هذا الوادي شمال مدينة نجران، وهو من أكبر أوديتها بعد وادي نجران، وقد خصَّه عبد الله الهمداني مع المحافظة التي تحمل الاسم نفسه، بحيِّز ليس بالقليل من التَّعريف، انظر: خلاصة تاريخ نجران، ص٢٧-٢٨ هـ(١) والمصادر التي اعتمد عليها؛ آل مريح: نجران، ص٧٦.

(٢) هذا الاسم يطلق أيضاً على المنفذ الحدودي الدولي الذي يربط المملكة باليمن.

(٣) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.476.؛ تقرير حول بعثة أثرية ...، ص١٦١.

(4) Ibid, p.475-7.

(٥) تقرير حول بعثة، ص١٦١؛ Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.٤٧٦

(6) Halévy in the Yaman, p.121. H. Stj. B. Philby,

الجبال، ومنه إلى واحة نجران التي بهرت هاليفي بجمالها: «كدتُ أن أصرخ من شدَّة الإعجاب، فعلى مدِّ البصر كانت الأشجار والمساحات الخضراء، والقرى مختبئةً بين غابات النَّخيل الكثيفة ذات الارتفاع المذهل، وعلى ضفاف الوادي تظهر للنَّاظر الحقول الخضراء، وفي كلِّ النَّواحي تتجلى الرَّفاهية والوفرة(١)».

مع بداية تواري الشَّمس خلف الجبال، كان وصول هاليفي إلى قرية «مخلاف(٢)»، وفيها توصَّل إلى شقيقين يهوديَّين كانا يمارسان الخياطة، فأمضى معهما ليلة سيِّئة لم يستطع النَّوم فيها من لسْع البعوض، انتقل بعدها إلى بلدة أخرى هي قرية «رجلة(٣)»، التي تقع في المنطقة المقابلة للوادي، وسط غابة من النَّخيل كما هو الحال مع بقيَّة البلدات الواقعة على ضفاف هذا الوادي، وعرْض هذه البلدة يقارب الثلاثمئة متر(٤)، وفيها استضافه أحد أفراد طائفته من اليهود، يقول: «يومئذ كانت ليلة السَّبت ويتبعها مباشرةً عيد الحصاد عند اليهود، وبالتَّالي كان لدينا ثلاثة أيَّام عيد يتوقف اليهود خلالها عن العمل، فتوفَّر لي الوقت الكافي من الفراغ، لأستخلص من مضيفيَّ كلّ ما أتمنَّى من المعلومات(٥)».

يبدو أنَّ هاليفي قد وجد الجوّ المناسب وقدراً من الحريَّة جعلته يتحرَّك يميناً وشمالاً دون تقييد، لاسيَّما وقد قدَّم نفسه للمجتمع النَّجراني على أنه حاخام مقدسي، وهذا منحه نوعاً من الاحترام والثقة(٦)، نلمس ذلك من شهادته التي أدلى بها في تقريره عن أهل نجران: «وحرصاً منِّي على الصِّدق، لابدَّ لي من الإشارة إلى أنني كنتُ مخطئاً كلَّ الخطأ في الحذر من أهالي نجران الطيِّبين، فما من مكان في شبه الجزيرة العربيَّة يتمتَّع اليهود فيه بالاحترام والحريَّة أكثر من هذا(٧)»، وهو وإن ربط طيبة أهل نجران بحسن معاملتهم لليهود، فإنه يضيف مبرِّراً آخر جعله محلّ القبول والتَّقدير:

(1) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.479.

(٢) هي قرية في وادي نجران تقع في الجانب الشمالي للوادي للمتَّجه شمال شرق، انظر: الأدميرالية البريطانية: دليل الطرق في شبه الجزيرة العربية، ترجمة: عبد الله نصيف، نشرته دارة الملك عبد العزيز بالرياض٢٠١٥م، ج١ ص٤٩٥.

(٣) في خريطة أطلس المملكة العربية السعودية «رجلاء» بلدة قديمة تقع إلى الجنوب من منطقة نجران، انظر: آل مريح: نجران، ص٧١.

(٤) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.479؛ تقرير حول بعثة أثرية ...، ص١٦١. وهنا يتوقف هاليفي في «Voyage au Nedjran ..»، ونستمرُّ في تغطية استطلاعه عن نجران مع: تقرير حول بعثة أثرية.

(٥) تقرير حول بعثة أثرية ...، ص١٦٢.

(٦) رحلة الأسرار، ١٨٤

(٧) تقرير حول بعثة أثرية ...، ص١٦٢.

«وإنَّ ادِّعائـي بأنَّني حاخام من مدينةٍ القدس، قد جعلني أحصـل وبسـرعةٍ على رعاية العديد من علماء نجران الذين غالباً ما دعوني إلى منازلهم[١]».

مـع تقتـير هاليفي في البوح بما لقيـه من هؤلاء الأهالي، ونوع المواضـيع التي كانت تدور في مناقشـاته معهم، إلا أنه لَمَّح هنا إلى شـيء من هذه المواضيع التي كانت تدور في مجالسـهم، والتي تدلُّ على مسـتوىً ثقافي عالي، فبعد الموائد التي تقـام، يبدأ النِّقاش والحوار في «مسائل تاريخيَّة وجغرافيَّة وبالأخصّ في علم ما وراء الطبيعة[٢]»، دون مزيد من التَّفاصـيل، لكن نسـتطيع التَّخمين بمـا يمكن أن يدور، فهو بما يخـدم أهداف هذا الرَّحالـة من معرفة عن البلد وأهلها، ومحاولة التَّعرُّف على مسـتواهم الفكري ووعيهم السِّياسـي من خلالِ إدارته للحوار، وهو ما سيضـمِّنه تقريره لمنتدبيه بعد عودته. على أنه أبدى إعجابه بروَّاد هذه المجالس والمنتديات وما يتحلون به من أدب ومسـتوى علمي رفيع، مدللاً على ذلك بإحدى الشَّخصيات التي نالت إعجابه وشدَّت انتباهه، حيث كان متضلعاً بالأدب العربي وأريسطوطاليسيّاً متحمِّساً حسب تعبيره[٣].

كما وظَّف علاقاته هذه لإثراء بحثه واسـتطلاعه عن هذا البلد، ظهر ذلك جليّاً في حديثه عن أحد هؤلاء الذين زوَّدوه بمعلومات موثوقة عن «موارد البلاد، وعن العلاقات التِّجارية التي يقيمها الحاكم مع الشُّعوب المجاورة[٤]».

كنَّـا ننتظر من هاليفـي أن يزوِّدنا بمعلومات أكثر تفصـيلاً وعمقاً عن هذه المدينة وأحوالها السِّياسـيَّة والاقتصـاديَّة والاجتماعيَّة، لكن قد يكون تقريره السِّري الذي زوَّد به منتدبيه غنيّاً بهذا الشأن، ومع الأسف لم نستطع الوصول إلى هذا التَّقرير السِّري مع بذلنا جَهداً ليس بالقليل، ويبدو أنه لم يرَ النُّور بعد.

يشـير إلى أنَّ التَّسـامح والائتـلاف كان هو السَّـائد بين فئات المجتمـع النجراني، وبخاصَّـةٍ مع الأقليَّة اليهوديَّة المقيمة في نجران[٥]، «فبحسب ما يقوله علماء هذا البلد،

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه

(٣) المرجع نفسـه، ص١٦٢؛ Halevy, J., Rapport une mission, p. 38. ؛ مجدي صـالح: رحلة الأسرار، ص١٨٠. وهذه الشخصية أسماها: القاضي محمد بن لغة أو لوجا Lougha، وهو أحد مستشاري رئيس الدولة المكرمي، ويسـكن في قرية القابل. وأرسْطوطاليسـيّاً: نسـبة إلى الفيلسـوف اليوناني أرسـطو الذي عرف بالمعلم الأول، وهو تلميذ أفلاطون ومعلم الإسـكندر الأكبر، ويعدُّ مؤسِّـس مدرسـة الفلسفة المشائية والتقاليد الأرسطيَّة، وواحد من عظماء المفكرين، انظر: مصطفى غالب: أرسطو، القاهرة ١٩٩٥م.

(٤) تقرير حول بعثة أثرية ...، ص١٦٢. ويقصد به محمد بن لغة نفسه.

(٥) ومع أنَّ اليهود لا يسمح لهم بتملك المنازل بنجران إلا أنهم يتمتعون بمعاملة استثنائية تتمثل بإعفائهم من دفع الآجار، انظر: مجدي صالح: رحلة الأسرار، ص١٥٥.

لا يوجد في العالم سوى ذرِّيتين شريفتين، الأولى ذرِّيتهم أي ذرِّية إسماعيل الحقيقيِّين، والثانية متمثلةً بذرِّية إسحق، أي الشَّعب اليهودي[١]».

أمَّا عن الوضع السِّياسي فلم يفدنا بشيء ذي بال، سوى الإشارة إلى أنَّ حاكم نجران ورئيس الدَّولة حين وصوله كان هو المعروف بالمكرمي، وأنه يسكن في بلدة بدر[٢].

كنتُ أبحث في سجلات هذه الرِّحلة التي قام بها هاليفي إلى هذا الإقليم، ونشرها على عدَّة مباحث في المجلة التي أشرنا لها من قبل وفي تقرير رحلته، متوقِّعاً أن أجد فيها إضافات جديدة، وأضواء كاشفة لحياة سكان نجران الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة وعادات أهلها وتقاليدهم، وما يدور فيها من أنشطة حياتيَّة وما يجري فيها من أحداث، كعادة الرَّحالة الذين جابوا شبه الجزيرة العربيَّة، وأثروا سجلّ رحلاتهم بمعلومات قيِّمة ودقيقة عن تفاصيل الحياة اليوميَّة، لكن هاليفي لم يُولِ هذه الجوانب من اهتماماته الكثير، وعند استعراض ما كتبه نجده لا يخرج عن إشارات ولمحات موجزة، لا تشبع نهم المتطلع لوجبة دسمة من متجوِّلٍ في ربوع هذه الدِّيار، في حقبة شحَّت فيها مصادرها وصمت مؤرِّخوها عن كثير من تفاصيل تاريخها، وكان بإمكان رحَّالتنا أن يزوِّدنا بصورة عمَّا يجري بهذه المدينة منٍ وقائع وأحداث، لاسيَّما وقد تيسَّرت له الوسائل والسُّبل. ومع ذلك لم يخلُ الأمر من فائدة، فقد وجدنا بعض الإشارات المهمَّة والأخبار المفيدة، عرضنا لها في بحثنا هذا، وسنحاول تحليلها فيما تبقَّى من صفحات الدراسة.

٦- أمَّا حديثه عن آثار نجران:

فهو يتَّسم بحضور شخصيَّة هاليفي، واستنتاجاته التي قد نوافقه عليها وقد نختلف معه، فهو يقرِّر أنَّ اليهوديَّة والنَّصرانيَّة لم تترك أثراً يدلُّ على وجودها في نجران، وأنَّ بعض النُّقوش القليلة التي عثر عليها لها طابع وثني، في حين أنَّ المكان الوحيد الذي يمكن أن يكون له بعض الأهميَّة للتَّاريخ الكنسي هو الجامع الواقع شرقي آثار المدينة القديمة[٣].

ويعرض لما يتداوله النَّاس بشأن هذا الجامع، فهو على رأي قد بُني على قبر عبد الله بن ثامر Tamir المبعوث الأول للمسلمين إلى هذا البلد، بينما يرى آخرون ويشير إليهم بعلماء نجران، بأنَّ أصل هذا الجامع يعود بناؤه إلى قدِّيسٍ عاش في عصر ما قبل

---

(١) تقرير حول بعثة أثرية ...، ص١٦٢.
(٢) انظر عنها ما سجله الهمداني: خلاصة تاريخ نجران، ص٢٢-٢٣ هـ(٢)؛ آل مريح: نجران، ص٧٤.
(٣) تقرير حول بعثة أثرية ...، ص١٦٢.

الإسلام، ومن الممكن أن يكون هو قبر الحارث حاكم نجران النَّصراني[١]، وهنا تظهر تخرُّصات هاليفي واعتماده على الرُّواة الذين زوَّدوه بمعلومات خاطئة، فعبد الله بن الثامر ليس مبعوث المسلمين إلى نجران، بل هو زعيم ضحايا محرِّقة الأخدود، والجامع المذكور بُني بأمرٍ من عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أرجح الرِّوايات[٢].

على أنَّ الاكتشاف الأهمّ في رحلة هاليفي إلى نجران، هو ما يتعلق بـ الأخدود[٣]: «ها قد تكللت جولاتي باكتشاف خرائب نجران حاضرة المنطقة، والتي يسمِّيها العرب حاليّاً مدنية (الخدود)، وهو لفظ خاطئ لمدينة (الأخدود) التي يرد ذكرها في القرآن، والتي أخطأ المفسرون في اعتبارها مدينة نجران نفسها»، ويوحي لنا بجهل أهاليها بما جرى فيها من أحداث سابقة تتعلق بوحشيَّة الملك الحميري ذي نواس ذو الدِّيانة اليهوديَّة، والذي اتَّهمه بعض مؤرِّخي العصور الوسطى بإلقاء عشرين ألفاً من النَّصارى في أتون نارٍ مضطرمة[٤].

يبدو أنه سيتَّخذ من عدم معرفة هؤلاء الأهالي بذلك مدخلاً لإنكار الحدث ذاته، أو تبرئة هذا الملك اليهودي من تبعته، حيث حاول إنكار المذبحة المذكورة في القرآن الكريم، وفي النُّصوص القديمة التي تعود إلى حضارة جنوب شبه الجزيرة العربيَّة، إلا أنه لقي معارضة عددٍ من معاصريه على رأسهم إدوارد جلازر[٥].

---

(١) المرجع نفسه، ص١٦٢؛ .Halevy, J., Rapport une mission, p. 40

(٢) انظر: حمد الجاسر: «في بلاد نجران: على أطلال الأخدود»، فصلة من مجلة العرب، عدد ذو القعدة والحجة سنة (١٤٠٢/١٩٨٢م)، ص٣٢٤. ويرى المحكِّم ـ مشكوراً ـ أنها ربما كانت كنيسة: « الأرجح أنها بيعة (كنيسة) أمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتحويليها إلى مسجد، فقد ورد في مصنف ابن أبي شيبة – ٤٨٦١ «:حَدَّثَنَا أَبُو بَكرٍ قَالَ :حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ يُوسُفَ، عَنْ حُمَيْد، عَنْ بَكْر، قَالَ كَتَبْتُ إِلَى عُمَرَ مِنْ نَجْرَانَ :لَمْ يَجِدُوا مَكَانًا أَنْظَفَ وَلَا أَجْوَدَ مِنْ بَيْعَة فَكَتَبَ :انْضَحُوهَا بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَصَلُّوا فِيهَا «ج١، ص ٤٢٣. وبقايا هذا البناء موجودة اليوم بالقرب من رحى الأخدود .أما حمد الجاسر رحمه الله فقد اعتمد على ما ورد في معجم ما استعجم » :الأخدود الذي ذكره الله تعالى، كان في قرية من قرى نجران، وهي اليوم خراب، ليس فيها إلا المسجد الذي أمر عمر بن الخطّاب ببنائه » .ج٥، ص ٤٢٠ ". والموضوع يحتاج إلى دراسة وبحث متعمق لا يتسع لها الحيِّز المخصص في موضوعنا هذا.

(٣) يراجع بشأنها: حمد الجاسر: «في بلاد نجران»، ص٣٢١-٣٢٥.

(٤) تقرير حول بعثة أثرية ...، ص١٦٢.

(٥) جيوم شارلو وكرستيان جوليان روبان: «من سبأ إلى صنعاء: البحث الأثري الفرنسي في اليمن حتى عام ٢٠١٢م»، المنشور على النت: https://books.openedition.org/cefas وجلازر هو المستشرق النمساوي الشهير، الذي قدم إلى اليمن أربع مرات في الفترة ما بين (١٨٨٢م و١٨٩٤)، بدعم مالي من الأكاديمية الفرنسية أولا، ومن ثم الأكاديمية البروسية. لكن جلازر لم يتمكن من دخول منطقة الجوف الغنية بالآثار القديمة، ومع ذلك فقد عاد من رحلاته المتعددة لجنوب الجزيرة العربية بكميات كبيرة من النقوش التي تعود إلى حضارة جنوب شبه الجزيرة العربية، وبمئات من التحف الأثرية والمخطوطات المحفوظة اليوم

يشــير هاليفــي إلى أنه عند مغادرته لنجران، اكتشــف بالصُّــدفة عظاماً بشــريَّة بالقــرب من أحــد تلك الأكواخ، يُحتَمل أنها تنتمي إلى الحقبة السَّــبئيَّة حيث كان هؤلاء يدفنون موتاهم بعيدًا عن التَّجمعات السُّكانيَّة، كما كانوا معتادين على إقامة منازل فوق المقابر من أجل حمايتهم من الضِّباع وغيرها(١).

اســتطاع هاليفي استنساخ ثلاثة عشر نقشاً في نجران وتوابعها(٢)، منها أحد عشر من الأخدود، وواحد من الخضراء(٣) وآخر من الكبيبة(٤)، وهو عدد قليل مقارنةً بمناطق أخرى زارها في طريق رحلته الطويل، لكنه لم يعلل لنا سبب ذلك. وقد فصَّل لنا نوع هذه النُّقوش وماهيَّتها(٥)

٧- علاقة نجران بالدَّعوة الإصلاحيَّة في نجد:

في إشارة مبهمة يشير هاليفي إلى علاقة نجران بوسط الجزيرة، فقد كاد أن يمدَّ أفق رحلته إلىً وادي الدَّواســر مستشــرفاً أمر الدَّولة السُّــعوديَّة التي تتَّخذ من الرِّياض لها عاصمة، وفي سبيل هذا المشروع توصَّل إلى بعض الأشخاص المنتمين إلى الوادي من المقيمــين في نجــران وتعرَّف عليهم(٦)، لاســيَّما وأنَّ لهم علاقــات تجاريَّة مع نجد، ومع أنه لم يفصــح لنا عمَّا اســتفاده منهم فيما يتعلق بهذه الصِّلات التِّجارية، إلا أنه تطرَّق إلى الدَّعوة الإصــلاحيَّة التي ســمَّاها بـ«فرقة الوهَّابيِّين»، وهي التي يعنيه أمرها ويعني موفِدِيه الفرنسيِّين، الذين اهتمُّوا بها منذ نشأتها وفي مراحلها اللاحقة(٧)، ويستغرب أنَّ

في المتاحــف الأوروبية الكبرى. للمزيد: انظر بالإضــافة إلى البحث أعلاه: بدوي: موســوعة المستشــرقين، ص١٨٦-٧؛ العقيقي: المستشرقون، ٢/٢٨١.

(١) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.272. ومع الأسف لم يحدِّد لنا مكانها.

(٢) انظر: Halevy, J, Rapport sur une mission, pp.62, 90-1.؛ تقرير حول بعثة أثرية، ص١٧٧، ١٨٦-٧.

(٣) ويقصــد بها البلدة التي تقع على ضــفاف هذا الوادي، وهي بلدة قديمة فيها بعض الآثار، انظر: آل مريح: نجران، ص٧٥.

(٤) تقريــر حــول بعثة أثرية ...، ص١٧٧. هــي بلدة ورد ذكرها عند الهمداني في صــفة جزيرة العرب، تحقيق: محمــد الأكــوع الحوالي، صــنعاء ١٩٩٠م، في عــدة مواقع مــن كتابه، ويبــدو أنها حملت نفس المسمَّى في عــدة أماكن، انظــر: ج١ الصــفحات: ١٣٠، ٢٢٧، ٢٣٥. وقد وردت عند هاليفي بقــراءة أخرى «القبيبات» وهــو الأصــوب فيمــا أراه، ويذكــر أنهــا تقع على ضــفة الــوادي اليمنــى بالقرب مــن بلدة القابــل، انظر: Halevy, J, Rapport sur une mission, p.91.

(5) Ibid, pp.90-1.

(٦) يذكر الزميل الدكتور علي النصــيف، أنَّ لديه وثيقة تفيد بأنَّ جدَّه كان أحد أولئك الذين نصــحوا هاليفي بعدم الذهاب إلى وادي الدواسر خوفاً عليه، لأنه غريب وغير مسلم.

(٧) يراجع ما ذكرناه في كتابينا: رحالة إســباني في مكــة المكرمة ...، الرياض ٢٠٢٢م ط٢، ص٩٦-٧؛ بلجريف في جزيرة العرب، ص٢٣٠-٢.

محدِّثيه من هؤلاء لم ينظروا إليها على أنها مذهب مختلف عن بقيَّة المذاهب الإسلاميَّة، خلافاً لما توصَّل إليه من معلومات، حاول تأكيدها باللجوء إلى ما يراه زملاؤه بشأنها، فقد عرض رؤيته عنها على جوارماني الذي أشار إليه على أنه القنصل الفرنسي في عدن[١]، وأنه سبق وأن زار نجد، وتعرَّف على هذه الدَّعوة عن قرب، «فلم يتردَّد السَّيد جوارماني في أن يقول لي: إنَّ خبراته الشَّخصيَّة تتطابق مع أفكاري ... فمن جهتي، فإني مازلتُ مصرّاً على وجود مذهب وهَّابي ما لم يبرهن على العكس[٢]»، ويحيل على ما كتبه بلجريف بشأنها ويعتبره هو القول الفصل، وقد توقَّفنا عند أفكار هذا الأخير المتشنِّجة حول الدَّعوة والدَّولة السُّعوديَّة بالعرض والنَّقد والتَّحليل، في كتابنا عن رحلة بلجريف لوسط الجزيرة العربيَّة وشمالها[٣].

يحاول أن يقيِّم الدَّعوة الإصلاحيَّة من منظوره الشَّخصي، فهي تمثل المذهب المتشدِّد[٤]، الذي يعتنقه عددٌ كبير من القبائل في نجران، خلافاً لما هو سائد وهو المذهب الحنفي، ويصل إلى القول: «وبشكل عام، فإنَّ العرب يطلقون أحكاماً خاطئة على العقائد الدِّينيَّة المخالفة لعقيدتهم، فيميلون دائماً إلى اعتبار أيّ اختلاف بسيط في المذهب ديانةً مستقلة[٥]»، ويحاول أن يسقط نظرتهم هذه على أهل نجرانٍ في تناقضٍ غريب وتعميمٍ فجّ[٦].

٨- الرَّحيل

لم يطل المقام بهاليفي في نجران، فقد عرفنا تاريخ وصوله إليها وهو مساء يوم الجمعة ليلة السَّبت للثالث من شهر يونية سنة (١٨٧٠م) الموافق للسَّادس من شهر ربيع الأول سنة (١٢٨٧هـ)، ممَّا يعني أنَّ مكوثه فيها كان بحدود الشَّهرين، فهو يخبرنا

(١) هو رحَّالة إيطالي زار الجزيرة العربية وصال وجال في نجد، كان مهتمّاً بالخيل وأنواعها وأصبح خبيراً بها، توَّج رحلاته تلك بسجل حافل ترجمه بطرس رزق الله، ونشرته دار الوراق سنة ٢٠١٥م تحت عنوان: نجد الشمالية: من القدس إلى مدينة عنيزة في القصيم. انظر ترجمة كارلو جوارماني في نفس الكتاب ص١٣-٦٦. وسنناقش لقاء هاليفي بجوارماني لاحقاً.

(٢) تقرير حول بعثة أثرية ...، ص١٦٣.

(٣) يراجع السنيدي: بلجريف في جزيرة العرب، ص٢٣٠-٢.

(٤) ينسبها للمذهب الشَّافعي خطأً، فدعوة الشَّيخ ابن عبد الوهَّاب تعتمد على مذهب الإمام أحمد بن حنبل كما هو معروف.

(٥) تقرير حول بعثة أثرية ...، ص١٦٣.

(٦) الصَّفحة نفسها من المرجع نفسه، فيقول: «ومهما يكن، فإنَّ أهل نجران يُعتبرون في شبه الجزيرة العربية طائفة خاصَّة، تمارس إحدى وأربعين طقساً سريّاً فاحشاً ومستوحىً من المسيحيَّة».

أنــه كان في شــهر أغســطس قد وصــل إلى الجوف الأعلــى[١]، وهي مــدَّة كافية ليحقِّق فيهــا أهدافه، لكنه لم يوضِّــح لنا ســبب مغادرتــه ولا طريقته، هل كان بإرادتــه أم أنه أجبر على ذلك؟ وبخاصَّــة أنه كان يطمح لمواصــلة ســفره شــمالاً كما أشــار لذلك، من جهــة أخرى، لم يشــر إلىٰ ما كدَّر وجوده في نجران بل علــى العكس كان يؤكد على طيب العيش وتســامح أهلها معه، لكن رغم ذلك، أتوقع أنَّ السُّلطة في نجران كانت على وعيٍ بتحركاتــه واتِّصــالاته لاســيَّما في زيِّه المميَّز، فهل توجَّســت ريبةً في مســاعيه؟ مثلاً في تحريض الجالية اليهوديَّة في المدينة، ودفعها إلى التَّكتل والتَّحزُّب؟ ممَّا يؤثِّر على السِّلم الاجتماعي وتماســك المجتمع النَّجراني، الذي شــهد له هــاليفي نفسه بأنه مثاليّاً يسوده التَّسامح والتَّعاون[٢].

كان هــاليفــي متحفِّظاً بالحديــث عمَّا يجري في نجران في المدَّة التي أقام فيها، فلم يمدَّنا بشــيء ذي بال عن المجتمع ولا عن مكوِّناته ولا عــن العادات والتَّقاليد المتَّبعة، ولا عن الوضع السِّياسي السَّائد، ولا عن غيرها ممَّا يهمُّنا معرفته، اللهم إلا النَّزر اليسير، ويبدو لنا أنه زوَّد تقريره السِّري الخاصّ بمنتدبيه بكلِّ ذلك، وهو ما لم نستطع الوصول إليه كما ذكرنا، واكتفى بالحديث عن مهمَّته المعلنة، وهي رصد الآثار والنُّقوش ومعرفة وضــع الأقليَّــة اليهوديَّــة بالبلد، وقد خرج من نجــران متَّجهاً إلى وادي ســبأ عن طريق الجوف الأعلى، منهياً جولته التي وصلت لحدِّها الشَّمالي حسب تعبيره[٣]، وعاد أدراجه لاستكمال رحلته إلى صنعاء ومنها إلى بلاده.

رابعاً : هاليفي: مشاهدات وانطباعات

عرضــنا لبعض من مشــاهدات هاليفي فيما ســبق من حديث، وهنا نضيف المزيد ممَّا أورده بســجلِّ رحلته في مناســبات متفرِّقة، مقرونةً بانطباعاته الشَّخصــيَّة كرجلٍ غربّي يزور مجتمعاً شــرقيّاً له عاداته وتقاليده الخاصَّة، والتي تتَّصف بالعموميَّة بحيثُ أنها تنطبق على مجتمع نجران، وعلى غيره من المناطق التي زارها في جنوب غرب شبه الجزيرة العربيَّة.

(١) تقرير حول بعثة ...، ص١٦٣؛ فيلبي: Halevy in the Yaman, p. 117

(٢) تقرير حول بعثة أثرية ...، ص١٦٢.

(٣) المرجع نفسه، ص١٦٣.

١- أوَّل مـا لفت نظره وضـايقه عند وصـوله، هو التَّحسُّـس مـن الأوروبيِّين، وتجمهر الفضوليِّين حول سكنه في صـنعاء للتَّعرف على هذا الزَّائر الغريب، حيث أمطروه بوابل أسئلتهم، من أين جاء وما هي مهمَّته، هل هو انجليزي أو مبشِّر بروتستانتي؟ ثم احتدَّ النِّقاش وتمادى سـفهاؤهم بالسَّـب والشَّـتم ونادوه بـ«الكلب الكافر»، ثم تطـوَّر الحال إلى رشـقه بالحجارة، وهنا قـرَّر أن ينتقل إلى الحـيِّ اليهودي بحثاً عـن الأمـان، فلجـأ إلى بيت الحاخام الـذي أحاطـه بالرِّعاية والعناية وسـهَّل له مهمَّته بتوصـياته وتدخُّله الشَّخصـي[١]، ويعلل هذه الحساسية من الأجانب بأنها تعود إلى تخوُّفاتهم من الاسـتعمار، فعندما يريد استنسـاخ نقش فلابدَّ من توخِّي الحذر الشَّـديد، والتَّردد مرَّات لاستكمال نسخه حتى لا يراه العرب كما يسمِّيهم، ويُرجِع ذلك إلى اعتقادهم بأنَّ هذه الأشياء مهمَّة، وعندما يتعرَّف عليها الأجانب، فسيطمعون بالبلاد ويحتلونها بسهولة[٢].

٢- يفيدنا بضعف التَّدين لدي شعوب هذه المنطقة، مع أنَّ الإسلام هو سرُّ قوتهم، فلم يجد ذلك الحماس الذي يتميَّز به الأفارقة من الاهتمام بالقرآن الكريم والصَّلاة وغيرهـا من فروض الإسـلام[٣]، ومع ذلـك، يؤكد على أنَّ الدِّين هو كلُّ شـيء في حياتهـم، فالنَّاس تفضِّـل التَّعامل مع رجـل تقيٍّ على التَّعامل مع غـير المتديِّن[٤]، كما أنَّ لليهود مدارسـهم الخاصَّـة التي يتعلَّم فيها أطفالهـم مبادئ دينهم باللغة العبريَّـة ملحقـةً بكنيسـهم، ويشـير إلى أنَّ كلّ اليهـود في هذه النَّواحـي يجيدون القراءة والكتابة[٥].

٣- أعطـى مسـاحةً كبـيرةً للحديـث عن اليهـود في كلِّ محطـات رحلتـه وفي نجران أيضـاً، ووضـعهم في بؤرة اهتمامه، وذكر أنهم يمارسـون مهناً مختلفة، ولذا فهم يتمتَّعون بنوع من التَّسامح نظراً للحاجة إلى السِّلع التي توفِّرها الصِّناعة اليهوديَّة للاسـتهلاك الحضـري، والتـي تمتـاز بأنهـا أرخص ثمناً مـن تلك التـي تأتيهم مـن الخارج[٦]؛ ويعرضـ هاليفي للمهن التـي زاولها اليهود في هـذه الجهات من

(1) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.18-19.

(٢) نفسه، ص٢٤.

(٣) نفسه، ص٥٨٨.

(٤) تقرير حول بعثة أثرية، ص١٧٠.

(5) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.598.

(٦) نفسه، ص١٨.

شـبه الجزيرة، ومع المبالغة التي وقع فيها بأنَّ «شـبه الجزيـرة العربيَّة تدين بكلِّ صـناعاتها لليهود»، إلا أنَّ هناك العديد من المهن والحرف التي اقتصـر امتهانها عليهم، منها صناعة الأسلحة والأواني النُّحاسيَّة وصياغة الذَّهب والخياطة وعمل الأحذية والدِّباغة والصِّـباغة وأعمال الخـزف، وكذلك الأعمال الحرفيَّة الأخرى مـن بناء ونجارة وحدادة وغيرها، فبعد أن كانـوا مزارعين تحوَّلوا إلى هذه المهن بعـد أن مُنعوا من مزاولتها[١]، لكنهم في نجران يعملون في رعي المواشـي أيضـاً، ولهم نشـاطهم الحرفي عالي المسـتوى، ويتحلون كسـائر سـكان نجران بالسِّـلم والهدوء، ولذا فهم يعاملون بالحسـنى، ولهم مسـاحة من الحريَّـة والحقوق التي تساويهم بالقبائل[٢].

مـن تلك المهن التي يتعاملون بها كانت تحضـير الجير، وهنـا يحمِّلهم هاليفي مع غيرهم مسـئوليَّة فقد الكثير مـن النُّقوش: «يجب أن أعبِّر عن الأسـف، لأنَّ كميَّة لا حصـر لها من الأحجـار ذات النُّقوش فُقـدت إلى الأبد لعلم الآثـار، لأنَّ هؤلاء الصِّـناعيِّين الجاهلـين يرمون بشـكل عشـوائي في الفـرن جميع أحجـار الحجر الجـيري التـي يمكنهم العثـور عليها، ومن المعـروف أنَّ هذه الأنـواع من الأحجار يفضلها القدماء لنقش قصَّة ما أو شاهد تذكاري[٣]».

٤- في علاقة السُّـكان المحليِّين باليهود، يلحَظ هاليفي خشيتهم منهم وتعاملهم معهم بحذر، ويفسِّر ذلك بخوفهم من العين، «يعتبر العرب اليهود على دراية جيِّدة بعلوم السِّحر والتَّنجيم، فهم يرون أنَّ نظرتهم خطيرة بشكل خاصّ عندما يرمونها بنيَّة معادية»، ويعلق بأنَّ هذه الخرافة هي واحدة من أفضـل الضَّـمانات لوجود اليهودِ ضـدَّ الوحشـيَّة العربيَّة، فمن لديه النِّية في إسـاءة معاملة يهودي فسيردعه خوفه من حقـده وانتقامه، ولذا فهو يتجنَّب مقابلة هذا الشَّـخص، وعندما لا يسـتطيع ذلك يسـعى إلى التَّصـالح معه[٤]، وفي موقع آخر، يقول: «الشَّـخص الذي يرتكب

(١) نفسـه، ص٥٩٨. ويعزو هاليفي هذا المنع من ممارسـة مهنة الزراعة، بأنها حرِّمت عليهم من قبل الناصر (عبد الله بن الحسن ١٨٣٦-١٨٤٠م) أحد خلفاء الإمام المهدي عبد الله بن أحمد (١٨١٦-١٨٣٥م) الذي تولى حكم اليمن، وكان يكره اليهود لأمور أنكرها عليهم تتعلق بسلفه المهدي الذي قرَّبهم كثيراً، وهو الذي فرض عليهم مثل هذه القيود، نفسه، ص٢٧.

(٢) مجدي صالح: رحلة الأسرار، ص١٧.

(3) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.255.

(٤) نفسـه، ص٢٦٦. فمثلاً: في طريقه إلى نجران أراد أن يحلَّ ضـيفاً على أحد الموسرين العرب، فصرفه هذا ورفض اسـتقباله، ويعلل هاليفي ذلك بأنَّ هذا الرجل خشـي أن يصـاب بالعين الشـريرة، فإذا كان لديه بقرات ستلد فإنه يخاف أن تُسقِط ما في بطنها إن رآها يهودي، انظر: تقرير حول بعثة، ص١٥٠.

عملاً سيِّئاً ضدَّ أيِّ يهودي يصبح معذَّب الضَّمير، ويخاف نقمة اليهودي أو نقمة أحد أتباع ذلك الدِّين لئلا يصيبوه بأذى[١]».

٥- ـ أمَّا العرب، فقد كان انطباعه عنهم يشوبه التَّعصب والتَّصوُّرات المسبقة للرَّحالة الأجانب، فهم أطفال كبار، وكلمة المديح لها تأثيرها ووقعها على أحدهم، وبخاصَّة حينما تلامس جانب الضَّعف لديه[٢]، كما أنهم قصيرو النَّظر لدرجة أنهم لا يعرفون كيف يدَّخرون للغد، فعندما يتزوَّدون بما يكفي من المؤن ومياه الشُّرب، فإنهم يستخدمونها بإسراف لدرجة استنزافها دون التفكير بالمستقبل، ويدلل على ذلك بواقعة حصلت معه وهو برفقتهم في إحدى محطات سفره أشرنا لها سابقاً[٣].

٦- يعرض هاليفي لطبيعة علاقة القوى المحليَّة ببعضها، فهناك تحالفٌ دائمٌ بين قبائل يام في نجران وذو حسين ومحمد، لكن هذا التَّحالف لا يخلوا من مصادمات عسكريَّة فيما بينهم يسقط فيها ضحايا. ويتَّهم الأشراف بإثارة الخلافات الدَّاخليَّة وتغذيتها وإعطائها لوناً دينيّاً، مبرِّراً ذلك بحصولهم على نصيب كبير من غنائم الحرب من ناحية، وتقاضيهم مرتَّباً كمستشارين ووسطاء صلح، ولذا فالحرب بالنِّسبة لهم تُعتَبر مصدر ثروة يسعون إلى جعلها لا تنضب[٤]. ويعرض للإقطاعات والامتيازات التي يتمتَّع بها الأشراف، وكيف يديرون الحروب لمصلحتهم لأنَّهم يستفيدون من عقود الصُّلح وغيرها، ويعرِّج على مكانتهم وتكاثرهم بشكل ملفت، حاملاً عليهم متَّهماً إيَّاهم بعمل العصابات، لكنَّه من ناحية أخرى، يعترفُ بدورهم في نشر الإسلام في إفريقيا، وتأسيس كيانات لحمايته وحماية أتباعه[٥]، أمَّا المكارمة فقد مرَّ على ذكرهم بإيجاز شديد، وأشار إلى أنَّ سلطتهم وصل نفوذها إلى نواحي الحديدة زمن رحلته[٦].

(١) تقرير حول بعثة، ص١٥٠-١.

(2) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.265.

(٣) نفسه، ص٤٧٦.

(٤) نفسه، ص٥٨٩. ويضع رقماً لهذه المرتبات التي تصل إلى عشرين ريال (حوالي ١٠٥ فرنك)؛ ويحمل على هؤلاء الأشراف الذين منهم العمد، بأنهم يُحضون باحترام كبير، ولذا فهم يستغلون هذه المكانة بالتأثير الكبير على البادية على الرغم من سلوكهم السَّيء. (نفسه، ص٥٨٨).

(5) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.589-591.

(٦) تقرير حول بعثة أثرية، ص١٤٤. المكارمة قدموا إلى نجران من اليمن، ولهم مكانة دينيَّة وسياسيَّة في نجران بين أتباعهم ومؤيِّديهم، ويرجعون في نسبهم إلى قحطان، وعند وصول هاليفي إلى نجران كان حسن بن إسماعيل من آل شبام هو الذي كانت له المكانة والنفوذ، انظر: فؤاد حمزة: في بلاد عسير، ص١٧٢-١٧٥؛ تركي الماضي: مذكراته، ص٤٢١.

٧- يصنِّف المجتمع في هـذه البلاد التي زارهـا إلى فئات ثلاث: فئة الأشـراف التي أشرنا لها، وفئة النُّبلاء أو الوجهاء الذين «يشكلون طبقةً مدنيَّة تشبه إلى حدٍّ بعيد أسـياد العصور الوسطى، فهم أصـحاب الأرض والممتلكات غير المنقولة الموجودة في المنطقـة، ولديهم حقولهم التـي يزرعها عبيدهم أو رعاياهـم الذين يتنازلون لهـم عـن جزءٍ مـن المحصـول[١]»، قلة قليلـة من هـؤلاء يقومون بأعمـال يدويَّة، وآخـرون يتاجرون ويقـودون القوافل، وفي حالة عدم وجود وسـائل أخرى للعيش، يشـنُّون الغارات ضدَّ القبائل المجاورة، ليسـتولوا على قطيع من الخيول أو الأبقار أو الحيوانـات الأخرى. هذه العمليَّة الأخيرة تحتاج إلى مجهود خاصّ من التَّحرِّي والمراقبـة قد تصـل لعدَّة أيَّام أو عدَّة أسـابيع، يعاني أثناءها هـؤلاء المغيرون من الجوع والعطش، على أنَّ النَّجاح قد يكون حليفهم في حالة وجود راعٍ واحد للقطيع، لكن بوجود مجموعة منهم، فالأمر يحتاج من هؤلاء الغزاة إلى تغيير خطتهم، إمَّا بالمباغتة ليلاً أو المغامرة التي قد تصـيب؛ على أنَّ حصـول أحدهم على مبتغاه قد يجعل منه ثريّاً، ويصـبح مشهوراً في قبيلته ويتغنَّى الشُّعراء بمدحه، فكلُّ الوسائل مشـروعة ضـدَّ خصـم من المفترض أن يكون قادرًا على الدِّفاع عن نفسه[٢]؛ لكن هناك ملامح تنمُّ عن روح الفروسيَّة وتقاليدها الفذَّة، فقتل الأعزل أمرٌ مرفوض، يدخـل في هذه الفئة النِّسـاء والرِّجـال الذين لم يجروا بعد عمليَّـة الختان، حيث تعتبر هذه العمليَّة بمثابة أوَّل اختبار للرُّجولة والشَّـجاعة، والدُّخول الرَّسـمي إلى حياة المحاربين، وإذا لم يجرؤ الفتى على إجرائها في سـنِّ النُّضج فسيعتبر جبانًا، ويصبح المساس به تدنيسًا لمكانة الخصم، ويدخل في هذه الفئة اليهود «الذين يبدو وكأنَّهم وُلِدوا لتلاوة المزامير وإقامة المناظرات حول ما ينبثق عن الفيض الإلهي»، فقتـل اليهودي ليس مدعـاة للفخر أمام الآخرين، بل عليه أن ينتظر انتقام حُماته من الأسياد، «وهكذا ينجو اليهودي بجلده مقابل الازدراء الذي يثقل كاهله[٣]».

تأتـي الفئـة الاجتماعيَّـة الثالثـة بالتَّرتيب ويسـمِّيهم بـ القرويِّين، ويقصـد بهم المزارعـين ومـن في حكمهم من رعاة الماشـية، هـؤلاء يتمتَّعون بمكانـة اجتماعيَّة متدنيَّة، وهم تبع لأسيادهم، ويحتاجون للجيرة[٤] لحفظ حقوقهم ودمائهم، وعلى

(١) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.591.؛ تقرير حول بعثة أثرية، ص١٥١-٢.

(2) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.589.

(٣) تقرير حول بعثة، ص١٥٢.

(٤) الجيرة: هي عُرفٌ قبلي تحمي بموجبه القبيلة وتجير من يلجأ إليها هارباً من بطش قبيلة أخرى أو شخص آخر، ويصبح في مأمنٍ من خصمه. انظر: آل مريحة: نجران، ص٣٩،٤١؛ قاموس المعانيّ حرف (ج) علّى الشبكة العنكبوتية.

الرّغم من تحرير الإسلامِ بعد وصوله لتلك الطبقات المضطهدة، إلا أنَّ بقايا النِّظام الاقطاعي ما زال متوارثاً من أيَّام الدَّولة السَّـبئيَّة، لكنَّ مجيء الإسلام حرَّر بعض القبائل المستعبدَة[1]؛ ويُلحق هاليفي اليهود بهذه الطبقة، فغالبًا ما يلجأ اليهودي إلى العديد من الحماة في الوقت نفسه، وهو اللجوء الذي تسمح له العادات العربيَّة بـه ليجد الأمان اللازم له، ويتحمَّل العبء الذي تتطلبه هـذه الحماية من تقديم خدمات متعدِّدة لسيِّده دون اعتراض، وفي المقابل يحصل على الحريَّة الدِّينيَّة دون مضايقةٍ، وممارسة العمل الذي يرغبه وتسمح به التَّقاليد المرعيَّة[2].

٨- كان انطباعـه عن مراعي شـبه الجزيرة العربيَّـة إيجابيّاً وغريبـاً حينما يقارنها بمراعـي ومـزارع أوروبـا، فهي قنوعةٌ مثـل سـاكنيها: «تكتفي بالحـدِّ الأدنى من الرُّطوبة لتنبت وتنتج، وتتعرَّض لأشـعَّة الشَّمس القاسية لمدَّة تسعة أشهر في السَّنة وتحارب الموت بشجاعة: قطرةٌ من النَّدى تُحيِيها وظلُّ السَّحاب يقوِّيها». أمَّا حقول أوروبـا فيشـبِّهها بحيوانات ابـن عرس، فهي بالـكاد تكافئ الرِّعايـة المقدَّمة لها حتى اللحظة الأخيرة، وعند أدنى تغيير في الغلاف الجوِّي يخسـرون محصولهم، وعلى العكس من ذلك في شبه الجزيرة العربيَّة، فالصَّحراء التي هجرها الرِّجال والسَّـماء على حدٍّ سـواء، لا تزال تُنتِج وتنمو فيها الشُّجيرات الشَّائكة التي تتغذَّى عليها قطعان لا حصر لها من الجِمالِ، فهي «ثروةٌ ثمينةٌ لا تقدَّر بثمنٍ للبدوي[3]».

٩- لم يولِ هاليفي اهتماماً بالنَّواحي الصِّحيَّة وكيفيَّة التَّشافي من الأمراض، وإن أشار إلى أنَّ أمراض الكبد متفشـيَّة بلا رحمة في الأراضـي المنخفضة، وتظهر أعراضه بفقدان مفاجئ للشَّـهيَّة والنَّوم[4]؛ وينتشـر البعوض والبراغيث والعقارب في هذه المنـاطـق، وهـي طاعون حقيقي للعـرب الذين ينامـون دائماً علـى الأرض، وليس لديهم سـوى حصيرة سيِّئة تحت أجسـادهم؛ ولذا كان استخدام الكيس للنَّوم هو الحلّ الأمثل لاتقاء شرِّها[5].

---

(1) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.592-3.

(٢) نفسـه، ص٥٩٣-٦. عرض فؤاد حمزة لتركيبة السُّكان في نجران عند زيارته لها سنة ١٣٥٢/ ١٩٣٤م، في بلاد عسير، ص١٧٥- ١٨٠.

(3) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.268.

(4) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.594.

(٥) نفسه، ص١٤. والكيس عبارة عن قماش قطني واسع وعلى مقاس صاحبها، يتمُّ حملها مطويَّةً على الكتفين أو مغطاة فوق رأس المرء للحماية من أشـعة الشـمس، ويهتم الأثرياء بتزيينه وتزويقه، ويفتح ليلاً ليختبئ فيه صاحبه ويحمي نفسه أثناء نومه من لدغات البعوض أو البراغيث أو العقارب. (نفسه، ص١٤).

١٠- كان حديثه عن العُمْلة السَّـائدة والمسـتعملة موجزاً، إذ أشار إلى أنَّ السَّائدة منها أو التـي يتعامـل بهـا النَّاس كانت هـي الرِّيال الفرنسـي (ماريًّا تيريـزا) والليرة العثمانيَّة[1] دون تفاصيل تذكر.

١١- لـو حاولنا التَّعرف على مصـادر معلوماته التي بثَّها في سـجلِّ رحلته، لوجدنا أنها تعتمد على المشاهدة واستقاء المعلومات من السُّكان المحليِّين وبخاصَّة اليهود منهم، «المعلومات التي أعطيها عن البلدان التي لم أزرها شخصـيًّا، تأتي بشَـكل أساسي من اليهود الذين تتحرَّك في وسطهم معظم قصَّتي، والذين يفوق مستواهم الفكري عمومًا مسـتوى إخوانهم من المواطنين المسـلمين[2]». لكنه بلا شـك كان يستخدم المصـادر التَّاريخيَّـة وكتابات زملائه مـن الرَّحالة في بعض المواضـع التي تحتاج لتوضـيح، كما اعتمد على الكتب المقدَّسة في المواضـع التي ورد لها ذكر فيها، مثل قضيَّة أصحاب الأخدود، عندما حل قصَّتها وحاول الخروج فيها برأيٍ يخصُّه.

١٢- هناك قضـايا ومسـائل لم تجد لدى هاليفي أيّ اهتمام، فلم نجد له ولو إشـارات تتعلق بالنِّساء ووضعهن الاجتماعي، مع أنَّ المرأة اليهوديَّة النَّجرانيَّة تلتزم بالدِّين والعادات والتَّقاليد والاحتشام الشَّديد في اللبس مثل بنات القبائل[3].

خامساً: بين هاليفي وحبشوش: اللقاء المجحود

عندمـا حلَّ هاليفي في صـنعاء برحلة ذات أهداف متعـدِّدة، كان عليه أن يبحث له عن دليل يسـاعده في أداء مهمَّته على الوجه الأكمل، فاستقرَّ رأيه على اختيار شخصيَّة لهـا معرفـة بالنَّواحي التي تسـتهدفها الرِّحلة من حيـث جغرافيَّتها ومسـالكها وكيفيَّة التَّعامل مع أهلها، وهو حاييم بن يحيى الذي اشتهر بحبشوش[4] (ت ١٣١٧هـ/١٨٩٩م) الذي كان له الفضـل في وصـول هاليفي لمناطق لم يصـلها رحَّالة أوروبي قبله كما يرى البعض[5]، بل يدَّعي حبشـوش أنه صـاحب الفضـل في انتسـاخ أغلب تلك النُّقوش التي

(1) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.6,7.

(٢) نفسه، ص٥.

(٣) مجدي صالح: رحلة الأسرار، ص١٨.

(٤) واسـمه كما ذكره بنفسـه في مذكراته التي كتبها: حاييم بن يحيى بن سـالم الفيحي، كان يشتغل في مجال صـناعة النُّحاسـيَّات ومهتمّ بالآثار ومتبحِّر بكتب الديانة اليهودية، وله معرفة بالناس وعلاقاته طيبة مع اليهـود في نواحي اليمن ونجران. انظر: سـامية صـنبر: مقدمة رؤيا اليمن، ص١٢؛ مجدي صـالح: رحلة الأسرار المدفونة، ص٤٠-٤٢؛ https://www.alayyam.info/news/7YLOICLH-BSWVYB-0F97

(٥) روبن بدول: الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، ص١٥٧.

اكتشفها هذا الرَّحالة، ذكر ذلك في كتاب وصف فيه أسفاره مع هاليفي والمهام التي أوكلها إليه، أسماه: ماسوت حبشوش أي رحلات حبشوش، بعد أن ألحَّ عليه جلازر[١] (Glaser) بكتابته عندما زار اليمن، والتقى بحبشوش بعد ذلك بأكثر من عشرين عاماً من رحلة هاليفي، ورأى أنَّ هاليفي غمطه حقَّه، حيث لم يشر إليه في كتاباته إلا بإشارات عابرة دون ذكره بالاسم إطلاقاً، حيث تجاهل هاليفي رفيق دربه ودليل رحلته حبشوشً، ومع أنَّ هاليفي لم يذكر اسم حبشوش، إلا أنه أشار بعدَّة مواقع من أحاديثه في رحلته هذه على وجود هذا المرافق والدَّليل، وإن كانت تلك الإشارات تحمل عبارات الازدراء أحياناً، مشيراً إلى أنه رافقه بغرض البحث عن قبور أجدادٍ له سكنوا الجوف[٢].

حاول حبشوش مدَّ جسورٍ التَّواصل مع هاليفي بعد مغادرته اليمن، وعندما لم يعرْه اهتماماً، أرسل له رسالةً مفتوحة موجَّهةً إلى رئيس تحرير مجلة كانت تصدر في مدينة القدس وتحمل ذات المسمَّى، ونشرها في تلك المجلة سنة (١٣٠٩هـ/١٨٩٢م)[٣]، طالب فيها بنوع من الاعتراف العلني من قبل هاليفي بأنه كان دليله وفيلسوفه وصديقه وناسخه خلالً تلك الرِّحلة، كما أظهر فيها امتعاضه من هاليفي، لتَجاهله للمساعدة التي أسداها له وامتدت طيلة مدَّة إقامته باليمن، كما حمل عليه لعدم وفائه بوعوده، ونسيانه الكامل ليهود اليمن بعد سفره، وعدم القيام بأيِّ شيء لتعليمهم من خلال إرسال معلم مستنير لهم، ووجَّه له انتقاده الشَّديد بسبب موقفه المتغطرس تجاه يهود اليمن وتشكيكه في أصولهم اليهوديَّة، وتجاهله الخدمة الكبيرة التي قدَّموها له[٤]؛ ولعلَّ اتِّهامات حبشوش لها ما يبرِّرها، فقد اشرأبَّت نفوس يهود صنعاء وتفاءلت في مقدم هاليفي خيراً للعمل على تحسين أوضاعهم السَّيِّئة، لاسيَّما وقد أبدى اهتمامه وبذل وعوده لهم في هذا الشَّأن، لكن هذه الوعود تبخَّرت ولم يفِ لهم بشيءٍ منها[٥].

لعلَّ الشَّيء المؤكد الذي اتَّفقت عليه كلا الشَّخصيَّتين هاليفي وحبشوش، هو عشقهما للنُّقوش القديمة واهتمامهما بمحتواها وتفاصيلها لدرجةٍ كبيرة، جعلتهما يخاطران

(١) الارياني: مقدمة رؤية اليمن، ص٦؛ سامية صنبر: مقدمة رؤيا اليمن، ص١٤-١٥؛ فيلبي: Halevy in the Yaman, p. 118. وقد سبق التعريف بجلازر.

(٢) الإرياني: مقدمة رؤية اليمن، ص٨.

(٣) لم يتمكن الدكتور جويتين من العثور على أيِّ رسالة من هذا القبيل في ملفات الصَّحيفة المذكورة في تلك الفترة حسب فيليبي:.Halevy in the Yaman, p. 118 ، لكن حبشوش ذكرها بنصِّها في مذكرات رحلته، انظر: رؤيا اليمن، ص٢٧.

(4) Yosef Tobi, An unknown…, p. 289

(٥) نفسه، ص٢٨٩.

بحياتهما من أجل استنساخها وإيصال محتواها لقرَّائهما، وهذا ما سنكتشفه عندما نستعرض ما دوَّناه.

كتب حبشوش روايته عن رحلته مع هاليفي بلغة عربيَّة ممزوجة باللهجة العاميَّة اليمنيَّة، وقد وصلتنا ضمن منشورات مركز الدِّراسات والبحوث اليمني، وبتحقيق سامية نعيم صنبر[١] بعنوان: رؤيا اليمن، ونشره ملخَّصاً باللغة الإنجليزية س. د. جويتن (Goitein) سنة (١٩٤١م)[٢].

عند استعراض ما سجله حبشوش في روايته يظهر لنا أنه قام بدور فاعل في هذه الرِّحلة، فلم يكن دليلاً ومرافقاً فقط، بل كان وسيطاً ومساعداً اعتمد عليه هاليفي في تسهيل مهمَّته، فهو يتواصل مع الجهات والأفراد في المناطق التي يحلون بها، ويرسم له الطريق، ويعتمد عليه في نسخ النُّقوش من مظانها، حتى وصل إلى القول: بأنه كان ينسخ له بالأجرة وهو مُؤْثِر للرَّاحة، ما عدا نقش بنات عاد الذي نسخه هاليفي بنفسه، أمَّا ما عداها فكان الفضلَ في نسخه يعود لحبشوش حسب ادِّعائه[٣].

يصف الأستاذ يحيى الإرياني الذي قدَّم لرواية حبشوش عن الرِّحلة بقوله: «وكتاب حبشوش من كتب السِّيرة المتميِّزة بدقَّة الرَّصد، وذكاء التَّعليق وإيراد الملاحظة حين يجب إيرادها[٤]»، مواصلاً حديثه: «تأتي صفحات (حبشوش) متوهِّجةً بالموضوعيَّة والصِّدق، كاشفةً لتزوير هاليفي، ودعواه العريضة عن فروسيَّته الخارقة التي مكنته من استكشاف الأرض المجهولة، ورصد كلّ نبضها الخافت والمرتفع، ثم النَّفاذ من بين مخالب الوحوش البدويَّة وأنيابها، ليقدِّم تقريره الميِّت عن رحلته التي لم تتمّ إلا بفضل ذكاء هذا اليهودي اليمني (حبشوش) ولباقته ومعرفته للأصول العرفيَّة بين القبائل وخريطتها الدِّيمغرافيَّة والجغرافيَّة[٥]»، ويتَّهم هاليفي بأنه تعامل مع حبشوش بحسِّ البارون الأرستقراطي مع خادمه المطيع[٦]، ويحمل على هاليفي الذي تكبَّد مصاعب

(١) نشره مركز الدِّراسات والبحوث اليمني بعنوان: رؤية اليمن بين حبشوش وهاليفي، متضمِّناً: رواية حبشوش حول هذه الرحلة (رؤيا اليمن)، وما سجَّله جوزيف هاليفي حول رحلته هذه: (تقرير حول بعثة أثرية إلى اليمن) ترجمه للعربية: منير عربش، صنعاء ١٩٩٢م.

(٢) بدوي: موسوعة ...، ص٦٠١.

(٣) رؤيا اليمن، ص٦٩-٧٠.

(٤) رؤية اليمن ...، ص٥. وقد صدَّره الإرياني بعدة صفحات عنونها بـ: «حبشوش وهاليفي: مصداقيَّة البساطة وخيبة العلمنة المتعالية»، وتجمع بين العرض والتَّقييم لهذا العمل وإن كان متعاطفاً مع حبشوش.

(٥) نفسه، ص٥.

(٦) نفسه، ص٨.

الرِّحلة الطويلة، بأنَّه «لا يهتمُّ إلا بنفسه، يقضي معظم أوقاته في ملجئه الآمن، ويترك كلَّ متاعب البحث ونقل النُّقوش إلى تابعه حاييم حبشوش، الذي ترتقي همَّته وتغامر ليلاً ونهاراً لتنفيذ تعليمات معلمه[١]»؛ ويصل إلى القول، بأنَّه تعمَّد اعتساف تفسير الوقائع، وتلفيق حيثيَّات المشاهدة والمحاورة، وتحوير مقاصد الشَّهادات اليهوديَّة التي أشادت بإنسانيَّة التَّعامل الاجتماعي بين مسلمي اليمن والأقليَّة اليهوديَّة، بل وادِّعاء بطولات زائفة عن مغامرات لم يقم بها، تتعلق بنسخ بعض النُّقوش القديمة من خرائب الآثار وبقايا المعابد والصُّروح والسُّدود القائمة[٢].

يأتي إدوارد جلازر بعد أكثر من عشرين عاماً، وهو الذي اطلع على ما كتبه هاليفي عن هذه الرِّحلة، والتقى بحبشوش الذي شكا إليه ما حصل له من قبل هاليفي بهضمه حقَّه فيما قدَّمه له من خدمات، حتى أنه استكثر عليه ذكر اسمه بتقريره الذي نشره عن اكتشافاته برحلته تلك، رغم ما أسداه له من معروف وما قام به من جهود، كما ذكر له أنَّه حاول التَّواصل مع هاليفي لكنَّه لم يفلح، فاضطرَّ لتوجيه تلك الرِّسالة له عبر الصَّحيفة العبريَّة كما ذكرنا أعلاه؛ ويبدو أنه أقنع جلازر بعدالة ادِّعاءه، وأظهر تعاطفه معه باقتراحه عليه تدوين وقائع رحلته مع هاليفي، مشيراً إلى الدَّور الذي لعبه والجهود التي قام بها، ولعله فعل خيراً لحبشوش وللباحثين في تاريخ هذه المنطقة، فما قدَّمه في روايته كشف الغموض عن بعض مرويَّات هاليفي، وأضاف حقائق جديدة لم يذكرها المذكور في تقريره.

لكن في المقابل وجدنا من يميل لصالح هاليفي، متَّهماً حبشوش بالانتحال والقفز فوق الحبال وادِّعاؤه ما ليس من حقِّه، فهذا جون فيلبي في بحثه: «هاليفي باليمن[٣]»، ينبري مشككاً بصحَّة رواية حبشوش، واضعاً احتمال اطلاعه على مقالات هاليفي، والاستفادة منها في تدوين روايته للرِّحلة، لكنَّه يستدرك بأنَّ حبشوش عند كتابتها بتوجيه من جلازر بعد وقت طويل من الرِّحلة المذكورة، لم يكن قد أدلى بشيء ممَّا ورد فيها من قبل[٤]، ويسرد في المقابل عدَّة أدلة تؤكد اعتماد هاليفي على نفسه في نسخ عدَّة نقوش وفي أماكن متعدِّدة[٥]، ويورد عدداً من الأدلة لإثبات أنَّ هاليفي قام بعمله

(١) نفسه، ص٧.
(٢) رؤية اليمن ....، ص٥.

(3) pp. 116-124.
(4) P. 119.
(5) Pp. 119-120.

شخصـيّاً، وإن لَّمح إلى استعانته بدليله اليهودي في أحد المواقع[١]، بل واستكانته في بيت مضـيفه: «خلال فترة إقامته بالجوف بأكملها، فلم يغادر هاليفي منزل مضـيفه سليم باسـتثناء زياراته إلى معين وبنات عاد[٢]». يعود فيلبي ليقول: إنه يجد صعوبةً كبيرةً في تصـديق أنَّ هاليفـي لم يزر في الواقـع أيّاً من هذه الأماكن، ويبـدي تعاطفه معه وأنه لا يضـيره نسخ هذه النُّقوش بنفسه أو انتسخها له شـخصٌ آخر، ويكفيه فخراً أنه درسها وقدَّمهـا للباحثين[٣]، ويحاول التَّقليل من أهميَّة ادِّعاء حبشـوش في اكتشـاف النُّقوش، ودوره الرِّئيسـ بالرِّحلة في نقاط أشـار لها، تتعلق بالخلط في أسـماء أشـخاص ووقائع وأماكـن[٤]، وإن كنَّا نرجِّح أنَّ ذلك كان لطول العهد بين روايته ووقائع الرِّحلة، ويصـل فيلبي إلى نتيجة مفادها: التَّحفظ على ادِّعاءات حبشوش، والتَّصديق بأنَّ هاليفي لديه مرافقٌ دائم في رحلته تلك، وفي الوقت نفسـه، لا يمكن اتِّهام حبشـوش بأنه يريد تشويه سـمعة هاليفي، وإذا افترضـنا اتِّهامـه بالانتحال وخداع جلازر فهنـاك غموضٌ يحيط بهذه المسألة[٥].

مـن جانب آخر، نجـد هاليفي يشـير إلى «مرافقة زميل يهـودي كان يعتقد بأنه إذ يرافقني يقوم بعملٍ من أعمال التَّقوى، وأن يزيل غبار النِّسـيان عن أسـماء الحاخامات الأتقياء المذكورة على أحجار القبور[٦]»، فهل كان يقصـد حبشوش هنا؟ هذا ما أعتقده، كما نجده كثيراً ما يذكر مرافقاً محليّاً من المدينة أو البلدة التي يصل إليها[٧]، فهل كانت مهمَّة حبشـوش تنتهي عند توصـيله إلى تلك الأمكنة والتَّعريف بـه في المجاميع اليهوديَّة ولدى الشَّخصيَّات النَّافذة في هذا البلد أو ذاك، بينما يتولى الدليل المحلي الباقي؟

ولعلنـا نشـير في هـذا المقـام، إلى أنَّ هذا الموضـوع أكبر من أن نحيـط به في هذا البحـث ذو الهدف المحدَّد، بل يحتاج ذلك إلى دراسـة مسـتقلة، تعتمـد على التَّعمق في البحث، والمقارنة والتَّحليل والاسـتنتاج ودراسـة الوقائع على الأرض للوصول إلى نتيجة عادلـة، تعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، وتكشـف الحقيقة التَّائهة بـين ادِّعاءات المدَّعين وتوهُّمَ المتخرِّصين، وأنَّات المظلومين.

---

(١) P. 120 وذلك في الجوف السُّفلي.
(٢) نفسه، .P. 119
(3) P. 120.
(4) P. 121.
(5) P. 123.
(٦) تقرير حول بعثة ...، ص١٦٤.
(٧) وهو ما يظهر لنا ـ مثلا ـ في تقرير حول بعثة، ص١٦٥؛ وانظر فيلبي: H. Stj, Halévy in the Yaman, p.122.

سادساً: هاليفي في ميزان النقد

حينما نستعرضُ مسيرة هذا الرَّجل في رحلته هذه، نخرج بانطباعاتٍ عن شخصيَّته ودوافعه واهتماماته، والنَّتائج التي توصَّل إليها.

١- فمن استقراء شخصيَّة هاليفي أثناء هذه الرِّحلة، يتبيَّن لنا اتكاليَّته وعدم حماسه في البداية، قد يكون للصَّدمة التي واجهته عندما حلَّ في بلد لم يعتده، ومجتمع يختلف عمَّا ألفه، والغموض الذي يحيط بأهالي تلك المناطق الجبليَّة التي زارها، وارتيابهم من الغرباء لاسيَّما من ذوي البشرة البيضاء، وحتى بني ديانته من اليهود لم يجد منهم الثِّقة والتَّعاون المطلوب لتحقيق مهمَّته، إلا بعد أن منَّاهم بحمل مشاكلهم وعرضها على الجمعيَّة القوميَّة اليهوديَّة، لتقوم بمساعدتهم وانتشالهم من أوضاعهم المعيشيَّة المترديَّة، وبعد أن أوهمهم بأنه مبعوث الكنيس اليهودي بالقدس.

٢- المهمَّة التي جاء من أجلها ذات الشقِّ العلمي المتمثِّل بدراسة النُّقوش المعينيَّة والسَّبئيَّة، وإعطاء فكرة عن أوضاع هذه المناطق السِّياسيَّة والاجتماعيَّة والتي كانت من متطلبات الجهة الفرنسيَّة التي انتدبته وموَّلته لأجلها، يبدو أنه أنجزها بنجاح؛ أمَّا الاهتمام الآخر الذي انشغل به هاليفي، فهو ديني وقومي لصالح الجمعيَّة القوميَّة الصّهيونيَّة التي طلبت منه دراسة أحوال الأقليَّة اليمنيَّة اليهوديَّة، ومدى إمكانيَّة تعاونها مع المشروع الصُّهيوني الوليد للبحث عن وطن يجمع شتات اليهود، وهو امتداد لمشروع قام به من قبل عن يهود الفلاشا بالحبشة، ولذا نجده يبحث عن تجمُّعات اليهود مستجلياً لأوضاعهم محفِّزاً لهممهم في دعم الفكرة القوميَّة اليهوديَّة.

٣- أمَّا التَّقارير السِّرية التي زوَّد بها منتدبيه وممولي رحلته فلا شكَّ بأهميَّتها، ومع أنه أمكن الوصول لتقرير رحلته العام الذي استفدنا منه وعرضنا له، لكن التَّقرير السِّري الخاصّ بالمهمَّة التي كُلِّف بها الرَّحالة، فمع أنِّي بذلتُ جهداً في الوصول إليه، إلا أنِّي لم أتمكن من ذلك، ويبدو أنه لم ينشر بعد، وهو المتعلق برؤاه واقتراحاته للسُّلطات الفرنسيَّة في شأن هذه الجهة من شبه الجزيرة العربيَّة، وإمكانيَّة إيجاد موطئ قدم لها فيها أو بسط نفوذ معيَّن، وكذلك الورقة التي من الممكن أن يلعبها يهود هذه المنطقة في مشروع الجمعيَّة القوميَّة اليهوديَّة مستقبلاً.

٤- مـن ناحية أخرى، نلحظُ على رحَّالتنا تقتيره على نفســه، وظهوره بمظهر البائس الفقــير، ممَّا جعله يتسـوَّل من بني قومه اليهود ويسـترفدهم، واعـداً إيَّاهم بردِّ جميلهم عندما يعود، بحثٍّ من خلفه بمسـاعدتهم وتحسـين أوضـاعهم، قد يكون لذلـك مبرِّراتـه، التي من بينها عدم الطمع به حينمـا يتظاهر بالبذخ والغنى كما حدث مع زميل له سبقه إلى هذه البلاد فلقي مصيره المجهول لتظاهره بذلك كما أشـرنا من قبل؛ مع أنَّنا اعتدنا أن نرى أغلب أمثاله من الرَّحالة يحيطون أنفسهم بهالـة مـن العظمـة والبذخ، ليظهـروا أمام الآخريـن بمظهر يمنحهـم الاحترام والتقدير، ويحقِّق لهم ما يسـعون إليه؛ لاسـيَّما وأنهم جميعـاً جاؤوا بدعمٍ وتمويل جهاتٍ ذات ثقلٍ سياسي ومالي.

٥- مع اهتمام هاليفي بالنُّقوش السَّـبئيَّة والمعينيَّة، فإنَّه مع ذلك كان مدفوعاً بدوافع قوميَّة ودينيَّة يهوديَّة، فهو يحرص على ما يخدم هذا التَّوجه وما يدخل في نطاقه، ممَّا كُتب بلغةٍ عبريَّة أو له علاقة بها في أغلب أعماله.

٦- حديـث هاليفــي عن اليهود فيــه من المبالغة ما فيــه، وفيه مــن التَّحريض المبطَّن ودعوتهم للتَّمرد على الوضــع المُعاش، فبدلاً من أن يكون داعية ســلام وتقارب بين هــذه الأقليَّة وبــين مجتمعها، نراه ينظر إلى حركات الاحتجاج ومؤيِّدي التَّصــادم بنــوع مــن الإعجاب، قد نعذره في الاسترســال والاســتطراد للحديث عــن إخوانه وتخصيصه حيِّزاً كبيراً لأخبارهم وما يدور في مجتمعهم، لكن دفعهم للمصادمة فيه الكثير من تهديد استقرارهم ووجودهم في مجتمع الأغلبيَّة، فمثلاً نجده ينظر بإعجابٍ لإزعاجهم لجيرانهم بتلك الأصوات العالية أثناء الليل كنوع من الانتقام، ولم نــرَ منه أيَّ إنكار، لاسـيَّما وهو يتزيَّى بزي حاخام مقدســي في هَذه الأثناء بل يرويها بتشــف غريب[١]، علماً بأنه أورد بنفســه حوادث اعتداء وسرقة تعرَّض لها اليهود، لكن السُّلطات القبليَّة أخذت لهم حقوقهم كاملة[٢].

٧- تأتــي محاولة إنكاره لدور اليهود في قصَّــة أصـحاب الأخدود وملابســاتها، والتي ناقشها بالتَّفصيل في بحث له بعنوان: «مراجعة نقديَّة للمصادر المتعلقة باضطهاد نصــارى نجران من قبل الملــك اليهودي الحمــيري[٣]»، مخالفاً أغلبيَّــة المؤرِّخين

(1) Halevy, J. «Voyage au Nedjran ..», p.594.

(٢) نفسه، ص١٤-١٥، ص٥٩١.

(3) Examen critique des sources relatives à la persécution des chrétiens de Nedjran par le roi juif des Himyarites, Revue des études juives, tome 18, n°36, avril-juin 1889. pp. 161-178.

والباحثين الذين تناولوا هذه القضيَّة، لتبرئة الملك الحميري اليهودي من تبعتها، وقد ناقش هذا الموضوع عددٌ من الباحثين، نشير في هذا الصَّدد إلى بحث صدر حديثاً للدكتور عبد العزيز رمضان حول ما دار حولها من نقاشٍ ولغط[١].

٨- لقاء هاليفي بجوارماني الذي أشار إليه في معرض حديثه عن الدَّعوة الإصلاحيَّة في نجد[٢]، يشوبه الغُمُوض، حيث سبقه هذا في تلك المهمَّة التي تولى بموجبها قنصليَّة فرنسا بعدن، والتي انتهت سنة (١٢٨٠هـ/ ١٨٦٤م) بحوالي السِّت سنوات، فأين قابله ومتى؟ وقد تكون هذه المقابلة تمَّت بعد عودة هاليفي إلى باريس أو قبل رحلته هذه، لكنَّه يشير إليه بأنه قنصل فرنسا بعدن، فهل التقاه عند نزوله بها في بداية رحلته هذه؟ ولمزيد من الإيضاح، نشير إلى أنَّ فرنسا حاولت استقطاب هذا الشَّاب جوارماني، الذي نجح في اختراق وسط الجزيرة العربيَّة بحجَّة شراء الخيل العربيَّة الأصيلة، فبحسب ألبرت زهمة (Zehme) أصبح جوارماني قنصلاً لفرنسا في عدن لعدَّة أشهر لكنه عاد بعدها إلى بلده إيطاليا[٣]، فهنا نستطيع التَّأكد من مصداقيَّة هاليفي في هذا الجانب، لكن في مسألة المقابلة من المرجَّح أنَّ هاليفي التقاه فيما بعد وليس في عدن.

٩- لم يهتمّ هاليفي بالتَّفاصيل الجغرافيَّة للأماكن التي زارها، وكان هذا محلّ انتقاد زملائه من الأوربيِّين، فهذا فيلبي يرى أنَّ وصفه في رحلته هذه يعتريه قصور شديد في التَّفاصيل الجغرافيَّة بشكل يثير السُّخط والغيظ[٤]، وظهر ذلك في نجران بشكل جليّ، وهو ما جعله عرضةً لنقد فيلبي مرَّة أخرى، إذ يذكر أنه في زيارته لنجرانٍ لم يكن مهتمّاً بالأماكن الجغرافيَّة كثيراً، كما أخطأ في كتابة بعض أسماء الأماكن مثل بدر مقر الحاكم المكرمي[٥].

١٠- يعلل أعضاء اللجنة التي منحت هاليفي الجائزة على بحثه هذا عدم تغطيته لضواحي نجران، بأنه كان من الصَّعب عليه التحرك خارج إطار المنطقة التي

---

(١) «إشكالية دخول المسيحيَّة إلى جنوب الجزيرة العربية: إعادة تقييم في ضوء روايات المصادر البيزنطية والمسيحية الشرقية»، مجلة الدارة، عدد يناير ٢٠٢٢م، ص٢٠٣-٢١٤؛ ويمكن لمستزيد أن يستفيد من تلك القائمة المرجعيَّة التي ذيَّل بها الباحث بحثه القيِّم.

(2) Halevy, J. Une mission archeologique dans le Yemen, p.41.;

تقرير حول بعثة أثرية ...، ص١٦٣.

(٣) نقلاً عن: بطرس رزق الله: مقدمة رحلة جوارماني: نجد الشمالية ...، ص١٦.

(٤) بنات سبأ، ص٥٧.

(5) Halévy in the Yaman, p.123. H. Stj. B. Philby,

كانت تحت نفوذ المكرمي، لكثرة اللصوص وقطاع الطرق في ظلِّ الأزمة الاقتصاديَّة الخانقة التي يعيشها أهل تلك النَّواحي[١].

١١- هناك قضـايا ومواضـيع تطرَّق لها هاليفي وعرضـنا وجهة نظره، ليس موافقةً له بقدر ما هو للاطلاع على ما يدور من خلفنا، ولإتاحة الفرصة للرَّد ودحض الحجَّة بالحجَّة، فمثلاً: كلامه عن العرب ووصـفهم بقصر النظر وغير ذلك مما ورد في كلامـه، وكذلك حديثه عن الأشـراف واتِّهامهم بتأجيج الحروب لمصـالح ذاتيَّة، فهذا يسـتحقُّ الرَّد ودراسـة وضـع هذه الفئة مـن ذوي الاختصـاص بتاريخ هذه المنطقة، لأنَّ التَّعميم بهذه الصُّـورة عنهم وعن غيرهم مرفوض، فهناك الصَّالح والطالح ومن هو منتحلٌ لهذا اللقب، وإذا حصل شيءٌ من ذلك من فردٍ من هؤلاء، فلا يمكن تعميمه على المجموع.

١٢- أمَّا النَّتائج التي توصَّل لها هاليفي في رحلته هذه، فهي متعدِّدة ومهمَّة وجديدة في جانبهـا العلمي، حيث نجح في استنسـاخ كمٍّ كبير من النُّقوش وقام باسـتنطاقها ودراسـتها، وهي التي أضـافت لمعلومتنا كثيراً عن تاريخ وحضارة تلك البلاد التي مرَّ بها، كما صحَّحت الكثير من المفاهيم والأغلاط المتداولة قبله، ولعلَّ أهمّ نتائج الرِّحلة لم يكن في كميَّة النُّقوشِ التي اكتشفتها، بقدر ما كان في المعلومات الجديدة التي اسـتخرجها منها، فضـلا عن بعض الآثار التي شاهدها هاليفي ووصفها لنا بدقة، إلى جانب معلومات وفيرة زوَّدنا بها عن حياة قاطني هذه الديار من حضرٍ وبدو، عربٍ ويهود في المناطق التي زارها في إطار مسار رحلته.

وقد عدَّدت لجنة الجائزة المذكورة أعلاه، ما توصَّلت إليه هذه الرِّحلة من نتائج قيِّمة ظفر بموجبها صـاحبها هاليفي باختيارهم له من بين المتسـابقين عليهـا[٢]، أمَّا المهمَّة الأخـرى التـي حملها والمتعلقة بالجالية اليهوديَّة، فلا شـكّ أنَّ لها إيجابيَّاتها في تحفيز تطلعات هذه الجالية لغد وواقع أفضـل، لكن على الصَّـعيد العملي تبخَّرت هذه الوعود بمجرَّد رحيل هاليفي، فلَا تحسَّـين أوضـاعهم الموعود تحقَّـق، ولا أمنياتهم وأحلامهم التي جسَّـدتها رسـائلهم المكتوبة والشَّـفهيَّة التي حمَّلوها هاليفي غـيَّرت واقعهم، ولقد تـرك لنا هاليفي عدَّة بحوث خدمت تاريخ جنوب غرب شـبه الجزيـرة العربيَّة وتراثه،

(1) Rapport sur le concours au›prix annuel pour la decouver te la plus importante en geographie, P. 38.

(2) Ibid, p. 31-40.

أصبحت مرجعاً مهمّاً لمن يريد الكتابة حولها، ولذا أدعو إلى ترجمتها وجعلها بين أيدي الباحثين لتثري بحوثهم.

سابعاً : يختتم هاليفي رحلته بالقول:

«ولا حاجة لرواية المضايقات النَّفسيَّة الحادَّة التي عانيتُها في صنعاء وفي مناخه، حتى اللحظة التي وجدت نفسي مع أوراقي التي كنتُ قد رتَّبتها، إذا صحَّ القول بحسب المواقع الرَّئيسيَّة التي مررتُ بها، فبعد انتظار طويل تخللته مغامرات مؤلمة، كنتُ راضياً كلَّ الرِّضى عندما رأيتُ أنَّ مجموعة النُّقوش التي جمعتُها بعد شقاء وألم كبيرين، قد كانت ذات أهميَّة كبيرة، غير أنِّي أسفتُ ولا أزال متأسِّفاً على أنَّ الظروف لم تساعدني على اكتشاف بقيَّة المناطق من جنوب شبه الجزيرة العربيَّة، حيث يُنتَظر الحصول على نقوش ليست أقلّ غنىً وتنوُّعاً، ولا يسعني هنا إلا التَّعبير عن الرَّغبة بأن يُتابع رحَّالة آخرون بكلِّ الجديَّة التي تقتضيها هذه المهمَّة الشَّاقة، أعمال الاستكشاف التي قمتُ بها رغم ضعف قواي وقلة ذات اليد[1]».

لعلها كلمةٌ ضافية تعبِّر عن معاناة كلِّ باحث بعد إنجاز تحقَّق، وحلم أصبح حقيقة، فهذا ينسيه كلّ ما لقيه في سبيله من متاعب ومشاقّ، فكأنَّ هاليفي هنا يُعبِّر بلسانه عن زملائه الباحثين، متمنِّياً أن يستمرَّ البحث ويتواصل الجهد لتحقيق نتائج أفضل في خدمة العلم وطلابه.

ثامناً : المصادر والمراجع

(*) المصادر والمراجع العربيَّة:

١- أحمد حسين العقبي: **التنافس الإنجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي**، نشرته دارة الملك عبد العزيز بالرياض سنة ١٤٣٠هـ.

٢- الأدميرالية البريطانية: **دليل الطرق في شبه الجزيرة العربية**، ترجمة: عبد الله نصيف، نشرته دارة الملك عبد العزيز بالرياض٢٠١٥م.

٣- البرت زيمة: **شبه الجزيرة العربية في كتابات الرَّحالة الغربيِّين**، ترجمة: غازي شنيك، الرياض ١٩٩٩م.

(١) تقرير حول بعثة أثرية ...، ص١٧٤.

٤- تركي بن محمد الماضي: **مذكراته**، الرياض ١٩٩٧م.
٥- جاكلين بيرين: **اكتشاف جزيرة العرب**، ترجمة قدري قلعجي، الرياض؟
٦- جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب**، بغداد ١٩٩٣م، ج٣.
٧- جوزيف هاليفي: **تقرير حول بعثة أثرية إلى اليمن**، نُشر في باريس ٢١ يولية ١٨٧١م/١٢٨٨هـ، ترجمة منير عربش، نشره مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٩٢م.
٨- جون فيلبي: **بنات سبأ: رحلة في جنوب الجزيرة العربية**، ترجمة يوسف الأمين، نشرته دارة الملك عبد العزيز بالرياض ٢٠٠١م.
٩- جيوفاني **فيناتي حياته ومغامراته في جزيرة العرب ١٢٢٦هـ - ١٨١١م**، ترجمة ونشر دار بلاد العرب، الرياض ٢٠١٤م.
١٠- جيوم شارلو وكرستيان جوليان روبان: **من سبأ إلى صنعاء، البحث الأثري الفرنسي في اليمن حتى عام ٢٠١٢م**، المنشور على النت: https://books.openedition.org/cefas
١١- حاييم بن يحيى حبشوش: **رؤيا اليمن بين حبشوش وهاليفي**، ترجمة: سامية نعيم صنبر، نشره مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٩٢م.
١٢- حمد الجاسر: «في بلاد نجران: على أطلال الأخدود»، **فصلة من مجلة العرب**، عدد ذو القعدة والحجة سنة ١٤٠٢/١٩٨٢م.
١٣- روبن بدول: **الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية**، ترجمة عبد الله نصيف، الرياض ١٩٨٩م.
١٤- رينزو مانزوني: اليمن: **رحلة إلى صنعاء**، ترجمه ماسيمو خير الله، ونشره الصندوق الاجتماعي للتنمية باليمن، صنعاء ٢٠١١م.
١٥- صالح آل مريح: **نجران**، ضمن سلسلة هذه بلادنا التي أصدرتها رعاية الشباب، الرياض ١٩٩٢م.
١٦- صالح محمد السنيدي: **رحَّالة إسباني في مكة المكرمة**، ط.٢ الرياض ٢٠٢٢م.
١٧- **بلجريف في جزيرة العرب**، الرياض ٢٠٢٢م.
١٨- عبد الرحمن بدوي: **موسوعة المستشرقين**، بيروت ١٩٩٣م.
١٩- عبد العزيز رمضان: «إشكالية دخول المسيحيَّة إلى جنوب الجزيرة العربية: إعادة تقييم في ضوء روايات المصادر البيزنطية والمسيحية الشرقية»، **مجلة الدارة**، عدد يناير ٢٠٢٢م، ص٢٠٣-٢١٤.

٢٠- عبد الله بن عبد الرحمن الهمداني: **خلاصة تاريخ**، ط.١ نجران، ٢٠١٩م.
٢١- عبد الله محمد الحبشي: **حوليَّات يمانيَّة أو اليمن في القرن التاسع عشر الميلادي**، صنعاء ١٩٩١م.
٢٢- فؤاد حمزة: **في بلاد عسير**، الرياض ١٩٦٨م.
٢٣- فيليب ليبنز: **رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية**، الرياض ١٩٩٩م.
٢٤- مجدي صالح: **رحلة الأسرار المدفونة**، برلين ٢٠١٩.
٢٥- محمد طحنون آل دغرير: **نجران تاريخ وإنسان**، نجران ٢٠١٥م.
٢٦- محمد عبد الرحيم الزيني: **الاستشراق اليهودي: رؤية موضوعية**، المنصورة ٢٠١١م.
٢٧- موريس تامزيه: **رحلة في بلاد العرب الحملة المصرية على عسير**، ترجمه للعربية: محمد آل زلفة، الرياض ١٩٩٣م.
٢٨- موسوعة السُّعودية على النتّ:

ttps://saudiencyclopedia.com/
86%D8%A9-%8A%D9%85%D8%AF%D9%l/%D9
84-%83%D9%86-%D9%86%D8%AC%D8%B1%D8%A7%D9%%D9
85%D8%A7-%D8%AA%D8%AD%D8%AA%D8%A7%D8%AC-%%D9
87%81%D8%AA%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%%D9

٢٩- نجيب العقيقي: **المستشرقون**، القاهرة ١٩٦٤م.
٣٠- الهمداني: الحسن بن أحمد (ت بعد ٣٣٦هـ/٩٤٧م)، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق: محمد الأكوع الحوالي، صنعاء ١٩٩٠م ج١.
٣١- الواسعي: عبد الواسع بن يحيى، **تاريخ اليمن المسمَّى: فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن**، القاهرة ١٣٤٦هـ.

(*) والمصادر والمراجع الأجنبيَّة:

1- Ernest Renan, Rapport sur le concours au'prix annuel pour la decouver te la plus importante en geographie, Bulletin de la Societe de Geographie de Paris, VI/6 (1873).

2- J. Halevy, Etudes Sabeennes, Examen critique et philologique des inscriptions Sabeennes, EXTRAIT DU JOURNAL ASIATIQUE, (Mai-Juin, Octobre 1873 et Decembre, 1874).

نشره في المجلة الآسيويَّة JA في عدَّة أعداد سنة ١٨٧٣م، ص٣٠٥-٣٦٥، ثم نشر البقيَّة في سنة ١٨٧٤م، ص٤٩٧-٥٨٥؛ ثم نشره في باريس سنة ١٩٧٥م بالفرنسيَّة في كتابٍ بعنوان: دراسات سبئيَّة.

3- J. Halevy, Rapport sur une mission archeologique dans le Yemen, journal Asiatique, 6' série, 19: (1872), pp. 5547-489 ,266—129 ,98-.

4- J. Halevy, Voyage au Nedjran. Bulletin de la Sociêtê de Géographie de Paris (1873) 6' série, 6: 5—31, 249—273, 581—606. (1877). 6' série, 13: 466.479-

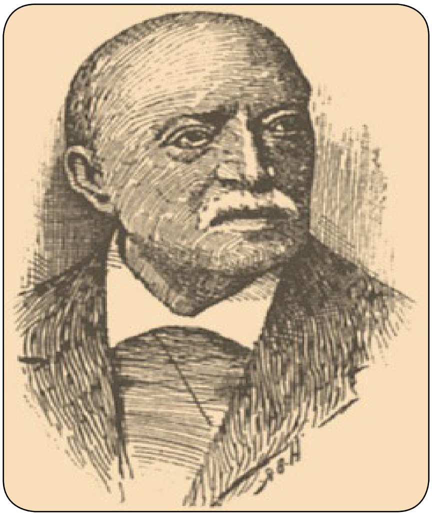
5- Examen critique des sources relatives à la persécution des chrétiens de Nedjran par le roi juif des Himyarites, Revue des études juives, tome 18, n°36, avril-juin 1889.

6- H. Stj. B. Philby, Halévy in the Yaman, The Geographical Journal, vol. 102, No.3 (sep, 1943).

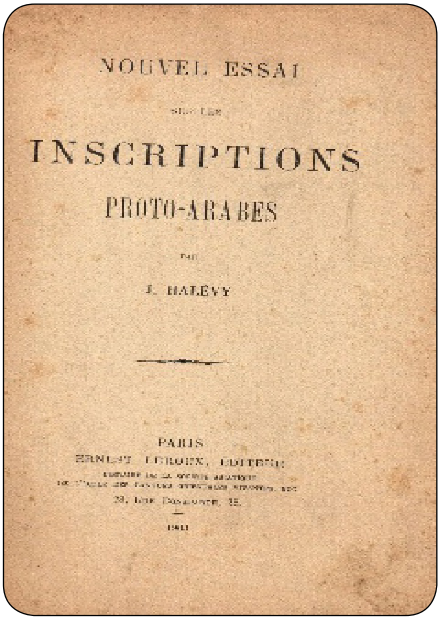
7- Yosef Tobi, An unknown study by Joseph Halévy on his journey to Yemen, proceedings of the Seminar for Arabian Studies, vol. 30, Papers from the thirty- eighth meeting of the Seminar for Arabian Studies held in London, 2224- July 2004.

تاسعاً : ملاحق الصور والخرائط وغيرها :





(*) صور شخصية لهاليفي



NOUVEL ESSAI

INSCRIPTIONS

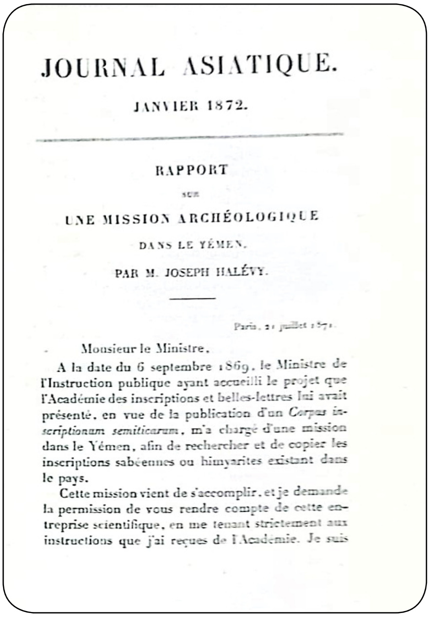
PROTO-ARABES

J. HALÉVY

PARIS

ERNEST LEROUX, ÉDITEUR

(*) دراسة هاليفي للنقوش العربية
في جنوب غرب الجزيرة العربية



JOURNAL ASIATIQUE.

JANVIER 1872.

RAPPORT

SUR

UNE MISSION ARCHÉOLOGIQUE

DANS LE YÉMEN,

PAR M. JOSEPH HALÉVY.

Paris, 21 juillet 1871.

Monsieur le Ministre,

A la date du 6 septembre 1869, le Ministre de l'Instruction publique ayant accueilli le projet que l'Académie des inscriptions et belles-lettres lui avait présenté, en vue de la publication d'un *Corpus inscriptionum semiticarum*, m'a chargé d'une mission dans le Yémen, afin de rechercher et de copier les inscriptions sabéennes ou himyarites existant dans le pays.

Cette mission vient de s'accomplir, et je demande la permission de vous rendre compte de cette entreprise scientifique, en me tenant strictement aux instructions que j'ai reçues de l'Académie. Je suis

(*) الصفحة الأولى من تقريره الذي
كتبه للأكاديميَّة الفرنسية بنتائج رحلته

(*) خريطة هاليفي

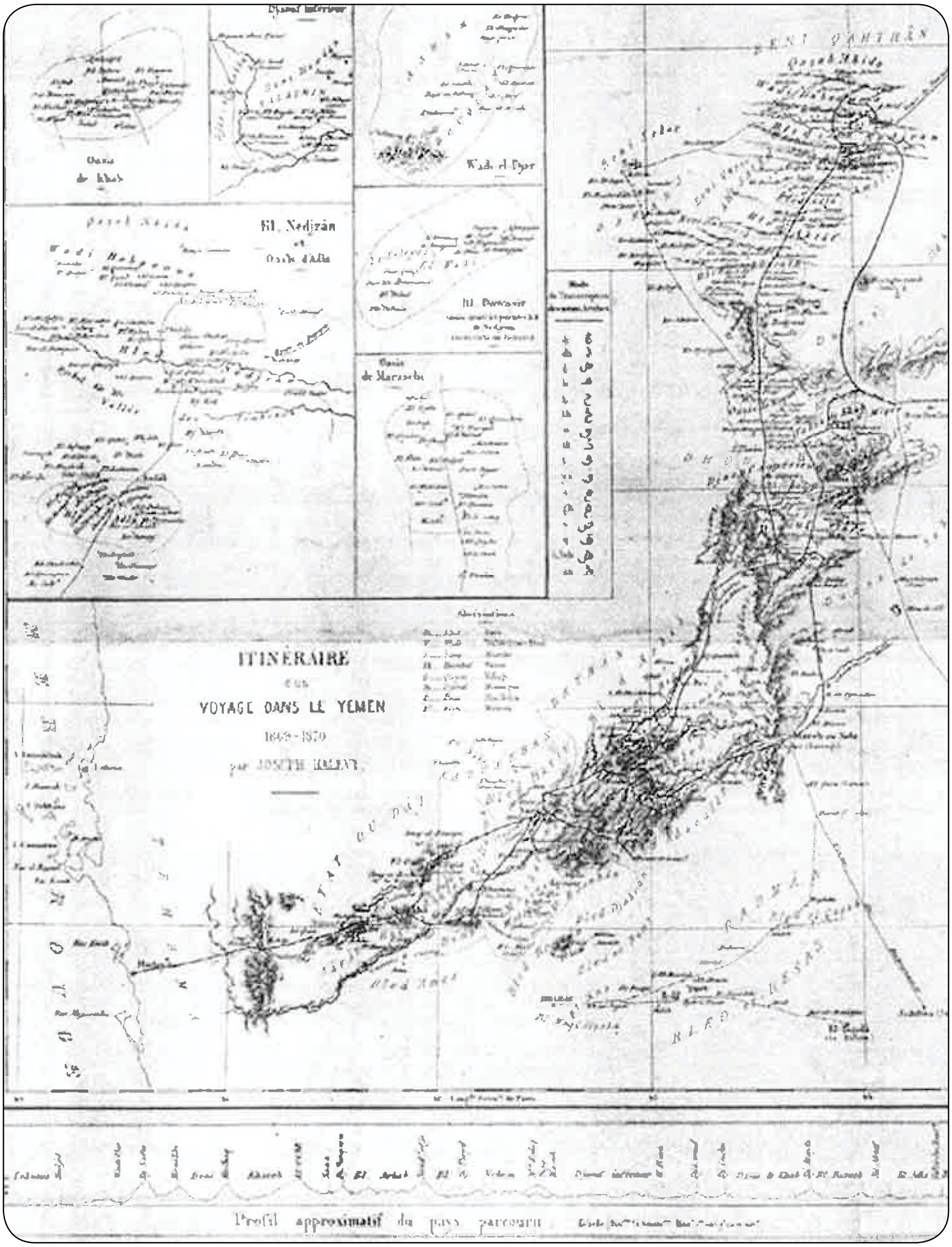
ألحـق هاليفـي مذكرات رحلته بخريطة مفصَّـلة ومميَّزة بالتَّعليقات على مسـار جولته، توضِّـح المواقع التي مرّ بها باللغة الفرنسـيَّة، مشـيراً إلى أنَّ خريطته التَّقريبية لهـذه المناطق قد أدرج فيها هذه الأماكن التي زارهـا[1]، وقد لاقت هذه الخريطة قبولاً واستحساناً في المجاميع العلميَّة الأوروبيَّة ولدى المهتمِّين بالمنطقة من أقرانه الأوروبيِّين، حيـث عدُّوها إنجازاً رائعاً ومسـاهمةً بالغـة الأهميَّة للمعرفـة الجغرافيَّة لهذه المنطقة من شـبه الجزيرة العربيَّة، على الرّغم من عدم حمله بوصلة أو أدوات قياس[2]. ويزيد فيلبي بأنّها تسـدُّ فجوةً في خريطة شـبه الجزيرة، حيث لم يسبق لأوروبي قبله زيارتها، ويؤكـد على أنَّ جميعٍ أسـماء القرى في الواديين الأخيرين المسـجلة على خريطته، منها أربعة وعشـرون قريةً في نجران، وعشـر قـرى في حبونة، يمكن التَّعرف عليها بسـهولة حتى يومنا هذا[3].

كانـت هذه الخريطة الشـاملة لليمن التي حدَّد فيها مسـار رحلته، ووضـع خريطة نجران في مربَّع بجهتها اليسرى من الأعلى وسجَّل عليها أسماء القرى والمدن والأماكن الجغرافيـة، وهِّي متاحةٌ بين أيديكم للاطلاع عليها في هذا الملحق بشـكلها الكامل، كما أرفقتُ خريطة نجران المقتطعة من الخريطة الأم لتكون أكثر وضوحاً، ورسمتُ خريطةً لمسـار رحلتـه لنجران مترجمـةً للغة العربيَّة، مسـتقاة من حديثه وما دوَّنه بنفسـه عن الأماكن التي زارها.

(1) «Voyage au Nedjran ..», p.6.

(2) Halévy in the Yaman, p.117. H. Stj. B. Philby,

(٣) نفسه، ص١١٧، ١٢٣. وقد وضع ملحوظاته عليها بعد الإشادة بها، (نفسه، ص١١٧، ١١٨).



(*)الخريطة الأساسية لمجريات رحلته في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، وقد نشرها

Map depicting Joseph Halévy's description of his journey. Source:
Bulletin de la société de géographie. 6 (1873)



(*) خريطة نجران كما رسمها هاليفي (مقتطعة من خريطة رحلته) وهي مستقاة من المجلة الجغرافية الفرنسية (شهر، ٦. سنة ١٨٧٣م)



(*) خريطة نجران نفسها معرَّبية : حاولنا استقراء أسماء الأماكن في هذه الخريطة، وبذلنا جهداً كبيراً في ذلك، ساعدنا فيه كلّ من الأستاذ محمد آل هتيلة أحد أبناء المنطقة، والأخ حسن إبراهيم .. فلهم منِّي جزيل الشكر.



(*) خريطة نجران ويبدو مسار رحلته كما كتبه بنفسه في مذكراته، مشيراً إلى الأماكن التي مرَّ بها في هذه الزيارة[1].

---

(١) ويلحظ على ما دوَّنه في هذه الخريطة وصفاً لبعض الأماكن، أنَّ أغلبه اعتمد على السَّماع والنَّقل من الآخرين، وأنَّ مسار رحلته أخذ اتِّجاهاً من الجهة الشَّرقية إلى الغربيَّة منها، كما أنه يذكر بعض المواقع منسوبةً إلى قاطنيها، وهو ما نتَّفق فيه مع الأستاذ محمد آل هتيلة مشكوراً.

سادساً : مقترحات ووجهات نظر :

يهدف هذا العمل إلى توثيق صور تاريخية إسلامية وسيطة وحديثة لجزئيات من حضارة الأرض والناس في جنوب الجزيرة العربية. ولا ندعي فيما تم رصده وتدوينه الكمال، لكننا حاولنا نشر بعض المعلومات التاريخية والأثرية التي نزعم فيها بعض الجديد المعرفي، وقد يطلع عليها بعض الدارسين والمتخصصين الحياديين والمنصفين فيجدوا فيها شيئاً من الفوائد، أو يصححوا ما لم نستطع عمله [1].

من يقرأ متون وحواشي هذه الدراسات الأربع يرى فيها شروحات وتفسيرات ومقترحات وآراء لها صلة مباشرة بالبحث العلمي. ويجد فيها أيضاً الدارس والقارئ والباحث نقاطاً غير وافية تستحق مزيداً من العمل البحثي، وقد يظهر لنا باحثون جادون ينجزون أعمالاً علمية أكثر جدية وعمقاً وتنوعاً. وبلاد (تهامة والسراة) مجالاً واسعاً لمن رغب الإسهام في دعم وتطوير الدراسات التراثية والتاريخية والحضارية المحلية. ولا تخلو بعض المصادر والمراجع الأجنبية من معارف ربما تفيد في خدمة تراث وتاريخ أهلنا وبلادنا في الأراضي السروية والتهامية، الرابطة بين مراكز اليمن والحجاز الرئيسية.

(١) إنها طبيعة البحث العلمي، فكل باحث عامل مجتهد يبحث عن الحقيقة والصواب، وفي الوقت نفسه يدلي بقوله ووجهة نظره في أي جهد يرى فيه نقص وقصور. ونسأل الله ـ عز وجل ـ أن يجعلنا صادقين مخلصين في أقوالنا وأعمالنا العلمية وغيرها. (ابن جريس).

القســـم الثانـــي

قراءات في بحوث وكتب مطبوعة ومنشورة في تاريخ السروات وتهامة (تصويبات، إضافات، وانتقادات)

القسم الثاني

قراءات في بحوث وكتب مطبوعة ومنشورة في تاريخ السروات وتهامة (تصويبات، وإضافات، وانتقادات)

أولاً: توطئة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: إذا تحدثنا عن أرض تهامة والسراة فنحن نشير إلى بلاد واسعة في جغرافيتها، ومتنوعة في مستوطناتها البشرية، مازالت غير مدروسة دراسات علمية كافية مقارنة بغيرها مثل بلدان اليمن والحجاز وغيرها(١).

جاء العصر الحديث (ق١٣ـ ق ١٥هـ/ق١٩ـ ق٢١م)، وبدأت الدراسات العربية والأجنبية تصدر عن موضوعات وعناوين عديدة في بلاد السروات وتهامة. والتاريخ

---

(١) خصوصاً في عصور ما قبل الإسلام والقرون الإسلامية المبكرة، والوسيطة، وبدايات الحديثة. ونأمل أن نرى في قادم الأيام بحوثاً جادة تدرس آثار البلاد ونقوشها ورسوماتها الصخرية في تلك العصور القديمة.

والحضارة من المجالات التي حظيت ببعض الاهتمام البحثي والتوثيقي. ومازال المشوار طويلاً حتى نحصـل علـى مقدار جيد من الأعمـال العلمية الدقيقـة والجيدة في تراث وتاريخ وموروث هذه الديار العربية الماجدة(١).

إن دراسة، أو مراجعات، أو إضافات، أو تصويبات الكتب والبحوث العلمية المطبوعة والمنشـورة، يُعـد من الطرق البحثية التي يقـوم بها الكثير من الباحثـات والباحثين، أو المؤسسات العلمية والأكاديمية المختلفة(٢).

منـذ بـدأ التعليـم العـالي في جنـوب المملكـة العربيـة السـعودية في تسـعينيات القرن(١٤هـ/ ٢٠م)، بدأت ثم نشـطت مسيرة الكتابة والتأليف بين أساتذة الجامعات والكليات والأقسـام الأكاديمية وغيرها، وظهر العديـد من المؤلفات في مجالات معرفية متعـددة. ومن يزور المكتبات الورقية والرقمية الخاصـة والعامة، ومعارض الكتب داخل الوطن وخارجه فسـوف يجد الكثير من المؤلفين السعوديين وغيرهم الذين كتبوا ووثقوا أعمـالاً علميـة في تاريخ ومعارف وحضـارة البلاد السـعودية، وهذا يُعد من المؤشـرات الإيجابية في ميدان التطور العلمي والمعرفي(٣).

هـذا القسـم يحتوي علـى أربعة أعمـال علمية تُدرس وتناقش وتضـيف وتصـوب أبحاثاً وكتباً منشـورة عن تاريخ وتراث وحضارة بلدان عديدة في أنحاء تهامة والسراة. وأصـحاب المشـاركات الأربعة من سـكان جنوب المملكـة العربية السـعودية، وأعمالهم النقدية والتصويبية تركز على بحوث ومؤلفات محلية لمؤلفين تهاميين وسرويين(٤).

---

(١) حبذا أن يظهر لنا دارسون يوثقون لنا دراسة ببليوجرافية تحصر كل ما طُبع ونُشر عن بلاد تهامة والسراة خلال العصر الحديث (ق١٣ـ ق١٥هـ/ق١٩ـ ق٢١م).

(٢) رأيـت مئـات الباحثين، والجامعـات ومراكز البحـوث العلمية في العالمـين العربي والأجنبي خلال نصـف قرن (١٣٩٦ـ ١٤٤٦هـ/ ١٩٧٦ـ ٢٠٢٤م)، وقد أصـدرت عشـرات الموسـوعات والمجلدات في قراءة الكتب والدراسات ونقدها وتصويبها.

(٣) هذا الذي عرفته وشـاهدته، وأنـا أتعلم وأبحث وأزور العديد من الجامعات في المملكة العربية السـعودية، والعـالم العربي والأجنبـي من عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، حتى وقتنا الحاضـر (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م). آمل أن أتمكن في قادم الأيام من توثيق شيء من هذا التاريخ الذي عاصرته وقرأت صفحات كثيرة عنه.

(٤) انظر عناوين الدراسـات الأربعة وأسـماء أصـحابها في الفهرست الرئيسي للقسـم. وسوف تجد داخل كل بحث شروحات كثيرة، ولها صلة مباشرة بالنقد، والإضافة، والتصحيح والتصويب.

ثانياً : ملاحظات حول بحث: (الأوضاع العامة لإقليم عسير خلال العصور الإسلامية الوسيطة والمتأخرة في ضوء الروايات المصدرية).

بقلم. أ. / منصور بن أحمد آل الثبيت عسيري(١).

أولاً: مقدمة:

منذ ظهور كتاب محمود شاكر (عسير) ثم كتابي ابن مسفر (أخبار عسير) و(السراج المنير في سيرة أمراء عسير)، ثم ظهور بقية المجموعة من الكتب المرافقة، التي ليس آخرها كتاب (إمتاع السامر...) بجزأيه، المنسوب لشعيب الدوسري، وما اتفقت عليه هذه الكتب من إيراد أخبار عن دولة يزيدية بدأت في العام(١٣٢هـ/٧٤٩م) في عسير، واستمرت إلى قيام الدولة السعودية الحديثة، فقد حدث جدل على مستوى الوطن طوال هذه الفترة، حول حقيقة هذه الأخبار وحقيقة هذه الكتب، وكانت أول دراسة نقدية موجهة لكتاب (إمتاع السامر) صادرة عن دارة الملك عبدالعزيز، قام بها باحثان مميزان، وهما كل من الأستاذ عبدالرحمن الرويشد والأستاذ محمد بن عبدالله بن حميد، وكانت الدراسة مُضَمَّنة من خلال نشر الكتاب ذاته مع التعليق الذي وضع اليد على الأخطاء التي وقع فيها الكاتب وتعارضه مع ما ورد في كتب التاريخ، ومفاهيم مرحلته، وبعد ذلك كتب عدد من الباحثين مقالات صحفية حول كتاب(إمتاع السامر ...)، وامتدت إلى كتاب تحقيق وثيقة إبراهيم زين العابدين الحفظي المنسوب إلى محمد بن مسلط(تاريخ عسير خلال خمسة قرون)، وكانت دراسة الدارة جيدة من ناحية نقدها للكتاب، كما أن المقالات التي كتبت في الصحف وضعت أيديها أيضاً على العديد من الدلائل على تزوير الكتاب، إلا أن المفهوم العام عن هذه الكتب السائد

---

(١) للمزيد عن سيرة الأستاذ منصور الثبيت، انظر: موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب، (ط٢)، ج١٦، ص ٢٠٩. ج٢٦، ص ٤٥٠. ج ٣٠، ص ٤٩٢. بالإضافة إلى الدراسة الأولى في القسم الأول من هذا المجلد رقم (٣٢). (ابن جريس).

في كل الكتابات كان بصفتها كتب عسيرية الهوى والهوية، بينما هي غير ذلك، ومن ثم وجدت أن هنالك حاجة إلى تقديم دراسة بصفتي أحد أبناء منطقة عسير التي نسبت إليها هذه الكتب، لتبيان حقيقتها وحقيقة علاقتها بالمنطقة، فكتبت كتاب (عسير والتاريخ وانحراف المسار)، وبعد ذلك أعاد أ.د. أحمد بن محمد بن حميِّد تحقيق كتاب الدر الثمين الذي نسب تحقيقه لجده لإيضاح الحقيقة وتبرأة ساحة جده عبدالله بن حميِّد مما نسبه إليه المزورون، وقدم نقداً ومعلومات جديدة في المقدمة حول هذه الكتب والفكرة التي تحاول بثها[١]. وكما هو واضح فقد كان كل من تقدموا بهذه الدراسات لديهم ــ بصورة أو بأخرى ــ أسبابهم لإظهار الحقيقة بصفتهم معنيين بما حوته هذه الكتب من أخبار.

لا شك بأن الفكرة الأساسية لهذه الكتب التي تزعم وجود إمارة لآل يزيد بن معاوية في بلاد عسير ــ منذ سقوط الدولة الأموية في دمشق ــ قد انهارت تماما تحت الحقائق الواردة في هذه الكتب التي رصدت أخطاءها ومفارقاتها وتباينها مع المسار التاريخي الذي تجمع عليه المصادر التاريخية الحقيقية، ومع مفاهيم ولغة مرحلتها المفترضة، لذا لم تعد أفكار هذه الكتب مقبولة لدى العامة ولا الخاصة، إلا أن هنالك دائماً ثلة لا يمكن إقناعها بالحقيقة، ولن تسمع ولن ترى إلا ما ترغب في سماعه ورؤيته، مهما كانت الحقيقة بينة ظاهرة واضحة كل الوضوح، ومهما وضعت من دلائل توضح الحقيقة، لذا فالاستمرار في محاولة إقناعها إضاعة للوقت، وهو بعد كل هذا الوضوح جهد لإثبات المثبت، ولكن يظل تقديم الدراسة في أي مجال هو حق مستحق لكل باحث.

قبل عدة أشهر أرسل لي أحد الأصدقاء بحثاً للباحث الأستاذ الدكتور محمد منصور حاوي تحت عنوان (الأوضاع العامة في إقليم عسير في القرون الإسلامية الوسيطة والمتأخرة في ضوء الروايات المصدرية). ففرحت بالبحث بعد أن شاهدت اسم المؤلف الذي كان قد كشف عن واحدة من أهم الوثائق التاريخية التي تنفي وجود أي نوع من السلطة الشاملة أو حتى بقية أثر لها في عسير في أواخر القرن العاشر وبداية الحادي عشر الهجري[٢]، وهي مرحلة نشطة في سلسلة أحداث الدولة اليزيدية في رواية

---

(١) عاكش، حسن بن أحمد اليمني، الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين، تحقيق د. أحمد بن محمد بن حميد، من إصدارات دارة الملك عبدالعزيز – الرياض، (١٤٣٤هـ).

(٢) انظر تلك الدراسة عن (رحلة الإمام المؤيدي إلى منطقة عسير) الموثقة في مخطوطة (التحفة العنبرية)، منشورة في مجلة كلية اللغة العربية في جامعة الأزهر، عدد (٣٣) (١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م)، ص ٢٧١٥ــ ٢٧٩٤.

مجموعة الكتب المزورة، وقد قرأت البحث ووجدت أن فيه إضافات جيدة، تضيف إلى مفاهيمنا عن التاريخ القديم لبعض الجهات في المنطقة، خاصة ما ورد في المصادر اليمنية منها، ولكن كان هنالك بعض الملاحظات تخص عدم التزام الباحث بالتوجه العام للبحث، وعلى بعض المصطلحات التي استعملت لوصف المجتمع، بالإضافة إلى ملاحظات حول النقل وحول المعلومة، فبقدر ما نقول لقد أحسن الكاتب في تسليط الضوء على بعض أحداث المنطقة التي وردت في المصادر اليمنية، فإن هنالك في المقابل بعض الملاحظات التي نود أن يتسع لها حسن ظنه.

في بدايات البحث أشار الباحث إلى هدف البحث ومما قاله(ص٢٧٢٨): «ولكن أمام ما سأسوقه من نصوص ثابتة وردت في مصادر موثوقة، ومعاصرة لهذه الحقبة الزمنية ستنهار كل تلك المحاولات للادعاء بوجود سلطة سياسية حاكمة لإقليم عسير؛....،بل ذهبوا إلى محاولة الترسيخ بوجود سلطة وهمية مبدؤها ومنطلقها (آل يزيد الأمويون) الذين هرب جدهم من الشام ــ في زعم تلك المؤلفات الزائفة، ومن اغتر بها ــ إلى عسير، ومن ثم أسس له إمارة توارثها عقبه، وحكموا من خلالها كل بلاد عسير، وما جاورها عبر عدة أدوار لهذه الأسرة وصولاً إلى عهد الأمير محمد بن أحمد اليزيدي الأموي الذي تقوضت بمقتله إمارة اليزيديين سنة (١٢١٥هـ/١٨٠٠م) على يد أتباع الدولة السعودية الأولى. ولست هنا في غرض مناقشة انتسابهم إلى يزيد بن معاوية الخليفة الأموي، لأن قضايا الإنتساب إلى عموم بطون قريش، ومنهم بنو أمية أضحت ظاهرة، وذات شجون لأمور: منها أن هذا مما عم وطم، وذاع وانتشر، وكثر الاختلاق فيه، واختلط المكذوب مع بعض الحقيقة، حتى فاض عن الحد قديما وحديثا؛ ومنها أن الروايات المضطربة، والمتضاربة قد حفت، وأحاطت بالكثير من الدعاوى؛ ولأنه قد ثبت أن في اليمن على وجه الخصوص أسراً، وبيوتا تعود إلى البيت الأموي:

وكل يدعي وصلا بليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاكا

هذا كلام في صلب الموضوع، لولا التهكم، وما كان أجمل من لو أن المؤلف التزم بهذا الهدف، ولكنه خرج عن هذه الغاية إلى مهاجمة الإنسان والمجتمع على امتداد جغرافيا منطقتي عسير والباحة ومحافظة الطائف، وجنوبي مكة المكرمة، وامتدت جغرافية مناطق الاستهداف إلى موقع الثريا غربي منطقة الرياض[1].

(١) غفر الله للدكتور محمد حاوي، فهو باحث جيد، وكنت أتمنى معك يا أستاذ منصور أن الأخ حاوي التزم بالدراسة العلمية النقدية، بدون أسلوب الحدة التي سلكها في معظم صفحات بحثه (ابن جريس).

ثانياً: الملاحظات بخصوص الخروج عن التوجه العام للبحث:

في مقدمة بحثه (ص ٢٧١٨)، تعرض لأسباب تجاهل الباحثين في عسير للنصوص التي تنفي صحة دعوى السلطة اليزيدية المزعومة في عسير إلى أن قال: «وثانياً: بيان خطل، وافتئات فئة من الباحثين علمت ما في هذه المؤلفات من زيف، واختلاق، ولكن ساقهم التعصب، والنظرة الإقليمية القاصرة، والفجيعة بأن يكون إقليم واسع مائج بأهله وساكنيه لا يوجد له زخم تاريخي مستمر، وحكومات وإمارات كغيره من (البلاد المحاددة له)، والمشتركة معه في الامتداد الجغرافي، والتركيبة السكانية، فاسترقته العاطفة، وقادته النظرة الإقليمية الضيقة، واختبلته العصبية المقيتة». ثم عاد في (ص٢٧٢٦) ليوضح أكثر مقصوده من عبارة «البلاد المحاددة له»، عندما استرسل في الحديث حول إقليم عسير إلى أن يقول: «ومن الغرائب أن ينساق بعضهم ـ بغير علم ولا هدى، ولا كتاب منير ـ إلى مد حدود الإقليم جنوباً حتى ميدي على الحدود اليمنية، ملغياً بذلك إقليم المخلاف السليماني المشهور، ومدرجاً كل مدنه، وقراه ومناطقه - وبكل جهالة - ضمن إقليم عسير، متغاضياً ـ هذا البعض عن قصد ـ للبعد السياسي، والحضاري، والثقافي، والحدود الجغرافية لإقليم المخلاف السليماني المعروفة، والمشهورة في المصادر التاريخية، والبلدانية القديمة».

مع احترامنا لجهد الباحث وتقديرنا له إلا أنها بداية غير مشجعة، فهنا خروج عن النص وعن التوجه العام، فلم يكن هنالك ضرورة لاستخدام ألفاظ حادة، وإيحاءات مسيئة للجوار بهذه الطريقة، وما الفجيعة التي يمكن أن يسببها وجود سلطة في المناطق المجاورة لدى باحثي عسير، في ظل انعدام السلطة السياسية الشاملة ـ في نفس المرحلة ـ في معظم مناطق الجزيرة العربية.

كما نود أن نوضح ما كررناه كثيراً، بأن دوافع من أيدوا فكرة الدولة اليزيدية هي عكس ما تصوره أو قد يصوره الباحث أو سواه، ففكرة الدولة اليزيدية الأموية تخلي أبناء هذه المنطقة من أي روح مبادرة على امتداد تاريخها الإسلامي لصالح أسرة قرشية مزعومة قدمت إلى عسير (حسب دعواهم)، فوجود سلطة مستوردة من بلاد أخرى تحكمت في بلادك بالذات دون جوارها على مدى ألف ومائتي عام ولم ينافسها أحد من أهل الدار، ولم تكن مشروع وحدة تضم الجميع حولك مع المصدر في وطن واحد، يحمل قواسم مشتركة، هو ما قد يشعرك بالإحباط من تاريخك ومن ضعف همة قومك، فلا هم منعوا سواهم من التسلط عليهم ولا نافسوهم، ناهيك عن أنها تجرد أهالي المنطقة من تاريخهم الحديث الذي صنعوه بذاتهم، وتنافست على قيادته

أسرهم، عندما ناصروا الدولة السعودية منذ بداياتها، فمدوا نفوذها جنوب وغرب الجزيرة العربية، ثم عندما سقطت الدرعية فأقاموا الإمارات الخاصة بهم، ولم يكن كل ذلك بمبادرات الأمويين، ولا الهواشم، ولا سواهم.

بخصوص التبرم من تمدد مسمى عسير ليحتوي منطقة المخلاف السليماني، ورغم أن الباحث لم يعطنا أمثلة لدعواه، إلا أننا نود التذكير بأن أول من أطلق مسمى عسير على منطقة جازان بشكل رسمي هو حاكم منطقة جازان محمد بن علي الإدريسي عندما أطلق على كافة المخلاف السليماني وتهامة اليمن مسمى(عسير) وسمى نفسه (إمام عسير)، متخلياً عن مسمى المخلاف السليماني ومسمى جازان، رغم أن عسير بثقلها كانت خارج نفوذه، وللتذكير فإن مسمى عسير يستعمل خارج المنطقة وعلى مستوى الوطن العربي كافة للدلالة على كل مناطق الجنوب السعودي كافة منذ أكثر من قرن، فمثلا الموسوعة العربية عرفت (عسير) بأنه إقليم يقع بين الحجاز واليمن ونجد والبحر الأحمر(١)، كما أن الحجري اليمني استعمله لنفس الجغرافيا متضمناً منطقة جازان، فقال: «عسير: صقع واسع جداً شمالي بلاد اليمن الجبلية والتهامية يتصل من شماليه ببلاد الحجاز ومن شرقيه ببلاد نجد ومن غربيه بالبحر الأحمر ومن جنوبيه ببلاد صعدة في الجبال وببلاد حرض وميدي في تهامة(٢)».

وعموماً فإن الأمر فيه سعة، ولا يستحق هذه الغضبة، فأسماء الأقاليم عامة بدأت كمسمى شخص أو وادي أو بلدة، أو حتى اسم جهة، وعمم لسبب ما، وهي أسماء ترتبط بمراحل ثم تخبوا ويأتي مسمى جديد.

في ص(٢٧٢٥) يقول: «ومن الغريب أن تجدهم يرجعون هذه الادعاءات أحياناً إلى بعض المدونات المنسوبة إلى بعض آل الحفظي، كمذكرات جعفر الحفظي، وإبراهيم ابن علي بن زين العابدين الحفظي، ويستمدون منها أوهامهم بأن هناك إمارة ما، أو دولة ذات سيادة وزعامة قبيل الدولة السعودية الأولى في إقليم عسير،...».

---

(١) مجموعة من المتخصصين والأكاديميين العرب، الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٥٩م، ص١٢١٢. (منصور). اسم عسير ورد في الوثائق الحديثة وبخاصة في عهد المتصرفية العثمانية وامتداده إداريا وعسكرياً إلى القنفذة وبلاد غامد وزهران، وإلى منطقة جازان. (ابن جريس).

(٢) الحجري، محمد بن أحمد الحجري اليماني، تحقيق وتصحيح ومراجعة إسماعيل بن علي الأكوع، دار الحكمة اليمانية – صنعاء، ط٢ – ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، مج٢/ص٦٠١. (منصور). يجب على الباحث والمؤرخ النزيه أن يتصف بالشفافية والمصداقية في كتاباته وتوثيقاته، وكلما عاد إلى مصادر صحيحة وحقيقية، فدراسته تكون أقوى وأفضل، ونسأل الله التوفيق والسداد في كل ما نقول ونكتب. (ابن جريس).

وقــد علق الباحث علــى النص أعلاه في الهامشــ[١] البعيد بقوله: «لم تقتصــر هذه المدونــات الزائفــة على اختلاق تاريخ سياســي لعســير في القــرون الوســيطة، بل تجاوز الأمر إلى تزوير مدونات أخرى ـ ركيكة، وهزيلة ــ نســبت أيضــا إلى بعض آل الحفظي الذين عاصــروا الدولة الســعودية الأولى؛ ظاهرها تنويه بدور العســيريين في بث الدعوة الإصــلاحية، ونفوذ الدولة الســعودية في جنوب الجزيرة العربية، وباطنها وصم تعاليمها بالدعوة إلى ســفك الدماء المعصــومة، وسبي النساء والذرية بدعوى أن المخالفين لها هم مشركون، خارجون عن ملة الإسلام...أحدها يسمى بـ(الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل ســعود الأولين. المنســوب للشــيخ محمــد بن هادي بن بكــري العجيلي) (نشــره أبو داهش)، والآخر يســمى بـ (نفــح العود والظل الممدود المنســوب زورا للعلامة محمد بن أحمد الحفظي، وهو في وريقات يتشابه في كثير من سياقاته مع الظل الممدود).

أقول: الباحث بدأ مراوغاً عندما انتقل للهامش البعيد عن موقع النص ليشــكك في أحد أهم وأقدم مصادر التاريخ العسيري الحديث، وهو وثيقة (الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود الأولين) للشيخ محمد بن هادي العجيلي (رحمه الله)، وهذا خروج عن التوجه العام الظاهر للبحث، بل هو اتجاه مناقض لفكرته، فهو يشــكك في أحد أهم المصادر الداعمة لتوجه بحثه دون أي تعليل معقول، مدَّعياً ـ ضمنياً ــ بأنه يحمل في باطنه تشــويه الدولة الســعودية، بينما الوثيقة كاتبها أحد أشــد علماء عســير حماساً للدعوة السلفيَة، وللدولة السعودية، وهي معروفة ومتداولة، وقد أشار لها محمد بــن إبراهيم الحفظــي في كتابه (نفحات من عســير) عندما اعتبر وثيقــة جدِّه محمد بــن أحمد الحفظي المســماة (نفح العود في الظــل الممدود) تكملةً لــ (الظل الممدود في الوقائع والحوادث في عهد آل ســعود)[٢]. وكان ذلك في ترجمته للشيخ محمد بن أحمد الحفظــي، كما أن الوثيقــة حققت من قبل الدكتور عبدالله أبو داهش بطريقة رســمية، وتحكي واقع الحال والأحداث في عصرها بما لم يتسن لسواها، وهي تتعارض تماماً مع معلومات مجموعة كتب إمتاع السامر المزورة، ومع فكرة وجود أي سلطة سياسية شاملة بيــد آل يزيد أو ســواهم قبل الدولة الســعودية الأولى، وكان من المفترض أن يســتخدم الباحــث الوثيقة لإثبــات عدم وجود الدولة اليزيدية التي تجاهلها العجيلي، وأشــار إلى مجتمع محلي لا ســلطة شــاملة عليه، وأهالٍ اختصــموا حول الدعوة، بما يدل على عدم

(١) الهامش، ص (٢٧٧٦).

(٢) الحفظي، محمد بن إبراهيم زين العابدين الحفظي، نفحات من عســير ديوان شعر من قصائد الأسلاف آل الحفظــي، جمعــه وأخرجــه للطبع عبدالرحمن بــن إبراهيم زيــن العابدين الحفظي، بدون دار نشــر، (١٣٩٣هـ/١٩٧٤م)، ص٤٥.

وجود سلطة حاكمة يشار لها ولموقفها من الدولة السعودية وأتباعها في المنطقة، ولا إلى مقاومتها المفترضة للسلطة القادمة من الشمال، (هذا لو كان ذلك هدف الباحث فعلا) ،ومؤلفها الشيخ/محمد بن هادي العجيلي كان أحد المتحمسين للدولة السعودية ولدعوتها السلفية في عسير، وهكذا كانت الوثيقة مترجمةً لتوجهه، وما تشير إليه الوثيقة ضمنيا عن أحداث الدولة السعودية في عسير، ومحورية دور العسيريين في مناصرتها وتمددها يوافق ما ذكره معاصروها مثل البهكلي، وبوركهارت، والجبرتي، وجحاف وغيرهم، فهل سنشكك في المؤلفات المعاصرة جميعا[١].

أما وثيقة (نفح العود في الظل الممدود) لمحمد بن أحمد الحفظي فهي قد تحمل بالفعل إشارات بخصوص الجيش العسيري (السعودي) المتجه إلى مكة عام(١٢١٩هـ/١٨٠٤م)، وبشكل قد يوحي بتوجيه رسالة أخرى، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة أنها مزورة، فربما هي تمثل بالفعل موقف محمد بنٍ أحمد الحفظي في بداية وصول الدعوة إلى عسير، ففي الوقت الذي كتب فيه شعرا في مدح أئمتها وقادتها، ورسائل في تأييدها فقد راسل الدرعية شاكيا من دعاتها في عسير ـ وهم الذين أصبحوا أمراءها لاحقا ـ، كما كتب رسائل للعامة تنتقصهم.

ومن الجدير التنبيه إلى أنه قد أشار لوثيقة(نفح العود..)أحد أحفاد مؤلفها، وهو محمد بن إبراهيم الحفظي في كتاب (نفحات من عسير)[٢].الصادر عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)[٣]، ومن ثم فالواضح أن الوثيقة أصيلة، وإنكارها ــ لو حصل حاليا ــ قد لا يكون ذا معنى، ما لم يكن من خلال فحصها تِقَنيّاً.

(*) ص(٢٧٤٣) في تعليله لسبب إهمال مؤرخي عسير لذكر مريع ابن الحفارص ذكر عدة نقاط، منها قوله :

١- ترسيخ بطلان ما اشتملت عليه هذه المؤلفات والمدونات من تلفيق لتاريخ مزعوم لإقليم لم يعرف عن أهله أي نشاط سياسي، أو حراك فكري قبل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي؛ بل كان حال أهله ــ كما سبق القول ــ

(١) غفر الله لك يا أستاذ منصور، فالذي أوردته مطبوع ومنشور ولا لبس فيه، والدكتور محمد لم يحالفه الحظ والاستفادة من المعلومات التي أشرت إليها. (ابن جريس).

(٢) ( )كتاب نفحات من عسير صدر عن أحد أفراد أسرة آل الحفظي وهو محمد بن إبراهيم الحفظي عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، وهي فترة مبكرة، سابقة لبدء تسلسل صدور الكتب المزورة، وقد كان هذا الكتاب مفتاحاً وبداية من تلفيقات الكتب المزورة حول التاريخ وكشف ما أضافوه إلى قصيدة قديمة من تزوير لدعم فكرة الدولة اليزيدية.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

هو الانغلاق على أنفسهم، فتجد كل قبيلة منكفئة على ذاتها، وهمها الأكبر هو النظر في معايشها، والانشغال بخصوصيتها، إلا عندما تدفعهم الحاجة للمال إلى الإستجابة لمن يطلب عونهم في الصراعات العسكرية خارج حدود الإقليم - كما سبقت الإشارة - ولم يكن لهم احتفاء بمن يمر في بلادهم، أو ينزل بهم من العلماء، وطلبة العلم، والشخصيات المشهورة في الأقطار المجاورة؛ فلديهم ما يشغلهم عن التفرغ للتحصيل، ومن ثم التدوين لمجريات الأمور، وأحداث إقليم عسير حتى ولو شفاها.

٢- لا يبعد أن تكون قد نشبت حرب بينه وقبيلة أخرى. كما هي عادة هذه القبائل. فخذلته قبائله، ولم تقم بنصرته ومؤازرته، والوقوف معه وتخلت عنه، وأسلمته بذلك إلى أعدائه، وانتهت هذه الحرب إلى مقتل الشيخ مريع بن ناصر بن الحفارص، وابنه وذوي قرابته[١].

استكمل المؤلف بعدها بنقاط أخرى حول سبب اختفاء اسم ابن الحفارص، والحقيقة أن الباحث لم يكن في حاجة لإطلاق العنان للخيال في رواية افتراضات لا أساس لها بهذه الصورة التي قد تثير الجدل دون أي مستند، ولا أي إشارة مقاربة، ولا تتعلق بتوجه البحث، وهذا خطأ.

ص (٢٧٤٩) يقول: «ومازلنا مع المؤرخ الثقة يحيى بن الحسين وهو يسوق لنا نصا مهما وقيما ينفي بما لا يدع مجالا للشك ذلك الإفك الأكبر من التحريف، والتزييف، والاصطناع، والاختلاق، والتزوير، في تلك المدونات، والمؤلفات العسيرية الزائفة، وعلى أن حقيقة الواقع وفق المصادر الموثوقة هو عدم وجود سلطة سياسية في هذه المنطقة على مرور الأزمان، وإنما هي سلطة قبلية لا تتجاوز كل قبيلة القبيلة الأخرى في نطاق أرضها وحدود أملاكها»[٢].

عبارة (المؤلفات العسيرية الزائفة)، تربط التزوير بالمنطقة ذاتها، بينما هذه المؤلفات الزائفة ليست عسيرية، ولا أهدافها عسيرية، ومصدرها لا زال غامضاً حتى

---

(١) قال: «يبدو أن هذا كان أمرا سائدا في قبائل الإقليم عامة، وشهران خاصة.. انظر توضيح ذلك عند علي عسيري، المرجع السابق، ص١١٤. (منصور). لا يخلو ما ذكره الدكتور حاوي من الحقائق، فأرض السروات خلال العصر الوسيط لا نجد عنها مصادر ومادة علمية ترصد شيئاً من تاريخها، والقبائل كانت صاحبة الحل والعقد في بلادها. أما الأمير ابن الحفارص فما زلنا نجهل الشيء الكثير عن تاريخه في بلاد عسير. (ابن جريس).

(٢) أصلحك الله يا محمد حاوي على هذا العنف في اللفظ، وكان بإمكانك تقول ما تريد بدون هذه الكلمات والمصطلحات اللغوية القاسية والجارحة. (ابن جريس).

الآن، وكان من الأفضل لو أن الباحث تحاشى الحديث بهذه الطريقة التي تنحى إلى لمز مجتمعاً كاملا بالتزييف. أما بخصوص السلطة السياسية الشاملة في منطقة عسير وبلاد السروات كافة فهذا صحيح، فلا شك أنه لم يكن هناك سلطة سياسية شاملة في منطقة عسير منذ القرن الخامس الهجري إلى نهاية القرن الثاني عشر، وليس عبر الأزمان كما يقول، واستخدامه لمصطلحات على مرور الأزمان هو صيغة مبالغة فقط، بينما لا يتجاوز علمهم حال زمانهم وما حوله، فلم يطلع يحيى بن الحسين على كل الأزمان، فإلى القرن الخامس كان هنالك سلطة سياسية شاملة مثبتة في النصوص التاريخية، كما سيأتي معنا، ثم انقطعت بعد هذا القرن، ولا يستحق الأمر التزوير لإثبات وجودها، إذ لا قيمة للسلطة ما لم تحمل قيمة للإنسان ذاته، فالسلطة السياسية ولّادة بطبيعتها لرجال العلم، لذا فوجود سلطة سياسية شاملة على مدى عدة قرون دون أن يبرز تحت ظلالها أعلام ونوابغ يتجاوزون بتأثيرهم محيطهم الضيق إلى العالم الرحب سيكون معيبا أكثر منه مصدر تفاخر.

ص(٢٧٥٥) يقول: «من الإنصاف أن نذكر أن هذا الإقليم قد خرج منه في العصور الإسلامية المبكرة شخصيات مشهورة التحقت بركب النبوة بعد أن اعتنقت الإسلام، وكان لقبائلها أثرٌ واضحٌ في الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً ؛ لكن هذه الطبقة من أهلها نزحت عن بلادها، ولم يعد منهم، أو من ذرياتهم ــ على حد علمي ــ أحد إلى إقليمه حتى يحمل مشعل العلم، ويتوارثه فيها وينشرون عقيدة الدين، وشرائعه[(١)]، وهذا مع انصراف أهله إلى حياتهم المعيشية، وانشغالهم بها، وانغلاقهم على أنفسهم في بيئاتهم وبلدانهم، وضعف صلاتهم بمن حولهم في البلاد التي كانت تشهد نهضة علمية وفكرية قد أدى بهم إلى الدخول في حالة من العتمة الدينية والعلمية.

نجد هنا فيما قاله الباحث وما استخدمه من ألفاظ هجوماً على المجتمع في المنطقة بكاملها، فهو يصر على قطع اتصال المنطقة بالعالم الخارجي، مع أن قبائل من هذه المنطقة كانت هي من ناصرت الصليحي ليستولي على كافة اليمن[(٢)]. كما أنها ناصرت

---

(١) قال: استعرض عبدالله أبو داهش الكثير جداً من المادة العلمية ــ المبالغ فيها ــ في كتابه: أهل السراة في الجاهلية والإسلام حتى القرن الرابع الهجري، إصدارات نادي أبها الأدبي، ٢٠٠٦م.

(٢) اليمني، عمارة، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد علي الأكوع، حواشي سفلية، ص١٠٣، ١٠٩. (منصور). إذا تحدثنا عن صلات أهل السراة بالعالم الخارجي، فهناك الكثير من المصادر المبكرة أشارت إلى الكثير من الأعلام الذين عاشوا في حواضر العالم الإسلامي الكبيرة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، وأصولهم فعلاً من أرض السروات الممتدة من الطائف إلى نجران. (ابن جريس).

الإمـام العياني عندما وصـل من ترج ليصـبح إماماً على اليمن في أواخـر القرن الرابع الهجري،[١] واسـتمرت في نصـرته لتثبيت حكمه هناك[٢]، مع أنهم لم يدينوا لإمامته في بلدانهم، كما كانوا على اتصال بالأئمة الحسنيين في اليمن للتجارة، بما يدل على المبادرة والحضـور الفاعل مع الوسـط المحيط، فكيف بهم لا يعلمون بما يدور حولهم، ثم ما دليل الكاتب على شـيوع العتمة الدينية في بلاد السـراة، والتي يعيدها تكرارا، فهو يربط بين عدم وجود السلطة بضرورة عدم وجود الدين مخالفاً لمن أشاروا لها عبر التاريخ.

ثم في نفس الصـفحة (٣٧٥٥) وفي نفس السياق يسترسل فيقول: «ولا علاقة لما حل بالخلافة العباسـية، ودخولها في عصـر التفـكك، والتخلف في آخـر أيامها بحالة هذا الإقليم»، كما يحاول البعض الربط بين الوضـع الديني، والعلمي المعتم في إقليم عسـير، وأوضاع الدولة العباسية[٣]، ذلك لأن هذه البلاد من خلال العرض التاريخي المتقدم لم يكن لها، ولقبائلها صـلة واضحة بالدولة العباسية، ولم تكن من حواضرها، كما لم يكن لأهلها أي اهتمام بما يدور حولهم من أحداث، وما يقع من تحولات سياسية أو عسكرية في البـلاد التي يجاورونهـا، ناهيك بتلك الوقائـع التي حدثت على بعد آلاف الفراسـخ عنهم، وعليه فمن أين أتى التأثير المزعوم؟

بل لقد كان هنالك ولاة للدولة العباسية في هذه البلاد وقد أشار الهمداني لأحدهم الذي كان عاملاً على جرش تابعاً لسلطان مكة ــ كما سيأتي معنا ــ، كما كانت بلدات هـذه المنطقـة مثل جرش والهجيرة وتبالة وترج وتربة وسـواها تابعة لمكـة المكرمة إلى القرن الهجري الخامس كما ذكر البكري والادريسي وغيرهم، وهذه التبعية تعني وجود العمال التابعين لولاية مكة المكرمة عليها.

ص(٢٧٥٦) ثم يسترسـل في نفس السـياق فيقول: «ومهما كان الحال فعلى الرغم مـن هذه النصـوص المصـدرية التي سـنذكر بعضـها، ويؤكدهـا ما يذهـب إليه بعض المعاصـرين ممـا فيه دلالة على أن هـذه البلاد قد دخلت في حالة من السـبات العقدي والعلمي، ونوع من العتمة الحالكة التي تصل إلى الجهالة بكثير من أمور الدين، وانعدام وجود لأي شـكل من أشـكال النشـاط العلمـي، والفكري في هذا الإقليـم، وامتداد ذلك من بداية العصور الإسـلامية الوسيطة حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ أواخر

(١) ابن يعقوب، الفقيه القاضـي الحسـين بن أحمد بن يعقوب، سـيرة الإمام المنصـور بالله القاسـم بن علي العياني، تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي، دار الحكمة اليمانية – صنعاء، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص١٧٥ .

(٢) ابن القاسم، يحيى بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ، ص٤٠٧ .

(٣) (١٦٩) قال: هاشم النعمي، عسير قبيلة وبلاداً، ص١٩٧ .

القرن الثامن عشر الميلادي[١]، ولا يتنافى ذلك مع ما وصفتهم ـــ أو بعضهم ـــ بعض المصادر من رقة القلوب، وبساطة في الدعاء، وإخبات وخشوع وقت ما يطوفون بالكعبة المشرفة، ذلك لأن ابن جبير عاد فذكر صفة صلاتهم فجعلها من المضحكات فهم لا يجيدونها، ولا يؤدونها على الوجه الشرعي، فتارة يسجدون دون ركوع، وأخرى يسجدون في الركعة سجدة واحدة، ويلتفتون أثناء صلاتهم، ولا يتشهدون ... إلى آخر ما ذكره. وهذا يدل على تواضع حياتهم الدينية، وتفشي الجهل، كما تدل على حالة البداوة والعزلة الاجتماعية التي كانوا يعيشونها[٢].

بعد أن وصم مجتمع السراة بكامله بالجهل، ذهب للهامش البعيد، وأشار إلى أن أبو داهش يرى أن هذا الوصف ربما قصد به ابن جبير جماعة، وليس عموم سكان السراة.

يصر الباحث على الحديث عن الجانب الديني دون سبب مقنع، أو رابطا ذلك بعدم وجود السلطة أو برواية مجتزأة من سياقها، ومن الخطأ تجاوز ما يظهر الجانب المضيء إلى ما يمكن أن يسيء، والإصرار على تعميمه وهو ما يظهر في انتقائية الباحث. فالحقيقة أن هنالك جهلة، وأشخاص أقل فهماً وإدراكاً بالشعائر في كل القبائل والمناطق وكل الأزمان، وإلى وقتنا الحالي هناك من يحملون نفس المواصفات التي ذكرها ابن جبير في مواقع شتى لا ينقصها السلطة ولا العلم والفهم والتعليم، ووجودهم لا يعني عموم الجهل بالدين في منطقة مساحتها أكثر من (١٦٠) ألف كيلومترا مربعاً، علما أن ابن جبير أشار إلى أن القوم كانوا فصحاء ذوو معرفة بالدعاء الذي ترق له القلوب، حتى أن أهل مكة يتسابقون على الدخول في جموعهم للدخول في دعائهم، كما كان يدخل في جموعهم ابن عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) كل عام، واطلق ابن جبير عليهم (السرو)، وألمح إلى بعض تلك القبائل الواقعة جنوب مكة والطائف وما حولها[٣] في منطقة مكة المكرمة، وودت لو أن أهالي منطقة عسير كانوا ضمن هذا الفضل، ولكني لا أرى أن أهالي

(١) قال: هاشم النعمي، المرجع نفسه ص١٩٨، عبدالله أبو داهش أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة، ص٤١٩.

(٢) قال: يرى أبو داهش أن هذا الوصف ربما قصد به ابن جبير جماعة، وليس عموم سكان السراة. (منصور). الحقيقة لا أعلم ما هو السبب الحقيقي في هذا الغضب والتحامل من محمد حاوي، فنحن لا نقول إن بلاد السراة مليئة بالنور والعلم والمعرفة، فأحوالهم واضطراباتهم السياسية كانت جزءاً من حياة سكان شبه الجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية الوسيطة، وكتب التاريخ والتراث الإسلامي فصلت الحديث عن أحوال جزيرة العرب في تلك القرون وما ساد البلاد والعباد من خراب وتخلف. (ابن جريس).

(٣) ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي الشاطبي البلنسي، رحلة ابن جبير، دار صادر ـ بيروت، ص١١٠.

منطقة عسـير كانوا يسوقون محاصـيلهم من الطعام والإدام والفاكهة إلى مكة وغيرها من حواضر الحجاز على بعد المسافة.

في صـفحة (٢٧٣٢) والتي تليها يستشهد بنص لعمارة الحكمي في القرن الخامس الهجـري، فيقـول: «حيث يذكر عمـارة الحكمي أن عمه علي بن زيـدان حج على طريق السراة فاجتاز أثناء ذهابه بقرية جرش فأضافه أهلها، وأكرموه ومن معه؛ وعند عودته مـن الحج وافق وصـوله غارة شـنها عليهم عرب آخـرون فاجتاحوهم، واسـتباحوهم، فقتلوا الرجال، وسـبوا النساء واسـتاقوا الأموال .. فأدركهم في أثناء انسحابهم، وأخذ علـى الأعراب الطريق، وقاتلهم ومن معه فهزمهم واسـتنفذ النسـاء والأموال .. وأمام خراب المدينة، وذهاب الكثير من رجالها، لم يجد النسـاء ومن سـلم من رجالها الذين خافوا على أنفسهم من أن يعود هؤلاء الأعراب للبطش بهم، إلا أن يتعلقوا بركابه، وأبوا إلا ان يخرجوا معه إلى بلده في المخلاف السليماني ..»[1].

في الحقيقـة أن مـا حمله نص عمارة الأساسـي من غرائـب، ومفارقات، وتهاويل، وخيـالات، وابتـذال وأشـعارٍ ممجوجة، ونفخ فـارغ. والذي أدرج في بـاب النكت . يجعلٍ إمتـاع السـامر وأقرانه كتباً وقـورة معتبرة عندما نقارنهـا به، فالواضـح لدينا يقيناً: إمـا أن الوثيقـة بذاتهـا مزيفـة، أو أن عمارة كان يكـذب بالجملة (يقدح من رأسـه)، ويحدث المصـريين بالعجائب معتمداً على عدم معرفتهم بحقيقة الجغرافيا ولا الوضـع الاجتماعي في المنطقة، فحجاج جازان وصـبيا لا يتكبدون عناء الصـعود إلى جرش في طريقهم للحج، لا ذهاباً ولا إياباً، كما أن جرش كانت ولا زالت منطقة عامرة بالسـكان وبالقرى المجاورة، والمتجاورة، كما وصـفها الهمداني وكمـا هي إلى تلك اللحظة، بينما يتحـدث عمارة عن قرية مقطوعة اضـطر أهلها للجوء إلى عمـه، والرحيل معه، ويبدو أن خيال عمارة لم يتجاوز نمط القرى المتباعدة في السـاحل أو في مصـر فأسقطها على الوضـع في السراة ذات القرى المتزاحمة، ويظهر طابع الاصطناع في النفخ الذي أضفي بـه على عمـه علي الزيداني الذي قاتل في إحدى مواجهاته في صـبيا منفرداً سـبعمائة رجل فقتل منهم (٩٥) رجلاً وأسر المتبقين (٦٠٥ رجل) بطريقة استعراضية مهينة بعد أن سـيطر عليهم جميعاً واضـطرهم إلى الاصـطفاف أمامه فربطهم، وأخذ أسلحتهم

---

(١) (٦٦) ذكر: النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، اعتنى به هرتويغ درنبرغ، شالون، ١٨٩٧م، ص١٥، ويظهـر أن الاجتياح كان سـبباً في اندراس قرية جرش. والله أعلم. (منصـور). ذكـره عمارة الحكمي، واقتبسـه حاوي . والذي عرفته وأنا أقرأ التاريخ وأدرسه أكثر من (٥٠) عاماً، أن حجاج تهامة والمسافرين يسـلكون الطـرق التهامية إلى مكة المكرمة منذ العصـور القديمة، وكان هنـاك صـعوبة شـديدة لصـعود التهاميين إلى السروات، وقد عرفت ذلك وأدركته في ثمانينيات وتسعينيات القرن الهجري الماضي.

وحملها مربوطة بعمائمهم على الإبل!![١]، ثم يردف في خبر عمه عندما وصل جرش ووجد الحادثة أنه حارب الغزاة، وكان الطرف الآخر زهاء مائة فارس ومائتين من الخيالة، فلحق بهم وهزمهم وأوسع الجرحى والقتلى فيهم، واسترد المال والنساء، وتعلقوا به فأخذهم لقريته وزوجهم من قومه!!!، ولكن باحثنا الفاضل حاول تحسين سرديات عمارة في جرش، فأشرك معه في نصره على الجيش في جرش آخرين، فقال (بمن معه) وهذه إضافة من الباحث، بينما هو لم يقل بذلك، بل ذكر عمه منفرداً، ولا غرابة، ألم يهزم عمه سبعمائة لص لوحده كما رأينا!، دفاعا عن مزرعته التي يقطعها الفارس من الفجر إلى الساعة الثانية ــ كما يزعم ــ، وليت الاستخفاف بالعقول انتهى عند هذه المبالغات الفارغة، فغرائب الجدال المصطنع والابتذال الذي أورده يفشي عن صريح الكذب الذي لا يقبله عقل، فحديث عمارة هنا أدنى من أن يستدل به على شيء.

ص(٢٧٥٤-٢٧٥٦) يقول:» وكيف ما كان الأمر فتقودنا ما أشارت إليه تلك الأمثلة مما ورد عند الحفظي، وغيره من استمرار القبائل في هذا الإقليم على أعرافهم، ونظمهم القبلية التي توارثوها كابراً عن كابر منذ قرون عديدة، إلى توضيح موجز عما ألمحنا إليه في مقدمة البحث من ضعف أو انعدام أي وجه من وجوه الحياة العلمية بمفهومها المعروف، والنشاط الثقافي الفكري في هذا الإقليم في العصور الوسيطة، والمتأخرة الأمر الذي جعل ــ مع الجهالة، وضعف الحالة الدينية في بلاد عسير ــ الأعراف القبلية المتوارثة تحل محل الأحكام الشرعية التي اضمحلت نتيجة عدم وجود علماء، وطلبة علم ينشرون علوم الشريعة علماً وتعليماً بين هذه القبائل، ويوقظون فيهم أهمية التمسك بشريعة الإسلام، ونشرها بين القبائل التي وصمها الكثير من المصادر بالجهالة الدينية، والعلمية؛ واستمر ذلك حتى وصول موسى ابن جغثم العجيلي من بلدة بيت الفقيه[٢] في اليمن الأسفل في مطلع القرن الحادي عشر الهجري/ نهاية القرن السادس عشر الميلادي إلى عسير، واختطاط بلدة رجال، وبناء أول مسجد فيها،

---

(١) النكت العصرية، المصدر السابق، ص١٧. (منصور). من يدرس بعض مصادر التراث الإسلامي المبكر يجدها مليئة بالأخطاء والمغالطات المتعمدة، ولا يستبعد أن عماره ذهب كما فعل غيره من المؤلفين الأوائل. (ابن جريس).

(٢) (١٦٤) قال:» تعد من أهم مدن تهامة اليمن، وهي في المرتبة الثانية بعد مدينة زبيد، وتعود نشأتها إلى الفقيه والعلامة، المشهور أحمد بن موسى العجيل في منتصف القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، ويقال إلى عمه إبراهيم بن علي العجيل (ت١٢٤٢م) وقد أضحت من حواضر العلم لكثرة الأسر العلمية بها. إنظر: محمد بن يوسف الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد بن علي الأكوع ـ مكتبة الإرشاد، ١٩٨٣، ٤٧٨/١. ، أحمد بن عبد اللطيف الشرجي، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، ١٩٨٦م، ٤٦

والقيام بالدعوة إلى الإسلام في بلاد عسير[١]؛ ثم أبناؤه، وحفدته من بعده بالدعوة إلى الله، ونشر العلم الشرعي فيها، وقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى دانت عموم عسير للدولة السعودية، واعتنقت الدعوة الإصلاحية[٢]. وهذه حقيقة نص عليها عدد من المراجع الحديثة[٣].

إذن فموسى بن جغثم وصل لعسير في مطلع القرن الحادي عشر الهجري أي قبل حوالي (٤٥٠) عام فنشر العلم، أي قبل وصول الدولة السعودية الأولى لعسير بأكثر من قرنين من الزمان، ورغم أن الأمر على خلاف ذلك، فالدين حاضر هنا، ورجال العلم موجودون وإن لم يكن بذاك الزخم، والقوة، لعدم وجود السلطة التي تهتم بإقامة المدارس وحلق العلم والصرف عليها، كأشراف مكة الذين استوطنوا صبيا وأبو عريش وجازان، فقد كان الناس يعلمون أنفسهم بأنفسهم في القرى ويصرفون أجر المعلم في المعلامة من جيوبهم، وغالبها لتدريس القرآن، ولكن الباحث على العموم تراجع هنا عن قوله بالجهل الأبدي المطلق، فيما قبل الدولة السعودية، وكنت أتمنى أن الباحث تحاشى استخدام ألفاظاً مثل (الجهالة) و«ضعف الحالة الدينية» حفظاً للجوار[٤].

أما بخصوص الأعراف القبلية، فلا شك أن الأعراف القبلية في منطقة عسير وغيرها لا زالت موجودة ومسيطرة وبعضها مما لا يقره بعض رجال العلم، كالمبالغة

---

(١) قال: وردت هذه العبارة التي يشوبها المبالغة ـ على ما يبدو ـ في رسالة مخطوطة متداولة منسوبة لإبراهيم زين العابدين الحفظي، ص٥،٦ (ترقيم حديث)، ووثيقة الفقهاء آل عجيل برجال ألمع، ورقة١ (نقلا عن أبي داهش، أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة، (ص٧٩)، وانظر: ابن مسلط، تاريخ عسير (رؤية تاريخية ...)، ص٣١. (منصور). الله المستعان. من يقرأ هذه المدونات يستغرب من كتابها قديماً وحديثاً عندما يصفون بلاد السراة بهذا الجهل والتخلف العلمي والديني. ومن يتجول في السروات من نجران إلى الطائف في وقتنا الحاضر فإنه يقف على نقوش إسلامية ومساجد تراثية تعكس استقامة أهل البلاد على الدين الحق، نعم قد يكون هناك جهل وأمية، لكن هذه المشكلة كانت في كثير من مناطق وبلدان شبه الجزيرة العربية . (ابن جريس) .

(٢) قال: انظر على سبيل المثال: عبدالله أبو داهش، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية، طبعته الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤١٩هـ، ص٢١، وما بعدها، آل زلفة، دراسات من تاريخ عسير الحديث، ص١٨ .

(٣) (١٦٧) قال: ومنهم هاشم النعمي، ومحمد العقيلي، ومحمد رفيع، وعبدالله أبو داهش، وغيثان بن جريس، وغيرهم. (منصور). لا أحد ينكر فضل آل الحفظي على البلاد، لكن من يبحث أكثر ويكون منصفاً في بعض المصادر اليمنية الزيدية وغيرها، وكذلك الحجازية فإنه سيجد بعض المناشط العلمية والمعرفية والحضارية في البلاد الممتدة من نجران إلى الطائف. وقد رأيت أمثال حاوي من يقولون أن هذه البلاد في جهالة جهلاء، وكأنهم الوحيدون، مع أن معظم بلاد تهامة والسراة كانت تعيش في مستوى واحد من التخلف. (ابن جريس).

(٤) كما ذكرت سابقاً لم يوفق الباحث في مستوى اللغة التي استخدمها، وللأمانة لقد أفسد عمله وبحثه بهذا الأسلوب الحاد القاسي المنفر للباحث والقارئ معاً . (ابن جريس) .

في حفلات الزواج، وإطلاق الرصاص للاحتفال والترحيب مع ما في ذلك من مخاطر، وإقامة مراسيم العزاء، ومع ذلك قد تجد أساتذة شريعة يجلسون في مجلس العزاء ثلاثة أيام ويتناولون الذبائح مع الجميع، وعند تزويج أبنائهم يفعلون ما يفعله الآخرون، وربما حملوا البنادق للرمي في الحفلات، وهكذا، وهذا مما لا دلالة له على شيء، فهنالك آراء مختلفة لأهل الفتوى حول كل عادة وقد تسمع أيهم يهول والآخر يهون، فالأول يقول مجتمع مخالف للشريعة والآخر يقول بأنها لا تخالف الشريعة، وهم كذلك منذ الأزل.

ص(٢٧٣٥) أورد الباحث من أخبار منتصف القرن الثامن الهجري نص ابن فضل الله العمري بما جاء فيه من وصف للحالة الدينية وصفاء العقيدة، وهو نص يثني على الحالة الدينية في بلاد السراة كافة ولم يعلق الباحث على النص بل تجاوزه (حتى حين).

وفي ص(٢٧٥٧) عاد إلى نص ابن فضل الله بعد أن أورد الكثير من الانتقاءات المسيئة بين الإشارتين، ليقول: «ويغلب على الظن أن هذا ليس على إطلاقه في جميع مجتمعات هذا الإقليم، وفي جميع القرون التي سبقت وصول الدعوة السلفية، فربما كان البعض ــ وخاصة من كانت ديارهم متداخلة مع دولة الأئمة الزيدية ــ ونظرا لسهولة التواصل مع حواضر العلم بها كمدينة صعدة، فلا يبعد أن يكون لدى هذا البعض إثارة من علم، ومعرفة بأمور دينه؛ ذلك أن العمري يذكر أن (أبو جعفر بن غانم) قد حدثه عن هؤلاء ... وذكر في عرض قوله أنهم «أهل سلامة وخير وتمسك بالشريعة، ووقوف معها، يعضون على دينهم بالنواجذ ...»».

لعل هجرات بعض أعلام وعلماء الزيدية إلى بعض المواضع من هذه البلاد ــ كما سبق ذكره ــ وخاصة ما كان متاخماً لبلاد الزيدية؛ وما كانوا يعقدونه من حلقات، ودروس العلم فيها، ومنهم بعض علماء آل المؤيد الذين سبقت الإشارة إليهم. فعلى سبيل المثال كان بعضهم يعقد دروساً في فروع الفقه الزيدي، ويملي، ويقرئ في بعض المؤلفات في علوم العربية، وغيرها من مؤلفاتهم في الحرجة؛ فالحموي ــ على سبيل المثال ــ يذكر في ترجمة ابن أبي الرجال أنه رحل إلى الحرجة فقرأ بها شرح الخبيصي على الكافية في النحو، وشرح التلخيص للسعد التفتازاني، وغيرها على العلامة صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين المؤيدي وكذلك عبدالله بن علي المؤيدي عندما مكث سنين عديدة في كل من ذهبان شهران، والواديين كان يعقد فيها دروساً، والتدريس والإقراء كما يقول ابنه[1].

(١) قال: التحفة العنبرية، ورقة ١٣٢٢أ.

الـذي ظهر أن البلاد العسـيرية لم يحتفلوا بهذه الدروس، وبقيت موجهة لقلة من الزيديـة؛ وقـد يعود هذا إلى كون أكثرهم من أهل السـنة والشـوافع، أو لعدم الاهتمام بطلب العلم، وانشـغالهم بأمور حياتهم الخاصـة، ومعايشـهم، وإما لعدم وجود الهمة، والدفع إلى التعلم!؟، والله أعلم.

كما نرى فقد أهمل الباحث نص ابن فضل الله العمري، ولم يعلق عليه عندما أورده نصـا، ثم عاد في موقع بعيد ليلتف عليه فيورده مجتزءاً ومخصصـا لجغرافيا محددة، على غير ما أورده العمري الذي نقل عن أبي جعفر بن غانم، ونصَّ بوضوح على التعميم فقـال: (أن بـلاد الشـرفاء)[1] ،هؤلاء متصـلة ببلاد السـراة، إلى الطائـف، إلى مكة المعظمة»، فالباحث الكريم ادعى التخصيص هنا على غير الحقيقة بينما كان يعمم في نصـوص أخرى علـى غير الحقيقة، وهذا هو النص عند ابن فضـل الله، قال: «حدثني أبو جعفر بن غانم[2] أن بلاد الشـرفاء[3] ، هؤلاء متصـلة ببلاد السـراة، إلى الطائف، إلى مكـة المعظمة. قال: وهي جبال شـامخة، ذات عيون دافقة وميـاه جارية، على قرى متصـلة، الواحدة إلى جانـب الأخرى، وليس لواحدة تعلق بالأخـرى بل لكل واحدة أهلٌ يرجع أمرهم إلى كبيرهم،........ قال: «وأهلها أهل سـلامة وخير وتمسـك بالشـريعة ووقوف معها، يعضـون على دينهم بالنواجذ، ويقرون كل من يمر بهم، ويضـيفونه مدة مقامـه حتى يفارقهم». وقد نقل القلقشـندي نفس النص «قـال: وحدثني أبو جعفر بن غانم،: أن بلاد الشـرفاء، هؤلاء متصـلة ببلاد السراة، إلى الطائف، إلى مكة المعظمة. قـال: وهي جبال شـامخة، ذات عيـون دافقة ومياه جارية، على قرى متصـلة، الواحدة إلى جانـب الأخـرى، وليس لواحدة تعلق بالأخرى بل لكل واحـدة أهلٌ يرجع أمرهم إلى كبيرهـم، ولا يضـمهم ملك ملك، ولا يجمعهم حكم سـلطان، ولا تخلـوا قرية منها من أشـجار وعروش ذوات فواكـه أكثرها العنب واللوز، ولها زروع أكثرها الشـعير، ولأهلها ماشية أعوزتها الزرائب، وضاقت بها الحضائر. قال: وأهلها أهل سلامة وخير وتمسك بالشـريعة ووقـوف معها، يعضـون علـى دينهـم بالنواجذ، ويقـرون كل مـن يمر بهم،

---

(١) يقصد بها بلاد الأئمة الزيديين في اليمن.

(٢) هو شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن محمد بن سليمان بن حمائل بن علي بن معلي بن طريف بن دُحيَّة بن جعفر بن أبي طالب، ولد بمكة سـنة (٦٥١هـ) وتوفي بدمشـق سـنة (٧٣٧هـ)، كان قد دخل اليمن وأحسن إليه الملك المؤيد داوود وقرره في كتابة السـر عنده، انظر: ابن فضـل الله العمري، شـهاب الدين أحمد بن يحيى، مسـالك الأبصـار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سـلمان الجبوري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ ــ ٢٠١٠م، ج٤/ ص١٤ــ١٥.

(٣) يقصد بها بلاد الأئمة الزيديين في اليمن.

ويضيفونه مدة مقامه حتى يفارقهم. وإذا ذبحوا لضيفهم شاة، قدموا له جميع لحمها ورأسها وأكارعها وكبدها وقلبها وكرشها، فيأكل ويحمل معه ما يحمل. ولا يسافر أحد منهم من قرية إلى أخرى إلا برفيق يسترفقه منها فيخفره، لوقوع العداء بينهم.»[١]، والنص هنا واضح وصدر عن أحد ممن مروا بالسراة وعرف أهلها عن قرب، ونقل عنه سواه. ونصه هنا مطابق للواقع فلم يكن هنالك سلطة شاملة والأمن ضعيف ومناط برجال القبائل ذاتهم. أما الناحية الدينية فكانت عامرة والقوم أهل دين وعقيدة سليمة وتمسك بالشريعة ووقوف معها، ولعل هذا النص يكفي ويعطينا فكرة عن الحالة الدينية والسياسية والاقتصادية للمجتمع المحلي في منطقة عسير وجبال السراة كافة إلى الطائف خلال القرون الوسيطة التي انعدمت بها السلطة الشاملة.

بعد كل هذا الهجوم ومحاولة التشويه للمجتمع يعود الباحث لوضع الرأي الأخير حول كل ما أورده فيقول: وما يقودنا إلى أن المبالغة واضحة في تلك النصوص ووقوفنا على إشارات في بعض الوثائق تنص على أنه كانت لأسرة الداعية موسى بن جغثم العجيلي منذ وصوله في أواخر القرن العاشر الهجري إلى رجال ألمع في تهامة عسير؛ وبروز ابنه العلامة محمد بن موسى في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وأبناؤه من بعده حتى وصول الدعوة الإصلاحية في بداية القرن الثالث عشر الهجري جهود في نشر تعاليم الإسلام، وهداية الناس، وتعليمهم في هذه الجهات[٢]، على الرغم من شوائب العقيدة الصوفية التي غلبت نتيجة نزعة هذه الأسرة كما هو معلوم، ولكن على ما يبدو كان تأثيرهم ضعيفاً، ومحدوداً حتى جاءت الدعوة الإصلاحية فأحدثت تحولاً جذرياً في مجتمعات هذا الإقليم سراته وتهامته؛ والله أعلم[٣].

---

(١) القلقشندي، أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية، ١٣٣٣هـ/١٩١٥م، ج٥/ص٣٨. (منصور). يا أخي منصور والزميل الدكتور حاوي هذا الذي سمعته وجمعته من أفواه الرجال منذ اهتمامي ببلاد تهامة والسراة من منتصف تسعينيات القرن الهجري الماضي. وعلينا كباحثين ومؤرخين أن نتصف بالشفافية والمصداقية والحيادية في كل ما نقوم بدراسته وتوثيقه . ومن يسلك هذا المنهج فسوف يكون (بإذن الله)من الناجين في الدنيا والآخرة. (ابن جريس).

(٢) (١٨٨) وردت إشارات في رسائل شيوخ محمد بن موسى إليه كالعلامة عمر بن عبدالرحيم البصري(ت١٠٣٤هـ)، وأحمد القشاشي(ت١٠٧١) يحثونه على الصبر في دعوة أهل بلدته إلى الشريعة الإسلامية. مجموعة رسائل في مكتبة علي الحسن الحفظي الخاصة بأبها.

(٣) قام بعض الباحثين ، ومنهم عبدالله أبوداهش ، وأحمد آل فايع بمناقشة ما ورد عن العلامة الشوكاني، وبوركهارت، انظر على سبيل المثال :عسير في ظلال الدولة السعودية الأولى (١٢١٥ـ ١٢٣٣هـ)، نادي أبها الأدبي، ١٤١٠هـ، ص١٠، دور آل المتحمي ، ص ٥٢. (منصور). إنني أعلم وأعرف أن الأستاذ الدكتور حاوي من الباحثين الجيدين والجادين والمجتهدين. وأرى طرق هذا الموضوع لا مشكلة في ذلك، لكن العدل والإنصاف والهدوء في النقاش من الأمور الرئيسية التي كان يجب عليه أن يتحلى بها، لكنه للأسف صار في

لا أعلم أين أضــع هذا الكلام الذي يناقض نفســه، ويحاول ألَّا يصل إلى نهاية بعد كل ما أورد وما أصر عليه من هجوم ووصم المجتمع في مناطق رئيسية ومساحة جغرافية واســعة من بلادنا. وهذا غيض من فيض، فالحقيقة أن انتقائية الباحث واضحة المعالم فهو يتجاوز النصــوص الهامة التي تصــف المجتمع على حقيقته ممــن مروا به وعرفوه عــن كثــب أمثال الهمداني وأبو جعفــر ابن غانم، إلى النصــوص البعيدة التي نقلت عن الخصوم أو المخالفين في المذهب، وفي هذا تحيز واضح، وكنت أتمنى أن الباحث تحاشى ذكر ألفاظ كـ (عدم وجود الهمة)، و(الفجيعة)، و(ضــعف الحالة الدينية)، و(الجهل بأمــور دينهم)، فهو يؤســس لخصــومة لا وجود لها بين مجتمعــين متجاورين يجمعهما الكثير من القواسم، وكلك عورات وللناس أعين.

ثالثاً: ملاحظات تتعلق بالمعلومة:

صـ(٢٧٢٩): يقول: «إذا اســتنبطنا مصــادر القرنين الثالــث، والرابع الهجريين ســنجد فيها إشارات مهمة إلى الأوضاع، والأحوال السياســية لهذا الإقليم على امتداد حــدوده المكانيــة المعروفــة في وقتنا هذا. ومن ذلك على ســبيل المثــال أن الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي(ت٢٩٨هـ/٩١٠م) ومن خلال أحداث سيرته منذ أن خرج من بلده قرب المدينة المنورة سنة (٢٨٤هـ/٨٩٧م)، وأسس أول دولة للزيدية في صــعدة المتاخمة لسراة عســير، وعلى الرغم من أنه كان يقطع هذا الإقليم في تنقله بين اليمن وبلده، ومروره في عدد من المدن والمواضع في سراة عسير إلا أنه لم يرد في سيرته شــيء عن وجود ســلطة حاكمة، لا لأحد من ذريــة يزيد بن معاوية ولا غــيره. ولو كانت هناك إمارة، أو حتى وجود لأحد من ذرية يزيد بن معاوية الأموي ـــ كما يدعون ـــ لما تردد يحيى بن الحســين، وأتباعه في الوصــول إليهم، واستئصال شأفتهم نتيجة الإحن والثارات بين البيت الاموي والعلويين.

الاستدلال والافتراض هنا لم يكن دقيقاً، فقد كانت هنالك سلطة محلية خلال هذه المراحل ــ كما ســيأتي معنا ــ ثم في نفس الصــفحة والتي تليها (٢٧٢٩-٢٧٣٠) يقول: «وإذا انتقلنا إلى الهمداني (ت٣٤٤هـ/٩٥٥م تقريبا) وهو المؤرخ الذي جاس خلال ديار عســير من جنوبها إلى شمالها، ومن شرقها إلى غربها، ووصفها بما لم يصفه بها أحد غيره، والتقى خلال ذلك فيها، وفي مكة المكرمة بالكثير من أهلها، واستخبر منهم عنها

اتجاهات مضادة لهذه الصفات الإيجابية، أرجو أن يعيد النظر فيما تم توثيقه بصدق وإخلاص بعيداً عن التمسك بآراء واتجاهات مضادة لهذه الصفات بقناعات لا تخلو من الخلط والتعصب. (ابن جريس).

وعن سكانها وأحوالها، ومع هذا لم يذكر ولو معلومة واحدة عن أمير من أمرائها، أو سلطة حاكمة لآل يزيد أو غيرهم، على الرغم من أنه زار الجهوة في بلاد الحجريين، ووصفها، وذكر صاحبها جابر ابن الضحاك.»

هذه معلومة خاطئة، فالهمداني قد ذكر حاكم جرش في القرن الرابع الهجري، عندما أشار في الإكليل إلى أن العواسج وسنحان اجتاحوا جرش وأزاحوا عنز عن السوق، ثم استرسل في سرده لقصيدة محمد بن إبراهيم العوسجي إلى أن قال: «وقال يوم أنجدته سنحان، واسترجعت له المسجد، وقبلت الموصلي عاملاً لسلطان مكة»(١)، ولا شك أن هذا دال على وجود السلطة التابعة لولاية مكة في القرن الرابع الهجري في جرش، وكان الموصلي هو الحاكم على جرش، وهذا النص ينسف كل الاستقراءات عن انتفاء وجود السلطة السياسية في القرنين الثالث والرابع الهجريين، بينما هي قائمة، ومتسلسلة، إذ أن تبعية جرش لمكة المكرمة يعني ارتباط وجود السلطة بها وارتباطها بتسلسل الولاية في مكة، منذ عين الرسول ﷺ واليا على جرش نهاية العقد الأول من القرن الأول للهجرة.

هذا بلا شك دليل محوري وقاطع على عدم وجود الدولة اليزيدية المدعاة، فالإشارة إلى وجود الحاكم في جرش ـــ والتي هي منطقة عسير الإدارية حالياً ـــ وتبعيته لمكة المكرمة، ينفي وجود الإمارة اليزيدية بشكل مطلق، إذ أنها تثبت وجود السلطة المحلية التابعة للسلطة في مكة، ومن ثم للدولة العباسية، وهو ما يستحيل معه وجود سلطة أخرى أموية. وكان هذا أهم نص يمكن أن يستفيد منه الباحث الذي تجاهل هدفه الرئيسي وهو مواجهة كتب التزوير وفكرة الدولة اليزيدية المدعاة وإثبات عدم وجودها، واتجه إلى محاولة إثبات افتقار مجتمع الدراسة لمفهوم السلطة عبر كامل تاريخه.

ص(٢٧٣١): في استدلاله برحلة القاسم بن محمد العياني عبر المنطقة الوارد في كتاب "سيرة الأميرين ..." يقول:«... ثم نزل بلاد عنز بن وائل (عسير)، ويذكر صاحب سيرته أنه لولا أن معه خلال تنقلاته من يخفره من كل قبيلة يمر بها حتى يسلمه للقبيلة الأخرى، لسطوا به، وقطعوا عليه الطريق، وسلبوه(٢)؛ لأن لكل قبيلة السيادة في حدودها، فلا يستطيع أحد من قبيلة أخرى أن يجتاز في أرض القبيلة الأخرى إلا بوجود دليل (خوي)، وأن يكون هناك إذن مسبق، وعهد بينهم حتى يسمحوا له بالاجتياز، كما

---

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد، الإكليل، تحقيق محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد ـ صنعاء، ج٢/ص١٤٦.
(٢) ذكر: السيرة (سيرة الأميرين لمفرج لربعي)، ص١٢٤-١٢٥.

أنه يحظر على كل قبيلة أن تنزل في حدود أخرى بغير إذنها[١]،ويذكر صاحب سيرته أنه وصل إليه أحد شيوخ عنز بن وائل؛ يعمل دليلاً للحاج أبلغه أنه مفاتن للعواسج في جرش، ثم أرسل معهم دليلاً من رفيدة من عنز بن وائل كي يجوز بهم إلى مقصدهم، وقد علم الشريف القاسم أنه قد وصلت رسل الصليحي من تهامة إلى عنز بالقبض عليه، وأن هذا الشيخ قد أضمر وقومه الغدر به، والقبض عليه، لكن الله كتب له ولأخيه وصحبهما النجاة حتى وصلا بلاد شهران، ثم إلى بلدهما ترج[٢].»

نقل غير دقيق، فالكاتب تحاشى النقل النصي هنا، وقدم معلومات خاطئة عن النص، فالنص الحقيقي يقول: «فصحبونا حتى انتهوا بنا إلى البذاخ وهو رجل من جذيمة من عنز بن وائل، وهو دليل الحاج فرحب وأجمل وقرى وأجزل وعرفنا أنه مفاتن للعواسج بجرش. وكانت رسل الصليحي كانت قد تقدمتنا من ناحية تهامة إليهم فهم على مسرة الصليحي بمساءتنا حراصٍ[٣]. فالربعي امتدح البذاخ الذي رحب بهم وأكرمهم فأجملَ، ثم أرسل برفقتهم رجلاً رفيدياً من عنز، كما لم يقل بأن رسل الصليحي قد وصلت إلى عنز، بل بعد أن ذكر أن البذاخ مفاتنا للعواسج في جرش، استرسل فذكر اتصالهم (أي العواسج) بالصليحي، كما لم يقل بأن الشيخ قد أضمر وقومه الغدر، بل لقد امتدح مضيفه البذاخ وكرمه معهم، ويزعم الراوي تعرض العياني لمحاولة الغدر من مستصحبه العنزي أثناء سيرهم مغادرين من بلاد عنز ــ كما يروي مرافقه حشمر بن عبدالأعلى ــ، وهذا أمر وارد، فالطمع والجشع والتعدي أمر موجود في كل المجتمعات منذ خلق الله الأرض. ونعيد ونكرر: قطاع الطرق لا صلة لوجودهم بعدم وجود السلطة، أو بمستوى ثقافة أو تدين المجتمع، فقد كان قطّاع الطرق أكثر حضوراً وشهرة في اليمن وحوالي مكة والمدينة رغم وجود السلطة[٤].

(١) ذكر: علي عسيري، ص١١٧. (منصور). ليس هناك الاختلاف الكبير بينك يا منصور والدكتور حاوي بخصوص عدم وجود الدولة اليزيدية في عسير أو السراة، لكن الذي رصد الزميل حاوي في الصفحات السابقة، آمل أن يعيد النظر في توثيقاته، لكثرة الأخطاء والتجاوزات العلمية فيها. (ابن جريس).

(٢) (٦٢) ذكر: السيرة، ص١٢٣.

(٣) الربعي، مفرح بن أحمد، سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد العياني، تحقيق رضوان السيد وعبدالغني محمود عبدالعاطي، دار المنتخب العربي. بيروت، ط١ – ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص١٢٣.

(٤) انظر (على سبيل المثال لا الحصر): (أ) ابن المجاور، يوسف بن يعقوب بن محمد بن المجاور الشيباني، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر، راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ١٩٩٦م، ص٦٥-٦٦. (ب) الريحاني، أمين، ملوك العرب ـــ رحلة في البلاد العربية مزينة برسوم وخرائط وفهرست أعلام، دار الجيل ـــ بيروت، ط٨ – ١٩٨٧م، ج١/ ص٢٥٤-٢٥٥.

ص(٢٧٣٢): وإذا عدنا إلى نص مصدري معاصر أيضاً ورد عند ناصر خسرو في رحلته التي قام بها بين سنتي (٤٣٧-٤٤٤هـ) فيذكر أنه لما اجتاز الطائف إلى نواحي السراة أبلغوه بأن هذه الناحية ليس عليها حاكم ولا سلطان، وأن لكل جهة منها رئيساً، أو سيداً مستقلاً ... وذكروا له أن الحروب فيما بينهم قائمة دائمة[١]».

ناصر خسروا كان عائداً من مكة إلى الأحساء، فصعد إلى الطائف ثم اتجه منها إلى مطار ثم الثريا ثم الأفلاج ومنها إلى اليمامة ثم الأحساء، ومطار من قرى الطائف، وهي بين الطائف والبوباة[٢]، وهي أيضاً على طريق من أنجد من حجاج اليمن، أما الثريا التي تحدث عنها بذاتها خسرو فهي في جهات حمى ضرية، ببلاد الضباب وقيل الثريا في بلاد فزارة[٣]، فما علاقة إقليم عسير ــ المعنية ببحث الباحث ــ بكل هذه المناطق، فالنص هنا ينافي ظاهر مآرب المؤلف، إذ هو أثبت أن الحالة التي يتحدث عنها من انعدام وجود السلطة السياسية المركزية الشاملة في تلك المرحلة كانت شائعة على معظم مناطق الجزيرة العربية الواقعة فوق الهضبة الوسطية في حينه. والحقيقة أن مرحلة ما بعد القرن الهجري الخامس شهدت فراغا سياسياً وإدارياً، وانعدام لوجود السلطة في معظم أنحاء الجزيرة العربية فيما عدا مكة واليمن التي ارتبطت بها السلطة بشكل شبه دائم، وإلى حد ما المخلاف السليماني والأحساء.

ص(٢٧٣٥): قال: «وإذا تجاوزنا المصادر اليمنية المعاصرة مؤقتاً وعرجنا على مصدر آخر معاصر وقريب من الأحداث كابن المجاور (ت٦٩٠هـ) الذي مر في بعض قرى، ومواضع الإقليم أثناء خروجه إلى اليمن من طريق السراة، ومنها «ذهبان» شهران، وراحة بني شريف في قحطان، وغيرها فسنجده يلقي عند كلامه عن هذه القرى والطرق الواقعة بين الطائف وصعدة أضواءً جلية يصف فيه الحالة الحقيقية التي تعيشها هذه البلاد وصف مشاهدة وعيان، فيقول: (إنها قرى متقاربة وكل قرية مقيمة بأهلها منفصلين...)».

الصحيح أن ابن المجاور لم يمر ببلاد السراة بل اتجه لليمن عبر تهامة الساحلية، فلم يكن شاهد عيان في هذا النص، بل كان ينقل عن محمد بن زنكل بن الحسين الكرماني، كما صرح في بداية السرد، وعندما عاد إلى الاسترسال في السرد ذاته تحت

(١) ذكر: ناصر خسروا، سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة-١٩٩٣هـ، ص١٥٤.
(٢) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٢٨٤ .
(٣) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢/ ص٧٧ .

عنـوان «صـفة هـذه البلاد» قـال: «وحدثني الراوي قـال: « وإن يكن زار شـيئاً من هذا الإقليـم فيما بين صـعدة وذهبان، حيث عـاد إلى ذكرها أثناء وجـوده في اليمن، ومما قالـه في هذا الكتاب تحت عنوان (وأما ذهبان) ثم قال: « وأما ذهبان فهي أمر القرى. بـلاد عز، ويقـال: إن دور أعمالها أربعون فرسـخاً، وهي نجد اليمن، والأصـح أطراف أعمال نجد اليمن من شرقي تهامة، وهي قليلة الجبال مستوية البقاع». ولعل وصفه لها بقوله(بلاد عز) لا يتوافق مع كونها تعيش (السبات العقدي والعلمي، والعتمة الحالكة)، وذهبان ياسـادة تبعد عن أبها (٢٥كم) فقط، فهي مدينة خميس مشـيط حالياً، فأين كانت العتمة؟.»[١].

أورد الباحـث (ص٢٧٣٦) : خبر هزيمة الأشـراف على يد بعض القبائل المحلية في بيشـة بقوله: "وعليه فسنقتصر على إشارتين لبعض ما ورد من نصوص حوادث القرن التاسـع الهجري من خلال المصـادر المحكيّة تذكر أن قبائل القسـم الواقع في الجنوب الغربي من بلاد عسير ـ بيشة وما حولها ـ كانت تتعرض في بعض السنوات من هذا القرن لغزوات من قبل أشـراف مكة بقصد الاسـتيلاء على أموالهم[٢]،ونعمهم؛ تنتهي أحيانا بهزيمة مذلة لجيش الأشراف على يد هذه القبائل، وأخرى بتحقيق بعض الانتصارات، والغنيمة من إبلهم، وأموالهم الأمر الذي يدل بوضوح لمن تأمل، واستشف هذه النصوص أنها لم تكن موجهة لأمير، ولا إلى حاكم حد زعم المزيفات[٣].

لم تكن هذه الأحداث في القسـم الواقع في الجنوب الغربي من بلاد عسـير، بل هي في بلاد شـهران في بيشـة الواقعة شـمال شـرقيها، ولعل هذه زلة قلم من الكاتب أو من المرجع. ثم لا أعلم أين وجه الدلالة؟، فهو لم يسترسل ليضع الشاهد في الموضوع.!

ص(٢٧٤٨) : وفي سـنة (١٠٩٨هـ/١٦٨٦م) خرج هذا الشريف(شريف مكة أحمد ابن زيد) حتى نزل بلاد عنز، لأنهم قطعوا الطرق، فأخضـعهم، وأمَّن الطرق، وانتهب

(١) ابـن المجاور، يوسـف بن يعقوب بن محمد بن المجاور الشـيباني، صـفة بلاد اليمن ومكـة وبعض الحجاز المسـمى تاريخ المستبصر، راجعه ووضـع هوامشه ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ١٩٩٦م، ص٤٩.

(٢) (٨٢) في الهامش قال: «على سبيل المثال ما وقع في سنتي(٨٣٧هـ)، و(٨٨٥هـ). انظر عز الدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد ابن فهد، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ج٢، تحقيق فهيم شلتوت، ط١، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، ١٩٨٨م، ص٤٨٣، ٥٣٤.

(٣) في الهامش قـال: «تذهب هذه المزيفـات إلى أن الأمير علي بن وهاس اليزيدي كان يحكم بلاد عسـير في الفترة (٨١٨-٨٤٥هـ)، والأمير إبراهيم بن عائض اليزيدي كان يحكم في الفترة (٨٦٢هـ-٩٤٢هـ). وهذا الأخير استمر في الحكم (٨٠) سنة بزعمهم.

عليهم كثيراً من مواشـيهم، بعد أن قبض على جماعة من مشايخهم، وحملهم معه، وما أخذه من مواشيهم إلى مكة المكرمة[١].

النص وردت فيه عنزة، ولا يوجد ما يدل على أن عنز بن وائل هي المعنية، فالحادثة تتعلـق بقبيلة عنزة لا عنز بن وائل، وأحمد بن زيد كان أميراً بعد والده زيد بن محسـن علـى مكة والمدينة، ومن ثم فخروجه بعـد أن عاد من نجد كان إلى قبيلة عنزة، كما هو واضح في النص، وهي في ضواحي المدينة على طريق الحج.

ص(٢٧٥٩) قال: «النعمي في حولياته يصـمهم في حوادث سـنة (١٢٢١هـ) بأنهم قريبـي عهـد بالإسـلام[٢]،ويؤكد هذا ما ورد في تاريخ عسـير مـن أن الأمير طامي بن شـعيب قد بعث الفقيه العلامة عبدالقادر بن أحمد الحفظي إلى كافة عسير السراة في سنة (١٢٢٦هـ) لتعليمهم شرائع الإسلام»[٣].

الباحـث هنا لم ينقل النص، بل ابتسـر نقـل المعنى، مما أفقـده دلالته الحقيقية، وهذا نص النعمي: «ولما كانت سـنة (١٢٢١هـ) خرجت عسـير من أرض السراة وفيهم قبيلة تسـمى الشروق قريبين عهد بالإسـلام، وفيهم يومئذ رئيسا طامي، وتقدموا على بندر الحديدة، وحصـل الحرب بالسلاح والبنادق وأعظمها يومئذ الحرب بالمدافع، ثم أهلكوهـم بالسـليط والكبريت، ومن العجائـب أنه أخبرني واحد منهـم يقال له محمد ابن مغرم العسـيري وهو من جملة المكاوين في ذلك اليوم بما فيهم من البداوة والجهل المركب، أنهم كانوا ...».

وكمـا هو واضـح مـن النص، فقد كان مع عسـير قـوة جديدة يقال لهم الشـروق، والعسيري كان يتحدث مع النعمي عن هؤلاء القوم، ومن المعلوم أنه منذ عام (١٢٢٠هـ)، وبالضبط بعد معركة نجران ودخول مكة، أصبحت غزوات عسير سواء بجهات سواحل اليمن أو بجهات مكة تشـارك فيها قوى جديدة، من قبل عثمان المضـايفي وابن شكبان

(١) قال: «المصدر نفسه (بهجة الزمن في تاريخ اليمن)، ٣/١٣٠٠.

(٢) حوليـات النعمي التهاميـة (من تاريخ اليمن الحديـث ١٢١٥-١٢٥٨هـ -١٨٠٠-١٨٤٢م) تحقيق ودراسـة حسين العمري، دار الفكر، دمشق ١٩٨٧م، ص٣٥.

(٣) تاريخ عسـير لعبدالرحمن بن محمد الحفظي، تكملة ابنه القاضـي حسن بن محمد، مخطوط بمكتبة علي الحسن الحفظي، الورقة (١).(منصور). مصطلح (تعليمهم شرائع الإسلام) لا مشكلة في ذلك فالتعليم والتنوير بالإسـلام في كل زمان ومكان حتى الآن. لكن أخذ قول النعمي (بأنهم قريبي عهد بالإسلام)، لم يكن موفقاً في اسـتخدام هذه الصـياغة، ولا من جاء بعده ونهج نهجه. لأن الإسـلام موجود في هذه البلاد منذ عصـر الرسـول (ﷺ)، والجهل بالدين ربما كان موجوداً، لكن قوله (قريبي عهد بالإسـلام) ليس كلاماً صحيحاً على الإطلاق. (ابن جريس).

وحشـر العاصمي وغصـاب العتيبي وسواهم، وحديث العسـيري دال على غرابة القوم (الشـروق) بالنسـبة له، وحديثهم في العموم. وبعيدا عن رأي النعمي والعسيري. يحمل الدلالة على شجاعة هؤلاء الشروق وتضحياتهم وحماسهم للدعوة.

نجـد في طريقـة إيراد خـبر طامي وعبدالقـادر الحفظي محاولة مـن الباحث في فرضٍ فهم مسـبق على القـارئ، فطامي كان أميراً لعسـير وعـين عبدالقادر الحفظي معلماً وقاضـياً في عسـير السراة، ولكن عادة ما ينقل رجال العلم الشرعي صيغة الخبر بهذه الطريقة، ومن الخطأ تحميل النص ما لا يحتمل.

رغـم كل ما نقلناه هنا من ملاحظات حول التوجه العام على امتداد البحث والذي أخذ طابع الهجوم والتشويه إلى درجة الشتائم للمجتمع فيما بين الطائف وصعدة سراة وتهامـة، إلا أن هناك إيجابيات يجب عدم تجاهلها في البحث، فالبحث وضـع اليد على أحداث تحمل دلالة على الوضع العام في المنطقة وعلى بعض أحداثها، خاصة فيما نقله عن يحيى بن الحسين وإلى حد ما عن الجرموزي وعن الزحيف، وهو ما يستحق الثناء، لـولا هذا الزخم من الشـتائم والهجـوم غير المبرر. ونسـأل الله لنا وللباحـث الهداية والرشاد[١].

رابعاً: هل يصح ما وصم به الباحث إقليم عسير؟:.

عندما تبحث عما ينتقص أي مجتمع وتنتقي كل ما من شـأنه التقليل من شأنه كما فعل باحثنا فستجد الكثير من النصوص، ولو أن باحثنا ركز جيداً فيما ورد في المصادر اليمنية فقط ـــ ناهيك عن غيرها ـــ لوجد أن هنالك ما كتب عن منطقته ذاتها، مما يحمل نفس السـمات التي حاول إطلاقها على جاره. ونُجِلُّ أهل جازان الكرام كافة من أن نشـير إلى أي مما يسـيئهم، لما تمليه علينا شـيمنا أولاً[٢]، ولما نحمله من مودة لهم، ثم لكونهم جيران لنا، فلدينا الكثير من الصلات التي نحرص عليها مع رجال كرام من

(١) كما ذكرت سابقاً الأستاذ حاوي، من الباحثين الجيدين، وربما خانه الحظ في بحثه هذا، وبالخصوص في القسـوة والحدة التي سـلكها، ونرجو أن يعيد النظر في عمله ويشـذبه من الكلمات والمصطلحات القاسية. ومـا ذكر من تجريح لبلاد واسـعة وأهلها الذين عُرف عنهم الكثـير من الجوانب الطيبة والإيجابية. (ابن جريس).

(٢) ( ) كلنـا نعـرف أن بلادنا (تهامة وسـراة) كانت في حـروب وجوع وفاقة واضـطراب أمني وغير ذلك من الأمور السـلبية. وعندما جاء الإمام عبدالعزيز آل سـعود (رحمه الله) وحد البلاد، وخدم الأرض والناس حتى أصـبحنا شـعباً واحداً تسودنا المحبة والإخوة والتعاون والتآزر في شـتى المجالات. وما ذهب إليه الأخ الدكتور محمد حاوي، وبخاصـة في صـياغة الكلام لم يكن إيجابياً، وكان يسـتطيع أن يدون ما يرغب لكن بأسلوب علمي حيادي وشفاف وراق في المصطلحات والعبارات المستخدمة (ابن جريس).

أبناء هذه المنطقة ما بين أصدقاء أو زملاء دراسة أو زملاء عمل، وهو حال الكثير من أهالي عسير وجازان، ولا أعلم ما سر هذا الهجوم العنيف من باحثنا الكريم.

إقليم عسير يا سادة في غنى عن أن نكتب عنه هنا بالتفصيل لمواجهة ما كتبه باحثنا القدير الدكتور محمد حاوي، ولكن لا بأس من أن نعطي نبذة مختصرة للقارئ، فهذا الإقليم هو واحد من أعرق وأهم الأقاليم الحضارية في الجزيرة العربية، فقد عرف قديما باسم مخلاف جرش، ولا زالت آثار عاصمتها دالة على حضارة ضاربة في أعماق التاريخ، وقد وردت الإشارة لها في كتب التفسير وفي كتب الحديث، وقد خرج منها أعداد كبيرة من رجال العلم عبر التاريخ، وقد اشتهرت كمركز تجاري محوري في رحلة الشتاء والصيف تحط عندها رحلات التجار القادمين من الشام ومن اليمن، ثم يعودون منها إلى بلدانهم فكأنما بها تسوَّق أهل اليمن في الشام وتسوق أهل الشام في اليمن، وقد زارها الرسول ﷺ مرتين بدافع التجارة لخديجة رضي الله عنها[(١)]، وحضر بعض تجارها بين يدي الرسول ﷺ أثناء رحلتهم للتجارة[(٢)]، كما أرسل النبي والصحابة من يتعلم ويحضر المنجنيق من جرش استعدادا لحصار الطائف، فهي وبلا شك واحدة من أشهر المناطق التجارية والصناعية في الجزيرة العربية[(٣)]، وظلت هذه المنطقة تحت الحكم الإسلامي حين كان مركزه في المدينة ثم في دمشق في العهد الأموي ثم في العراق في الزمن العباسي وظل الولاة يتوالون عليها من هذه العواصم ، وكان ممن ولي جرش « أبو سفيان ابن حرب»[(٤)]، و«سعيد بن القشب»[(٥)]، و«الصرد بن عبدالله «[(٦)]، و«عبدالله

(١) أبو عبد الله الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ) ، المستدرك على الصحيحين، تحقيق ونشر: دار التأصيل ـ مركز البحوث وتقنية المعلومات ـ القاهرة، ط١ ـ ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، مج٥/ص٤٢٤ـ٤٢٥، (ح ٤٩٠٢) .

(٢) ابن أبي أسامة، أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالجامعة الإسلامية بالتعاون مع مركز الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ـــ المدينة المنورة، ط١ ـ ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٢/ص٨١١ (ح٨٣٦) .

(٣) حول كل ما ذكرناه أعلاه وعن أهمية جرش انظر: العسيري، منصور أحمد، (جرش أم جرش تقييم من خلال الدور والأهمية والشهرة خلال المراحل المختلفة)، دراسة منشورة في موسوعة(القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء السادس والعشرون)، ص ص ٤٥٣-٤٨٤.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص٧٩ .

(٥) انظر: العصفري، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص٩٧. عز الدين ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، أسد الغابة، دار الفكر ـــ بيروت، ١٤٠٩هـ ـــ ١٩٨٩م، ج٢/ص٢٤٧ .

(٦) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (ت ٢٣٠هـ)، الجزء المتمم لطبقات ابن سعد ـــ الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك، تحقيق ودراسة: د. عبد العزيز عبد الله السلومي، مكتبة الصديق ـــ الطائف، ١٤١٦ هـ، ص٧٩١ .

بن ثور»[١]. وفي العصـر الأموي «محمود بن لبيد»[٢]، وفي العصـر العباسـي «الموصلي» الذي كان عاملا على جرش تابعا لسلطان مكة المكرمة في القرن الرابع للهجرة[٣]، وقد اسـتمر وجود عمـال الدولة الإسـلامية في جرش خلال القرن الخامسـ الهجري حيث ظلت مستمرة على تبعيتها لمكة كما تذكر المصادر التاريخية.

بالنظر إلى حجم النقوش الثمودية والمسـندة والنقوش الإسـلامية الهائلة المنتشـرة في بلاد السـراة وتهامة التي كتبت عبر القرون المتتالية، فإن ذلك يدل على حضـور علمي وثقافي لإنسان هذه الأرض متصل عبر التاريخ. فالإنسان حاضر فوق جغرافيا هذه الأرض منـذ القدم، ومتفاعل مع بقيـة الأقاليم في الجزيرة العربية وخارجها. وقد خرج من هذه الجغرافيا عدد من شـعراء الطبقة الأولى كلبيد بن ربيعة، وطرفة بن العبد، والشـنفرى، وتأبط شـراً، وعمرو بن معدي كرب، وأنس بن مـدرك الخثعمي والكثير غيرهم، وعندما جـاء الإسـلام كان أبناؤها على رأس الوفـود إلى النبي (ﷺ) للدخول في الإسـلام، وفي الفتوحات كانوا على رأس الجيوش العربية الفاتحة، فاشـتهر منهم العديد من الفرسـان في القادسـية مثل عمرو بن معدي كرب، وبشـر الخثعمي، والعديـد من القادة مثل جرير بن عبدالله البجلي، وعمرو بن يزيد بن عامر الجُرشـي، الذي كان أحد قادة معركة فتح فحل[٤]، ومنهم يزيد الجُرشـي الذي افتتح زام، وباخرز، وجوين عنوة[٥]، ومنهم سـعيد الجُرشـي أحد قادة المهدي، وسـواهم[٦]، واسـتمرت جرش حاضـرة قوية خلال القرون الاولى للهجرة، وخرج منها العشرات من رجال العلم الذين أشارت لهم كتب التراث.

لكن تحت تأثير الحروب التي طرأت على جرش منذ القرن الثاني للهجرة، خاصةً بعد اسـتيطان أحمد بـن يزيد العوسـجي في تندحة عام (١٣٤هـ/١٨١٨م)، واسـتثارة العصبية النزارية والقحطانية بين قبائل المنطقة، واندلاع الحروب الدامية لعدة قرون،

(١) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري (ت ٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١- ١٤٢٣هـ، ج١٩/ ص١٤٤.

(٢) الزهري، محمد بن سعد بن منيع، كتاب الطبقات الكبير، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي ــ القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ج٤/ ص١١٠.

(٣) أشار له الهمداني في كتاب الإكليل (ج٢/ص١٤٦) وذكر أنه كان عاملاً لسلطان مكة على جرش.

(٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣/ص٤٣٨.

(٥) ابن سـعد، أبو عبدالله محمد بن سـعد البصـري، الطبقات الكبرى، تحقيق احسـان عباس، دار صـادر - بيروت، ط١ -١٩٦٨م، ج٥/ص٤٦.

(٦) من يسعى إلى حصر رجال تهامة والسراة الذين ساهموا في بناء الحضارة الإسلامية في العالم الإسلامي خلال القرون الإسـلامية الأولى والوسـيطة، فإنه سوف يجد مئات الرجال الذين كان لهم جهود وبصمات كثيرة تدون في مئات الصفحات. (ابن جريس).

فقد بدأت جرش في الاضمحلال تدريجياً حتى فقدت بريقها وأصبحت مجرد واحدة من المدن المنتشرة فوق الهضبة لا أكثر، إلى أن اندثرت ولم يعد لها ذكر منذ القرن السابع للهجرة تحت تأثير الحروب[١] في العصر الإسلامي الوسيط، فأثرت على السكان وعلى انتظام الولاية بها، فانقطعت السلطة المركزية الشاملة، وأخذت القبائل في الاعتماد على ذاتها، ومن ثم فقد تراجعت الحالة السياسية والإدارية في المنطقة خلال الفترة ما بين نهاية القرن الخامس إلى القرن الثاني عشر للهجرة حيث وصلت طلائع الدولة السعودية فانضوت المنطقة تحت ظلها، وخلال هذه القرون، وإن كانت المنطقة قد توارت عن الظهور، إلا أن رجالها لم يتوقفوا عن البروز في مواقع شتى فظهر منهم العديد من رجال العلم والشعراء وهاجر بعضهم إلى مناطق الجوار، ومنهم من أصبح من علمائها، وتولى بعضهم ولايات بها.

في الجوار نجد منطقة جازان (المخلاف السليماني)، وهي منطقة حافلة بالمدن والقرى، وتنقسم تاريخياً إلى قسمين، القسم الأول مخلاف حكم: ويمتد من وادي مور إلى صبيا، وتتمركز فيه مدينة جازان وما حولها ومن مدنها صبيا وضمد وأبو عريش وما إليها، والقسم الثاني مخلاف عثر: وهي مدينة كانت عامرة على وادي بيش، وقد أخذت مكانها حالياً مدينة بيش، ويتبع لها ماحولها مثل عتود وبيض ومسلية وهروب وغيرها[٢]، وقد ورد ذكر بعض أوديتها وبلداتها وبعض أودية جنوبي تهامة عسير في النقوش القديمة عندما غزا الملك اليمني شمر يهرعش مناطق وادي دفا وحكم وعتود وبيش[٣].

يظهر أن وادي جازان بذاته وما وقع حواليه كان قديماً أرضاً منقطعة، يفد إليها البداة ويرحلون، ولم يكن بها ساكن مستقر، يقول الحموي: «وفي بعض الأخبار: أن رجلا سأل رسول الله ﷺ، عن البداوة فقال: اتّق الله ولا يضرّك أن تكون بجانب الضمد من جازان، وفي حديث آخر عن أبي هريرة أن وفد عبس قالوا: بلغنا أنّه لا إسلام لمن

---

(١) للمزيد حول هذه الأحداث راجع: الهمداني، الإكليل، ج٢/ص١٣٩- ١٤٨. الثقفي، سليمان بن يحي، «سيرة الإمام أحمد بن سليمان»، تحقيق د. عبدالغني محمد عبدالعاطي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١-٢٠٠٢م، ص ص٩٦ – ١٠٣، ٢٠٠ .الجاسر، حمد، مجلة العرب، س٢٤، ج٣، ص١٩١ . غيثان بن جريس . « تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى « مجلة العصور، مج(٩)، ج(١) (رجب/١٤١٤هـ/الموافق يناير/١٩٩٤م)، ص ٦٣-٧٨.

(٢) للمزيد حول هذين المخلافين اقرأ: الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق المقحفي، مكتبة الارشاد، ص٢٣٢ .

(٣) العتيبي، محمد بن سلطان التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ، من منشورات وزارة التربية والتعليم السعودية – وكالة الآثار والمتاحف، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٢٨٤-٢٨٧ .

لا هجـرة له، فقال النبيّ، ﷺ، مثله، وقال ابن السـكيت: الضـمد أرض، حكاه الأديبي، وأخبرني أبو الربيع سـلمان بن الرّيحاني أنّه رأى ضمد، بالتحريك، وأنّها من قرى عثر من جهة الجبل." (١).

من ذلك، فإن مسمى جازان قديم وسابق لمسمى المخلاف السليماني، والظاهر لنا أن عثر الواقعة على وادي بيش هي المركز الحيوي الأساسـي الذي قامت عليه المنطقة، والتي أكسـبت المنطقة كاملة مسـماها الجديـد (المخلاف السـليماني)، فقد كان أول حضور تاريخي لمنطقة جازان بتعيين سليمان بن طرف عاملاً على عثَّر في القرن الرابع للهجرة، واتفق ذلك مع حروب بين الصـليحيين وابن زياد، كانت بين مد وجزر، وضمن أحداثها دارت معركة في موقع الزرائب في جازان بين الصـليحيين وسـليمان بن طرف حيث بلغ الصـليحي أن ابن طرف قد اجتمع إليه من ملوك الحبشـة والسـودان عشرون ألفا فسار الصليحي إليهم في ألفي فارس وسبعمائة فالتقوا في الزرائب(٢)، وانتهى بذلك حكم سليمان بن طرف في الوقت الذي انتقل فيه عدد من أسر أشراف مكة إلى منطقة جـازان وأقاموا إمـارات متفرقة في قرى جازان، وبدأوا في إنشـاء حلـق العلم لتدريس الفقه والعلم الشرعي، وظلت السلطة بيد الأشراف المتفرقين على قراها، وهي بين بروز وفتـور، فتخبو لفترات إلى أن يرحل أيهم من مكة إلى جازان لتأسـيس سـلطة جديدة، وهكـذا، ومن أهـم الإمارات التي أنشـؤوها كانت إمارة القطبيين في جـازان وإمارة آل الخواجي في صـبيا، ثم كان من المهاجرين من مكة إلى جازان أحمد بن غالب في بداية القرن الثاني عشـرة الهجري (عام ١١٠٢هـ/١٦٩٠م) (٣). وهو الذي بدأ حملة محاولة توحيـد المنطقة تحـت إمارته، ثم جاءت بعده أسـرة آل الخيرات، وهي السـلطة الأكثر حضوراً وشـهرة التي أخرجت عدداً من الرجال الشجعان الدهاة أمثال الشريف حمود أبو مسـمار، لكن آخر الطالبيين الذين هاجروا إلى جازان وأسسـوا إمارة لهم، هم بنو محمد بن أحمد بن إدريس الذي قدم من المغرب إلى مكة ومنها إلى اليمن إلى أن استقر

(١) شـهاب الدين أبو عبـد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحمـوي (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صـادر ـ بـيروت، ط٢، ـــ ١٩٩٥م، ج٣/ص٤٦٣. (منصـور). بارك الله فيك يا منصـور الثبيت علـى هذا الطرح الحيادي المنصـف، ومن الذي ينكر فضـل وتاريخ أهل المخلاف السليماني عبر عصور الإسلام. وكم نحن بحاجـة إلى باحثـين ومؤرخين يدرسـون التاريخ للتاريخ مـع توخي الدقة والعدل والإنصـاف في كل ما يتم طرحه ودراسته وتوثيقه. (ابن جريس).

(٢) اليمنـي، نجم الدين عمارة بن علي اليمني، المفيد في أخبار صـنعاء وزبيد وشـعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، حققه وعلق عليه محمد ابن علي الاكوع الحوالي، المكتبة اليمنية ـ صنعاء، ط٢ – ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص١٢٤ .

(٣) العقيلـي، محمد بـن أحمد، تاريـخ المخلاف السـليماني، دار اليمامة للبحـث والترجمة ـــ الرياض، ط٢ ـ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج١/ ص٣٧٤ .

في منطقة جازان فدعى للطريقة الكيلانية الصوفية، وانتهت بتأسيس إمارة الأدارسة في جازان. وخلال هذه القرون لم يذكر أن هنالك من نافس الأشراف الطالبيين في الإمارة، فيما عدا أبناء عمومتهم، فظلت السلطة بيدهم دون سواهم، ولعل كونهم من آل البيت هو ما أسس للقبول بشرعيتهم المطلقة.

مما تقدم فإن جازان منطقة حضارية أيضاً لها خصوصيتها ومكانتها التاريخية في القرون الإسلامية الوسيطة، وعلى وجه الخصوص منذ بداية القرن الرابع إلى الثاني عشر للهجرة. ولا يختلف واقع الحال من الناحية الدينية والعلمية في عامة جازان عنه في منطقة ما بين صعدة والطائف وجنوب مكة المكرمة، وما إليها، خاصة الجزء التهامي منهما، إلا أنه خلال الفترة المذكورة أقامت بعض أسر أشراف مكة المستوطنين في المخلاف وما حواليه من آل السباعي، وآل الاهدل، وآل الخواجي، وآل القطبي، وآل النعمي حلق للتعليم في فترات متقطعة، فتخرج من هذه الحلق عدد من أبنائهم وبعض أهل المنطقة وطور بعضهم قدراته إلى التأليف الذي انحصر معظمه في سيرة الأمراء من أشراف مكة في المخلاف السليماني أو بعض الحوليات خاصة منذ بداية القرن الثاني عشر للهجرة.

أما حال السلطة من الناحية السياسية في المخلاف ــ خلال هذه المرحلة ــ فقد كانت ــ إلى حد كبير ــ هشة تعتمد في استمرارها على أشراف مكة أو الإمامة في اليمن ــ فيما عدا المرحلة الإدريسية ــ، يدل على ذلك ما أورده الوزير الحسني وغيره في أحداث عام (١٠٧٩هـ/١٦٦٨م)، قال: «وَفِي صفر صال قبائل بني حبيب[١] .وآل كثير الَّذين مستقرهم شَرْقي بلَاد صَبيا ممَّا يَلِي جبال الخسر (الحشر) ومساقط بلَاِد فيفا وحقارِها إِلَى حُدُود خبت الْبَقر فَاستَولوا على بلَاد بيش وشردوا أَهلهَا بعد أَن انتِهبوها ثمَّ أَقبلُوا على عتود والشقيق وَمحل النَّائب للإِشراف فَقتلُوا بعض أَهلهَا ونهبوا الْأَطْرَاف حَتَّى انْتَهوا إِلَى مَدينَة صَبيا[٢] . فَوَقع بَينهم وَبَين أَشْرَافهَا الْقتَال الشَّديد وَلما طَال استصرخوا بالْإِمَام وطلبوا الْغَارة والإلمام وَكَانَ الإمَام قد وصل إِلَى صنعاء بآخر محرم وَوصل بوصوله عزَ الْإِسْلَام مُحَمَّد بن الْحسن»[٣] .

---

(١) بنو حبيب: هي قبيلة تمثل واحدة من بطون قبيلة بني نمار، التي هي واحدة من فروع قبيلة بني مغيد ــ أحد بطون قبيلة عسير ــ، وتحوي أنمار ثلاثة فروع رئيسية، هي (ربيعة، وبني حبيب، وصدر وائلة).

(٢) كانت الفوضى والصراعات القبلية منتشرة في أرجاء السروات وتهامة خلال العصر الإسلامي الوسيط، وبقيت الأمور هكذا حتى دخلت البلاد تحت سلطة الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في أربعينيات القرن الهجري الماضي. (ابن جريس).

(٣) الوزير، عبد الله بن علي بن أحمد بن محمد الحسني (ت ١١٤٧هـ)، تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري- السابع عشر الميلادي/ تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تحقيق محمد عبد

من خلال النص فعشيرة بني حبيب في نهاية القرن الحادي عشر الهجري اجتاحت أربع بلدات رئيسية بما فيها العاصمةِ الأهم في تاريخ المخلاف، مما اضطر السلطة إلى الاستنجاد بإمام اليمن فأرسل جيشاً وانتزع المخلاف من عشيرة بني حبيب، وهذا يدل على أن السلطة الماثلة بيد شيخ عشيرة بني حبيبٍ كانت أكثر قوة ورسوخاً واستقلالاً من سلطة إمارة المخلاف، التي لم تكن تمتلك جيشاً.

إذا كان هنالـك مـن يحق لـه أن يفاخر بهذه السـلطة بذاتها دون مـا حققته لأهل الدار أو ما شاركوا به في إقامتها فهم أشراف مكة، فالحقيقة أن مفاخر منطقة جازان تتجاوز هذه السـلطة المسـتعارةِ، التي يحاول أن يقف عندها باحثـا، ليبز جيرانه بها، إلى مـا هـو أكبر وأكثر رسـوخاً، فيكفي جازان أنهـا جزء من هذه الوحـدة المباركة في هـذا الوطـن العظيم، فليس هنالك في التاريخ المحلي منذ البعثة النبوية ومرحلة صـدر الإسـلامِ ما يوازي ما نحن فيه من وحدة تحت الدولة السـعودية التي هي قمة مفاخرنا جميعـا، ثم لمنطقة جازان أن تفاخر بالنسـاء والرجال العظماء الذين خرجوا من رحم جـازان فتجـاوزوا الـبروز في حدودها إلى الـبروز على مسـتوى الوطن وبعضـهم على المستوى العالمي، وهم كثر، ومن هؤلاء نجد الشيخ ربيع بن هادي المدخلي الذي تجاوز ما قدمه من تأصيل فقهي وعقدي التأثير المحلي إلى التأثير على مستوى العالم الإسلامي، والأسـتاذ هاشم عبده هاشم الذي تسنم رئاسـة تحرير واحدة من الصحف السعودية فجعلها الأكثر مبيعا على مدى عشرات السنين، والأستاذ عبده خال الذي أحضر جائزة البوكـر العالمية إلى الوطن كأول سـعودي ينالها، وهنالك الكثير سـواهم ممن لا مجال لحصرهم هنا، لنفخر بهم ويفخر بهم كامل الوطن وليس جازان وحدها[(١)].

خامساً: بين عسير وجازان:

بين عسـير وجازان يا سـادة صـلات قديمـة، تضـرب في أعماق التاريـخ، منذ أن تشاركوا في نصرة هذا الوطن في مراحله الأولى، إلى أن تشاركوا في صد غزوات الدولة العثمانيـة في جازان وفي عسـير، كمـا أن جزءاً كبيراً من أبناء جـازان عاش في منطقة

الرحيم جازم، دار المسيرة – بيروت. (منصور). إن الصراعات بين أئمة اليمن وأهل نجران وجازان خلال القرون الإسلامية الوسيطةِ والحديثة موضوع واسع يكتب فيه عشرات الكتب والبحوث العلمية، وهذا المجال مازال غير مخدوم توثيقياً، آمل أن نرى باحثين جادين يقومون بخدمة هذا الميدان علمياً. (ابن جريس).

(١) أشكرك يا منصور على هذه الخلاصة، وهذا فعلاً ما نريده وبخاصة طبقة المتعلمين والباحثين، وهو رصد تاريخ أرضنا وإنسانها منذ دخول الإسلام إلى وقتنا الحاضر، وماذا جرى لها في العصر الحديث والمعاصر مـن وحـدة ورقي مادي ومعنوي تحت مظلة هـذه الدولة المباركة (المملكة العربية السـعودية). فلله الحمد والشكر على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى. (ابن جريس).

عسير ودرس في جامعاتها ومعاهدها وكلياتها خلال المراحل السابقة، (ومنهم باحثنا هنا الدكتور محمد منصور حاوي)، ولا زال هنالك الكثير منهم يقطن في منطقة عسير، وهنالك الكثير من أبناء عسير الذين استوطنوا جازان وفضلوا الحياة بها. وبين يدي عدد من الكتب التي كتبها أبناء عسير عن منطقة جازان مثل كتاب: **منطقة جازان للأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس** (مجلدين كبيرين)، وأمامي كتاب «الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني»(مجلدين) للحسن عاكش حققه ونشره الدكتور إسماعيل البشري، وهو من أهم الكتب التي صدرت عن منطقة جازان، وكتاب «إمارة أبو عريش» للدكتور إسماعيل أيضاً، وعلى الناحية الأخرى نجد واحداً من أهم الكتب التي كتبت عن منطقة عسير، وهو كتاب «المعجم الجغرافي للبلاد السعودية ...منطقة عسير» لمؤلفه علي بن إبراهيم بن ناصر الحربي (رحمه الله) (ثلاث مجلدات) بتقديم الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس، وهو جهد عظيم سيظل يذكره أبناء عسير لهذا الرجل على مر العصور، ولا شك أن هناك الكثير سواهم ممن لم ألم بهم في هذه النبذة، فليتنا نضيف إلى هؤلاء المزيد من المبادرين[(١)].

أيضا هنالك نوع من التكامل الذي لا تجده بين أي منطقتين كما هو بين عسير وجازان، فشتاء جازان بالنسبة لأهالي السراة في عسير ليس مجرد سياحة بل هو ضرورة، لدرجة أن هنالك الكثير ممن يباشرون عملهم في مدينة أبها خلال فصل الشتاء من منطقة جازان، فقد ابتنى الكثير منهم بيوتاً في بعض مدنها، وأصبحوا يقيمون بها في فصل الشتاء، لذا ففي الشتاء يكون طريق عقبة ضلع هو الأكثر ازدحاما ربما على مستوى المملكة، وبالمثل نجد أن صيف أبها بالنسبة لأهل جازان أصبح ضرورة، وبالمثل فقد امتلك الكثير من أبناء جازان منازل في أبها لقضاء الصيف بها. وهنالك العديد من الصلات والصداقات والمصاهرات بين أهالي المنطقتين مما يملي على كل من يكتب أن يتحرى الحذر الشديد من استثارة التأريخ بالطريقة الخطأ. هذا والله من وراء القصد[(٢)].

(١) آمل أن نرى مؤرخين وباحثين جادين ومنصفين يكتبون بعض الكتب والدراسات عن الصلات التاريخية والحضارية بين السرويين والتهاميين، أو بين العسيريين والجازانيين خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصرة. ومن يتخصص في هذا المجال فسوف يجد كماً هائلاً من المادة العلمية التي ترصد الصلات المتنوعة بين هذه البلدان. (ابن جريس).

(٢) وفقك الله يا أستاذ منصور على هذه الأقوال والتوصيات، ونحن فعلاً أبناء هذا البلد المبارك(المملكة العربية السعودية) في حاجة ماسة إلى مثل هذا التوجه الذي يجمع بين القلوب ولا يفرقها من أجل خدمة الدين والوطن والصلات والتواصل الإيجابي من أجل البناء والارتقاء في سلم الإخوة والمحبة في الله أولاً، ثم تحت مظلة دولتنا المباركة، وصل الله وسلم على رسول الله. (ابن جريس).

ثالثـاً: آراء الأستاذ محمد أحمد أنـور في معاصريه من خلال مدوناته وخطاباتـه الموثقـة في بعض مؤلفـات الأسـتـاذ الدكتورغيثان بـن علي بن جريس. بقلم. أ.د. أحمد بن محمد بن عبدالله بن حميد[١].

أولاً: مدخل[٢]:

هذه الدراسـة التي أنجزها أخي الكريم الأسـتاذ الدكتور أحمد بن محمد الحميّد تدور حول عدة مواضيع، منها:

١- جمعٍ مادة من بعض مؤلفاتي عن أعلام عاشـوا في منطقة عسير، عاصرهم وسجل شيئاً من سيرهم الشيخ الأستاذ الرائد محمد أحمد أنور، أحد رواد التعليم الحديث في المملكة العربية السـعودية، وتحديداً في بلاد السروات الممتدة من نجران وعسير إلى الطائف[٣].

٢- لم يحصـر الشـيخ أحمد عمله على ما دون الأسـتاذ المربي محمد أنور في مدوناته وخطاباته، لكنه بحث واطلع على أكثر من سـتين مصـدراً ومرجعاً تخدم عمله وما

(١) للمزيد عن سيرة الدكتور أحمد بن محمد الحميِّد، انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الطبعتان الأولى والثانية، (الجزء الرابع)، وأيضاً الجزء الثامن عشر (الطبعة الأولى، ص٢٦٣.) وللدكتور أحمد مجموعة من الكتب والدراسات المطبوعة والمنشورة. (ابن جريس).

(٢) هذا المدخل من إعداد صاحب (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (ابن جريس) .

(٣) إن أخي الدكتور أحمد أسدى لي معروفاً كبيراً، عندما رصد أكثر من سبعين شخصية ورد ذكرهم في خطابات ومدونات الرائد الأسـتاذ محمد أنور التي أرسلها لي خلال العقد الثاني من هذا القرن(١٥هـ/٢٠م)، وتم نشـرها في أكثر من مؤلف من كتبي التي صـدرت خلال الثلاثين عاماً الماضـية. ومع أنني الشـخص الأول الذي استلمها من صاحبها (الشيخ أنور) ثم طبعتها ونشرتها، لكن عندما اطلعت عليها في دراسة الدكتور ابـن حميّـد فهمت محتواهـا أكثر، وتعلمت منها أمـوراً عديدة لم أنتبـه لها أثناء طبعها ونشـرها في المرة الأولى، فشكر الله لك يا شيخ أحمد على ما تعلمت واستفدت من عملك هذا .

جمع من توثيقات الرائد محمد أحمد أنور. ومن يطلع على حواشي الدراسة، وعلى قائمة المصادر والمراجع في آخر البحث فإنه يدرك الجهد والاجتهاد الذي بذل صاحب العمل (ابن حميّد) [١].

٣- إن الناظر والفاحص للأعلام الذين رصدهم ابن حميّد في عمله يجد التنوع الكبير في أماكن ولادتهم، ومسيرة تعليمهم، والوظائف التي تقلدوها، والأعمال والمنجزات التي حققوها في خدمة دينهم وبلادهم. كما لا تخلو بعض التراجم من الإشارة إلى سلوكياتهم وصفاتهم الخَلقية والخُلقية. وهذه المنهجية في توثيقات الشيخ محمد أحمد أنور تدل على أمانته وشفافيته وإنصافه ودقة معلوماته، وبالتالي فنحن أمام قامة كبيرة من الأجيال السابقة التي كانت على قدر كبير من التفاني والإخلاص والاحتساب في أعمالها ومناشطها المتنوعة[٢].

٤- لعل هذا العمل الذي أنجزه الدكتور ابن حميّد يولد بعض الطموحات، وتظهر لنا مبادرات من باحثين ومؤرخين آخرين يتوسعون في دراسة حياة وجهود بعض الرجال الذين ورد ذكرهم في هذه الدراسة أو غيرهم. مع أن منهم من له أنشطة وأعمال كبيرة على مستوى الوطن (المملكة العربية السعودية) ويستحقون أن يُكتب عنهم العديد من الكتب والدراسات العلمية الكبيرة[٣].

٥- نحن أساتذة الجامعات وطبقة المتعلمين والباحثين وأرباب القلم علينا مسؤولية كبيرة تجاه ديننا وأرضنا وحياتنا، فالواجب علينا خدمتها من خلال علومنا وتخصصاتنا. وإذا استشعرنا ذلك فإننا نسير في الطريق الصحيح. والأخ صاحب

---

(١) الحمد لله إن رسائل محمد أنور ومدوناته فتحت لنا مجالات لإنجاز دراسات جيدة ومتنوعة في خططها وأهدافها ونتائجها وتوصياتها. وهذا العمل الذي قدم لنا الشيخ أحمد نموذجاً من الآثار الإيجابية التي خلفها لنا الأستاذ أنور. ومازالت مجموع رسائله وتوثيقاته تستحق أن تدرس وتناقش وتحلل في عمل كبير، وقد يتحقق ذلك في كتاب علمي أو رسالة جامعية، مع أنه صدر عنها بعض الأعمال المطبوعة والمنشورة وصاحب هذه الدراسة أشار إلى بعضها في متن وحواشي بحثه.

(٢) كان الشيخ محمد أحمد أنور محظوظاً عندما جمعنا بعض تراثه وتوثيقاته، وكان أيضاً متجاوباً وباذلاً ما في وسعه لتوثيق صفحات من تاريخنا المحلي، فجزاه الله عنا كل خير. وقد سمعت وقرأت عن أعلام كثيرين في بلاد تهامة والسراة كانوا في مستوى الأستاذ أنور، وبعضهم أفضل منه في معارفهم وتجاربهم ومنجزاتهم، لكنهم لم يدونوا شيئاً من تاريخهم وتاريخ بلادهم ومجتمعاتهم، وبموتهم ضاع هذا التراث والتاريخ المهم الذي عرفه وعاشه أولئك الرجال.

(٣) إن بلادنا جنوب المملكة العربية السعودية لها تاريخ وموروث قديم وحديث واسع ومتنوع. وتحتاج إلى من يخدم تاريخها وحضارتها عبر العصور. ونشاهد، والحمدلله، منذ خمسة أو ستة عقود الكثير من الجهود والمنجزات العلمية الفردية، ونتطلع إلى أن تقوم الجامعات المحلية بمسؤولياتها الحقيقية فتدعم وتشجع الإبداع والبحث العلمي وبخاصة ما له صلة بأرضنا وسكانها. (تهامة وسراة).

هذه الدراسة نموذج جيد في استثمار وقته، وخدمة بلاده، فهو أستاذ في مجال السنة وعلومها، لكنه رأى أن يخدم العلم والأرض في ميدان التاريخ والحضارة المحلية، وبالتالي قام بإنجاز هذا البحث التوثيقي الذي له صلة برجال الوطن وما قدموا لوطنهم ودينهم وتراثهم، وكانت النتيجة إنجاز هذا المجهود العلمي المبارك، وآمل أن نرى أمثاله في مجتمعاتنا وجامعاتنا وكلياتها وأقسامها العلمية[١].

٦- رحمك الله يا شيخ محمد أحمد أنور، وغفر الله لك يا دكتور أحمد بن حميّد فقد تجولتم بنا مع أولئك القامات البشرية التي بذلت ما في وسعها لخدمة مسيرة التوحيد والتنمية والتطوير التي عاشتها بلادنا (المملكة العربية السعودية) من منتصف القرن الهجري الماضي إلى عشرينيات هذا القرن(١٥هـ/٢١م)، وكم نحن في أمس الحاجة إلى معرفة تاريخ بلادنا الحضاري قديماً وحديثاً، وما احتوى عليه هذا البحث من معارف جيدة يُعد صفحة من تاريخ السروات في العصر الحديث وبخاصة منطقة عسير وما حولها[٢].

ثانياً: مقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أما بعد: فتعود علاقتي بالأستاذ القدير محمد بن أحمد أنور إلى منتصف العقد الأول من القرن الهجري الحالي حين كان يتردد على منزله الذي أقامه في حي من أحياء مدينة خميس مشيط على أرض سكنية أهداها له طلبته[٣]. حيث زرته بصحبة والدي وإخوتي مراراً، وزارنا كذلك في منزل الوالد بقريتنا مراراً ورافقنا ورافقناه في مناسبات عدة كان فيها موضع الإجلال والتكريم.

كان على هيئة ظريفة، وأناقة غير متكلفة، وهيبة وجلالة تحف به ـ وتلك صفات كثير من أقرانه الذين عرفتهم ـ كان هذا أول ما يلفت نظر الناظر للوهلة الأولى حين رؤيته، فمتى شرع الحديث جذب الأرواح قبل الأسماع بالمعرفة ورجاحة العقل،

(١) إن في بلادنا ومؤسساتنا التعليمية العالية الكثير من الأساتذة الذين يستطيعون إنجاز أعمالاً علمية جيدة ونوعية، لكن المهم توفر النية الصادقة، والاجتهاد في طلب القبول والاحتساب من الله في كل عمل معرفي أو بحثي، وإذا تحقق ذلك، فقد نحصل على ثمار علمية جيدة وإيجابية.

(٢) إن بلاد عسير (تهامة وسراة) محظوظة أكثر من غيرها في أرض السروات وتهامة، الواقعة بين اليمن والحجاز، في مجال البحث والتوثيق، فقد خرج عنها العديد من الكتب والبحوث العلمية. ومازالت عموم الديار السروية والتهامية تحتاج خدمات بحثية وعلمية أكثر عمقاً وأصالة وتنوعاً.

(٣) انظر: تفصيل هذا الموضوع في: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (عسير أنموذجاً)، الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس ط(١) (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

وطلاوة الحديث، وسعة المحفوظ من المنظوم والمنثور وسرعة استحضاره والاستشهاد به والفصاحة بغير تكلف، والاطلاع الواسع، وحينها يفهم المرء كيف كان عظيم تأثيره في تلامذته حتى في السلوك الذي يمتاز بالتهذيب وكمال التأدب، وفي الهيئة التي تتميز بالظرف والنظافة، وفي طريقة الكلام، والهيبة التامة، والحكمة، والأناة، والروية، وحتى في جمال خطوطهم[١] وحسن التعبير، وكل هذا مما كان يتميز به من كمال الخلقة.

هذا هو الأستاذ حين رأيته، ثم سمعت الثناء البالغ على شخصه وطريقة تعليمه سواءً ممن عرفت من تلامذته أو أولئك الذين عرفوه وعايشوه.

ثم جاء الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس فتدارك هذا العلم فاستكتبه عدة مدونات عن حياته ومسيرته وآرائه التربوية، فاعتمدها مرجعاً في عدد من كتبه، ثم ضمنها في الجزء الأول من سلسلة: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب عام (١٤٢٦هـ)**، مرفقاً كل رسالة بصورتها الخطية، ثم أصدر كتابه:(**من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية: محمد أحمد أنور (دراسات ـ وشهادات ــ ووثائق)**[٢]. ضمنها مدونتين عن أوضاع مدارس البنين والبنات (١٣٧٥ــ ١٣٧٦هـ)، وسيرة للأستاذ بخط يده، ومدونتين تربويتين له، وأعقبها بدراسات عن الأستاذ كتبها ستة أساتذة جامعيين عن تلك المدونات التي نشرت في كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، وعشر شهادات مكتوبة من تلاميذه وأبناء الأستاذ.

تضمنت المدونات ثروة علمية سجلت جانباً من نظرة مدونها لتاريخ مدن أبها وخميس مشيط والنماص الإداري والتعليمي والاجتماعي والاقتصادي في عقدي الخمسينيات والستينيات الهجرية من القرن الماضي، وعن رجالها عن مشاهدة ومعاصرة، فكان أثر هذه المدونات كبيراً في اعتماد جملة من الباحثين على ما ورد فيها وتضمينها مرجعاً في كتبهم.

مما يلحظ أن أجود ما كتب عنها هي الكتابات التي تناولت هذه المدونات من الناحية الأدبية[٣] وما سوى ذلك فلا تخرج عن الكتابة الوصفية أو الانطباعية، ولم أظفر بدراسة علمية جادة (تاريخياً، وجغرافياً، واجتماعياً) عن هذه المدونات تهتم

---

(١) ذكرت في كتابي (راحلون مروا على جسر الذاكرة) قصة جيدة عن جمال خط الشيخ محمد أحمد أنور. انظرها في الصفحات الخاصة بترجمته في الكتاب المذكور.

(٢) لابن جريس، ط (١) (١٤٣١هـ/٢٠١٠م). والطبعة الثانية (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م).

(٣) انظر ما كتبه أ. د. إبراهيم الراشد في كتاب: من رواد التربية والتعليم، ١١١، والدكتور صالح بن معيض الغامدي في كتاب: مؤتمر الهوية والأدب الثاني، في نادي أبها الأدبي/١٦١ .

أولاً بترجمة وافية للأسـتاذ محمد أنور، وبدراسـة مضـمون تلك المدونات والرسـائل، ومقارنـة المعلومات الـواردة فيها مع المصـادر الأصـلية والموارد المشـابهة، وتحقيق ما تفردت به تاريخياً، وإشباع ما ورد فيها تعليقاً وتعقباً وتعقيباً.

تعـود علاقتي العلمية بهذه المدونات حين التحضـير والإعداد لكتابـي (راحلون مروا علـى جسـر الذاكرة) إذ وجدت فيها مـا يخدم التراجم والموضـوعات التي طرقتها، ومن أهمها: إثراء التراجم بما يجلي صورتها ويوضح منزلة أصحابها، فقمت حينها باستخراج أسـماء الأعلام الذين ذكرهم مترجماً، وكذا من ذكرهم منوهـاً ومبيناً مكانتهم، وبقيت هذه الأسماء مفهرسة على جلدي كتابي(القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء الأول) و(من رواد التربية والتعليم)، حتى وقت قريب فنشـطت لإعادة قراءة الكتابين إضافة إلى كتـاب: تاريخ التعليم في منطقة عسـير (١٣٥٤ـــ ١٣٨٦هـ) [1]، ورأيت أن أسـهم في هذا المستخرج بما يخدم هذه المدونات بذكر آراء الشيخ محمد أحمد أنور في معاصرية.

(*) ليسـ مجـال البحث هنا ذكر كل الأعلام الذيـن ذكرهم الأستاذ محمد أنـور، ولا نقـل ما تـرجـم به لهم، ولكن مجاله فقط في حصـر أسماء من نوه بهم ثم نقل كلامه فيهم، وتظهر أهميته فيما يلي:

١- ما كان عليه الأسـتاذ محمد أحمد أنور من معرفة واطلاع ودراية مما يعطي أقواله أهمية من جهة وزنها العلمي ومن جهة تأثيرها.

٢- أن الأسـتاذ محمـد أنور قد أجاد وأفـاد في بيان منزلة من تناولهم بأوصـاف تبين منزلتهم وما كانوا عليه من صفات ومن اهتمامات، وتميزت هذه الأقوال بالإنصاف والموضوعية، حتى لم يمنعه ما يكون بينه وبعض من ذكرهم من مخالفة من أن يذكر مزاياهم كما ذكر من صـلته بالشيخ إبراهيم الحديثي -رحمه الله- بالنماص وما كان بينهما من ود، ثم لما زاره في أبها لم يتعرفه، فلم يمنعه من ذكر مزاياه وفضله، وكذلك ما ذكره في وصفه لحال السيد خليل كتبخانة.

٣- كتب صـاحب موسـوعة (القـول المكتوب في تاريـخ الجنوب) - ولا سـيما المدونات الموجـودة فيهـا - بحاجـة إلى تكشـيف لأعلامها وأماكنهـا وقبائلهـا، فيكون هذا المستخرج لبنة في بناء هذه الكشافات.

٤- تحفيـز الباحثين إلى الاهتمام بهذه المدونات بما ذكرت سـابقاً بدراسـتها دراسـة علمية جادة.

(١) ابن جريس: غيثان بن علي، تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤ـ١٣٨٦هـ) ط (١) (١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

(*) حصر أسماء الأشخاص الذين قال فيهم محمد أحمد أنور أقواله في مكان واحد أيسر للباحث وأدعى إلى الاستفادة بإثراء تراجمهم بها، ورأيت بما سبق تقريره تكوين هذا البحث الذي انتهجت فيه ما يلي:

١- جمع أسماء كل من تعرض لهم الأستاذ محمد أحمد أنور ونقل ما قاله فيهم.

٢- إعادة ترتيب أسمائهم ألفبائياً .

٣- تصدير الاسم كما ذكره الأستاذ فقد يذكره مقتصراً على الاسم الأول والثاني، أو يذكره مهملاً، أو يكتفي بقوله ابن فلان، فأضع نقطتين بعد لفظه ثم أذكر اسم الشخص كاملاً بما يتميز عن غيره.

٤- أذكر بعد اسمه تاريخ ولادته ووفاته، فإن لم أعثر عليها وضعت علامة استفهام.

٥- أترجم للعلم الذي ذكره الأستاذ محمد أنور ترجمة موجزة تبين صفته ووظائفه، محيلاً إلى الكتب التي ترجمت له، فإن كان المترجم ممن ترجمت له في كتابي (راحلون مروا على جسر الذاكرة)[1]. أحلت إليه إذ ذكرت هنالك مصادر أخرى لترجمته، وإن كان في غيره أحلت القارئ إلى المصدر الأصيل الذي جمع مهمات ترجمته.

٦- أقوم بنقل كلام الأستاذ من الكتب الثلاثة مراعياً تسلسل الأقوال حسب ورودها.

٧- تجنبت في نقل الأقوال ما خرج من الأستاذ في باب التقييم الوظيفي مثل (جيد الأداء في عمله، أو ضعيف الأداء، أو متهاون، أو متصلب في تنفيذ عمله.. ونحوها) فإن هذه العبارات مرتبطة بزمن صدورها والظروف التي أحاطت بها وحسب سن المتكلم فيه ذلك الوقت ـ ولاسيما أنه أثنى على بعضهم في موضع آخر عندما كان منطلق كلامه وصف الرجل بغض النظر عن وظيفته ـ، وقد ترد هذه العبارات في ثنايا وصف الشخص ومميزاته فلا أورد إلا ما هو منطبق على مقصد البحث، فإن وجد القارئ الكريم شيئاً من ذلك عندما يعود إلى أصل كلام الأستاذ فإنما هو من ذلك.

قد استغرق مني هذا البحث وقتاً ووجدت صعوبة في التعريف ببعض الشخصيات، حيث أورد أسماء بعضهم منسوبين إلى آبائهم، أو مقتصراً على الاسم الأول والثاني، وهذا يحتاج إلى بحث ربما في غير المظان التي يمكن بها كشف اسمه والتعريف به، كما

---

(١) ابن حميد: أحمد بن محمد بن حميّد ، راحلون مروا على جسر الذاكرة ط(١) ٢٠١٩م، نادي أبها الأدبي ودار الانتشار العربي.

أن هنــاك مــن لا ترجمة مكتوبة له أو تاريــخ وفاة له، فاحتجت إلى ســؤال العارفين من المهتمين أو من لهم صلة بهم تجد أسماءهم في الإحالات شاكراً لهم جزيل الشكر.

الأستاذ محمد أنور ــ رحمه الله ــ في بيانه لما كان عليه معاصروه، يرجع فيه إلى معرفتــه ومخالطته لهم ــ وهذا الشــأن في أكثرهم ــ وهناك مــن ذكرهم معتمداً على كلام غيره مقرراً: إما من سماع مثل ما ذكره عن القاضي محمد بن إسماعيل، والشيخ عبدالعزيــز بن محمــد الثميري، وعبدالرحمن المطوع وابنه، أو لشــهرتهم واستفاضــة شأنهم مثل الأمير خالد الفيصل، والشيخ محمد بن مانع، والشيخ محمد بهجت البيطار، أو مشــاهدة أثر لهم كما في كلامه عن الشــريف حسن بن موسى، وقد يعتمد على كلام غيره وإن لم ينســبه له، ككلامه عن الأمير عبدالله العسكر وابنه الأمير عبدالعزيز فهو كلام الشــيخ القاضــي هاشم بن سعيد النعمي في كتاب: تاريخ عسير. وعبارات الأستاذ أنور يظهر فيها تأثره بثلاثة أمور:

١- الخلفيــة التراثية في وصــف الرجال بصــفات معــبرة عن حالهم الشخصــي وحالهم العلمي متأثراً فيها بعبارات الكتب التي عرفت بالرجال، كقوله «وعلمي به تقياً ونزيهاً »، وقولــه في آخر «العالم الجليل الصــديق الصــادق»، وقوله « العالم الجليل والشــيخ الورع العف» وقوله في آخر « مع ما أوتيه من تواضع جم وكرم نفس وعلو همة» .

٢- الخلفية الأدبية والفلسفية يعبر عن حال الرجل بعبارة لها مدلول أدبي يعرفه من تجول في كتب الأدب كقوله: «كان قمئ الشــخص طولاً وعرضــاً، ولكنه كان المعنى الجليل في اللفظ القليل»، وقوله « كان بيضة البلد» ، وقوله «وشاعر على طريقة العلماء الشعراء»، وقولــه : « فلما شــب عمرو عن الطوق، وبلغ ســن المســؤولية كان همــك من رجل ينقل المســؤولية ويضــحي من أجل المبدأ ، حتى لو اعترض في ســبيله متاعب كثيرة»، وقوله «ويرى الناس أن عقله أكثر من علمه فهو يصلح الناس أكثر مما يحكم بالشرع». ومن أحلت إلى دراستهم الأدبية سابقاً فقد أشبعوا الكلام عن هذا الجانب إشباعاً كاملاً.

٣- خلفيته مدرساً ومفتشاً إدارياً وما تحتاجه عبارات وصفه من دلالات معينة لا يعرفها إلا من مارســها كقوله: «وإذا أعطيت الخطوط بعســير درجات فهو الأول « وقوله « ســار بمدرستيه الابتدائية والمتوسطة سيرة مشــرفة النظام فيهما» وقوله في آخر « مدرس كفء.. مخلص في عمله».

ونجد في كلامه بعض الاصــطلاحات المعاصــرة المفهومة ســياقاً كوصفه لبعضهم أنــه (حســاس) وتعني أنه حين أدائه لعمله يحرص على كمــال إتقانه وجودته فيتأثر إن

اكتشف فيه نقصاً، ويصعب على الناقد كذلك أن يشير ولو إشارة إلى ما يهون عمله[١].

ثالثاً : آراء الأستاذ محمد بن أحمد أنور في معاصريه من خلال مدوناته وخطاباته الموثقة في بعض مؤلفات الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس :

١- إبراهيم الحميضي : إبراهيم بن عبدالعزيز بن ناصر الحميضي (١٣٢٢ - ١٣٧٦هـ) :

من مواليد القصب بالوشم تعلم على يد الشيوخ والعلماء في بلدته ثم في مكة المكرمة، ورغب في دخول الأزهر ولم يتسن له ذلك لظروف الحرب العالمية الثانية ، وعمل إماماً لبعض مساجد مكة ثم تعين مدرساً في مدرسة النماص وأصهر إلى أهلها ومات بالنماص[٢].

قال الأستاذ عنه في معرض كلامه عن تأسيس مدرسة النماص الابتدائية عام (١٣٥٧هـ) في رمضان منها « وقدم بمكتبة حوت جملة من الكتب، ثم قال» كان قميء الشخص طولاً وعرضاً، ولكنه كان المعنى الجليل في اللفظ القليل، كان يحفظ كتاب الله، وله إلمام بقواعد النحو والصرف وأصول الفقه، وهو خريج المعهد العلمي بمكة ويحب العزلة وفيه انقباض» [٣].

٢- إبراهيم الحديثي : إبراهيم بن راشد بن إبراهيم الحديثي (١٣٢٢-١٤٢٤هـ) :

القاضي المعمر، من مواليد البكيرية، تخرج على يد علمائها، وعمل في القضاء في بارق والنماص والقنفذة فرئيساً لمحاكم عسير حيث استقر بها ومات فيها، وله مجموع مفيد في الوعظ والإرشاد عنوانه «**نظرات في العقيدة والمجتمع**»[٤].

---

(١) غفر الله لك يا دكتور أحمد، والأستاذ محمد أنور من الأعلام الكبار الذين عاشوا في القرن الهجري الماضي والعقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). وهناك الكثير من الأعلام الذين عاصرهم وكان لهم شأن وجهود كثيرة وكبيرة في بلدان السروات وتهامة، الواقعة بين اليمن والحجاز، آمل أن نرى مؤرخين جادين ينجزون دراسات في السير والتراجم عن أولئك الأعلام ، وأعدادهم فعلاً كثيرة. (ابن جريس) .

(٢) تاريخ التعليم في منطقة عسير/٢٥٨، وهو والد أستاذنا الدكتور عبدالرحمن (رحمهما الله)، انظر ما كتبه عنه الشيخ حمد الجاسر في سوانح الذكريات /٥٥٧.

(٣) القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ٣٥/١ .

(٤) راحلون مروا على جسر الذاكرة/٣٩، ولابنه مساعد كتاب عنه.

قال الأستاذ في كلامه عن قضاة النماص «قضينا مدة بالنماص أيام كان قاضياً وكنت مديراً للمدرسة وكنت وهو على دوام الاتصال وهو قاض بالمحكمة، ثم نقلت إلى الخميس، ونقل بعدي إلى القنفذة، وهذا كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ ﴾ (المزمل:٧) ونسي هو ولم أنس أنا، فقد زرته في المحكمة إكراما له، وذكرى للأيام الخوالي بالنماص - وليس لي دعوى - فتجاهلني أو أن طول المدة جعلته ينساني كلياً فأعرضت عنه، وعلمي به تقياً ونزيهاً ويذكر الله على الدوام وملتزماً بالهدي»[١].

وفي كلامه عن قضاة أبها « يعرف له حقه من العلم والورع والعفة ولزوم النهج والمنهج الشرعي السليم ــ هو وأبناؤه الذين تولوا عمل القضاء معه وبعده ــ»[٢].

٣ـ إبراهيم الشويعر: إبراهيم بن علي الشويعر (؟ ــ ١٣٨٥هـ):

من أهل جلاجل قدم أبها في خمسينيات القرن الهجري الماضي، إماماً لقصر الإمارة، وواعظاً للناس في مجامعهم، ومقدر شجاج في محكمة أبها، كان على معرفة بالطب الشعبي، واستقر في مدينة أبها وأصهر إلى بعض أسرها[٣]. قال الأستاذ فيه:» ذا استقامة وغيرة دينية»[٤].

٤ـ إبراهيم بن محمد فايع (١٣٥٩ــ١٤٣٨هـ):

من خواص تلامذة الأستاذ ومن المتأثرين به، ومن طليعة مثقفي مدينة خميس مشيط المطالعين، عمل في التعليم، ثم في وزارة التجارة ثم في وزارة الدفاع والطيران، معروف بالفضل والنبل، له مدونات مهمة من مصادر راعي هذه الموسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) وفي كتبه الأخرى لا تقل أهمية عن مدونات أستاذه[٥].

قال عنه الأستاذ في معرض إجابة لسؤال عنه» كان يعيش بعقل الرجل الرزين وهو في العاشرة من عمره ـ طالب بالمدرسة ــ لا يعبث، ولا يحب اللعب - كفعل أترابه - كان يدعوك لاحترامه والاعتماد عليه ـ على صغر سنه ـ فلما شب عمرو عن الطوق، وبلغ سن المسؤولية كان همك من رجل ينقل المسؤولية ويضحي من أجل المبدأ، حتى لو اعترض في سبيله متاعب كثيرة» .

---

(١) القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ٣٥/١ .

(٢) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ٢١٧/١.

(٣) إفادة مرسلة الأستاذ/ بندر بن عبدالله آل مفرح .

(٤) القول المكتوب ٤١/١ .

(٥) غريب ، محمد بن حسن. بلدة رجال الأثرية برجال ألمع بمنطقة عسير . ط(١) ١٤٣٩هـ نادي أبها الأدبي، دار الانتشار العربي ٣٢٠/٣ .

وقال: «من خلق الابن إبراهيم بن محمد بن فايع السماحة وجهاً ولساناً ويد الوفاء، لا يمل من كثرة التكاليف في سبيل الاحتفاظ بالصداقة، جدير بقول أبي تمام:

ولو لم يكن في كفه غير نفسه　　　لجاد بها فليتق الله سائله

أما ثقافته وعلمه فيظهر لك من خلال التحدث معه!! فمهما تنوع موضوع المناقشة فإنك تلمس تمكنه وبروزه وأصالته في أي موضوع تجره المناقشة، ويستدرج محدثه بلطف حتى يدخل في الموضوع ثم يجيب نفسه بنفسه بجواب لا تطلب بعده المزيد ـ تفهم منه أنك على الخبير بها سقطت، وأن وراء الأكمة ما وراءها ـ أكثر الله في الرجال من أمثاله وقليل ما هم[١].

٥- أحمد بن إبراهيم النعمي: أحمد بن إبراهيم بن محمد النعمي (١٣٤٤- نحو ١٣٦٤هـ):

يكاد أن يجمع من عرفه أو ترجم له على ذكائه وألمعيته، وحفظه، ومعرفته بعلم النحو، من أوائل خريجي المدرسة السعودية بأبها وتعين بها مدرساً إثر تخرجه، ودرج شاباً ـ رحمه الله ـ [٢].

قال عنه الأستاذ أنور في ترجمة منه له «وكان من أذكى الطلبة وأزكاهم لا يكاد ينقطع عن الكتاب ومطالعته، وميوله عربية، يحفظ كثيراً من النصوص النثرية والشعرية من حر الكلام وأفصحه في الناحيتين النثرية والشعرية، واتسعت معلوماته في علم النحو، وكان علماً نادراً في تلك الأيام ـ أي علم النحو بمنطقة عسير وغيرها ـ حتى كان بالمدرسة يخشون مناقشته في هذه المادة، ثم تولى التدريس بالمدرسة فكان من خيرة المدرسين وأنشطهم، وكان له مكانة لا تنكر بالمدرسة حتى أصيب بمرض لم يمهله طويلاً فتوفي به، جمعت أخلاقه ومزاياه من طيب السمعة وحسن الأحدوثة، يقرض الشعر، ويجيد الخطابة إعداداً وإلقاءً، وإذا تحدثت معه ملأ سمعك وبصرك»[٣]، وذكره فيمن تميزوا بجمال الخط»[٤].

(١) تاريخ التعليم في منطقة عسير/ ٢٧١، والبيت المذكور من الطويل يعزى لأبي تمام كما في ديوانه/ ٢٠٥، في قصيدة يمدح بها المعتصم، والصواب أنه مضمن في القصيدة من بيت لزياد الأعجم في مدح بكر بن النطاح، كما بينه أبوتمام في حماسته الصغرى / ٢٤٧.

(٢) النعمي: هاشم بن سعيد. شذا العبير من تراجم علماء وأدباء ومثقفي منطقة عسير (١٢١٨ـ ١٤١٥هـ) عن نادي أبها الأدبي عام (١٤١٥هـ) ص/ ٣٠ ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب . ١/ ٤١.

(٣) القول المكتوب في تاريخ الجنوب،١/ ٤١ .

(٤) من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية / ٤١٧ .

٦ـ أحمد بن عبدالغني الأهدل (١٣٣٨ــ ؟؟) :

من خريجي حلقات الحرم المكي ثم من مدرسـة الفلاح، عمل في قطاع التعليم بين أبها وبيشة وجازان، والقنفذة، وله في الأخيرة جهود ملموسة في افتتاح المدارس وتنظيم التعليم، ثم عاد إلى مكة المكرمة[١].

قال الأستاذ عنه في معرض التعريف بأنه تزامل معه حين عمله بالمدرسة السعودية بأبها عـام (١٣٥٨هـ) «مدرس كفء ...مخلص في عمله، وقدير، كريم الأخلاق وحميد السجايا»[٢].

٧ـ أحمد بن محمد بن حسن أبو هليل(١٢٩٠ــ ١٣٧٠هـ):

من وجهاء مدينة أبها وفضـلائها، تخرج في المدرسـة الرشـدية بأبها وعمل رئيساً لبلديتها في العهد العثماني، ثم مديراً لمالية القنفذة في عهد الملك عبدالعزيز ثم رئيساً مرة أخرى لبلدية أبها، وعضـواً في وفود ولجان ملكية في عهد الملك عبدالعزيز وبينهما مكاتبـات[٣]. وجعلـه الأسـتاذ محمد أنور في طليعـة مثقفي أبها كما سـيأتي عند ذكره لعبدالله بن علي بن حميّد.

٨ــ أحمد بن ناجي كمال (؟ــ ؟):

ذكر الأستاذ محمد أنه من أهالي أبها ، وأنه مارس التعليم في أبها ثم انتقل إلى النماص عـام (١٣٥٧هـ) ثم نجـران عام(١٣٧٤هـ/١٩٥٤م) ، ولم أقف له على ترجمة. وقال في ذكر من تميزوا بخطوطهم فيه» من الخطاطين الجيدين، ومن ذوي الخطوط الجميلة»[٤].

٩ـ تركي بن أحمد بن محمد السديري (١٣١٩ــ١٣٧٩هـ) :

أحد رجالات الملك عبدالعزيز ــ رحمه الله ـ وممن شـارك في تدعيم كيان المملكة

---

(١) الفريـق العلمـي لـوزارة المعارف موسـوعة تاريـخ التعليم في المملكـة العربيـة السـعودية ط(٢) الرياض ٩٥/٤، الوجيـز في تاريخ التعليم بمحافظة القنفذة (تقرير صـحفي) صـحيفة الجزيـرة ع (١٣٥٤٨) في (١٤٣٠/١١/١٣هـ) .

(٢) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ٩٥/١ .

(٣) ابن عبدالمتعالي: محمد بن علي (من الذاكرة) رعاية مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث ط(١) ١٤٣٦هـ ص ٢٨١/، وانظر ما كتبه عنه عبدالله فيلبي في كتابه: مرتفعات الجزيرة العربية ٢٧٤/١ .

(٤) مـن رواد التربية والتعليـم /٤١٩، وانظر القول المكتوب في تاريخ الجنوب ٣٤/١، وكتاب (من رواد التربية والتعليم)/ ٣٢ .

العربية السعودية الزاهر، تولى إمارة الجوف فعسير، فجازان ولد وتوفي بالغاط[١].
وقال في كلامه عن نشأة الإمارة في المنطقة « أمير عسير وملحقاتها، هكذا كان يكتب ويكتب إليه...وكان حازماً ومهاباً، وله قدم صدق لدى الملك عبدالعزيز، واستقر الحكم وعم الأمن والأمان[٢]. وقال: « وكان الأمير شديداً، لا لين فيه، والأحكام في القتل والقطع بعد حكم القاضي، أما التأديب والمعاقبة فبواسطة الأمير وأعوانه وبقسوة لا هوادة فيها، حتى لان الناس وخافوا»[٣].

١٠ــ حسن بن عبدالرحمن بن علي النعمي (١٣١٢ــ١٣٨٤هـ):

من فقهاء المنطقة، فرضي بارع، تلقى العلم عن علماء المنطقة، وكان مساعداً لخاله القاضي الفقيه الشريف حسن بن موسى في قضاء أبها، ثم تحول إلى قرية العطف ثم قرية عين ابن يعلا حيث استقر بها، وقد عرض عليه القضاء مراراً فاعتذر، واشتغل في الوعظ والإرشاد وشؤون القضاء القبلي فيما يتعلق بالإصلاح، وتقسيم الفرائض، وعقد الأنكحة، يشهد له عارفوه بالفضل والعلم، له مجموع رسائل في أحكام النكاح والعبادات أعكف على تحقيقها[٤]. وقال عنه الأستاذ محمد أنور في معرض سؤال عمن تميزوا بخطوطهم « خطه عجيب يشبه خط خاله وأستاذه الشريف حسن بن موسى»[٥].

١١ــ حسن بن عبدالله بن حسن آل الشيخ (١٣٥٢ــ١٤٠٧هـ):

وزير المعارف، ثم وزير التعليم العالي من رجال الدولة والعلم والقضاء، له عدد من المؤلفات جمعت في مجلد واحد[٦].

---

(١) الطوبان: عبدالله بن زايد، (رجال في الذاكرة سير ذاتية لبعض رجال نجد المعاصرين، في (١٤١٨هـ) الجزء الأول صحيفة/٣٥.

(٢) القول المكتوب في تاريخ الجنوب. ٢٨/١ .

(٣) القول المكتوب في تاريخ الجنوب. ١٨٠/١، ومن استوعب الأوضاع وقت إمارته اتضح له السبب في هذه الشدة الداعية إلى ترسيخ هيبة الدولة إبان تأسيسها. (حميّد). تلك الفترة (١٣٤٠ــ ١٣٨٠هـ/١٩٢١ــ ١٩٦٠م) مازالت بلاد تهامة والسراة تحتاج عشرات الدراسات التاريخ والحضارية الرصينة والجادة. (ابن جريس) .

(٤) شذا العبير/٩٦، العسيري: عبدالله بن حسين آل عبدالله، العذب النمير من تراجم علماء عسير خلال أربعة قرون، ط (١) دار قرطبة ببيروت ص/ ٢٤٧، وتصحيح تاريخ ولادته من أوراقه الشخصية.

(٥) من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية/٤١٧ .

(٦) البسام: عبدالله بن عبدالرحمن البسام، علماء نجد في ثمانية قرون، ط (٣) عام (١٤٤١هـ) دار الميمان بالرياض المجلد الثاني ص/٣٤.

قـال الأسـتاذ محمـد أنـور في حديثه عـن تنظيـم التعليـم إداريـاً « كان محبوب الشخصـية، ونشيطاً في عمله، متواضعاً وصـدره رحب، حيث كان واسع الأفق الأدبي ـ مع أنه خريج كلية الشريعة ـ وفي عهده فتحت مدارس كثيرة»[١].

١٢- الشريف حسن بن موسى: حسن بن موسى الشريف (؟ــــ ١٣٣٨هـ) :

القاضي الفقيه، أخذ العلم من علماء أبها والوافدين عليها، عمل مساعداً للقاضي حـين الوجود العثماني في المنطقة ثم بقي على رأس القضـاء بعـد الجلاء العثماني عن المنطقـة، وقتـل على يد أحد المتعصـبين[٢]. وقال الأسـتاذ أنور عنـه: « خطه مزيج من الخط الفارسي وخط الرقعة، وإذا أعطيت الخطوط بعسير درجات فهو الأول»[٣].

١٣ـ حسين بن أحمد بن جابر آل صمان (١٣٥ـــ ١٤٣٨هـ):

التربوي المعلم، وممن أسـس التعليم النظامي بأحد رفيدة، تخرج في مدرستي أبها والخميس، ثم تولى إدارة المدرسـة الابتدائية في أحد رفيدة ثم المتوسـطة، ثم مدرسـة تحفيظ القرآن الكريم، مشـهود له بالبراعة في التعليـم والإدارة[٤]. وقال عنه أنور كان من تلامذته في مدرسـة الخميس:» تم نقله فيما بعد إلى مدير لمدرسـة أحد رفيدة، وقد نجح في عمله، واكتسب ثقة الأهالي وتقديرهم لنشاطه واستقامته»[٥].

١٤ـ خالد الفيصل بن عبدالعزيز(١٣٥٩ـــ ......) :

الأمير الشـاعر، وأحد أعمدة الدولة السـعودية المباركة. وقال الأسـتاذ محمد أنور في معرض ذكر فضـائل الأمير: «جزاه الله خيراً عن سـكان المنطقة فلقد رفع مستواها وأعلى من ذكرها وجعلها في مصـاف المدن الكبرى، وأيادي سـموه لا تنسى ولا تنكر مع كثيرين ممن يسـتحقون العون والمسـاعدة من أهل الكرم الذين قصـرت مواردهم عن بلوغ الغاية، فكم من ملهوف ومحتاج جبر لهفتهم وردٍ عسرهم إلى ميسرةٍ، وكم جالٍ في أعمال الإصـلاح والخير حتى تغير وضـع المنطقة كلياً، وأنا ابن أبها وليداً وشـاباً وكهلاً

---

(١) القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ٤٩/١ .

(٢) شـذا العبـير/١٠١، وإدراجـه هنا ـ مع أن الأسـتاذ لم يعاصـره ـ لأنـه يتحدث عـن أوراق مكتوبة بخط الشريف.

(٣) العذب النمير/٢٤٧ .

(٤) موسـوعة تاريخ التعليم٤/١٩٤، وانظر، سـيرة حياة للدكتور محمـد آل زلفة/٨٤، وتاريـخ وفاته أفادنيه الأستاذ محمد بن أحمد مُعَبِّر.

(٥) القول المكتوب في تاريخ الجنوب. ٥٣/١ .

تركتها في الأربعين من عمري ثم عدت إليها، ولم أعرف منها إلا الشيء القليل لأنها بعثت على يد سموه بعثاً جديداً شاملاً وضعها في مصاف المدن التي تعرف وتذكر، وتوصف بالتقدم والازدهار والتطور السريع المدهش، عدت إليها فقلت: سويسرا المملكة العربية السعودية لا ينقصها إلا البحيرة وقد كان لها من السد صورة مصغرة، ويطول الكلام في فضائل الأمير النبيل خالد الفيصل أخلاقاً وأعمالاً، ولن يستوعبه كتاب لا صفحة من رسالة، ولهو أحق بقول زهير بن أبي سلمى:

فما كان من خير أتوه فإنما ... توارثه آباء آبائهم قبل[١]

١٥- خليل كتبخانة : السيد خليل بن إسماعيل خليل كتبخانة (١٣٣٨ ـ ١٤١٤هـ):

من رجال التعليم المؤثرين، من مواليد مكة المكرمة، ومن خريجي مدارس الفلاح، وجمع مع ذلك تلقي العلم عن مشائخ الحرم، والتحق بالتعليم بالطائف، وعمل معها في المحكمة الشرعية في رئاسة بيت المال، فمديراً لمدرسة أبها الابتدائية والمتوسطة فمعتمداً للتعليم فيها، ثم بالطائف، ثم في مناصب عالية بوزارة المعارف[٢]. قال في حديثه عن رجال التعليم في أبها: «رجل عصبي المزاج، صلب عند رأيه حتى ولو لم يكن صوابه، ولا أبخس الرجل حقه فهو نزيه ومخلص في عمله، ويمشي مع خط واحد لا يعرف غيره»[٣].

١٦ـ سعد بن علي بن سعيد بن بخيتة (١٣٥٢ـ ١٤٠٢هـ) :

من مواليد خميس مشيط تخرج في مدرستها، ليعين مدرساً فوكيلاً فمديراً، وقضى إثر حادث سير رحمه الله [٤]. وقال في ترجمته له «وكان في دراسته من نبهاء الطلبة، ذكي وحساس إلى درجة قياسية، ولكن يبقى متزناً في أعماله بقدر المسؤولية ،يرضى بها على نفسه، ويطلبها من غيره، سار بمدرستيه الابتدائية والمتوسطة سيرة مشرفة

---

(١) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ٢١٤/١، والبيت لزهير بن أبي سُلمى من الطويل في مدح سنان بن أبي حارثة المري، ديوان زهير/٨٧، وأوله في الديوان «فما بك من خير»، ولفظ الأستاذ هو لفظ ابن عبدربه في العقد الفريد ٢١٩/١. (حميّد). إن الأمير خالد الفيصل مكث أميراً في منطقة عسير حوالي أربعة عقود، وقد بذل جهوداً عظيمة في خدمة البلاد والعباد. وهو يستحق أن يُكتب عن أعماله وجهوده في عسير عشرات الدراسات، آمل أن نرى مؤرخين جادين منصفين يوثقون ما قدم للأرض والناس من بداية تسعينيات القرن الهجري الماضي إلى عشرينيات القرن الحالي (١٥هـ/٢١م). (ابن جريس).

(٢) موسوعة تاريخ التعليم ٢٥/٤ .

(٣) القول المكتوب في تاريخ التعليم، ٩٦/١ .

(٤) موسوعة تاريخ التعليم ٣٣٠/٤، وقد ترجم له الشيخ ترجمة وافية في موضعه.

النظام فيهما، حتى أصبح شخصية مرموقة لها وزنها بين مواطنيه»[١].

١٧ـ سعد بن سعيدان: سعد بن محمد بن عبدالرحمن بن سعيدان (١٣٠٠ـــ ١٣٧٦هـ):

الفقيه العابد، ولد بإحدى قرى القويعية وحفظ القرآن، وطلب العلم على قضاتها، ثـم انتقـل إلى الرياض وتخرج على عدد من علمائها، وارتحل إلى خميس مشـيط حيث وقع موقعاً عالياً عند أميرها الشـيخ سـعيد بن مشيط، فكان كالمعلم والواعظ والقاضي والإمام للصـلاة ثم رشح للقضاء فاعتذر تورعاً، ولزم العبادة والتلاوة والمطالعة، وكان جميل الخط ويقول الشعر وأضر آخر عمره[٢].

قال عنه المربي الأسـتاذ محمد أنور في معرض من تعرف بهم بمدينة خميس مشيط «العالم الجليل الصديق الصادق الشيخ سعد بن سعيدان رحمه الله، وكان في حياته كنزاً مخبوءاً، لا يكاد يظهر للناس علمه وفضـله لأنه منطوٍ إلا على قلة من أصـدقائه، وأشـهد لقد كان فريداً في تقواه وفي اعتزاله الناس حتى لا تحوم حوله الشبه، ولا ينشغل بغير ربه، والشـيخ سعد زاهد، وعالم جليل، وشاعر بليغ، وأتألم أشد الألم لضياع قصائده التي كان يرسـلها إليَّ». وقال أيضـاً» العالم الجليل والشـيخ الورع العف»[٣].وقال حين تعداد قضاة أبهـا والخميس «عالم جليل، وورع ومتدين، وقل نظيره في مخافة الله وأديب وشـاعر على طريقة العلماء الشعراء رحمه الله»[٤]. وقال في معرض ذكر قضاة المنطقة ووعاظها الذين أرسلهم الملك عبدالعزيز ـــ رحمه الله ـــ « فضيلة الشيخ الورع التقي العالم سعد بن محمد بن سعيدان الذي اختص به الأمير سعيد بن عبدالعزيز بن مشيط أمير شهران»[٥].

١٨ - سعيد بن مشيط: سعيد بن عبدالعزيز بن حسين بن مشيط (١٢٨٧ - ١٣٩٣هـ):

أمير شـهران وخميس مشـيط، من رجال الملك عبدالعزيز وممن ساهم في ترسيخ دعائم الأمن والاسـتقرار في المنطقة، ومن مشاهير الجود والفضل[٦]. وقال في معرض

---

(١) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ١٢٨/١ .

(٢) علماء نجد في ثمانية قرون ١٩٨/٢ .

(٣) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ٤١/١.

(٤) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ١٨٢/١

(٥) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ٢١٦/١

(٦) كتاب الشـيخ سـعيد بن عبدالعزيز بن مشيط في ذاكرة التاريخ لابن مشـيط: عبدالعزيز بن سعيد، تقديم ومراجعـة أ. د. غيثـان بـن علي بن جريس، ط (٢) ١٤٣٩هـ، وانظر ما كتبـه عنه عبدالله فيلبي في كتابه: مرتفعات الجزيرة العربية ٢٦٢/١.

ذكرياته في مدينة خميس مشيط» فهو من نفس النخبة التي استقبلت الحكم السعودي بقبول حسن وصدق وأمانة وله منزلته ومكانته لدى جلالته[١]. وقال: « وكنت موضع العطف والتقدير من عظيمي الخميس، بل المنطقة كلها ـ الأمير سعيد بن عبدالعزيز آل مشيط، والشيخ عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة ـ وكان لا يسقط لي طلب ولا ترد لي رغبة عند أيهما، وكانا نور البلاد وهيبتها وقدوتها المتبعة، والمرجع الأول والأخير فيما يلم بها أو يحدث فيها، وكلمتهما هي النافذة والمسموعة بكل قناعة"[٢]. وقال:» مجالس الشيخين الكبيرين في مقامهما، الأمير سعيد والشيخ عبدالوهاب (من) المجالس الواسعة بسعة البال وطيب الاستقبال، فإنها لا يذكر فيها إلا الطيب من القول مع ما في أهلها من كريم الضيافة وملاطفة المعتر، وقضاء مأرب المحتاج رحمهما الله رحمة واسعة، فلقد كانا نورين وسراجين في بلادهما"[٣].

١٩ـ سعيد بن عبدالوهاب أبو ملحة (١٣٤٥ـ ١٤١٧هـ) :

من فضلاء تلاميذ الأستاذ محمد أنور، تخرج في مدرستي أبها والخميس، من أصحاب الصالونات الثقافية الأولى بأبها، عمل مع أبيه في أعمال عدة ومنها المالية حيث استقر بعد ذلك مديراً لها، وتوفي بمدينة جدة[٤]. قال عنه الشيخ محمد أنور في معرض ذكرياته في مدينة خميس مشيط « من أصدقائي بالخميس وأبها، ومن أوفى من عرفت من الناس بقاء على الصداقة ومواصلة لحبها»[٥].

٢٠ـ سليمان بن أحمد بن فائع (١٣٤٥هـ ـ ١٤١٩هـ) :

من قدامى رجال التعليم في المنطقة تعليماً وإدارة، تنقل بين النماص وخميس مشيط والطائف، ورجال ألمع ، وتمنية فأبها أميناً لمكتبتها حيث مات بأبها[٦]. قال عنه الأستاذ أنور في توجهه لمدينة النماص لتأسيس المدرسة واختياره له ليكون معلماً فيها « متعلم ومن خيرة زملائه بمدرسة أبها»[٧]. وفي حديثه عن زملائه وتلامذته في أبها

(١) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ٣٨/١.
(٢) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ٤٢/١.
(٣) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ٤٥/١. وما بين القوس من عندي ليستقيم الكلام، وينظر كلامه في كتاب: الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة، للدكتور غيثان بن علي بن جريس.
(٤) راحلون مروا على جسر الذاكرة /٩٥ .
(٥) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ٤٠/١، وينظر كلامه أيضاً في الحديث عن ابنه عبدالله .
(٦) موسوعة تاريخ التعليم، ٣٧٨/٤.
(٧) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ٣٢/١.

والخميس» وسـليمان بن أحمد ما شئت من الطيب ــ وكسـهمك[١]. خلقاً وأدباً وحفظاً للنصـوص الأدبيـة واتباعاً لها، وله نهج خاص أقرب إلى العزلة إلا مع جماعة الأدب والمتأدبين، وهو يمثل قول الشاعر:

عليك بنفسك فاستأنس بوحدتها ... تلق الرشاد إذا ما كنت منفردا[٢].

٢١- سليمـان بن جمهور: سليمان بن محمد بن سليمان بن جمهور العدواني (١٢٦٥ــ١٣٦١هـ):

القاضـي الواعظ مـن مواليد جلاجل، تعلم فيها التعليـم الأولي، ثم طلب العلم في بغداد والزبير، ثم عاد إلى البلاد بعد دخولها في حكم الملك عبدالعزيز آل سعود، وعينه قاضـياً في رنية، فمرشداً في الهجر والبوادي، ثم عين قاضياً في منطقة عسير واستعفى من القضـاء لتقدم سـنه ومات بمسـقط رأسـه[٣]. قال الشـيخ أنور في ذكر قضاة أبها الأوائـل « كان ـ يقصـد ابن جمهـور ــ جهوري الصـوت إذا خطب أو وعظ، ويتمسـك باللهجة الدارجة في قرية جلاجل[٤]. وفيه شدة عكس أخلاق الشيخ محمد بن إسماعيل رحمهما الله معاً، وقد اسـتمر مدة طويلة أكثر من خمس سـنوات، ومع شـدته فهو نزيه ولا يظلم أحداً ،ولا يذكر عنه أي تواطؤ مع أحد الخصمين مهما كانت منزلته، وقد قال بعض مرافقيه إنه صـريح حتى مع الملك عبدالعزيز، فقد يقوم بمجلس الملك ويصارحه ببعض الأمور التي يراها ويجب فيها إسداء النصيحة من الناحية الشرعية[٥].

٢٢ــ سيف بن أحمد بن محمد أبو هليل (١٣٣٨ــ ١٤٠٦هـ):

الوجيه المالي، ولد بأبها وتعلم بها، وبدأ حياته الوظيفية في إمارة عسير التي انتهى عمله فيها رئيسـاً لديوانها، ثم انتقل إلى الطائـف مديراً لماليتها، وتفرغ بعدها لأعماله التجارية وتوفي في مدينة جدة[٦]. ذكره في طليعة مثقفي أبها كما في ترجمة عبدالله بن علي بن حميّد.

(١) يقصد تلميذه النجيب الأستاذ سليمان فايع .

(٢) القول المكتوب في تاريخ الجنوب١/٤٠، والبيت من البسيط للشافعي ، وأوله «فاهرب بنفسك واستأنس ...» حلية الأولياء ٩/١٤٩، وما ذكره الأستاذ ورد في شرح مقامات الحريري للشريشي ٣/٤٧٩ .

(٣) علماء نجد في ثمانية قرون ٢/٣١٦، شذا العبير /١٢٦ .

(٤) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ١/١٨٢ .

(٥) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ١/٢١٣، وينظر كلامه في الشيخ عبدالله العسكر.

(٦) إفادة مرسلة من حفيد أخيه الأستاذ فهد بن حسن بن أحمد بن أبي هليل .

٢٣- صالح باخطمة :

مـن أوائل رجال الأمن في المملكة العربية السـعودية وتولى القيادة في أبها والمدينة المنورة، وهو على سـمة أوائل العسـكريين الحجازيين في سعة الاطلاع والمعرفة، وهو ولد الشـاعر المعروف محمد باخطمة[١]. قال الأستاذ محمد أنور في بيانه لقادة شرطة أبها «وله كذلك شأن وقيمة أخلاقية ونزاهة»[٢].

٢٤- صالح بن محمد بن حسن أبو هليل (؟ ــ ١٤١١هـ) :

الوجيـه الإداري مـن كبار موظفي المالية، من مواليد أبها وبها نشـأ وتعلم، عمل في مالية أبها فمديراً لمالية ظهران الجنوب، ثم لمالية بيشة، وعين مشرفاً على مزارع الدولة للاكتفـاء الذاتي التي أنشـئت عقب الحـرب العالمية الثانية، ثم مديـراً لمالية الطائف، فمديراً عامـاً للخزينة العامة للدولة، ومديراً عاماً للأوقاف في المملكة، وكلف برئاسـة عـدد من اللجان الملكية، وتوفي بمدينة جدة[٣].وجعله الشـيخ أنور في طليعة مثقفي أبها كما سيأتي عند ذكره لعبدالله بن علي بن حميّد.

٢٥ـ صالح بن محمد بن عبدالله التويجري (١٣٣٥ــ ١٤٦٢هـ):

القاضي الوجيه النبيل ولد في القصيعة ـ من أعمال بريدة ـ وتلقى العلم من والده وعلمـاء بريدة، وتنقل في قضـاء جـازان وأبها ثم في تبوك وقاضـي تمييز بمكة المكرمة ومـات بهـا[٤]. قال عنـه المربي محمد أنور في تعداد قضـاة أبها « وهو مـن نوع الرجال الطيبين الذين تربوا أخلاقهم وحنكتهم وحسـن سياستهم على علمهم، ويخالط الناس بنزاهة ويتعمد الإصلاح بينهم، متواضع يحب نفع الناس وحل قضاياهم»[٥].

---

(١) لم أقف له على ترجمة، وانظر صحيفة عكاظ عدد الخميس (٢٠١١/٣/٣م)، وله ذكر متناثر في المصادر، سوانح الذكريات/٣٤٦، ومحمد الحميد في إصدارات وقراءات /١٨٤، وغيرهما.

(٢) القول المكتوب في تاريخ الجنوب١/ ١٨٤ .

(٣) إفادة مرسـلة من حفيد أخيه الأسـتاذ فهد بن حسـن بـن أحمد بن أبي هليل، وانظـر الحميد: محمد بن عبـدالله رجـال اسـتحقوا التنويه، جمع وتنسـيق أحمـد بن محمد الحميّد. عـن نادي أبهـا الأدبي، ودار الانتشار العربي ط(١) (٢٠١٧م) /١٥٧ .

(٤) شذا العبير/١٤٤، علماء نجد في ثمانية قرون ٢/٤٤٣.

(٥) القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ١/ ٢١٥ .

٢٦ــ طلعت محمود وفا : (١٣١٩ ـــ ١٣٨٣هـ) :

ولد بمكة، وتخرج في المدرســة الحربية في العهد الهاشمي، وعمل في الشرطة بداية تأسيسـها في العهد السـعودي، ثم كان أول رئيس لشرطة أبها عام (١٣٥٢ــ ١٣٥٦هـ)، وترقى في المناصـب حيث أصبح مديـراً للأمن العام، وله يـد في التعليم الحديث بأبها حيث كلف مجموعة من كبار الموظفين بأبها لتعليم طلبة المدرسة السعودية إبان تأسيسها مبادئ التوحيد والنحو والسيرة والتاريخ والزراعة والجغرافيا واللغة الإنجليزية، وإنشاء أول نادي أدبي بها[١]. وقال عنه الشـيخ أنور: في حديثه عن قادة الشـرطة في أبها «من أهل مكة له شأن وشخصية معتبرة»[٢].

٢٧ـــ عارف القاضي : عارف بن علي بن مسفر القاضي (١٣٣٥ــ ١٣٩٥هـ):

الواعظ المعلم والمحتسـب، من أسـرة علمية ومن مواليد أبها، حفظ القرآن وتعلم على أبيه وعلى من كان في أبها من علماء، وتنقل بين السـلك العسـكري، والتعليم والوعظ وفتح كتاتيب في بلاد علكم وربيعة ورفيدة، وعين إماماً لمسجد نعمان، ثم التحق بمحكمة تبوك، ثم عاد إلى تعليم أبها، وعمل معلماً ومديراً في مدرسة آل زيدي وغيرها من المدارس[٣]. ذكره الشيخ أنور في تقرير عن مدرسة آل زيدي «وأخلاقه عالية ونشاطه وإخلاصه متوفران»[٤].

٢٨- عبدالرحمـن بن شيبان: عبدالرحمن بن علـي بن عبدالله بن شيبان (١٣٣٣- ١٤٢٨هـ):

القاضـي، الفقيه، المطالع، طلب العلم في قريته ثم ارتحل إلى مكة المكرمة، ثم إلى زبيـد طالباً العلم من علمائها ثم عمل بديوان إمارة البرك ملازماً قاضـيها ليترقى في درجات القضاء بالبرك والنماص حتى درجة قاضي تمييز، وله مكتبة حافلة، أثنى عليه عارفوه[٥].قال الأسـتاذ محمد أنور في ذكرياته الأولى بالنماص» وكنت أنا وهو ـ يقصد ابن شـيبان ـــ متقاربين في السـن وفي السـلوك وفي الاهتمامـات والتطلعات الحياتية،

---

(١) مـن الذاكـرة /٥٩ ، مُعَـبّر وآل عبدالمتعالي: محمد بن أحمـد، ومحمد بن علي، النادي الأدبي العسـيري، ديوان العرب للنشـر والتوزيع بالقاهرة (٢٠٢٣م)، وانظر إلى أثره المحمود في التعليم في (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب). ٢٧٧/٢٤.

(٢) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ١٨٤/١ .

(٣) العمروي : عمر بن غرامة، بغية الوعاة بأخبار وسير القضاة، دار الفكر، بيروت، ط(١) ص/٤٥ .

(٤) من رواد التربية والتعليم/٦٢ .

(٥) شذا العبير/١٥٤، موسوعة أسبار للعلماء والمتخصصين في الشريعة ٢٢٦/١.

ويشهد الله أن إعجابي بخلقه ورزانته واستقامته مازال كما هو بعد ذلك العهد الطويل»[١] . وقال أيضاً: « كنت أستقبل مرة أو مرتين في السنة شاباً بهي الطلعة، عذب الحديث، كريم السجايا، كل ما فيه يدعوك لأن تحترمه، لا يبعد سنه عن سني إلا قليلاً ، وكنت أرتاح إليه إذا حضر، وأصغي إليه إذا تحدث، وأسعد برسائله إذا كتب إليَّ، وله خط جميل وأسلوب أجمل، تجانست معه في الفكر، وتقاربت معه في الثقافة، وأتحدث معه في الاهتمامات نحو المستقبل، يشد أذني إليه إذا حدثته بأسلوب رصين متعقل، ورؤية محكمة، لا يخرج في حديثه عن الصواب إلا إلى صواب مثله، ولا تلمس أثناء حديثه إلا الجد والتصميم، ينصب حديثه على العلم وحبه، وعلى الثقافة وعشقها. ولقد أعجبت جداً بهذا الشاب مبدأً وثقافة وعلماً وهنداماً وأصالة رأي وحسن تأدب، مع ما أوتيه من تواضع جم وكرم نفس وعلو همة، حتى رأيته يصلح أن يكون مثالاً أعلى وقدوة طيبة، رئيس محاكم النماص سابقاً وصديق الشباب، ومحل الحب والتقدير عندي من غير ارتياب» [٢].

٢٩- عبدالرحمن المعمر: عبدالرحمن بن فيصل المعمر (١٣٥٨- ١٤٤٥هـ):

من رواد الصحافة والنشر، أديب من ظرفاء العصر، ولد بسدوس، وتخرج في دار التوحيد بالطائف، وكان شريكاً للأستاذ عبدالعزيز الرفاعي في مشاريعه الثقافية، له عدة مؤلفات منها مذكراته[٣].

قال الشيخ أنور عنه في إجابة عن سؤال صحفي» روضة تتفيأ ظلالها وتنشق من عبيرها، والآراء الصائبة لا تفارق كلامه، والصراحة هي الصديق الأول والأخير له، وهو لا يحملك عبء مرافقته لتواضعه، وخفة روحه، ومراوحته بين الجد والفكاهة في أحاديثه، وهو لا يحب من يعطي، نفسه أكثر من قيمتها، ولا من يدعي الكمال وهو بعيد عنه، وهو يحب كل الناس إلا من ذكرتهم بالصفتين السابقتين وشعاره الحديث» وكونوا عباد الله إخوانا»[٤].

---

(١) القول المكتوب في تاريخ الجنوب ١/ ٣٥.

(٢) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ١/ ١٥٢. (حميّد)، رحم الله الشيخين محمد أنور وابن شيبان، فقد تواصلت مع الأول بالهاتف والرسائل، ومع الثاني بالجلوس والمقابلة، ولقد كانا من الأعلام الكبار في منطقة عسير، لما منحهم الله من العلم والمعرفة، والحكمة ورجاحة العقل. وهذان الشيخان مازالا يستحقان أن تكتب سيرتهما في عدة أعمال، آمل أن نرى مؤرخين جادين يقومون بذلك. (ابن جريس) .

(٣) دارة الملك عبدالعزيز: قاموس الأدب والأدباء في المملكة (١٤٣٤هـ)/ ٤٥٧٨،صحيفة الجزيرة ع/ ١٨٦٢٣، ٢٠/ ١٠/ ١٤٤٥هـ.

(٤) لقاء في صحيفة الجزيرة ع(٣٥٩) في ١٤٠٧/١/٧هـ ، مثبتة صورته في كتاب: من رواد التربية والتعليم / ٥٤١.

٣٠- عبدالرحمن بن محمد أبو نخاع الشهراني الرشيدي(١٣٠٠-١٣٧٤هـ):

مـن كبـار وجهاء قبيلتـه ومدينته ومن أصـحاب الرأي فيها ، ولد بخميس مشـيط ومات بها[١]. وقال الأسـتاذ. فيمن من تعرف عليه بخميس مشـيط: « وكان بيضة البلد، قوي رأي، وصاحب حزم وحل وعقد» [٢].

٣١- عبدالرحمن المطوع: عبدالرحمن بن محمد بن مبارك عسيري (١٣٠٠ - ١٣٨٩هـ):

مـن أوائل المعلمين في أبها أخذ التعليـم الأولي في قريته حيث حفظ القرآن الكريم وأخـذ عـن الواردين إلى أبها من أهل العلم وافتتح كتاتيب في عدد من القرى ثم في أبها ثم انضـم إلى مدرسـي المدرسة السـعودية حين تأسيسـها، وكان له يد في تعليم البنات فكان له كتاب يدرسهن فيه[٣]. قال عنه الأستاذ محمد أنور عندما ذكر مدرسي المدرسة السـعودية الأوائل:» رجل مسـن مقعد، إلا أن له تلاميذ لا ينسون ذكره وتلميذات أيضاً، ... وله طريقة ناجحة ومستحبة «[٤].

٣٢- عبدالعزيز بن إبراهيم آل إبراهيم(١٢٩٥-١٣٦٥هـ) :

من رجال الملك عبدالعزيز أميراً على أبها، ثم الطائف، ثم المدينة المنورة، ثم عضواً في مجلس الوكلاء، مشهور بالحزم والشدة في سياسته[٥]. قال الشيخ أنور في حديثه عن أمراء أبها» وكان يُعرف بالحزم والشدة، فبدأ الاستقرار يرسخ صخرته فرسخت واستقرت»[٦].

٣٣- عبدالعزيز بن أحمد الرفاعي(١٣٤٢ - ١٤١٤هـ):

من رواد الأدب والمعرفة بالمملكة العربية السعودي تأليفاً وشعراً وكتابة وإدارة بإنشاء دار الرفاعي للنشـر التي أثرت السـاحة المعرفية، وإنشـاء مجلة عالم الكتب، وصالونه

---

(١) إفادة مرسلة من الدكتور/ موسى بن علي مبروك.

(٢) القول المكتوب في تاريخ الجنوب،١/ ٣٨.

(٣) العذب النمير / ٢٦٤، وانظر كلام تلامذته عنه في ومضات من الذكريات للدكتور محمد الشعفي/٣٦-٤٠، حياتي للدكتور جابر بن موسى/٣٢، قطرات من سحائب الذكرى، للأستاذ عبدالرحمن السدحان/٦٤.

(٤) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ١/ ٩٤. (حميّد). رحمك الله يا محمد أنور فلقد حفظت لنا الكثير من تاريخنا المحلي، ولو امتنعت عن التعاون معي كان ضاع الشيء الكثير. ويا حبذا أن نكون جمعنا من أقرانك وأهل عصرك بعض المدونات، ولو حصل ذلك كنا - بدون شك - حصلنا على علوم ومعارف كثيرة. (ابن جريس).

(٥) كتاب آل إبراهيم الفضليون للظاهري: أبي عبدالرحمن بن عقيل، دار ابن حزم، الرياض ط(١) ١٤١٧هـ.

(٦) القـول المكتـوب في تاريـخ الجنـوب١ /٢٧، وانظـر تاريـخ عسـير للنعمـي لمعرفة الظـروف التـي أحاطت بإمارته/ ٣٧٠.

الثقافي الممتد من عام (١٣٧٩ــ ١٤١٤هـ) ، وعمل مستشاراً في الديوان الملكي، وعضواً في الدورة الأولى لمجلس الشورى، حاز على عدد من الجوائز وأوسمة التكريم من جهات عدة، وامتد تأثيره الثقافي في الوطن العربي له مؤلفات كثيرة ودواوين شعرية[١]. ومما قال عنه الأستاذ محمد أنور: « مثل أعلى وقدوة مثلى في نهجه وحبه لمعارفه وخلطائه وإيثارهم على نفسه، وهو طراز فريد في التزام الوفاء، وتحمل أعباء الصداقة، وحمل مسؤولياتها، وهو يعطيك ولا يأخذ منك، ومهما أطلت معه الوقت فلا يمل ولن تخرج منه إلا بفائدة أدبية أو خلقية، فهو نموذج نادر بين أقرانه ومثال جيد مع من يعرفه»[٢].

٣٤- عبدالعزيز بن عبدالرحمن الثميري (١٣٠٩ــ ١٣٦٤هـ) :

القاضي، الواعظ، ولد في المجمعة، وطلب العلم على أهلها، تولى القضاء بأبها (١٣٥٥ــ ١٣٦٠هـ) ، ثم عين قاضياً بصبيا حيث توفي بها، اشتهر بالفضل وحب الإصلاح[٣]. قال عنه المربي أنور: « سار بعمله سيرة حسنة، ويرى الناس أن عقله أكثر من علمه فهو يصلح الناس أكثر مما يحكم بالشرع إلا فيما يوجب ذلك ومالا بد فيه من حكم الشرع» [٤].

٣٥- عبدالعزيز العسكر: عبدالعزيز بن عبدالله بن إبراهيم العسكر (؟- ١٣٥٨هـ):

أمير عسير الثامن في العهد السعودي، خلف أباه على الإمارة بالوكالة (١٣٤٩ــ ١٣٥٣هـ) ، ثم ولي المجمعة وفيها توفي، وقد أكمل ما بدأه أبوه في تثبيت قواعد الأمن في المنطقة، وشارك في المفاوضات السعودية اليمنية، وكان يقرض الشعر الشعبي[٥]. وقال عنه الشيخ أنور في ذكر أمراء المنطقة إثر حديثه عن أبيه» ولم يكن الابن في مستوى دهاء أبيه وحنكته»[٦].

---

(١) قاموس الأدب والأدباء في المملكة /٦٧٢ .

(٢) لقاء في صحيفة الجزيرة ع (٣٥٩) في (١٤٠٧/١/٧هـ) ، مثبتة صورته في كتاب: من رواد التربية والتعليم/٥٤١ .

(٣) شذا العبير/١٧٥، أسبار للدراسات والبحوث والأعلام، موسوعة أسبار ط(١) ١٤١٩هـ، ص٥٧٢ .

(٤) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ٢١٤/١ .

(٥) عثمان بن عبدالعزيز العسكر: الأمير عبدالله العسكر سيرته وأخباره، دار العارض للبحوث والدراسات والنشر ط (١) ١٤٤٠هـ ص/١٦٨. والمشهور في ذكر أمراء عسير أن إمارته استمرت سنة واحدة، لكنه خلف أباه عام ١٣٤٩هـ حين ذهب والده إلى المجمعة ليمرض فيها وفيها مات ،انظر المصدر السابق/١٧٤ .

(٦) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ٢٧/١ ،وقارن بما في تاريخ عسير للنعمي /٣٨٠ .

٣٦ـ عبدالفتاح قاريء : عبدالفتاح بن عبدالرحيم بن الملا محمد القاريء الخوقندي (١٣٢٩ـ ١٣٨٥هـ) :

المقـريء، المحقق، ولد بإحـدى قرى خوقند - من مدن تركسـتان - وطلب العلم بها، ثم هاجر إلى مكة المكرمة وتلقى العلم من مشـايخ الحرم الشـريف، متخرجاً في المدرسـة الصـولتية المكية، ثم التحق بالتعليم في محايل عسـير وأبها (١٣٦٢ـ ١٣٦٦هـ) ثم انتقل إلى الرياض بالمعهـد العلمي بهـا، وحين افتتحت الجامعة الإسـلامية بالمدينـة نقل إليها مدرساً للقرآن والتجويد حتى وفاته، وقد انتفع به جملة من الطلبة الذين أضحوا بعد ذلك من كبار العلماء[١]. قال أنور في ذكره لمدرسي المدرسة السعودية " وكان قارئاً مجيداً "[٢].

٣٧- عبدالقـادر بـن كرامـة الله بـن نعمـة الله بـن ناصـر بـاي البخـاري (١٣٢٧ـ ١٤٢٠هـ) :[٣].

المقرئ، والمحدث الأديب، ولد ببخارى، فحفظ القرآن وطلب العلم هناك، ثم هاجر من بلاده ـ حين حكمها البلاشـفة وضـيقوا على المسـلمين ـ إلى أفغانسـتان فالعراق فالمدينة المنورة وطلب العلم على بعض علمائها، ثم تخرج في المدرسـة الصـولتية بمكة عام (١٣٦١هـ) وقدم أبها مدرسـاً في مدرسـتها (١٣٦٣ـ ١٣٦٥هـ) ثم استقر في رابغ مدرسـاً فإدارياً ومات بها، وقد عمل في الإذاعة السـعودية في القسم الفارسي، له كتاب التحفة وديوان شعر باللغة الفارسية[٤].

قال الأسـتاذ محمد أنور عنه في مدرسـي المدرسة السـعودية بأبها «واسطة العقد، أديب فاضل الخلق، وصديق للكتاب، لا يكاد يفارقه، كريم الخلق، رضي النفس، ثر اليد وهو بخاري الأصـل يذكرنا ببعض فضـائل أبي عبدالله محمد بن إسـماعيل، البخاري رحمـه الله ، ذو عنايـة بـالأدب، ولـه مكتبة حافلـة، جيـدة في العلوم الدينيـة والأدبية

---

(١) زريا بن عبدالله بيلا : الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء والأعيان. تحقيق عبدالوهاب بن أبي سليمان، ومحمد إبراهيم علي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ص/٢٦٢، ومحمد بن صالح عسيلان: شخصيات متميزة في مجتمع المدينة المنورة في النصـف الأول من القرن الرابع عشـر، دار المفردات بالرياض ط (١) ١٤٣٣هـ الجزء الأول /١٣٨.

(٢) القول المكتوب في تاريخ الجنوب. ٩٣/١ .

(٣) الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء والأعيان /٢٧١، موسوعة تاريخ التعليم ١٥٧/٥.

(٤) شكر الله لك يا دكتور أحمد على ما بذلت من جهود مباركة في حفظ هذه المادة العلمية عن هؤلاء الأعلام الذين كان لهـم جهـود كثيرة ومباركة في خدمة الناس. وكانت بلاد تهامة والسـراة وبخاصـة منطقة عسـير محظوظة بأولئك الرجال الكرام الذين عملوا فيها، وأسسوا الكثير من الفضائل والأعمال الطيبة. (ابن جريس).

والرياضية، ومثل أعلى في الاستقامة والأخلاق وكرم النفس، أحسبه من صالحي عباد الله، وأرجو له ذلك ولا أزكي على الله أحداً»(١).

٣٨- عبدالله العسكر: عبدالله بن إبراهيم بن سليمان العسكر (١٢٧٧ ـ ١٣٥٠هـ):

أمير عسير السابع (١٣٤٣ـ١٣٤٩هـ) ولد في المجمعة، وخلف أباه أميراً عليها عام (١٣١٤هـ) ثم دخل في بيعة الملك عبدالعزيز عام(١٣٢٦هـ)، فأقره عليها، ثم ولاه عسيراً فأدار الحكم بقوة وحزم مثبتاً الأمن والاستقرار فيها، عاد إلى المجمعة عام(١٣٤٩هـ) ليمرَّض فيها وبها مات(٢). ذكره الشيخ محمد أنور في تعداد أمراء المنطقة فقال: «من أهالي المجمعة، أدار دفة الحكم بحزم وحكمة. وهو رجل كبير فوق السبعين عاماً عمره، واستمر تسع سنين»(٣).وقال أيضاً « كان الأمير عبدالله العسكر، والشيخ سليمان بن جمهور ـ اللذين قضيا أطول فترة معاً في الحكم ـ متقاربين في السن حول السبعين، وكان فيهما حزم وشدة، بل قسوة ورافقهما قحط شديد وغلاء في أسعار الحبوب والمواشي، فكانت سنينهم كسنين يوسف عليه السلام»(٤).

٣٩ـ عبدالله بن إلياس: عبدالله بن عبدالرحمن بن أحمد بن إلياس (١٣١٥ـ١٤١٦هـ):

الشيخ المعمر الوحيد من طلائع مثقفي مدينة أبها، تخرج في المدرسة الرشدية التركية بأبها، وعمل في المعهد التركي كاتباً في محكمة أبها، ثم تدرج في الوظائف الحكومية السعودية في إمارة أبها وماليتها، ثم في الديوان الملكي فوزارة المالية، توفي بأبها، وله مذكرة تاريخية مهمة أبرزها صاحب موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوبي)(٥). قال محمد أنور عنه في وصف الحياة العلمية والمعرفية بأبها زمن

---

(١) القول المكتوب في تاريخ الجنوب. ٩٤/١ .

(٢) الأمير عبدالله بن إبراهيم العسكر (سيرته وأخباره).

(٣) القول المكتوب في تاريخ الجنوب ٢٧/١ .

(٤) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ٢١٩/١. ومعرفة الظروف التي واكبت إمارته سبب لهذه القسوة انظر: تاريخ عسير في الماضي والحاضر/٣٧١، وبتقرير أن ابن جمهور كان زمن ابن عسكر ـ وهو الصحيح ـ يصحح ما ذكره في التعريف بالشيخ فيصل المبارك وسيأتي بيانه في موضعه.

(٥) راحلون مروا على جسر الذاكرة ١٤١/١. (حميّد).نعم هذه المذكرة منشورة في (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء الأول)، انظر الطبعة الأولى، والثانية. وأيضاً تم تقديمها كورقة عمل في احتفالية المئوية بالرياض عام (١٤١٩هـ). والمادة الموثقة في مذكرته جيدة جداً ودقيقة في معلوماتها التي لا نجدها في مصدر آخر. (ابن جريس).

التأسـيس.» وعنـده ـ يقصـد ابن إلياس ـــ معلومات تفيدكم لو اتصـلتم به من تاريخ عسير، والحقيقة أنه كشكول مهم، وحافظته ودرايته جيدتان، ولو تم الاتصال لاستفدتم من خبرته أكثر مما تحصلون عليه مني»(١). وقال أيضاً في ذكر موظفي مالية أبها «وهو مـن أهالي أبها ومن المتعلمين والمثقفين له خط جميل جداً يجذبك جذباً قوياً إذا تأملت سـطوره»(٢). وقال في إجابة عن أسـئلة تاريخية وجهها صاحب (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب): «يوجد جواب هذه الأسئلة الثلاثة عند الشيخ: عبد الله عبدالرحمن إلياسـ، ولاينبئك مثل خبير»(٣). وقال في تعداد مـن تميزوا بجودة الخط بأبها: « وليس لخطه مثيل في أبها يفوقها كلها »(٤).

٤٠- عبدالله بن حميِّد: عبدالله بن سليمان بن عبدالله الحميِّد (١٣٢٠ ـ ١٤٠٤هـ):

القاضـي، المحتسـب، ولد ببريدة، وطلب العلم على علمائها، وعين قاضياً بالبرك، ثم رئيسـاً لمحكمة القنفذة، ثم رئاسـة محكمة جازان، فالبكيرية، ثم رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومات ببريدة(٥). قال عنه الأسـتاذ أنور في تعداد القضـاة الذين أرسلهم الملك عبدالعزيز عام (١٣٦٣هـ) « وهو من المشائخ الأتقياء ذوي الأخلاق المتسمة بالتقوى والصلاح، وليس من تلاميذ ابن يوسف» (٦).

٤١ـ عبدالله بن سعيد بن عبدالوهاب أبو ملحة (١٣٦٣ـــ ١٤٤٤هـ):

من رجالات المنطقة الذين أسهموا في تنميتها وتطورها، ولد بمدينة خميس مشيط، وتلقى تعليمه فيها وفي الطائف، ثم تخرج في جامعة الملك سعود من كلية التجارة، وعمل بإمارة عسـيرٍ مديرا للشـؤون المالية بها ثم أميناً للغرفة التجارية الصـناعية بأبها نحوٍ عشـرين عاماً، وهو عضو ومؤسس لعدد من الشـركات والمؤسسات العامة، وعين عضواً بمجلس الشـورى، وتوفي بمدينة الرياض إثر مرض طال به(٧). قال عنه الشـيخ أنور في

(١) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ١/ ٩٠.
(٢) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ١/ ٢٢٣.
(٣) القـول المكتـوب في تاريـخ الجنوب. ١/ ١٧٩. (حميّـد). لقد كتبت إلى الشـيخ أنور العديـد من الخطابات أسـتكتبه فيها عن قضايا عديدة في جنوب البلاد السعودية، وبخاصة منطقتي عسير والباحة، وقد تجاوب معي (غفر الله له) فكتب لي عشـرات الصـفحات عن موضوعات عديدة، وتم نشرها في عدد من المؤلفات وفي مقدمتها: موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الأول). (ابن جريس).
(٤) من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية / ٤١٨.
(٥) علماء نجد في ثمانية قرون. ٤/ ١٢٤.
(٦) القول المكتوب في تاريخ الجنوب. ١/ ٢١٦.
(٧) ابن جريس: غيثان بن علي: كتاب: عبدالوهاب أبو ملحة في جنوبي الجزيرة العربية دراسة تاريخية وثائقية (١٤٣٣هـ) / ٤٠١، وانظر رجال استحقوا التنويه/ ٣٢١.

حديثه عن جد المترجم له ووالده» ولديه من التواضع وسداد الرأي ما يغني، وأبوه سعيد كذلك من طراز واحد وجبلة واحدة»[١].

٤٢ - عبدالله بن عبدالرحمن المطوع بن محمد بن مبارك عسيري (١٣٥٠ -١٤٣٣هـ):

الوجيه الفاضل ولد بأبها وتخرج في المدرسة السعودية وعمل إثر تخرجه في المالية ثم عين معلماً في مدرسة خميس مشيط، وصحب الأستاذ محمد أنور فيها واستفاد منه، ثم عاد إلى مالية أبها عام (١٣٦٤هـ) متدرجاً في وظائفها، وكانت له مشاركات اجتماعية ومشهود له بالفضل، ومات بأبها[٢]. قال الشيخ أنور عنه: «رجل ممتاز في إدارته وأخلاقه ونزاهته وله ذكر حسن وأفعال جميلة هكذا يتحدث الناس عنه»[٣].

٤٣- عبدالله بن علي بن عبدالله بن حميّد (١٣٢٦ـــ ١٣٩٩هـ)[٤].

الشاعر الأديب من رواد الثقافة في المملكة العربية السعودية، ولد بقرية من قرى بني مالك عسير، تلقى مبادئ العلم فيها، وطلب العلم على من كان في أبها من قضاة، ثم أتم حفظ القرآن الكريم وتخرج على يدي علماء الرياض، وشغل عدداً من المناصب في إمارة بيشة، فمالية القنفذة ونجران، فرئيساً لديوان إمارة عسير، فرئيساً لبلدية أبها، وكرم في مؤتمر الأدباء الأول عام (١٣٩٣هـ) وهو أول رئيس لنادي أبها الأدبي. ذكره الشيخ محمد أنور فقال: « فيمن كان في أبها من المثقفين، وكان له قدم صدق في الذكاء والذهانة، وعمل بديوان إمارة عسير حقبة طويلة من أيام حكم الأمير تركي بن أحمد السديري، وتزامل مع الشيخ أحمد بن محمد أبو هليل ـ وكان هو وأخوه صالح أبو هليل وابنه سيف بن أحمد ممن يعدون في طليعة المثقفين وزميلهم عبدالله بن زياد، ويحيى الحفظي كذلك ـــ وكانت للأستاذ عبدالله بن حميّد كتابات صحفية وردود مقنعة ثم ذهب إلى رحمة الله ، وحمل العبء عنه ابنه الأستاذ محمد بن عبدالله الحميّد، وكان خير خلف لخير سلف»[٥]. وقال في صورة رسالة خطية بعثها لحفيده الدكتور عبدالله بن محمد الحميّد: « فالبلاغة والوفاء من شمائلكم ومن أخلاق الأسرة الكريمة آل حميّد، وكذلك النور والمعرفة والحكمة كانت نادرة في أعوام سلفت في أوساطنا إلا في بيوت نادرة

---

(١) القول المكتوب في تاريخ الجنوب ١/ ١٨٠ .

(٢) تاريخ التعليم في منطقة عسير /٢٤٦.

(٣) القول المكتوب في تاريخ الجنوب ١/ ٩٤ .

(٤) راحلون مروا على جسر الذاكرة/١٤٥ ،وللدكتور صالح الغامدي والدكتور عبدالله بن حميّد كتاب: « علم من عسير» في سيرته وآثاره .

(٥) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ١/ ٩٠ .

وقليلة يتصدرها بيت جدكم عبدالله بن علي بن حميّد ـ رحمه الله ـ وليس ما أقوله جزافاً!! لا: تلك حقيقة أرويها، لأنني عاصرته وبيني وبينه في السن قرابة عشر سنين ـ يكبرني بها ـ لقد كان جميل الخط، قويم الإملاء، ذكي إلى حد بعيد، فيلسوف لا يرتاح للعامة لأنه انتحى ناحية الفكر والعلم والأدب، وطلب المعرفة بأي وسيلة، في أعوام كانت المعرفة قليلة بل شحيحة لعدم وجود أهلها، فكانت كالمنارة في رأسها نور، لقد كان طلبة العلم من القضاة يتعرضون للنقد ونقض أحكامهم إذا خالفت نصوص الكتاب والسنة كان ذلك معروفاً عنه بديوان إمارة أبها حين ترد عليهم المعاملات، فالمهمات لا تُسند إلا إليه، ولقد كنت أرى فيه الرجل المثالي في الحزم والعلم والحكمة، وكلٍ منٍ حواليه يعترف له بذلك إلا من يغار منه ويخشى على مكانته منه فلم يكن ليؤذي أحداً أبداً ولكنها معالي الأمور (كانت لا تصلح إلا له وهو لا يصلح إلا لها)[1]. وذكره أيضاً فيمن تميزوا بجمال الخطوط»[2].

٤٤- عبدالله بن علي بن مسفر (١٣٢٠ـ ١٤٠٥هـ):

مؤرخ عسير، من أسرة علمية ومن خريجي المدرسة الرشدية العثمانية، التحق بوظائف الدولة العثمانية، ثم الدولة السعودية كاتباً بإمارة عسير، وله مشاركات في الحملات التي جرت جنوب المملكة العربية السعودية، وعضواً في عدد من وفود التفاوض مع اليمنين، أسس أول مكتب للخطوط السعودية بأبها، له كتاب: السراج المنير في أمراء عسير[3]. قال عنه أستاذنا الشيخ أنور أثناء ذكر موظفي مالية عسير» وقت التأسيس من أعيان عسير مثقف ومتعلم في مدارس تركيا التي كانت بأبها، ومن أصحاب الرأي والمشورة، أديب ومؤلف كتاب: (المصباح المنير في تاريخ عسير)وخطه جميل وإملاؤه كذلك»[4]. وذكره فيمن تميز من مطالعي المنطقة بجودة الخط[5].

٤٥- عبدالله بن محمد بن حمد القرعاوي (١٣١٥ـ ١٣٨٩هـ):

الواعظ المعلم المحتسب، ولد بعنيزة، اشتغل بالتجارة أول أمره، وطلب العلم في سنوات متأخرة من عمره ببلده والأحساء وقطر والرياض والهند، ثم وجهه الملك عبدالعزيز

---

(١) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ١/ ٥٥٠. (حميّد). غفر الله لك يا أستاذنا الشيخ محمد بن أحمد أنور، فلم نعرف ونقرأ لك إلا حسن القول، والإخلاص في العمل. بل كنت حيادياً وصادقاً ومنصفاً عندما تُدون سير الرجال. وما نجده في هذا المبحث ليس إلا أنموذجاً من كرمك وفضائلك على أهلنا من سكان السروات وبخاصة أهالي منطقة عسير. (ابن جريس).

(٢) من رواد التربية والتعليم /٤١٨.

(٣) راحلون مروا على جسر الذاكرة/١٥٥، وانظر كلامي حول الكتاب فيه، وفي طليعة قراءاتي لكتاب الدر الثمين/١٠١.

(٤) القول المكتوب في تاريخ الجنوب. ١/ ٢٢١.

(٥) من رواد التربية والتعليم/٤١٨.

آل سعود إلى جازان واعظ ومرشداً، وبدأ في التعليم ونفع الله به، ففتح كثيراً من المدارس نسبت إليه، تخرج فيها الكثير من الطلاب طيلة واحد وثلاثين عاماً، وتوفي في الرياض[١]. قال عنه المربي الأستاذ أنور في حديثه عن المدارس القرعاوية ونشاط الشيخ في خميس مشيط: « والشيخ عبدالله القرعاوي مثلما هو معروف سلفي العقيدة والسيرة، بسيط المظهر في الستين من عمره تقريباً، كريم النفس، سخي بما يجد، يعمل لوجه الله لا للدنيا، معروف ذلك عنه. وكان رحمه الله مثالاً عالياً في التقوى والتدين ونبذ زخارف الدنيا، ومع ذلك فهو من طلبة العلم الجيدين»[٢]. وقال أيضاً في ترجمة الشيخ «ومن حق الشيخ عبدالله القرعاوي أن يصنف من العلماء والدعاة إلى الله لما كان يتمتع به من سمات أولئك ... وأجد فيه رجل الانتماء الصادق إلى الله تعالى والكتاب والسنة، وسمته سمت مؤمن بحت، متواضع كريم، لا يضن على أي شخص بما يستطيع، وحينما يتحدث يقول من غير تكلف، مؤمن قليل المؤونة يطوي بشته فوق رأسه ويمشي من قرية لأخرى في سبيل الدعوة إلى الله وتعليم الناس كتاب الله»[٣].

٤٦ـ عبدالله بن محمد بن زياد (؟ ـ ١٤١٣هـ):

الوجيه الإداري، ولد بمدينة أبها وتعلم بها، والتحق بإمارة عسير في مناصب عدة حتى أضحى رئيس ديوانها، وعمل أميراً لظهران الجنوب، ورجال ألمع ثم عاد إلى الإمارة. ذكره في طليعة مثقفي أبها كما في ترجمة عبدالله بن علي بن حميّد، كما ذكره فيمن تميزوا بجودة الخط»[٤].

٤٧- عبدالله بن يوسف بن عبدالله الوابل (١٣٢٨ـ ١٤٢٢هـ):

القاضي، الفقيه، المعمر، القدوة، ولد بإحدى قرى البكيرية فحفظ القرآن وتلقى العلم عن علماء بلده، ثم ارتحل إلى الرياض ملازماً للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، فكان من أبرز تلامذته، ثم وجه لقضاء الحلوة بحوطة بني تميم (١٣٥٣ـ ١٣٦٠هـ)، ثم قاضياً لمدينة أبها (١٣٦٠ـ ١٣٧١هـ) حيث استعفى عن القضاء، وأسس مدرسة انتفع بها جموع صاروا من العلماء والأدباء، توفي بمدينة الرياض إثر مرض طال به[٥]. وفي حديث الأستاذ محمد أنور عن أوائل القضاة في أبها، قال عن الشيخ الوابل: « العالم

(١) السهلي: موسى بن حاسر، كتاب النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة، الشيخ عبدالله القرعاوي . دون بيانات أخرى .

(٢) القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ١/ ٨٤ .

(٣) تاريخ التعليم في منطقة عسير/ ٢٦٠.

(٤) من رواد التربية والتعليم/٤١٨ .

(٥) راحلون مروا على جسر الذاكرة/١٦٧، وللدكتور عبدالله بن محمد بن حميّد كتاب: في سيرته وآثاره.

العامــل ... والرجل قليل من مثله ﰲ علمــه وزهده وورعه وعفته وقناعته»[١]. وقال عنه « شيخ المشايخ بحق واستحقاقٍ قولاً وعملاً الشيخ عبدالله بن يوسف الوابل، يطفح لسانه علــى الدوام بذكر الله دائماً، وأكثر كلامه ذكر ولا أعلم أنه وصــل إلى بلاد عســير من يماثله ﰲ علمه وتقاه ومكانته لدى الناس، وهمه الأول والأخير رضى الله ، مهاب المجلس لا يذكر فيه إلا ذكر الله وما يتصــل بقول الله وقول رســوله عليه الصــلاة والسلام، ولا يفكر ﰲ أمر دنيوي يجلب له مصلحة دنيوية»[٢].

٤٨- عبد المالك بن عبدالقادر بن علي الطرابلسي (١٣١٨ـــ ١٤١٧هـ):

من رجالات التعليم الأولين، ولد بنواحي برقة ﰲ ليبيا، وتلقى تعليمه الأولي، وحفظ القــرآن ثم أكمل تعليمه إلى الثانوية باســتانبول ، وبانهيار الدولــة العثمانية، انتقل إلى الشــام فالحجاز وتلقى العلم فيهما من كبار العلماء ، بدأ معلماً ﰲ المدرســة الســعودية بأبها، حين تأسيسها ثم مديراً لها، وساهم ﰲ فتح مدارسٍ ﰲ المنطقة، ثم واصل مهمته ﰲ الرياضــ بإدخال التعليم الحديث حتــى انتهى معتمداً للمعارف ﰲ الرياض ثم انتقل إلى مكة مواصلاً مهمته وتوﰲ بها»[٣]. قال عنه الأستاذ محمد أنور: «رجل فاضل وصالح ومتدين، ويؤثر الخير فيمن حواليه. والقدوة المثلى والســيرة الحسنة، ويحب نفع الناس وخدمــة الآخرين وتخفيف همومهم وخير الناس أنفعهم للناس»[٤]. وقال عنه أيضــاً ﰲ كلامه عن بداية التعليم الحديث ﰲ الرياض: «ســني العقيدة وعلى خط قويم وهو خير مثال للاستقامة والصلاح»[٥].

٤٩- عبدالوهاب بن محمد بن علي بن سلطان أبو ملحة (١٣٠٣ـــ١٣٧٤هـ):

من رجالات الدولة السعودية بمنطقة عسير ومن كبار وجهاء المنطقة، ولد بخميس مشيط، تولى إدارة المالية ﰲ المنطقة، ويرتبط تاريخه بتاريخ الدولة السعودية ﰲ جنوب المملكــة العربية الســعودية ، توﰲ بمدينة أبها»[٦]. ذكره الأســتاذ أنــور أثناء حديثه عن

---

(١) القول المكتوب ﰲ تاريخ الجنوب ١/ ١٨٣ .

(٢) القول المكتوب ﰲ تاريخ الجنوب ١/ ٢١٤.

(٣) تاريخ التعليم ﰲ منطقة عســير/ ٢٢٧. موسوعة تاريخ التعليم ٥/ ٢٩٦، وانظر طريقته ﰲ تعليم تلاميذه ﰲ مدرسة أبها ﰲ، القول المكتوب ﰲ تاريخ الجنوب ٢٤/ ٢٨٠ .

(٤) القول المكتوب ﰲ تاريخ الجنوب ١/ ٣١ .

(٥) القول المكتوب ﰲ تاريخ التعليم ١/ ٤٨ .

(٦) انظــر كتاب: عبدالوهاب أبو ملحة ﰲ جنوبي المملكة العربية الســعودية، وانظر ما كتبه عنه عبدالله فيلبي ﰲ كتابه: مرتفعات الجزيرة العربية ١/ ٢٥٠.

ماليــة أبها، فقال: «يتمتع الرجل بصـيت كبير لنزاهته ومحافظته على شـرفه وتقديره للثقــة التي أولاه إياها الملك عبدالعزيز، وقال ـ أي الملك ــ : «وظف من يلزم من الكتاب الموجودين لديكم بأبها، ويكفينا أمانتك وصـدقك وإشـرافك على أعمال المالية بهذين الشـرطين». وقـد وفق الملـك عبدالعزيـز فأعطى القوس باريها، وتحمـل عبدالوهاب المسؤولية بكل إخلاص وحسن نية»[١]. وقال الشيخ أيضاً في ذكرياته عن خميس مشيط» الأمير سعيد بن عبدالعزيز ابن مشيط أمير شهران، والشيخ عبدالوهاب بن محمد أبو ملحــة رئيس مالية أبها وملحقاتهــا، وذو المكانة الرفيعة لدى جلالــة الملك عبدالعزيز، ويعتبر من الرجال الأوائل المؤسسين مع جلالته وبخاصة في مقاطعة عسير لهذا الحكم السعيد الزاهر»[٢]. وقال أيضاً في التعريف برجال الملك عبدالعزيز في المنطقة « ووضع في مسـؤوليات المالية الشـيخ عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة لثقة الملك عبدالعزيز، ولا يقتصـر عملـه على المالية، بل وعلى أمور أخـرى تهم القبائل، وحل كثير من القضــايا الحدودية، كان ذكيا، وشـجاعا، وكريما، وندبا في الأمور ـ رحمه الله ـ عرفته وجاورته في آخر حياته قرابة اثنا عشر عاماً، وكان للملك عبدالعزيز فيه ثقة عظيمة تعرف ذلك من مكاتبات قديمة بينهما» وقال عنه أيضــا: «وكان له رجال مخلصــين، يوالون الكتابة إليـه بما يسـتجد مـن الأمور، ومن حـوادث البلاد، وما يجـري فيها، ومـن أهم أولئك وأخلصـهم الشـيخ عبدالوهاب أبوملحة فهو عين الملك الثاقبة، وبصـيرته النافذة»[٣]. ورصـد الأسـتاذ محمد أنور في ختام كلامه عن مالية أبها: «وعلى الرغم من طول المدة التي عاشـها الشـيخ عبدالوهاب أبوملحة وكيلا ورئيسـا للمالية ــ ومع كثرة الحاسدين لــه والمعادين وكل ذي نعمة محسـود ــ لم يجد أعداؤه وحاسـدوه مايصـمون به نزاهته وإخلاصه، على كرم فيه، وشرف نفس وترفع عما يشوه السمعة أو يلوث الشرف»[٤].

٥٠- عثمان بن ركبان: عثمان بن عبدالعزيز بن عثمان الركبان (١٢٩٧ ــ ١٣٧٥هـ):

القاضــي، الواعظ، ولد في المجمعة ــ عاصمة سدير ــ وطلب العلم فيها وفي شقراء بعـد حفظه للقرآن، وتـولى إمامة جامع تمير، ثم عين قاضـيا للنماص عام (١٣٥٦هـ) وظل بها إلى أن توفي»[٥]. وقال الشـيخ أنور عنه في قضاة النماص: «وهو من علماء نجد

(١) القول المكتوب في تاريخ الجنوب ٢٢٣/١ .

(٢) القول المكتوب في تاريخ الجنوب ٣٧/١ .

(٣) القول المكتوب في تاريخ الجنوب ٢٢٢/١ .

(٤) القول المكتوب في تاريخ الجنوب ٢٢٤/١ .

(٥) علماء نجد في ثمانية قرون ٧٢/٥ ، صـحيفة الجزيرة عدد الإثنين (٢٠١٨/١٠/٢٩م)، الأئمة الذين تولوا مسجد تمير (١٢٣٠ـــ١٤٣٠هـ) كتبه خالد البرغش .

من أهل المجمعة، عالم جليل وصـدوق لا يعرف الكذب فيصـدق من يقول حتى ولو كان القائل كاذباً »[١].

٥١- علي بن إبراهيم بن محمد التركي (١٣٥٤ــ ١٤٢٠هـ):

الأديب الشاعر الظريف، من مواليد أبها وتخرج في مدارسها، وعمل بمالية الطائف، ثم عاد إلى معتمدية تعليم أبها محاسباً، ثم عاد إلى إدارة تعليم الطائف، توفي إثر حادث أليـم بأبها»[٢]. قال عنه الشـيخ أنور في ترجمة له مسـتقلة: «عاقـل، وذكي، ولا يتعرض للعاصفة يحني لها رأسه حتى تمر... أديب وشاعر وصاحب نكتة، وإذا جالسته استفدت منه ولا تمل مجالسـته، وإحساسـه كامل تجاه واجبـه ومسـؤولياته وأقربائه ومواطنيه، خليق ولطيف المعشر...حفظه الله أبا رشدي، وأمتعنا بمجالسه وبمجالسته اللطيفة»[٣].

٥٢- علي المقوشي: علي بن سليمان بن علي المقوشي(١٣٤٠ــ ١٤٢٨هـ):

من رجال التعليم، ولد ببريدة، وتخرج في المعهد العلمي في الرياض، وتدرج في سلك التعليم معلماً وإدارياً في النماص، وبيشة، والبكيرية، وبشقراء ، ثم مديراً لتعليم الباحة، ثم كبيراً للمفتشـين بوزارة المعارف، له كتاب عن البكيرية في سلسلة (هذه بلادنا) [٤]. وفي حديث للأسـتاذ أنور عن أوائل المدرسـين بمدرسـة النماص قال عنه» وكان له خط جميل وإملاء، وكان له أخلاق سمحة» [٥].

٥٣- علي بن عبدالرحمن بن محمد بن زاهر العسبلي (١٣٣٣ــ١٤٢٤هـ): [٦].

الوجيه المعمر، وشيخ الكلاثمة من بني شهر، وأحد رجالات المنطقة ومن المعروفين بالجود والكرم، وهو من أسـرة عريقة توارثت النبل، كان يخاطب من الملك عبدالعزيز

(١) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ٣٣/١ .
(٢) راحلون مروا على جسر الذاكرة /١٩٣ .
(٣) القول المكتوب في تاريخ الجنوب. ١٢٩/١ .
(٤) موسوعة تاريخ التعليم ٣٥٤/٥، صحيفة الرياض ع (١٤٤٣٣) ٢١/١٢/١٤٢٨هـ.
(٥) القول المكتوب في تاريخ الجنوب ٣٤/١ .
(٦) القـول المكتوب في تاريـخ الجنوب ٣١١/٢٨، وكنت أتمنى من أخينا صـاحب (موسـوعة القول المكتوب في تاريـخ الجنوب) لو قدم المدونات بسـيرة مختصـرة تجمع ما ورد من مهمات في تلك المصـادر. (حميّد). أشـكرك يا كتور أحمد على كل الذي رصـدته في هذه الدراسة، وأصدقك القول، لقد تفاجأت بهذا التوثيق المتنوع، (وبإذن الله تعالى) نرى في المستقبل من يجري دراسات على هذا الكتاب الكبير فتصحح الأخطاء التي وردت فيه، وتستكمل الجوانب الغامضة أو الناقصة. (ابن جريس).

بأمير بني شهر، توفي بالرياض. قال عنه في ذكرياته عن النماص» الصديق الغالي وهو وقتها بيضة البلد»(١).

٥٤- عيسى فهيم: عيسى بن علي بكر فهيم الفولاني(١٣٢٣ــ ١٣٩١هـ):

من رجالات التعليم الأولين، شاعر أديب، ولد في مكة المكرمة وتخرج في مدارسها، مستفيداً من حلقات العلم بالحرم المكي، وعمل معلماً وإدارياً في رجال ألمع، وبيشة، وأبها، ومكة ، وعمل معتمداً للمعارف في المنطقة (١٣٧٢ــ١٣٧٥هـ)، وله ديوان شعر جمعه الأستاذ عبدالله الزيد(٢). وقال الأستاذ محمد أنور عنه:» كان كريم المعشر، أديباً وشاعراً ولغوياً، وصاحب نكتة، واسع الصدر»(٣).

٥٥- فائز بن محمد بن سعيد البكري الشهري(١٣٤٥ــ ١٤٠٨هـ):

المعلم الواعظ، عمل بالتعليم مدرساً ومراقباً في مدرسة النماص الابتدائية، ثم قائماً بأعمال مدير معهد المعلمين بالنماص (١٣٧١ــ ١٣٨٤هـ) ثم توجه إلى الوعظ والإرشاد. وقال في ترجمة له: « كان من خيرة الطلبة أيام دراسته ومن أصلحهم وأذكاهم عليه ملامح التقوى ومخايل الخير من بزوغ حياته وكان قريباً جداً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في غاية الصلاح» (٤).

٥٦- فيصل بن عبدالعزيز بن فيصل آل مبارك (١٣١٣ــ ١٣٧٣هـ) :

القاضي الفقيه، المصنف، من فضلاء العلماء، ولد في حريملاء، طلب العلم في بلدته، وفي الرياض، والأحساء، وقطر، ولي قضاء تثليث، فأبها (١٣٤٠ــ١٣٤١هـ)، فبيشة، فالخرمة، فالجوف وبقي بها حتى وفاته، وتخرج عليه أعلام، له أكثر من عشرين كتاباً(٥). أشار إليه الأستاذ محمد أنور في ذكره لقضاة أبها «التقي النقي العالم

---

(١) القول المكتوب في تاريخ الجنوب. ٣٢/١. (حميّد). نعم لقد كان الشيخ علي بن عبدالرحمن من أعلام المملكة العربية السعودية لما اتصف به من خصال حميدة وجميلة، ونشرتها في (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، (الجزء الثامن والعشرون) (ط٢)، ص ٣١١ــ ٣٥٥.

(٢) الزيد: عبدالله بن محمد: المعلم الشاعر (ديوان عيسى فهيم)، بلدة رجال الأثرية برجال ألمع ٢٠٨/٣، موسوعة تاريخ التعليم ٤١٧/٥.

(٣) القول المكتوب في تاريخ الجنوب ٩٥/١ .

(٤) تاريخ التعليم في منطقة عسير. /٢٧٨ .

(٥) علماء نجد خلال ثمانية قرون ٣٩٢/٥، كتاب الشيخ فيصل المبارك لعارف المسعر ، وقد سبق ذكر الشيخ ــ رحمه الله ــ فقد جعل تاريخ توليته القضاء عام (١٣٥٢هـ). وليس بصحيح فإن الشيخ المبارك كان قاضياً قبل ذلك بعشر سنين ــ زمن الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم ــ وقد تتلمذ عليه إذ ذاك جدي ــ رحمه الله ــ

الجليل»[١]. وقال عنه أيضاً. « يعرف بالتقوى، والعفة، والعلم، والكرم، وحب الخير للناس وتوجيههم إلى الخـير... ترى قدره لا تنزل عنها النار قدام بابه ـ وخصوصاً في يومي الثلاثاء والجمعة - أيام وفادة الناس إلى مدينة أبها للمحتاجين والعافين من الناس، ومن هم بحاجة إلى القوت - لاسيما أنها كانت أياماً شديدة لتوالي القحط وقلة نزول المطر في منطقة عسير وغيرها من بلدان المملكة ـ وهو مهاب ومحبوب، وقالوا عنه: " إنه صالح للأمرين القضاء والإمارة لعدله وكرمه(رحمة الله عليه ما أعطر ذكره) "[٢].

٥٧- محمد الهلالي بن إبراهيم زين العابدين الحفظي (١٣٤١ــ١٣٨٩هـ):

التربوي الأديب ولد بقرية رجال، وطلب العلم بطريقة الأولين على أبيه وعلماء أسرته، ورشح للقضاء، ولكنه آثر التعليم فتدرج في وظائفه معلماً وإدارياً في محايل ورجال وأبها والطائف ومات بالأخيرة، له كتاب: (نفحات من عسير) [٣]. قال الأستاذ أنور عنه: « لقد زاملته بمنطقة أبها والطائف، فوجدته قليل النظراء في الأخلاق العالية، والنية الطيبة، والنفس السمحة، ذكي جداً، وحساس جداً، وأينما اتجهت من أخلاقه وعاداته وقعت على الطيب النفيس، ومن كرمه فقد توفي وهو لا يملك المال الذي يملكه زملائه، لا يبقي ولا يذر إذا تعرض لضيوف أو لفعل خيري، ثم هو يرجع إلى أسرة الحفظي المعروفة بحلمها وعلمها ومكانتها الرفيعة»[٤].

٥٨- محمد بارزيق: محمد بن إبراهيم بارزيق بن محمد بن أحمد الألمعي(١٣٤٧ــ١٣٨٣هـ):

من رواد التعليم في منطقة رجال ألمع، أديب مشارك، تلقى تعليمه ببلدة رجال، والتحق بالتعليم مراسلا في مدرسة بلدته، ثم معلماً في مدارس مندر العوص، ثم في مدرسة البتيلة، وله مشاركات في الصحف[٥]. وصفه الأستاذ محمد أنور في تقريره عن مدرسة مندر العوص فقال:» كفء ومخلص «[٦].

وبتوصية من الشيخ المبارك والأمير ابن إبراهيم ارتحل الجد لطلب العلم بمدينة الرياض ، ينظر: راحلون مروا على جسر الذاكرة/١٤٧.

(١) القول المكتوب في تاريخ الجنوب ١/١٨٢ .

(٢) القول المكتوب في تاريخ الجنوب ١/٢١٣ .

(٣) الحفظي: أحمد بن محمد بن علي، رحيق الأقلام في كتابة سير الأعلام، مطابع الحميضي بالرياض، ط(١) ١٤٣٣هـ/٧٠ .

(٤) القول المكتوب في تاريخ الجنوب. ١/٢١٣ .

(٥) الراقدي: محمد بن عيسى، الأستاذ : محمد بن إبراهيم بارزيق.. حياته من ثائقه، ط (١) ١٤٤٣هـ.

(٦) من رواد التربية والتعليم /٣٣ .

٥٩- محمد بن إسماعيل الإبي (؟ ـ ؟)من أوائل المدرسين في أبها :

ولد ونشأ في قضاء إب في اليمن، وهاجر مع أخته صغيراً إلى مكة، وكفله الشيخ عبد المهيمن بن أبي السمح، وعليه تخرج ثم قدم أبها مدرساً عام تأسيس المدرسة السعودية عام (١٣٥٥هـ)، وتزوج بها، ثم قال في تعريفه بأساتذة المدرسة السعودية.» وكان جيداً في علوم العقيدة والحديث، وكان شاعراً جيداً أيضاً»[١].

٦٠- محمد أمين بن حسين بن محمد القدسي (قبل ١٣٠٩-١٣٧٢هـ):

من وجهاء أبها، ومن أوائل كتاب العدل فيها في العهد العثماني والعهد السعودي[٢]. وصفه الشيخ أنور في تعداد من عرف بجودة الخط، فقال:» من ذوي الخطوط الجميلة والفهم السليم «[٣].

٦١ـ محمد بهجت: محمد بهجت بن محمد البيطار(١٣١١ـ ١٣٩٦هـ) :

العلامة الشاعر، جزائري الأصل، تلقى العلم من علماء دمشق، وأدار المعهد العلمي بالرياض، وأدار دار التوحيد بالطائف ثم عاد إلى دمشق حيث توفي بها، كان عضوا بالمجامع اللغوية والعلمية بدمشق وبغداد، وله تصانيف وتحقيقات[٤]. قال الأستاذ أنور عنه في الكلام عن تأسيس المدارس الحديثة بالرياض: «من علماء سوريا سني العقيدة يجمع بين السلفية وثقافة العصر».[٥]

٦٢ـ محمد بن سعد بن عبدالرحمن بن بحيبحاء (١٣٤٤ـ ١٤٤٢هـ):

الوجيه، التربوي، الإداري، تخرج في مدرسة الخميس الابتدائية، وتعين فيها معلماً فمديراً، ثم انتقل إلى وزارة الدفاع، تخللها عمله رئيساً لبلدية الخميس (١٣٨٨ـ ١٣٩٠هـ)[٦]. قال المربي محمد أنور في معرض ترجمة له» وله قدرة جيدة على الإقناع». وقال عنه أيضاً « قام فترة من الزمن برئاسة بلدية الخميس، وكان له بها صيت حسن، ومنزلة طيبة لعلو همته في السير بأعمال البلدية قدما، وهو من رجال الخميس المعدودين للمهام،

(١) القول المكتوب في تاريخ الجنوب.١/٩١، وانظر، ما كتبه عنه الأستاذ يحيى بن حسن بن مستور في (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، ٢٤/٢٨١.

(٢) إفادة من الأستاذ بندر بن عبدالله آل مفرح .

(٣) من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية. /٤١٩ .

(٤) العلاونة : أحمد بن إبراهيم، ذيل الأعلام، متوالي سنوات الطبع، دار المنارة بجدة /١٦٧.

(٥) القول المكتوب في تاريخ الجنوب. ١/٤٧ .

(٦) من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية/ ٢٥٠.

صـلب القناة في الحق إلى حد لا عودة، وليس ممن يغريه المال إذا كان في ذلك ما يمس شرفه، أو يتعارض مع مبدأ النزاهة والإخلاص، كريم وسمح، وفي ودائم النشاط»[١].

٦٣ـ محمد بن سليمان المطوع (١٣٢٦ـ ١٤٠٤هـ):

الوجيه من تجار خميس مشيط، ولد بها وعمل في التجارة، معروف بالصلاح[٢]. قال الشيخ أنور عنه في ذكر معارفه في خميس مشيط إبان عمله فيها « وكان ملتزماً غاية الالتزام بدين الله لا يفارق مسجده إلا إلى محل تجارته»[٣].

٦٤ـ محمد بن صالح بن مفرح الشهراني (١٣٣٧ـ ١٤٠٣هـ):

المعلم الواعظ، تلقى العلم بكتاب قريته، ثم عمل بالشرطة في مكة المكرمة، ودرس على يدي جماعة من علماء الحرم المكي، ثم عاد واعظاً ومعلماً في القرعاء ثم في رجال ألمع، ثم كان أول مدير لمدرسة المسقي(١٣٧٥ـ١٤٠٣هـ) وقد حمده تلامذته وعارفوه»[٤]. وقال الأستاذ محمد أنور عنه في تقرير عن مدرسته «رجل خير، ومخلص وقدير». وقال أيضاً فيمن هو قائم بمدرسة المسقي في تقريره السابق» بدون مؤهل علمي، ولكن مؤهله الخلقي والعقلي عال جداً، وخليق بمن كملت فيه الخصلتان أن يكون ناجحاً ومفيداً في عمله»[٥].

٦٥ـ محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الثميري (١٣٦٠ـ ١٤٣١هـ):

الإداري الوجيه، من مواليد قرية آل الغليظ ـ من قرى أبها ـ تخرج في كلية الشريعة، ثم من معهد الإدارة، عمل معلماً، فمديراً لثانوية أبها، فمساعداً لمدير تعليم أبها، فمديراً لفرع هيئة الرقابة والتحقيق بمنطقة عسير[٦]. وقال الشيخ أنور في الحديث عن والده:» ويثنى عليه خيراً ويشبه والده كثيراً، والولد سر أبيه»[٧].

٦٦ـ محمد بن عبدالعزيز بن محمد المانع (١٣٠٠ـ ١٣٨٥هـ):

القاضي الفقيه، المؤرخ، الأديب، ورائد من كبار رواد التعليم في المملكة وقطر، ولد في عنيزة، وطلب العلم بها وببريدة، ثم البصرة وبغداد، ثم القاهرة فدمشق، فأخذ

---

(١) تاريخ التعليم في منطقة عسير. /٢٧٩.
(٢) إفادة مرسلة من الأستاذ محمد بن أحمد مُعَبّر.
(٣) القول المكتوب في تاريخ الجنوب ٣٨/١.
(٤) محمد بن أحمد مُعَبّر، محمد بن صالح الشهراني: مدرسة المسقي في رحاب المجتمع، ط(١) ١٤٣٥هـ.
(٥) من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية/٣٦، ٥١.
(٦) موسوعة تاريخ التعليم ١٨٦/٥، صحيفة الجزيرة ع/١٣٦٨٠ السبت/١٤٣١/٣/٢٧هـ.
(٧) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ٢١٤/١.

من كبار علمائها، ثم ذهب إلى البحرين فرأس نادياً تولى الرد فيه على المنصرين، ثم توجه لقطر مؤسساً للتعليم الحديث فيها، ثم تولى القضاء، ثم طلبه الملك عبدالعزيز آل سعود رئيساً لعدد من الهيئات الشرعية، ثم صدر الأمر بتكليفه معتمداً عاماً للمعارف، فأنشئت في عهده عدة مدارس في نجد مدخلاً التعليم الحديث فيها، وأسندت إليه رئاسة دار التوحيد، ثم عاد إلى قطر مستشاراً لأمرائها ومشرفاً على التعليم، حتى توفاه الله»[1]. قال عنه الأستاذ أنور في كلامه عن تأسيس التعليم الحديث في الرياض ونجد» العالم الجليل، من كبار علماء المملكة»[2].

٦٧ـ محمد بن عبدالقادر بن محمد الحفظي (١٣٤٨ـ ١٤١٦هـ):

التربوي، المطالع، ولد بأبها وتخرج في مدرستها ثم من معهد المعلمين، طالباً العلم أثناءها من قضاة مدينة أبها، وعمل في كتابة عدل ظهران الجنوب، ثم عاد إلى التعليم معلماً في مدرسة أبها السعودية ثم مديراً لها، ثم انتقل مفتشاً إدارياً في الطائف، وتوفي بها[3]. قال عنه الأستاذ محمد أنور:» يتمتع بذكاء والمعية عجيبتين مردهما إلى عنصره الذكي الألمعي الضارب في أصوله الكريمة من بيت آل الحفظي ذوي المكانة العلمية الرفيعة في جنوب المملكة العربية السعودية، إذا تحدث شد أذنك إلى حديثه، ومهما أطال الحديث فلن تمل، وهو يأتي في أحاديثه الجزل الممتع، وبالسار المفرح، وبالقصة اللذيذة، والنكتة المثيرة، دؤوب في عمله ومخلص، وله من الدراية والحزم في مزاولة أعماله ...حازم ذكي وزكي، ولا يؤخذ على غرة، وعهدي به إذا خطب في محفل أو حاضر أتى بالمعجز ـ ولا غرو ـ فالشيء من معدنه لا يستغرب»[4].

٦٨- محمد بن إسماعيل : محمد بن عبدالله بن إسماعيل بن علي بن غانم (؟ - ١٣٤٥هـ):[5].

القاضي الواعظ، من مواليد أعمال حوطة سدير، تلقى العلم عن أهلها، وانتدبه

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون٦/ ٨٥ .

(٢) القول المكتوب في تاريخ الجنوب. ١/ ٤٧ .

(٣) رحيق الأقلام/٩٢.

(٤) تاريخ التعليم في منطقة عسير / ٢٨٠.

(٥) الماضي: تركي بن محمد ، من مذكرات الماضي، طبع على نفقة الأمير (الملك) سلمان بن عبدالعزيز ، دار الشبل بالرياض، ط (١) ١٤١٧هـ ص/١٥، الأمير عبدالله العسكر سيرته وأخباره/١١٩، وجزم مؤلفه أنه ثاني قاض لأبها في العهد السعودي وليس بصحيح فقد سبقه الشيخ فيصل المبارك كما تقدم، ومن قبله الشيخ ناصر بن عبدالعزيز آل حسن ، انظر: راحلون مروا على جسر الذاكرة /١٤٧، ووقع أيضاً في الجزم بتولي الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ قضاء أبها وليس بصحيح أيضاً، لأن الملك عبدالعزيز آل سعود أرسله إلى أبها للوعظ والإرشاد كما في كتاب: علماء نجد خلال ثمانية قرون٦/ ١١١ .

الملك عبدالعزيز قاضياً لأبها رفقة الأمير عبدالله العسكر، ومات بها. ذكره الشيخ أنور في قضـاة أبها فقال:» وأول من سـمعت باسمه محمد بن إسماعيل وكان يثنى على علمه وحلمه وورعه»[١].وقال أيضاً: « يثنى عليه جداً في مجالس المجتمعات العسيرية لتواضعه وبشـره ورفقه بالناس، لأن الأمر في أوله يتسـم بشيء من الشدة والحزم...وفي سماعي من الناس كله عطف وشفقة وتوجيه للناس إلى الخير بالحكمة وبالتي هي أحسن، وكثير ما أسمع ثناء الناس عليه»[٢].

٦٩ـ محمد بن عبدالله بن علي بن حميّد (١٣٥٤ــ ١٤٣٩هـ):

مـن رمـوز الأدب والثقافة في المملكـة العربية السـعودية، ولد ببني مالك عسـير، وتخـرج في مدارسـ أبها، وعمل في إمارة عسـير، ثـم في التعليم معلمـاً وإدارياً، ثم في الشـؤون الصحية، ثم عين عضواً في مجلس الشـورى في دورته الأولى، ورأس نادي أبها الأدبـي بعد أبيه، وشـارك وأدار العمل الأدبي والثقافي في المنطقـة طيلة حياته للنادي، وتوفي بأبها، وله مجموعة قصصية، وكتاب الرد على افتراءات الصليبي وغيرها[٣].

قال الأسـتاذ أنـور عنه في معرض التعريف به « وكان له قصـب السـبق في الحياة الأدبيـة والفكريـة، وكان طليعـة شـباب المنطقة كتابـة وخطابة ومحاضـرة، يكتب في الجرائـد المحلية، ويرد على بعض الكتاب إزاءهم بالرأي الصـحيح والقول الراجح، في حسن تواضع، وجميل معاشرة مع كل الناس، ومع إجماع الناس على أنه أهل لما أسند له، وفي مستوى المسؤولية لما أنيط به من عمل»[٤]. وذكره كذلك بمن عرف بجودة الخط»[٥].

٧٠ـ محمد بن عبدالله التنبكتي: محمد بن عبدالله بن المحمود التنبكتي السوفي (١٣١٣ــ ١٤١٧هـ):

العالم، الفقيه، المحتسب، ولد في مالي ومات بها، وقدم مع أبيه إلى المدينة صغيراً، وطلب العلم على يد علمائها، ثم عين إماماً للمسـجد النبوي ، ثم خرج إلى الهند وطلب

---

(١) القول المكتوب في تاريخ الجنوب. ١/١٨٢ .

(٢) القول المكتوب في تاريخ الجنوب. ١/٢١٥ .

(٣) راحلون مروا على جسـر الذاكرة/٢٤١. (حميّد). لقد عاصرت هذا الرمز، وتعاملت معه في قضايا علمية وثقافية كثيرة ، وبيني وبينه مراسـلات عديدة ، وأيضاً سـافرت معه بضع مرات، واستمعت إلى توجيهاته ونصـائحه، فكان نعـم الوالد، والأسـتاذ، والمربي، والموجه الخلـوق. وأقول: غفر الله له، وأسـكنه الجنة، وبارك في أولاده وأهل بيته. (ابن جريس) .

(٤) تاريخ التعليم في منطقة عسـير /٢٧٩. (حميّد). وأيم الله لقد صـدق أستاذنا وشيخنا الأستاذ محمد أنور فيما ذكر عن الأستاذ محمد بن حميّد ، غفر الله لهم جميعاً. (ابن جريس) .

(٥) من رواد التربية والتعليم /٤١٨ .

العلم هناك عام (١٣٥٣هـ) وفي آخرها قدم أبها، ودرس بها، وتزوج بها، وبقي بها مدة، ثم رجع إلى بلده فنفع الله بها أهلها بجهوده العلمية[١]. وقال الأستاذ أنور عنه حول طلبه للعلم في أبها «وكان عالماً جليلاً على مذهب الإمام مالك، ولغوياً خريتاً ونحوياً صرفياً لا يماثل بين زملائه»[٢].

٧١- محمد بن عمر رفيع : محمد بن عمر بكر رفيع (١٣١٧ــ ١٣٩٨هـ) :

الأديب التربوي، ولد بمكة المكرمة وتخرج في مدارسها، وكلف بإنشاء مدرسة في قرية رجال برجال ألمع عام (١٣٥٩هـ) سجل مجرياته فيها في كتابه الماتع (في ربوع عسير) ،ثم عاد إلى تعليم مكة، ثم انتقل إلى السفارة السعودية بمصر مراقباً للبعثات[٣]. قال الأستاذ محمد أنور عنه أثناء التعريف بمن عرفهم من المدرسين بأبها «وهو خطاط جيد ومعروف برسم اللوحات الفنية الجميلة، وهو يعد في وقته من المتعلمين ومن الأذكياء والكتاب اللسنين»[٤].

٧٢- محمد بن قاسم: محمد بن عمر بن قاسم:

أمير النماص في المدة بين (١٣٥٤ــ ١٣٥٦هـ) لم أقف له على ترجمة وافية[٥]. ذكره الشيخ أنور أثناء توثيق ذكرياته عن النماص فقال: «أمير النماص، وكان معروفاً عندهم بالكرم»[٦].

---

(١) فلاته وآخرون: عمر بن حسن، وعدنان درويش، وعبدالوهاب زمان، معلمو المسجد النبوي الشريف، دار الزمان بالمدينة المنورة،ط (١) ١٤٣٧هـ ص/٦٨٤.

(٢) القول المكتوب في تاريخ الجنوب. ٩٧/١ .

(٣) الطاهر: علي بن جواد، معجم المطبوعات المملكة العربية السعودية، مطابع الفرزدق بالرياض، ط(٢) ١٢٩٢، تاريخ التعليم في منطقة عسير/ ٢٥٤، وكتاب المترجم المذكور جمع بين أدب الرحلة والتاريخ، وهو كنز مخبوء للباحثين بالدراسة وإعادة النشر، وقد ذكر الوالد ــ رحمه الله ــ أنه حاول إعادة نشره إبان رئاسته لنادي أبها الأدبي، إلا أن أبناءه ذكروا أنهم بصدد إعادة نشره، ولم ينشر حتى الآن.(حميّد). والأستاذ محمد عمر رفيع من رواد التعليم في منطقة عسير، وهو جدير أن يُكتب عنه بحث أو رسالة علمية. كما أن كتابه يستحق الدراسة والتحقيق ثم الطباعة والنشر. (ابن جريس).

(٤) القول المكتوب في تاريخ الجنوب. ٢٣/١ .

(٥) ابن جريس: غيثان بن علي، (بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ــ ١٤)، ط(٤) ١٤٤١هـ ص/٢١٢.

(٦) القول المكتوب في تاريخ الجنوب. ٢٣/١ .

٧٣-محمد الطيب : محمد الطيب بن محمد بن يوسف (١٣٣٧ـــ ١٤٢٩هـ) :

القاضي الفقيه، المحدث، ولد بالحبشة وطلب العلم بها وبزبيد، وقدم مع أبيه إلى مكة المكرمة، وتخرج على علمائها ومدارسها، ثم تخرج كذلك على علماء الرياض، ثم بعثه الملك عبدالعزيز آلِ سعود مع البعثة التي وجهها إلى أبها عام (١٣٦٣هـ) للوعظ والتعليم، فأسس عددا من المدارس في بلاد قحطان ثم تربة ثم الطائف التي تولى قضاءها وهو أول من أسس مدرسة حكومية للبنات بها، مشاركا في تأسيس وعضوية عدد من الجمعيات، وله كتب منها: تاريخ الأوقاف بالطائف، والمذهب عند علماء الشافعي وغيرها[١]. قال عنه الشيخ أنور في ذكر البعثة العلمية التي أرسلها الملك عبدالعزيز « كان هو أحدهم وأصغرهم سناً وأحذقهم علماً ولب اللباب فيهم على حداثة سنه إذ كان أصغرهم سناً، لكن أذكاهم قلباً وأوسعهم علماً»[٢].

٧٤- محمد الراعي: محمد بن ناصر بن عايض الراعي (١٣٣٨ـــ ١٤١٩هـ) :

تربوي فاضل، ولد بقرية العزيزة، وتخرج في كتابها، ثم عمل في السلك العسكري، ودرس خلالها في المدارس الليلية حتى نال المتوسطة، فترك العسكرية ثم التحق بالتعليم معلماً في محايل، ثم كان أول مدير لمدرسة تلادة عبدل، ثم انتقل إداريا في إحدى مدارس أبها، فأميناً لمكتبة أبها[٣]. أشار إليه الشيخ محمد أنور عند كتابة تقرير له عن مدرسة تلادة عبدل فقال: «وعنده تثقيف ذاتي، ولديه تكوين خاص لمعلوماته، وفوق ذلك أخلاقه عالية»[٤].

٧٥- مفرح بن محمد الخلفي البشري (؟؟ــــ ١٣٦٠هـ) :

من أوائل معلمي المدرسة الأميرية في أبها، شأنه شأن قرينه أحمد النعمي تخرج فيها ثم عين فيها، أثنى عليه تلامذته. وكتب عنه الأستاذ أنور، فقال: «كان اتجاهه وزميله النعمي موحداً، ذكاءً وزكاءً وصبراً وإخلاصاً، صبراً في التعلم، وإخلاصاً في التعليم بعد أن زاولاه كمدرسين بالمدرسة، وكان مفرح جاداً ومجداً حين كان طالباً لا يشغله عن دراسته شاغل ولا يستهويه إلا العلم وطلب المعرفة الحقة من أي مصدر يجده معلماً أو كتاباً أو رسماً... فلما التحق بالتدريس ظهرت مخايل نجابته وصادق نصحه لطلبته»[٥].

---

(١) مجلة العدل ع/١٤ سنة (١٤٢٣هـ ــ٢٠٠٢م). صحيفة الجزيرة ع/١٣٠٢٣ في٢٠/٥/١٤٢٩هـ.
(٢) القول المكتوب في تاريخ الجنوب. ٢١٥/١.
(٣) موسوعة تاريخ التعليم، ٢٦١/٦.
(٤) من رواد التربية والتعليم /٥٨.
(٥) القول المكتوب في تاريخ الجنوب ٢٨١/١.

٧٦- موسى بن ناصر بن فرج (١٣٣٨ــ ١٣٧٥هـ) :

من أوائل المعلمين ذوي الأثر في المنطقة، ولد ببلدة رجال، وتلقى العلوم الأولية بها، ثم قدم إلى أبها مستزيداً في تعليمه عمن كان بها من القضاة، وعمل معلماً في كتاب أبيه، وحين افتتاح المدرسة السعودية بأبها التحق بها معلماً، وإدارياً، وعمل أيضاً في مدارس أبها والخميس[١]. قال عنه المربي الأستاذ محمد أنور: «كان له اليد الطولى في التعليم في منطقة أبها... وكان فيه خير كثير واستقامة وبصر بالأعمال الإدارية وذوق رفيع في معاملة الناس، وسماحة بما يجد»[٢].

٧٧ـ ابن صالح العذل : ناصر بن صالح العذل[٣] :

أمير النماص في المدة بين (١٣٦٠ــ ١٣٦١هـ) [٤]. وذكره الأستاذ محمد أنور، قائلاً: «أمير النماص وكان خيراً جداً» [٥].

٧٨- يحيى المعلمي : يحيى بن عبدالله بن عبدالرحيم المعلمي (١٣٧٤-١٤٢١هـ) :

الأديب المشارك، من رواد الأدب والمعرفة في المملكة العربية السعودية والفريق الشرطي، ولد بقرية من أعمال قنا، وتلقى العلم من علماء أسرته، ودرس في المدارس النظامية بجازان ومكة المكرمة، متلقياً العلم من علماء مكة، وتخرج بمدرسة الشرطة، وتدرج في الرتب العسكرية، والمناصب الإدارية في المرور والشرطة، ومنح رتبة الفريق، مثل المملكة العربية السعودية في عدد من الوفود والمؤتمرات، واختير عضواً بمجمع اللغة بمصر، له مؤلفات منوعة رائقة»[٦]. وقال الشيخ أنور عنه أثناء كلامه عن العاملين في شرطة أبها « وأنعم به بداية ونهاية في إخلاصه ونزاهته، وقربه من طاعة الله»[٧].

---

(١) تاريخ التعليم في منطقة عسير/ ٢٤٤ .
(٢) القول المكتوب في تاريخ الجنوب ١/ ٩١، ٩٣ .
(٣) بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ــ ١٤هـ)/ ٢١٢.
(٤) بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ــ ١٤هـ)/ ٢١٢.
(٥) القول المكتوب في تاريخ الجنوب . ١/ ٢٣ .
(٦) راحلون مروا على جسر الذاكرة /٢٨٣. وانظر عن شيء من حياته في مدينة أبها وأثره في، رجال استحقوا التنويه/ ٢٤١.
(٧) القول المكتوب في تاريخ الجنوب .١/ ١٨٤.

٧٩- يحيى الحفظي: يحيى بن علي بن إبراهيم الحفظي (١٣٣٩- ١٣٩٢هـ):

الوجيــه المشــارك، ولد بقرية رجال وتلقى العلم عن علماءٍ أســرته، ثــم التحق بالعمل الحكومي في الشرطة ثم في إمارة عسير وكان آخر عمله مديراً للحقوق العامة بالإمارة [١]. وذكره الشيخ محمد أنور في طليعة مثقفي المنطقة كما في ترجمة عبدالله بن علي بن حميّد وذكره فيمن تميزوا بجمال الخط»[٢].

رابعاً: بعض النتائج والتوصيات:

بعــد هذه الجولــة الممتعة مع الأســتاذ / محمد أحمــد أنور، وآرائه في معاصــريه، وتوثيق هذه التراجم التي وضــحت مصــداقية قول الشــيخ أنور في هــؤلاء الرجال فإني أخلص إلى الآتي:

١- ظهــر للقــارئ الكريم من خلال ما عرضــته من كلام الأســتاذ المربي محمد أحمد أنور أهمية مدوناته في معاصريه، وانطلاقها من أسس كلها ما كانت عليه شخصية الأستاذ العلمية ودرايته وصدقه وشفافيته.

٢- اتضح لنا أثر الأقوال في إثراء تراجم من تكلم عنهم الأستاذ مبيناً منزلتهم ومالهم من مكانة علمية ومجتمعية.

٣- ما كان عليه الأســتاذ أنور من شخصــية متفاعلة مع المجتمع وشخصــياته، وأيضــاً منزلته عندهم وما ناله من الاحترام والتقدير عندهم[٣].

٤- شــهدت منطقة عســير قدوم عدد من العلمــاء والأدباء والمطالعــين الذين كان لهم الأثر المحمود على التعليم والحركة الثقافية والعلمية في المنطقة، هذا بالإضافة إلى أن بعض هؤلاء أضحوا من كبار العلماء والأدباء[٤].

(١) رحيق الأقلام/ ٦٦.
(٢) من رواد التربية والتعليم/٤١٨.
(٣) لله درك يا أســتاذ محمد أنور، فقد كنت فعلاً مدرســة في علمك، وأدبك، وخلقك، وفضــلك، وحديثك عن أمور كثيرة عرفتها وعاصرتها في مجتمعك السروي من أبها إلى الطائف. (ابن جريس).
(٤) من يطلع على: موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب (٣١ مجلداً) وغيرها من مؤلفات غيثان بن جريس وغــيره، فإنــه يتأكد من مئات الأعلام الذين قدموا إلى عســير وما حولها من بلدان تهامة والســراة خلال القــرن (١٤هــ/ ٢٠م) وبدايــات القرن الحالي، وكان لهــم جهود كبيرة في خدمة الأرض والناس في شــتى مناحي الحياة. (ابن جريس).

٥- أن المنطقة (تهامة وسراة) كان فيها من أبنائها ممن هم قدوات جيدة في القيادة والإدارة والعلم والأدب والمطالعة والمال، وأنهم أسهموا في رسوخ الأمن والاستقرار وتنظيم وإثراء ما برعوا فيه كل بحسبه[1].

٦- أثر المدارس النظامية التي أسسها رواد التعليم في تخريج من حملوا راية البناء والإخلاص لوطنهم.

٧- ظهر من التراجم تمييز جيل درسوا على الطريقة القديمة، وجيل التحق بركب التعليم المعاصر وأن المنطقة لم تنقطع تماماً عن العلم والنهل من معارفه.

(*) ومما ينبغي التأكيد عليه في هذا العمل المحدود ما يلي:

١- وجوب الاهتمام من قبل الباحثين بمدونات الأستاذ محمد أحمد أنور، كما أشرت إلى هذا في مقدمة الدراسة، دراسة وتحقيقاً علمياً وبيان ما لهذه المدونات من مميزات، وما وقع فيها من سبق الذهن أو الوهم غير المتعمد، خصوصاً أن الأستاذ كان يعتمد على ذاكرته في جل ما كتبه، وقد أشرت في بعض تعليقاتي إلى بعضها.

٢- حوت موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٣١ مجلداً)، على عدد من المدونات التي توازي مدونات الأستاذ المربي محمد أنور في الأهمية مثل (مدونات الشيخ عبدالله بن إلياس، والشيخ عبدالمالك الطرابلسي، والشيخ يحيى بن حسن ابن مستور، واللواء خالد بن شايع وغيرها كثير) في حاجة إلى خدمة علمية متكاملة.

٣- دعوة لصاحب الموسوعة (الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس) إلى وجوب تكشيف كتبه بكشافات وافية للأعلام والمواضع والقبائل ليسهم في إعانة الباحثين لمزيد استفادة من هذه الكتب[2].

---

(١) حبذا أن نرى باحثين ومؤرخين جادين يكتبون سير الأعلام الذين ساهموا في بناء المجتمعات السروية والتهامية خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وهذا مجال كبير يُكتب فيه عشرات الكتب والرسائل الجامعية. (ابن جريس).

(٢) شكر الله لك يا دكتور أحمد بن محمد بن حميّد على هذا الرصد العلمي، فقد شرحت لنا ونبهتنا إلى عشرات الأعلام الذين تفرقت جهودهم وآثارهم الحضارية المباركة في مجلدات موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٣١ مجلداً)، وغيرها من المؤلفات التي صدرت ونشرت خلال العقود الأربعة الماضية. وصدقني يا دكتور أحمد أن هؤلاء الأعلام الذين وثقت شيئاً من أعمالهم ونشاطاتهم، سوف يأتي اليوم الذي نجد فيه بعض بناتنا وأبنائنا من المؤرخات والمؤرخين من يتخذ بعضهم ميادين لإنجاز دراسات علمية أطول وأعمق، لأن الكثير منهم فعلاً يستحقون أن تُدرس وتوثق مبادراتهم وجهودهم التي بذلوها في خدمة دينهم وبلادهم وأنفسهم، وصل الله وسلم على رسول الهدى، محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام. (ابن جريس).

خامساً : بعض المصادر والمراجع :

(*) الكتب المطبوعة :

١- **آل إبراهيـم الفضليـون**، للظاهري: أبي عبدالرحمن بـن عقيل ، ط(١) دار ابن حزم ، الرياض (١٤١٧هـ) .

٢- **الأسـتـاذ (محمـد بن إبراهيم بارزيق... حياته مـن وثائقه)**، للراقدي: محمد بن عيسى، ط(١) (١٤٤٣هـ).

٣- **أمثـال العـرب للضبي**: المفضـل بن محمـد ت (١٨٦هـ) تحقيق: إحســان عباس، ط(٢) دار الرائد العربي، بيروت(١٩٨٣م ـ ١٤٠٣هـ).

٤- **الأمير عبدالله بن إبراهيم العسكر سيرته وأخباره** ، للعسكر: عثمان بن عبدالعزيز، ط(١) العارض للبحوث والدراسات والنشر، بيروت، (١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م).

٥- **إصدارات وقراءات للحميّد: محمد بن عبدالله (ت ١٤٣٩هـ)** جمع وتصنيف أحمد ابن محمد الحميّد، ط(١)، نادي الأحساء الأدبي (٢٠١٨م ـ ١٤٣٩هـ) .

٦- **بغية الوعاة بأخبار وسير القضاة**، للعمروي: ، عمر بن غرامة، دار الفكر، بيروت، (٢٠١١م).

٧- **بـلاد بنـي شهر وبني عمرو خـلال القرنين (١٣ـ ١٤هـ)**، لابن جريس: غيثان بن علي ط (٤) ، (١٤٤١هـ) .

٨- **بلدة رجال الأثرية برجال ألمع بمنطقة عسير**،لغريب: محمد بن حســن ط(١) نادي أبها الأدبي ، دار الانتشار العربي (١٤١٩هـ).

٩- **تاريخ عسير في الماضي والحاضر**، للنعمي: هاشـم بن سعيد ت(١٤٣١هـ)ط(٢) دارة الملك عبدالعزيز ،الرياض (١٤١٩هـ).

١٠- **تاريـخ التعليم في منطقة عسير لابن جريـس (١٣٨٦ـ ١٣٥٤هـ)**ط(١)دار البلاد للطباعة بجدة (١٩٩٥م ـ ١٤١٦هـ) ، ج(١).

١١- **الجامـع الصحيـح للبخـاري**: محمد بن إسـماعيل الجعفـي ت(٢٥٦) ،تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، ط(١) دار الرسالة العلمية، بيروت ،(١٤٣٤هـ).

١٢- **الجامع الصحيح للنيسابوري** : مسـلم بن الحجاج بن مسلم ت(٢٦١) ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي، ط(١) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة، (١٩٥٥م ـ ١٣٧٤هـ).

١٣- **الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء والأعيان من أساتذة وخلان**: لبيلا: زكريا بن عبدالله ت (١٤١٣هـ) ، دراسة وتعليق: عبدالوهاب بن أبي سليمان ومحمد بن إبراهيم علي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، (١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م).

١٤- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم**، أحمد بن عبدالله الأصفهاني ت(٤٣٠هـ) ط(٣) ، دار الكتاب العربي، بيروت (١٩٨٠م ـ ١٤٠٠هـ).

١٥- **الحماسة الصغرى (الوحشيات) للطائي**: أبي تمام حبيب بن أوس ت(٢٣١) علق عليه: عبدالعزيز الميمني، ومحمود شاكر ،ط(٢) دار المعارف بمصر (١٩٧٠م).

١٦- **حياتي للقحطاني** : جابر بن سالم بن موسى، ط(١) ، مكتبة العبيكان، الرياض (٢٠١٤م ـ ١٤٣٥هـ).

١٧- **الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين**: لليمني حسن بن أحمد عاكش ت (١٢٩٠هـ) قرأه وعلق عليه أحمد بن محمد بن حميّد، ط(١) دارة الملك عبد العزيز ، الرياض، (١٤٣٤هـ) .

١٨- **ديوان أبي تمام** : شرح وتعليق : شاهين عطية، وبولس الموصلي، ط(١) ، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني، بيروت(١٣٨٧هـ ١٩٦٧م).

١٩- **ديوان زهير بن أبي سلمى: لثعلب**: أحمد بن يحيى بن زيد (ت٢٩١هـ) ،نشر الدار القومية للطباعة والشر بالقاهرة (١٩٦٤م ـ ١٣٨٤هـ).

٢٠- **ديوان عيسى فهيم (المعلم الشاعر) للزيد**: عبدالله بن محمد (٢٠١٥م).

٢١- **ذيل الأعلام للعلاونة**: أحمد بن إبراهيم، متوالي سنوات الطبع، دار المنارة، جدة.

٢٢- **راحلون مروا على جسر الذاكرة**: لابن حميد أحمد بن محمد، ط(١) نادي أبها الأدبي، ودار الانتشار العربي ببيروت، (٢٠١٩م).

٢٣- **رجال استحقوا التنويه للحميّد**: محمد بن عبدالله، جمع وتنسيق: أحمد بن محمد الحميّد، ط(١) ، نادي أبها الأدبي، ودار الانتشار العربي ببيروت، (٢٠١٧م).

٢٤- **رجال في الذاكرة سير ذاتية لبعض رجال نجد المعاصرين**، للطويان: عبدالله بن زايد في (١٤١٨هـ).

٢٥- **سيرة حياة: آل زلفة، محمد بن عبدالله** ، ط(٢) ، دار بلاد العرب للنشر والتوزيع، الرياض، (٢٠١٤م) .

٢٦- **شخصيات متميزة في مجتمع المدينة المنورة في النصف الأول من القرن الرابع عشر**، للعسيلان: محمد بن صالح، ط(١) دار المفردات بالرياض (١٤٣٣هـ).

٢٧- **شذا العبير من تراجم علماء وأدباء منطقة عسير: للنعمي**:هاشم بن سعيد، نادي أبها الأدبي (١٤١٥هـ) .

٢٨- **شرح الحماسة لأبي تمام للفارسي**: زيد بن علي الفارسي، مطبوع مع شروح الحماسة،تحقيق :محمد علي عثمان، ط(١) ، دار الأوزاعي، بيروت.

٢٩- **شرح مقامات الحريري، للشريشي**: أحمد بن عبد المؤمن ت (٦١٩هـ) ، ط(٢)، دار الكتب العلمية ببيروت ، (٢٠٠٦م ـ ١٤٢٧هـ).

٣٠- **الشيخ سعيد بن عبدالعزيز بن مشيط في ذاكرة التاريخ لابن مشيط**: عبدالعزيز بن سعيد ، تقديم ومراجعة أ. د. غيثان بن علي بن جريس، ط(١) ١٤٣٩هـ .

٣١- **عبدالوهاب أبو ملحة في جنوب الجزيرة العربية دراسة تاريخية وثائقية لابن جريس**، غيثان بن علي(١٤٣٣هـ).

٣٢- **العذب النمير من تراجم علماء عسير خلال أربعة قرون، للعسيري**: عبدالله بن حسين آل عبدالله، ط (١) دار قرطبة للطباعة والنشر بالرياض(١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م).

٣٣- **العقد الفريد لابن عبدربه** : أحمد بن محمد الأندلسي ت(٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد بن عبدالقادر شاهين، المكتبة العصرية، بيروت، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

٣٤- **علماء نجد في ثمانية قرون للبسام**: ط(٣) دار الميمان بالرياض عام (١٤٤١هـ).

٣٥- **قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية**، مجموعة من الباحثين، دارة الملك عبدالعزيز (١٤٣٤هـ).

٣٦- **القول المكتوب في تاريخ الجنوب(عسير أنموذجاً) لابن جريس**، غيثان بن علي ط (١) (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). ، وما بعده متوالي سنوات الطبع. حتى عام (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م) (٣١مجلداً).

٣٧- **قطرات من سحائب الذكرى للسدحان**: عبدالرحمن بن محمد ، ط(٢)، مكتبة العبيكان بالرياض (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).

٣٨- **محمد بن صالح الشهراني مدرسة المسقي في رحاب المجتمع**، ابن مُعَبّر: محمد ابن أحمد ط(١) ١٤٣٥هـ .

٣٩- **مرتفعات الجزيرة العربية، لفيلبي**: عبدالله (هاري سانت جون) ت (١٩٦٠م)، تعريب: حسن مصطفى حسن، تقديم وتعليق: أ.د. غيثان بن جريس. ط(١) مكتبة العبيكان بالرياض(١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

٤٠- **معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية**، للطاهر: علي جواد (١٩٩٦هـ)، ط(٢)، مطابع الفرزدق بالرياض، (١٤١٨هـ).

٤١- **معلمو المسجد النبوي الشريف**، فلاته وآخرون: عمر بن حسن ،وعدنان درويش، وعبدالوهاب زمان،ط(١) دار الزمان بالمدينة المنورة(١٤٣٧هـ).

٤٢- **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة** ، للسخاوي: محمد بن عبدالرحمن ت(٩٠٢) تقديم وتصحيح عبدالوهاب عبداللطيف، وعبدالله الغماري، ط(٢) ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، (١٤١٢هـ/١٩٩١م).

٤٣- **من الذاكرة ابن عبد المتعال**: محمد بن علي ،ط(١)، رعاية مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث (١٤٣٦هـ).

٤٤- **من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية : محمد أحمد أنور(دراسات، وشهادات، ووثائق)**، لابن جريس: غيثان بن علي؛ ط(١)، مطابع الحميضي بالرياض (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

٤٥- **من سوانح الذكريات**، للجاسر: حمد بن محمد ت(١٤٢١هـ)، مراجعة وتعليق عبدالرحمن الشبلي، ط(١)، دار اليمامة، (١٤٢٦هـ).

٤٦- **من مذكرات تركي بن محمد الماضي** ت (١٣٨٤ه)، ط(١)، دار الشبل، الرياض، (١٤١٧هـ).

٤٧- **مؤتمر الهوية والأدب الثاني (السرد في عسير)**،ط(١)، نادي أبها الأدبي، دار الانتشار العربي، (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م).

٤٨- **موسوعة أسبار للعلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية**، أسبار للدراسات والبحوث والأعلام ، (١٤١٩هـ).

٤٩- **موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية**، مجموعة من الباحثين ، ط(٢)، وزارة المعارف ، الرياض، (١٤٢٣هـ).

٥٠- **النادي الأدبي العسيري**، لابن عبدالمتعال وابن مُعَبّر، دار ديوان العرب للنشر والتوزيع بالقاهرة (٢٠٢٣م).

٥١- **النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية لصاحبها الشيخ عبدالله القرعاوي**، للمدخلي: عمر بن أحمد جردي ت(١٤٢٩هـ)، ط(١)، المطابع العالمية بالرياض.

٥٢- **ومضات من الذكريات للشعفي**:محمد بن سعيد ،ط(١)، في (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م).

(*) الصحف والمجلات:

٥٣- خبر نعي الشيخ محمد الطيب، **صحيفة الجزيرة (ع/١٣٠٢٣ في٢٠/٥/١٤٢٩هـ)**.

٥٤- الوجيــز في تاريــخ التعليم بمحافظة القنفذة **(تقرير صحفــي) صحيفة الجزيرة ع (١٣٥٤٨) في ١٣/١١/١٤٣٠هـ**.

٥٥- خبر نعي الأستاذ محمد الثميري، **صحيفة الجزيرة (ع/١٣٦٨٠، في٢٧/٣ / ١٤٣١هـ)**.

٥٦- الأئمة الذين تولوا إمامة مسـجد تمير(١٢٣٠ـــ١٤٣٠هــ) مقال لخالد البرغش، **صحيفة الجزيرة عدد الإثنين (٢٩/١٠/٢٠١٨م)**.

٥٧- خبر نعي الأسـتاذ عبدالرحمن المعمـر، **صحيفة الجزيـرة (ع/١٨٦٢٣في٢٠/١٠/١٤٤٥هـ)**.

٥٨- لقاء صـحفي مع الشـاعر/ محمد بن صـالح باخطمـة، **صحيفة عـكاظ (٣/٣/٢٠١١م)**.

٥٩- لقاء مع الشيخ محمد الطيب، **مجلة العدل (ع ١٤ سنة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م)**.

(*) الإفادات المرسلة:

٦٠- إفادة عن الشـيخين/ إبراهيم الشـويعر، ومحمد القدسـي من الأستاذ/ بندر بن عبدالله آل مفرح.

٦١- إفـادة عن الأسـتاذ /عبدالله بن محمد بن زياد، مـن الدكتور/عبدالله بن محمد بن حميّد.

٦٢- إفادة عن الأستاذين /صالح بن محمد أبو هليل وابنه سيف، من الأستاذ/فهد بن حسن أبوهليل.

٦٣- إفادة عن الوجيه/سليمان المطوع، من الأستاذ/ محمد بن أحمد مُعَبّر.

٦٤- إفادة عن الوجيه/ عبدالرحمن أبو نخاع، من الدكتور/ موسى بن علي مبروك.

رابعاً: تأملات وتعليقات على سبعة مؤلفات صدرت حديثاً في تاريخ وحضارة تهامة والسراة للباحثين (غيثان بن علي بن جريس، ومحمد بن أحمد مُعَبّر). بقلم. الدكتور حسن فيصل محمد الشهري[1].

أولاً: تمهيد:

أني ابن بلاد المجاردة، ولدت وعشت وترعرعت ومازلت أسكن هذه المحافظة التهامية المهمة. وشاء الله في أقداره أن درست التاريخ، وتخصصت في العصر الحديث، وحاولت أن تكون رسالتي للدكتوراه عن تهامة عموماً، وعن تهامة بني شهر، ومحافظة المجاردة تحديداً، لكن هذه الرغبة لم تتحقق لظروف عديدة يصعب شرحها في هذه المدونة[2].

من كرم الله عليَّ أنني خصصت بحث التخرج الذي نلت من خلاله على درجة الماجستير، في موضوع أسواق المجاردة، وقد أكرمني وشجعني أستاذي والمشرف على البحث الوالد الدكتور غيثان بن علي بن جريس، ونشره في موسوعته: **القول المكتوب في**

(١) الدكتور حسن فيصل من سكان محافظة المجاردة، ومن طلابي النابهين المجتهدين ، وهو أستاذ مساعد في التاريخ الحديث. ويعمل حالياً في التعليم العام، وله بعض البحوث العلمية المطبوعة والمنشورة . آمل أن يواصل مشواره وجهوده البحثية ، وإن أخذ بهذه النصيحة فإنه يخدم أهله وبلاده، وبخاصة في الديار التهامية الحجرية . انظر سيرته وردت في بعض مجلدات (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (ابن جريس).

(٢) قد أتحدث عن تلك العقبات في عمل علمي في قادم الأيام، وأسأل الله العون والتوفيق.

تاريخ الجنوب. (الجزء الحادي عشر) تحت عنوان **(بعض أسواق محافظة المجاردة في تهامة بني شهر خلال العصر الحديث)** [1]. ومازال عندي الطموح والأمل أن أعكف على دراسات أخرى في ديار تهامة وخصوصاً تهامة منطقة عسير، وأرجو أن يتحقق ذلك في المستقبل القريب

ورد في الفقرة السابقة اسم والدنا وأستاذنا الدكتور غيثان بن جريس الشهري، ومن هو الذي لا يعرف هذا الإنسان والباحث المجتهد الذي قضى عمره في القراءة والتعليم والبحث العلمي، ومازال حتى كتابة هذه السطور وهو في سن الكهولة يواصل عمله الدراسي والتوثيقي في خدمة دينه ووطنه (المملكة العربية السعودية) ، وقد حظي جنوب شبه الجزيرة العربية (تهامة والسراة) بالنصيب الأكبر والأكثر من منجزاته العلمية والبحثية المطبوعة والمنشورة ورقياً ورقمياً.

هذا الرجل بالنسبة لي ليس أستاذاً فقط، بل صديق وقريب مني كل ما احتجته في رأي أو مشورة علمية، وليس معي فقط بل هذا ديدنه، وتجده قريباً من الناس ومتواضعاً ويحرص على السماع عن أخبار طلابه والالتقاء بهم في حله وترحاله . وهو دائماً يتعهدنا (طلابه) بالاتصال بنا ، والسؤال عن أحوالنا وأخبارنا بشكل عام، وخصوصاً في حياتنا العملية والعلمية، ودائماً يسألنا نحن الذين حصلنا على شهادات عليا (الماجستير والدكتوراه) ، ويقول: ماذا عملتم وأنجزتم من بحوث ودراسات جديدة؟ ونشعر غالباً بالخجل لأنه لا يجد عندنا إجابات إيجابية، بل نذكر له بعض الحجج والأعذار الناقصة والضعيفة، عندما يسألنا هذا الأستاذ القدير الذي صار على مشارف السبعين من عمره، ومازال في أوج بذله ونشاطه العلمي والمعرفي.

وجدت الدكتور غيثان كعادته يتصل عليَّ في شهر المحرم عام (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) ، ويقول: لك عندي هدية بعض المؤلفات الجديدة التي صدرت حديثاً لي، وللأستاذ والباحث القدير محمد بن مُعَبّر وسوف تصلك في بضعة أيام، وفعلاً وصلت واستلمتها، وكان عددها سبعة كتب بعضها يتكون من مجلدين، ست منها للدكتور غيثان بن جريس، وواحد في مجلدين للباحث محمد بن مُعَّبّر، وجميعها عن تاريخ وحضارة مناطق وبلدان في تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة ، والوسيطة، والحديثة، والمعاصرة.

---

(١) ينظر الجزء رقم (١١) من الموسوعة الآنف ذكرها، الطبعتان الأولى (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م). والثانية (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) ، ص ٧٨-١١٣. ومن على صفحات هذا البحث أشكر أستاذي (مؤرخ تهامة والسراة: غيثان بن علي بن جريس) على خدمتي وتشجيعي، فقد نشرت أبحاثاً أخرى عن المجاردة وغيرها في موسوعته (القول المكتوب في تاريخ الجنوب).

وقضيت بعض الوقت في الاطلاع عليها، وقراءة بعضها قراءة كاملة، وبخاصة كتاب الأستاذ محمد بن أحمد مُعَبّر. وبعد أن فرغت منها رأيت أن أكتب عنها هذه الدراسة التي لا أدعي فيها الوفاء والكمال لكنني اجتهدت فيما أوردته من تأملات وتعليقات، والذي شجعني أكثر أن أكتب عن هذين الباحثين القديرين (ابن جريس، وابن مُعَبّر)، اللذين يتشابهان في بعض الصفات والتضحيات، وأيضاً اجتهادهما واستغلال أوقاتهما في خدمة بلادهما، ونسأل الله أن يجزيهما عنا خير الجزاء.

أعترف أني لن أقدر على إنجاز دراسة جادة ورصينة عن هذه المؤلفات السبعة، وعن الأستاذين الفاضلين، فمازلت طالب علم، أتعلم منهما وأستفيد من جهودهما العلمية والبحثية، وتجاربهما وخبراتهما الطويلة والكثيرة. وأطلب العذر منهما أنني ربما تجاوزت حدودي وكتبت تعليقات لاتخلو من النقد لهما وأعمالهما وهما فعلاً من الأساتذة الكبار، ونتعلم منهما الأمانة والصدق والشفافية في مناقشة القضايا العلمية والبحثية. وأسأل الله لنا ولهما الصدق والإخلاص.

ثانياً: عناوين الكتب (فهارسها، وإيجابياتها وسلبياتها):

١. فهارس الكتب:

أ ـ الكتاب الأول: منطقة نجران: دراسات، وإضافات، وتعليقات (من قبل الإسلام ـ ق١٥هـ/ق١ ـ ق ٢١م) (الطبعة الثانية) (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) (جزءان)، للدكتور غيثان بن جريس.

صدرت الطبعة الأولى من هذين المجلدين في عام (١٤٤١هـ/٢٠١٩م) (٥٩٢صفحة). والجزء الثاني عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) (٥٨٦صفحة). ثم صدرت من الجزأين من الطبعة الثانية عام (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م). الجزء الأول (٥٩٤صفحة). والجزء الثاني (٥٨٨صفحة) (١).

(١) تم توثيق هذه المعلومات من الطبعتين الأولى، والثانية، ولمزيد من الاطلاع ينظر الكتب في الموقع الرسمي للدكتور غيثان بن جريس وفي قناته على التليغرام تحت اسم (مكتبة التاريخ العامة)، وعلى منصات رقمية علمية عديدة.

١ـ فهرس كتاب نجران، الجزء الأول (ط٢) [١]:

يحتوي على مقدمة وخاتمة و(١٤) دراسة للدكتور/ غيثان بن جريس وبعض الباحثات والباحثين الذين استكتبهم، والبحوث المنشورة متنوعة في تواريخها وموضوعاتها، وتمتد على فترة زمنية طويلة من قبل الإسلام إلى العصر الحديث، وعناوين وأسماء كتابها على النحو الآتي:

(١) أرقام الصفحات في الكتاب نفسه الطبعة الثانية (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م).

٢ـ فهرس كتاب نجران ، الجزء الثاني (ط٢) :

لا يختلـف هذا المجلد عن الجزء الأول من حيث البداية والنهاية، وعدد البحوث في هذا السفر (١٢) دراسة للدكتور غيثان وغيره،(١)، وهي:ـ

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	المقدمة	٧
ثانيًا:	منطقة نجران (دراسات، وإضافات، وتعليقات)	١١
١-	الدراسة الأولى: دخول المسيحية إلى نجران في روايات المصادر البيزنطية والمسيحية الشرقية . بقلم . أ.د. عبدالعزيز بن محمد رمضان .	١٣
٢-	الدراسة الثانية: النصرانية في جنوب شبه الجزيرة العربية في ضوء رؤية المؤرخ البيزنطي فيلوستورجيوس (حوالي ٣٦٨ـ٤٣٠/٤٤٠م). بقلم . أ. د. عبدالعزيز بن محمد رمضان	٥١
٣-	الدراسة الثالثة: نص أعمال أزقير (Cadla Azgir) قس نجران (حوالي ٤٧٠ – ٤٧٥م) . ترجمه عن الإيطالية والفرنسية وعلق عليه الأستاذ الدكتور / عبدالعزيز بن محمد رمضان	٨٩
٤-	الدراسة الرابعة: من أحداث نجران بدايات القرن السادس الميلادي في ضوء النسخة اليونانية (قصة الحارث بن كعب النجراني). ترجمة ودراسة . أ. د. عبدالعزيز بن محمد رمضان	١٣٣
٥-	الدراسة الخامسة: نجران في سيرة القديس غريغنتيوس : أسقف ظفار ومؤلفه (قوانين الحميريين). بقلم . أ. د. عبدالعزيز بن محمد رمضان .	١٨٥
٦-	الدراسة السادسة: نجران في التراث السرياني منذ وصول النصرانية حتى ظهور الإسلام (٦١٩ـ٦٦١م) . (دراسة نقدية في ضوء المصادر الموازية). بقلم . د. عوض بن عبدالله بن ناحي.	٢١٣

(١) ينظر فهارس هذا الجزء وأرقام صفحات الدراسات كما هي مدونة في الطبعة الثانية (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م). كما يوجد ضمن ملاحق هذا المجلد بعض الصور الفوتوغرافية والوثائق التاريخية . والدراسات الثمان الأولى في هذا المجلد مهمة جداً لما احتوت عليه من مادة علمية عن بلاد نجران قبل الإسلام، والذي قام بها أساتذة جيدون ومتخصصون، ومعظم مصادرهم أجنبية، وهذا النوع من المصادر فيها معلومات نادرة.

ب ـ الكتـاب الثـاني: منطقـة جـازان: دراسـات، وإضافـات، وتعليقات(الطبعـة الثانيـة) (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م) (جزءان)[1]. للدكتور غيثان بن جريس. الجزء الأول (من قبل الإسلام ـ ق١٥هـ/ق١ـ ق٢١م). والجزء الثاني (ق ١٤ـ ق ١٥هـ/ق٢٠ـ٢١م).

كانـت الطبعـة الأولى للجزأين عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، وعدد صـفحات الجزء الأول في الطبعتين (٥٥١صـفحة)، والجزء الثاني في الطبعتين (٤٤٨صـفحة). وكتاب جـازان لا يختلف على كتاب نجران في الترتيب من حيث المقدمة، والخاتمة، بالإضـافة إلى عشـرات الوثائق المنشورة في قسـم الملاحق في نهاية الجزأين. ومجموع المشاركين، ويشـتمل الجزء الأول على (١١) دراسـة، والثاني على تسع دراسات، وعناوين البحوث على النحو التالي:

١ـ فهرس كتاب منطقة جازان ، الجزء الأول (ط٢): [2].

م	الموضـــــوع	الصفحة
ثانياً	مقدمة الجزئين (١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م)	١٢
ثالثاً	منطقة جازان (دراسات ، وإضافات ، وتعليقات) (ج١)	١٧
أ -	الدراسة الأولى : جزيرة فرسان الكبرى في المصادر التاريخية القديمة . بقلم: أ . د .حسن أحمد حسن الإبياري	٢١
ب -	الدراسة الثانية : جازان في بعض المصادر والمراجع والوثائق خلال العصر الإسلامي المبكر ، والوسيط ، والحديث ، بقلم : أ.د . غيثان بن علي بن جريس	٣٩
ج -	الدراسة الثالثة : جازان في عيون بعض الرحالين المسلمين وغير المسلمين (ق٣ – ق١٥هـ / ق٩ – ق ٢٠م) ، بقلم : أ.د . غيثان بن علي بن جريس	٩٥
د -	الدراسة الرابعة : منطقة جازان كما سمعت عنها ورأيتها (٤/٢٦ – ١٤٣٣/٥/٧هـ الموافق ١٩ – ٢٠١٢/٣/٣٠م) ، بقلم : أ.د. غيثان بن علي بن جريس	١٤٥

(١) يوجد في نهاية المجلدين وفي الملاحق عشرات الوثائق التاريخية المهمة والجديدة، وتستحق أن تُدرس بشكل مستقل في كتاب علمي أو رسالة جامعية .

(٢) أرقام الصفحات المثبتة في هذا الفهرس من الكتاب نفسه للطبعة الثانية (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م).

٢- فهرس كتاب منطقة جازان ، الجزء الثاني (ط٢) :[1][2] :

(١) جميع الدراسات المنشورة في هذا الجزء في العصر الحديث والمعاصر (ق١٤ـ١٥هـ/ق٢٠ـ ق٢١م).
(٢) أرقام الصفحات كما جاءت مدونة في الكتاب الطبعة الثانية ، (١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م).

ج- الكتاب الثالث: مراجعات تاريخية ومقاربات نقدية في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية (الطبعة الثانية) (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) (جزآن). للدكتور/ غيثان بن جريس.

صـدرت الطبعـة الأولى للجزأيـن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، وتشـتمل على (٤٨) دراسـة جميعها مراجعات، وقراءات[1]، وانتقادات وتصويبات، وإضافات على بعض كتب ودراسات الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس وغيره من المؤلفين والباحثين الذين كتبوا في موضوعات لها صلة بالسروات وتهامة. وعدد صفحات الجزأين في الطبعة الأولى، الجزء الأول (٥٨٤ صـفحة)، والجزء الثاني (٥٩٢صفحة). أما الطبعة الثانية المعنية في هذه الدراسة، فعدد البحوث(٥٣) دراسة، والجزء الأول (٦٧٤ صفحة) ،والجزء الثاني (٦٣٤صفحة)[2].

١- فهرس كتاب: مراجعات تاريخية، الجزء الأول (ط٢):

يشمل الجزء الأول على الفهرست العام ومقدمة الجزأين، ثم (٢٥) دراسة نقدية، وتوضيحية، وتصويب وإضافات في الجزء الأول، وعناوينها كالآتي:

(١) هذا العدد في الطبعة الأولى (٤٨)دراسة.

(٢) انظر الطبعتين منشـورتين ورقياً، ورقمياً على موقع الدكتور غيثان بن جريس الإلكتروني، وعلى قناته على التليغرام (مكتبة التاريخ العامة).

٢- فهرس كتاب مراجعات تاريخية، الجزء الثاني (ط٢) :

عدد صفحات هذا المجلد (٦٣٤)، وعدد البحوث المعروضة في هذا العمل (٢٨) دراسة على المنهج نفسه الذي سارت عليه الدراسات المدونات في الجزء الأول، وأسماء صفحاتها على النحو التالي :

د ــ الكتاب الرابع: تاريخ عسير الحديث في رسائل محمد أنور وإبراهيم فائع . (الطبعة الثانية) (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) ، للدكتور غيثان بن جريس .

نشـرت الطبعة الأولى عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)، وعدد صفحات تلك الطبعة (٤٨٠ صفحة)، والطبعة الثانية(١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) (٤٨٢صفحة) [١].

(*) فهرس كتاب تاريخ عسير، (ط٢) :

يحتوي الكتاب على قسمين:

القسم الأول رسائل للأستاذ محمد أحمد أنور (١٤١٤ــ ١٤١٧هـ/١٩٩٤ــ ١٩٩٧م) .
القسـم الثاني: رسائل ومدونات الأستاذ إبراهيم بن فائع (١٤٢٥ـ١٤٣١هـ/٢٠٠٥ـ٢٠١١م)، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة. ومحتويات الكتاب على النحو الآتي:

(١) مادة هذا الكتاب رسـائل ومدونات لأسـتاذين قديرين (محمد أنور، وإبراهيم فائع) مرسـلة إلى الباحث (مـؤرخ تهامـة والسـراة: غيثان بن علي بن جريس) ، وسـبق نشـرها في عدد من مؤلفاتـه الأخرى، مثل الجزأين الأول والثاني في موسوعة: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، في الطبعتين الأولى والثانية.

هـ. الكتاب الخامس: شهادات على مسيرة التعليم العالي في منطقة عسير (١٣٩٦-١٤٤٢هـ/١٩٧٦-٢٠٢١م). (الطبعة الثانية) (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م)، للدكتور غيثان بن جريس.

نشرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، واحتوى على مقدمة و(٤٧) شهادة عن تاريخ التعليم العالي في منطقة عسير (تهامة والسراة). وهذه الطبعة الثانية (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م) التي تعاملنا معها في هذه الدراسة، وهي نفس المادة المنشورة في الطبعة الأولى، فقط حذف مصطلح (الجزء الأول) الذي كان على غلاف تلك الطبعة[1]. وعدد صفحات الطبعتين حوالي (٦٠٤) صفحة.

(*) الفهرس العام للكتاب:

(١) للاستزادة انظر الطبعتين منشورتين ورقياً، ورقمياً، وفيهما مادة علمية جيدة بأقلام عشرات الأساتذة، ومعظمهم كانوا ومازال بعضهم مسؤولين وموظفين في قطاع التعليم العام والعالي.

وـ الكتاب السادس: القول المكتوب في تاريخ الجنوب: موسوعة تاريخية حضارية (ق١ـق١٥هـ/ق٧ـق٢١م) (الطبعة الأولى) (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م). (الجزء الحادي والثلاثون)، للدكتور غيثان بن جريس.

صدر هذا الكتاب حديثاً (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) ويتكون من مقدمة، وخمسة أقسام رئيسية تناقش موضوعات تاريخية وحضارية خلال القرون الإسلامية (ق١ـ ق١٥هـ/ ق٧ ـ ق٢١م) في جنوب شبه الجزيرة العربية، وحظيت البلاد الممتدة من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران بالنصيب الكبير من مادة الكتاب[1].

(*) الفهرست العام للكتاب:

(١) انظر فهرست الكتاب المرفق مع هذه المدونة. ونعلم جميعاً أن الدكتور غيثان بن جريس طبع ونشر أعمالاً علمية كثيرة عن بلاد السروات وتهامة، من الحجاز إلى اليمن، حتى صار يطلق عليه ألقاب (مؤرخ تهامة والسراة) ، أو (مؤرخ الجنوب) ، وهناك مدونات ومقالات عديدة لباحثين ومؤرخين ذكروا ذلك ووثقوه في كتبهم وبحوثهم .

زـ الكتاب السابع: الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي (في مؤلفات غيثان ابـن علي بن جريس) (ق٢ـ ١٥هـ/ق٨ـ٢١م) (الطبعـة الأولى)(١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) (الجزءان الثالث، والرابع)، للأستاذ محمد بن أحمد مُعَبّر.

سبق أن أصدر الأستاذ محمد مُعَبّر الجزأين الأول والثاني عام(١٤٤٠هـ/٢٠١٨م)[١]، أمـا هذا الكتـاب فيحمل نفس العنوان الذي جاء في المجلديـن الأولين. ويحتوي الجزآن (٣، ٤) على ثلاثة أقسام هي:

١- **القسم الأول:** الرحالة ورحلاتهم في الجنوب السعودي.
٢- **القسم الثاني:** رحلات غيثان بن جريس في الجنوب السعودي.
٣- **القسم الثالث:** قراءات في الرحلات الغيثانية (الجريسية).

يحتوي **الجزء الثالث** على سبع رحلات لجغرافيين ورحالين ومؤرخين عرب ومسلمين وأجانب كتبوا أو زاروا جنوب البلاد السعودية (تهامة وسراة) من القرن (٢هـ/٨م) إلى القرن (١٤هـ/٢٠م). بالإضافة إلى خمس رحلات قام بها غيثان بن جريس خلال القرن الحالي (١٥هـ/٢١م)، وعدد صفحات هذا المجلد (٥٧٦صفحة)[٢].

أما **الجزء الرابع**، فعدد صفحاته (٦٠٠صفحة)، ويشتمل على سبع رحلات أخرى لابن جريس قام بها خلال هذا القرن أيضاً(١٥هـ/٢١م)، في نواحي عديدة من منطقتي جازان وعسير. ثم القسم الثالث (قراءات في الرحلات الغيثانية ــ الجريسية)[٣].

---

(١) عدد صفحات الجزء الأول (٥٦٠ صفحة)، وجميع مادته عن الرحالة ورحلاتهم في الجنوب السعودي من القرن الثاني إلى الرابع عشر للهجرة، ويحتوي على تسع دراسات شملت السروات وتهامة من الطائف والقنفذة إلى جازان ونجران. وصفحات الجزء الثاني (٥٤٤ صفحة)، وجميع مادة هذا المجلد مركزة على رحلات غيثان بن جريس في الجنوب السعودي خلال العصر الحديث والمعاصر.

(٢) ينظر هذا المجلد منشور عام ١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، وهو متوفر ورقياً ورقمياً.

(٣) هذا المجلد والمجلدات الثلاثة الأخرى (الأول، والثاني، والثالث) مطبوعة ومنشورة ورقياً ورقمياً.

(*) فهرس الجزء الثالث :

(*) فهرس الجزء الرابع :

٢ـ إيجابيات وسلبيات الكتب :

نحـن أمام حـوالي (١١) مجلداً أربعـة منها يتكون كل عنوان مـن مجلدين، ثلاثة للدكتـور غيثان بن جريس (منطقة نجران، ومنطقة جـازان، ومراجعات تاريخية...)، وواحد للأستاذ محمد بن مُعَبّر (الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي...)، والمجموع (٨) مجلدات .وثلاثة كتب أخرى من مجلد واحد (تاريخ عسـير الحديث والمعاصـر... ، وشـهادات على مسـيرة التعليم العالي في منطقة عسـير...، والقول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزء الحادي والثلاثون) [١]. وهناك الكثير من الإيجابيات وبعض السلبيات التي اسـتطعت حصرها أثناء تصفح هذه الجهود العلمية[٢] ، وأذكر بعضها في النقاط التالية :

أ ـ الإيجابيات :

١- كل هـذه المؤلفـات متخصصـة في تاريخ وتراث وحضـارة وأعلام مناطق عسـير، وجـازان، ونجـران في عصـور مختلفـة قبل الإسـلام وخـلال القرون الإسـلامية المبكرة ، والوسيطة، والحديثة، والمعاصرة. والذي قام بإعدادها وطباعتها ونشرها أسـتاذان مجتهدان لخدمة وطنهما. ومن يتأمل في كل دراسة بشكل مستقل، ثم في جميع البحوث المدرجة في هذه المؤلفات السـبعة فسيجد نفسه يتجول ويعيش مع كم هائل من التفصـيلات عن هذه البلدان التهامية والسروية الغنية بتاريخها وتراثها وحضارتها.

٢- من الواضـح أن مادة هذه المجموعة من المؤلفات سـبق أن نُشرت في الكتاب الكبير الذي يرعاه ويشرف عليه الدكتور غيثان بن جريس منذ أكثر من عشرين عاماً، وهو: **القـول المكتوب في تاريـخ الجنوب**، وآخر مجلد في هذه الموسـوعة (الجزء الحادي والثلاثون) الوارد ذكره وفهارسـه في صـفحات سـابقة من بحثنا هذا. ويتضح لنا تعـاون الباحثـين الكريمين(ابن مُعَـبّر ، وابن جريس) في اقتصـاص مواد كتبهما المشـار إليهـا في هـذا العمل من (موسـوعة: القول المكتوب في تاريـخ الجنوب...) بهدف مساعدة الدارسين والباحثين وطلاب العلم من الوصول إلى تواريخ ومعارف متنوعة في موضـوعات صـغيرة ومحددة زماناً ومكاناً . وقد ينظر البعض إلى هذه

---

(١) للمزيد ينظر: عناوين وفهارس هذه الكتب الأحد عشر سفراً في الصفحات السابقة من هذه الدراسة .

(٢) لـن أقدر على رصـد كل السـلبيات والإيجابيـات على هذه الكتب، بـل هي محاولة تدوين بعض الشـذرات المحدودة. وأرجو أنني أنجزت شيئاً من ذلك .

المؤلفات بأن إخراجها بهذه الطريقة إهدار للوقت والمال، ويقولون نشرها في كتاب **(القول المكتوب في تاريخ الجنوب)** كافٍ، وكان على هذين الأستاذين أن يصرفا أوقاتهما ومالهما في دراسات علمية جديدة في عناوينها وأهدافها(١) .

٣- لم أتوقف مع موضوعات كل جزء أو كتاب، ولو فعلت ذلك فقد أستغرق مدة زمنية طويلة في الاطلاع بشكل دقيق على تفصيلات هذه المؤلفات، وبالتالي أحتاج إلى مئات الصفحات حتى أنجز دراسة علمية وافية عن هذه الأسفار، ولو فعلت ذلك فقد لا أستطيع، حتى وإن كنت أحمل شهادة عالية في التاريخ ، فما زلت في بداية مشواري العلمي والبحثي، وأشكر هذين الباحثين المحترفين وبخاصة أستاذي الدكتور غيثان بن جريس الذي شجعني وساعدني في الانخراط في هذا العمل العلمي التوثيقي(٢) .

٤- الحقيقة ليس عندي الرغبة ولن أسعى إلى ركوب موجة المدح والإطراء والثناء لهذين العلمين والباحثين السعوديين الكريمين. وهما ليسا بحاجة إلى ذلك، لكنني عندما أقف على بعض جهودهما العملية والعلمية أستصغر نفسي، وربما غيري مثلي فقد نقضي أوقات كثيرة وطويلة في قراءة كتاب، أو إنجاز ملخص أو بحث صغير ومحدود، وفي النهاية لا نستطيع تحقيق شيء واضح وملموس في مجال العلم والتعليم والتوثيقي، مع أن هذه الميادين هي أعمالنا ووظائفنا الرئيسية، التي نعمل فيها منذ عقود(٣) .

٥- قد يظهر من القراء الكرام من ينتقد عملي هذا، ويقول: إن كل الكتب التي أوردتها للدكتور غيثان بن جريس حتى كتاب الأستاذ محمد بن مُعَبّر فجميع مادته جاءت عن طريق الأستاذ غيثان بن جريس، وهذا القول والنقد وجيه، وإجابتي على من قال ذلك، أذكر بعضها في المحاور الآتية:

---

(١) هذه وجهات نظر قرأتها وسمعتها من باحثين وطلاب عديدين. وهذا النوع من النقد موجه للدكتور غيثان بن جريس ، وأعلم أنه سمع ويعرف هذه الأقوال، لكنه مازال يستخرج بعض مواد موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ويصدرها في كتب مستقلة .

(٢) للأمانة إنني مدان لهذين الأستاذين الفاضلين (ابن جريس، وابن مُعَبّر) اللذين قرأت وفحصت بعض مؤلفاتهما، فقد استفدت كثيراً جداً مما أنجزا، ثم أني وجدت عندهما الجلد والصبر الكبيرين حتى أخرجا لنا هذا الكم الكبير من تاريخ بلادنا (جنوب المملكة العربية السعودية) عبر العصور.

(٣) من يطّلع على المؤلفات المعروضة في هذه الورقات وغيرها من منجزات ابن مُعَبّر وابن جريس العلمية يدرك أنهما نذرا حياتهما لطلب العلم، ووصل إلى درجة العشق في مزاولة أعمالهما في القراءة والتدقيق والتحقيق والكتابة والتوثيق. وهذا الذي توصلت إليه وأعتقده .

أ ــ جميع هذه الكتب وصـلتني هدية من أستاذي الدكتور غيثان بن جريس، ومن يعـرف هـذا الرجل وتعامـل معه يجده دائماً يسـعى إلى توزيع كتبه ونشـرها بـدون مقابـل. ومن يطلـع أو يبحث في المنصـات والمواقع والمكتبـات الرقمية فسيجد عشـرات البحوث والمؤلفات لابن جريس معروضة رقمياً مجاناً. وتعد مبـادرات هذا الأسـتاذ ومحاولة إيصـال أعماله العلميـة إلى طلبة العلم من طلابه وغيرهـم دافعاً قوياً لقراءة كتبه والتأثر بما جـاء فيها، والكتابة عنها إذا سنحت الفرصة، وهذا الذي حصل معي في هذه المدونة.

ب ــ لم أقابل الباحث الفاضـل الأسـتاذ ابن مُعَبّر شخصـياً، لكنني أحصـل على بعض مؤلفاته منذ زمن عن طريق أسـتاذي الدكتور غيثان بن جريس، ثم أنه يحدثنـي دائماً عن هذا الأسـتاذ (ابن مُعَبّر) الذي يقضـي معظم أوقاته في مكتبته وبين كتبه. وقد رأيت مؤخراً العديد من الصور والتقارير الرقمية التي تذكر هـذا الباحث البارع والمبدع، وآمل وأتطلع في المسـتقبل أن أزوره وألتقي به، وأنهل من علومه، مع أن أستاذي ابن جريس يحثني منذ زمن على ضرورة مقابلة هذا العلم النشط، وسوف يتم ذلك في قادم الأيام (بإذن الله).

ب ـ بعض السلبيات :

١- أميـل مـع القول: بـأن إعادة جمع مـادة هذه الكتب من (موسـوعة القـول المكتوب في تاريـخ الجنـوب) يعتبر تكراراً لأعمال تم طباعتها ونشـرها ، وصـارت متداولة ومعروفة عند الناس. ولو صـرف الجهد المبذول فيها في بحوث أخرى جديدة كانت الفائدة أفضـل وأعم وأشـمل. نعم إخراجها بهذه الطريقة، وجمعها في موضـوع أو مجال واحد يسـهل على الدارسـين والباحثين، لكن أرى أنه لا فائدة كبيرة من وراء ذلـك مع جل تقديري واحترامي للأسـتاذين الكريمين (ابن مُعَـبّر، وابن جريس) على ما بذلا وقدما .

٢- تتضـح الأحجام الكبيرة على جميع المؤلفات المذكورة في هذا المبحث، فأقل دراسـة حولي (٥٠٠) صفحة، مع أن بعضها تصل إلى (٧٠٠) صفحة، وللأسف أن كل هذه الكتب خالية من فهارس (كشـافات) دقيقة تسـاعد القارئ والباحث من الوصـول إلى مبتغاه بسـهولة، وتحدثت في هذا الأمر مع أسـتاذي الدكتور غيثان بن جريس واتفـق معي في الرأي، لكنني لم أشـاهد شـيئًا من ذلك يترجم علـى أرض الواقع، وهذه الكتب التي استعرضناها في هذا التوثيق أكبر دليل على ما أشرت إليه.

٣- أعـرف أنـا وغيري أن الدكتور غيثان بن جريس لديه استرسـال وإسـهاب كبير في نشـر دراساته، ووجدت الأسـتاذ ابن مُعَبّر ليس بعيداً عن ابن جريس في الأكثر من الطباعة والنشـر. وهـذه الطريقة قد ينتج عنها الوقوع في سـلبيات عديدة بسـبب التسـرع والكثرة في النشـر. وأشـرت إلى ذلك في مقالة سـابقة كتبتها عن الدكتور غيثان[١] ، وتحدثت معه في الموضوع نفسه، ويرى أنه لا مشكلة في ذلك[٢] .

٤- إن المتأمـل في هـذه المؤلفـات السـبعة يلحـظ أنهـا مزدحمـة بالحواشـي المطولة والتفصـيلية، وأرى أنها تشـق على القـارئ لكثرتها، وذكرت ذلك للأسـتاذ غيثان بـن جريـس، لكنه يرى ذلك جزءاً من منهجه العلمي البحثي. أيضـاً طريقة صـف الكتب التي اطلعت عليها في هذه الدراسة مضغوطة بنسبة كبيرة، حتى أن الصفحة الواحدة يستحسـن أن تكون منسـقة في صـفحتين أو أكثر حتى يسـهل على القارئ القراءة بسهولة وعدم المعاناة في ضيق المسافة وتقارب السطور[٣] .

ثالثاً: وقفة مع الباحثين (ابن جريس وابن مُعَبّر):

١ـ موجز عن سيرتهما:

أ ـ غيثان بن جريس من مواليد قرية آل مقبول في سـروات بني عمرو. بمحافظة النماص عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م). تلقـى تعليمه العام في مدينـة النماص، والجامعـي في مدينـة أبها، ودرجـة الماجسـتير في جامعة إنديانـا بالولايات المتحـدة الأمريكيـة، والدكتـوراه في بريطانيـا بجامعة مانشسـتر في التاريخ والحضارة الإسلامية، وقد عمل معيداً ثم محاضراً ثم أستاذاً في فرع جامعة الملك سـعود بأبها حوالي عشـرين عاماً، وفي جامعة الملك خالد تقريباً (٢٤) عامـا. وحاليا متقاعد ويعيش في مدينة أبها، وله نشـاطات علمية مختلفة في مجال العلم والتعلم، وصدر عنه العديد من الكتب والدراسات[٤].

---

(١) تلـك المقالـة عنوانهـا (مراجعات وقراءات في خمسـة مؤلفات صـدرت حديثاً للدكتور غيثـان بن جريس: تأمـلات، ووجهات نظـر). انظر: القول المكتـوب في تاريخ الجنوب(١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) (الجزء الحادي والثلاثون)، ص ٤٤٩ـ ٤٥٦.

(٢) المرجع نفسه .

(٣) مـن ينظـر في جميع مؤلفات غيثان بن جريس يجدها مصـفوفة بخط صـغير ومضـغوط. وإذا كان الخط أحياناً أسـود وواضـح إلا أن اكتظاظ الصـفحة بكثرة السـطور ترهق القارئ أثناء الرجوع لهذه الأعمال العلمية .

(٤) للمزيد عن سـيرة الأسـتاذ غيثان بن جريس، انظر: محمد أحمد مُعَبّر .مؤرخ تهامة والسـراة: غيثان بن علي بن جريس، (دراسة توثيقية) (ثلاث طبعات) .عوض بن عبدالله بن ناحي. المؤرخ غيثان بن جريس في

ب ـ محمد بـن أحمد مُعَبّر من مواليـد مدينة نجران عـام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، تلقى تعليمه الابتدائي في مدينة خميس مشـيط، والمتوسـط والثانوي في معهد أبها العلمي، ثم السـنة الأولى في كلية الشـريعة وأصـول الديـن بفرع جامعة الإمام محمد بن سـعود الإسـلامية في أبها. اشـتغل في العديد من المؤسسات الإدارية الحكومية والأهلية. وعمل أيضاً في بعض الصحف والمجلات الثقافية، وبقي موظفاً في الشركة السـعودية للكهرباء بأبها (١٤١٦ــ ١٤٣٩هـ/١٩٩٦ـ ٢٠١٨م). وهو طالب علم جاد، وله عشرات المؤلفات المطبوعة والمنشورة[١] .

٢ـ جهودهما العلمية والعلاقة بينهما:

إن أعمـال هذين العلمين (ابن جريسـ، وابن مُعَبّر) العلميـة والبحثية يعرفها كل باحث ومؤرخ وبخاصـة في جنوب المملكة العربية السـعودية . ومن يتفرغ لرصـد وتوثيق أعمالهمـا المطبوعـة والمنشـورة يحتاج إلى مئات الصـفحات حتى يلم بمـا قاما به من دراسات وشروحات وتحقيقات من نهاية القرن الهجري الماضي إلى وقتنا الحاضر[٢] .

لقد كتبت مقالاً سابقاً عن الدكتور غيثان بن جريس وبعض كتبه، ثم أضفت في هذه الدراسـة تفصيلات أخرى عن بعض مؤلفاته التي صدرت مؤخراً، وأيضاً كتاب الأستاذ محمـد مُعَبّر (الرحـلات والرحالة...) ومادته تؤرخ لجزئيات من حياة ونشـاطات ابن جريسـ العلمية والبحثية. والذي أريد إنجازه الالتفـات إلى بعض جهود ابن مُعَبّر وهي كثيرة، لكنني أحصـر توثيقي على بحث منشـور في موسـوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنـوب) (الجـزء الثامـن)، وعنوانـه: **<u>محمد بـن أحمد بـن مُعَـبّر في عيـون بعض</u>**

<u>الصـحف والمجلات والندوات (١٤٠٧ـ١٤٤٠هـ/ ١٩٨٧ــ٢٠١٨م)</u> (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م). غيثان بن جريس .الكتاب التوثيقي: <u>مقتطفات من حياتـي العلمية (١٣٨٤ــ١٤٤٥هـ/١٩٦٤ــ ٢٠٢٤م) (١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م)</u> (طبعتان). انظـر الموقع الرسـمي الرقمي للدكتـور غيثان بن جريس، وقناته على التليغرام باسـم (مكتبة التاريخ العامة).

(١) له مؤلفات واهتمامات علمية لغوية وأدبية، وتاريخية وحضارية، وصحفية وإعلامية، وأصدر مؤلفات عديدة عـن بعض الأعلام في المملكة العربية السـعودية، وأكثرهم من جنوب المملكة العربية السـعودية وبخاصـة منطقة عسـير، وله دراسـات كثيرة منشـورة في (موسـوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب). للمزيد عن سـيرته انظر، غيثان بن جريس. <u>القول المكتوب في تاريخ الجنوب</u> (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م). (الجزء الثامن)، ص٣٣٠ـ٣٨٦. محمد أحمد مُعَبّر .<u>نقش القلم</u> (١٤٣٦هـ)، وانظر عشرات الكتب من تأليفه في نهاية بعض كتبه المطبوعة والمنشورة .

(٢) ليسـ هدفي في هـذه المذكرة أن أكتب أعمالاً مطولة عن إنجازات ودراسـات ابن مُعَبّر وابن جريس، مع أن هنـاك غـيري من كتب عنهما في كتب أو مقـالات أو مقاطع رقمية، وهما في الحقيقة مـن النماذج العلمية الجادة التي عملت واشتغلت لخدمة العلم وطلاب العلم والتعليم فجزاهما الله كل خير.

معاصريه، بأقلام مجموعة من الأكاديميين والكتاب[١] .

اطلعت على هذه الدراسة التوثيقية التي تزيد صفحاتها عن (٦٥) صفحة في الكتاب السابق الذكر، واحتوت على مشاركة (٢١) أستاذاً جامعياً وكاتباً جميعهم تحدثوا عن جهود الشيخ محمد بن مُعَبّر ومنجزاته المعرفية، ومعظم الذين كتبوا عن هذا العلم يعرفون ابن مُعَبّر تمام المعرفة، فمنهم من زامله في الدراسة ، وآخرين عرفوه من خلال كتبه ونتاجه العلمي والأدبي،

الذي لفت نظري أن هذه المدونات (المقالات) تمت بإعداد وتنسيق وطلب من الدكتور غيثان بن جريس، وذلك عندما أحسن إليه ابن مُعَبّر وأصدر كتابه الموسوم بـ: **وثائق غيثان بن جريس الخاصة: الرسائل المتبادلة مع الهيئات والأفراد (١٤١٣ـ ١٤٣٤هـ/ ١٩٩٣ــ ٢٠١٣م) (ثمانية مجلدات)**[٢]. ومن يقرأ مدخل الدراسة، والآراء والتعليقات التي في آخرها فسوف يعرف كيف جرى التخطيط والترتيب لتأليف هذه المذكرة، والذي عرفته وقرأته أنه تم تكريم الأستاذ محمد بن مُعَبّر في احتفال اجتماعي جيد حضره عشرات الأعلام والمشائخ من منطقة عسير[٣]، وقد وزع عليهم هذا البحث المذكور آنفاً[٤].

---

(١) انظر هذه الدراسة في الكتاب والجزء المذكور في المتن (الطبعة الثانية) (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ص ٣٣٠ـ ٣٨٧. مع أن هناك عشرات الكتب المطبوعة والمنشورة لابن مُعَبّر ومن يطلع عليها ويدرسها يستطيع معرفة تفاصيل أكثر عن هذا الرجل الخادم للعلم والمعرفة ، نسأل الله أن لا يحرمه الأجر.

(٢) حسب علمي أنها وصلت حتى الآن إلى (١١) مجلداً ، وربما نرى مجلدات أخرى جديدة في المستقبل. انظر هذه المجلدات على موقع الدكتور غيثان بن جريس الرسمي الرقمي، وعلى قناته على التليغرام (مكتبة التاريخ العامة).

(٣) عندما أردت كتابة هذه السطور، وبعد قراءة البحث المنشور في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء الثامن) تواصلت مع أستاذي الدكتور غيثان بن جريس، وسألته عن بعض الأمور والنقاط التي ليس عندي إجابة صحيحة لها، وبخاصة التكريم الذي تم إعداده لابن مُعَبّر، وقد شاهدت من قبل صوراً فوتوغرافية منشورة في بعض مؤلفات ابن جريس عن هذا التكريم. ووضح لي ابن جريس، فقال: « نعم أنا وطالبي الكريم الدكتور غرمان بن غصاب الشهري اجتمعنا وقررنا إقامة تكريم لهذا العلم الجاد والخلوق (ابن مُعَبّر)، وتم ذلك في مدينة أبها بتاريخ (١٤٣٩/٦/١٥هـ)، وقد حضر أكثر من مئة شخصية من أعيان المجتمع، وقدم للمحتفى به العديد من الهدايا، وألقيت بعض الكلمات الجيدة في حق الأستاذ محمد». تم هذا التواصل مع ابن جريس في بداية شهر صفر عام ١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م).

(٤) وجدت هناك أكثر من ثلاث سنوات منذ صدور (وثائق غيثان بن جريس الخاصة...) فسنة الطبع كانت عام (١٤٣٥ــ ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤ــ ٢٠١٥م)، وتكريم ابن مُعَبّر في منتصف عام (١٤٣٩هـ). وقد سألت الدكتور غيثان عن سبب تأخير التكريم، مع أنه أشار في مدخل الدراسة إلى صدور كتاب ابن مُعَبّر الوثائقي عن ابن جريس ، فقال لي الأستاذ غيثان « كانت ومازالت العلاقات والاتصالات بيني وبين الأستاذ الباحث ابن مُعَبّر جيدة جداً، ثم أنه أصدر كتباً أخرى عديدة عن وثائقي ومكتبتي ومعظمها في ثلاثينيات هذا

(*) استمتعت بقراءة هذه الواحد وعشرون مقالة، لأسباب عديدة منها :

١- وفاء الدكتور غيثانٍ بن جريس، في رد الجميل لهذا الأستاذ والباحث القدير الذي لا يقل فضلاً وكرماً ونبلاً من ابن جريس، فكلا الأستاذين ممن اتصفا بالوفاء لبعضهما، وكيف لا يكونا كذلك فهما أستاذان وباحثان قديران خدما بلادهما وأهل العلم والمعرفة. والذي زاد إعجابي ما كتبه الأستاذ غيثان في مدخل الدراسة ونهايتها عن صاحبه ابن مُعَبّر، وما أشار إليه من نداء وتوصيات في خدمة العلم والتعلم وأهل العطاء والإبداع مثل الشيخ ابن مُعَبّر.

٢- الفضل والنبل الذي اتصف به مدوني المقالات، ومعظمهم أساتذة في التعليم العام والعالي، فقد شرحوا وفصلوا وأشادوا بهذا الأستاذ الكريم ابن مُعَبّر. ومن يطالع عناوين بعض المقالات يجدها تعبر عما لهذا العلم السعودي القحطاني من مكانة وجهد في خدمة العلم. ومن تلك المدونات: (١) تكريم مستحق[١]. بقلم. أ. محمد ابن عبدالله الحميّد. (٢) رجل يعيش خارج عصره[٢]. بقلم. د. عبدالله بن أحمد ابن حامد. (٣) محمد آل مُعَبّر كما عرفته. بقلم. د. مطلق بن محمد بن شائع العسيري[٣]. (٤) محمد ابن مُعَبّر علم على رأسه نور. بقلم. أ.د. صالح بن علي أبو عراد الشهري. (٥) ابن مُعَبّر ثروة وطنية. بقلم. أ. غرمان بن عبدالله بن غصاب الشهري[٤]. (٦) ابن مُعَبّر راهب في محراب الكتب. بقلم. أ.د. أحمد بن محمد بن حميّد. (٧) عاشق الكتب. بقلم. د.عبدالله بن محمد بن حميّد[٥].

القرن ((١٥هـ/ ٢١م)، وكنت أرغب أن أقدم له أي شيء مقابل ما قدم لي من إحسان، عندئذ عزمت على تكريمه واجتمع معي طالبي وصديقي الدكتور غرمان بن غصاب في هذه الأمنية والرغبة، وتحقق ذلك في عام (١٤٣٩هـ)». المصدر: لقاء مع أستاذي الدكتور غيثان بن جريس في بداية شهر صفر عام (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م).

(١) يقصد تكريم ابن جريس لابن مُعَبّر، وكذلك توصياته ونداءه للجهات الرسمية، مثل وزرة الإعلام والجامعات وإمارة عسير وغيرها بوجوب تكريم هذا الرجل (ابن مُعَبّر) الذي نذر حياته لخدمة العلم وغيره من الأعلام المبدعين.

(٢) عرفت من الدكتور غيثان ومن هذا المقال أن محمد بن مُعَبّر لا يتعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي، ولا يحمل هاتف نقال حتى الآن ١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م).

(٣) علمت من نصوص المقال ومن أستاذي الدكتور غيثان أن الدكتور مطلق وابن مُعَبّر أصحاب ويعرفون بعضهم منذ عقود.

(٤) تدل المقالتين (٤، ٥) على أهمية الأستاذ محمد بن مُعَبّر علمياً وبحثياً ومعرفياً وثقافياً.

(٥) المقالتان رقم (٦، ٧) للأستاذين أحمد وعبدالله أبناء محمد بن حميّد صاحب مقالة (تكريم مستحق)، وهؤلاء ومن سبقهم أو جاء بعدهم من أهل العلم والأدب والمعرفة والثقافة في البلاد، وهم الآن يوثقون توثيقات حقيقية وصحيحة عما سمعوه وشاهدوه وعرفوه عن الباحث محمد بن مُعَبّر.

أخبرني الدكتور غيثان بن جريس عن سرعة الاستجابة من أولئك الأساتذة الفضلاء عندما أرسل لهم خطابات استكتاب عن الأستاذ ابن مُعَبّر، وذكر أن بعضهم كانوا فرحين جداً بالكتابة عن هذا الباحث، وأضاف قائلاً : «صدقني يا دكتور حسن لو أخذت وقتاً أطول، واستكتبت أعلاماً أكثر، كنت حصلت على مشاركات كثيرة، لأن الباحث ابن مُعَبّر يستحق أن يكتب عنه مؤلفات ورسائل علمية جامعية [٦].

أما العلاقة بين الباحثين (ابن مُعَبّر وابن جريس) فهي علاقة قديمة تعود إلى العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ونجد الدكتور غيثان بن جريس يذكر شذرات من العلاقة بينهما خلال القرن الحالي، لكنها قويت وتوطدت بين الإثنين من بداية الثلاثينيات. ومما ذكره ابن جريس عن صاحبه، قوله:» سمعت عنه ـ يقصد ابن مُعَبّر ـ ثم قابلته في نهاية العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وكان وقتها يعمل في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها، إلى جانب امتلاكه دار طباعة ونشر في خميس مشيط باسم (دار جُرش للنشر والتوزيع) ، وأثناء مواصلة دراساتي العليا (الماجستير والدكتوراه) في أمريكا وبريطانيا، كنت أجد بعض مطبوعاته، ومن أهمها آنذاك (كتاب: مدينة جُرش) ، وقابلته عام(١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ثم طوحت بنا الأيام، ولم أقابله حتى عام (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م) عندما أخذني أحد طلابي إلى منزله في مدينة خميس مشيط فرحب بنا، وقابلنا والده الوقور البشوش الشيخ أحمد بن مُعَبّر، وأكرمونا أيما إكرام، ومن ذلك العام (١٤٣١ه) أصبح الأستاذ محمد بن مُعَبّر على اتصال مستمر معنا، بل دخل مكتبتنا واطلع على محتواها، وعمل دراسات على بعض فروعها...» [٧].

من يتصفح سيرة هذين الأستاذين (ابن جريس ،وابن مُعَبّر) يجد أن الأول قد خُدم بشكل كبير من قبل رفيقه الأستاذ محمد بن أحمد مُعَبّر، فأخرج عنه وعن وثائقه، ومكتبته، ونتاجه العلمي، وموسوعته **(القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٣١ مجلداً)** العديد من الأسفار الكبيرة، وبعضها تم طباعتها أكثر من مرة[٨].

---

(٦) لله درك يا ابن جريس على وفائك وإخلاصك لصاحبك ابن مُعَبّر، وكذلك على صدقك وإنصافك للرجال، وهذا الذي عرفت عنك منذ زمن بعيد. ونسأل الله لك التوفيق ولزميلك الأستاذ القدير محمد بن مُعَبّر.

(٧) انظر، القول المكتوب في تاريخ الجنوب (ط٢) (الجزء الثامن) ، ص ٣٣١ـ ٣٣٢. الله الله ما أجمل الوفاء بين الإخوان، وبخاصة إذا كان في مجال العلم والأدب والمعرفة. وهذان العلمان (ابن مُعَبّر، وابن جريس) من النماذج الجيدة لما اتصفا به من خصال حميدة، وما قدما من أعمال جليلة لبلادهما وأهلها .

(٨) بعض المؤلفات التي أصدرها الباحث ابن مُعَبّر عن ابن جريس: (١) مؤرخ تهامة والسراة : غيثان بن علي بن جريس(دراسة توثيقية) (ثلاث طبعات) . (٢) مواكب الأقلام :قراءات وتعليقات في التاريخ الإسلامي بمكتبة الدكتور غيثان بن علي بن جريس العلمية (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م). (٣) دليل البحوث

يوجد ضـمن المقالات المنشورة في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) [١]. بعض الأسـاتذة الذين كتبوا عن التشـابه والتقارب والصلات بين الأستاذين ابن مُعَبّر وابن جريس، وذكروا شـيئًا من جهودهما وتعاونهما وخدمتهما لبلادهما علمياً وبحثياً، ومن تلك المدونات، ما يلي:

١ـ علاقة مؤرخ تهامة والسـراة بالباحث محمد بن أحمد مُعَبّر، للأسـتاذ محمد مشبب الحطوري[٢].

٢ـ باحثـان في ميدان العلم والمعرفة. بقلم الأسـتاذ يحيى بن محمد بن أحمد آل فايع [٣].

٣ـ لمحات عن بعض الجهود العلمية لابن مُعَبّر وابن جريس، للأسـتاذ سـعيد بن أحمد بن مفرح الشهراني[٤].

٤ـ وقفة مع ابن مُعَبّر وابن جريس، للدكتور أشرف مسعد أبوزيد[٥].

شملت كل هذه المشاركات توثيقات تشرح جهود الرجلين (ابن جريس وابن مُعَبّر)، وذكـر بعض أعمالهما، وفصـلوا الحديث عن نشـاط كل منهما علميـاً، وكيف التقيا، ومـاذا وجـد الباحث ابن مُعَبّر في مكتبـة ابن جريس من بحوث غير منشـورة، وتقارير علمية، ومدونات ومذكرات ووثائق عامة وخاصـة فدرسها ونسقها وصنفها ثم أصدرها في أعمال علمية كبيرة وموسوعية، وفي مقدمة تلك المنجزات المعرفية: **وثائق غيثان بن جريس الخاصة: الرسائل المتبادلة مع الهيئات والأفراد (مجموعة مجلدات)**[٦].

الجامعيـة في مكتبـة الدكتور غيثان بن جريس العلمية: ببليوجرافيا مشـروحة (١٤٠١ـ١٤٣٥هـ/١٩٨١ـ٢٠١٤م) (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م). (٤) الرحلات والرحالة في الجنوب السـعودي في مؤلفات غيثان بن جريس (ق٢ـ ١٥هـ/ق٨ ـ ق٢١م) (أربعة مجلدات) (٥) سـيرة كتاب: احتفاء بصـدور عشرة أجزاء من كتاب: (القـول المكتـوب في تاريـخ الجنوب) (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م). (٦) فهرس القول المكتـوب في تاريخ الجنوب (الأجزاء: ١ـ ٢٥) (١٤٤٢هـ/٢٠٢٢م).

(١) انظر (الجزء الثامن)، ص٣٣٠ـ٣٣١.

(٢) المرجع نفسـه، ج٨، ص٣٤١ـ٣٤٦. للمزيد عن سـيرة الأسـتاذ الحطوري، انظر الكتاب نفسـه، ص ٣٤١، حاشية رقم (٢).

(٣) المرجع نفسه، ج٨، ص ٣٤٧. للمزيد عن سيرة الشيخ يحيى آل فائع انظر: المصدر نفسه، ص ٣٤٧، حاشية رقم (١).

(٤) انظـر غيثان بن جريـس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ط٢، ج٨، ص ٣٨١ـ٣٨٤. وعن سـيرة الشـيخ صاحب المقالة، انظر نفس الكتاب، ص٣٨١، حاشية رقم (١)

(٥) المرجع نفسه، ج٨، ص٣٨٤ـ ٣٨٥. للمزيد عن سيرة الدكتور أبوزيد انظر الكتاب نفسه، ص٣٨٤، حاشية رقم (١).

(٦) إن إنجاز هذه الدراسـة أخذ مني بضـعة أسابيع، لكنني استفدت الشيء الكثير، وأنا أتجول مع نتاج هذين العلمـين البارزين، فهما بحق مدرسـة علمية، وقـدوة فيما قدما والواجب الاقتداء بهمـا، زادهما الله من فضله وبركاته وأصلح لهما أحوالهما العامة والخاصة.

من يفتش ويبحث عن مناشط وتقارب هذين الرمزين (محمد بن مُعَبّر القحطاني، وغيثان بن جريس الشهري) فإنه سيجد مادة غير قليلة متناثرة في الصحف، والمجلات، والمؤلفات. بل لا تخلو منصات التواصل الرقمي من ذكرهما، وذكر بعض أعمالهما، وتبادل الأقوال الإيجابية عن دراساتهما وما قدما لخدمة الساحة العلمية والثقافية والبحثية والتوثيقية. وقد أتفرغ في قادم الأيام فأكتب دراسة تفصيلية عنهما من حيث النشاط، والإنتاج العلمي والتقاربات الثقافية والعمرية والاجتماعية وغير ذلك من المحاور التي لا تخلو من التشابهات والاختلافات في مسيرتهما العلمية والبحثية، وأرجو أن يتحقق ذلك[١].

(*) عثرت أثناء إعداد هذه الدراسة على مقالين منشورين في جريدة الجزيرة للأستاذ والصحفي القدير محمد بن عبدالله الحمدان[٢]. وعنوانهما:

أ- مؤرخ تهامة وعسير في ثلوثية المشوح[٣].

ب - الثنائي النشط في أبها وخميس مشيط[٤].

---

(١) هذا الذي أفكر فيه أثناء كتابة هذه المدونة المحدودة، التي اجتهدت فيها، وأرجو أنني حققت بعض النجاحات التي يستحقها هذان الأستاذان الفاضلان.

(٢) ولد الأستاذ محمد الحمدان في قرية البير الواقعة في بلاد المحمل شمال غرب الرياض. درس في مدينة الرياض حتى تخرج في كلية الشريعة بالرياض عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م). عمل في العديد من الوزارات والإدارات، ثم تقاعد من العمل الحكومي عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، له الكثير من الاهتمامات الأدبية والصحفية، وكتب عشرات المقالات في المجلات والصحف، وكان عضواً في العديد من المؤسسات العلمية والإعلامية، وأكثر اهتماماته بالتراث. وهو صاحب مكتبة قيس في الرياض، والمتخصصة في جمع النوادر من المطبوعات والكتب والمجلات والصحف القديمة والنادرة. لديه العديد من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة التاريخية والتراثية واللغوية والأدبية والشعرية، وتُرجم له في عدد من الكتب والموسوعات والقواميس السعودية. للمزيد انظر عدد الأسبوع في (مجلة اليمامة) بتاريخ (٢٠٢٤/٤/٤م) تحت مقال (محمد بن عبدالله الحمدان: مؤسس نواة الكتاب المستخدم بالرياض).

(٣) المشوح: هو الدكتور محمد عبدالله المشوح من مواليد مدينة بريدة بالقصيم عام(١٣٨٦هـ/١٩٦٦م). يحمل درجة الدكتوراه في القانون، وعمل في مجال المحاماة سنوات عديدة، ثم أسس (ثلوثية د. محمد المشوح) الثقافية في الرياض. وهي ملتقى ثقافي عام، يستضيف الأدباء والمثقفين وبعض الأعلام الكبار في المملكة، وأسس دار الثلوثية للنشر بالرياض، له العديد من المؤلفات، وكُرِّم في بعض المحافل الثقافية. والأستاذ الحمدان كتب المقال المذكور أعلاه عن الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس الذي استضافه المشوح في مساء يوم الثلاثاء (١٤٣٦/٨/١هـ). ونشرت المقالة في جريدة الجزيرة، عدد (١٥٥٩٨) يوم السبت (٢٦/شعبان/ ١٤٣٦هـ). كما نشرها الأستاذ محمد مُعَبّر في كتابه: مؤرخ تهامة والسراة : غيثان بن علي جريس(ط٢) (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ص٥٤٤.

(٤) كتب الأستاذ محمد الحمدان هذه المقالة ونشرها في (جريدة الجزيرة) السعودية، ملحق الجريدة (المجلة الثقافية) السبت ((١٦/صفر/١٤٣٧هـ الموافق ٢٨/نوفمبر/٢٠١٥م)، العدد (٤٨٠)، ص٢٠ (صفحة أوراق). ثم نشرها الأستاذ محمد مُعَبّر في كتاب : مؤرخ تهامة والسراة: غيثان بن علي بن جريس (الطبعة الثانية)، ص ٥٤٩.

احتوت المقالتان على إعجاب الشيخ محمد الحمدان بجهود الأستاذين محمد مُعَبّر، وغيثان بن جريس التي عرفها واطلع عليها من بعض المؤلفات للاثنين التي أحضرها الدكتور غيثان عندما حضر إلى ثلوثية المشوح[١].

ثم تلا ذلك أن أرسل الأستاذن (ابن جريس، وابن مُعَبّر) مجموعة كتب أخرى هدية من مؤلفاتهما إلى الأستاذ الحمدان فزاد إعجابه، وكتب عنهما وعن كتبهما المقال الثاني، وأثنى عليهما خيراً، وامتدحهما ونشاطهما، وما قدما للساحة العلمية والثقافية[٢].

٣ـ رأيي الشخصي فيهما:

لست الشخص الذي يحكم على أعمال هذين العلمين السعوديين البارزين، (ابن مُعَبّر، وابن جريس) فهناك من هو أفضل مني كتب عنهما كُتب ودراسات، وأيضاً مازلت طالب علم أنهل من علومهما وغيرهما. وكتابة هذه المدونة والرغبة في إنجازها جاءت من خلال الكتب التي وصلتني هدية من أستاذي الدكتور غيثان بن جريس، وقد أشرت إليها في صفحات سابقة من هذا العمل، وكذلك من كتب وأعمال أخرى، للباحثين الجليلين، ثم الرجوع لها والاطلاع عليها أثناء هذا التوثيق، واتضح لي أن هذين الأستاذين فريدان في استغلال وقتهما في ميدان العلم والثقافة والمعرفة، ولو لم يكونا كذلك لما أنتجا لنا هذا الكم الكبير من الكتب والدراسات المختلفة[٣].

في الحقيقة إنني معجب جداً بهذين الباحثين، ومن المؤكد أن مثلي يحمل هذا الشعور والإعجاب، وبخاصة من يبحث عن الجد والاجتهاد والمثابرة وحب القراءة والمعرفة فسوف يجدها من الصفات الأساسية والرئيسية عند الأستاذ محمد بن مُعَبّر، والدكتور غيثان بن جريس.

---

(١) انظر أسماء الكتب التي أهداها ابن جريس للحاضرين في أمسيته التي قدمها في ثلوثية الدكتور محمد المشوح في (١٤٣٦/٨/١هـ).

(٢) من هذه المقالات وغيرها نجد أن الباحثين (ابن مُعَبّر، وابن جريس) لم تقتصر أعمالهما ونشاطاتهما العلمية على جنوب البلاد السعودية، بل تجاوزا ذلك إلى بلدان أخرى عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. ومن يطالع وثائق غيثان بن جريس الخاصة وغيرها من مؤلفات الأستاذين الكريمين يجد صحة ما وثقته وذهبت إليه.

(٣) ينظر إلى الكثير من مؤلفاتهما ضمن فهارس المكتبات الخاصة والعامة داخل المملكة العربية وخارجها. وإن بحثنا في فهارس المكتبات الرقمية، والمنصات الإلكترونية الاجتماعية والعلمية، فإننا نجد لهما ذكراً واسعاً في هذه الوسائل التقنية المتنوعة.

أقول هذا القول وأشعر بالحزن علينا يا معاشر المتعلمين وبخاصة أساتذة التعليم العام والجامعي على ضياع معظم أوقاتنا في كثير من الأمور التي لا فائدة كبيرة فيها، وإن درسنا أحوالنا وواقعنا مع القراءة والتعلم للعلم ذاته، فلا نجد لنا أي اهتمام أو نشاط جيد في هذا المجال، وإن وجد عند بعضنا شيئاً من ذلك فمازال ضعيفاً وصورياً[١].

إن الخير في أمة الإسلام موجود ولن تنقطع البركة (بإذن الله)، ومن المؤكد أن مجتمعاتنا السعودية مليئة بالأخيار والمجتهدين في أداء أعمالهم. والأستاذان ابن جريس، وابن مُعَبّر من هذه النماذج المباركة التي تستغل أوقاتها في خدمة دينها وبلادها بما ينفع الناس، ونسأل الله أن يبارك في كل من عمل واجتهد لرفعة الدين ورعاية البلاد وخدمتها بكل نافع وصالح ومفيد [٢].

رابعاً: في الختام: نتائج وتوصيات:

عندما استعرضت الكتب المهداة لي من أستاذي الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس وجدت أنني أمام قامتين كبيرتين خدمتا العلم والثقافة والبحث العلمي. وكانت منطقة عسير وما حولها من مناطق جنوب المملكة العربية السعودية، محظوظة أن فيها مثل هذين الباحثين المجتهدين. والحمد لله إن بلادنا المملكة العربية السعودية، ومنها أوطان الباحة، وعسير، وجازان، ونجران لا تخلو من أعلام مبدعين في تخصصاتهم ومجالاتهم العملية والعلمية، وذلك بفضل الله (عز وجل)، ثم جهود دولتنا المباركة التي لا تدخر جهداً في تنمية البلاد وتطويرها في جميع مناحي الحياة. ومن يدرس مسيرة التعليم الحديث في أرضنا من منتصف القرن الهجري الماضي إلى وقتنا الحاضر فإنه يدرك الأعمال الكبيرة والجليلة التي قدمتها الحكومة لأهلها حتى صار عندنا أساتذة ورموز مبدعون أمثال الأستاذين اللذين دار الحديث عنهما في هذا المبحث.

المتأمل في أوضاع شبه الجزيرة العربية قبل قيام الدولة السعودية الحديثة، ثم تأسيسها وتطورها يعرف الفرق الكبير الذي عاصره الناس قبل وبعد. ففي السابق كان الجهل والمرض والفقر والصراعات الأهلية وفقدان الأمن هو السائدة في كل مكان. وبعد توحيد البلاد تحت مظلة دولة عادلة، تبدلت جميع السلبيات القديمة إلى إيجابيات،

---

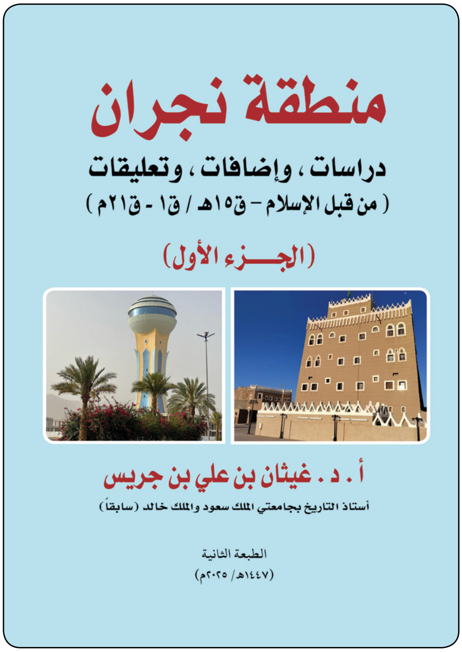
(١) أكتب عن واقع حقيقي، وهذا مما عرفته ومازلت أعاصره منذ بدأت تعليمي الجامعي حتى وقتنا الحالي. وتلك ظاهرة يعيشها أغلب المعلمين والمتعلمين.

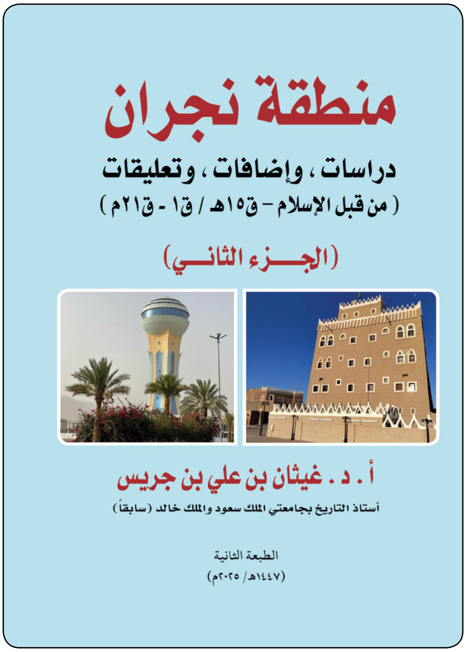
(٢) اجتهدت في رصد ما توصلت إليه من انطباعات وقناعات عن هذين الرجلين (ابن جريس ،وابن مُعَبّر)، وأرجو أن أكون أصبت فيما سجلت.

وتقدمت البلاد في كل شـيء، وتطور الإنسـان السـعودي حتى صـار ذا مكانة ووظيفية إيجابية (مدنية وعسكرية)، وترقى في سلم المعرفة والعمل حتى أصبح أبناء هذا الوطن (ذكوراً وإناثاً) يساهمون في خدمة وتطوير حياتهم وأوطانهم .

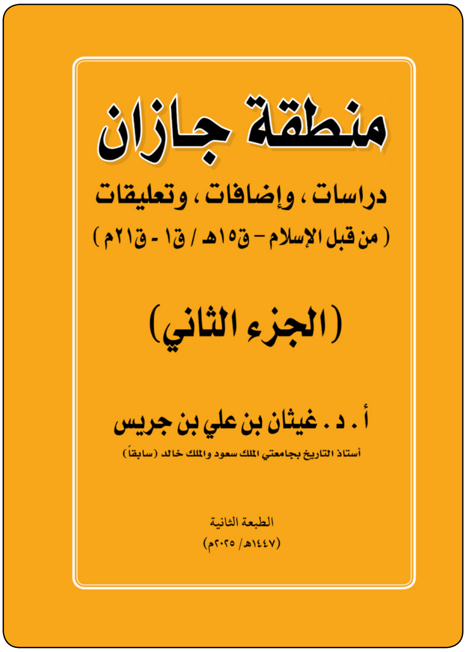
إذا كنت ركزت في ورقتي هذه على أسـتاذين منتجين علمياً وبحثياً، فذلك ناتج عن اهتماماتي العلمية وتخصصي في التاريخ الحديث، ثم الإعجاب بأعمال هذين العلمين. ومـن يبحث عن أعـلام آخرين تميـزوا في أعمالهم وخدماتهم لبلادهم، فسـوف يجد الكثير من البشـر (نسـاءً ورجالاً) قدموا جهوداً كثيرة ومتنوعة، وكل ذلك بفضـل الله ثم الخطط والسياسـات الحكيمة للمملكة العربية السـعودية التي جعلت تنمية وتطوير الإنسـان السـعودي ركيزة مهمة وأساسية منذ عصـر الموحد الملك عبدالعزيز آل سعود (رحمه الله) إلى عصـرنا الحاضـر الزاهر في عهد خادم الحرمين الشـريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود .(حفظه الله).

في النهاية أوصـي كل من عنده القدرة في مجال عمله وعلمه وتخصصـه ألّا يركن للتقاعس والكسـل ، ويقدم ما يستطيع تقديمه لخدمة الأرض وأهلها. وفي مقدمة أولئك أصـحاب العلم والقلم والثقافة، فهم يدركون ما للمعرفة من فوائد على الفرد والمجتمع وعمـوم الوطـن. كما أرجـو من مؤسسـاتنا الحكوميـة والأهلية وعلى رأسـها جامعاتنا وقطاعـات التعليم أن تدعم وتشـجع كل المبـادرات والجهود التي تعـود بالنفع والبركة على البلاد والعباد. وعلى كل واحد منا أن يستشعر أهميته ومسؤولياته لنفسه وللصالح العام ، ثم يعمل ويجتهد في العمل والإنتاج المثمر.


منطقة نجران
دراسات، وإضافات، وتعليقات
(من قبل الإسلام – ق١٥هـ / ق١ - ق٢١م)
(الجـــزء الأول)
أ. د. غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ بجامعتي الملك سعود والملك خالد (سابقاً)
الطبعة الثانية
(١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م)

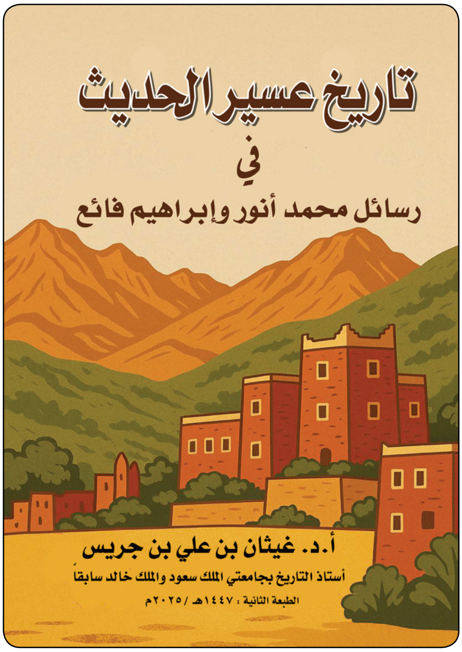

منطقة نجران
دراسات، وإضافات، وتعليقات
(من قبل الإسلام – ق١٥هـ / ق١ - ق٢١م)
(الجـــزء الثانـــي)
أ. د. غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ بجامعتي الملك سعود والملك خالد (سابقاً)
الطبعة الثانية
(١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م)

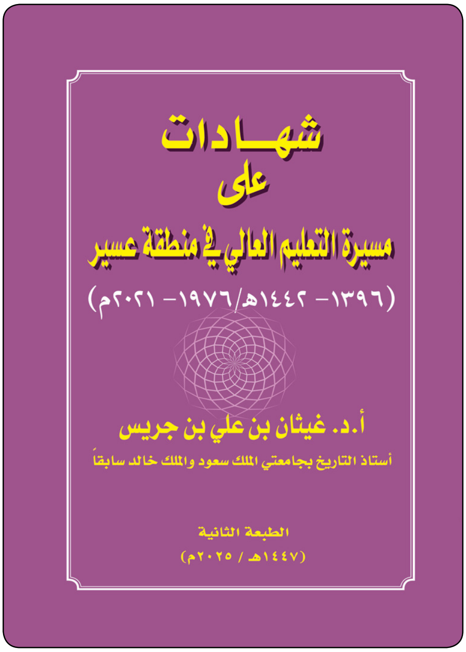

منطقة جازان
دراسات، وإضافات، وتعليقات
(من قبل الإسلام – ق١٥هـ / ق١ - ق٢١م)
(الجزء الأول)
أ. د. غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ بجامعتي الملك سعود والملك خالد (سابقاً)
الطبعة الثانية
(١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م)


منطقة جازان
دراسات، وإضافات، وتعليقات
(من قبل الإسلام – ق١٥هـ / ق١ - ق٢١م)
(الجزء الثاني)
أ. د. غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ بجامعتي الملك سعود والملك خالد (سابقاً)
الطبعة الثانية
(١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م)


مراجعات تاريخية ومقاربات
نقدية في تاريخ وحضارة
جنوبي البلاد السعودية
الجــزء الأول
أ . د . غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ بجامعتي الملك سعود والملك خالد (سابقاً)
الطبعة الثانية
(١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م)


مراجعات تاريخية ومقاربات
نقدية في تاريخ وحضارة
جنوبي البلاد السعودية
الجــزء الثانــي
أ . د . غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ بجامعتي الملك سعود والملك خالد (سابقاً)
الطبعة الثانية
(١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م)


تاريخ عسير الحديث
في
رسائل محمد أنور وإبراهيم فائع
أ.د. غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ بجامعتي الملك سعود والملك خالد سابقاً
الطبعة الثانية: ١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م


شهــادات
على
مسيرة التعليم العالي في منطقة عسير
(١٣٩٦- ١٤٤٢هـ/١٩٧٦- ٢٠٢١م)
أ.د. غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ بجامعتي الملك سعود والملك خالد سابقاً
الطبعة الثانية
(١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م)

القول المكتوب
في تاريخ الجنوب

(موسوعة تاريخية حضارية)

(ق١ - ق ١٥هـ/ ق ٧ - ق ٢١م)

الجزء الحادي والثلاثون

أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ بجامعتي الملك سعود والملك خالد سابقاً

الطبعة الأولى

(١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م)

الرحلات والرحالة
في
الجنوب السعودي

في مؤلفات غيثان بن جريس

(ق٢ - ١٥هـ / ق٨ - ٢١م)

الجزء الثالث

محمد بن أحمد مُعَبر

(١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م)

الرحلات والرحالة
في
الجنوب السعودي

في مؤلفات غيثان بن جريس

(ق٢ - ١٥هـ / ق٨ - ٢١م)

الجزء الرابع

محمد بن أحمد مُعَبر

(١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م)

خامساً: قـراءة وتصويبـات علـى كتاب: (عسـير في الوثائـق العثمانيـة: ١٣٠٠ـ ١٣٢٧هـ/١٨٨٢ـ ١٩٠٩م).[(١)] . بقلم. أ. عبدالله بن ظافر بن علي القشيري[(٢)] .

الحمد لله وحده والصـلاة والسـلام على من لا نبي بعده، أما بعد: سررت بصدور كتاب: **عسير في الوثائق العثمانية** خلال الفترة الممتدة بين العامين الهجريين (١٣٠٠و ١٣٢٧هـ)، هـذا العمـل التوثيقي المترجـم الذي قام عليـه الدكتور غيثـان بن جريس، وشـاركه في إعداده الدكتور رشاد بن عبدالله الشهري، والدكتور أنعم محمد الكباشي، ولعلمـي رغبة الدكتور غيثان في نقد أعماله التوثيقية من الدارسـين والمهتمين والقراء، وذلـك مما يثري العمل ويزيده رصـانة. ولي بعض الآراء التي سـجلتها في هذه القراءة التصويبية .

استمر النفوذ العثماني على عسير قرابة نصف قرن من الزمان، وما كُتب خلال هذه السنين ــ لاشك ــ كثير من المخطوطات والوثائق ، والمذكرات، والسجلات، والفرمانات والمراسـلات، إلخ، التي تزخر بها خزائن الأرشـيف العثماني، واقتصـر المترجمون لهذا العلم على ما ورد وكتب من الوثائق خلال الفترة التي بينوها في عنوان الكتاب وتمتد لمدة سبع وعشرين عاماً من (١٣٠٠ــ ١٣٢٧هـ/١٨٨٢ــ ١٩٠٩م) عدا أعوام يسيرة.

مـن المؤكـد أن تلـك المكاتبات ليسـت إلا جزء يسـير مـن الزمن الذي بسـط فيه العثمانيون سلطانهم على عسير الممتدة في التنظيم الإداري العثماني من ميناء القنفذة في تهامة إلى جازان وما حولها جنوب، وما بين أطراف بلاد زهران السروية شمالاً إلى نهاية بلاد قحطان جنوباً، وهذه منطقة جغرافية واسـعة تضـم الجزر والساحل، وغور تهامة، وأصدار الجبال، وجبال السروات، والسهول الشرقية لبلاد السروات[(٣)] .

اعتمدت السـلطنة العثمانية بالأسـتانة مدينة أبها عاصـمة للمتصـرفية في عسير يتبعهـا العديد من الأقضـية الإدارية، وفي أبها مقر المتصـرف العثماني، وقائد الجيش منذ بداية إحكام القبضـة العثمانية على بلاد تهامة والسـراة، وتولى إدارة المتصـرفية العديد من المتصـرفين، والقادة العسكريين، ومعظمهم برتبة فريق أو لواء . ومنهم من اسـتمر المدة المقررة له وآخرون تم عزلهم بسـبب ضـعفهم، أو سـوء استخدام السلطة والبطش الذي مارسـوه على السـكان، ممـا جعل الثـوار لا يكفون عـن خروجهم على

(١) يقع الكتاب في مجلدين للدكتور غيثان بن جريس وآخرين . ومادته مجموعة وثائق عثمانية تم ترجمتها إلى اللغة العربية ، مطبوع في دار ديوان العرب للنشر والتوزيع، مصر، (١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م).

(٢) الأسـتاذ القشيري. من منسـوبي التعليم العام، له العديد من الدراسات المطبوعة والمنشورة، وعلى قدر كبير من اللطف وحسن الخلق، للمزيد انظر: غيثان بن جريس. بلاد بني شهر وبني عمرو،ط٤، ط٢٥٢. (ط٤)، ص٢٥٢. للمؤلف نفسه، مراجعات تاريخية ومقاربات نقدية، ط٢، ج٢(الدراسة الرابعة والثلاثون)، ص٢٢٥ وما بعدها.

(٣) مازالـت هذه البلاد خلال المتصـرفية العثمانية في عسـير بحاجة كبيرة إلى دراسـات علمية جادة تعتمد بالدرجة الأولى على الوثائق العثمانية.

الحكومة العثمانية التي تكبدت خسائر كبيرة من الجنود والعتاد.

وخلال نصف قرن من النفوذ العثماني ، وتماشياً مع كافة الأحداث في المتصرفية، فإنه جرى تبادل الكثير من الرسائل ، والبرقيات، وصدر العديد من القرارات الـ (فرمانات) والأوامر بين أبها وولاية اليمن، وبين أبها واستانبول ، وقد بلغت في الأرشيف العثماني مبلغاً ضخماً . وقام الباحثون باختيار (٤٢٤) وثيقة مما له صلة بتاريخ أحداث هذه المنطقة التي نجهل كثيراً منها لأسباب كثيرة ليس هنا محل بسطها، وهذه الوثائق المختارة كشفت جوانب عديدة من ذلك، وأبانت لنا أموراً لم نكن نعرفها لولا ترجمة هذه المصادر الوثائقية.

(*) ونجد في هذا العمل، بالرغم من أهميته، بعض السلبيات التي قد تؤخذ على المترجمين الباحثين، ومنها :

١- عدم تحقيق مادة الوثائق تحقيقاً علمياً وتمحيص ما ورد فيها من معلومات، واكتفوا فقط بالترجمة الحرفية لنصوصها، إلا إنا ندعو الله أن يمنح المترجمين، أو باحثين آخرين في القريب العاجل القدرة والعون على أن يقدموا تحقيقاً ودراسة رصينة لهذه الوثائق تحيط بكل ما ورد فيها من جوانب[1] .

٢- لم يحرص المترجمون أثناء صف الكتاب وطباعته مقابلة صورة الوثيقة مع الترجمة في معظم الكتاب بحيث تكون في صفحتين متقابلتين، بل وجدت أن معظم (صور الوثائق) في صفحة بينما في الصفحة المقابلة (ترجمة لوثيقة أخرى) ، وهذا أمر مزعج للقارئ، والأفضل أن تكون الوثيقة في الصفحة المقابلة للترجمة .

٣- من السلبيات أيضاً أن صور الوثائق صغيرة مما يجعل قراءاتها أو التمعن في كلماتها عسيراً، وحبذا لو كانت أوضح من ذلك.

٤- لم يوضح الباحثون المترجمون في المقدمة وفي خطة العمل هل الترجمة حرفية كما كتبت في الأصل، أم أنهم فقط ترجموا خلاصة الوثيقة ومضمونها.

هذه الملاحظات لا تقلل من جهد المترجمين، ولا من أهمية العمل الذي قدموه لنا، بل لهم منا جزيل الشكر، إذ قدموا للباحثين والقراء مادة علمية كبيرة وفيها الكثير من الموضوعات الثرية، التي ستفتح للمؤرخين آفاقاً واسعة، وتنير لهم الطريق إلى مزيد من البحث والتحقيق، وسبر أغوار تاريخ المنطقة في جوانب متعددة على امتداد خارطة المتصرفية في تهامة أو جبال السروات، وبقية نواحيها في عسير، والباحة، وجازان. والدارس لنصوص

---

(١) الكلام الذي أورده صاحب القراءة صحيحة، ونرجو أن نرى باحثين جادين يقومون على دراسة وتحليل هذه الوثائق . (ابن جريس).

هذه الوثائق سيجد كماً كبيراً من المادة العلمية التي لا توجد في غيرها من المصادر.

أكدت العديد من الوثائق العثمانية اشـتعال الثورات الأهلية المستمرة، ونفور القبائل أفراداً وجماعات من الوجود العثماني في بلادهم . وزاد من ذلك التنافر اسـتبداد الولاة والقادة العسكريين والجند، وإساءة استخدامهم السلطة ضد الأهالي وأموالهم وكرامتهم في وطنهـم في ظـل بُعدهـم عن مقـر السـلطنة في (الأسـتانة) وعدم وصـول تذمرهم وشـكواهم للخليفة أو الصـدر الأعظم، ويؤكد ذلك ما ورد من صـدور بعض القرارات/ الفرمانات، بعزل بعض القادة أو المتصرفين من مناصبهم واستبدالهم بغيرهم، أو نقلهم لأماكن أخرى لما ثبت من سـوء إدارتهم ونفور الأهالي منهم، مما جعل الثورات لا تنطفئ في أجزاء كثيرة، أو بسـبب فرض الإتاوات والضـرائب الجائرة على الناس، وعدم وجودٍ أي رعايـة أو خدمات للسـكان، وهذا مما جعلهم يرون أن السـلطات العثمانية باتت عبئاً لايطاق، ولم يجدوا منها إلا القمع وسلب الحرية والاستيلاء على الأموال.

لعـل هـذا النفور الشـعبي مـن الوجود العثماني في عسـير جعـل بعض الـولاة يميلون لمنحى آخر فيدعون السـلطات العليا، بحسـب بعض الوثائق المترجمـة، إلى إخراج الأهالي من بداوتهم، والعمل على نشـر العلم والمدارس، وإلحاق أبنـاء البدو بها، وتم افتتاح (١٢) مدرسة، ومنها مدرسة في أبها، وتلك محاولة تغيير النظرة القبلية للوجود العثماني المستبد.

أشـارت الوثائق أن السـلطات العثمانيـة وقعت بين نارين: ثـوار الداخل، والتدخل الأجنبـي الإنجليـزي/ الإيطـالي في البحر الأحمر وسـاحله الغربـي في إفريقيا، وكان من أسـباب استمرار الثورات القبلية على الساحل الشـرقي من البحر الأحمر، التغلغل الإنجليزي، والإيطالي ودعم الثوار بالأسلحة، وتهريبها لهم من ميناءي سواكن، ومصوع الإفريقيين، وما تبع ذلك أيضاً من التقارب مع الإمارة الإدريسية في صبيا.

الـذي اسـترعى انتباهي في الوثائـق ما ورد في الوثيقـة رقم(٤١) بأن بيشـة كانت في التنظيـم الإداري العثمـاني (ناحية) تابعة لقضـاء بني شـهر الملحق بالمتصـرفية في أبها. كذلـك كثرة الوثائـق من مكاتبات وبرقيات وتقارير أشـارت إلى تعرضـ بعض الأماكن في قضاء بني شهر لبعض الأمراض، كالطاعون، والكوليرا، وهذا مما جعل السلطات العثمانية المحلية تتخذ بعض الاحترازات الصحية الضعيفة كالحجر، ومنع خروج المرضى من منطقة الوباء، واسـتدعاء الأطباء المتوافرين لبحث الأسباب، ووضع التوصيات، خاصة في مواسم الحج لئلا يتم نقل الوباء لحجاج البيت الحرام، والرفع بما تم حيال ذلك لسلطة المتصرفية وسلطات الولاية، وهي بدورها تخاطب الصدارة العظمى في العاصمة استانبول.

لاحظت وجود خطأ مطبعي يسـير، إذ كُتب التاريخ في المقدمة ص(١٥)، السـطر الـ

(٥) (١٩٩٣م) بينما صوابه (١٨٩٣م). وورد اسم عقبة الصماء خطأ في نص الوثيقة بـ (عقبة حما) وتكرر الخطأ في ترجمة الوثيقة (٦٣) وصوابه «عقبة صماء» أو «عقبة الصماء» لأن العجم لا ينطقون ال التعريف العربية. وجاء في الوثيقة (٧٧) و(٩٤) وغيرها اسم (ولجة) اسم مكان والصواب (اللحية) وهو ميناء يمني قرب ميناء الحديدة اليمني.

ذكرت بعض الوثائق عصيان وتمرد ضباط وجنود الجيش العثماني على القيادة في متصرفية عسير، وعدم الطاعة، أو امتثال الأوامر، وتركهم حمل سلاحهم، وقام بعضهم بنزع الأنواط والأوسمة الممنوحة لهم من مقام الخليفة العثماني، بسبب التأخر في صرف معاشاتهم، وسوء الرعاية، وطول مُكثهم بعيداً عن أهاليهم، مما وضع متصرفية عسير في حرج بالغ أمام الولاية في اليمن، والسلطة المركزية في استانبول، وسعياً لحل هذا الانفلات العسكري الخطير دعا المسؤولون بأبها للاستعانة بما يأتي من دعم مالي وعيني من لواء الحديدة لسد العجز المالي في لواء عسير، وكانت القيادة في متصرفية عسير تلجأ إلى سد العجز المالي بما يتم جمعه من جباية الضرائب الزراعية والتجارية في لواء الحديدة الساحلي[(١)].

هنالك عناوين كثيرة تستحق من الباحثين والمؤرخين بحثها والإفادة منها في بحوث مستقلة. ومن ذلك ما ورد في الوثائق من مصطلحات إدارية عديدة، ومنها «ولاية» و «لواء» و «متصرفية» و «قائمقامية » و «قضاء» و «سنجق» و«ناحية» .ووظائف بعض المسؤولين: «كالوالي» و» المتصرف « و»القائمقام» و « مدير ناحية». وبعض المصطلحات الخاصة بالمؤسسات الإدارية في الدولة العثمانية، مثل: « دائرة الصدارة العظمى» و» نظارة الداخلية» و»نظارة البحرية»، و «نظارة الصحة» و «نظارة الشؤون المالية» و «مشيرية الضرائب» و»أمانة الضرائب» و»دائرة المكاتبات» و»إدارة التبغ». وكذلك بعض الألقاب كالباشا، و»الأغا»، و «البيك»، و»الأفندي»، و «الياور» و « القومندان» و «آغا طابور»،و «ناظر الصحة». وكذلك عبارات تعظيم كبار المسؤولين، مثل: صاحب المقام العالي الصدر الأعظم، وصاحب المقام العالي قائد الجيش، وصاحب الفخامة.

لا يسعني إلا تقديم الشكر والتقدير لمترجمي هذا العمل الثري وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس الذي عرفنا حرصه على تلمس مواطن الضعف أو الخلل في نتاجه العلمي، وقبوله للنقد البناء والبعيد عن المدح والثناء، وما ذلك إلا لحرصه للوصول إلى مادة علمية رصينة وشمولية نافعة لكل من تلقفها من طلاب العلم والباحثين. والله الموفق وصلى الله وسلم على رسول الله[(٢)].

---

(١) في الحقيقة أن الوثائق العثمانية مليئة بمواد علمية جديدة تعكس صفحات من تاريخ السروات وتهامة في القرنين (١٣ـ ١٤هـ/ ١٩ـ٢٠م)، وهذه المصادر جديرة أن تُجمع وتترجم .

(٢) أشكرك يا أستاذ عبدالله القشيري على كل ما قمت بدراسته وتصويبه، وآمل أن نرى مؤرخين باحثين





جادين يدرســون تاريخ أوطانهم (تهامة والســراة) دراســة علمية جادة وشـفافة وحيادية ورصينة، والله الهادي إلى سواء السبيل.

القســـم الثالــث

مقالات تاريخية وحضارية مختصرة عن السروات وتهامة خلال العصرين الحديث والمعاصر (الجزء الثالث)

القسم الثالث

مقالات تاريخية وحضارية مختصرة عن السروات وتهامة خلال العصرين الحديث والمعاصر (الجزء الثالث).

أولاً: مدخل:

الحمد لله الواحد الفرد الصمد، والصلاة والسلام على خير البشرية الرسول الكريم محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب عليه أفضل الصلاة والسلام ... وبعد:

هذا القسم الموسوم بـ: **مقالات تاريخية وحضارية مختصرة عن السروات وتهامة خلال العصرين الحديث والمعاصر (الجزء الثالث)**، تكملة لجزأين سبق نشرهما في مجلدين من كتاب: **موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب**[1].

(١) الجـزء الأول يحتوي على (١٥) مقالة منشورة في (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء الثلاثون) (الطبعة الأولى، ١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، ص٤٧٥ـ٥٦٠. والجزء الثاني تم نشره في الموسوعة نفسها . (الجزء الحادي والثلاثون) (الطبعة الأولى ، ١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) ص ٣٣٧ـ ٤٨١، ويحتوي على (٢٢) مقالة أيضاً .

أشرت في الجزأين السابقين إلى بعض الأهداف من نشر هذه المقالات المختصرة، ومازلت مستمراً في توثيق هذه المدونات القصيرة التي تناقش عناوين وموضوعات تاريخية وحضارية قديمة أو إسلامية مبكرة، ووسيطة، وحديثة، ومعاصرة عن جزئيات من تراث وحضارة وتاريخ بلاد تهامة والسروات الواقعة بين اليمن والحجاز. والناظر والقارئ لهذه المنشورات يلمس الاختصار الشديد في المادة العلمية المدروسة والمعروضة مع أنها عناوين كبيرة تغطي فترات طويلة وبلاد مترامية الأطراف(١).

هذا الجزء الثالث يحتوي على (١٥) مقالة متنوعة، وتناقش موضوعات اجتماعية، ودينية ودعوية، واقتصادية ، وعلمية وثقافية وإعلامية جميعها تدور في فلك السروات وتهامة في العصرين الحديث والمعاصر، ما عدا المقال رقم (١٣) وعنوانها: **وقفة مع الابتعاث ماله وما عليه من خلال التجارب والمشاهدات (أمريكا وبريطانيا أنموذجاً).** وقد ينتقدني البعض ويقولون ماعلاقة هذه المقالة بالعنوان الرئيسي للمقالات وجميعها عن تهامة والسراة، ومن يقول ذلك فهو على حق إذا تم إخضاع توجه القسم لأحكام علمية منهجية دقيقة وصارمة، لكن من الأسباب التي جعلتني أدرج هذه المدونة في هذا المكان، هي:

١- أنا ابن بلاد السراة ففيها ولدت وعشت معظم سنوات عمري، وإذا كنت صاحب التجارب والمشاهدات المدونة في المقالة، وزمانها ومكانها في بلاد الغرب، فمازلت الإنسان السعودي السروي الذي يسعى بكل ما يستطيع إلى خدمة بلاده وأهلها، المملكة العربية السعودية بشكل عام، وأوطان السروات وتهامة على وجه الخصوص(٢).

٢- لست إلا فرداً أو نموذجاً مصغراً من آلاف الطالبات والطلاب السعوديين الذين تم ابتعاثهم إلى بلدان كثيرة في العالم، وقد حازت بلدان العرب وبخاصة أمريكا وبريطانيا على النصيب الكبير من المبتعثين السعوديين من ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م). ولو بحثنا عن نسبة

(١) مثل هذه الموضوعات الكبيرة في عناوينها لا تتوافق مع المنهج العلمي البحثي الرصين، وربما لا تصلح عناوين لرسائل جامعية، أو بحوث علمية تنشر في مجلات محكمة، لكنها من الميادين المهمة التي تستحق الخدمة العلمية البحثية في أعمال توثيقية كبيرة، وذلك لأهمية المكان والزمان الذي أشارت إليه.

(٢) نعم أشعر بالفخر والاعتزاز إلى انتمائي أباً عن جد إلى أرض السروات، وإلى بلاد الحجر تحديداً. وهذه الديار جزء من شبه الجزيرة العربية ومن كيان المملكة العربية السعودية . ومن يدرس أحوال سكان تهامة والسراة منذ العصر القديم إلى وقتنا الحاضر فإنه سيجد الكثير من رجالها الذين خرجوا من أوطانهم الأصلية إلى بلدان عديدة في قارات العالم، ومن ثم ساهموا في بناء الحضارات العربية والإسلامية وأيضاً الأجنبية. آمل أن نرى مؤرخين جادين منصفين يدرسون أسفار وهجرات التهاميين والسرويين عبر أطوار التاريخ مع التركيز على الأدوار والإسهامات التي قاموا بها في بلدان العالم وبخاصة منذ فجر الإسلام إلى وقتنا الحاضر.

الطالبـات والطلاب التهاميين والسـرويين المبتعثين لوجدنـا أعدادهم كثيرة جداً، وهذا الذي عرفته وقرأته وشـاهدته من تسـعينيات القرن الماضـي إلى الآن. ونشر مثـل هذه المقالة في هذا القسـم وفي موسـوعة (القول المكتـوب في تاريخ الجنوب) قـد تجعل بعض المبتعثات والمبتعثين من جنوب المملكة العربية السـعودية يطلعون على ماتم رصـده وتوثيقه ثم يكتبون شيئاً مما عاصروه وعرفوه ليس في بريطانيا أو أمريكا، لكن في أي بلد أو دولة تم ابتعاثهم إليها وعرفوا شـيئاً من تاريخ وحضـارة تلك الأوطان، وكيف كانت أوضاع الطلاب المبتعثين من السعوديين والعرب والمسلمين عندما كانوا في رحلة الابتعاث[(١)].

٣- شـعرت بالغبطة والسعادة عندما استذكرت مرحلة الابتعاث خلال العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م)، وبالتالي رأيت أن أشـارك معلومات تلك الرحلة العلمية غـيري من أبناء بلادي في تهامة والسـراة، ثم أنشـر هذه المدونـة في أعمال علمية عديدة ورقية ورقمية حتى يعم انتشارها والاستفادة منها[(٢)].

بقية المقالات الأخرى، وعددها أربع عشـرة مقالة تاريخية وحضـارية عن ميادين عديدة في الديار السـروية والتهامية (من الطائف ومكـة المكرمة إلى جازان ونجران) خلال القرنين (١٤ـ١٥هـ/ ٢٠ـ٢١م)، وبعضـها سـبق نشرها مع مواد علمية أخرى في بعضـ مؤلفاتي المطبوعة والمنشـورة، وأخرى جديدة، وكلها مـن إعدادي ما عدا المقالة رقم (١٤) فصاحبها أحد المعلمين والصحفيين السرويين. أرجو أن يكون في هذا العمل فائـدة للقـراء والباحثين، كمـا أرجو أن نـرى في قادم الأيـام من يدرس عناوين هذه المقالات في أعمال علمية بحثية مطولة وتفصـيلية، وهي تسـتحق ذلك. وصل الله وسلم على رسول الله.

---

(١) يوجد العديد من الكتب والبحوث التي أرخت لمجال الابتعاث السعودي إلى بلدان عربية وإسلامية وأجنبية من منتصـف القـرن الهجـري الماضـي إلى الآن. وإن بحثنا عن تاريـخ ابتعاث السـرويين والتهاميين من القـرن (١٤هـ/ ٢٠م) إلى وقتنا الحاضـر. فلا نجد أي أعمال علمية جادة ورصـينة في هذا الميدان. وآمل من طالباتنا وطلابنا في برامج الدراسـات العليا، ومن أسـاتذة جامعات جنوب المملكة العربية السـعودية وبخاصة المؤرخين أو الذين ابتعثوا للدراسة داخل البلاد أو خارجها أن يوثقوا شيئاً مما عرفوه أو عاصروه أو درسوه في مصادر ومراجع مختلفة.

(٢) لم تكن هذه المقالة الوحيد التي تم إنجازها، مع أنها كانت في البداية محاضرة في مجلس علمي اجتماعي، ثم نشـرتها في عدد من الصحف الرقمية، وأخيراً نشرتها في (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب). وسـبق هذه الورقة أن أصدرت كتاباً في (٤٠٦) صفحة بعنوان: ذكريات طالب مبتعث في أمريكا وبريطانيا (١٤٠٠ـ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٠ـ١٩٨٩م) (انطباعـات ومشـاهدات) (الطبعة الأولى، ١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م). وآمل أن أصدر أعمالاً أخرى عن رحلاتي العلمية إلى بلدان عربية وإسلامية وأجنبية.

ثانياً : مقالات تاريخية وحضارية مختصرة عن السروات وتهامة خلال العصرين الحديث والمعاصر (الجزء الثالث).

١ ورقات من تاريخ الأسرة والقرية في جنوب السعودية (تهامة والسراة) خلال العصر الحديث

بقلم. أ.د. غيثان بن علي بن جريس[(١)] .

إن نـواة أي مجتمـع الفرد (الأفراد) ، والأسـرة. وتاريخ الحياة الأسـرية في تهامة والسراة محكومة بالكثير من الأعراف والتقاليد الزمانية والمكانية. فالتضاريس والمناخ والموارد الطبيعية، والأحداث التاريخية (السياسية والحضارية) تشكل التركيبة الأسرية بجميع شرائحها البشرية. وأثناء اطلاعي وقراءاتي في علوم التاريخ وغيرها من العلوم الإنسـانية، بالإضافة إلى مشـاهداتي ورحلاتي، وجدت أن الأسـرة السروية والتهامية تختلف أوضـاعها وظروفها من مكان لآخر. فالأسـرة الريفيـة أو البدوية يتعاون جميع أفرادها في كسـب أرزاقهم. فإذا كانت مهنتهم الرئيسـية الترحال والجمع والالتقاط، والصـيد والرعي، فهم يتوزعون الأدوار. وأعمال الرعي هي الأكثر ممارسة عند الأسر البدويـة. فهناك مـن يقوم بحرفة الرعي طـوال النهار، وأحياناً يتناوب أفراد الأسـرة أو الأسـر المتقاربـة ويقوم الرجال (كباراً وصـغاراً) بأعمال الرعي، وقد يشـاركونهم النسـاء أحياناً، والمرأة غالباً تقوم بالخدمة المنزلية في المنازل المصـنوعة من الصوف، ثم العشش من القش والأخشاب، وأحياناً من الزنك والحديد.

إذا بحثنا عن مستوى معيشة الأسرة البدوية خلال القرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م) وجدناها بسـيطة جداً في جميع مكوناتها المادية ، ثم نمت تدريجيًّا مع التطور الحضـاري الحديث الذي تعيشه البلاد السعودية، وتلاشت حياة البادية بنسبة كبيرة، وتحولت أعمال الأسر البدويـة من مزاولـة الرعي والتنقل إلى حيـاة التمدن والمدنية في شـتى مناحي الحياة. والوضع نفسه جرى مع البدو في السروات والأجــزاء التهامية السهلية والساحلية .

إن حيـاة الأسـر في القـرى، والأريـاف، والمـدن أفضـل مـن الحيـاة البدويـة، لاستقرارهم في منازل ثابتة مبنية من الطين والحجارة، أو من الطين. وأحياناً يعيشون

(١) مقالة منشـورة في صـحيفة النماص اليوم الرقمية ، بتاريخ (١٧/أغسطس /٢٠٢٥م). ومنشورة أيضاً في موقع رابطة أدباء الشام الإلكتروني، صحيفة وسوم، عدد (١١٣٠) (٢٠٢٥/٩/٧م).

في بيوت من القش والأخشــاب وأغصان الشجر وبخاصــة في الأجزاء التهامية السهلية والســاحلية الممتدة من مكة والليث إلى جازان، أو في حواضــر الســروات الشــرقية مثل تربة، ورنية، وبيشة وغيرها.

أما الســروات الممتدة من نجران وقحطان إلى الطائف فأغلب منازلهم من الطين والحجارة. وحرفهم الزراعة، وبعض الأعمال والمهن الاقتصــادية الأخرى. هكذا كانت أحوالهم خلال القرون الإســلامية الماضية إلى منتصــف القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومنهم نسبة قليلة عملوا في الأعمال التجارية أو الإدارية (المدنية والعسكرية).

بعد قيام المملكة العربية السعودية بدأت أحوال الأفراد والأسر التهامية والسروية، تتحســن ماديًــا ومعنويًّا، مع أنهــم بقوا يمارســون أعمالهم التقليديــة (زراعة، ورعي، وتجــارة، وحــرف وصــناعات يدوية عديــدة)، وأثناء مســيرة عجلــة البنــاء والتطوير الحضــاري الحديث والمعاصــر بــدأ أفراد الأســرة (الأســر) ينخرطــون في الكثير من الأعمــال والوظائف المتنوعة، بالإضــافة إلى تطوير أنفســهم معرفيًّــا، وماليًّا، وثقافيًّا، وتعليميًّا، ووظيفيًّا. وزادت وتيرة تطوير الأرض والإنســان خلال العقود الخمسة الماضية (١٣٩٦- ١٤٤٦هـ/١٩٧٦-٢٠٢٤م)، وجرى الكثير من التحولات في حياة الفرد والأسرة في أرجاء البلاد السعودية. والسرويون والتهاميون جزء صغير من هذا الكيان الكبير.

<u>(*) في النقــاط التالية أرصد شيئاً مـن تاريخ الأسرة من بداية القرن (١٤هـ/ ١٩م) إلى وقتنا الحالي (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، وهي على النحو الآتي :</u>

١- تواضــع الحيــاة الاقتصــادية، وفقــدان الأمــن، والصــراعات القبلية المحليــة، أو الصــدامات العســكرية التي جرت على تــراب هذه البلاد خلال القــرون الهجرية الماضــية جعل الأفراد والأســر في كل مكان يلتفون حول بعضــهم مــن أجل التقارب روحيًّا وجســديًّا، والتكاتف والتعاون في ممارسة أعمالهم وكسب أرزاقهم، والدفاع عــن أهلهم وأنفســهم مما يحيط بهم من رزايا بشــرية وحيوانيــة أو طبيعية، وإلى عهد قريب كان رجال ونساء الأسرة، أو القرية لا يذهبون بعيداً من محيط أسرهم وقراهم حتى في الزواج والمصاهرة وغيرها. ونادراً قديماً ترى فرداً أو أسرة تترك أرضها الأساسية، وتخرج من مكانها الذي ولدت وعاشت فيه. وكان هذا النمط من الحياة قويًّا وعميقاً في المســتوطنات البدوية والقرى والأرياف. أما المدن الرئيســية مثل: الطائف، والقنفذة، وبيشــة، وأبها، وخميس مشــيط، وجازان، وصبيا وغيرها فالقاعدة الأســرية والاجتماعية أكثر اتساعاً اجتماعيًّا واتصالاً بغيرها من البلدان

الأخرى الصغيرة. ومن بعد الخمسينيات في القرن (١٤هـ/ ٢٠م) بدأت تتوسع تدريجيًّا مجالات العلاقات بين الأفراد والأسر في كل مكان، ومن التسعينيات في القرن الهجري الماضي إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) تغير الوضع الأسري بشكل كبير جداً، وفي كل الاتجاهات الداخلية والخارجية.

٢- قرأت وسمعت وشاهدت بعض الأوضاع الفردية والأسرية خلال القرن الهجري الماضي، وهذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ـ٢١م). واتضح أن الأوائل كان عندهم الكثير من المثل والقيم الأسرية الراسخة، مثل: قوة التقارب بين أفراد الأسرة الواحدة، أو الأسر المتقاربة في المنزل أو القرية. فالأب والأم، أو الجد والجدة هم أصحاب الكلمة الفصل فيما يتعلق بشؤون أفراد أسرهم (صغاراً وكباراً) في شتى الجوانب. ناهيك عن الاحترام والتقدير من الصغار للكبار، والعطف والرحمة من الكبار للصغار، والتربية الجيدة التي يتميز بها أفراد الأسر تجاه أي فرد كبير ذكراً أو أنثى في الأسر المجاورة أو عموم القرية، فالأبناء والبنات يرون الآباء والأمهات في الأسر الأخرى مثل آبائهم وأمهاتهم الحقيقيين، فلا ينادونهم إلا بأحسن الألقاب مثل: الخال أو الخالة، أو العم أو العمة. وفي بعض النواحي من الديار التهامية والسروية ينادى الإنسان الكبير في القرية أو العشيرة باسم (أمي) للمرأة أو (والدي) أو (أبي) للرجل. ويرى الفرد الكبير (أنثى أو ذكر) في القرية أن أي شاب أو شابة في قريته مثل ابنه أو بنته تماماً، فيدعو لهم بالخير، وينصحهم أو ينهرهم عن أي سلوك غير لائق، وإذا وجد الواحد منهم بعض الأبناء في طريقه وهو ذاهب إلى المسجد يناديهم لحضور الصلاة وغيرها من الآداب الجيدة، وهم يرحبون بذلك وينصاعون وينفذون الأوامر، وغيرها من العادات والصلات الجميلة بين أفراد الأسر الواحدة في أي ناحية. ومثل هذا المجال غير موثق في كتب علمية، وإذا كان شيئاً منه مذكوراً فلا تتجاوز مادته العلمية سطوراً أو فقرات محدودة.

٣- التراث الحضاري الإيجابي الذي عرفته وعاشته الأجيال السابقة حتى نهاية القرن الهجري الماضي يستحق منا معاشر المؤرخين والباحثين الدراسة والتوثيق. وفي العقود الماضية المتأخرة من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ـ٢١م) تدهورت الكثير من تلك العادات الجيدة، وظهرت أعراف وتقاليد كثيرة بين الأسرة وأفرادها، معظمها سلبية ومختلفة عما كان عليه الأوائل، وزادت المشاكل الأسرية، وارتفعت نسبة العقوق عند الأبناء والبنات، والشقاق بين الأقارب، والأزواج والزوجات، وتخلى الآباء والأمهات عن كثير من واجباتهم ومسؤولياتهم الأسرية، ونشأت العلاقات

القائمة على المصالح الشخصية والمادية النفعية. ومن يزور المدارس، ومراكز الشرطة والحقوق، والسجون، والمحاكم وغيرها من المؤسسات الحكومية ذات الصلة المباشرة بالقضايا والأحوال الشخصية وغيرها فإنه يسمع ويرى الكثير جداً من السلبيات الفردية والأسرية التي لم تكن موجودة إلى عهد قريب. ولا أنكر أن هناك أفراداً وأسراً مازالت محافظة على الكثير من عاداتها وقيمها الجيدة، لكن المشاكل والعقبات تنوعت وأصبحت كثيرة جداً.

الحديث عن القرى أو القرية مجال واسع يتفرع إلى عشرات بل مئات الموضوعات. ومعظم تركيبة المجتمع السروي والتهامي قبائل عربية استوطنت بواديها وقراها منذ آلاف السنين. وبعض الكتب الكلاسيكية الأجنبية أشارت إلى عدد من المدن أو القرى القديمة، ومصادر التراث الإسلامي المبكر والوسيط رصدت محطات ومواطن عديدة على طول الطرق التجارية الرئيسية. أما المصادر والمراجع الحديثة من القرن العاشر الهجري إلى عصرنا الحاضر فذكرت الكثير من المواقع الحضرية والريفية والبدوية في أنحاء البلاد. ومن يتجول في أرجاء المناطق الجنوبية السعودية يشاهد آلاف القرى القديمة والحديثة . وهناك بعض المواضع التراثية التي يعود تاريخها إلى عشرات العقود، أو مئات الأعوام، ومازال بعضها ماثلاً للعيان، لكنها لم تعد مسكونة، فقد تركها أهلها وانتقلوا إلى منازل، أو قرى، أو أحياء جديدة، وفي أماكن كثيرة اتصلت القرى أو الأحياء الحديثة بالمستوطنات التراثية القديمة.

(*) الملاحظ على الكثيرمن القرى القديمة أنها نشأت على ضفاف الأودية ، وقريباً من الأراضي الزراعية، أو على طرق الحج والتجارة، أو قريبا من الأسواق الأسبوعية، وهناك قرى عديدة في رؤوس الجبال، أو على الهضاب والمرتفعات في الأجزاء التهامية والسروية والشرقية البدوية. وفي منطقة تهامة أمكنة قريبة من الساحل، أو في السهول (الخبوت) القريبة من بعض الأودية الرئيسية أو الفرعية ويصعب أن نخرج بصورة واضحة وكاملة عن تاريخ القرى قديما وحديثا من بداية تخطيطها ، ثم استكمال جميع مرافقها، إلا أنه يغلب عليها بعض الملامح الرئيسية ، مثل:

١- صغر المساحة التي تقوم عليها منازل القرية القديمة، ولا يوجد تخطيط معماري سليم لبناء البيت، إنما يُتخذ موقعاً عشوائيًّا ثم يقام عليه أبنية تتفاوت في المساحات والمرافق وعدد الحجرات. فالأسر الفقيرة تكتفي ببناء غرفة أو غرفتين من الطين والحجارة، أو من الطين. أو عشش من أغصان النباتات الصغيرة والكبيرة، أو خدور أو خيام من الشعر. وفي بعض القرى قصور أو حصون ترتفع بضعة طوابق،

وأصحابها من شيوخ القبائل والأعيان والوجهاء وأصحاب الثراء والمال. وفي المدن أو القرى الكبيرة أنشئت أبنية لبعض المؤسسات الإدارية قبل العهد السعودي وخلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، وأكثرها مستأجرة من بعض السكان. وقد اطلعت على العديد من الوثائق الحديثة التي تذكر بعض المقرات الحكومية الرسمية أو المستأجرة في مدن أبها، وخميس مشيط، ونجران، وبيشة، وجازان، وأبوعريش، وصبيا، والقنفذة، والطائف خلال الستينيات والسبعينيات من القرن الهجري الماضي. ثم تزايدت الأبنية الحكومية من تسعينيات القرن الماضي، وخلال هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ـ٢١م) حتى أصبحت الكثير من الإدارات الرسمية في مقرات حكومية.

٢- تختلف القرى القديمة عن العمران الحديث. فجميع مواد البناء قديماً محلية من الحجارة، والطين، والأشجار والشجيرات. والأيدي العاملة من أهل البلاد أنفسهم. أما الأحياء أو الأبنية الحديثة فأغلب الحرفيين من الوافدين، وجميع المواد مستوردة من داخل المملكة وخارجها. ودروب (أزقة) القرية التراثية ضيقة وصغيرة، وأبنيتها متلاصقة، والمسجد يتوسط كل قرية. أما العمارات الحديثة فمساحاتها واسعة، ومرافقها متعددة، وشوارعها فسيحة، والأبنية كبيرة وغالباً تتكون من دور أو أدوار عديدة حسب موقعها، ومكانة أصحابها، والأهداف من تشييدها. وتاريخ تطور العمارة من بيوت قديمة وقليلة وصغيرة ومتواضعة إلى عمارات حديثة وكبيرة، أو من قرى شعبية محدودة إلى مخططات وأحياء حديثة ومعاصرة فقد أخذت هذه الرحلة بضعة عقود، وكان لتخطيط الدولة للنهضة التنموية المادية الحديثة الأثر الأهم والأكبر في هذا التحول المعماري في أرجاء المملكة، وتهامة والسراة فازت بالنصيب الأوفر في هذا الميدان.

٣- أقول إن هناك موروث لغوي وتراثي كبير له صلة مباشرة بالتركيبة البشرية والعمرانية، وكيفية حياة الناس في القرى القديمة، ثم تدرجهم الحضاري في بناء مرافقهم المعمارية، وما عاصروه قديماً وحديثاً من تحولات في أنماط الحياة المعيشية، وكيف كان وضعهم في تلك المستوطنات التراثية الصغيرة والمحدودة في إمكاناتها، ثم صاروا يسكنون بيوتاً حديثة واسعة وفارهة في عمرانها، وأثاثها، وخدماتها، وديكوراتها، ومرافقها المتنوعة. وهذا أنتج الكثير من الثقافات والاصطلاحات المحلية أو المستوردة، أو المختلطة بين القديم والحديث. وهذا التاريخ، أوجد حراكاً علميًّا ومعرفيًّا جديراً بالاهتمام من قبل المؤسسات الأكاديمية والمتخصصين في علوم اللغة واللسانيات، والتاريخ والحضارة، والجغرافيا وعلم الاجتماع وغيرها من المجالات العلمية التي لها صلة مباشرة بهذا العالم التهامي والسروي.

٤- زرت ووقفت على منازل وقرى قديمة في نجران، وجازان، والباحة، وعسير، والقنفذة، والطائف. كما شاهدت عشرات الأحياء والمخططات، وأنواع العمران الحديث والمعاصر في البلاد نفسها. فوجدت الجهل والأنانية والنكران عند معظم السكان للقرى والتراث العمراني القديم. وهرولتهم تجاه الحداثة والتمدن العمراني. فالأكثرية تركوا منازلهم وقراهم حتى تحولت إلى خراب وركام مندثر، وإذا سألت بعضهم قال هذه قرية الآباء والأجداد، لكنه لا يعمل أي شيء نحو ذلك الموروث العمراني الذي شيده الأوائل بكل صعوبة، بل بعضهم تفننوا حسب استطاعتهم في البناء والإبداع. وفريق آخر من الناس يقوم بهدم ذلك الموروث واستبداله بعمران حديث، مع أن بعض العمارات القديمة لا تخلو من فنون معمارية محلية من صنع أهل البلاد.

٥- تطور أحوال الناس الحضارية، ثم انتقالهم إلى أبنية جديدة وحديثة جعلتهم ينظرون إلى العمارة القديمة بالازدراء والإهمال، وبعضهم يصف عصر السابقين بالتعب والشقاء، وإن الذي خلفوه انتهى زمانه، ولا حاجة إليه. ومن يؤمن بذلك ويعتقده فإنه للأسف لا يستشعر الأصالة والقيم التي قامت عليها تلك المنازل والقرى القديمة، بل يتنكر لجزء مهم من تاريخ وحضارة الأجيال الطيبة العصامية. وللأمانة إنني شعرت بالحزن والغربة عندما زرت بعض القصور والحصون والمنازل في السروات الممتدة من قحطان إلى زهران، والذي زادني حسرة وألماً عندما التقيت بالكثير من الأعلام في هذه البلاد، وسمعت من بعضهم العبارات والاصطلاحات غير الجيدة تجاه هذا التراث والآثار المادية التي مازال بعضها يشهد على صفحات مشرقة من تراث وتاريخ الأجداد. كما أنني حضرت العديد من الندوات والاجتماعات واللقاءات التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بتراثنا العمراني القديم، فوجدت وسمعت الكثير من الرؤى والمقترحات الجيدة، لكن آثارها تتوقف عند تقديمها من على منابر تلك المؤتمرات أو اللقاءات، ولا تجد من يترجم بعض التوصيات النافعة إلى واقع ملموس.

(*) إذا كنت وثقت بعض الشذرات عن تاريخ القرية وبخاصة في الجانب العمراني، فمازال هناك الكثير من الأنماط العمرانية القديمة والحديثة ذات الصلة المباشرة بالقرية، أو الأحياء، أو المدينة (المدن)، وغيرها من التركيبة الجغرافية والبشرية في أرجاء الأوطان التهامية والسروية، وفي النقاط الآتية أذكر لمحات من ذلك:

أ- إن العمارة السكنية الأكثر انتشاراً قديماً وحديثاً. فالأفراد أو الأسر في أي زمان ومكان يحرصون على بناء منازل يسكنونها وتقيهم مشاكل الحر والبرد وغيرها

من نوائب الدهر. والمتأمل في عموم قرى السروات وتهامة القديمة التي مازالت ماثلة للعيان سوف يعرف مواد بنائها، وطرق هندستها، ومرافقها الرئيسية والثانوية. ومن خلال حياة أهل القرية أو القرى وتعاونهم وتكاتفهم قام الكثير من الأبنية المختلفة في مواضعها، وأهدافها، وطرق استخدامها. فهناك أزقة (طرق) صغيرة تربط بين بيوت القرية، أو بين القرى المتقاربة، ومساجد القرى، والآبار، والمدرجات الزراعية، والأحمية، والمقابر، والأسواق الأسبوعية، وبعض القصور أو الحصون داخل القرى وخارجها. وكل هذه العمارات كانت صغيرة ومحدودة في البوادي وبعض الأرياف، لكنها أكثر وأفضل في المدن والحواضر الكثيرة. وجميع موادها في السابق محلية، والأيدي العاملة من أهل البلاد أنفسهم حتى تسعينيات القرن(١٤هـ/٢٠م). ثم تدرج التطور المعماري من نهاية القرن الهجري الماضي، ومر بالعديد من المراحل في التخطيط والتحول التاريخي الحضاري.

ب- دخلت البلاد (تهامة والسراة) مراحل التحول العمراني الحديث الفعلي من منتصف التسعينيات في القرن الهجري الماضي، وكان للدولة الدور الأساسي في دعم وتطوير هذا الميدان، فأغدقت على أهل البلاد القروض والمساعدات حتى تمكنوا من بناء بيوتهم الحديثة، وعملت خلال الأربعين سنة الماضية (١٤٠٥ - ١٤٤٦هـ/١٩٨٥ - ٢٠٢٤م) على تطوير البنية الحضارية التحتية، فشقت الطرق الصغيرة والكبيرة، وشيدت الكثير من الأبنية والمقرات الحكومية، وبنت المطارات، والموانئ، والسدود. ودعمت وشجعت الحياة الصناعية والتجارية والسياحية والتنموية في كل مكان. هذا الذي عرفته وشاهدته وأنا أتجول في ربوع تهامة والسراة من عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م). ففي هذه العقود القليلة تغير وجه البلاد عمرانيًّا، وفي كل المجالات الحضارية.

ج- إن كتابة فقرات قليلة عن هذه الجزئيات غير كافية، لأن كل قطاع عمراني (سكني، وتجاري، وتعليمي، وديني، وصناعي، وسياحي، واجتماعي، وعسكري، ومدني، وبري، وبحري، وجوي، وغيرها من الميادين) جدير أن يكتب تاريخه من عام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) إلى الوقت الحالي في عدد كبير من الرسائل الجامعية، والبحوث والكتب العلمية.

٢ الحياة الدينية والدعوية في بلدان جازان، ونجران، وعسير، والباحة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين (٢٠ـ ٢١م) [١]

بقلم. أ . د . غيثان بن علي بن جريس

الكتابة عن التاريخ الدينيٍ والدعوة إلى الله في السـراة وتهامة (الباحة، وعسـير، وجازان، ونجران) ليس معزولاً عن الحياة الدينية والدعوية التي عاشتها شبه الجزيرة العربية من قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية المختلفة. فالبلاد في عصور ما قبل الإسـلام لا تخلو من ديانات عديدة: وثنية، ونصـرانية، ويهودية، ومجوسية، وصابئية، ومن يدين بدين الحنفية وغيرها.

بعد ظهور الإسـلام في الحجاز ثم انتشـاره إلى كل مكان في شـبه الجزيرة العربية في عهـد الرسـول ﷺ والخلفاء الراشـدين (رضـوان الله عليهم) صـارت بلاد تهامة والسـراة وعموم أرض اليمن جزء من الدولة الإسـلامية في المدينة، واستمر أهلها على معتقداتهم الدينية الإسلامية خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة حتى وقتنا الحاضر. وهناك بعض الأمور التي أرتأيت الإشارة إليها خلال القرون الإسلامية المتتالية (ق١ـ ق١٤هـ/ق٧ـ ق٢٠م)، وأذكر أهمها على النحو الآتي:

١- صـار دين الإسـلام هو الدين العام الذي يؤمن به الناس في تهامة والسـراة (من الطائـف ومكة المكرمة إلى نجران وجازان) ولم تخل مجتمعاتهم أيضـا من فئات تُدين بأديان أخرى سـماوية أو وضـعية منذ فجر الإسلام إلى زمننا المعاصر. ومن يبحث في المصادر والمراجع المختلفة فسوف يجد معلومات سياسية وحضارية أرخت للتهاميـين أو السـرويين ومن جاورهم أثناء دخولهم الإسـلام في العقود الأولى من تاريخ الإسـلام، ثم استمرار جهودهم وإسـهاماتهم في خدمة هذا الدين السماوي العـام الشـامل (الإسـلام) في أوطانهـم، أو في بلـدان أخرى كثـيرة داخل جزيرة العرب، أو في أمصـار وحواضـر وقرى وأرياف أو مناطق عربية وإسلامية وأجنبية خارجية (ق١ــ ق١٥هـ/ق٧ـ ق٢١م) .

٢- لا يمكن دراسـة الحياة الدينية والدعوية منفصـلة عن التاريخ السياسي والإداري والحضـاري. فبعد قيام عاصـمة الإسـلام الأولى في المدينة في عهد الرسول ﷺ، بدأت بلدان تهامة والسـراة تتغير في معتقداتها، واعتنق أهلها الإسـلام، وصـاروا

---

(١) مقالة منشورة في صحيفة النماص اليوم الرقمية، بتاريخ (١٦/سبتمبر/٢٠٢٥م).

بشـراً صـالحين نافعين لأنفسـهم، ولبلادهم، ولدينهم الجديد (الإسلام). ونجد المصـادر التاريخيـة تـؤرخ لـدول ودويلات وإمـارات وحكومـات قامـت في العالم الإسـلامي، وبعضها في شبه الجزيرة العربية عبر أطوار التاريخ الإسلامي، ووصل نفوذهـا، أو صـلاتها، أو هيمنتهـا على أجـزاء من بلدان عسـير، والباحة (غامد وزهران)، وجازان، ونجران وأحياناً على معظمها أو كلها. وكان لكل قوة سياسـية ظهرت أو جـاءت إلى هذه الديار معتقدات ورؤى وأفكار سياسـية ودينية عقائدية، وبدون شـك فأهل البلاد تأثروا سـلباً أو إيجاباً من منظور ديني أثناء علاقاتهم أو تواصلهم مع أي سلطة سياسية استولت على بلادهم، أو على أجزاء منها منذ فجر الإسـلام إلى عصـرنا الحديث، ولو اطلقنا العنان لتدوين أمثلـة عن تلك الدول أو الحكومات أو القوى السياسـية خارج الجزيرة العربيـة أو داخلها، فإننا نحتاج إلى مئات الصفحات دراسة وتوضيحاً وتوثيقاً.

٣- وجـدت في بعض المصـادر الحجازية واليمنية خلال القرون الإسـلامية الوسـيطة وبداية الحديثـة (ق٣- ق١٢هـ/ق٩- ق١٨م) توثيقات متنوعة تذكر لمحات من حياة الناس الدينية، فأشارت إلى بعض طلاب العلم أو العلماء الذين نالوا علوم ومعارف عديدة في حواضـر الحجاز واليمن أو غيرها من بلدان العالم الإسـلامي ثم عادوا إلى بلادهم في الطائف، أو منطقة عسـير (تهامة والسـراة)، أو جازان (المخلاف السـليماني)، أو نجران وقاموا على إمامة الناس في جمعهم وجماعاتهم وتقسـيم مواريثهـم وعقد أنكحتهم، وتولى بعضـهم القضـاء أو الحسـبة أو الأمر بالمعروف والنهـي عـن المنكر، وكثير منهـم عملوا في مهنـة التدريس في قراهـم ومناطقهم، وصدر لبعضهم مؤلفات شرعية ولغوية وأدبية وتاريخية. ومن يبحث في وثائق وكتب العصـر الحديث (ق١١ـــ ق١٣هـ/ق١٧- ق١٩م) يجد معلومـات أكثر عن التاريخ الديني الدعوي والعلمي والفكري والثقافي.

٤- زرت مسجد عبدالله بن عباس (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) في الطائف مرات عديدة، ودخلت مكتبته الموجودة ضـمن مرافق المسجد. كما اطلعت على عدد من السير اليمنية ومصادر أخرى للائمـة الزيدية فوجدت في هذه الأمكنة والمصـادر معارف تاريخية متنوعة لها صـلة بالتاريخ الديني في الطائف ونجران وصـعدة وصنعاء وما حولها، والغالب على الكتب اليمنية الزيدية الإسهاب في الموروث الزيدي، وبذل الأئمة الزيدية جهود كثيرة ومتنوعة من أجل نشر مذهبهم في أجزاء السراة وتهامة القريبة منهم كبلاد نجران، وقحطـان، وجازان (المخلاف السـليماني). أما الطائف فكانت مقصـداً

للعديد من العلماء والأدباء الذين جاءوا من خارج شبه الجزيرة لقضاء مناسك الحج والعمرة، ومنهم من يبقى في الحرم المكي للعلم والتعليم، وهناك من ذهب إلى الطائف واستقر فيها سنوات عديدة، وبعضهم مكثوا فيها حتى ماتوا. ورأيت في مكتبة عبدالله بن عباس مخطوطات ومؤلفات لعدد من العلماء الذين كتبوا عن الطائف، وعلموا وتعلموا فيها. وفي كتبهم معلومات قيمة عن الحياة الدينية والدعوية علماً وعملاً في بلدة الطائف، أو في الحجاز بشكل عام، ومنهم من أشار إلى لمحات بسيطة جداً عن التاريخ الديني في السروات القريبة من الطائف.

٥- من يقرأ عن مسيرة الدعوة الإسلامية في السراة وتهامة منذ فجر الإسلام وخلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة (ق١- ق١٣هـ/ق٧- ق١٩م)، يلحظ ترحيبهم المبكر بالدين الإسلامي، ثم استمرارهم على منهج التوحيد خلال القرون الإسلامية المختلفة. ومنهم الذين خرجوا من بلادهم للعلم والتعلم والجهاد، ولم يتوقفوا داخل الحجاز، إنما ذهبوا إلى الأمصار الإسلامية فكان لهم النصيب الأوفر في الفتوحات الإسلامية، والمساهمة في بناء الحضارة الإسلامية شرق العالم الإسلامي وغربه. وإذا بحثنا عن أماكن العبادة في أوطانهم، وعن أنشطتهم الدينية، وعن العلماء وطلاب العلم الشرعي والدعوي والأدبي والتاريخي في البلاد ، فلا نجد معلومات مدونة في هذه الجوانب خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة وبدايات الحديثة (ق١- ق١٢هـ/ق٧- ق١٨م). وبحثت في كثير من المصادر المبكرة فلم أستطع الخروج بتصور شبه واضح في هذا الباب، مع أنني شاهدت خلال الخمسين سنة الماضية (١٣٩٦-١٤٤٦هـ/١٩٧٦-٢٠٢٤م) الكثير من المساجد القديمة، والمقابر، والنقوش والرسومات الصخرية التي تشير إلى أنشطة دينية في أرجاء البلاد. ناهيك عن بعض الروايات والقصص التي سمعتها من بعض الرواة، وتناقلوا أخبارها من أجيال سابقة، ولها صلة مباشرة أو غير مباشرة بالتاريخ الديني والدعوي الذي جرى على ثرى البلاد ومارسه وعرفه معظم السكان.

٦- من قراءاتي في مصادر التراث الإسلامي الموسوعية والعامة، واطلاعي على مؤلفات كثيرة عن الأعلام وطبقات الرجال، والتاريخ المحلي وخصوصاً الحجازي واليمني، وكتب العقائد والمذاهب والفرق الإسلامية وغيرها اتضح لي أن جميع المذاهب الإسلامية وبخاصة الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي قد وصلت أخبارها وآثارها إلى أوطان السراة وتهامة، لكن أكثرها انتشاراً الشافعي منذ القرن الثالث الهجري، ثم الحنبلي. وأثناء رحلتي الجامعية (١٣٩٦-١٤٤٧هـ/١٩٧٦-٢٠٢٥م)) رأيت الكثير من الكتب والمخطوطات الدينية الشافعية عند الكثير من العلماء والأسر

العلميــة المحليــة في مناطق الباحة، وعســير، وجازان، ونجــران، والطائف، والقنفذة وغيرهــا. وزرت عشــرات المكتبــات العربيــة والأجنبية (الرســمية والأهليــة، العامة والخاصة) ووجدت فيها مئات المخطوطات والكتب الشافعية ، وبعضها يعود إلى القرون الإسلامية الوسـيطة، وجرى دراسة وتحقيق بعضها في كتب علمية أو رسائل جامعية، ومن يتتبع طلاب العلم الشرعي من السرويين والتهاميين الذين تأثروا بمذاهب الأئمة الأربعة (الحنفي، أو المالكي، أو الشافعي، أو الحنبلي) داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها خلال عشــرة قرون (٣ـ١٣هـ/ ٩ـ١٩م) ، فتلك مشــاريع علمية جيدة وغنية بالمادة العلمية، ومصادرها موجودة ومتناثرة في أمكنة كثيرة من العالم.

٧- وجـدت أن معظـم سـكان السـروات وتهامة دخلـوا الإسـلام على دين أهل السـنة والجماعـة، وإن حصـل لأفراد أو جماعات منهم ضـعف أو تراجعات عقدية على مر التاريخ الإسـلامي فذلك أمر حدث ومازال يحدث في أي مجتمع إسلامي. والمعروف أن القبيلة في أوطان الطائف، وغامد وزهران، والقنفذة، وبيشــة، ونجران، وجازان، وعسـير وغيرها. هي السائدة وصـاحبة النفوذ الأوسع، وتسـودها نعرات وتعصبات قبليــة وعشــائرية، وتمارس عـادات وتقاليد وأعـراف اجتماعية تتعارض مع منهج القـرآن الكريم والسـنة النبوية، وتجد من يتبناها ويدافع عنهـا، مع أنها لا تخلو من الأخطاء الشـرعية للفرد أو الأفراد (ذكوراً وإناثاً) ، وأحياناً يظهر في المجتمعات من يرفضـها ويحاربهـا، لكنها كانت سـمة أو ظواهر في البلاد من جـازان ونجران إلى الطائف ومكة المكرمة، وقرأت عنها وشاهدت شيئاً منها، مع أن تاريخها ليس حديثاً، ويرجع أحياناً إلى عصور ما قبل الإسلام، وإلى القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة.

٨- لا ننكر أن البلاد ظهر فيها وعاش أفراد، وأسر، وفئات، وأقوام، ومجتمعات تختلف في معتقداتهـا وممارسـاتها الدينية عن منهج أهل السـنة والجماعة. فالمصــادر تذكر أســر ومجتمعات زيدية عاشــت قـرون كثيرة في أمكنة وبلـدان عديدة تهامية وســروية، وكذلك بعض الأفراد أو الجماعات الصــوفية، والإســماعلية، وأصـحاب أديان ومعتقدات أخرى سـماوية أو شـركية ووضعية. وربما يظهر من لا يوافقني في هذه الأقوال، ويصفني بالتحامل، ومجانبة الصواب. وأقول إنني أتحدث عن مجتمع كبير(سـروي وتهامي) خلال ثلاثة عشر قرن (ق١ـ ق١٣هـ/ق٧ـ ق١٩م) ، ووصل إلى هذه الديار الكثير من الأجناس العربية والإسـلامية والأجنبية، ومنهم من جاء في هيئــة أفراد أو مجموعات تحت مظلات سياسـية وعسـكرية، أو أعمالاً ووظائف حضــارية متعددة. وما من شـك أن أهـل البلاد احتكوا وتعاملوا مع هذه العناصــر البشـرية. كما أن السـكان المحليين لهم أهواء ورغبات عرقية واجتماعية وسياسية

ودينية، وانكفأ أهل البلاد على أنفسـهم، وانشـغالهم بكسـب أرزاقهم، مع ضـعف الحياة العلمية والثقافية التنويرية الدعوية ولدت حياة يسـودها الجهل. وممارسة أعمال كثيرة خاطئة وغالباً تتعارض مع الشريعة الإسلامية السمحة والصحيحة.

لقـد أسـهبت الحديـث في الصـفحات السـابقة عـن أهـل السـراة وتهامـة قبل القرن(١٤هـ/١٩م)، وهذا مما قد يجعل بعض القراء والباحثين يصف عملي بالضعف والهشاشـة العلميـة، لأنه يدرس جوانب خـارج الفترة المحددة في عنـوان الورقة . ومن يقـول بهـذا الرأي فلا يخلو قوله من الصـدق وصـحة ما ذهـب إليـه إذا طبقنا منهج البحث العلمي الدقيق على ما تم رصده. والذي جعلني أدون هذه التوثيقات المتقدمة من أجل اطلاع الباحثين والقراء الكرام على شـيء من حياة التهاميين والسـرويين الدينية والدعوية منذ فترة ما قبل الإسلام إلى القرن (١٣هـ/١٩م).

(*) في الصفحات التالية أدرس وأكتب لمحات من حياة أهل السراة وتهامة الدينية والدعوية منذ بداية القرن (١٤هـ/١٩م) إلى وقتنا الحاضر(١٤٤٧هـ /٢٠٢٥ م) .

بـدأ القرن الرابع عشـر الهجري والناس على وضـعهم السـابق في أداء عباداتهم المتنوعة، ولا تخلو المجتمعات السروية والتهامية من طلاب علم وفقهاء ومعلمين يقومون علـى توعيـة النـاس في أمورهم الدينية، ويقضـون حوائجهم مثل إتمـام عقود الأنكحة، وتقسـيم المواريث، وإمامة سـكان القـرى والأرياف وغيرهم في صـلواتهم، وأعيادهم، وجمعهـم وجماعاتهـم. وكانت المتصـرفية العثمانيـة في أبها السـلطة الحاكمة لمعظم بلدان تهامة والسراة (الواقعة بين اليمن والحجاز)، وتشير الوثائق العربية والعثمانية إلى وجـود بعض القضـاة في الحواضـر الرئيسـية، واطلعت على العديد مـن المدونات والصـكوك الشـرعية التي صـدرت من محكمة أبها في العقود الثلاثة الأولى من القرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، وجمعت أيضـاً العديد من وثائق الاصـلاح وحل مشاكل متنوعة بين الأفـراد، أو الأسـر، أو القـرى، أو القبائـل في مناطق جازان، ونجران، وعسـير، وبلاد غامـد وزهـران، والقنفـذة، والطائف. وهذه المصـادر تحتـوي على معلومات شـرعية وفقهية هدفها الفصـل في القضايا والخصومات بين المتخاصمين. وحصلت على بعض خطـب الجمعة المحلية في بعض مدن السـروات من الطائـف إلى أبها، وفيها الكثير من التوجيهـات والحكم والدروس الشـرعية التي تحث النـاس على إخلاص العبادة لله ـــ عزوجل ـــ، والاجتهاد في الأعمال الصـالحة التي تقرب العبد من ربه، وتسـاعده على الفوز بالجنة والنجاة من النار.

تشير بعض المصادر، خلال الثلث الأول من القرن الهجري الماضي، إلى أسماء بعض القضاة وطلاب العلم في الطائف، والقنفذة، وأبها، ورجال ألمع، والحواضر الرئيسية في بلاد جازان. وقرأت في بعض كتب الرحالة ووثائق محلية ورسمية أسماء العديد من العلماء والفقهاء الحجازيين الذين كانوا يذهبون إلى الطائف، وأحياناً إلى بلاد غامد وزهران، والقنفذة، وبيشة للدعوة وتعليم الناس أمور دينهم، ومصادر أخرى يمنية، وروايات محلية تذكر بعض رجالات السراة وتهامة الذين ذهبوا إلى مدن اليمن العلمية الرئيسية لمزيد من التعليم والتعلم الشرعي والأدبي واللغوي، وبعض الفقهاء والعلماء اليمنيين ينزلون في القرى والمدن السروية والتهامية أثناء ذهابهم أو إيابهم من الحج ويقدمون بعض الدروس والأنشطة الدعوية، كالتدريس، والفتوى، وخطب الجمعة وغيرها .

دخلت أوطان السروات وتهامة تحت نفوذ الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل من بداية الأربعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م). وأشرت سابقاً إلى المذهب الشافعي الذي كان منتشراً في أرجاء البلاد، لكن الإمبراطورية العثمانية دولة سنية حنفية، وقضاتها ورجال العلم فيها يتعاملون مع الناس على منهج المذهب الحنفي. وإذا عدنا إلى أوضاع تهامة والسراة في بدايات القرن (١٣هـ/١٨ــ١٩م)، نجد أن إمارة المتاحمة في عسير، وبعض إمارات الأشراف في جازان تحت لواء الدولة السعودية الأولى في الدرعية تسير في حكمها وأنظمتها على مبادئ المذهب الحنبلي. وبعد قيام الدولة السعودية الثالثة استمرت في حكمها ودعوتها على مذهب أسلافهم، واستمر المذهب الحنبلي المنهج الرسمي الذي تعمل به الدولة حتى الآن.

الكتابة عن التاريخ الديني والدعوي في السروات وتهامة خلال عهد الدولة السعودية الحديثة (المملكة العربية السعودية) (١٣٣٨ـ١٤٤٧هـ/ ١٩١٩ــ٢٠٢٥م) يحتاج العديد من الموسوعات والكتب العلمية الجادة حتى نعرف كيف أثر توحيد البلاد الإداري والسياسي تحت راية واحدة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وكيف استقامت أمور الناس بعد أن صاروا تابعين لحكم مركزي عام يشرف على راحة البلاد والعباد، والاجتهاد في توفير الأمن والاستقرار في كل مكان. ومن يقرأ الوثائق الأولية لعصر الملك عبدالعزيز آل سعود فإنه يجد سياسته ونظام حكمه مرتبط ومقرون باتباع ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومن هذا المنطلق استطاع توحيد القلوب حوله قبل توحيد البلاد. وهناك مئات الدراسات التي أرخت لفترة تأسيس البلاد السعودية في عهد الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل.

جاء حكم الملك عبدالعزيز آل سعود إلى بلدان تهامة والسروات (عسير، وجازان، والباحة، ونجران) وهدفه الأساسـي ضمها تحت نفوذه، والحكم فيها بما يرضي الله. واجتهد في اختيار أمراء وقضاة عادلين ومنصفين وجادين في أداء مهماتهم على الوجه المطلـوب. واطلعـت على عشـرات الوثائق والمخطوطـات التي أرخت للأمراء والقضـاة الذيـن أرسـلوا إلى مدينة أبها أثنـاء دخول المنطقـة تحت النفوذ السـعودي الحديث، ووثقت شيئاً من تاريخهم وجهودهم المباركة. وفي الفقرات التالية أدون لمحات من تاريخ رجال القضـاء والقضاة، والتربية والتعليم، والدعوة والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها من المجالات الحضارية في خدمة الحياة الدينية .

في مدونة وصلتني من الأستاذ محمد أحمد أنور يذكر فيها لمحة عن بدايات القضاء السعودي في جنوب المملكة العربية السعودية وبخاصة حاضرة أبها في بداية الأربعينيات مـن القرن(١٤هـ/ ٢٠م) ، فيقول: «يوجد بأبها قاض فقط، وأول من سـمعت به الشـيخ محمد بن إسـماعيل النجدي، وكان يُثنى على علمه وورعه وتقواه، ثم جاء بعده الشـيخ سـليمان بـن جمهور، كان جهوري الصـوت مرعباً ونزيهاً في عملـه وأمانته ....، ثم جاء بعـده التقي النقي العالم الجليل الشـيخ فيصـل بن عبدالعزيز المبارك، وأمضـى فترة ليسـت طويلة من عـام (١٣٥٢هـ إلى ١٣٥٣هـ) ، ثم بعده ابن جـار الله ولم تطل مدته، ثـم جاء بعده الشـيخ عبدالعزيز الثميري ومعه ثلاثة قضـاة عين أحدهم ،وهو الشـيخ عثمان بن ركبان بالنماص، وآخر اسـمه ابن جعوان بظهـران الجنوب، ويوجد بخميس مشـيط قاض منذ بداية الحكم السعودي ... ويدعى سعيد بن سعيدان، عالم جليل ورع ومتديـن، قـل نظيره في مخافة الله، وأديب وشـاعر على طريقة العلماء لا الشـعراء ... ويحكم القاضي في القضـية ولا تسجيل، ويخرج المتقاضيان قائلين: حكم القاضي بكذا وكـذا، فكأنَّ هذا الحكم صـدر من عندالله ، وبحكم الله، فلا يُنسـى ولا يُخالف ، ومن خالفه فإنما هو مخالف لله ورسـوله. ذلك لأن إيمان الناس كان عميقاً بالله، ولا يوجد اسـتئناف ولا تمييـز للأحكام، ولا جدال ولا اعتراض بل طبيعـة هادئة ونفس مطمئنة، ولم يكونوا بحاجة إلى تسـجيل قضـية اقتنع المحكوم له والمحكـوم عليه وراحوا مقتنعين بما سـمعوا. وفي عام (١٣٦٠هـ) جاء إلى القضاء في أبها العالم الفاضل الشيخ عبدالله بن يوسـف الوابل، ثم عين له مسـاعداً الشيخ صـالح بن محمد التويجري، وبقي الشيخ الوابل يزاول القضـاء وتدريس الطلبة، الذين من جملتهم الشيخ حسن العتمي، والشيخ هاشم النعمي...» .

(*) نستخلص من توثيقات الأستاذ محمد أنور بعض الأمور، منها :

أ- منزلة القضاة في نقائهم وتقاهم وورعهم وأمانتهم، ومن يدرس تاريخ القضاء والقضاة في جنوب المملكة العربية السعودية خلال العقود الوسطى من القرن الهجري الماضي فإنه يطلع على أعلام كبار في عدلهم وأمانتهم وعلومهم وفقههم وخدمتهم الناس في كل مكان مثل : (مقرات المحاكم، والأسواق، ومنازلهم الخاصة، وفي مجالسهم وحلق دروسهم وغيرها) .

ب- ما أشار إليه صاحب المدونة عن الرضى بحكم القاضي وعدم الاعتراض على ذلك يدل على الوازع الديني الذي عند الناس. وهذا لم يأت من فراغ، فأهل البلاد دخلوا الإسلام منذ فجر الإسلام، وبقوا على دينهم الإسلامي خلال القرون الإسلامية المتتالية. ومن يدرس الجذور العقائدية والدينية في معظم بلاد تهامة والسراة يجد السكان سلموا من التيارات والمعتقدات المخالفة لأهل السنة والجماعة، وربما صعوبة أرضهم وانعزالهم الجغرافي والاجتماعي ساعد في هذا الصفاء الديني. وإن وجد بينهم قديماً من يؤمن ببعض الأفكار والعقائد المتعارضة مع القرآن والسنة النبوية فهم قلة قليلة من بين السكان في أرجاء البلاد، وكان للأمية والجهل دور كبير في تلك الأخطاء والانحرافات.

سبق أن خاطبت رئيس محاكم منطقة عسير في مدينة أبها عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، وطلبت منه أن يطلعني على أرشيف المحكمة، أو يزودني بمعلومات موثقة عن دور القضاة والمحاكم الشرعية في الحياة الدينية والحضارية بالبلاد، فتجاوب مع خطابي وزودني بمذكرة قال فيها: « تأسست المحكمة الشرعية في أبها قبل تولي الملك عبدالعزيز آل سعود على منطقة عسير، حيث كان القضاء الشرعي قائماً في وقت ولاية الأتراك، وفي حكم آل عائض. وبعد تولي الملك عبدالعزيز في عام (١٣٣٨هـ) شكل القضاء الشرعي في المنطقة ، وعين سماحة الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، وهو من العلماء البارزين، قاضيًّا في أبها، وهو أول قاضي في العهد السعودي...، وعين بعده فضيلة الشيخ محمد بن إسماعيل، ثم انتقل وعين خلفاً له الشيخ سليمان بن جمهور، وعين بعده الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك، ثم خلفه الشيخ ناصر بن عبدالعزيز الحسن، ثم الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن الثميري، ثم خلفه العلامة الشيخ عبدالله بن يوسف الوابل، ثم جاء بعده الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدان، ثم الشيخ محمد بن عبدالرحمن الدحيم، ثم الشيخ ناصر بن أحمد الراشد، ثم الشيخ إبراهيم الحديثي..».

واشتملت المذكرة أيضاً على معلومات لها صلة بكتابة العدل ومن عمل فيها، وأشارت إلى دور بعض القضاة الآنف ذكرهم في تدريس الناس وتوعيتهم في أمور دينهم عن طريق حلق الذكر والدروس في المساجد، وفي خطب الجمعة، أو اللقاءات والمناسبات الاجتماعية العامة والخاصة.

ومع النمو والتطور الحضاري الذي عاشته البلاد من ستينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، زادت أعداد المحاكم والقضاة في أرجاء البلاد. وتتلقى المحاكم في البداية الأوامر والتعيينات من جلالة الملك عبدالعزيز، وفي عام (١٣٦٤هـ/١٩٤٤م) ربطت جميع المحاكم في جنوب المملكة بإدارة القضاء في المنطقة الغربية برئاسة سماحة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ، ثم بعد توحيد رئاسة القضاء ربطت إدارياً بسماحة رئيس القضاة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم أصبحت تابعة لوزارة العدل بعد تأسيسها، ومن يدرس أعمال القضاة والمحاكم الشرعية في تهامة والسراة من سبعينيات القرن الهجري الماضي يجد أنها توسعت رأسيًّا وأفقيًّا، ولم يبدأ القرن الحالي إلا صارت المحاكم وكتابات العدل في جميع حواضر ومدن جنوب المملكة، وجرى عليها الكثير من التطويرات الكمية والكيفية. ومنذ العقد الثاني في هذا القرن(١٥هـ/٢٠م) أصبح في مناطق السروات وتهامة الرئيسية فروع لوزارة العدل تتولى الإشراف على سير المحاكم وكتابات العدل، وفي العشرين سنة الأخيرة (١٤٢٦-١٤٤٦هـ/٢٠٠٥-٢٠٢٤م)، تعددت أنواع المحاكم الشرعية، ثم زادت وتضاعفت مكاتب المحاماة، وجرى الكثير من التطويرات الإدارية والمالية والقانونية والفنية والتقنية على نظام المحاكم والمرافعات والتقاضي. واستمرت جميع المحاكم الشرعية في أرجاء البلاد تؤدي مهامها ووظائفها القضائية والتوجيهية والشرعية والدعوية والدينية.

للحياة العلمية والتعليمية والدعوية والتربوية صلة قوية بالحياة الدينية، والحياتان مترابطتان، لأن الأساس في حياة الإنسان الدين، وسكان المملكة العربية السعودية بشكل عام، وأرض السراة وتهامة تدين بالإسلام على ضوء كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ). والدارس للحياة العلمية والتعليمية والدينية والدعوية في مناطق عسير، ونجران، وجازان، وبقية مدن وحواضر وقرى وأرياف وبوادي تهامة والسراة خلال القرون الماضية المتأخرة (ق١٢ـ ق١٤هـ/ ق١٨ـ ق٢٠م) يجد الناس يمارسون معتقداتهم الإسلامية، وبينهم بيوتات علمية، أو طلاب علم تعلموا بعض العلوم الشرعية والعربية والتاريخية وغيرها ثم قاموا في أوطانهم يعلمون الناس ويرشدونهم، ومنهم من تولى القضاء والحسبة والأمر بالمعروف.

وأثناء رحلاتي في جنوب البلاد السعودية خلال الأربعين سنة الماضية، سمعت روايات كثيرة تذكر أسماء كتاتيب في أمكنة وقرى عديدة في الطائف، وبلاد غامد وزهران، والقنفذة، والليث، وبيشة، وبلاد الحجر، وعسير، وشهران، وقحطان، ومواطن أخرى عديدة في تهامة من البرك والمجاردة إلى سامطة وأحد المسارحة، وفي قرى وبلدات متفاوتة في منطقة نجران. وجميع هذه الأمكنة التعليمية البسيطة كانت سائدة ومتعارف عليها في القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة حتى منتصف القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، ولها جهود كبيرة في محاربة الأمية، وتوعية الناس، وتعليم بعضهم العلوم الشرعية والعربية وطرق القراءة والكتابة.

بعد ظهور وتأسيس الدولة السعودية الثالثة (المملكة العربية السعودية) تغير الوضع التعليمي، وتراجعت مهام الكتاتيب، وأنشئت مدارس حكومية نظامية. وكانت الطائف، وسراة غامد، والقنفذة، وبيشة، وأبها، وجازان أوائل البلدان التي قامت فيها مدارس ابتدائية أميرية سعودية في منتصف العقد الخامس من القرن الهجري الماضي، ثم تزايدت المدارس الابتدائية، وأنشئت المدارس المتوسطة، والثانوية، والمعاهد العلمية، ولم يبدأ هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) إلا التعليم النظامي السعودي العام الحديث صار في كل مدينة، وحاضرة، وريف، وبعض البوادي.

خلال هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠-٢١م) توسعت قاعدة التعليم العام في كل مكان من السروات وتهامة، وأصبح هناك آلاف المدارس العامة (للبنات والبنين) حكومية وأهلية، وتعددت أنواع التعليم الأدبي، والشرعي، والعلمي، والفني، والتقني، والتجاري، والصحي وغيره. وصار هناك إدارات أو مؤسسات تعليم عامة تتولى الإشراف على هذا القطاع المعرفي المهم.

في تسعينيات القرن الهجري الماضي (١٤هـ/ ٢٠م) أنشئت كليات جامعية في أبها، ومنها كلية الشريعة وأصول الدين، تلى ذلك تأسيس العديد من المعاهد التعليمية والكليات العالية في مناطق الطائف، والباحة، وعسير، وجازان، ونجران، وفي نهاية العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) أنشئت جامعة الملك خالد في أبها، ومن خلالها توسع التعليم العالي في مناطق عسير، وجازان، ونجران حتى صار في هذه البلدان أربع جامعات مستقلة (جامعة الملك خالد، وجامعة جازان، وجامعة نجران، وجامعة بيشة). أما بلاد الباحة، والقنفذة ، والطائف، وتربة، ورنية، والليث فقد حظيت بالدعم والرعاية الحكومية الجيدة، وتولت جامعة الملك عبدالعزيز، ثم جامعة أم القرى تطوير التعليم الجامعي في تلك النواحي حتى تأسست جامعتي الباحة، والطائف، أما

المحافظات الأخرى ففيها العديد من الكليات العالية، وربما نرى جامعة قريبة في تهامة تضم محافظتي الليث والقنفذة وغيرها من الحواضر التهامية.

(*) أشـرت فقـط إلى مقتطفات مختصـرة عـن قطاع التعليم العـام والعالي في السـراة وتهامـة، وفي الصـفحات التاليـة أدون شـيئاً من الآثـار الإيجابيـة، وبعض السـلبيات على الحياة الدينية والدعوية خلال العصـر السعودي الحديث والمعاصر (١٣٥٤-١٤٤٧هـ/ ١٩٣٥-٢٠٢٥م).

لحسـن حظي في بدايات هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) أن عرفت والتقيت ببعض رواد التعليم الحديث في جنوب المملكة، وسمعت منهم كيف أسسوا وعاصروا تأسيس المدارس الأميرية السـعودية في جنوب المملكة، وكيف كانـت التوجيهات والتربية والتعليم الديني من الأعمال الرئيسـية في إشرافهم وتدريسـهم للطلاب، ولم تكن جهودهم فقط تعليم الطلبة القراءة والكتابة، أو أداء الصـلوات وما شـابهها، إنما كانوا يتابعون الطلاب في كل شـيء، في عباداتهم، ودروسهم، وأخلاقهم، وتعاملاتهم، وعلاقاتهم، مع الوالدين، أو من يتصـل بهم في مجتمعاتهم. وحصلت على مدونات من بعض أولئك الرعيل الأول الذين كانوا صالحين في أنفسهم وقدوة لطلابهم وجميع من تعامل معهم أو اتصل بهم، وكتبوا في مذكراتهم الكثير من الأنشـطة المدرسـية الصـفية واللاصفية التي يمارسها الطـلاب داخـل المدرسـة أو خارجها، واطلعت علـى بعض الكتب والمناهج التي درسـها التلاميذ (ذكوراً وإناثاً) خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي، فكانت مواد التربية الإسلامية واللغوية تتصدر الدروس في الكم والكيف. وقابلت الكثير من المعلمين المتعاقدين والوطنيين الذين اشتغلوا في التعليم العام خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، والعشـرين سنة الأولى من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، فكان أغلبهم على قدر عالٍ من الأدب وحسن الخُلق، وثراء المعلومات، وطيب المعشر والسلوكيات، وهذا مما جعلهم يُدرسـون ويُشـرفون ثم يُخرجون طلاباً جادين مجتهدين، وذوي أخلاق وأعمال طيبة في دينهم وحياتهم العامة والخاصة. وأخبرني بعض الرواة الذين شاهدوا وعاصروا التعليم في عسير وجازان والباحة وغيرها من عام (١٣٦٠ــ١٤١٠هـ/ ١٩٤٠ــ١٩٩٠م) عن مستوى وثقافة المعلمين الجيدة، وعن نبوغ بعض الطلاب في دراستهم، ومشاركاتهم سـكان قراهم وبلدانهم فصـاروا يؤمون أهل قراهم ومواطنهم في الجمع والجماعات، ويكتبون رسـائلهم واتفاقياتهم وأوراقهم العامة والخاصـة. وأصبحت المدارس منارات نور ومعرفة لنشر الفضيلة بين الأفراد والأسر والمجتمعات، وكان في أرجاء البلاد رجال صالحون عاملون كالقضـاة ورجال الحسبة وبعض الأعيان وشيوخ القبائل، أو مسؤولين

وموظفين في مؤسسات الدولة المحلية يدعمون مسيرة الوعي الديني والتعليمي والأمني والاجتماعي والحضاري في مناطقهم.

سمعت وقرأت عن عدد من الأعلام الذين كان لهم بصمات في تعليم الناس وتثقيفهم وتوعيتهم دينيًّا وثقافيًّا ومعرفيًّا خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي، ولن أستطيع الحديث عن كل الرموز في أرجاء السروات وتهامة، من مكة المكرمة والطائف الى جازان ونجران ، لكن الوثائق التاريخية والروايات والقصص الشفهية أشارت إلى عشرات القضاة، ورجال الدعوة والحسبة، وبعض الفقهاء وطلاب العلم في بعض حواضر جازان، ونجران، وعسير، والباحة، والبرك، والقنفذة، والطائف، وبيشة وغيرها.

(*) أكتفي في هذا العنصر بذكر علمين صالحين قدما الكثير من الجهود والأعمال الكبيرة في تنوير الناس، وخدمتهم في مجال التعليم والتوعية الدينية.

١- الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي ولد في عنيزة بمنطقة القصيم عام (١٣١٥هـ/١٨٧٩م) ، وبدأ حياته العلمية في مسقط رأسه، ثم ارتحل في طلب العلم إلى بلدان عديدة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، وأخيراً ذهب إلى جازان في نهاية الخمسينيات من القرن الهجري الماضي، وقضى بقية حياته في التعليم والدعوة إلى الله، فجاب معظم بلدان السراة وتهامة، وافتتح مئات المدارس القرعاوية في الجبال، والبوادي، والسهول، والساحل، وكان له فضل وذكر وصيت وصل إلى كل مكان في جنوب البلاد السعودية، وتعلم في مدارسه خلق كثير، وصار منهم فقهاء، وعلماء، وأدباء وقضاة، وأعلام كبار لهم شأن في خدمة أوطانهم، ومنهم من ترقى في السلم الحضاري والوظيفي إلى أعلى المناصب الشرعية والعلمية والتربوية والمدنية والعسكرية في بلدان عديدة بالمملكة العربية السعودية.

٢- الشيخ والقاضي عبدالله بن يوسف الوابل الشمري من منطقة حائل من مواليد عام (١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م) ، بدأ حياته العلمية في القصيم، وتعلم على يد عدد من العلماء والقضاة هناك، وفي عام (١٣٥١هـ/١٩٣٢م) ذهب إلى الرياض ولازم الشيخ محمد بن إبراهيم سنوات عديدة واستفاد من علمه كثيراً، وتولى مهنة القضاء في نجد عام (١٣٦٠هـ/١٩٤٠م) ، ثم أرسل للقضاء في مدينة أبها، وبقي قاضياً ورئيساً لمحاكم منطقة عسير أكثر من عشر سنوات (١٣٦٠ـ١٣٧١هـ/ ١٩٤٠ـ١٩٥١م) ، ثم طلب الإعفاء من القضاء، والتفرغ للتدريس في مسجد مناظر بأبها، وأسس المدرسة السلفية أو مدرسة العلوم الشرعية في أبها. واستمرت حلقات دروس الشيخ

العلمية حوالي ثلاثين عاماً، وكان له صلات جيدة مع حكام ورجال الدعوة والقضاء في أنحاء المملكة العربية السعودية. ومن أعماله الجليلة لخدمة الدين والدعوة إلى الله في تهامة والسراة أن خصص سكناً للطلاب القادمين من خارج أبها مع مكافآت شهرية . وعندما علم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود بذلك، أصدر أمراً إلى مالية أبها بصرف مكافأة شهرية للشيخ حتى يوزعها على طلاب العلم الذين كانوا مواظبين على دروسه. وتخرج في مدرسته مئات الطلاب الذين خدموا بلادهم ودينهم، ومنهم من تولى القضاء في أمكنة عديدة بالمملكة، ووصل بعضهم إلى مراكز علمية وشرعية عالية في الدولة.

والباحث عن أعلام ورجال دين ودعوة في عصري الشيخين القرعاوي والوابل فسوف يجد الكثير من الذين ارتحلوا في بلدان عديدة من السراة وتهامة، وبذلوا ما في وسعهم لخدمة الناس وتنويرهم في أمور دينهم. ويوجد بعض المدونات والوثائق التي أشارت إلى أسماء بعضهم في مناطق عسير، والباحة، وجازان وغيرها، ومن يجمع تاريخهم أيضاً من خلال الروايات والمقابلات الشفهية فسوف يحصل على مادة علمية جيدة خلال العقود الخمسة الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م).

لا تخلو أي مرحلة من مراحل التعليم العام (مدارس أو معاهد) من دروس ومقررات خاصة بالعلوم الشرعية والدينية والعربية والتاريخية والسلوكية وغيرها. لكن المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والمنتشرة في إنحاء المملكة العربية السعودية كان لها جهود كبيرة ومتنوعة في التعليم الديني والتربوي. وخلال العقود الأربعة الماضية من هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م) زرت معظم المعاهد العلمية في الطائف، ومناطق الباحة، وعسير، وجازان ووجدت أقدمها معهد صامطة العلمي (١٣٧٤هـ/١٩٥٤م)، وعلمت أن عددها في تهامة والسراة تجاوز العشرين معهداً من مجموع المعاهد في أنحاء المملكة العربية السعودية التي زادت عن السبعين معهداً، ورأيت فيها أنشطة متنوعة علمية وتربوية وتثقيفية وتوعوية جيدة، والقائمون عليها من المديرين والمرشدين والمعلمين (السعوديين وغير السعوديين) من خيرة الرجال في سلوكياتهم، وأخلاقهم، وتعاملاتهم. وشاهدت في المعاهد التي زرتها مكتبات ورقية مليئة بالمصادر والمراجع والمجلات العلمية النافعة، والتقيت ببعض طلاب هذه المؤسسات أثناء دراستهم، وبعد تخرجهم فوجدتهم يتصفون بالكثير من الأخلاق الحميدة والفاضلة، وعندهم مخزون علمي ومعرفي جيد خصوصاً في العلوم الشرعية والعربية. وعلمت مؤخراً أن هذه المعاهد الرائدة ألغيت وتم دمجها مع الثانويات العامة في التعليم العام.

(*) عشت وعاصرت التعليم العام والجامعي في السروات وتهامة من عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) حتى وقتنا الحاضر، ووثقت بعض الكتب والبحوث في هذا الميدان التاريخي الحضاري. وأوصيت في دراسات عديدة إلى أهمية تدوين تاريخ هذا القطاع الذي نقل البلاد والعباد إلى مراحل عالية ومتقدمة. وأشير في الصفحات التالية إلى صور عرفتها واطلعت عليها وشاهدتها في الحياة الدينية والدعوية :

١- استمرار التعليم العام للأبناء والبنات (العام والخاص) يؤدي رسالته التعليمية على جميع الأصعدة. وضمن المناهج التدريسية مواد دينية عديدة تُدَّرس في كل المراحل، والكثير من الأنشطة الثقافية والعلمية والدينية الصفية واللاصفية تسير ضمن برامج وخطوط ترسمها مؤسسات التعليم السيادية، وتتابعها وتنفذها إدارات التعليم بجميع فروعها وأقسامها. وزرت في عشرينيات وثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م) إدارات تعليم الطائف، والباحة، والمخواة، والقنفذة، والنماص، وبيشة، ومحايل عسير، وأبها، وسراة عبيدة، ونجران، وصبيا، وجازان. وحصلت على مدونات وصور وتعاميم وتقارير علمية وإحصائية عديدة، وجلست مع بعض مديري التعليم ومسؤولين ومعلمين ومشرفين وسمعت منهم تفصيلات كثيرة عن جهودهم المتنوعة (أعضاء هيئة تدريس، وطالبات وطلاب) داخل مدارسهم، وخدمات المجتمع المتنوعة، ومنها المسابقات الدينية، والمشاركات في المهرجانات المختلفة، والعمل في فرق الكشافة، والجمعيات الاجتماعية والخيرية، والرحلات المتنوعة كالحج والعمرة لبعض الأساتذة والطلاب وغيرها، والزيارات المتبادلة بين طالبات وطلاب المدارس في محيط الديار التهامية والسروية، أو مدن ومناطق أخرى في المملكة.

٢- يُعد التعليم الجامعي في أرض السراة وتهامة فتحاً عظيماً على الناس منذ نهاية القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م). ونجد مئات الطلبة تخرجوا في مدارسهم الثانوية أو المعاهد المحلية من السبعينيات إلى التسعينيات في القرن(١٤هـ/٢٠م)، ثم سافروا إلى المراكز الحضارية الكبيرة في المملكة من أجل الوظيفة أو الدراسة الجامعية. ومنهم أعداد كثيرة تخصصوا في العلوم الشرعية واللغوية، وبعد حصولهم على الشهادة الجامعية التحقوا بالعديد من الوظائف المدنية والعسكرية، ومنها مجالات القضاء، والدعوة والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتدريس. ومن يدرس أعداد هذه الشرائح في مناطق السروات وتهامة، وما قدموا من أعمال تعليمية ،وتربوية، ودعوية وإرشادية، وقضائية وغيرها فسيجد نسبة جيدة لعبت أدواراً حضارية تنويرية متنوعة في خدمة العباد والبلاد .

٣- افتتحت كلية الشريعة واللغة العربية في أبها عام (١٣٩٦ـ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦ـ١٩٧٧م)، وتعد أول مؤسسة تعليمية شرعية عالية في عموم السروات وتهامة. وكنت من أوائل الطلاب الذين التحقوا بها، لكنني لم أستمر الدراسة الجامعية فيها، وانتقلت إلى كلية التربية في المدينة نفسها. ومن معاصرتي تلك الكليات في حاضرة أبها، شاهدت وقرأت وسمعت الكثير من المنجزات الكبيرة التي قدمتها هاتان الكليتان لآلاف الطلاب. في مناطق عسير، وجازان، ونجران وقرى ومدن أخرى في البلاد. وفي العشرين سنة الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) أنشئت العديد من كليات البنين والبنات في منطقة عسير، وبلدان أخرى في جنوب المملكة العربية السعودية.

الكتابة عن كلية الشريعة واللغة العربية، ثم كليتي الشريعة وأصول الدين، واللغة العربية والعلوم الاجتماعية بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الجنوب منذ تأسيسها إلى نهاية العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) مجال كبير ومتشعب لمن أراد إنجاز دراسة تفصيلية عن هذا الميدان. وهناك الكثير من المقالات، والتقارير، والبحوث، والإحصائيات التي صدرت ونشرت في هذا الموضوع. ولن أناقش هذا الجانب، واختصر توثيقاتي على تجاربي ومشاهداتي لهاتين الكليتين العاليتين خلال الخمسة وعشرين عاماً الأولى من تاريخها، وأذكر ذلك في الفقرات التالية:

بقيت طالباً في كلية الشرعية واللغة العربية بأبها لمدة أربعة شهور عام (١٣٩٦ـ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦ـ١٩٧٧م)، ورأيت الجهود الكبيرة المبذولة من الشيخ عبدالله المصلح، عميد الكلية آنذاك، ومن كان يعمل معه من الأساتذة والموظفين. ولفت نظري غزارة العلوم الشرعية والفقهية التي امتاز بها أعضاء هيئة التدريس، ومعظمهم من جامعة الأزهر، وبعض الجامعات الكبيرة في الشام، والسودان. أما طلاب الكلية فجميعهم تخرجوا في المعاهد العلمية، التي درسوا وتعلموا فيها الكثير من المعارف والعلوم اللغوية والشرعية والأدبية والتاريخية.

أصبحت طالباً بكلية التربية بأبها خلال دراستي الجامعية، واستمريت معيداً ثم أستاذاً في الكلية حتى نهاية العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وكنت على اتصال دائم بزملائي الأوائل في كلية الشريعة واللغة العربية، ثم زميلاً وصديقاً للمسؤولين والأساتذة وبعض الطلاب بفرع جامعة الإمام بأبها خلال العشرين سنة الأولى من القرن الحالي، وسمعت ورأيت الكثير من أعمالهم التدريسية ومحاضراتهم العامة والخاصة داخل فناء كليتي الشريعة وأصول الدين، واللغة العربية والعلوم الاجتماعية، وفي المساجد والجوامع، والأنشطة والمهرجانات الدعوية الأسبوعية، والشهرية، والفصلية

في القرى والمدن والأرياف والبوادي بمناطق عسير، وجازان، ونجران. وذهبت معهم في رحلات للحج والعمرة، وبعض المخيمات والبرامج الدعوية في مواطن عديدة من تهامة والسراة. وإذا بحثنا عن المشاركات العلمية للطلاب والأساتذة في الكليتين، فسنجد كماً كبيراً من الدراسات والمقالات والمشاركات الصوتية والمقروءة والمكتوبة.

لمعرفتي القوية بالأساتذة المؤسسين للكليات الجامعية في مدينة أبها وغيرها، اتصلت بهم وطلبت منهم الكتابة عن تاريخ كليتي الشريعة وأصول الدين، واللغة العربية والعلوم الاجتماعية وغيرها من مؤسسات التعليم العالي في الجنوب، فلم أجد القبول والتجاوب منهم وبخاصة من كانوا صناع قرار في الفترة الممتدة من (١٣٩٦-١٤١٠هـ/١٩٧٦-١٩٨٩م). وتجاوب معي زملاء قليلون ، كانوا طلاباً جامعيين خلال العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ومازلت أسعى إلى إقناع بعض الذين مازالوا على قيد الحياة من الأوائل فيدونوا أو يرووا لي شيئاً مما عرفوه وعاصروه أثناء البناء والتأسيس لكلية الشريعة واللغة العربية، ثم كليتي الشريعة وأصول الدين، واللغة العربية والعلوم الاجتماعية.

كان لكليتي الشريعة وأصول الدين، واللغة العربية والعلوم الاجتماعية جهوداً ومساهمات كثيرة في ميدان تخريج الكثير من المدرسين الذين عملوا في مدارس التعليم العام، وفي المعاهد العلمية، وأعداد كثيرة منهم صاروا قضاة، وخطباء وأئمة مساجد وجوامع، وكُتاب عدل، وفي إدارات مدنية وعسكرية متعددة. ورأيت المئات منهم يشرفون على مشاريع وجمعيات خيرية ووقفية محلية في طول البلاد وعرضها، ولهم جهود ومشاركات في مؤسسات إقليمية وعالمية، مثل: هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، وغيرها من المناشط الإنسانية والدعوية داخل تهامة والسراة، وفي أرجاء المملكة العربية السعودية، وأحياناً خارج حدود الوطن .

(*) تاريخ التعليم العالي في خدمة الحياة الدينية والدعوية بأرض تهامة والسراة خلال الربع قرن الأخير(١٤٢٠ـ ١٤٤٦هـ /١٩٩٩-٢٠٢٤م) موضوع متشعب وكبير، ودراسته بمنهجية جيدة وعلمية واسعة يستغرق وقتاً كبيراً، ويصدر ذلك في عشرات الكتب ، وفي الصفحات الآتية أدون بعض اللمحات مما عرفته وقرأته وشاهدته في هذا الباب وأذكر ذلك في النقاط الأتية :

أ- لم يبدأ العقد العشريني في تهامة والسراة من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، إلا استوى حال البلاد في البناء والتنمية الحديثة. وواجهت الدولة والناس في كل مكان الكثير من الصعوبات خلال الثمانين عاماً الأولى من تاريخها، وفي القرن

الحـالي عم الخير والرزق أرجاء الديار السـعودية، وتطورت حيـاة الناس في كل ميدان، وزاد العلم والنور المعرفي، وأسسـت وتنوعت كليات وأقسام ومراكز بحوث التعليم العالي في أوطان السـروات وتهامة، وفي نهاية العقد الثاني من هذا القرن تم إنشـاء جامعـة الملك خالد في أبها، ومن أكبر أهداف تأسيسـها توسـيع قاعدة التعليم الجامعي في مناطق عسير، وجازان، ونجران، وقامت هذه المؤسسة العالية بواجباتهـا على أكمل وجه، ولم نصـل إلى عام (١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م) إلا أصـبح في المناطق الآنف ذكرها أربع جامعات (الملك خالد، وجازان، ونجرن، وبيشـة) وإذا نظرنـا إلى الأجزاء الشـمالية من السـروات وتهامة، وجدنـا أن جامعات المنطقة الغربية، (الملـك عبدالعزيـز، وأم القرى) اجتهدت في تأسـيس ونشـر مؤسسـات تعليميـة عاليـة في حواضـر الطائـف، والليـث، والقنفـذة، ومنطقـة الباحة، وفي عشـرينيات هـذا القرن (١٥هــ/٢٠م) أنشـئت جامعتي الطائـف والباحة اللتان توسـعت مسـؤولياتهما وإشـرافهما على الكثير من الكليات والأقسام الجامعية في المدن والمحافظات التابعة أو القريبة من حاضرتي الباحة والطائف.

ب- جميع المؤسسـات الجامعية السـروية والتهامية قامت على مبادئ وأسـس وقواعد وخطط إدارية، وشـرعية، وتنظيمية، كلها تخضـع لسياسـة الدولة والتعليم العام والعالي وغيره من المؤسسات الحكومية التي دستورها القرآن الكريم وسنة الرسول (ﷺ)، وهذا المنهج الذي اتبعه الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل (يرحمه الله) وسار عليه ملوك وأمراء آل سعود حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م).

٣ الطعام والشراب، واللباس والزينة في جنوب المملكة العربية السعودية خلال قرنين (١٤-١٥هـ-٢٠-٢١م)[1]

بقلم. أ. د. غيثان ابن علي بن جريس

أولا :- الطعام والشراب :

إذا أرخنا للطعام والشراب خلال المئة وخمسين سنة الماضية في أنحاء السروات وتهامة نجد أن معظم الأشربة والأطعمة كانت محلية من مزارع الناس، ولحوم مواشيهم ومنتوجاتها. وإذا جلبت بعض المواد الغذائية من خارج بلادهم، فقد كانت قليلة ومحدودة، وغالباً يتم إحضارها من أسواق الحجاز واليمن، وربما جاءت من دول عربية وإسلامية أخرى مثل الشام، ومصر، وبعض الدول الإفريقية، والتركية وغيرها.

تُطهى جميع الأطعمة والأشربة في المنازل، ونادراً توجد محلات تجارية لصنع الطعام. وإن وجد شيئاً من ذلك ففي بعض المدن والحواضر الكبيرة مثل الطائف، والقنفذة، وأبها، وجازان وغيرها. وكان الناس متقاربين متحابين متعاونين في إعداد موائدهم وأطعمتهم في المناسبات الاجتماعية الكبيرة كالأعياد، والزواجات، والمآتم، وحفلات الختان، واستقبال الضيوف وإكرامهم، وغيرها من الأنشطة الاجتماعية الترفيهية.

تقوم النساء بإعداد الأشربة والأطعمة لأسرهن، وغالباً في المناسبات الاجتماعية الكبيرة، وبخاصة الطعام المصنوع من الحبوب كالعصيد، والخبز بجميع أنواعه. أما الأطعمة من اللحوم وذبح الذبائح وإكرام الضيوف في المناسبات العامة فالرجال هم من يقومون بهذه المهنة. وتختلف طرق إعداد الولائم الكبيرة، وأيضاً الوجبات الصغيرة والمتوسطة على مستوى القرى والأسر في تهامة والسراة، بل هناك بعض الاختلافات في المنطقة الواحدة من أرض تهامة أو السراة، من حيث أسماء الأشربة والأطعمة، وأدواتها، ومكوناتها، وطرق إعدادها، وقد وثقت شيئاً من ذلك في بعض مؤلفاتي التي صدرت خلال العقود الأربعة الماضية.

(*) عدد الوجبات اليومية ثلاث : فطور (قروع)، وغداء، وعشاء، وغالباً تُقدم في أوقات محددة عند شروق الشمس، ووسط النهار، وبعد المغرب. وأحيانا توجد وجبات

---

(١) مقالة منشورة في صحيفة النماص اليوم الرقيمة بتاريخ (٦/سبتمبر/٢٠٢٥م).

قليلة وخفيفة في أوقات أخرى من النهار. وأثناء رحلاتي في مناطق السراة وتهامة خلال الثلاثين سنة الماضية (١٤١٦ - ١٤٤٦هـ / ١٩٩٦ - ٢٠٢٤م) جمعت بعض الأخبار عن بعض الأشربة والأطعمة عند الأوائل، ونشرت معظمها في كتبي وبحوث علمية أخرى عديدة. وخرجت ببعض الخلاصات التي أدرج شيئاً منها في النقاط الآتية :

١- كانت معظم أشربة الناس وأطعمتهم طبيعية وصحية، فهي خالية من التلوث البيئي، وربما نقصت أو انعدمت المواد الغذائية عند الناس، بأسباب القحط وقلة الأمطار وأحياناً تظهر الأمراض في الحيوانات والمزارع فتقضي عليها، ويحل الفقر والجوع والمرض بالناس.

٢- زرت العديد من المتاحف التاريخية، والتقيت بالكثير من الأعلام المتقدمين الذين عاشوا أغلب سنين أعمارهم في القرن(١٤هـ/ ٢٠م) ، فسمعت، منهم وعرفت من بعض الآثار المادية التاريخية أن الذين صنعوا المواد والأواني الخاصة بالأشربة والأطعمة من أهل البلاد أنفسهم، وقليلاً تستورد مواد أو أوعية من خارج البلاد حتى العقود الأخيرة من القرن الهجري الماضي.

٣- ليست حياة الناس في أنماط أشربتهم وأطعمتهم موحدة وطبق الأصل في كل الأجزاء والمناطق السروية والتهامية، بل هناك اختلافات جوهرية وأخرى ثانوية. فسكان الساحل يختلفون عن أهل الخبوت والسهول التهامية، أو القاطنين عند سفوح السروات الغربية. والذين يعيشون في أراض زراعية غير الذين يعتمدون في معاشهم على الصيد البري أو البحري. وسكانُ أعالي السروات يختلفون عن البدو الرحل في الأجزاء الشرقية. فالأوائل أهل حرث وزراعة، ويمتلكون المواشي (الأبقار، والأغنام) ، أما أهل البوادي فهم بدو ينتقلون من مكان لآخر، واعتمادهم في طعامهم وشرابهم على لحوم وألبان حيواناتهم. وتجرِي التعاملات التجارية في أسواقهم الأسبوعية، ويتبادلون السلع المختلفة، وأحياناً تقايض البضائع ببعضها، ومعظم تلك التجارات التهامية والسروية محلية، وفي مقدمتها المواد الغذائية .

٤- اتضح لي أن كل نوع من الشراب والطعام له طرق للإعداد من بداية جلب مواده الأولية إلى تقديمه للأكل بصورة نهائية. وهناك فنون وألفاظ ومصطلحات لكل وجبة أو نوع من الطعام، وفي الغالب تختلف من مكان لآخر، وكلما بعدت المسافة بين الأمكنة زاد التباين والاختلافات.

بعد ظهور البترول في البلاد السعودية، وانتشار الطرق والمواصلات الحديثة، وتوفر المال عند الناس، وتحسن أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، وزيادة النمو التجاري والثقافي والتعليمي، والوظائف الحكومية (المدنية والعسكرية). بقي الناس يمارسون حياتهم السابقة فيما يتعلق بأشربتهم وأطعمتهم، وصاروا أيضاً يجلبون مواد غذائية أخرى جديدة من الأسواق الشعبية المحلية، ومن الموانئ والمدن السعودية الأخرى الكبيرة، أو من بعض البلدان العربية والأجنبية.

وأثناء التطور الإداري والمالي والحضاري الذي عاشته أرض السروات وتهامة في العقود الأربعة الأخيرة من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، وقدوم الكثير من العناصر البشرية العربية والأجنبية التي عملت في الكثير من القطاعات التنموية الحكومية والأهلية ظهرت الكثير من المواد الغذائية الجديدة، ومعظمها مستوردة من داخل المملكة العربية السعودية، وصار الناس يشاهدون ويرتادون أماكن الأطعمة والأشربة التجارية التي لم تكن موجودة في العقود الوسطى من القرن الهجري الماضي، واتسعت القاعدة الرئيسية لأسماء وأنواع الطعام والشراب، وقامت المطاعم الكبيرة والصغيرة في أنحاء البلاد، وصارت جميع الأيدي العاملة في هذه المحلات التجارية وافدة من بلدان عربية وإسلامية وأحياناً أجنبية. وعندما كنت طالباً بالجامعة في نهاية القرن الهجري الماضي، وعندي سيارة تاكسي أسافر عليها إلى مدن ومناطق عديدة في السروات وتهامة، أشاهد الدكاكين التجارية المليئة بالمواد الغذائية داخل المدن، وعلى بعض الطرق الرئيسية. وكذلك (البوفيهات) والمطاعم بالمدن الرئيسية، مثل: الطائف، والباحة، والنماص، وتنومة، وأبها، وخميس مشيط، وبيشة، والقنفذة، وجازان، ونجران. والعاملون فيها من العمالة اليمنية، أو من البخارية والأفغان وغيرهم. وحضرت بعض المناسبات الاجتماعية في مناطق عسير، وجازان، ونجران، والطائف خلال التسعينيات من القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ورأيت ولائمهم متفاوتة في أحجامها، وأنواع الأطعمة والأشربة المقدمة، لكنها كانت خليط من الطعام والشراب المحلي، وبعض الأغذية المستوردة، وكان هناك الكثير من البروتوكولات) والعادات التي تمارس في تلك الاحتفالات. كما شاهدت الكثير من أنواع الشراب والطعام الذي كان يقدم في المنازل الصغيرة والكبيرة، وفي مناسبات أسرية، أو على مستوى القرية، والبلدان الريفية، ومازال الغالب على تلك الحياة التعاون والتقارب بين أفراد الأسرة، أو الفخذ، أو القرية في إعداد أشربتهم وأطعمتهم الخاصة والعامة، ولم تكن ظهرت المطاعم والأمكنة التجارية التي تقوم على إعداد الشراب والطعام، وإن وجدت فهي قليلة ومحدودة في الحواضر والمدن الكبيرة

والرئيسـية، أمـا غالبية البـلاد فمازالت تعيش جـزءاً كبير من حياة السـابقين، إلا أن أحوالهم المالية والاقتصادية أصبحت في مستوى أحسن وأفضل.

بـدأ هـذا القـرن (١٥هـ/٢٠م)، وبقيـت عجلة النماء والتطور تسـير في كل اتجاه. والإنسـان هـو محور الحياة، فهو الـذي يؤثر ويتأثر في ركب الحضـارة الحديثة والمعاصرة. وبقي نظام الطعام والشراب يتوسع ويتنوع في الإعداد، والطرق، والإمكانات، والأصناف. فزادت أنواع الأشربة والأطعمة عند الأفراد، والأسر، وعلى مستوى القرى، والمـدن، والحواضـر، والمناطـق. وتراجعت المـواد الغذائية المحلية، وفاضـت الأشـربة والأطعمة المسـتوردة مـن بلدان كثيرة في العالم، وتوسـعت وتعددت المطاعم، وأنشـئت مخـازن الأطعمـة والأغذية التجارية الكبـيرة، وزادت وتعددت الأيـدي العاملة الوافدة في قطاع الأغذية والأشـربة، وظهرت قاعات وصالات متعددة الأحجام والأغراض تقام فيها الكثير من المناسبات الاجتماعية، وتقدم فيها أصناف الولائم والأطعمة والأشربة .

لقد عشـت جزءاً من حياة الأولين، وعاصـرت وشـاهدت العقود الماضـية من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ـ٢١م)، ورأيت التطور التدريجي الذي جرى لتاريخ الشراب والطعام في نهاية القرن الهجري الماضـي، والعقدين الأوليين من هـذا القرن(١٥هـ/٢٠م)، ثم التطور الحضـاري السـريع والكبير الذي حدث للأرض والناس خلال العشـرين سـنة الأخـيرة (١٤٢٥ - ١٤٤٦هـ/٢٠٠٤ - ٢٠٢٤م). وكان الشـراب والطعام أحد المجالات التي جرى عليها الكثير من التحولات الشكلية والمادية والمعنوية، وأصبح الإنسان مذهولاً مما يشاهده من تغيرات في ألوان، وأنواع، ومقادير، وأماكن، وتقاليد، وأنماط، وأعراف ميادين الشراب والطعام. كما أنه يرى التأثيرات والآثار الإيجابية والسلبية التي يعيشها الناس في أساليب وأنواع طعامهم وشرابهم. ويجد طرق الشراب والطعام القديمة صارت معظمها من الموروث، وحل محلها ثقافات ومفردات ومصطلحات مستوردة وحديثة على بلادنا وحضـارتنا المحلية. وهذا بدون شـك ولـد حاجزاً كبيراً بين تاريـخ وحياة الآباء والأجـداد، وبـين أجيال الوقت الحاضـر. وأصـبحت الأشـربة والأطعمـة القديمة غير مرغوبة ولامستسـاغة عند أبناء وبنات اليوم. وقد تحضـر مناسـبة اجتماعية كبيرة أو صـغيرة، تُقدم فيها أنواع الأشربة والأطعمة القديمة والحديثة، فترى الأجيال المتأخرة تفضل الطعام الحديث والمستورد، ولا تميل كثيراً إلى الأكلات الشعبية المحلية، التي هي بدون شك أفضل في مكوناتها وفوائدها الصحية.

الحديث يطول ويتشعب إذا أطلقنا العنان في توثيق تاريخ الطعام والشراب المعاصر، ووسـائل التواصـل، والتقنية الحديثـة لعبت دوراً رئيسـياً في الدعاية والتسـويق للمواد

الغذائية الحديثة والمستوردة ، واتصال العالم بعضه ببعض في وقتنا الحاضر أوجد الدعم والتثقيف للأغذية والأشربة الدخيلة والوافدة إلى بلادنا. وتراجع الاهتمام والعناية بأنواع الشراب والطعام البلدي القديم، مع أنه الأجود وما جرى ويجرى من التقليل بأهمية الشراب والطعام المحلي، امتد أيضاً إلى كل المجالات الحضارية المحلية الأخرى، وهذه ضريبة العولمة التي تحارب كل قديم وأصيل .

ثانيا :ـ اللباس والزينة :

لم يكن عند التهاميين والسرويين زيًّا موحداً في النوع والشكل وطريقة اللباس. إنما الظروف الاقتصادية والجغرافية الطبيعية فرضت على الناس نوعية ألبستهم. فأهل الأجزاء التهامية يلبسون الملابس الخفيفة لشدة الحرارة في فصل الصيف واعتدالها في الشتاء. وتتفاوت طبقات المجتمع التهامي في أنواع ألبستها الداخلية والخارجية. فالسواد الأعظم خلال العقود الثمانية الأولى من القرن(١٤هـ/ ٢٠م) كانت ألبستهم قليلة جداً وأنواعها رخيصة ورديئة، بعكس الأغنياء والأعيان والوجهاء وعلية القوم فألبستهم وأدوات زينتهم أفضل من غيرهم.

لم تكن أيضاً ألبسة أهل السراة خلال القرون الماضية المتأخرة في وضع ممتاز، لكنها أحسن في النوع والمستوى من أهل تهامة، ومن سكان البوادي في الأجزاء السروية الشرقية. وتذكر بعض المصادر، وبخاصة مدونات الرحالة، بعض الألبسة الرجالية والنسائية في الطائف، وبيشة، وأبها، والنماص، ونجران خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) .

لقد وثقت بعض المدونات عن أدوات الزينة وألبسة الرأس، والبدن، والأقدام للرجال والنساء في معظم بلدان تهامة والسراة، وذكرت الكثير من أسماء الألبسة التي كانت مستخدمة خلال القرون الماضية (ق١١٠٠ـ١٤٠٠هـ/١٦٨٨ـ١٩٨٠م)، وطريقة صنعها واستخدامها وأهميتها، وأشرت إلى الألبسة المصنوعة محليًّا، والمستوردة من الأسواق الأسبوعية التهامية والسروية، أو من حواضر الحجاز الكبرى، أو بعض الأسواق المحلية والإقليمية. داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها.

(*) أثناء إقامتي في سروات بني شهر وبني عمرو خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، وقضاء بضعة أعوام من التاريخ نفسه في مدينة أبها، وسفري إلى بعض مدن المملكة العربية السعودية في المناطق الجنوبية، والغربية، والوسطى، والشرقية، شاهدت وتذكرت بعض الصور التاريخية عن ألبسة الناس وأدوات

زينتهم، وأدون في النقاط التالية لمحات من تلك المشاهدات، وهي على النحو الآتي:

١- كانـت حياتنا ريفيـة، ولا نملك الكثير من اللباس وأدوات الزينة، فالرجال الكبار، والنسـاء الكبيرات حتى نهاية الثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) لا يملكون أكثر من ثوب أو ثوبين، وقليلاً جداً الذين عندهم ثلاثة أثواب وملحقاتها مثل العمامة، أو الرداء، أو ألبسة القدم. أما الألبسة الداخلية فهي قليلة جداً عند الجنسين، ونادرة أو لا توجـد عند الأطفال ذكوراً أو إناثاً. وحياة الأرياف البعيدة عن القرى أو المراكز الحضارية في معظم السروات من أبها إلى الطائف، وكذلك سكان البوادي فأحوالهم المعيشـية العامة أقل بكثير من أوضاعنا في سـروات النماص وما شابهها من القرى الكبيرة. وكنت أشاهد بعض أبناء القرى الذين التحقوا بالوظائف الحكومية في المدن السعودية الكبيرة عندما يعودون إلى قراهم في إجازاتهم الرسمية، يُحضرون معهم الكثير من الهدايا لأفراد أسـرهم، وأحياناً لسـكان قراهم (رجالاً ونساءً)، ومعظم تلك الهدايا أقمشـة، وألبسـة للرأس للرجال والنساء الكبار والكبيرات، وجميع تلك الهدايا جلبوها من أسـواق المدن الكبيرة في الحجاز، أو نجد، أو المنطقة الشـرقية. وأرى أثناء ذهابي إلى المدرسـة في مدينة النماص ألبسـة زملائي الطلاب بسيطة ومحـدودة، فـلا تزيد عن ثوبٍ وغترة وطاقيـة (قبعة، أو كوفيـة)، وكلها من الأنواع الرخيصـة، ونادراً ترى إنساناً لديه ألبسة غالية حتى بداية العقد التاسع من القرن الهجري الماضي. والمدرسون السعوديون، وهم قليلون جداً، ملابسهم أقل من عادية، والمعلمـون المتعاقدون جميعهم أو معظمهم يلبسـون البنطـال والقميص، وفيهم من كان يلبس الربطة (الكرفتة) في العنق، ورؤوسـهم مكشوفة، ويلبسون (الكندرة) في القدم، أو أحذية أخرى أجود من أحذيتنا وأحذية المدرسـين السـعوديين. وكان على مقربة من مدرسـتنا سـوق الثلاثاء الأسـبوعي، كنا نتردد عليه يوم السوق ونشاهد الكثير من البضائع المحلية، وبعض المستوردة، ومنها الأقمشة، وألبسة أخرى عديدة رجالية ونسـائية، أما ألبسـة الأطفال فلا توجد أصـلاً، وشـاهدت بعض الأحذية الجلدية أو البلاسـتيكية، ونماذج من الأسـلحة والأحزمة التـي يتزين بها الرجال، وبعض أدوات الزينة مثل: الريحان وأشـجار عطرية أخرى، والحناء، والبخور أو ما يسمى بالظفار، وبعض العطور المستوردة من أسواق اليمن والحجاز وغيرها .

٢- كنـت في السـنوات الأخيرة من العقـد الثامن في القـرن (١٤هـ/٢٠م) أجلس في مجالـس النسـاء الكبيرات والرجال الكبار، وأسـمعهم يتحدثون عـن الفقر والعوز الذي عاصروه ولحقهم من أربعينيات وربما ثلاثينيات القرن نفسه إلى الزمن الذي

سمعتهم يروون بعض أخبارهم وقصص من حياتهم وحياة السابقين. كما عاصرت بعض المناسبات الاجتماعية في قرى النماص، وتنومة، وبني عمرو، ورأيت الرجال والنساء يلبسون أفضل ما لديهم من لباس وزينة. فالرجال يلبسون الثوب والغترة وأحياناً العقال، وبعض الأحزمة وغيرها من الأسلحة كالبنادق وبعض السيوف. أما النساء فيلبسن الثياب والأقنعة وبعض الجواهر والخواتم وغيرها. ولم يكن كل الناس عندهم تلك الألبسة، فترى أكثرهم (رجالاً ونساءً) يستعيرون بعض الألبسة وأدوات الزينة من غيرهم ومن تتوفر عنده أثناء حضورهم مناسباتهم الاجتماعية كالزواج وغيرها من الاحتفالات الفرائحية.

٣- أوثق هذه المعلومات من خلال المشاهدات الشخصية في سروات بني شهر وبني عمرو وفي الفترة نفسها ذهبت إلى قرى خاط والمجاردة ورأيت ألبسة الناس أدنى في المستوى والجودة من قرى السروات، وعاصرت بعض موظفي الدولة الذين عادوا من وظائفهم لقضاء إجازاتهم في قرى تهامة، أو بعض المدرسين والموظفين المحليين في بلدتيّ المجاردة وخاط، فكانت ألبستهم أنظف وأفضل من ألبسة عامة الناس. ولم يكن عندي في ذلك الزمن معرفة واسعة عن ألبسة الناس في أرجاء تهامة لكنني بعد القراءات أثناء رحلتي البحثية الطويلة تبين لي أن معظم قرى وبوادي السراة وتهامة لم تكن بعيدة في المستوى عما شاهدته في قرى بني شهر وبني عمرو السروية والتهامية. أما المدن والحواضر الكبيرة في عموم البلاد مثل الطائف، والقنفذة، وأبها، ونجران، وصبيا، وجازان، وخميس مشيط، وبيشة فقد كانت أحوال بعض الناس فيها أفضل من غيرها، لأنها مراكز حضارية وإدارية كبيرة، وفيها الكثير من الأجناس البشرية المتنوعة، وأسواقها الأسبوعية مليئة بالبضائع المحلية والمستوردة، والألبسة والأقمشة وأدوات الزينة من أكثر السلع التجارية الرائجة.

٤- سافرت من نهاية الثمانينيات إلى منتصف التسعينيات من القرن الهجري الماضي إلى الحجاز، والرياض، والمنطقة الشرقية، وذهبت إلى أبها وخميس مشيط وبيشة، وتوسعت مداركي ومشاهداتي، ورأيت زيادة وتنوع الألبسة وأدوات الزينة في هذه الأوطان، وأثناء رجوعي إلى موطني الأصلي سروات بني شهر وبني عمرو لاحظت تحسن أوضاع الناس تدريجيًّا، وبدأت ألبستهم وأدوات زينتهم تكثر وتتنوع في الأنواع والأشكال، وصار الأفراد والجماعات يقتنون ملابس داخلية وخارجية متعددة، وأصبحت الكثير من الألبسة وأدوات الزينة تعرض في الأسواق الأسبوعية وبعض المحلات التجارية في مدينة النماص، وبعض القرى الكبيرة في البلاد.

انتقلت من النماص إلى أبها لدراسة الجامعة (١٣٩٦ـ١٤٠٠هـ/١٩٧٦ـ١٩٨٠م)، وعاصـرت وزاملـت الكثير من طلاب تهامة والسـراة، ورأيت الكثير من أعضـاء هيئة التدريس الوافدين من بلدان عربية وإسـلامية وأجنبية عديدة. وبدأت العمالة الوافدة تزيد وتتكاثر في كل مكان، وسـارت عجلة التنمية الاقتصـادية والحضـارية نحو التطور والازدهـار. ورأيت الكثير من التغيرات خلال سـنوات الجامعة الأربع، ولم تعد الملابس وأدوات الزينة قليلة ومحدودة عند الناس كما كانت في العقود السابقة (١٣٠١ـ١٣٩٠هـ/ ١٨٨٤ـ ١٩٧٠م)، بل أصبح هناك أسواقاً صغيرة ومتوسطة يومية في المدن الكبيرة ببلاد تهامة والسراة، والكثير من سلعها ألبسة داخلية وخارجية لجميع شرائح المجتمع، وزادت أدوات الزينـة المسـتوردة من أمكنة عديـدة داخل المملكة العربية السـعودية وخارجها. وأذكـر أيام دراسـتي في كليـة التربية بأبها أنني كنـت أتردد على أسـواق أبها وخميس مشـيط الحديثة، وذهبت إلى مدن عديدة في الحجاز، والمنطقتين الوسـطى والشـرقية وشاهدت ألبسة متنوعة وكثيرة بعضها صناعة (خياطة) محلية، وأكثرها مستوردة من خارج البلاد. وأصبحت أمكنة الخياطة الرجالية، ومشاغل التجميل والخياطة النسائية في مدن عديدة من مناطق الطائف، والباحة، وعسير، وجازان، ونجران.

لاحظت تنوع الألبسـة في حاضـرتي أبها وخميس مشـيط، بسـبب تعـدد الأجناس البشرية التي جاءت إلى هذه البلاد. فطلاب الجامعة تتشابه ألبستهم في الشكل العام، لكن هناك أيضـاً بعض الاختلافات وتأثيرات بيئاتهم الأصلية، فأهل تهامة من القنفذة إلى جازان تختلف أنواع وهيئات ألبستهم عن أهل السراة.

كانت العناصر الوافدة إلى بلاد عسير وغيرها من أرض السروات سواءً من داخل المملكة أو خارجها، تتفاوت في ألبستها بشكل أوسع وأوضح من السكان المحليين السرويين والتهاميـين. فكنت أرى بعض العناصـر الحجازية، أو الخليجيـة وغيرها يختلفون عن بعضـهم نوعاً ما، في نوع اللباس وشكله وطرق استخدامه. والوضع نفسه عند الأجناس الخارجية، فالباكسـتاني أو الأفغاني مثلاً يختلف عن الكوري أو الصـيني أو الأوربي أو الأمريكي، والجنسـيات العربية أو الإسـلامية تتباين في طرق لبسها، وأسماء ألبستهم وأدوات زينتهم وتقاليدهم وعاداتهم الخاصـة بالزينة واللباس. أما تنوع ألبسة النساء فأوسع وأكثر مما عند الرجال.

(*) ذهبت في مطلع هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) للدراسة في أمريكا وأوروبا، وكنت كل عام أعود في إجازة قصيرة إلى بلادي في منطقة عسير، وعند الانتهاء من الدراسة الخارجية رجعت واستقريت في حاضرة أبها ومازلت أعيش فيها إلى الآن (١٤٤٧ هـ/٢٠٢٥م)). وخرجت ببعض الانطباعات العامة عن التاريخ الحديث والمعاصر (١٤٠١ - ١٤٤٧هـ/ ١٩٨١ - ٢٠٢٥م)) في مجال اللباس والزينة، وأذكر أهمها في البنود التالية :

أ- إن تحسن أحوال الناس المادية، واتصالهم بغيرهم في الداخل والخارج، ومشاهدات وسائل الإعلام المختلفة جعلت أنواع الألبسة تتنوع في موضوعاتها، وموديلاتها، وصار التأثير الحضاري الخارجي يصل إلى كل فرد وأسرة في بلدان السروات وتهامة بل في جميع مدن وحواضر ومناطق وقرى المملكة العربية السعودية. وثقافة الزينة واللباس من أكثر المجالات البشرية المحلية التي تأثرت بالثقافات الوافدة من خارج البلاد.

ب- لعبت الحياة التجارية أدواراً عديدة في توسيع القاعدة الحضارية الاقتصادية في أنحاء المملكة العربية السعودية. وتهامة والسراة جزء من الوطن السعودي الكبير. وبدأت مجالات التجارة تتزايد وتتوسع وتتنوع خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٦ - ١٤٤٦هـ / ١٩٨٦ - ٢٠٢٤ م) ، ونشأت المحلات التجارية الصغيرة أو المتوسطة في بداية هذا القرن(١٥هـ/٢٠م) ثم تطورت حتى صارت اليوم أسواقاً ومولات كبيرة تشتمل على شتى البضائع الإقليمية والمحلية. والذاهب في أرجاء محافظات ومدن ومناطق السروات وتهامة يشاهد مئات الأسواق الكثيرة والعملاقة المتخصصة في الألبسة وأدوات الزينة المستوردة من بلدان عربية وإسلامية وأجنبية عديدة، والأقمشة والألبسة الصينية الداخلية والخارجية تتصدر البضائع المعروضة للتسويق. وأصبحت تمثل حيزاً كبيراً من ألبستنا الشخصية اليومية. وقد تجولت مؤخراً في عدد من أسواق الملابس وأدوات الزينة في مدن الطائف، والباحة، والقنفذة، وبيشة، والنماص، ومحايل عسير، وأبها، وخميس مشيط، وسراة عبيدة، ونجران، وصبيا، والدرب، وأبو عريش، وجازان وغيرها فرأيت آلاف الموديلات من الألبسة النسائية والرجالية، وملابس الأطفال الداخلية والخارجية، وجميعها مستوردة من خارج البلاد، أما الألبسة المحلية القديمة، فتوجد بأعداد قليلة في بعض الأسواق اليومية أو الدكاكين أو الأسواق الشعبية، والإقبال عليها في أدنى المستويات، وزبائنها غالباً من الأجيال الكبيرة والمتقدمة في السن.

ج- ليس هناك وجه مقارنة على الإطلاق بين نظام اللباس والزينة قديماً، وما يعيشه الناس في وقتنا الحاضر. ولا ننكر أن الكثرة والطفرة الحضارية المعاصرة في شتى البضائع تُعد فضل ونعمة من الله (عز وجل)، لكن السلبيات الكثيرة التي جاءت مع التجارات الحديثة، ومنها أدوات الزينة والملابس، يصعب حصرها. ومن أهمها تقليد رجالنا ونسائنا للموضات الخارجية التي تخدش الحياء، وتكشف عورات الناس، والتشبه بأعداء الإسلام من اليهود والنصارى والبوذيين وغيرهم من الكفار والمشركين. والنقاش في هذا الباب يطول، وصار يُنظر إلى ستر الجسد عند النساء والرجال من الرجعية والتخلف في عيون البعض من أجيال الوقت الحاضر. ومن يذهب إلى أي سوق للزينة واللباس، فالسمة الظاهرة على معظم الملابس الموجودة الصبغة الأجنبية، التي تتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي في كل ما يتعلق بأشكال وهيئات الألبسة وستر العورات.

د- لم نشر إلى تفاصيل كل لباس (رجالي ونسائي) داخلي أو خارجي معاصر، ولا طرق صنعه وجلبه واستخدامه، ولا الإيجابيات والسلبيات لكل نوع أو شكل، ولا الأسماء والمصطلحات اللغوية لهذه الألبسة الجديدة .ولا مستوى التعاملات التجارية مع أدوات الزينة والملابس المستوردة، ولا آثار هذه الألبسة السلبية على قيمنا ومبادئنا وعقيدتنا عند الجنسيين (النساء والرجال) أو الصغار والكبار، ولا الظروف والمراحل التاريخية التي مرت بها الألبسة وأدوات الزينة في أرجاء تهامة والسراة من عام (١٣٩٠- ١٤٤٧هـ / ١٩٧٠- ٢٠٢٥م)، وغيرها من التساؤلات والميادين التي واكبت هذا التاريخ الحضاري المحلي خلال الخمسين عاماً الأخيرة.

وصل الله وسلم على الرسول محمد بن عبد الله، خاتم النبيين وسيد المرسلين، عليه أفضل الصلاة والسلام.

٤ صفحة من تاريخ استقبال الضيوف وإكرامهم في جنوب المملكة العربية السعودية خلال العصرين الحديث والمعاصر(١)

بقلم.أ . د . غيثان بن علي بن جريس

الضـيافة أو إكرام الضيف، أي العلاقة بين الضيف والمستضيف. واستقبال الضيوف واستضـافتهم عمل كريم محبب للمسـلم .وإكرام الضـيف من مـكارم الأخلاق، وجميل الخصـال التي تحلى بها الأنبياء، وحث عليها المرسـلون، واتصف بها الكرماء والأجواد. ونجد القرآن الكريم يحتوي على آيات عديدة لها صـلة باسـتقبال الضـيوف وإكرامهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ ﴾(٢). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾(٣) . وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ ﴾(٤). و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ ﴾(٥) . وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾(٦) .

وتشـير كتب السـنة إلى الكثير من الأحاديث النبوية التي تحث على إكرام الضيف (الضيوف) . فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضـيفه». رواه البخاري ومسـلم. ويقر النبي ﷺ سلمان الفارسي على قوله لأبي الدرداء «إن لضـيفك عليك حقاً»، رواه الترمذي. وعن أبي شريح خويلد بن عمرو، قال: أبصـرت عيناي رسـول الله ﷺ وسـمعته أذناي حين تكلم، قال: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته، قالوا: وما جائزته؟ قال: يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، وما كان بعد ذلك فهو صدقة عليه» رواه البخاري ومسلم.

وإذا بحثنـا في كتـب التراث الإسـلامي التاريخية، والأدبيـة، واللغوية، والكثير من الدواوين الشعرية قبل الإسلام وبعده، والكتب الشرعية، والطبقات والأعلام، والرحلات

(١) مقالة منشورة في صحيفة النماص اليوم الرقمية بتاريخ (٢١/ أغسطس/٢٠٢٥م).
(٢) سورة الذاريات الآية : ٢٦.
(٣) صورة هود الآية : ٦٩.
(٤) سورة هود الآية : ٧٨ .
(٥) سورة القمر الآية : ٣٧.
(٦) سورة الكهف الآية : ٧٧.

والرحالة وغيرها فإننا نقرأ الكثير من الروايات التي سردت قصصاً نثرية وشعرية عن حيـاة الكرم عند العرب، وبخاصـة أهـل البوادي والأرياف، وذكرت بعض الأشـخاص، أو الأسـر التي اشتهرت بجودها وإكرام ضـيوفها، وتناقلت أخبارها الركبان، ومدحوها أرباب العلم والقلم من العلماء والأدباء والشعراء وغيرهم.

جزيـرة العـرب مقر الكثير من الصـفات العربية الحميدة، واسـتقبال الضـيوف وإكرامهم من أهم المزايا التي اشـتهرت بها قبائل وعشـائر شبه الجزيرة العربية. ولو بحثنا في كتب الأدب العربي(النثر، والشـعر) . وجدنا مادة علمية كبيرة تعكس مسـيرة الكرم عند سـكان هذه البلاد العربية الماجدة، ومع قساوة الحياة المعيشية، وضيق ذات اليد، لكن ابن الجزيرة العربية لا يقف في طريقه أي عقبة، ويفعل كل الذي يستطيع من أجل الترحيب بالضيف وإكرامه.

تعد أرض تهامة والسـراة (من الطائف ومكة المكرمة إلى حواضر اليمن الرئيسية) من أشهر بلدان جزيرة العرب في الاحتفاء بضيوفها وإكرامهم، وإذا أغفلت كتب التراث الإسلامي المبكرة والوسـيطة رصد تراث هذه البلاد، وبخاصة من نجران وجازان إلى الطائف وجنوب مكة المكرمة، إلا أن الباحث في النقوش والرسومات الصخرية، وبعض المواد الأثرية السطحية والمدفونة يجد بعض المادة العلمية التي تشير إلى وجود كرم محلي عند أهل البلاد، ويتضح له أن صفة إكرام الضيف من الخصال الإيجابية التي توارثها الخلف عن السلف.

كتبت فقرات وأحياناً صفحات عن تاريخ الكرم في بعض بلدان السراة وتهامة خلال العصر الحديث، وكل الذي دونته شذرات قليلة، والمنطقة (سراة وتهامة) مليئة بالأحداث والأخبار المتنوعة التي تعكس تاريخ صفة الكرم والكرماء (أفراداً، وجماعات).

(*) في الصفحات التالية أشير إلى بعض المقتطفات من تاريخ استقبال الضيوف وإكرامهم في مناطق نجران، وجازان، وعسير، والباحة، ومحافظات الطائف، والليث، والقنفذة، والعرضيات وغيرها. خلال العصرين الحديث والمعاصر :

هـذه المناطق والمحافظات التهامية والسـروية تتشـابه وتختلف في الكثير من نظام حياة سـكانها، لكن صفة إكرام الضيف من الخصال السائدة على أرضها وبين قبائلها وعشـائرها، وقراهـا، وبواديها، وأريافهـا. وإذا بحثنـا في التاريخ السياسـي والإداري والعسـكري لهذه الأوطان خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) وجدنا معظم المصـادر والمراجع المخطوطة والمطبوعة فصلت الحديث في هذه المجالات، ولا تخلو المادة المكتوبة

مـن توثيقـات عن حيـاة النـاس الحضـارية مع اختـلاف أماكنهم، وأوضـاعهم المادية والاقتصادية، ومكانة الضيف أو الضيوف الاجتماعية.

كانت أحوال النـاس الاقتصـادية خلال النصـف الأول من القرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م) شـحيحة لكننا نسـمع عن بعض البيوت أو الأفـراد الكرماء في عموم السـروات. وجميع الأطعمة والأشـربة التي يقدمونها لضيوفهم من اقتصادياتهم المحلية. فأهل البوادي من شـرق نجران إلى بوادي الطائف يقدمون الذبائح من مواشـيهم ومنتوجاتهم من الألبان والزبد والسـمن، وأطعمة أخرى يسـتوردون موادها الأولية من المدن والقرى الحضارية. أما أهل السراة من ظهران الجنوب إلى الطائف فأحوالهم المادية والاقتصادية أفضل من غيرهم لوفرة المحاصـيل الزراعية، وما يوجد في بلادهم من خضـروات وفواكه متنوعة، بالإضـافة إلى كثرة المواشي في أرضهم (الضـأن، والماعز، والأبقار)، ومن هذه المصادر الاقتصادية يكرمون ضيوفهم حسب مستوى الضيف، والمناسبات الاجتماعية التي تتزامن مع كل ضـيفة. أما الأجزاء التهامية السـهلية والسـاحلية فلهم أيضـاً أعراف عديدة لها صلة باستقبال الضيوف وإكرامهم، لكن ظروفهم المناخية والاقتصادية أسوأ من غيرهم، فالفقر كان أشـد وطأة وقسـوة على الأرض والناس، والبلاد لا تخلو مـن كرماء يبذلون قصارى جهودهم في استقبال الضيف وإكرامه حسب الاستطاعة والقدرة المادية.

(*) جمعـت بعض الوثائـق والقواعد القبلية التي يعود تاريخها إلى التسـعين عاماً الأولى من القرن الهجري الماضي (١٣٠٠ــ١٣٩٠هـ/١٨٨٣ــ١٩٧٠م). واطلعت علـى بعض مؤلفات الجغرافيـين والرحالة الذين زاروا أو ارتحلوا في أوطان السـراة وتهامة، وخرجت ببعض الخلاصات المحدودة، مثل:

١- بعض هذه المصـادر وثقـت جزئيات من الولائم والمناسـبات التي قدمت في مناطق عسـير، وجازان، ونجـران وغيرهـا. وكان القائمون عليها والمعـدون لها من أعيان البلاد: كالأمراء، والأعيان، والوجهاء، وشـيوخ القبائل. والضـيوف زوار السـروات وتهامـة مـن ذوي الشـأن في البـلاد سياسـيًّا وإداريًّـا واجتماعيًّا. ويقـدم في تلك الاحتفالات أصـناف كثيرة من أجود الأطعمة والأشـربة، بل كان بعضها مبالغ فيها مـن حيث الكميـة، والنوع، والاسـتقبال والاحتفاء، وغيرها مـن التنظيمات المادية والقولية والفعلية المتنوعة تعبيراً عن شدة الفرحة بالضيف أو الضيوف.

٢- احتوت بعض مؤلفات رحالة القرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م) كسـليمان شـفيق باشا، والشـريف البركاتـي، والسـير كيناهـان كورنواليس، وفـؤاد حمـزة، وفيلبي، ومحمـد عمر رفيع،

وفيليب ليبنز، وشسيجر، ويحيى إبراهيم الألمعي، وكتب تاريخية وحضارية أخرى بعض التفصيلات عن عادة الكرم واستقبال الضيوف، وما جرى من تقاليد وعادات اجتماعية في بعض القرى والمدن والمنازل التي زاروها في السروات وتهامة وحضروا العديد من تلك الأنشطة المحلية الحضارية، ودونوا توثيقات قيمة لا نجدها في أي مصدر آخر.

٣- يوجد في مكتبتي الخاصة مئات القواعد القبلية، والوثائق التاريخية التي أرخت للعقود الستة الأخيرة من القرن الهجري الماضي (١٣٤٠-١٤٠٠هـ/١٩٢١-١٩٨٠م)، ووجدت فيها معلومات حضارية مهمة عن الكثير من عادات وتقاليد وأعراف الناس في جازان، ونجران، وعسير، والباحة. ولعادة وتقاليد إقامة الولائم والمناسبات الفردية والجماعية ذكر جيد في هذه المصادر، واستقبال الضيوف وإكرامهم بين أفراد القرية أو القبيلة الواحدة، وما يقوم به المستضيفون من جهود وأعمال. ولاحظت في هذه الوثائق الكثير من المفردات والاصطلاحات اللغوية التي لها صلة مباشرة أو غير مباشرة باستقبال الضيف أو الضيوف، وإكرامهم، وتوديعهم.

(*) عشت ورأيت خلال الستين عاماً الماضية (١٣٨٤-١٤٤٧هـ/١٩٦٤-٢٠٢٥م) الكثير من الصور التاريخية الحديثة والمعاصرة التي تعكس لمحات من استقبال الضيوف وإكرامهم، وأسجل في النقاط التالية شذرات مما عاصرته وعرفته:

أ- شاهدت كرم السرويين والتهاميين في مناسبات عديدة، صغيرة وكبيرة، فردية وجماعية، رسمية وشعبية، وأحياناً يكون الضيف (الضيوف) من داخل السراة وتهامة، أو من خارج البلاد نفسها. وحسن الاستقبال والترحيب والبشاشة من المضيف لضيوفه صفة موجودة ودائمة مع أي نوع من الضيوف. وعند قبائل تهامة والسراة عادات قديمة توارثوها من الأوائل ويغلب عليها تعاون وتآزر ومشاركة أبناء القرية أو القبيلة للمضيف أو (المضيفين) أثناء استقبال ضيوفهم، ومساعدتهم بالجهد والمال أحياناً. وإذا كانت الضيافة عامة لأهل القرية أو القبيلة فهم جميعا يشتركون في استقبال الضيوف، والترحيب بهم، وإظهار السعادة والفرح على المضيفين تجاه ضيوفهم. وغالبا يتقدم شيخ القبيلة، أو نائب القرية مع كبار القوم من جماعته فيرحبون بالضيوف. وهناك عبارات واصطلاحات لغوية كثيرة تقال أثناء الاستقبال والترحيب عند قدوم الضيف أو (الضيوف)، أو بعد دخولهم وأخذ أماكنهم في المجالس المعدة لهم، وأحياناً تُقدم للضيوف عزيمة أخرى باسم أفراد القرية أو القبيلة غير الضيافة التي قدموا من أجلها، وغالباً يعتذر الضيوف من الدعوة الثانية، ويقولون الذي

حصل من الضيافة الأساسية كافية، ويردون على من قدم لهم العزيمة بعبارات عديدة مفادها شكرهم والدعاء لهم بالخير والبركة.

ب- هناك ضيافة أي شخص، أو أسرة، أو حتى مجموعة أقارب، أو أصدقاء، أو زملاء عمل يقدمون مناسبة كرم لشخص أو أشخاص محددين، ويقوم المضيفون على الضيافة حتى تنتهي، وتدفع تكاليفها من شخص واحد، أو من مجموعة أشخاص. وهذا النوع من استقبال الضيوف وإكرامهم الأكثر انتشاراً عند كل الفئات والطبقات الاجتماعية. ويوجد ضيافة أخرى تخص أهل القرية، أو القبيلة، أو العشيرة، ويشتركون جميعاً في الإعداد والإشراف على تنظيمها من وقت الاستقبال حتى الانتهاء، وغالباً يكون الضيوف من خارج حدود القبيلة المضيفة، وفي كل قبيلة أو عشيرة عادة توزيع الضيوف على بيوت في القرية أو القرى، وهم الذين عليهم الدور في تقديم الضيافة من هذا النوع. وهذا الترتيب والتقسيم له صلة مباشرة بأحوال المضيف المالية، وبخاصة الأراضي الزراعية، فالذي عنده أملاك كثيرة يقدم ضيافات أكثر، ومعظمها من الذبائح وأطعمة أخرى. ووجدت العديد من الوثائق، وسمعت الكثير من الروايات التي تطلق على هذه العادة القبلية أسماء عديدة، مثل: الخطة، أو النوبة، أو الفرق، أو النصه، أو الشوع وغيرها من الاصطلاحات اللغوية التي تختلف من مكان لآخر في أرجاء السروات وتهامة. والمقصود بهذه العبارات، أي الذبيحة أو الذبائح التي يقدمها الشخص المختار، أو تطلق على عملية الضيافة بشكل عام. وهناك مصطلحات أخرى، مثل: دول، أو ذمر، أو صحن. والمفردتان الأخيرتان تطلق على تقديم ضيافة من طعام العصيد، والمعصوب، والخبز وغيرها بدون ذبيحة. ويكون في كل قرية أفراد معروفون ومسؤولون عن ترتيب وتحديد الأشخاص أو البيوت التي حلت عليهم أدوار القيام بمثل هذا النوع من الضيافة، وهم في الغالب من كبار القرية أو القبيلة وعقلائها، ويجتهدون في الأمانة وعدم ظلم أحد. وأحياناً يمتنع بعض الأفراد من الانصياع للقيام بالضيافة المطلوبة، وتقديم الدول أو النوبة التي تقررت عليه، عندئذ يتآزر عليه رجال القرية أو القبيلة، ويجبرونه على تنفيذ ما يخصه، وأحياناً يعاقبونه بعقوبات مادية أخرى، فيذبح ذبيحة أو أكثر مقابل عناده ورفضه.

ج- جاء هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠-٢١م)، وفاض المال والخير على الناس، وتطورت حياتهم في كل المجالات، واتسعت دائرة استقبال الضيوف وإكرامهم على مستوى الأفراد، أو القرى والقبائل، أو المؤسسات الحكومية والأهلية، أو النساء والرجال، أو الذكور والإناث صغارا وكبارا، وبين السعوديين وغير السعوديين الذين يقطنون في أوطان تهامة والسراة، أو السرويين والتهاميين الذين يعيشون خارج أوطانهم الأصلية، داخل المملكة العربية السعودية أو خارجها.

د- شاهدت العديد من مناسبات إكرام الضيوف خلال العشرين سنة الأخيرة من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، فكانت محدودة في أماكن إقامتها، ونفقاتها، وأعداد الحاضـرين فيها سـواءً كانت على مسـتوى الأفراد، أو الأسـر، أو الأقارب والأصدقاء، وكذلك بين أبناء القبائل والعشـائر، أو في الإدارات أو القطاعات الحكومية والأهلية. وفي العشرين عاماً الأخيرة (١٤٢٥-١٤٤٧هـ- ٢٠٠٤- ٢٠٢٥م) تنوعت وتعددت ولائم إكرام الضـيوف واسـتقبالهم، وصـار هناك الكثير من الأماكن (فنادق، وقصور أفراح، واسـتراحات صغيرة ومتوسطة، وقاعات ونوادي حكومية وتجارية، وغيرها مـن المطاعم والمطابخ) التي تعقـد فيها احتفالات اجتماعية كثـيرة، وتقدم أنواع الضـيافات المتفاوتة في أحجامها، وأنواعها، وأصحابها. والناظر في منازل الناس بجميع شـرائحهم، وبخاصة أهل البلاد من السعوديين وبعض المقتدرين مادياً من غير السـعوديين تجد عندهم الكثير مـن المجالس، والصـالات والمرافق المعمارية المخصصة لاستقبال الضيف أو الضيوف وإكرامهم. وظهر الكثير من الاحتفالات والضـيافات الرجالية والنسـائية، أو الفتيات والشباب السـعوديين والمقيمين التي لم تكـن موجودة في البلاد حتى نهايـة العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م). وأصبح لها مسميات حديثة، مثل: مناسبات التخرج من المدارس أو الكليات المدنية والعسكرية، أو الترقيات في الوظائف العامة والخاصة، أو ملكة الزواج، أو الحصول على مكاسب معنوية أو مادية مختلفة، أو الانتهاء من مشكلة أو قضية ما، وغيرها من التجمعات التي يجري فيها استقبال ضيوف، وتقديم موائد متنوعة. ومثل هذه التبدلات الاجتماعية الحديثة والمعاصـرة برزت لأسـباب مادية واقتصادية جيدة عند الناس، وتأثر وتأثير عادات وثقافات وافدة من داخل المملكة وخارجها.

هـ- مع الانفتاح الذي يعيشـه العالم، وتزايد المشاريع الحضـارية الكثيرة في تهامة والسراة، وتوظيـف (الإنترنت) في جميع مجالات الحياة الفردية والجماعية، الرسـمية والأهلية، وزيادة أعداد السياح والوافدين إلى مناطق جنوب المملكة العربية السعودية، وكثرة وتنوع التأثيرات التي تعيشها المجتمعات وتتأثر بها في جميع مفاصل الحياة. كل هذا سوف يؤثر قطعـاً على كثير من عادات الناس وأعرافهم، ومن ذلك اسـتقبالات الضـيوف، وتقديم مناسبات وضيافات لم نعرفها، ولم تظهر بعد. وصل الله وسلم على رسول الله[1].

---

(١) إن تاريخ الكرم والضـيافة في بلاد السـروات وتهامة من الموضـوعات المهمة والجديدة التي لا نجدها مدروسةً في أعمالٍ علمية توثيقية. حبذا أن نرى باحثين يدرسـون هذا الموضـوع من خلال كتب التراث الإسـلامي (نثراً وشـعراً) خلال القرون الإسـلامية المبكرة والوسـيطة (ق١-ق١١هـ/ق٧-ق ١٧م) ثم يدرس الموضوع نفسه كما جاء في الوثائق العربية والعثمانية وغيرها خلال العصرين الحديث والمعاصر (ق١٢- ق١٥هـ/ق١٨ - ق٢١م).

٥ تاريخ الفنون الشعبيّة الطربية في المناطق الجنوبية السعودية في العصرين الحديث والمعاصر(١)

بقلم. أ. د. غيثان بن علي بن جريس

كان للعرب في شبه الجزيرة العربية فنون وتراث محلي قبل الإسلام وبعده. ومن يطّلع على بعض الرسومات والنقوش الصخرية يرى الكثير من الأشكال التي تعكس نماذج من فنون الناس الشعبية الفنية والغنائية خلال العصور القديمة. ونجد الكثير من كتب التراث الإسلامي تحتوي على مواد علمية لها صلة بالفنون التراثية، وتذكر شيئاً من أسمائها وممارستها، وللعلماء والفقهاء ورجال الأدب والتاريخ توثيقات متنوعة عن أنواع من الفنون المادية والمعنوية. ويوجد مؤلفون قديماً وحديثاً خصصوا صفحات أو فصول أو دراسات كاملة لجوانب تراثية وفنون أدبية وشعبية عديدة .

والعلماء والمؤرخون الأوائل يكتبون في كلٍ الموضوعات، والتراث أو الفن جزء مهم من تاريخ وحضارة الناس قديماً وحديثاً، لكن في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة لا نجد التصنيفات العلمية والمعرفية التي نشاهدها اليوم. وظهور المسميات والاصطلاحات العلمية واللغوية للتراث والفنون الشعبية حديثة، وقد بدأت في القرن (١٣هـ/١٩م) وبخاصة في بعض البلدان والمؤسسات الثقافية والمعرفية الأوربية، ثم تطورت حتى صار لها نقابات وجمعيات، وأقسام وكليات علمية، وانتشرت إلى قارات وبلدان عديدة في العالم، وأصبحت في الوقت الحاضر مجالات حضارية تنموية ضمن هياكل وخطط الكثير من الوزارات والهيئات والجامعات والمدارس وغيرها.

التراث الثقافي في أي مكان، متعدد الجوانب، ويُعرف التراث الشعبي في اللغة الإنجليزية باسم (Folklore)، ويتكون من شقين (FOLK) أي شعب، أو قوم، أو جماعة من الناس. و(Lore) لفيف من العادات، والتقاليد، والألعاب، والأدب الشعبي، بالإضافة إلى بعض الموروثات المادية كالأدوات المنزلية، والزراعية، والرعي، والصيد وغيرها. ومنظمة اليونسكو (UNESCO) (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة) إحدى المؤسسات العالمية التي تسعى إلى إرساء السلام من خلال التعاون الدولي في مجال التربية والعلوم والثقافة، والتراث جزء مهم من حياة الشعوب المعرفية والاجتماعية والحضارية .

(١) مقالة منشورة في صحيفة النماص اليوم الرقمية بتاريخ (١٢/ سبتمبر/٢٠٢٥م).

(*) نجـد بعضـ المؤسسـات الثقافية والبحوث العلمية تقسـم الفن إلى أقسـام عديدة، مثل: (١) النحت والعمارة. (٢) الرسم والزخرفة. (٣) التمثيل والرقص. (٤) الموسـيقى التعبيرية أو الوصـفية. (٥) الألعاب والرقص. (٦) الأدب كالشـعر، والغناء، والطرب وغيره. (٧) الأعمال المسـرحية أو السينمائية . ثم ظهرت مؤخراً تقسيمات أخرى لخصت الفن في ثلاثة أقسام رئيسية ، وهي :

١- **الفنون التشكيلية :** الرسم، والتصوير، والخط، والتصميم، وفن العمارة، والنحت، والفنون التطبيقية، والأضواء .

٢- **الفـن الصـوتي:** الموسـيقى، والغناء، وعالم السـينما والمسـرح، والإعلان، والشعر والأناشيد، والقصص والحكايات .

٣- **الفـن الحركي:** الرقص، السـيرك والألعاب العادية والسـحرية، وبعض الأنشـطة الرياضية، والحركات البهلوانية والمزاح والنكات (الطرفة) وغيرها .

مع ظهور الإنترنت، وانفتاح الفضـاء، وظهور الذكاء الاصطناعي، أصبحنا نشاهد الكثير من العلوم والمعارف والأنشـطة الاجتماعية الحديثـة والمتنوعة .والتراث والفنون الشـعبية من المجالات الكبيرة التي تحظى بالعديد من الإبداعات والابتكارات والأعمال التراثية المادية والمعنوية المحلية والإقليمية والعالمية.

توثيق تاريخ الموروث أو الفن الشعبي المحلي في تهامة والسراة خلال القرن الهجري الماضـي، وهذا القـرن (١٥هـ/ ٢٠-٢١م) يحتاج إلى مئات الصـفحات، وإذا كان هناك دراسـات في هذا الميدان، فمازالت دون المأمول، وأكثر مادة هذا المجال روايات، وأقوال شـفهية، أو نشاطات طربية غنائية تؤدى في المهرجانات والاحتفالات الوطنية، وإذا كان هناك بعض المؤسسـات المعرفية أو التدريبية أو الفنية أو التقنية التي لها صـلة مباشرة أو غير مباشـرة بالتراث الشـعبي في المملكة العربية السـعودية، فهي الأخرى محدودة الأعمال والتأثير وبخاصة في مجال الدراسات والتوثيق.

(*) في الصـفحات التالية أرصـد مقتطفات من مسـيرة التراث أو الفن الشـعبي الطربـي في مناطق جنوب المملكة العربية السـعودية، مـن جنوب مكة والطائف إلى منطقتي جازان ونجران، وهي على النحو الآتي:

١- إذا بحثنا في تاريخ السـروات وتهامة الاجتماعي والحضاري خلال العصر الحديث

نجد بعض الكتب والأبحاث والرسائل الجامعية التي أرخت سياسيًّا وعسكريًّا لهذه البلاد خلال القرنين (١٣-١٤هـ/ ١٩-٢٠م)، وفي هذه المصادر والمراجع توثيقات وإشارات مختصرة عن حياة الناس الاجتماعية كالعادات والتقاليد وغيرها، لكن الفنون الشعبية الحركية الطربية كالرقص، والأغاني، والأناشيد، والأشعار، والأهازيج وما شابهها غير موثقة بشكل كافٍ، لكنها موجودة ومتعارف عليها وممارسة بين الناس بشكل واسع، والكثير من تاريخها ومادتها العلمية تتناقله المجتمعات والأفراد شفهياً في مجالسهم، ولقاءاتهم العامة والخاصة. وإذا فتشنا في الوثائق القبلية المحلية فإننا نجد مادة تساعد في رصد صفحات من تاريخ هذا الجانب الإنساني الحضاري. ولا تخلو بعض خطب الجمعة، وخطابات ومدونات بعض المسؤولين كالأمراء، والقضاة، ورجال الحسبة والدعوة من نصائح وتوجيهات وأحياناً قرارات وأوامر لها صلة ببعض الألعاب والفنون الشعبية، والحث على أن تكون ممارستها وفق الضوابط الشرعية، وأن لا يصدر عنها نتائج سلبية على الأفراد والمجتمعات .

٢- تهامة والسراة بلدان واسعة ومتنوعة في طبيعة الأرض والناس، وتتكون في العصرين الحديث والمعاصر من أربع مناطق رئيسية (عسير، والباحة، وجازان، ونجران)، وبضع محافظات ضمن الأوطان التهامية والسروية أو قريبة منها، لكنها تتبع إداريًّا لمنطقة مكة المكرمة، كالطائف، وتربة، والليث، والقنفذة، والعرضيات. وتشتمل هذه الديار على عشرات الفنون الشعبية المتنوعة في المسميات، والأهمية، وطرق الأداء. وفي هذا الصنف من التاريخ الحضاري الكثير من التشابهات والاختلافات، وهي فنون تمارس في المناسبات والاحتفالات الفرائحية الصغيرة والكبيرة، وأخرى تفرضها حياة الناس وظروفهم ومهنهم وحياتهم الاجتماعية العامة والخاصة. والكتابة عن كل فن أو ناحية، أو حاضرة، أو منطقة، أو محافظة يحتاج إلى عشرات الدراسات العلمية، وهذا ليس هدفي في هذه الورقات المحدودة، لكنني أذكر فقط أسماء بعض الفنون التي استطعت جمعها من عموم البلاد التهامية والسروية، دون أن أشرحها، أو أوثق تفصيلات دقيقة عنها .

٣- تتكون بلاد تهامة والسراة من مرتفعات جبلية، وبوادي شرقية، ومنحدرات وسهول وسواحل تهامية. وفي كل قسم فنون عديدة، ومن تلك الألعاب أو الفنون الترويحية الترفيهية: العرضة: هذا الفن الأكثر انتشاراً في المملكة العربية السعودية، والسراة وتهامة جزء من هذا الكيان البشري الكبير .

من الفنون الرائجة في منطقتي الباحة وعسير: اللعب، والخطوة، والمدقال كجزء من فن العرضة، أو المعراض، والدمة، والزحفة، والقزوعي، والرّايح، والطارق، والطرق، والربخة، والزامل، والمسيرة، والقلطة، والقاف، والمسحباني، والقيلة، والروحة، واللعبة، والحداء، والغناء أو النشيد في بعض المهن كالحراثة والزراعة، والرعي، وبعض الحرف والصناعات اليدوية من فنون نجران: عرضة الزامل، والرزفة، والمرافع، أو رقصة الطبول، والسعب، والمثلوثة، والشرح وغيرها .

أما تهامة وبخاصة منطقة جازان: فهناك ألوان عديدة، بعضها تعرف وتمارس بشكل واسع في منطقة الجبال والمرتفعات: كالزامل، والعرضة، والتكثيرة، والشارقي، والدورة، والمربخة، والحادي، والبرهة، والروحة (الرايح)، والصفقة، والشهرية، والمزمار، والقايل. أما في السهول والساحل والجزر البحرية، فمن فنونهم: العزاوي، والسيف، والزامل والدلع، وأنواع من الدمة والعرضة، والهصعة، والخطوة، والربش، والزيفة، والمعشي، والطارق، والجيش، والدانة، والمغرد، والمرعى، والدورية.

من فنون بيشة والطائف والقنفذة والليث: بعض الألعاب المعروفة في مناطق عسير، وجازان، ونجران، بالإضافة إلى فن الزار، والمجرور الطائفي، والمجالسي، والحدري، والتعشيرة، والحيوما، والزّهم. وفنون أخرى عرفت في حواضر وبوادي الحجاز، وامتدت إلى بعض حواضر تهامة والسراة مثل تربة والطائف، ورنية، والليث، كرقص المزمار، والموال، والمجس، والمنصوب، والزير، والرجز، والخبيتي، والردية (المحاورة)، والدرق، والتحطيب، والسامري وغيرها.

ربما يظهر في قادم الأيام منٍ ينتقدني بعدم ذكر كل الفنون الشعبية المحلية التي ظهرت ومازال أكثرها منتشراً بين التهاميين والسرويين. أو يقول إنني لم آت بجديد في هذا الموضوع التاريخي الحضاري. ومن خرج بهذه الأقوال أو غيرها من انتقادات فلا أعترض عليه، فالمنطقة (تهامة وسراة) ذات تاريخ إنساني طويل وكبير، وفيها عشرات الأنواع من الفنون الشعبية، معظمها محلية، ولا تخلو من فنون طربية وفدت إليها من بلدان عديدة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها. وكان عليّ الإيجاز في الشرح والتفصيل، لأن هذا المحور فرع حضاري صغير من عناصر كثيرة أسعى إلى ذكرها والتنبيه بأهميتها في عالم البحوث العلمية والدراسات التوثيقية .

٤- قرأت في بعض المخطوطات، والوثائق، والكتب التي أرخت للعقود الوسطى من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، وسمعت من رواة ذلك العصر الذين ذكروا بعض الفنون الشعبية

التي كانت سائدة بين الناس آنذاك، وأشاروا إلى بعض الأعلام من الشعراء والأدباء والطربيين الذين كانوا يقودون مسيرة الفنون الشعبية في أوطانهم. ومن ثمانينيات القرن الهجري الماضي إلى عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/ ٢١م) عاصرت وشاهدت الكثير من الفنون في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية ، ورأيت الإقبال عليها من جميع فئات المجتمعات التهامية والسروية، وكيف كانت تُمارس بمهنية عالية من حيث الأداء، وجودة التراث اللغوي والأدبي الذي يُقال ويتغنى به في كل ميدان.

٥- كان للتنمية والتطور الحضاري الذي وصل إلى السراة وتهامة خلال العقود الأخيرة من القرن الهجري الماضي، وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) آثار إيجابية وأخرى سلبية على تراث الناس وفنونهم الاجتماعية، وصاروا يجلبون إلى بلادهم عادات وفنون داخلية وخارجية، وهذا مما أثر سلباً على أصالة فنونهم التاريخية المحلية. وزادت نسبة التأثير والتأثر خلال العقود الماضية من هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م)، حتى أصبحنا نشاهد اليوم خليط من التراث والفنون المحلية والخارجية، ولم نعد نرى ذلك الصفاء وتلك الجودة والأصالة التي عرفناها في تراثنا وفنوننا الغنائية والطربية خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

٦- لا نغفل ما تبذل الدولة من خلال بعض المؤسسات الحكومية والأهلية، فقد أنشأت إدارات، وهيئات تشرف على الفنون الأدبية والشعبية. ومنها جمعيات الثقافة والفنون التابعة سابقاً للرئاسة العامة لرعاية الشباب، ثم لوزارة الثقافة والإعلام، وحالياً وزارة الثقافة، وتأسيس فرق شعبية متخصصة في أداء بعض الفنون الطربية، والمشاركات في المناسبات الاجتماعية الكبيرة والصغيرة، وأنشئت المهرجانات الوطنية، كالجنادرية وغيرها، والفنون الشعبية جزء من أنشطتها الرئيسية. وتقام بعض المسابقات الشعرية والفنون الغنائية المحلية والإقليمية والعالمية، وغيرها من المناشط ذات الصلة بالفنون والألعاب الشعبية المحلية. واطلعت مؤخراً على بعض التقارير والتطلعات والأهداف التي تسعى وزارة الثقافة إلى تحقيقها لخدمة الميادين الثقافية في البلاد، فأنشأت العديد من الهيئات الجديدة لتطوير ورعاية القطاع الثقافي بمختلف تخصصاته، وكان للفنون الشعبية المحلية نصيب في هذه الهيئات الحديثة .

٧- كان ومازال للشبكة العنكوبتية (الإنترنت) دور هام ورئيسي على فنون الناس وثقافتهم. فالفنون والألعاب الشعبية في أرجاء المملكة العربية السعودية كانت سابقاً موجودة وممارسة في كل مكان، كل حسب تراثه وأعرافه وتقاليده، لكنها محدودة الانتشار لقلة وتواضع وسائل الإعلام والثقافة والتواصل خلال النصف

الثـاني من القرن (١٤هــ/٢٠م)، والعقدين الأوليين من هــذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، ثم انتشـر وتوسـع ميـدان التقنية الحديثة، ووصـلت خدمـة الإنترنـت إلى كل مكان خلال العشـرين سنة الأخيرة (١٤٢٦ - ١٤٤٦هـ/ ٢٠٠٥ - ٢٠٢٤م)، وتأثرت شعوب الأرض بهذا الاختراع التقني الحديث. وكوني معاصـراً لهـذا التطور العلمي والمعرفي الحديـث، وأشـاهد ماذا جرى للسـرويين والتهاميين الذين أصـبحوا جـزءاً من هذا العالم الافتراضي الكبير، ومن ثم تطورت وتحولت حياتهم في جوانب حضارية كثيرة، ومنها فنونهم وتراثهم الغنائي والطربي. ومن يحضـر اليوم الكثير من الفنون المحلية في مناطق عسـير، والباحـة، ونجران، وجازان وما حولها، ويشـاهد وسـائل الإعلام والتواصـل المختلفة فإنـه يرى مئات الألعاب، والرقصـات، والفنـون في أرجاء البلاد السـعودية، ومنها نسـبة كبـيرة جداً في مناطق وبلـدان تهامة والسـراة، ولم تعد تلك الفنون التراثية القديمة، كالعرضـة، واللعب، والدمة، والخطـوة، والمجرور الطائفي، والمسـحباني، والقزوعي، والسـيف، والزامـل وغيرها متقوقعة في ناحيـة، أو منطقة، أو قرية، أو مدينة معينة، إنما صـارت ثقافات منتشـرة داخل البلاد وخارجها. وهذا الانفتـاح التقنـي الفضـائي الكبير خلط ومـزج بين الكثير مـن الثقافـات، والفنون، والمفـردات والاصـطلاحات اللغويـة وغيرهـا، وتأثـرت الكثير مـن الألعـاب الغنائية الطربية المحلية بهذا التداخل الثقـافي المحلي، والإقليمي، والعالمي، وتراجعت الجودة ونسبة الأصالة في أداء الكثير من الألعاب والرقصات التهامية والسروية، ودخل عليها معارف وفنون، ومفردات واصطلاحات أدبية ولغوية متنوعة، بعضها محلية من بلدان تهامة والسراة، وأخرى من مناطق داخل شبه الجزيرة العربية، وأحياناً من خارجها .

٨- عاصـرت حيـاة النـاس مـن ثمانينيات القـرن الهجـري الماضـي إلى الآن، ورأيت تواضـع معيشـة السـكان، ثم تدرجهـا إيجابيًّا خلال العقود السـتة الماضـية. فقد كانـت اجتماعاتهـم ومجالسـهم الطربيـة محـدودة في محيط قراهـم وقبائلهم، وبقيت هكذا حتى مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وبعد زيادة مسـتوى التنمية على الأرض والناس، وتسـهلت الطرق والمواصلات، بدأت الثقافة المادية والمعنوية تنتشر وتتداخل مع غيرها. والفنون الحركية والطربية سـريعة الانتشـار، وأصبحنا خلال العشـرين سـنة الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) نشـاهد الكثير من فنون أهل تهامـة والسـراة تُمارس في مدن ومناطـق أخرى من المملكة العربية السـعودية، بل نُقلت بعضها إلى خارج البلاد. وفي العقدين الأخيرين (١٤٢٦ - ١٤٤٧هـ/٢٠٠٥ - ٢٠٢٥م) توسع المجال، وانتشرت أماكن ومناشط الفنون الشعبية المحلية والحديثة،

وإن ذهبت إلى سوق (مول) كبير أو متوسط، أو حدائق عامة، أو منتجعات حديثة، أو قصور أفراح، وأحياناً استراحات متوسطة أو صغيرة، أو مناسبات اجتماعية فرائحية، أو مهرجانات وطنية، أو صيفية، أوشتوية، أو حفلات رسمية، أو أهلية (للأفراد والأصدقاء)، أو للقرى والأحياء، أو العشائر، أو القبائل، أو بعض الجاليات وغيرهم تشاهد لفيف من الألعاب والفنون المختلفة.

٩- لا ننكر أن هناك جهود طيبة من بعض المؤسسات الحكومية والأهلية وبخاصة التي لها صلة بخدمة التراث بشكل عام، والموروث الفني الشعبي المحلي خصوصاً الطربي. لكن الذي نتطلع إليه أن تؤسس مدارس، ومعاهد، وأقسام وكليات جامعية تُدعم وتعلم الفولكلور الشعبي، وتمنح الدارسين دورات وشهادات علمية معتمدة، وإذا تخرج في هذا المجال طلاب جامعين فذلك أفضل. وتُعطى الفرصة من خلال برامج الدراسات العليا لدراسة الموروث والتراث السعودي، وحبذا أن يتخرج في هذا العلم أساتذة جامعيون يحملون درجات الماجستير والدكتوراه .

١٠- قمت بعدة جولات ميدانية في بلاد تهامة والسراة خلال الأعوام (١٤٤١ - ١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٠ - ٢٠٢٤م)، وشاهدت العديد من المهرجانات الصيفية والشتوية، وبعض الاحتفالات الصغيرة والكبيرة، والعامة والخاصة. وفي الوقت نفسه اطلعت على الكثير من وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة، مثل: البريد الإلكتروني، والتطبيقات الاجتماعية كالفيس بوك، وتويتر، والواتساب، والإنستغرام، والسناب شات. وما ينشر على الشبكات الافتراضية الخاصة، ومحادثات الفيديو، والاتصالات السحابية وغيرها فوجدت الكثير جداً من العادات والفنون الشعبية تمارس في هذه المناسبات الاجتماعية المتنوعة، وتنشر في جميع الوسائل الاجتماعية الافتراضية الحديثة. وهذا الانتشار الواسع لهذا التراث الاجتماعي جعله سارياً ومشاعاً للكثير من البشر، وفقد المحدودية والخصوصية التي كان يتميز بها كل لون من الألوان الشعبية المحلية التهامية والسروية. ومع زيادة الانفتاح الفضائي الرقمي، فسوف يزيد انتشارها وتأثيرها وتداخلها مع غيره من الثقافات والفنون المحلية، وربما الإقليمية. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٦ الألعاب الرياضية، ووسائل التسلية في (عسير، الباحة، جازان، نجران) خلال العصر الحديث[1]

بقلم: أ. د. غيثان بن علي بن جريس

أولا : الألعاب الرياضية :

الرياضــة مــن الفنــون الاجتماعية التــي عرفتها جميع الحضــارات قديماً وحديثاً. وأوطان تهامة والســراة ذات موقع اســتراتيجي تربط بين اليمن والحجاز، ولها اتصال مع صحارى نجد إلى بلاد الخليج العربي، وتطل على شرق البحر الأحمر الذي سلكه الكثير من البشر وساروا إلى شرق الكرة الأرضية وغربها، أو اتصلوا بالعديد من البلدان الإفريقية.

(*) كان لأهل الســراة وتهامة أنشــطة رياضــية متنوعة ، بعضــها تمارس داخل المنــازل، وأخــرى خارجيــة. وهنــاك بعض الظــروف والمؤثــرات التــي شــكلت أنــواع الرياضــات ، وممــا قرأت وجمعت وشــاهدت في هذا الميدان أرصــد بعضــاً مــن الألعاب الرياضية القديمة على النحو الآتي :

اشتغلت عقوداً عديدة ومازلت في ميدان التوثيق والبحث العلمي، ثم طبعت ونشرت آلاف الصــفحات عن تاريخ وحضارة جنوب شــبه الجزيرة العربية (تهامة وسراة) قبل الإسلام وبعده. ويوجد ضمن هذه الأعمال العلمية صفحات كثيرة عن التاريخ الاجتماعي، وللألعاب الرياضية نصيباً لا بأس به في هذه الدراسات المنشورة ورقياً ورقمياً .

نجد كتب التاريخ والحضــارة الإســلامية داخل شــبه الجزيرة العربية، وبخاصــة تاريخ المدن، أو الحواضــر. وكتب الرحالة العرب والأجانب في العصــر الحديث تشــتمل علــى توثيقات لا بأس بها عن بعض الرياضــات الخارجيــة داخل بعض القرى والمدن في بلاد الحجاز، والباحة، وعسير، وجازان، ونجران. ومن يعكف على دراسة هذا الموضوع من خلال المصادر والمراجع الآنف ذكرها خلال القرنين (١٣ــ١٤هـ/ ١٩ـ٢٠م) فسوف يُطلعنا على تاريخ رياضــي لســكان هذه الديار في العصــر الحديث. واطلعت على بعض وثائــق القرنين الماضــيين المتأخريــن فوجدتها لا تخلو من إشــارات متنوعة عن الألعاب الرياضية التي كانت تمارس في الحواضر والقرى والأرياف السروية والتهامية.

---

(١) مقالة منشورة في صحيفة النماص اليوم الرقمية بتاريخ (٢٥/ أغسطس/٢٠٢٥م).

مـن يعرف حياة الأوائل إلى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) يجد أنهم يقضـون (ذكوراً وإناثـاً) معظم أوقاتهم في المشـي بحثاً عن أرزاقهم، والقليل جـداً من رجالهم يركبون الدواب كالجمال، والحمير، والخيول. وهم دائماً في حركة ورياضـة، وانعكس ذلك على قوة أجسادهم، ورشاقتها.

تتفاوت تضـاريس تهامة والسـراة، وأحوالها الجوية، وهذا يؤثـر قطعاً على ذهاب الناس وإيابهـم، وحركاتهـم ورياضـاتهم اليومية. فأهل السـاحل يقضـون جزءاً من أوقاتهـم مع البحر، فمنهم من يشـتغل بصـيد الأسـماك، أو جمع المحـار واللؤلؤ، ومن بينهم من يمارس السـباحة في البحر، أو التنزه على الشـواطئ. والسـكان في السـهول التهامية، أو في منطقة الأصدار لهم رياضات ونشاطات مستمدة من بيئاتهم، فبعضهم يقومـون بالرعـي والزراعة، والصـيد، وجمع الحطـب، ومهن أخرى تحتـاج إلى حركة وجهد عضلي. ومناطق السروات والبوادي تفرض عليهم أوضاعهم الجغرافية والمناخية أعمالاً ورياضـات أخرى مسـتمدة مـن طبيعة بلادهم. ومن تلك الأنشـطة الرياضـية السـباق على الأقدام، أو بالخيول والحمير، أو المصارعة بين الشباب، أو القفز، أو لعب بعض الألعاب التقليدية التي تعكس شيئاً من القوة، أو الخدعة، أو التفكير، أو الذكاء، أو السباحة في الآبار الجوفية أو العيون، أو المباريات عن طريق القنص بالبنادق، والنصع بالحجارة. والرجال والشـباب هم من يمارسـون مثل هذه الرياضـات. وللصغار ذكوراً وإناثاً بعض الألعاب، وأحياناً تتشـابه بعض الألعاب التـي تمارس داخل المنازل، وخارج البيت في المزارع، وأماكن الرعي وغيرها. وللنسـاء رياضـات خاصة بهن، وتختلف عن ألعاب الرجال والشباب، وسمعت ورصدت بعض الرياضات والألعاب التي كانت تمارس في مناطق جازان، وعسير، والباحة خلال القرون الماضية المتأخرة، واتضح لي أن معظم موادهـا محليـة، ومفرداتها أو اصـطلاحاتها اللغويـة تختلف من مكان لآخـر، وأحياناً تتشابه بعض الألعاب في الحركات، مع اختلاف مسميات وأدوات اللعبة الواحدة.

كان في مناطق السـراة وتهامة خلال النصـف الأول من القرن (١٤هـ/١٩-٢٠م) بعض العناصـر البشـرية الوافدة من خارج شـبه الجزيـرة العربية، ومن بعض البلـدان الداخلية كالحجاز واليمن، وجلبوا معهم بعض الألعاب الرياضـية المختلفة في الوسـائل والممارسة عن بعض الرياضات المحلية، وصاروا يمارسونها في مواطن إقامتهم، وبعضها انتشرت بين السكان المحليين حتى صارت ضمن نشاطاتهم الرياضية الداخلية والخارجية. وقد اطلعت على بعض الوثائـق والمؤلفات التي أشـارت إلى ألعـاب عثمانية وفدت مع العثمانيـين أثناء حكمهم بلاد تهامة والسراة من ثمانينيات القرن (١٣هـ/١٩م) إلى ثلاثينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).

جاء النصـف الثاني من القرن(١٤هـ/ ٢٠م) ، وتحولت حيـاة النـاس نحو الاتحـاد ، وبناء الأرض والإنسان. وأنشئت الإدارات الرسمية، وجاء للعمل فيها الكثير من الأعلام المؤهلـين علميًّـا ومعرفيًّا. وتذكر بعض الوثائق والرواة أسـماء رمـوزٍ قدموا إلى أبها في الخمسـينيات والسـتينيات من القرن (١٤هــ/ ٢٠م) ، وكان لهم العديـد من المبادرات المجتمعية، ومنها إنشـاء أندية رياضـية تمارس لعب الكرة وأنشـطة أخرى عديدة. كما افتتحـت المدارس النظاميـة في بعض المدن السـروية والتهامية، وكان ضـمن جداولها الدراسـية ممارسة بعض الألعاب الرياضية، مثل كرة القدم، واليد، والسلة، والطائرة، وسباقات الجري وألعاب القوى وغيرها.

<u>(*) قـرأت وشـاهدت الكثيرمن الأنشـطة في تهامة والسـراة من سـبعينيات القرن الهجري الماضي إلى وقتنا الحاضر، وفي الفقرات التالية أذكر شيئًا مما عرفته وعاصرته:</u>

١- اطلعـت علـى الكثير من الخطـط الدراسـية والتدريبية في وزارة المعارف، والرئاسـة العامـة لتعليم البنات، ووزارة التعليم العالي، ثـم وزارة التعليم فوجدت أنها تحرص على توفير أنشطة لا صفية متنوعة ومنها ممارسة رياضات عديدة للذكور، وتدريبات مهنية كثيرة للإناث. وكانت حصص الرياضة في الماضي محصورة في مدارس البنين، وحاليـاً أصـبحت في جميـع المدارس الحكوميـة والأهلية للذكور والإناث. ولا تقتصـر الألعاب الرياضـية المتنوعة على طلاب المدارس في مدارسهم فقط، إنما تُقام أنشطة رياضـية ومباريـات عديدة داخل المنطقـة الواحدة، وبين المناطـق المختلفة في المملكة العربية السـعودية. أما في التعليم الجامعي فهناك كليات وأقسـام علمية متخصصـة في الرياضـة البدنية، وبعض هذه المؤسسـات التعليمية تتبع وزارة المعارف ثم التربية والتعليم، وأخرى ضمن هياكل بعض الجامعات السعودية. ومن يتخرج في هذه الكليات يعملون معلمين ومدربين للألعاب الرياضـية في المدارس النظامية الحكومية والأهلية، وفي الأندية الرياضـية الرسـمية والشـعبية. وعاصـرت وعرفت خلال السـتين سـنة الماضـية (١٣٨٥ـ١٤٤٧هـ/ ١٩٦٥ـ٢٠٢٥م) عشـرات الطلاب والمدرسـين السعوديين الذين درسوا في أقسام التربية في كليات التربية البدنية في كليات المعلمين والتربية، ثم تخرجوا وعملوا مدرسـين ومدربين للعديد من الألعاب الرياضية في قطاعات حكومية عديدة مثل المدارس، والمعاهد، والكليات الجامعية والعسكرية وغيرها.

٢- إننـي أكتب صـفحات مـن تاريخ بـلاد مترامية الأطـراف، وعن موضـوع الألعاب الرياضـية المتعـددة والمتنوعة. ولـو توقفنا مع كل لعبة رياضـية محـددة مثل: كرة

القدم، أو الطائرة، أو ألعاب القوى، أو الرياضات الرسمية في المدارس، والأندية، والجامعات، والقطاعات العسكرية والمدنية، الرسمية والأهلية وغيرها، فإننا سوف نواجه مشاكل كبيرة لاتساع الموضوع وتعدد فروعه، وأحياناً ندرة المصادر والمراجع في العقود السبعة الأولى من القرن الهجري الماضي، بعكس الستين عاماً الأخيرة (١٣٨٥ـ١٤٤٧هـ/١٩٦٥ـ٢٠٢٥م)، فهناك مواد علمية مدونة كثيرة، لكنها متناثرة في إدارات وأراشيف حكومية عديدة، وربما بعضها ضاعت، أو أصابها التلف لعدم حفظها والاعتناء بها. أما الرواة والأعلام المعاصرين للرياضة في مناطق جنوب المملكة فمازال الكثير منهم على قيد الحياة، وهم من المصادر المهمة التي يجب الاستفادة منها، بالإضافة إلى الكثير من الصور الفوتوغرافية، والأفلام الموجودة عند الأفراد، أو في بعض المؤسسات الإدارية، فهي أيضاً من المصادر الإيجابية الموثوقة.

٣- كان لشباب القرى والأرياف بعض الرياضات التي يقتبسون أفكارها من بيئاتهم، وربما وفدت إليهم من مناطق أخرى، فقد كانوا يحصلون على مواد ألعابهم مما في أوطانهم من إمكانات. فالكرة سابقاً كانت تُصنع من القماش، ويلعبونها الصبيان باليد أو الرجل، ثم ظهرت كرات الجلد أو البلاستيك، وأصبحت السائدة في حارات القرى والمدن، وشاهدت الكثير من الفرق التي تمارس رياضاتها الشعبية في قراها، وأماكن استيطانها المختلفة. ومنذ نهاية القرن الهجري الماضي، وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأت الرئاسة العامة للشباب تُعطى تراخيص لإنشاء أندية رياضية، ثم تزايدت خلال الأربعين سنة الأخيرة (١٤٠٥ـ١٤٤٧هـ/١٩٨٥ـ٢٠٢٥م) حتى صار في كل مدينة تهامية وسروية كبيرة، أو محافظة نادي رياضي، له إدارة وميزانية، ومرافق معمارية، وجمهور، ولاعبين. ومن خلال هذه النوادي عقدت الكثير من التدريبات والمباريات المحلية والإقليمية. ونشاهد في السنوات الأخيرة إنشاء وزارة جديدة للرياضة في المملكة العربية السعودية، وهي تسعى جاهدة إلى دعم وتطوير الرياضات المختلفة في أرجاء البلاد، والارتقاء بها إلى العالمية.

٤- زرت في السنوات العشر الأخيرة (١٤٣٦-١٤٤٦هـ/٢٠١٥-٢٠٢٤م) بعض مقرات المدن أو الأندية الرياضية في مناطق نجران، وجازان، وعسير، والباحة فوجدت بعضها منشآت كبيرة وعملاقة لما تحتوي عليه من ملاعب، وصالات، وأدوات رياضية، وأنشطة متنوعة في الرياضة، والعلم والثقافة. واطلعت على الكثير من السجلات، والوثائق، والصور الفوتوغرافية. وبعض الأندية زودتني بكتيبات ومجلات محدودة تحتوي على صور من تاريخ هذه القطاعات خلال العقود الثلاثة الماضية.

وطلبت من بعض المسـؤولين الذيـن قابلتهم أثناء زياراتي الاجتهاد في أرشـفة أوراق ومدونات وسجلات نواديهم، ورجوتهم توظيف التقنية في حفظ هذه المصادر التراثية التاريخية منذ البدايات، وهناك من قال لا نملك شـيئاً عن التأسـيس والنشأة. ومن يدرس تاريخ الرياضـة الحديثة في المملكة يجد أن هناك أعداداً غير قليلة من شباب تهامـة والسـراة بدأوا تاريخهم الرياضـي في أحيـاء أو حارات مدنهـم وقراهم، ثم التحقوا ببعض الأندية السـعودية الكبيرة، وتطورت مواهبهم وقدراتهم حتى صـاروا أعضـاء مؤثرين وفاعلين في الرياضة السـعودية داخل بلادهم وخارجها، ومنهم من حقق مراكز متقدمة وجوائز عالمية في الرياضات التي تخصصوا فيها واشتهروا بها.

٥- كوني معاصـراً للرياضة الحديثة في منطقة عسـير وما حولها من تسعينيات القرن الهجري الماضـي، فقد عاصـرت وشـاهدت الكثير مـن المسـؤولين والأعلام الذين دعموا وخدموا وشجعوا الرياضة في تهامة وسراة عسير، وفي مقدمتهم الأمير خالد الفيصـل، أمير منطقة عسـير حوالي أربعة عقود، فقـد كان نموذجاً جيداً في دعم وتشجيع مسيرة الرياضة في المنطقة. وهناك رموز أخرى من أهل البلاد حذوا حذو الأمير خالد في الرعاية والدعم المادي المعنوي. وفي الوقت الحاضر شاهدت أمراء مناطق الباحة، وجازان، وعسـير، ونجران لايدخرون جهداً في حضـور المناسـبات الرياضـية المحلية، ولا يتأخرون في الدعم والتوجيه والرعاية التي تصـب في خدمة تطوير جميع الألعاب الرياضية في مناطقهم.

٦- لاحظـت في العقديـن الأخيريـن (١٤٢٥ـــ ١٤٤٦هـ/ ٢٠٠٤ـــ ٢٠٢٤م) زيـادة عدد السـكان في تهامة والسـراة، وتعدد المشـاريع الاقتصـادية والترفيهية والرياضية. وانتشـرت مراكز الرياضـة أو اللياقة التجارية في مدن وحواضـر عسير، وجازان، ونجـران، والباحة . وزرت عـدداً من هذه المراكز فوجدتها تتفاوت في مسـاحاتها، وإمكاناتها، وخدماتها، وأنواع الرياضـات التي تقدمها. وجميعها في منشآت مغلقة، وبعضها تتكون من قسمين منفصلين للرجال والنساء، وهناك مراكز أخرى مستقلة للرجال، أو النساء، وأسعارها تتفاوت، وعند بعضها عروض خاصة فتقدم خصومات جيدة لمدة عام، أو لبضـعة شـهور. وكان الكثير من العامـلات أو العاملين فيها من العمالـة الوافدة، ومؤخراً أصـبح يعمل فيها بعض الفتيات والشـباب السـعوديين. وزرت بعض الفنادق، والمدن، والمنتجعات السـياحية في جازان، وعسـير، والباحة، ورأيت فيها بعض الأماكن المخصصة للعديد من الألعاب الرياضية، مثل السباحة، وألعـاب القـوى، وبعض الأجهزة والأدوات الرياضـية المختلفـة. ويوجد في عدد من

المدن، والقرى، والأرياف وبعض الحدائق وأماكن التنزه ملاعب رياضية مزروعة، انجزتها البلديات، وأخرى تم إصلاحها وتأجيرها من بعض التجار المستثمرين.

٧- قامت البلديات مؤخراً بإنشاء العديد من مسارات المشي داخل المدن، ويلاحظ انتشار الوعي الرياضي بين الناس، فترى هذه الأمكنة المخصصة للجري أو المشي مكتظة بالبشر (رجالاً ونساءً) من كل الفئات العمرية. ويوجد على جنبات هذه الممرات الكثير من الخدمات كالحمامات، ومحلات بيع بعض السلع التي يحتاجها المشاه، أو المتنزهين في الحدائق والجلسات القريبة من تلك الأماكن الرياضية. وقد اطلعت على عدد من الدراسات والخطط التي تشرف عليها وزارة البلديات والاستراتيجيات التي يراد تنفيذها في المستقبل خدمة للحياة الرياضية. وقد نرى في قادم الأيام رياضات إقليمية وعالمية تقام في حواضر وأماكن عديدة من أرض السروات وتهامة.

ثانيا: وسائل التسلية (الترفيه) :

إن مفردتي (التسلية، أو الترفيه) متقاربتان في المعنى، لصلتهما بكل قول، أو عمل يجلب الراحة والاسترخاء للإنسان، أو الأفراد والجماعات الذين يمارسون أي حديث أو سلوك أو أعمال تضفى لهم أو عليهم أوقات من السعادة والاستمتاع الجسدي، أو الروحي أو النفسي، أو العقلي، أو بها جميعا. وهناك مئات الدراسات، والمدونات، والمنشورات التي ذكرت تفصيلات عن الترفيه والتسلية عند أمم وحضارات الكرة الأرضية عبر أطوار التاريخ. ولم تغفل الشرائع السماوية من الحديث عن الترفيه والترويح عن النفس(أفراداً ومجتمعات) . وفي القرآن الكريم وكتب التفاسير والسنة النبوية الكثير من النصوص التي أشارت أو شرحت ميادين التسلية (الترفيه) ، وأحكامها الشريعة، وأضرارها وفوائدها على الأرض والناس. ولا تخلو كتب الحضارات الأخرى، والتاريخ العربي والإسلامي من مؤلفات، أو فقرات، أو صفحات كثيرة أرخت لأنواع كثيرة من مجالات الترفية (التسلية) الرسمية والشعبية، الفردية والجماعية، وعند كل الفئات المجتمعية (الصغار والكبار، الذكور والإناث، الحكام والمحكومين، الفقراء والأغنياء، الأذكياء والجهلاء، المتعلمين والأميين) ، بل جميع الأجناس البشرية خلال العصور التاريخية .

امتدت رحلتي العلمية الدراسية ستين عاماً، منها أربعون سنة في القراءة والبحث والتوثيق. واطلعت على معظم مصادر التراث الإسلامي عند الدول الإسلامية في شرق الكرة الأرضية وغربها، ووجدت في تاريخ وحضارة هذه الأمم صفحات كثيرة من حياة الترفيه والتسلية، بعضها إيجابية وأخرى سلبية من منظور إسلامي. وكان للعلماء والفقهاء

كتابـات وفتاوى كثيرة لها صـلة بالترفيه على مسـتوى الأفراد (ذكوراً وإناثاً)، والأسـر، والمدن، والحواضـر، والمجتمعات، والدول، والمؤسسات العامة والخاصة. وفرضت الحياة السياسـية التاريخية الحضـارية لدولة الإسلام ظروفاً وإرهاصـات كثيرة أثرت في حياة الناس وتركيبتهم السـلوكية الاجتماعية الحضـارية. فكانوا قبل الإسـلام أجناساً عربية وغير عربية، لهم تراث ومعتقدات وثقافات متنوعة، ثم دخلوا دين الإسلام، واجتهدوا في تطبيق ما نص عليه القرآن الكريم، وكتب السـنة، وما حث عليه وسـطره علماء المسلمين وفقهائهم. ولم يخل المجتمع الإسلامي من التأثير والتأثر بالحضارات الأخرى (اليونانية، والرومانية، والفارسية، والهندية) وغيرها. ومجالات التسلية والترفيه من الميادين سهلة الانتشار بين الناس، لما يصاحبها من ترويح يعود على العقل والنفس بالهدوء والاسترخاء.

إن بلادنـا (سـراة وتهامـة) جزء صـغير من العـالم العربي والإسـلامي، والعالم بأسـره. فقـد كان لها تاريـخ قبل الإسـلام وبعده، ولديهـا الكثير من الفنـون والتراث والتقاليد الخاصة. لكنها مختلفة عن غيرها بسبب وعورة أرضها وانعزالها عن غيرها، مـا عدا أطرافها الشـمالية والجنوبية القريبة من حواضـر الحجازيين واليمنيين. فقد كان لها صـلات تاريخية وحضـارية متبادلة. وهذا الوضـع بقي حوالي اثني عشر قرناً (ق١ــ ق١٢هـ/ق٧ـ ق١٨). وإذا بحثنا عن فنون الترفيه والتسـلية في هذه البلاد خلال تلك الفترة فلا نجد أي شـيء من ذلك، وهذا لا يعني أنه لم يكن لهم تاريخ ونشـاطات في هـذا الجانب، كلا، لكن تاريخهم السياسـي والحضـاري لم يكتـب ويوثق حتى الآن، لانعدام المصادر الموثوقة في هذا الباب.

بـدأت تظهر تفصـيلات تاريخية وحضـارية عن السـرويين والتهاميـين من بداية القـرن (١٣هــ/ ١٨م)، وعاش في هذه البلاد إمارات وقوى سياسـية داخلية وخارجية، وصارت القوى الغربية الاستعمارية تصل إلى موانيها، وتتعامل مع الأحداث والسياسات المحليـة والإقليميـة. واسـتمرت مجريـات التاريـخ الحديـث المختلفة تتشـكل في شـبه الجزيـرة العربيـة، وكان للعثمانيـين وجود كبـير في اليمن والحجاز ومـا بينهما خلال القـرن (١٣هـ/١٨ــ١٩م) حتى ثلاثينيـات القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم ظهرت دول محلية أخـرى عديدة، وكانت الدولة السـعودية الحديثة أكبرها وأكثرها توسـعاً وانتشـاراً في جزيرة العرب، وصـارت السـروات وتهامة جزء من هذا الكيان الجديد الكبير (المملكة العربية السـعودية). ومع هذه التحولات التاريخية الحديثة توفرت الكثير من المصـادر والمراجع التي تروى صفحات حضارية من حياة التهامين والسرويين. وإذا درسنا تاريخ الترفية (التسـلية) من بداية القرن (١٤هــ/١٩م) إلى الآن، فإننا نجد بعض الوثائق،

والمخطوطات، والكتب المطبوعة والمنشورة، والروايات والقصص الشعبية تشير إلى لمحات من هذا التاريخ خلال القرن الهجري الماضي.

(*) شاهدت وقرأت عن فنون تسلية الناس خلال هذا القرن (١٥هـ / ٢٠ـ٢١م)، وأرصد في الصفحات التالية شيئاً من هذا التراث الحضاري، على النحو الآتي:

تعد الألعاب الرياضية من ميادين التسلية والترفيه، كل حسب أهميته ومكانته الاجتماعية والبشرية. فهناك رياضات فردية، أو جماعية، أو رسمية وشعبية، أو نسائية ورجالية. وأخرى قديمة ومحلية، أو جديدة ومستوردة من أماكن كثيرة شرقية أو غربية، داخلية أو خارجية .

جميع الفنون الشعبية من أناشيد، ورقصات، وألعاب، وأشعار عربية ونبطية، وأهازيج ومقطوعات أدبية وغيرها من التراث التهامي والسروي معروفة وموجودة من عصور قديمة. ويُمارس هذا الموروث على المستوى الفردي، أو الأسري، أو القبلي. وفي بعض مفاصل الحياة البشرية الريفية، أو القروية، أو المدنية، وله حضور كبير في حياة الناس. واطلعت على بعض الكتب المطبوعة والمخطوطة، وسمعت عشرات الروايات والقصص الشفهية، وشاهدت الكثير من أنماط التسلية والترفيه التي كانت ومازالت تمارس عند الكثير من فئات المجتمع في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية. وللفنون الشعبية النصيب الأكبر في إقامة هذه الأنشطة الترفيهية. ويلاحظ في العقود الماضية المتأخرة تأسيس مؤسسات إدارية رسمية وأهلية، وتشكيل فرق شعبية تتولى الإشراف على الكثير من مناشط الترفيه (التسلية)، وتأدية العديد من الفنون الطربية الشعبية في الكثير من الاحتفالات والمناسبات الصغيرة، والمتوسطة، والكبيرة. ويوجد مئات الساحات العامة، والاستراحات، وقصور الاحتفالات والأفراح التي تقام فيها مناشط فرائحية ترفيهية، ويتولى إدارتها والإشراف عليها الكثير من المستثمرين ورجال المال والأعمال.

لا يمكن حصر مناشط الترفيه (التسلية) في مجال حضاري معين، أو في فئة، أو فريق، أو جماعة، أو مكان محدد. وغالباً يكون الترفيه والاسترخاء بعد التعب والعناء من عمل أو أعمال جسدية، أو عقلية فكرية، أو نفسية. وربما كان وقت التسلية والبحث عن الراحة دقائق، أو ساعات، أو أسابيع، أو شهور، أو عام، أو أعوام، كل حسب الظروف أو الأسباب التي تتفاوت من شخص لآخر. وقد يحتاج الترفيه إلى إمكانات مادية ومعنوية كثيرة، كالسفر، أو الخروج في نزهة برية أو بحرية، أو قضاء بعض الوظائف والأعمال الكبيرة أو الصغيرة، أو الضرورية. ومن المحتمل أن يكون الهدف من الاسترخاء الجلوس والنوم وقضاء أكبر وقت ممكن في المنزل مع الأهل، أو الأقارب، أو الأصدقاء،

أو ممارسة بعض الأنشطة التي يرغبها ويحبها هذا النوع من الناس، مثل القراءة، ومشاهدة الرأي (التلفاز)، أو زيارة الأقارب والأصدقاء والمرضى، أو الذهاب للحج أو العمرة، أو الخروج للاستجمام والتنزه لفترات قصيرة، أو ممارسة بعض الرياضات، كلعب الكرة، أو السباحة، أو الجري أو المشي أو غيرها.

جمال طبيعة السراة وتهامة، وكثافة غطائها النباتي، وتنوع تضاريسها، وجريان أوديتها بالمياه، واعتدال مناخها وجودته في الصيف أو الشتاء. كل هذه المؤهلات جعلت أهل البلاد يقضون أوقات من المتعة والاسترخاء في مناكب ديارهم. ورأيت بعض المصادر التاريخية المتنوعة التي وصفت جمال بعض الأمكنة في حاضرة أبها، والسروات الممتدة من نجران وظهران الجنوب إلى الطائف خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، وشاهدت وتجولت في أرجاء هذه المناطق من عام (١٣٨٥ـ١٤٣٠هـ/١٩٦٥ـ٢٠٠٩م)، ووجدت الناس يمارسون حياتهم العادية بين المروج الخضراء في كل مكان. وعاصرت المدرسين وطلاب المدارس في مناطق عسير، والباحة يخرجون طوال العام الدراسي في رحلات برية إلى الغابات المتناثرة في كل مكان، ويجلسون حول الأودية والجبال الخضراء.

كانت الأجزاء التهامية في الماضي تعاني من قلة الخدمات، وانتشار الأوبئة حتى العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم سرت عجلة النهضة الحديثة فيها فشقت الطرق التي تربط تهامة بالسراة، وتطور الوضع التعليمي والاقتصادي والعمراني، وتحولت المناطق التهامية، إلى مدن وبلدان متحضرة. وصارت عموم الديار التهامية من المنتجعات الترفيهية السياحية المأهولة بالسكان والأنشطة الحضارية المتنوعة. واتصلت السراة بتهامة جغرافياً، وبشرياً وتنموياً. وزرت بعض مدن جازان، وتهامة عسير، والقنفذة، والمخواة، وقلوة، والليث مرات عديدة خلال هذا القرن(١٥هـ/٢٠ـ٢١م)، وشاهدت أمكنة سياحية كثيرة، بعضها على شاطئ البحر، وأخرى في السهول، ومنطقة الأصدار. وأخبرني بعض كبار السن في هذه البلاد، إلى أنهم كانوا في السابق يقضون بعض أوقات الاسترخاء والاستجمام على ساحل البحر، وفي بعض الخبوت، وعلى ضفاف بعض الأودية الصغيرة والكبيرة.

أثناء تدوين مادة هذا المحور، تحدثت مع بعض الأعلام في مناطق الباحة، وجازان، ونجران، وطلبت منهم أن يساعدوني ببعض الرؤى والإضافات في هذا المجال. فقال بعضهم « حياة الترفيه تتأثر بمستوى الدخل المادي، ووضع الحياة الاقتصادية. فكلما كان هناك يُسر في الوضع الاقتصادي يستطيع الفرد أو الأفراد (ذكوراً وإناثاً) الترفيه عن النفس حسب الرغبات والظروف والإمكانات. وعندما تكون الأحوال المادية ضعيفة

أو متواضعة ، يكون الإنسان في كد دائم لتوفير ضروريات الحياة، ولا يستطيع أن يقضي أي وقت في التسلية أو التنزه والترفيه». وفريق آخر يقول « إن ممارسة بعض الأنشطة الترويحية الترفيهية تخضع للظروف والبيئة التي يعيش فيها الإنسان. ففي الماضي كان الناس يعانون من الجوع والفقر وصعوبة الحياة، ويرفهون عن أنفسهم على قدر إمكاناتهم، وفي حدود قدراتهم المالية، والاجتماعية والحضارية، وحسب الأحداث، والأوقات، والعادات، والأعراف، والتقاليد، والمناسبات التي يعيشونها، ونادراً يوجد الإنسان العاطل الذي لا يعمل، بعكس الوقت الحاضر الذي توفرت فيه أوقات فراغ كثيرة، وزادت نسبة البطالة، مما يدفع الكثير من الشباب إلى الترفيه عن أنفسهم بطرق غير مفيدة، وأحياناً يواجهون الكثير من الفتن والشرور والسلبيات».

كنا نمارس في نهاية القرن الهجري الماضي، وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) أنشطة محدودة من التسلية والترويح. ومع تطور البلاد اقتصاديًّا وتنمويًّا زادت مناشط الترفيه، وتعددت أغراضها، وأماكنها، ووسائلها، والقائمين عليها، وصارت من الأعمال المستهدفة تجارياً. وتعددت سلبياتها وإيجابياتها، وتنوعت في مسمياتها، وأزمانها، ولم تعد مقصورة على ناحية، أو حاضرة، أو مدينة، أو منطقة، إنما تداخلت ثقافات وأهداف واستراتيجيات في الترفيه والترويح والسياحة المحلية، والإقليمية، والعالمية. وبدأت الجامعات والمدارس تدرج ضمن خططها ومناهجها مواد علمية ومعرفية عن الترفيه. وقد نشاهد في قادم الأيام كليات وتخصصات أكاديمية تمنح درجات علمية في مجالات التسلية والترفيه والاستجمام وغيرها.

بعد دخول الإنترنت وانتشاره في أصقاع الأرض، وما نتج عنه من انفجار فضائي رقمي، وما ظهر أو سوف يظهر في قادم الأيام من وسائل تواصل مع توظيف الذكاء الاصطناعي في حياة البشر. كل هذا خلق مجالات كثيرة وجديدة في ميدان التسلية والترفيه. ومن يشاهد أوضاع الناس اليوم مع وسائل التواصل، وتوظيف التقنية في صرف الأوقات الطويلة مع المشاهدات والألعاب الترفيهية السلبية والإيجابية يدرك ضخامة الأمر في تأثير عالم التقنية على حياة الإنسان في جميع جوانب الحياة.

لا أدعي أنني كتبت مدونة وافية عن الترفيه في تهامة والسراة خلال العصر الحديث . أرجو أن أكون وثقت بعض المعارف النافعة في هذا العنصر التاريخي الحضاري. وآمل أن يكون من الأبواب العلمية المعتنى بها في الأقسام العلمية الجامعية ، والمراكز البحثية المتخصصة. ولو خصصنا لكل منطقة (عسير، أو الباحة، أو نجران، أو جازان) مشروع بحث مستقل، فتلك من العناوين المهمة الجديرة بالاهتمام البحثي الجاد. وصل الله وسلم على رسول الله.

⑦ نبذة عن الألغاز والأحاجي، والطرائف والنكت في تهامة والسراة خلال العصر الحديث[١]

بقلم. أ. د. غيثان بن علي ابن جريس

أولاً: الألغاز والأحاجي:

١ ـ الألغاز:

ضرب من ضروب الغموض والالتواء وعدم الوضوح. ومفردها لغز، ويذكر اللغز في الشعر والنثر، وينقسم إلى قسمين:

أ-الألغاز المعنوية: يشـار فيها الموصوف بذكر صفات الشيء. ويعرف باسم اللغز الوصـفي أو البسيط. والألغاز الأدبية واللغوية، والرياضـية، والشرعية الفقهية تعد من الألغاز المعنوية، وتعرف أيضاً بالفنية .

ب-الألغاز اللفظية: الإشـارة إلى الموصوف من خلال مفردات، أو عبارات تحتوي على اسـم الموصوف، أو بعض أجزائه أو حروفه، ويحدث ذلك بالتصحيف، أو الحذف، أو القلب والتبديل.

٢- الأحاجي:

جمع أحجية، مشـتقة من الحجا، أي العقل والفطنـة والإدراك. والأحاجي نوع من الألعاب الفكرية القائمة على الحدس والظن، وتعتبر من الموضوعات المبهمة والغامضة، وقريبـة إلى حـد ما من الألغـاز. والأحاجي والألغـاز فنون علمية ومعرفيـة عُرفت عند الحضـارات القديمـة (الإغريقيـة، والفرعونيـة، والفارسـية، والهنديـة، والصـينية وغيرهـا). كمـا عرفها العـرب ومارسـوها في حياتهم العامـة والخاصـة. وبعد ظهور الإسـلام وانتشاره استمرت الألغاز والأحاجي سارية في المجتمعات العربية والإسلامية. ونجد الكثير من علماء المسـلمين الأوائل وبخاصـة أصـحاب اللغـة والأدب والتاريخ قد ألفوا في فنون الأحاجي والألغاز مؤلفات كثيرة، كلية أو جزئية، وبعضهم أسهبوا الحديث في تعريفها، وذكر الكثير من أنواعها، وأهدافها، ومناسباتها.

---

(١) مقالة منشورة في صحيفة النماص اليوم الرقمية بتاريخ (٢٨/ سبتمبر/٢٠٢٥م).

والألغاز والأحاجي من أقدم أشكال الأدب التراثي، وتشبه الأمثال الشعبية في سردها وصياغتها. وتتنوع الألغاز في أساليبها وتركيباتها اللغوية باختلاف البيئات والشعوب التي تمارسها. وكانت الأحاجي والألغاز في العصر الإسلامي المبكر والوسيط تكتب وتروى باللغة العربية الفصحى خالية من اللحن والتحريف. وفي القرون المتأخرة صارت الألغاز والأحاجي تكتب وتقال باللهجات العامية، ونجد جلال الدين السيوطي من أهل القرنين (٩ـ١٠هـ/١٥ـ١٦م) يُعرف الألغاز في كتابه: الطراز في الألغاز، فيذكر أنها عدة أنواع: ألغاز قصدها العرب، وألغاز قصدتها أئمة اللغة، ونوع ثالث لم تقصد العرب الألغاز بها إنما قالتها فصادفت أن تكون ألغازاً، وأحياناً تكون لغزاً من حيث المعنى، وعرف هذا النوع باسم (أبياتِ المعاني) لأنها تحتاج إلى أن يُسأل عن معانيها، ولا تفهم من أول وهلة، أو تكون ألغازاً من حيث اللفظ والتركيب والإعراب.

والجزيرة العربية مهد اللغة العربية قبل الإسلام وبعده. والباحث في مصادر اليمن والحجاز المبكرة سيجد الكثير من الألغاز والأحاجي المدونة في كتب التاريخ، والفقه، والشعر، واللغة والأدب والتراجم والطبقات. ولا تخلو مجتمعات شبه الجزيرة العربية من روايات وأشعار عربية وشعبية (مكتوبة، وشفهية) يتخللها استعارات وكنايات وأمثال تشتمل على ألغاز وأحاجي متنوعة.

معظم الألغاز والأحاجي في العصر الحديث والمعاصر شعبية، ولها العديد من المسميات، وتختلف أحياناً معاني وأسماء كلمة (لغز) حسب البيئة أو الناحية أو البلد، أو المنطقة. والاختلاف يشمل أيضاً مفهوم الأحجية أو اللغز. ومدلوله اللغوي. لكن مفردة (لغز) الكلمة المشهورة والمتداولة بشكل واسع في البلاد العربية وبعض الإسلامية لسلاسة لفظها، ودقة مفهومها. وهناك تسميات أخرى متعارف عليها بعضها عربية فصيحة، وأخرى عامية، نسمعها في أمكنة عديدة من بلدان الشرق الأوسط. ومن تلك الاصطلاحات اللغوية: الحزورة أو الفزورة، أو الحجي، أوالغطاوي وغيرها. وفي المملكة العربية السعودية نجد لفظة (لغز) هي المتعارف عليها. والأحاجي تعرف أيضاً بالحجايا، أو الفوازير، أو (الغبايا)، ومن الناس من يستخدم مصطلح (أحاجي) أو (الأحاجي). والحجي تعني الأحجية من حجى، ويُقصد بذلك الظن في الشيء الذي لا يُستيقن معرفته وصحته. والأحاجي من الكلام المغلق وغير المفهوم من أول سماعه والاصغاء إليه. والأحاجي والألغاز وإن اختلفت في الألفاظ والكلمات والمعاني فإنها جميعها تدور حول أمر واحد، ألا وهو الإخفاء والتمويه والسؤال والغموض. وغالباً تقال في صيغة سؤال بطريقة خفية ومستمرة حتى لا يستطيع المستمع التوصل إلى الإجابة

بسـهولة، بل يحتاج إلى عصـر الذهن والتفكير والمعرفة والتمعـن في الكلمات ومعانيها ودلالاتها اللفظية واللغوية.

والأوطان التهامية والسـروية جزء من البلاد العربية التي عرفت الأحاجي والألغاز وانتشـرت بين فئات المجتمع بجميع طبقاته. ومن يبحث في بعض المصـادر الإسـلامية المبكـرة والوسـيطة التـي أرخـت لبلدان نجران، وعسـير، وجـازان، وغامـد وزهران، والطائف فسـوف يجد بعض الشـذرات القليلـة في هذا الباب. وإذا بحثنا في الموضـوع نفسه في العصر الحديث والمعاصر نجد المادة العلمية الموثقة كثيرة ومتنوعة.

(*) في الصفحات التالية أدون لمحات من تاريخ السرويين والتهاميين الاجتماعي خـلال العصـرين الحديث والمعاصـر وبخاصـة في حياتهـم الاجتماعيـة الترفيهية الترويحية، وتحديداً موضوع الأحاجي والألغاز:

كانـت القبيلة العربية صـاحبة الحل والربط في بلادها خلال العصـر الإسـلامي حتى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م). ولا ننكر أن الديار السروية والتهامية عرفت بعض الإمـارات المحلية من بدايـات القرن (١٣هـ/١٨م)، وجـاء العثمانيون فحكموا البلاد حوالي خمسة عقود (١٢٨٩ـ١٣٣٧هـ/ ١٨٧٢ـ١٩١٩م). وهذا التشكيل السياسي أوجد في المجتمع الكثير من الحراك التاريخي الحضاري بسبب الأحداث السياسية، والحروب العسـكرية والقبلية والعشـائرية، ومن يبحـث في الكتب المطبوعة والمنشـورة، والوثائق والمدونـات والسـجلات التاريخية التي تعود إلى ذلك العصـر فسـوف يجـد الكثير من تراث الألغاز والأحاجي غير المكتوبة والموثقة التي بعضـها جاءت من الأجيال السـابقة، أو الموروث الأدبي والمعرفي العربي الفصـيح والعامي المدون داخل شبه الجزيرة العربية وخارجهـا. ولـو بحثنا عن حياة النـاس العامة في مدنهم، وقراهم، وبواديهم السـروية والتهامية (السـهلية والساحلية) فإننا سنجد شـيئاً من الأحجية والألغاز المحلية. ومن يدرس تاريخ القبيلة في جنوب الجزيرة العربية حتى منتصف القرن(١٤هـ/٢٠م) يجد أن لهـا الكثـير من الأنظمة والقواعد والأشـعار والألعاب والأهازيـج المروية أو المكتوبة. وكانت كل عشـيرة أو قبيلة منطوية على نفسـها في ديارها، ولها صـلات وتحالفات مع غيرها، وفي الوقت نفسه تخوض صراعات ومشاكل مع بعض القبائل والعشائر المجاورة، ولا تخلو داخل حدودها من مشاكل محلية عديدة ومتنوعة. ومن يدرس أوضاع كل ناحية أو قبيلة يجد لها تراث محلي له صلة بفن الأحاجي والألغاز.

جمعت بعض المصادر والمراجع النثرية والأدبية الشعرية التي وثقت شيئاً من تاريخ وحضارة جازان، ونجران، وعسير، والباحة، والطائف، والقنفذة وغيرها خلال القرون الثلاثة الماضية (١٢ـ١٤هـ/ ١٨ــ٢٠م)، فوجدت فيها مواد علمية متنوعة، منها بعض الأشعار والقصص الأدبية الفصيحة والشعبية، ويتخللها الكثير من الأحاجي والألغاز التي كان يكتبها مؤلفو تلك الكتب، بعضها موجهة إلى بعض الأمراء ورجال الإدارة والسياسة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، وأخرى رسائل إخوانية في قوالب علمية أدبية، وألوان أخرى ثقافية وفكرية وعلمية وغيرها. وجلست خلال العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) في مجالس اجتماعية عديدة (رسمية وأهلية) وسمعت من يروي أشعار شعبية وقصص نثرية سمعها من الآباء والأجداد، وهم سمعوها من أجيال ورواة سابقين لعصرهم. والملاحظ أن هذا النوع من التراث الشفهي لا يخلو من ألغاز وأحاجي تكثر فيها الاستعارات والكنايات، والغموض في ألفاظها ومعانيها.

توحدت المملكة العربية السعودية، وبذل القائمون على جمع شتاتها والسير بأرضها وأهلها نحو الاستقرار والنماء، وأنشئت مؤسسات الدولة المختلفة التي أشرفت على تطوير الأرض والإنسان. والسروات وتهامة من أوائل البلدان التي حظيت بهذه المكرمات، وأدرك ولاة الأمر أن هذا الجزء من الدولة الحديثة (المملكة العربية السعودية) غني جداً بموروثه الحضاري الجغرافي والبشري، والمادي والمعنوي. ومن يدرس تاريخ التنمية الحضارية الحديثة في أرجاء المملكة عموماً، وفي السراة وتهامة خصوصاً يجد أنها شملت جميع قطاعات الحياة.

(*) وفي العناصر التالية أنوه إلى بعض الأمور التي لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بالأحاجي والألغاز في البلاد التهامية والسروية، في عصر الدولة السعودية الحديثة، وأوردها على النحو الآتي:

الألغاز والأحاجي موجودة كجزء من حياة عامة الناس وخاصتهم من قديم الزمان، لكنها كانت محدودة في بيئاتها الاجتماعية الصغيرة، وإن انتشرت في البلاد فكان انتشارها محدوداً، لكثرة الصراعات القبلية المحلية، وعدم وجود الأمن، لكن بعد توحيد البلاد بدأ الناس المحليون يتصلون بغيرهم داخل بلادهم وخارجهم، وجاءت عناصر بشرية اجتماعية أخرى كثيرة من داخل المملكة وخارجها، ولأهداف متنوعة إلى مناطق عسير، ونجران، وجازان، والباحة، والليث، والطائف، وتربة وغيرها. وهذه الشرائح المجتمعية أوجدت بيئة معرفية واجتماعية وثقافية واسعة، تولد عنها تقارب العلوم والمعارف. وتوسعت قاعدة الألغاز والأحاجي في أرجاء البلاد.

الباحث في المسيرة العلمية والتعليمية والثقافية التي عاشها التهاميون والسرويون من عام (١٣٥٠ــ ١٤٠٠هـ/١٩٣١ــ١٩٨٠م) يجد حياة نهضوية بامتياز، فأنشئت المدارس الحكومية، وجلبت لها الكوادر البشرية الجيدة من داخل المملكة وخارجها، وتزامن مع ذلك زيادة الوعي والثقافة بين الناس، وكثرة أنواع المعرفة، من كتب دراسية وعلمية وثقافية، وجرائد ومجلات، ووسائل أعلام أخرى كالراديو والرائي (التلفاز). وظهرت ثم تزايدت المجالس العلمية والاجتماعية المختلفة، وصار هناك اجتماعات ولقاءات وندوات ومحاضرات ومؤتمرات جميعها تصب في تطور الحياة العلمية والثقافية الحضارية. وهذا بدون شك أثر في نمط حياة الناس، فتعلموا ثقافات أخرى، وتبادلوا مع غيرهم فنون معرفية مختلفة مثل الأحاجي والألغاز.

جاء هذا القرن(١٥هـ/ ٢٠ـ٢١م)وكثرت أساليب ومجالات التنمية الحديثة، وتكاثرت العناصر البشرية الوافدة، وزادت وتوسعت أهداف وغايات وأسفار الإنسان التهامي والسروي (ذكورا وإناثا). وتزايدت وتطورت وسائل المواصلات والاتصالات التقنية والاجتماعية. وأنشئت المعاهد، والكليات، ثم الجامعات المحلية. وتنوعت الأنشطة المجتمعية العامة والخاصة، الأهلية والرسمية، وأصبحنا نشاهد الكثير من الأحاجي والألغاز التي لم تكن معروفة من قبل، وصارت تقدم على شاشة الرائي(التلفاز)، أو في وسائل التواصل الحديثة المتعددة، أو من خلال أنشطة المدارس، والكليات، والمهرجانات الاجتماعية والثقافية المتنوعة.

الذي شاهدته في مدن وقرى وبوادي السروات وتهامة من ثمانينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، أن جميع أفراد المجتمع كانوا في كدح وكد طوال ساعات النهار، حتى وقت العشاء، وأحياناً يمتد الوقت ببعضهم قليلاً فتراهم يقضون وقتاً للسمر داخل البيت، أو قريباً منه. ومن ضمن برامجهم ممارسة بعض الألعاب العضلية أو الفكرية التي لا تخلو من فوازير وألغاز وأحاجي شعبية. ورأيت مثل هذه الأنشطة مع الرعاة، أو الفتيات والشباب الذين يتشاركون في بعض الألعاب قريباً من منازلهم، أو مزارعهم، أو أثناء ممارسة أنشطة أخرى مختلفة. ولم يكن لديهم وسائل أخرى تشغلهم كما نشاهد اليوم مع تعدد قنوات الرائي(التلفاز)،وظهور وسائل التواصل الرقمية المتنوعة التي أهدرت معظم أوقات الناس.

رأيت خلال الخمسين سنة الماضية الأخيرة بعض الأنشطة التي تعرض في التلفزيون، أو تكتب في المجلات والجرائد، أو بعض الوسائل الإعلامية والثقافية الأخرى، أو في المدارس والكليات الجامعية الرسمية والأهلية، ومنها مسابقات فوازير، أو أحاجي وألغاز، وتعقد بين الأفراد، أو فرق وتوزع عليهم جوائز مادية أو عينية. وأحياناً تكون

مادة الفوازير مقتبسة من دراسات وكتب قديمة وحديثة، وبعضها من الأحاجي والألغاز المحلية داخل المملكة العربية السعودية. وفي العقدين الماضيين الأخيرين أصبحنا نرى طرقاً أخرى جديدة مع فنون الأحاجي والفوازير وغيرها، بعضها ألعاب عن طريق الأجهزة الإلكترونية، أو ألغاز وفوازير وتعرض بالإشارة أو الرسومات والصور الفوتوغرافية، وغيرها من الطرق الحديثة.

التقيت خلال العقود الماضية (١٤٠٤ - ١٤٤٦هـ/ ١٩٨٤ - ٢٠٢٤ م) ببعض فئات المجتمع النجراني، والعسيري، والجازاني. ومنهم سعوديون، وأجناس أخرى مصرية، وسودانية، ويمنية، وبعض المجموعات من بلدان آسيوية وإفريقية. وكانوا أصحاب وظائف ومهن عديدة، ففيهم من يعمل في قطاعات تعليمية، وصحية، واقتصادية حكومية وأهلية، وآخرين في حرف عديدة بالأسواق الشعبية واليومية، وبالمدن الصناعية، وفي مهن الزراعة، والرعي، والبناء والتشييد وغيرها، واتضح لي تباين ثقافاتهم ولهجاتهم. ورأيت لهم جلسات مرح ونشاطات اجتماعية عديدة ومنها ممارسة بعض الألعاب الحسابية، والألفاظ والعبارات اللغوية التي لا تخلو من الغاز واختبارات تعتمد على العقل والفطنة والتفكير. وهذا النوع من التاريخ الإنساني الحديث والمعاصر منتشر بين الأسر والأفراد والجماعات في أنحاء البلاد التهامية والسروية، ومازلنا نسمعه ونراه مشافهة، ولا نجد عنه بحوث علمية جادة. ولا نعذر الأقسام المتخصصة في جامعاتنا المحلية، فالواجب عليها دعم وتشجيع مثل هذه الموضوعات الجديدة التي تعكس جزئيات من تاريخ السكان وأحوالهم الحضارية.

ثانيا: الطرائف والنكت:

النكت: مفردها نكتة .والطرائف: مفردها طرفة. والنادرة (النوادر) ، أو الفكاهة، أو الدعابة، أو المزح (المزحة) . جميعها مفردات نقيض الجد. وهي أي شيء من قول أو فعل يراد به المباسطة والضحك وإدخال السرور على نفس قائلها وسامعها بشرط أن لا تفضي إلى أذى، وإذا تجاوزت إلى هذا الحد فقد تتحول إلى تحقير وسخرية. والطرفة نوع من أنواع الأدب الشعبي الذي يمكن تقديمه كتابيًّا أو شفويًّا.

والنكت (الطرائف) قديمة جداً، واختلف الباحثون في بداياتها، فمنهم من أعاد نشأتها إلى عصر الإغريق، وآخرون أرجعوا بدايتها إلى الحضارة السومرية التي ظهرت في العراق قبل الميلاد بحوالي عشرين قرناً، وآراء أخرى اختلفت مع القولين السابقين. واستمرت مع جميع شعوب الأرض فوجدنا ذكرها عند الروم والفرس والعرب

قبل الإســلام .ومن يبحث في مصــادر التراث العربي والإسلامي المبكر والوسيط (ق١- ق١١هـ/ق٧- ق١٧م) ، فسيجد تفصيلات كثيرة عن النوادر والطرف، وأماكن انتشارها، وأعلامها وأنواعها.

نجد الدين الإسلامي يدعو إلى الوسطية والاعتدال في كل شيء ومن ذلك الدعابة أو المزح، وممارسة الضحك والفكاهة. وكان الرسول (ﷺ) يمزح، فقد قال له الصحابة (رضــوان الله عليهم) إنك تداعبنا! قال عليه الصلاة والسلام: «إني لا أقول إلا حقاً «. وقال أيضــاً «ويل للذي يحدث فيكذب ليضــحك به القوم، ويل له، ويل له». ويدعو الهدي النبوي إلى الابتســامة والمزاح الصــادق والتودد للناس، وفي الحديث الشريف «تبسمك في وجه أخيك صــدقة». وعُرف في صــدر الإســلام الأدب الفكاهي، ثم ظهر في عصــور الإســلام التالية الكثير من الظرفاء، والأدباء، والشعراء الذين كانوا يجالسون الأمراء، والوزراء، والخلفاء، مثل جحا، وأشــعب، وأبودلامة، وأبونواس وغيرهم .ونجد في شــعر بعض الشــعراء الكبار، كالحطيئة، وجريــر، والفرزدق، والمتنبي وغيرهم بعض أشــعار الهجاء المختلطة بأسلوب السخرية القريب إلى سخرية الطرفة (النكتة) .

ظهــر العديد من علماء المســلمين الأوائل الذين ألفوا الرســائل والكتــب الكثيرة في فن النوادر والفكاهة، مثل: الجاحظ، في كتابه (البخلاء) وفي بعض مؤلفاته الأخرى، والأصفهاني في كتــاب الأغــاني. وكتــاب (التطفيل وحكايــة الطفيليــين ونوادرهم وأخبارهــم، للخطيب البغدادي) . وكتاب (يتيمة الدهر، لأبي منصور الثعالبي) . وجمع الجواهر في الملح والنوادر، لأبي إســحاق الحصــري. وكتــب (أخبار الظرفــاء والمتماجنين، وأخبــار الحمقى والمغفلين، والأذكيــاء، وعيــون الحكايات، واللطائــف وغيرها لجمال الدين أبو الفــرج عبدالرحمن بن الجوزي) . والمستطرف في كل فن مستظرف، لشهاب الدين الأبشيهي، وغيرهم.

واصــلت الطرائف والفكاهــة رحلتها في العالم العربي والإســلامي خلال العصــر الحديث، وتوســعت موضــوعاتها وطرق ممارســتها. والظروف السياســية والحضارية أثرت بشكل جوهري في حياة الناس، وكان لتواصل بلدان العالمين العربي والإسلامي مع بعضــهم، ومع غيرهم من الأمم النصرانية، واليهودية، والفارسية، والصينية، وغيرها وما تعيشــه من معتقدات وثقافات تأثيرات كثيرة على حياة الفكاهة والطرائف وغيرها من الجوانب الترفيهية الجادة والهزلية في أوطان المسلمين وبخاصة البلدان العربية.

توسعت وتنوعت حياة البشر الحضارية من بدايات القرن (١٤هـ/١٩م) إلى وقتنا الحاضــر (١٤٤٧هـــ/٢٠٢٥م)) ، وللاحتلال الغربي والشــرقي الذي امتــد إلى البلاد

العربيــة آثار مادية ومعنوية متعــددة الوجوه. واللغة والأدب والثقافــة والتعليم من أكثر المجالات التي ســادها تغيرات كثيرة. وإذا حصــرنا حديثنا على مجال الحياة الفكاهية والنوادر والدعابة، فإننا نجد خليطاً كبيراً من هذا الأدب الشعبي، وأصبحت كل ناحية في كل وطــن عربــي لهــا أنماط معينة مــن هذا الفن المعــرفي، ولا تخلو من التشــابهات والاختلافات فيما بينها.

والملاحظ انتشــار النكتة في مختلف وســائل التواصل الرقمية الاجتماعية في العالم العربي والإســلامي والأجنبي. ويبدو أنها ثــورة أو ردة فعل على ما يحدث في المجتمعات من أحداث سياســية وعســكرية. وتعتبر النكت السياسية متصــدرة لما تحتوي عليه من خصوبة معلوماتية، وماله صلة بالجوانب الإنسانية الأخرى (الاقتصادية، والاجتماعية، والعلميــة الثقافيــة والمعرفيــة، والتقنية وغيرهــا). والكثير من الطرائــف التي نقرأها ونشــاهدها في وقتنا الحاضر تشــبه (الكاريكاتير) إلى حد كبير، حيث تقدم في قوالب طريفــة تهدف إلى إثارة ضــحك المســتمع أو القارئ، من أجل التخفيــف والتنفيس من وطأة الأخبار والأحداث المحيطة به والمنتشرة في كل مكان.

شبه الجزيرة العربية جزء من هذا العالم الكبير، عاش أهلها في النصف الأول من القرن الهجري الماضي حياة متنوعة في أحوالهم الإنسانية، والحضارية. ومارسوا أنواع كثيرة من مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والصــلاتية. وجاء النصــف الثاني من القرن نفســه، وتشكلت الأوضاع السياسية والحضــارية مع ظهور دول حديثة وعصرية. وكانت الحكومة السعودية الحديثة أكبرها، وأكثرها اتساعاً وتأثيراً على الأرض والناس، وتولد فيها الكثير من المظاهر الأدبية والثقافية والحضارية والمادية والمعنوية.

(*) تهامة والســراة مليئة بأصــناف الثقافات والحضــارات القديمة والحديثة، وامتــاز إنسانها بالتنــوع في طبيعــة أرضــه، وفكــره، ولهجاتــه، وحزنــه وفرحه، وفي وســائل الترفيــه عن نفســه. وفي الفقرات التاليــة أوثق لمحات مــن تاريخه الفكاهي خلال القرن الهجري الماضي، وهذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ــ٢١م).

لا نجــد الكثير من المــادة العلمية المدروســة والموثقة عن الطرائــف والفكاهة عند التهاميين والسرويين، وهذا لا يعني أنه لم يكن عندهم شيء من ذلك. فأرضهم بجميع ظروفهــا الجغرافيــة موطن الأصــالة العربية في شــتى الميادين. ناهيك عــن الأحداث السياســية والحضــارية المتنوعة التي عاشــتها البــلاد خلال العصــر الحديث (ق١٢- ق١٤هــ/ق١٨- ق٢٠م)، ورصــدت الكثير من الســجلات والوثائق والمصــادر والمراجع

صفحات كثيرة من تاريخها السياسي والعسكري، وجزئيات من حياتها الحضارية. وإذا بحثنـا في التراث الموجود نجد إشـارات من الطرائف متعـددة الأغراض والأهداف في بعض النصـوص التاريخية والأدبية (الشعرية والنثرية). ونسمع في الكثير من المجالس الاجتماعية العامة والخاصـة بعض القصص والنوادر الشـعبية التي عرفها وعاصرها إنسان هذه البلاد خلال القرنين الهجريين الماضيين (١٣ـ ١٤هـ/١٩ـ٢٠م).

وصـل العثمانيون إلى أرضـ تهامة والسـراة، وحكموا جبالها وسـهولها وبواديها، وأسسـوا قواعد إدارية عسكرية في بعض حواضرها. وجرت حروب عديدة بين الجيوش العثمانيـة والقبائل المحلية، ونشـأت حياة حضـارية متنوعة المجـالات، واللغة والثقافة والنـوادر والطرائـف أحـد الميادـين المعنوية التي عرفها ومارسـها الإنسـان السـروي والتهامـي مع بني جلدته، ومع الأجناس البشـرية التي جـاءت إلى البلاد في مجموعات سياسية وتاريخية متنوعة.

جـاء إلى جنـوب البلاد السـعودية في النصـف الثـاني من القرن(١٤هـ/٢٠م)، عناصـر بشـرية أخرى بعضـها مـن ديار نجـد، والحجاز، وأخـرى من أوطـان عربية وإسـلامية وأجنبية، وتفاوتت تواريخ عيشهم وإقامتهم في بلدان تهامة والسراة، لكنهم عملـوا في أعمال وحـرف عديدة، وجلبوا معهم فنون ومعارف وثقافـات فأثروا وتأثروا. وقرأت وعاصـرت صـوراً تاريخية متنوعـة في مناطق غامد وزهران، وسـروات وتهامة منطقة عسـير، وجازان، وسـمعت ورأيت من كان يروي القصص الشعبية التي يتخللها الكثير من النوادر والنكت الاجتماعية، وبعضها جاءت مع الحجازيين والنجديين، أو مع المعلمات والمعلمين المتعاقدين الذين جاءوا من بلاد الشـام، ومصر، والعراق، والسودان وغيرهـا. وفي العقود الأخيرة من القرن الماضـي زادت أعداد الأيدي المهنية الخارجية. ولكل صنف من أولئك ثقافات وألوان من المزاح والطرائف المختلفة.

كان في أرضـ السـروات وتهامة طلبة علـم وبيوتات تعلم وتعليم خـلال القرن الهجري الماضي، بعضهم ارتحلوا في طلب العلم داخل البلاد وخارجها. ومنذ خمسينيات القرن نفسه أنشـئت المدارس ثم المعاهد والكليات، وزادت نسـبة العلم والتنوير المعرفي، وجُلبت مصـادر التعليم المختلفة، وهذه التحولات زادت نسبة الوعي والثقافة، ونتج عن ذلك حراك حضاري ثقـافي في حيـاة الناس العامـة والخاصـة، وكان للفكاهة والمرح نصـيب بين جميع شـرائح المجتمـع. فمن يدرس أوضـاع الطبقة العليا مـن الأمراء ورجال الدولة يجـد لهم طرائفهم وأوقـات متنوعة للمزاح والتسـلية، كذلك عامة السـكان من البوادي، والقـرى والأرياف في السروات، والسهول والسواحل التهامية، لهم أيضاً طرق عديدة ورصيد من النكت والنـوادر.

رأيت أثناء التعليم العام في سراة وتهامة عسير خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن (١٤هـ/ ٢٠م) أنشطة رياضية، وثقافية، وترفيهية كانت تعقد في بعض المدارس، أو التجمعات المحلية، ويقدم فيها أنواع من النشاطات الاجتماعية التي يغلب عليها التسلية والترفيه، ويتخلل بعض فقراتها مسابقات ثقافية، منها مقتطفات فكاهية، ونوادر عربية وشعبية. وشريحة المعلمين والمثقفين هم من يرتب لهذه المناشط ويشرف عليها، ويشترك فيها الطلاب وبعض الحاضرين من الجمهور. ولا تخلو مدارس البنات ومعاهدهن من نشاطات مشابهة.

عشت جزءاً من بداية حياتي في البوادي والقرى والأرياف، ثم انتقلت إلى المدن، وسافرت داخل المملكة وخارجها خلال العقد الأخير من القرن (١٤هـ/٢٠م)، والعقد الأول من القرن الحالي. وشاهدت وشاركت في العديد من الأنشطة الاجتماعية التي كانت تعقدها المدارس والكليات التي درست فيها، وجلست في مئات المجالس الاجتماعية، الأسرية، والقبلية، والمدرسية، والجامعية، وتجمعات أخرى كبيرة وصغيرة، أو عامة وخاصة، وعرفت وسمعت في هذه اللقاءات أنواع كثيرة من المزاح والطرائف التي قالها السرويون والتهاميون، بعضها نابعة من تراث بيئاتهم المختلفة، وأخرى رواها آخرون ولها صلة بالمجتمعات السعودية، ولا تخلو مناطق تهامة والسراة من تلك النوادر الشعبية.

واكب هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م) طفرة حضارية متنوعة، واختلفت حياة الناس كثيراً عما كانت عليه أجيال القرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، وحياة التمدن والتطور الصناعي والتقني الحديث والمعاصر ساهم كثيراً في سرعة التحولات في معظم مفاصل الحياة، وتزايدت التداخلات الحضارية المحلية والإقليمية والعالمية، ووقع الكثير من الأحداث السياسية والعسكرية، والاقتصادية، والصحية، والاجتماعية، والفنية التقنية وغيرها. وهذه التبدلات خلقت الكثير من الإيجابيات والسلبيات في حياة الفرد، والأفراد، والمجتمعات، والحضارات الحديثة والمعاصرة، وأصبحنا نسمع ونشاهد على مدار الساعة كماً هائلاً من الثقافات، ومنها أساليب المزاح، والطرائف، وأحياناً السخرية وغيرها من الأفعال والأقوال التي تُقدم في هيئة مادة مكتوبة، أو مروية، وأحياناً تدعم بالصوت والصورة. وإذا قارنا تاريخ الفكاهة والطرائف في العشرين سنة الأخيرة (١٤٢٥ - ١٤٤٦هـ/٢٠٠٤- ٢٠٢٤م) مع ما سبقها من العقود والقرون الماضية فسوف نجد البون الشاسع على ما حدث من تطورات وانفتاح فضائي عالمي خلال العقدين الأخيرين. والنكتة والطرائف مازالت سارية ومتداولة بقوة بين جميع الشرائح في بلاد السراة وتهامة، أو في أي ناحية من بلدان شبه الجزيرة العربية، أو أي جزء جغرافي وبشري في العالم.

لم تعـد الطرائـف والنـادرة اليـوم بنفس المسـتوى الـذي كانت عليه في العصـور الإسـلامية الوسـيطة، أو حتى في القرون الماضـية المتأخرة، لما جرى عليها من تبدلات سلبية في اللفظ، والأهداف والمعاني. وبالرغم من أن النكتة فن أدبي وثقافي في أي زمان ومكان، وتعتبر الطرائـف ظاهرة اجتماعية تعكس جوانب عديدة من حياة الناس، لكن ينبغي على من يمارسـها أو يسـتمع إليها أن يكونوا حذرين في صياغتها وتلقيها. فبعض أساليب المزاح والدعابة عند المسلمين تتعارض مع منهج القرآن الكريم والسنة النبوية، ويكـون لهـا تأثيرات غير جيدة على المبـادئ والقيم والعـادات، وفي الناس من لا يدرك الأهداف البعيدة أو السيئة لها، ففي ظاهرها الضحك والتفكه والتسلية، لكن تحمل في طياتها جوانب ضارة وسـلبية على الثقافة والمعتقدات والثوابت الإسلامية والحضارية. وإذا كانت الطرائف، أو الطرفة غير هادفة وتعالج قضـية ما، ومكتوبة أو مروية بألفاظ لائقة، وإلا سـتترك انطباعات وآثار سـيئة في المجتمع أو المجتمعات التي تسـتمع إليها، وتنتشر على أرضها. وصل الله وسلم على الرسول الكريم محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام .

٨ مقتطفات من التاريخ الثقافي الحديث والمعاصر في المناطق التهامية والسروية في القرنين الهجريين الماضي والحالي[١]

بقلم. أ. د. غيثان ابن علي بن جريس

الحديث عن الثقافة أو الحياة الثقافية في أي زمان أو مكان موضوع كبير ومتشعب . والدارس لتاريخ وحضارة الأمم، والشعوب، والمجتمعات عبر أطوار التاريخ يجد أن الثقافة بجميع فروعها، وتقسيماتها، وخصائصها عُرفت، وظهر لها أسماء ومصطلحات. وعامل الزمان والمكان من أكبر المؤثرات التي تشكل حياة ثقافية لها طابع ومواصفات ونشاطات محددة. وهناك عوامل أخرى عديدة تؤثر في بناء الثقافات، وتختلف من مكان وعصر لآخر، لكن الجوانب الدينية والعقائدية، والسياسية والعسكرية، والأحوال الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والفكرية، وكذلك الطبيعة الجغرافية والأحداث التاريخية، والظروف العامة والخاصة للأفراد، أو الأسر، أو حياة المدن، والأرياف والبوادي، أو الصلات الحضارية بين الناس في أي مكان، وفي أي عصر جميعها ذات أثر كبير على بناء ثقافات متنوعة.

شبه الجزيرة العربية جزء صغير من العالم البشري والجغرافي، وعاش فيها شعوب وحضارات متنوعة خلال العصور التاريخية المتعاقبة. وجميعهم لهم تراث حضاري وثقافي متعدد البيئات والظروف والأحداث. وبعد ظهور الإسلام في هذه البلاد العربية، جاءت التعاليم الإسلامية بالكثير من التوجيهات الربانية وسنة الرسول خاتم الأنبياء والمرسلين (عليه أفضل الصلاة والسلام) ، فرسمت الطريق لحياة ثقافية إسلامية لسكان الجزيرة العربية وغيرهم من المسلمين في الكرة الأرضية . والباحث في مصادر التراث العربي والإسلامي، والمصادر الكلاسيكية الأجنبية وغيرها يجد الحراك الكبير الذي عاشه وتعامل معه أهل شبه الجزيرة العربية في أوطانهم الرئيسية أو خارجها منذ فجر الإسلام إلى وقتنا الحاضر. وكل الظروف والأنشطة التاريخية والحضارية التي عاصرها إنسان جزيرة العرب (ذكراً أو أنثى، صغيراً أو كبيراً، فقيراً أو غنياً، حاكما أو محكوماً) تُعد جزءاً من الثقافة المادية والمعنوية لهذه البلاد القديمة في تاريخها البشري، والرئيسية في نشأة الإسلام ثم انتشاره في أصقاع المعمورة.

مرت جنوب الجزيرة العربية بأزمنة تاريخية عربية إسلامية متعددة الأطوار، وعاصرت أنواع عديدة من الثقافات. وإذا ركزنا كلامنا على الأوطان التهامية

---

(١) مقالة منشورة في صحيفة النماص اليوم الرقمية بتاريخ (٨/ أكتوبر/٢٠٢٥م).

والسـروية، نجد أن التركيبة السكانية القبلية هي التي فرضت على جميع أفراد وشرائح وطبقـات المجتمع الحياة الحضـارية الثقافية المحلية. فالحيـاة الاجتماعية من علاقات فردية وأسرية ومجتمعية، وعمارة وتشييد، وطعام وشراب، ولبس وزينة، وعادات وتقاليد، وفنون رياضية وشعبية، ولهجات، وأنشطة اقتصادية متنوعة، وصراعات وحروب، وذهاب وإياب داخل البلاد وخارجها. كل هذه المجالات واكبها حياة إنسانية ثقافية في القناعات، والممارسات، ومواجهة العقبات والمشكلات والتعامل معها حسب الظروف والإمكانات.

وإن حصـرنا حديثنـا علـى القـرن (١٣هـ/١٩م) والعقـود الأولى مـن القـرن (١٤هـ/٢٠م). ودرسـنا كل منطقـة أو ناحية في السـروات وتهامة وجدنـا حراك ثقافي محلـي يتفاوت في الحجم والقلة والكثرة من مكان لآخـر. فالمدن الكبيرة، مثل: الطائف، وبلجرشي، والباحة، وبيش، وصبيا، وجازان، ونجران وغيرها عاشت حياة شبه متحضرة في فنونهـا وتقاليدهـا وأعرافها وحراكها الحضـاري والثقافي في مجـالات عديدة. وربما وجود بعض الأنشـطة السياسية والإدارية فيها أكثر من القرى والأرياف والبوادي، وحتى الأمكنة الأخيرة لا تخلو من نشاطات متباينة في الأداء والأثر والتأثير على الناس.

المؤرخون عادة يؤرخون للجانب السياسـي والعسكري بشـكل واسع، وتركز توثيقاتهم على علية القوم ورموزهم من الأعلام، أو الأسـر، أو أصحاب القرار، ولا يذكرون أي شيء عـن الطبقـات الفقيرة والوسـطى أو عامة النـاس، ومن قراءتي عن مناطـق ومدن وقرى عديدة في تهامة والسـراة خلال القرنين الماضـيين حتى أربعينيـات القرن (١٤هـ/٢٠م) وجدت الكثير من التفصيلات عن الصراعات والحروب السياسية والعسكرية التي عاشتها هذه البلاد . وإذا تأملت التاريخ المكتوب أو المخطوط تجده لا يخلو من التاريخ الحضـاري الثقافي السـلبي والإيجابي. فجميع السـكان لهم أنشـطة متنوعة معرفية ومهنية وسلوكية وعادات وتقاليد وممارسـات كثيرة يقومون بها ويتكيفون معها حسـب ظروفهم وقدراتهم المادية والمعنوية. ولكل مهنة أو تقليد أو حرفة أو نشاط تراث ثقافي موروث أو مكتسب.

ربمـا يقـول قائل إن الحياة الثقافية تدور فقط في فلك كل شـيء له صـلة بالقراءة والاطلاع وكسـب الخبرات والمعارف من مصادر محلية أو خارجية. وهذا كلام صحيح، لكن التاريخ الثقافي لا يمكن حصره فقط في هذا الباب. وقد جمعت بعض المادة العلمية المكتوبـة والمروية عن حياة السـرويين والتهاميين خلال الأربعين سـنة الأولى من القرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، فوجدت الكثير من الأنشطة الثقافية المحلية التي يمارسها الناس في منازلهم ومع أفراد قراهم وبواديهم ، وتاريخهم الاجتماعي، أو الاقتصادي من تجارات وزراعـة وحرف ومهـن تقليدية ورعي وصـيد، وكذلك حياة دينية ودعوية في صـلاتهم

وصيامهم وعباداتهم المتنوعة، وفي تعاونهم وتكافلهم وحروبهم وتقاربهم وتباعدهم، وممارسة فنونهم الطربية والرياضية، وفي حكمهم وأشعارهم وأمثالهم الشعبية، وطرائفهم وألغازهم وغيرها.

كانت أرض تهامة والسراة خلال العقود الأربعة الأولى من القرن الهجري الماضي تحت سيطرة قبائلها، والحكومة العثمانية تحكم أجزاء منها. ودارت حروب كثيرة في أرجاء البلاد، وما من شك أنه تزامن مع تلك الصراعات السياسية والعسكرية ثقافة مادية ومعنوية. وهذا الموضوع حسب علمي لم يدرس، فكل الموثق والمكتوب يرصد شيئاً من الصدامات العسكرية وبعض الجوانب التاريخية الحضارية القليلة. آمل أن تدرس حياة الناس حضاريًّا وثقافيًّا في شتى الميادين. ومن يتولى ذلك بالبحث والدراسة والتحليل فسوف يجد مادة علمية جديدة في محتواها.

لقد كتبت ونشرت في دراساتي ومؤلفاتي المطبوعة والمنشورة شذرات من الحياة العلمية والتعليمية في البلاد، ووجود العديد من المدارس والكتاتيب المتواضعة التي كانت مجتهدة في نشر الوعي والثقافة بين الناس، وأيضاً صلات الديار السروية والتهامية مع الحجاز واليمن وأحياناً بلاد نجد سياسيًّا وحضاريًّا، واجتماعيًّا، وتجاريًّا، وعلمياً وفكريًّا، وقد تولد عن ذلك تأثير وتأثر وتاريخ حضاريٌ وثقافيٌ، والصلات القديمة والمستمرة بين السرويين والتهاميين مع أرض الحرمين وبخاصة مكة المكرمة أثرت ثقافيًّا في حياة أهل تهامة والسراة.

(*) بعد دخول السراة وتهامة تحت حكم الدولة السعودية الحديثة (المملكة العربية السعودية) تغيرت أمور كثيرة نحو الأفضل. وإذا ركزت حديثي على الحياة الثقافية خلال المئة سنة الأخيرة (١٣٤٦-١٤٤٧هـ / ١٩٢٧ - ٢٠٢٥م))، فإنني أوثق ذلك في نقاط رئيسية على النحو الآتي:

١- كان في البلاد أنشطة متنوعة قبل دخولها تحت نفوذ ابن سعود. لكن الدولة الحديثة حملت هم القضاء على الفوضى والاحتراب القبلي، وإحلال السلام والأمن في ربوع البلاد، وكانت الجيوش السعودية والرجال الذين جاءوا برفقتهم لهم مهام وواجبات عديدة يسيرون عليها حسب القرارات والتوجيهات التي رسمها لهم الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود. وقد حصل صدامات عسكرية عديدة بين الجيوش القادمة والسكان الأصليين، وكانت الغلبة للجيش السعودي، ثم انضم إليه الكثير من التهاميين والسرويين، وعملوا جميعاً على نبذ الفرقة، والتصدي

للمتمردين والمعارضـين الذين فضلوا استمرار سطوة القبائل وهيمنتها على البلاد والعباد. وتزامن مع هذا التاريخ السياسـي والعسـكري ثقافـات وحراك اجتماعي وحضاري نتج عنه العمل والاجتهاد على بناء مجتمعات تؤمن بالوحدة، والدفاع عن الدين والأرض والعرض، والوقوف في طريق من يسـعى إلى دعم وتشـجيع التفرقة والتمزق وفقدان القانون الرسمي الذي يحتكم إليه الناس.

٢- لم يكـن هنـاك ثقافة إداريـة ومالية حديثة تخضـع للوائح وقوانـين ومراجعات عامة وعصرية. وبعد دخول السروات وتهامة تحت حكم الدولة السعودية الحديثة صار هناك مديريـات وإدارات ماليـة وإدارية تحكـم البلاد كل في مجال تخصصـه. ولا أرغب أن أكتب عن التاريخ العملي والعلمي لهذه المؤسسات، لكن أثرها الحضاري والثقافي أوجد تغيرات إيجابية في حياة الناس. وأصـبح للدولة موظفون رسـميون يمارسـون أعمالهم الوظيفية تحت إشـراف وخطط وتوجيهات حديثة. وأنشـئت أراشيف ووثائق ومدونات حكومية ترصد سير واستمرار الأمور الإدارية والمالية في أرجاء البلاد السعودية.

٣- إن تأسـيس وتحديث وتطوير البلاد سياسيًّا وإداريًّا وماليًّا وأمنيًّا انعكس على حياة التهاميين والسرويين اجتماعيًّا واقتصاديًّا. ففي القرن (١٣هـ/١٨ـ١٩م)، والنصف الأول مـن القـرن (١٤هـ/ ١٩ــ٢٠م) كان هناك حياة اجتماعية واقتصـادية، لكن تاريـخ الناس ومعارفهـم وثقافاتهم في هذه المجالات كانت بسـيطة وبدائية، وذلك لظروف كثيرة يصـعب شـرحها في هذه السـطور. لكن عدم وجود سـلطة سياسية وإدارية وأمنية عامة تعمل لمصلحة الأرض والناس بشكل شمولي، وتجتهد في خدمة جميع شـرائح المجتمع وفق مناهج شرعية وعرفية تبني ولا تهدم، وتحارب الفوضى وشريعة الغاب، وتنشر الأمن والعدل، وتطبق الحدود الشرعية من خلال مؤسسات رسـمية ، وتأخـذ بأيدي البشـر إلى النور والتنويـر، والتآلف والتراحـم ، والتعاون والتكاتف، وتتصدى لكل من يسعى في الأرض بالفساد، وعلى جميع المستويات العامة والخاصـة، الفردية والأسرية والمجتمعية، والرسمية والأهلية. وهذا الذي حصل مع نشـأة وتأسـيس وبناء المملكـة العربية السـعودية ، فلم يدخر الملـك عبدالعزيز بن عبدالرحمـن الفيصـل (يرحمه الله) ورجال حكومته من بذل ما في وسـعهم لبناء مجتمع سـعودي عصري يخدم الدين ووحدة وعزة ومكانة الدولة الحديثة (المملكة العربيـة السـعودية) . وذلـك التاريـخ وتلك المنجـزات عادت بالخـير العميم على جميع طبقات المجتمع اجتماعيًّا واقتصـاديًّا. وإن درسنا الفوائد الثقافية والمعرفية التي اسـتفادت منها هذه القطاعات الحضـارية فسـوف نجد مادة علمية تاريخية

وحضـارية كثـيرة منتشـرة في آلاف المدونات، والتقاريـر، والسـجلات، والوثائق، والمذكرات بل سـنجد الكثير من تاريخ الرواية الشـفهية (الشعرية والنثرية) التي تحتـوي على ثقافات متنوعة في الحياتين الاقتصـادية والاجتماعية خلال النصـف الثاني من القرن الهجري الماضي.

٤- أشـرت في عدد من بحوثي المطبوعة والمنشـورة إلى دور أهل الحجاز في خدمة أهل السروات وتهامة تنمويًّا وحضاريًّا خلال العقود الوسطى من القرن الهجري الماضي (١٣٤٥ــ ١٣٨٥هـ/١٩٢٦ـ ١٩٦٥م) . ومن أهم أعمالهم نشر الثقافة والعلم والمعرفة في مدارس وإدارات الدولة في جنوب المملكة العربية السـعودية . وكان أكثرهم على مسـتوى جيد من الوعي الثقافي، ومنهم مـن كان يجلب من مدن الحجازي الكبرى إلى حواضـر السـروات وتهامة مصادر ومراجع في علوم شـتى، وآخرون يحرصون ويجتهـدون على اقتناء وقـراءة العديد من المجلات والجرائد السـعودية والعربية، وبعضـ المسـؤولين والأعلام الحجازيين يهدون الكتب الشـرعية والعربية إلى بعض الوجهاء والمتعلمين في مناطق جنوب المملكة، مثل الأمراء، والقضاة والأعيان وغيرهم. ويذكر بعضـ الرواة أن بعض الحجازيين في مناطق الطائف، والقنفذة ، وجازان ، وبلاد عسير تهامة وسراة كانوا يعقدون مجالس نقاشات وسمر في منازلهم ويدعون إليها بعض الأفراد والوجهاء، ويناقشـون فيها موضـوعات علمية وأدبية وحضارية متنوعة. ويسـجل الأسـتاذ محمد أحمد أنور لمحات من الحياة الثقافية في سـروات عسـير وبلاد غامد وزهـران من الأربعينيات إلى ثمانينيـات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، ويشـير إلى فضـائل العديد من الحجازيين والنجديين الذين عرفهم وعاصرهم في النماص، وأبها، وخميس مشيط، وبلجرشي، والباحة وما قدموا من أعمال وأنشطة تنويرية وثقافية لأهل البلاد. كما أشار إلى ضعف وضحالة الجانب المعرفي والثقافي في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الهجري الماضـي ثم التدرج والتطور المعرفي منذ بداية التعليم الحديث، وبعد استقدام الكثير من المتعاقدات والمتعاقدين الذين كانوا يصـلون إلى الحجاز ويتزودون ببعض الأمتعة المادية والمعرفية، ثم يسـافرون إلى أماكن عملهم في جنوب المملكة العربية السـعودية، ويبدأون ممارسـة أعمالهم الوظيفية والتنويرية والتنموية في إداراتهم الرسمية ومجتمعاتهم المحلية.

٥- لو درسـنا محاضـن الحياة الثقافية في تهامة والسـراة خلال النصـف الثاني من القـرن الهجـري الماضـي وجدنا أنهـا كانـت في البداية قليلـة، ومع فتـح المدارس النظامية، والمؤسسـات الحكوميـة كالمحاكم وفروعها، والمالية، والدعوة والإرشـاد

وغيرها من الإدارات المدنية والعسكرية أصبحت تنشط وتتزايد الأمكنة والأنشطة المعرفية والتثقيفية ومنها المكتبات العامة والخاصة. وعموم السروات وتهامة عرفت المكتبات الخاصة منذ قرون عديدة، لكنها زادت وتنوعت منذ دخول البلاد تحت حكم المملكة العربية السعودية. وأصبح بعض موظفي الدولة الذين يأتون إلى مناطق جنوب المملكة يجلبون معهم الكثير من الكتب التراثية في علوم الشريعة، والأدب واللغة، والتاريخ وغيرها. وغالباً كانت تطبع في بعض الدول العربية. وذكر لي أحد الرواة في بدايات العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) أسماء العديد من المصادر والمراجع التي كان يرى بعضها عند عدد من القضاة والمعلمين والوجهاء والأعيان وشيوخ القبائل في حواضر منطقتي عسير والباحة خلال العقود الوسطى من القرن الهجري الماضي. وقال أيضاً: « كنا نطلب بعض كتب التراث من مكتبات في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وجميعها كانت تحقق وتطبع في مصر ولبنان». ويؤكد راوية آخر على ما ذكره الراوية السابق، ويذكر أن بعض المعلمين في القرن الماضي أيضا كانوا يكتبون قائمة بأسماء بعض المصادر الإسلامية الشرعية واللغوية والتاريخية وغيرها، ثم يدفعونها إلى الطلاب الذين يرون عندهم رغبة في القراءة والاطلاع، ويحثونهم الحصول عليها من مكتبات تجارية في المدينة المنورة ومكة المكرمة، وللحصول عليها يقول:«كنا نرسل هذه القوائم مع المسافرين إلى مكة المكرمة لشرائها من مكتبة الثقافة، وكان لتلك المكتبة صيت وشهرة وملتقى النخبة من أدباء ومثقفي مكة ». ومنذ السبعينيات ثم الثمانينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) ومطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) زادت المكتبات الخاصة، وظهرت المكتبات التجارية ومن أولها وأشهرها مكتبتا المعارف والمؤيد في الطائف، ومكتبات أخرى في جازان، وعسير، والباحة، وبيشة. وكانت تجلب محتوياتها من الكتب والأدوات الكتابية من مكتبات كبرى في جدة، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، وتلك المكتبات الحجازية تتعامل تجاريًّا ومعرفيًّا مع مطابع ومكتبات عديدة خارج المملكة العربية السعودية.

(*) نجد أوعية العلم والثقافة والمعرفة تتوفر وتنتشر في كل مكان خلال الخمسين عاماً الأخيرة (١٣٩٦ - ١٤٤٧هـ / ١٩٧٦ - ٢٠٢٥ م) . والحديث عن هذا المجال يحتاج إلى مئات الصفحات حتى تظهر لنا صورة واضحة عن هذا الميدان، وهذا أمر لا نستطيع إنجازه في المساحة المحدودة في هذه الورقات، لكنني أشير إلى بنود رئيسية لعلها تكون خطوطاً عريضة يستفيد منها بعض الباحثات والباحثين في مشاريع علمية تفصيلية وجادة، وهي على النحو التالي:

١- إن المكتبات العامة والخاصة، الحكومية والتجارية، الفردية أو الأسرية أو التخصصية وجدت في جميع مدن وحواضر وأرياف السروات وتهامة (من مكة المكرمة والطائف الى عسير وجازان ونجران)، وقد تجولت في ربوع هذه البلاد خلال العقود الثلاثة الأولى من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ـ ٢١م)، ودخلت وشاهدت عشرات المكتبات التجارية الموجودة في العديد من الأحياء والشوارع الرئيسية في المدن التهامية والسروية. كما قرأت وسمعت ورأيت آلاف المكتبات المدرسية، والعامة، والجامعية والخاصة الأهلية في أنحاء جنوب المملكة العربية السعودية، وتتفاوت مقراتها ومرافقها المكانية، ومحتوياتها وموادها وإمكاناتها المعرفية. وكانت جميعها كتب ورقية إلى بداية الثلاثينيات من القرن الحالي، وبعد دخول الإنترنت ظهرت المكتبات الرقمية، وبدأت المكتبات الورقية تتراجع أهميتها وصارت الكتب والمواد الثقافية والمعرفية الإلكترونية تنتشر بشكل واسع، وتؤثر على الكتاب الورقي، ومازال هذا الانتشار يتطور بسرعة كبيرة، وقد نرى في المستقبل انعدام المكتبات والكتاب والأوعية الثقافية الورقية.

٢- إن الجرائد والمجلات التي تصل إلى أرض السراة وتهامة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/ ٢٠م) قليلة جداً ومحدودة في أعدادها. وبعضها تأتي من خارج المملكة العربية السعودية وغالباً من بلاد الشام ومصر. ومنها مجلات وجرائد وطنية مثل مجلة المنهل، ومجلة العرب، وجريدة البلاد، وجريدة المدينة. وكذلك جريدة أم القرى المتخصصة في المراسيم والقرارات الرسمية الحكومية والإعلانات، وجرائد عكاظ، والرياض، والجزيرة وجميعها في المنطقتين الغربية والوسطى. ثم جريدة الوطن في عسير. وتطورت أوعية الصحافة خلال هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ــ٢١م)، وتنوعت الميادين الثقافية الورقية، وظهرت خلال العقدين الأخيرين (١٤٢٥ـ١٤٤٦هـ/ ٢٠٠٤ــ٢٠٢٤م) الكثير من المجلات والصحف الرقمية. وجرى ويجري على الجرائد الورقية ما حصل للكتب الورقية. ونلحظ أن التقنية الحديثة جلبت الكثير من الفوائد والأضرار في شتى المجالات. والجانب الثقافي من أكثر الميادين التي استفادت وتأثرت بالتقنية وعالم الإنترنت.

٣- إن مهمة المدارس، والمعاهد، والكليات، والجامعات خدمة المسيرة العلمية والتعليمية في أي زمان ومكان. والعلم والتعليم أشمل من الثقافة، والمثقف يجب أن يكون متعلماً. وأثناء سيري في بلدان السروات وتهامة خلال الخمسين سنة الماضية (١٣٩٥ــ١٤٤٦هـ/ ١٩٧٥ــ٢٠٢٤م) رأيت المؤسسات التعليمية العامة والعالية، الرسمية والأهلية تؤدي أعمالها ضمن منظومات وخطط تعليمية وتدريبية واضحة،

ويشرف عليها أجهزة حكومية لها لوائح ونظم وقواعد وهياكل إدارية ومالية وتعليمية كثـيرة ومتعـددة. وجميع المؤسسـات التعليميـة العامـة والعالية لها أنشـطة ثقافية وحضـارية متنوعة. فالمدارس العامـة للبنات والبنين تمارس أعمالاً لاصـفية كثيرة ولها صلة بصقل المواهب وتنمية الثقافات. ففي السابق كان هناك مسابقات معرفية عديدة يشترك فيها الطالبات والطلاب مثل المجلات الحائطية، وقراءة بعض الكتب أو المجلات العلمية وعقد مسـابقات علمية وثقافية ويحصـل الطالب أوالطالبة على ثقافات أخرى عديدة من خلال المشـاركات في الطابور الصـباحي، والاشـتراك في بعض الأنشـطة الرياضـية، والاجتماعية، والرحلات الطلابية، وفي فرق الكشـافة. هـذا الذي عاصـرته مـن نهاية القـرن (١٤هـ/٢٠م) إلى عشـرينيات هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ويوجد في كل إدارة تعليم ومدرسـة وحدات أو أقسـام تتابع وتشـرف علـى الأنشـطة الثقافيـة وغيرها. وبعد دخـول الإنترنت والحاسـب الآلي، وتوظيف التقنيـة في مجالات التعليم خلال العقديـن الأخيرين (١٤٢٥ــ ١٤٤٦هـ/٢٠٠٤ــ ٢٠٢٤م) توسـعت قاعدة العلوم والثقافة التي عرفها وشـاهدها الطالبات والطلاب ويتعلمون من خلالها الكثـير من أنواع وألوان المعرفة والثقافة والتنوير والإبداع. أما التعليم العالـي والجامعي فذلك مجال واسـع، وله جهود عظيمة في مجالات عديدة، ومنها الحياة الثقافية. ففي العقود الخمسـة الأخيرة الماضـية رأيت مئات الأقسـام الأكاديمية، والكليات الأدبية والعلمية. والجامعات التهامية والسروية أسست ودعمت وطـورت الكثير من الإدارات، والعمادات المسـاندة، والكليـات التي تقوم على خدمة الطلاب وعضـوات وأعضـاء هيئة التدريس اجتماعيًّا، وثقافيًّا، ومعرفيًّا، ورياضيًّا. ومن ينظر إلى تقارير مؤسسات التعليم الجامعي في جنوب المملكة العربية السعودية مـن مطلع هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلى الآن (١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م) فسـوف يجد مليـارات الريالات التي صـرفت على الأنشـطة الثقافية داخل الكليـات والجامعات وخارجها. وسـيطلع على مـادة علمية كبيرة تعكـس الأعمال والبرامـج والتدريبات والمنجزات المعرفية والثقافية التي نُفذت خلال هذا القرن ١٥هـ / ٢٠ - ٢١ م).

٤- رأيت آثار التعليم الرسمي العام والجامعي على حياة الناس (سراة وتهامة) ثقافيًّا ومعرفيًّـا وتنويريًّا. فمن خلال مدارس وكليات الجنوب السـعودي تخرج الكثير من الخريجـين (ذكوراً وإناثاً)، والتحقوا بإدارات وهيئات ومؤسسـات الدولة المختلفة. ومنهم من عمل في مجالات مباشرة أو غير مباشرة لها صلة بالحياة الثقافية، وبعضها في القطاعات العسـكرية، والأكثر في المؤسسات المدنية المختلفة. وأصبح لأولئك جهود

وبصمات واضحة وجلية من خلال إسهاماتهم المعرفية المتنوعة. ومن يزور أي جامعة، أو وزارة، أو هيئة، أو إدارة عامة في المملكة العربية السعودية فسوف يرى الكثير من بنات وأبناء الجنوب السعودي المشاركين في خدمة ورفعة وطنهم، ومنهم نسبة كبيرة لهم نتاج معرفي وآثار علمية ثقافية في إداراتهم ومجتمعاتهم الرسمية والشعبية.

(*) إذا درسنا جهود خريجي التعليم العام والعالي في خدمة أهلهم وبلادهم (تهامة والسراة) علميًا وثقافيًا من تسعينيات القرن الماضي إلى الآن (١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م) فإننا نجد الكثير جدا من الآثار النافعة والإيجابية، ومنها:

١- نشر الوعي الثقافي بين أهلهم ومجتمعاتهم الخاصة والعامة، وصار التعليم والتنوير شيئاً أساسيًّا للأبناء والبنات. وذلك ناتج من حرص الدولة على نشر التعليم ومحاربة الأمية، ثم تخريج كوادر بشرية كثيرة تخدم نفسها أولاً، وتؤثر على من حولها من الأقارب والأصدقاء وأبناء وبنات ونساء ورجال القرى والمدن والأرياف في أنحاء البلاد.

٢- صار هناك الكثير من مخرجات التعليم الذين انخرطوا في الوظائف الحكومية المتنوعة. ومنهم نسب كبيرة عملوا في أعمال معرفية ودعوية وتعليمية وثقافية، وكرسوا حياتهم في خدمة بلادهم من خلال وظائفهم وتخصصاتهم الجامعية.. وشاهدت خلال هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ـــ٢١م) مئات الأفراد الذين ساهموا في أعمال صحفية كثيرة ومعظمها محلية، ومنهم من امتدت آثارهم إلى المشاركة في أوعية صحفية إقليمية وعالمية. والباحث اليوم في عالم الصحافة الداخلية والخارجية يجد بعض التهاميين والسرويين (ذكوراً وإناثاً) لهم مشاركات معرفية وثقافية وصحفية ورقية ورقمية متعددة في موضوعاتها ومجالاتها وعناوينها.

٣- عاصرت كليات وجامعات السروات وتهامة خلال القرن الحالي وحصرت مئات الأساتذة والباحثين (سعوديين وغير سعوديين) أنجزوا بحوثاً كثيرة أدبية وعلمية في مجالات وعناوين وموضوعات متنوعة لها صلة بأرض وسكان السروات وتهامة. وبعض هذه الأعمال توثق جزئيات كثيرة من تاريخ وتراث وحضارة وثقافة المجتمعات المحلية. وسمعت وشاهدت أعلاماً كثيرين شاركوا في ندوات ومؤتمرات، وقدموا أوراقاً ومحاضرات علمية وثقافية كثيرة. ويوجد في أنحاء البلاد بعض المحاضن الثقافية الحديثة والمعاصرة المحلية، مثل: (أ) الأندية الأدبية والرياضية. (ب) جمعيات الثقافة والفنون. (ج) جمعيات اجتماعية وخيرية ومجتمعية متعددة الأهداف والاهتمامات لخدمة الناس. (د) ديوانيات أو لقاءات أو تجمعات ثقافية

عامة وخاصة. (هـ) دورات ولقاءات تدريبية وتعليمية وصحية وتقنية وسياحية وغيرها. (و) خلال السنوات القليلة الأخيرة تم افتتاح العديد من المقاهي أو بيوت الأدب والمعرفة الثقافية في بعض حواضر ومدن تهامة والسروات . وجميع هذه القطاعات المعرفية مليئة بالمشاركات المعرفية، والعلمية، والثقافية. وقد بحثت في فهارس المكتبات الورقية والرقمية لعلي أجد بحوثاً ونتاجاً معرفيًّا موثقاً عنها، لكنني لم أعثر على شيء من ذلك. وأقول إن دراسة كل محور أو مجال يستحق أن تكتب مسيرته وآثاره التاريخية والحضارية خلال العصرين الحديث والمعاصر.

٤- إذا سعينا إلى معرفة دور أعلام وأقسام العلوم الشرعية، والأدبية، واللغوية، والتاريخية، والجغرافية، والتربوية، والعلمية البحتة (أحياء، وكيمياء، وفيزياء، ورياضيات، وطب، وصيدلة، وهندسة، وحاسب آلي، ومحاسبة، وإدارة ، وتمريض، وتقنية، وغيرها) ، وما قدمته لأهل السروات وتهامة من تسعينيات القرن الماضي إلى الآن(١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م) ، فإننا سنجد جهوداً وآثاراً كبيرة جداً توثق في عشرات الكتب ومئات الدراسات. وإن توقفنا مع كل قسم أكاديمي، ودرسنا جهوده، وأساتذته، ومخرجاته البشرية والعلمية والحضارية، وآثار ذلك على حياة الناس معرفيًّا وثقافيًّا، فسنجد نتائج إيجابية كثيرة امتدت آثارها إلى قطاعات حكومية وأهلية، وشرائح بشرية متعددة في أنحاء المملكة العربية السعودية. ومناطق السروات وتهامة فازت بالنصيب الأوفر من هذه المعاقل العلمية وخريجيها من النساء والرجال.

٥- إن الحديث عن التقنية والحياة الإلكترونية يحتاج آلاف الصفحات. وإذا كان الراديو، واللاسلكي، والمبرقات، والهاتف، والراي (التلفاز) ، والطابعة التقليدية، وغيرها من الأدوات والآلات الميكانيكية والكهربائية والفنية قد وصلت إلى مدن ومناطق عديدة في تهامة والسراة من خمسينيات القرن (١٤هـ /٢٠م) ، ثم زادت وتعددت وتنوعت خلال النصف الثاني من القرن الماضي (١٣٥٠ــ ١٤٠٠هـ/ ١٩٣١ــ١٩٨٠م) ، والعقدين الأولين من هذا القرن (١٤٠١ــ١٤٢٠هـ/١٩٨١ــ١٩٩٩م) ، واكتسب الناس من خلالها ثقافات ومعارف ومعلومات وتجارب وخبرات كثيرة أفادتهم في حياتهم العامة والخاصة.

(*) وأثناء العشرين سنة الأخيرة (١٤٢٥ــ١٤٤٦هـ/٢٠٠٤ــ٢٠٢٤م)، وصلت خدمات الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) بشكل عملي إلى أرض تهامة والسراة، ثم تطورت في أجهزتها وتقنياتها وتوظيفها بشكل منقطع النظير. والكتابة عن تاريخ بداياتها ثم توسع أثرها ونطاق استخدامها يحتاج إلى مئات الصفحات، وهذا العمل

خارج خطة هذه المقال، فقط سوف أشير باختصار إلى الشبكة الرقمية وصلتها بالحياة الثقافية، وأذكر ذلك في عدة بنود على النحو الآتي:

١- الأجهزة التقنية، ووسائل التواصل المستخدمة رقميًّا بدأت عند السرويين والتهاميين قليلة في عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) ثم زادت وتكاثرت خلال العقدين الأخيرين (١٤٢٥ - ١٤٤٦هـ/ ٢٠٠٤ - ٢٠٢٤م) حتى أصبح معظم أفراد المجتمع صغاراً وكباراً، ذكوراً وإناثاً، فقراء وأغنياء، سعوديين وغير سعوديين يستخدمون الكثير من وسائل التواصل المنتشرة في أرجاء الكرة الأرضية. وصاروا يشاهدون ويسمعون ويشاركون، ويؤثرون ويتأثرون بالكثير من الثقافات المادية والمعنوية المحلية، والإقليمية، والعالمية.

٢- لم تعد الحياة السكانية معرفيًّا وثقافيًّا وحضاريًّا محصورة في إطار زمني ومكاني محددين، كما كانت مع وسائل التواصل الثقافية والاجتماعية والحضارية القديمة حتى بدايات هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، بل صار الفضاء مفتوحاً بين قارات العالم، ودخلت التقنيات الرقمية بشكل كبير في جميع مفاصل الحياة الخاصة والعامة، وأصبح الفرد (ذكر وأنثى) يستطيع أن يرى ويطلع على أي ثقافة مادية ومعنوية في أي مكان من العالم. وتولد عن ذلك الكثير من الفوائد التي استخدمها الإنسان في أمور كثيرة من حياته، لكنه أيضاً نتج عنها أضرار وسلبيات كثيرة جداً في حياة البشرية، ومنها: الدينية والأخلاقية، والاجتماعية، والصحية والنفسية والفكرية، والمبادئ والقيم والأعراف والتقاليد وغيرها.

٣- اجتهدت في القراءة، والسماع، والمشاهدة والسؤال عن دور وسائل التواصل الاجتماعي عند السرويين والتهاميين خلال العشرين سنة الأخيرة. ورأيتها منتشرة عند الناس انتشار النار في الهشيم، وشاهدت جميع البشر بجميع شرائحهم لا ينفكون ولا يستغنون عن استخدام أجهزة وسائل التواصل الرقمية المختلفة، وأكثرها استخداماً أجهزة الجوالات (النقالات) التي من خلالها يستطيع الفرد (ذكراً أو أنثى) أن يرى ويشاهد ويسمع أو يقرأ أي شيء يطلبه أو يبحث عنه رقميًّا سواء كان كتابة، أو صوتاً، أو بالصورة أو أي طريقة يسعى من خلالها الوصول إلى هدفه وما يريد معرفته. وكل هذه المعلومات والمعارف جزء من الحياة الثقافية بصرف النظر عن نوعها، ولغاتها، وخلفياتها التاريخية والحضارية ، ومكانها، وآثارها.

٤- أصبح نقل أي فكر أو معلومة أو ثقافة سهل جداً، وصار الناس يستخدمون الإنترنت ويوظفون وسائل التواصل الاجتماعي في كثير من أمور حياتهم اليومية والأسبوعية

والشـهرية والسـنوية. وأي فرد أو جماعة أو شـرائح بشـرية متنوعة يقدرون الاجتماع في رابـط أو أيقونة معلوماتية ويتواصـلون فيما بينهم، ويتبادلـون ويتناقلون الكثير من المعارف والأخبار المحلية والإقليمية والعالمية. وقضـيت حوالي أربعة شـهور أتابع وأطلع على عشـرات المواقع والمجموعات الرقمية عند شـرائح وطبقات ومجموعات عديدة في مناطق الطائف، والباحة، وأبها، وخميس مشـيط، وبيشـة، ومحايل عسير، والقنفذة، والدرب، وصـبيا، وجـازان، وأبو عريش، ونجران، ووجدت الكـم والزخم الهائل الذي يرسـله ويتناقله الناس من هذه المجموعات الفضـائية. ولاحظت فيها الكثير من الغث والسـمين، والحسـن والسـيء، والجيد والرديء، والمفيد وغير المفيـد، واجتمع الناس في عـالم كبير ومتشـعب من الثقافـات ذات الأهداف، والمؤثرات، والنتائج، والانتشـار اللامحدود. بل إن الكثير من البشـر يقضي الساعات الطويلة يومياً يرى ويسمع ويتأثر بهـذه المعارف المتفاوتة في كمها وكيفها، وفي أثرها وتأثيرها. ومن يطلق العنان لنفسـه ويطلـع على روابـط ومواقع رقمية على شـبكة الإنترنت فإنه يدخـل في عالم من التيه والضياع، ويصاب البعض بالذهول وعدم الاتزان في الحياة. وكذلك ضياع الوقت وربما القيـم والمبادئ والدين والأخلاق التي نادى بها الإسـلام، ونصـ عليها القرآن الكريم والسـنة النبوية، وما وثقـه علماء المسـلمين وفقهائهم وأهل الحكمة والرأي السـديد. وربمـا يتهمني بعض القـراء، أو الأفراد، أو الجماعات بالمبالغـة في توثيقاتي، ويقولون أن هناك الكثير من الإيجابيات التي تعود على الناس بالخير من خلال اسـتخداماتهم المتعددة لوسـائل التواصـل والإنترنت. وأقول: إن كلام من يدعي هذا القول صـحيح، ومن يسـخر وسـائل التواصـل لكل معرفة أو معلومـة أو ثقافة أو قيمـة أو مبدأ إيجابي فسـوف يجد بغيته ومراده. لكن الكثير من الناس وبخاصـة أجيال الشباب من الذكور والإناث قد لا يسعون إلى البحث عن كل عمل إيجابي يبني ولا يهدم، وربما سخروا هذه التقنيـة والوسـيلة في معرفة وثقافة تهـدم المروءات والقيم والديـن والأدب والأخلاق. ومن المؤسـف أن الذي صـمم ووضع هذه الوسـائل التقنية لهم تاريخ عدائي طويل في محاربة الإسلام والمسلمين. واجتهدوا في غزوهم بالأفكار السامة والهدامة لحضارتهم ودينهم وقيمهم. ومازالوا حتى اليوم يسعون إلى محاربة المسلمين من خلال هذه الطرق والأدوات التقنية الرقمية المتنوعة. وصل الله وسلم على رسول الله[1].

---

(١) من يبحث ويدرس الغزو الفكري من أعداء الإسلام إلى بلاد الإسـلام والمسـلمين منذ فجر الإسلام إلى الآن (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م) فإنه سيجد تاريخا كبيرا وطويلا في هذا الباب . ونجد أن للإنترنت (الشبكة العنكبوتية) دورا واسـعا من حيث الاسـتخدام والتوظيف في محاربة المسـلمين معرفيا وثقافيا ودينيا، وما نشـاهده ونطلع عليه ليس إلا سلسلة من تاريخ الغزو الفكري بين سكان الكرة الأرضية، وفي مقدمتهم أهل الإسلام.

٩ التاريخ الإعلامي في جنوب المملكة العربية السعودية (تهامة وسراة) في العصر الحديث[١]

بقلم. أ . د . غيثان بن علي بن جريس

الإعــلام: أي الأخبــار ونقــل الأنبــاء أو المعلومة بين أفــراد أو جماعات أو شــعوب أو دول وغيرهــا. وعــرف الإعلام بــين الناس منذ عصــور ما قبــل التاريخ وخلال العصــور القديمة المتعاقبة والمختلفة. وعند سكان شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام الكثير من الطرق والوسائل الإعلامية، ولا تخلو أي ناحية من نشاطات إخبارية وتناقل الأحداث والمعلومات بجميع أنواعها.

ظهر الإســلام، ونزل القرآن الكريم ، وجاءت ســنة الرسول (ﷺ) وسيرته (عليه أفضــل الصلاة والســلام) ثم انتشار الإسلام داخل شــبه الجزيرة العربية وخارجها، وذلــك أوجــد حــراكاً علميًّا ومعرفيًّــا وإعلاميًّا. وتشــكلت حياة العرب والمســلمين ومن خالطهم من أصــحاب الديانات الأخرى. والباحث الفاحصــ المتأمل للتاريخ الإعلامي عند المســلمين خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) فسوف يجد كماً هائلاً من المادة العلمية التي لها صــلة مباشــرة وغير مباشــرة بالإعلام. وســيطلع ويعرف ميادين عديدة في الحياة الإعلاميــة من حيــث النوعية، والزمان، والمــكان، والفئات البشــرية، والظروف المادية والمعنويــة. ولا يمكــن حصــر تاريخ الإعــلام في ناحية أو قطاع محدد، بــل هناك إعلام جغرافي، وسياســي وعســكري، واجتماعي واقتصــادي، وتعليمي وعلمي وفكري وثقافي، وإعلام صــحي وصــناعي وســياحي وغيرها من المجالات الرســمية والأهلية، والخاصة والعامة، والفردية والمجتمعية، والنسائية والرجالية.

إن أرضــ الســروات وتهامــة (الليث والقنفــذة والطائــف، وديار غامــد وزهران، وســروات وتهائم عسير، وبلاد جازان ونجران) جزء من العالم بجميع أطيافه وتاريخه وحضارته. وإذا اجتهدنا في معرفة شيء من الحياة الإعلامية عند التهاميين والسرويين قبل الإســلام فسوف نجد شــذرات في بعض كتب التراث العربي والإسلامي، والنقوش والمصادر والرسومات الصخرية ، وفي الآثار المادية والمعنوية.

بعد دخول جنوب شبه الجزيرة العربية في حوزة الإسلام، وأصبحت السروات وتهامة جزء من العالم الإسلامي منذ عهد الرسول ﷺ إلى عصرنا الحديث عندئذ صار لها

(١) مقالة منشورة في صحيفة النماص اليوم الرقمية بتاريخ (٢٦ /أكتوبر/٢٠٢٥م).

أثرٌ وذكرٌ تاريخي، وإعلامي، وذكرت بعض المصـادر العربية والإسـلامية جزئيات من الحياة الإعلامية العامة والخاصـة، وبعض تلك المادة العلمية تعكس شـيئاً من الإعلام السياسي والحضـاري، والمادي والمعنوي خلال القرون الإسلامية المبكرة الوسيطة. أما العصـر الحديث فالكثير من المصـادر والمخطوطات والوثائق مليئـة بمعلومات متفرقة ومتنوعة عن حياة الأرض والناس الإعلامية الداخلية والخارجية.

(*) إن السـرويين والتهاميين عاشـوا ومارسـوا وعرفوا أنواعاً عديدة من الأنشطة الإخبارية والإعلامية خلال القرن الهجري الماضي وهذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ ٢١م). ولن أفصل الحديث في هذا المحور، لأنه واسع ومتشعب بين العام والخاص، الفردي والجماعي، الرسمي وغير الرسمي، الداخلي والخارجي، فقط أذكر بعض الإشارات الرئيسية المتصلة بالتاريخ الإعلامي في هذه الديار التهامية والسروية على النحو الآتي:

١. الدارس لتاريخ وحضـارة الناس خلال الأربعين عاماً الأولى من القرن الرابع عشـر الهجري (١٣٠٠ــ١٣٤٠هـ/١٨٨٣ــ١٩٢١م) يجد أن القبائل المحلية بجميع فئاتها وعناصـرها يحكمـون قراهم وبواديهـم وأريافهـم، ولهم أخبار حربية وعسـكرية واجتماعية واقتصـادية، ويعيشـون أحـداث زمانهم وإعلاناتهم وإعلامهم حسـب ظـروف وإمكانات كل نشـاط. والكثير من الوثائق، والروايات الشـفهية تشـير إلى مـادة علمية جيدة عن اسـتعداداتهم وتخابرهم في سـلمهم وصـراعاتهم القبلية، وهزائمهـم وانتصـاراتهم، ولهم وسـائل وطرق متعـددة لتناقل الأخبـار، وإعلان نفيرهم أثناء حروبهم، أو عقد اتفاقياتهم. وبعض الوثائق العثمانية والعربية تذكر أخبار وأحداث الحروب بين السـرويين والتهاميين وبين الجيوش العثمانية، أو بعض القوى السياسية والعسـكرية التي جاءت من خارج بلادهم لحربهم والاعتداء على أملاكهم وأرواحهم.

٢. جمعت واطلعت على مجموعة سـجلات ووثائق عثمانية، ووثائق عربية محلية تشير إلى نشـر أخبار مكتوبة أو مروية عن الناس في بعض الحروب والأنشـطة العسكرية التي شـهدتها البلاد خلال النصف الأول من القرن الماضي (ق١٤هـ/٢٠م). ومثل هذه المصادر جديرة أن تُدرس في عدد من الدراسات العلمية الأكاديمية.

٣. في الحياة الاجتماعية والاقتصـادية والثقافية والتعليمية الكثير من الأنشـطة التي تحتـاج إلى دعاية وإعـلان، أو أخبار وإعـلام. والكثير من المناسـبات الاجتماعية

التي يمارسـها النـاس يتخللها مناشـط إعلامية عديدة بين جميع شـرائح المجتمع. كذلك الحياة الاقتصادية وما عاصرها من سلبيات وإيجابيات تُعد جزءاً من أخبار السـكان وأنشـطتهم الحضـارية المتنوعة. أما الحياة العلميـة والتعليمية والثقافية والفكرية فهي الميدان الخصب للتاريخ الإخباري والإعلامي.

(*) دخلت ديار تهامة والسـراة تحت حكم الدولة السعودية الحديثة، وحدث لهـا تطـور تنمـوي تدريجي خلال النصـف الثاني مـن القرن (١٤هـ/ ٢٠م). وكانت الحيـاة الإخباريـة الإعلانيـة والإعلاميـة أحد المجالات الحضـارية التـي عرفتها وشهدتها البلاد. وفي مقتطفات قليلة تالية أرصد شيئاً من ذلك التاريخ .

١- اسـتمر النـاس يعيشون حياتهم التاريخية الحضارية التي عرفوها ومارسوها خلال النصـف الأول من القرن الهجري الماضـي، إلا أن الدولة الحديثة (المملكة العربية السـعودية) مدت نفوذهـا إلى بلادهم مع توفير الكثير مـن الأعمال والرؤى لجمع شـتات البشـر على طريق واضـح يقود إلى الوحدة العامة، وحمايـة البلاد والعباد والأعراض، وتبديـل حياة السـكان من التمزق والفوضـى والقتـال إلى مجتمعات مترابطة متكاتفة متحابة متعاونة في بناء وطن كبير شامل عام يحتوي جميع شرائح المجتمع، والسير بهم إلى بر التقدم والنمو والازدهار.

٢- قـرأت آلاف التعاميـم والمنشـورات، والخطابـات، والأوراق، والوثائـق الرسـمية والشعبية التي أرسلت إلى سكان السروات وتهامة. وكثير منها من الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصـل، والملوك سعود، وفيصـل، وخالد. أو من أمراء، ووزراء ، وعلماء، وقضـاة، ورجال دولة عسـكريين ومدنيين، أو من بعض المسؤولين والأعيان والشـيوخ والأعـلام والمتعلمين في تهامة والسـراة. وجميع هذه المصـادر التاريخية الأساسية تشتمل على معلومات تاريخية متنوعة. ومن بينها مواد جيدة تعكس صوراً من الحياة الإعلانية والإخبارية والإعلامية التي تؤكد على البناء والتطوير ووجوب استقامة أحوال البشر في جميع أمورهم العامة والخاصة، الفردية والجماعية.

٣- لو بحثنا في حياة الناس الشـعبية العامة، فسـوف نجد مـادة متناثرة تعكس تناقل الأخبار والقصـص والأحداث بين أفراد الأسـرة، أو الأسـر، أو القـرى، أو المدن، أو البـوادي والأريـاف، أو العشـائر والقبائل. وهذا التاريخ جزء من حياة السـكان الإعلامية. وقرأت وشـاهدت وسمعت الكثير من هذا الحراك الاجتماعي الإخباري خـلال العقود الأخـيرة من القـرن الهجري الماضـي. والمـادة التخابريـة المتناقلة

والمتداولة بين أطياف المجتمع تشتمل على معلومات متناثرة وكثيرة في جميع جوانب الحياة البشرية، وتعكس جزئيات جيدة من تاريخ عامة الناس.

٤- من يدرس تاريخ كل مؤسسة إدارية حكومية أنشئت في السروات وتهامة (١٣٤٥ـ١٤٠٠هـ/١٩٢٦ـ١٩٨٠م) فسيجد ضمن أوراقها وأراشيفها وتاريخها مصادر كثيرة تشتمل على تعاميم وتوجيهات وقرارات ووثائق رسمية وشعبية إخبارية وإعلانية وإعلامية. واطلعت على مئات المصادر الوثائقية ذات الصلة بمراكز الإمارات، والإدارات المالية، والتعليمية، والإرشادية والدعوية، والأمنية خلال ثلاثة عقود (١٣٦٠ـ١٣٩٠هـ/١٩٤٠ـ١٩٧٠م) فوجدت فيها تفصيلات إخبارية وإعلامية جيدة، ومن أراد معرفة التاريخ الإعلامي في هذه الديار الجنوبية السعودية أثناء تلك الفترة فعليه أن يطلع على هذه المصادر وسوف يجد فيها مادة موثوقة جيدة لخدمة مثل هذا المشروع العلمي .

٥- إذا بحثنا عن تاريخ الإعلام الرسمي في السروات وتهامة، وجدنا أن بلاد الحجاز رائدة في هذا المجال. فأهل الحجاز عرفوا ومارسوا وشاهدوا حراكاً صحفياً وإعلامياً خلال النصف الأول من القرن الماضي. وهناك العديد من الكتب والدراسات المنشورة وغير المنشورة التي أشارت إلى تاريخ الصحافة وبعض الوسائل الإعلامية التي كانت في مكة المكرمة وغيرها أثناء نفوذ العثمانيين والأمراء الأشراف في الحجاز خلال النصف الثاني من القرن (١٣هـ/١٩م) ، والعقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومن المؤكد أن أهل تهامة والسراة على اتصال دائم بأرض الحجاز، وبعض السرويين والتهاميين اطلعوا وعرفوا شيئاً من ذلك التاريخ الحضاري الإعلامي.

(*) انطلق الإعلام السعودي الحديث من الحجاز، وكان في البداية مرتبطاً إدارياً بمديرية المالية، ثم نقل ارتباطه إلى الديوان الملكي في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود . ثم أنشئت المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر، وجرى على الإعلام بعض التطويرات خلال الثمانينيات والتسعينيات. والحديث عن تاريخ الإعلام خلال القرن الهجري الماضي مذكور في العديد من الدراسات العلمية، لكنني أشير إلى عناصر محدودة عن بعض المجالات الإعلامية، مثل الصحافة، والكتاب، والإذاعة، والرائي (التلفاز) خلال القرن (١٤هـ/٢٠م).

١- جريدة أم القرى أول صحيفة رسمية تصدر في عهد الملك عبدالعزيز، وكان صدورها في أربعينيات القرن الهجري الماضي، وتعد بديلاً عن صحيفة القبلة.

ومن الخمسينيات إلى التسعينيات أنشئت صحف فردية، ثم مؤسسات صحفية. والحجاز أول المناطق التي حظيت بالعديد من الصحف والمجلات الفردية ثم المؤسساتية، تلتها نجد، ثم المنطقة الشرقية. كما صدر العديد من المواد الصحفية التابعة لمؤسسات إدارية رسمية ووزارات حكومية.

٢- الكتاب الوعاء الأساسي لطلب العلم والمعرفة، وعرفت الجزيرة العربية الكتاب منذ عصور قديمة، لكنها مخطوطة بخط اليد، ثم ظهرت الطباعة والمطابع في العصر الحديث، لكنها لم تصل إلى الجزيرة العربية إلا في عهد متأخر. وبعض المصادر تشير إلى ظهور مطابع محدودة في إمكاناتها بحواضر الحجاز الكبرى خلال النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م) . وكانت الكتب المطبوعة تجلب من خارج البلاد وبخاصة من مصر. والحرمان الشريفان بمكة المكرمة والمدينة المنورة مكاناً نشطاً لحركة التدوين والتأليف، ومن يبحث في قوائم المكتبات الداخلية والخارجية الورقية والرقمية فسيجد قائمة طويلة بأسماء الكتب والدراسات التي أنتجها علماء عرب ومسلمون في بلاد الحرمين خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين. ولم تكن خدمة الكتاب ودعم وتشجيع المطابع في شبه الجزيرة العربية خلال النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م) جيدة، لكن بعد دخول الحجاز تحت حكم الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل وبدايات ثم تطور التعليم والتنمية الإدارية والصحفية الحديثة، وتأسيس ثم تطوير المديريات ثم الوزارات الحكومية حدث نمو وتقدم جيد لحركة الكتاب وتأسيس ثم تزايد المطابع ودور النشر.

٣- الإذاعة من وسائل الإعلام المهمة، وأنشئت في بعض الدول العربية والإسلامية منذ وقت مبكر. وفي أوائل الخمسينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) حرص الإمام عبدالعزيز الفيصل على توفير وسيلة إذاعية يعرف من خلالها أحوال بلاده جغرافيًّا وبشريًّا. ويعد الراديو منبراً يستطيع الإنسان من خلالها تلقي الأخبار المتنوعة. وبدأت الإذاعة في الحجاز بشكل عملي ورسمي في الستينيات، ثم توسعت وتطورت خلال السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات حتى شملت أرجاء المملكة، وتعددت أنواعها وبرامجها وتطورت حتى وصلت إلى بلدان عديدة في العالم العربي والإسلامي والأجنبي.

٤- التلفزيون أحد وسائل الأخبار (الإعلام) الرئيسية في البلاد. وكان أول بث تلفزيوني غير رسمي في المملكة وعلى مستوى الشرق الأوسط في عام (١٩٥٥/١٣٧٥م) بواسطة محطة تلفزيون البعثة الأمريكية في الظهران باللغة الإنجليزية وفي محيط بلدة الظهران فقط. أما الافتتاح الرسمي فكان في بدايات عام (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م) ومن

محطتي جدة والرياض. وتوسعت خدمات التلفزيون الأسود والأبيض إلى مناطق عديدة في المملكة، ومنها بلاد الباحة وعسير خلال العقد الثامن من القرن (١٤هـ/٢٠م). وفي منتصف التسعينيات بدأ بث التلفزيون الملون وقناة واحدة باللغة العربية. وفي عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) بدأ بث القناة الثانية باللغة الإنجليزية، ثم تطورت الخدمات التلفزيونية في الإعداد والانتشار، والبرامج، والإمكانات، والتقنيات الحديثة والمعاصرة.

(*) في بضع صفحات تالية أدون لمحات من تاريخ الحياة الإعلامية في تهامة والسراة، والمادة المدونة مستقاة من القراءة والمعاصرة والمشاهدة وهي على النحو الآتي:

١- إن الفترة الزمنية المقصودة في هذه الفقرات (١٣٩٥-١٤٤٧هـ/١٩٧٥-٢٠٢٥م)، حقبة نمو وتطور وازدهار في شتى مناحي الحياة. وصارت جميع المدن والقرى والمناطق مخدومة بكل الوسائل الإعلامية الرسمية. فكل الجرائد والمجلات الورقية الموجودة في المدن الكبرى في المملكة أصبحت متوفرة عند التهاميين والسرويين، فتجدها في مكاتبهم، ومدارسهم، ومنازلهم، وكلياتهم، وجامعاتهم، ومعاهدهم، والمكتبات الحكومية والتجارية. واستمرت على هذا الوضع يطلع عليها ويستفيد منها كل من رغب وأراد الحصول عليها. ثم جاءت التقنية الحديثة وخدمات الإنترنت، فبدأت الصحف الورقية تتراجع بشكل كبير ودخلت الصحافة الرقمية بقوة إلى حياة الناس. وشاهدت العديد من الوسائل الصحفية الرقمية التي مارسها الناس في العشرينيات ثم تبدلت وتطورت وتنوعت حتى صار هناك الكثير من الصحف الرسمية والأهلية، العربية والأجنبية. بل سمعت وقرأت عن أنظمة صحفية تقنية حديثة عند الكثير من الإدارات والمؤسسات في القطاعين الحكومي والخاص وأصبح الإنسان يستطيع أن يطلع على أي وسيلة صحفية في العالم، ومن أراد جلبها رقميًّا أو سحبها من مواقعها ورقيًّا فذلك سهل وميسور. وكانت المدن الكبيرة في المملكة العربية السعودية هي المقر الرئيسي للجرائد والمجلات السعودية الحكومية والأهلية، ولا يوجد في بلدان السروات وتهامة إلا مجلات قليلة ومحدودة الانتشار. وفي نهاية العقد الثاني من القرن الحالي أنشئت مؤسسة عسير للصحافة والنشر، وأصبحت جريدة الوطن تصدر من مركز الصحيفة الرئيسي بمدينة أبها. واستمرت متفوقة وتتصدر الصحف السعودية لتنوع موضوعاتها، وما يطرح فيها من معارف ومواد ثقافية وإعلامية وصحفية. ومازالت هذه الصحيفة تصدر حتى الآن(١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) رقميًّا، وأعداد قليلة ورقيًّا. كما عاصرت مسيرة التعليم العام والعالي في عموم السروات وتهامة، وشاهدت الكثير من المجلات والصحف

المدرسية الورقية ثم الرقمية. ورأيت العديد من المعاهد ، والثانويات، والكليات الأدبية والعلمية والفنية ثم الجامعات المحلية التي تعد وتصدر منشورات أو مدونات أو مجلات أو صحف ثقافية وعلمية. وبعض تلك الأعمال على مستوى جيد من الناحية المعرفية، بالإضافة إلى جودة الإنتاج والإخراج، ثم النشر والتوزيع. وكانت جميع هذه الأوعية ورقية حتى ثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م)، ثم بدأت المؤسسات العلمية والتعليمية والثقافية تكتفي بإصدار أعمال علمية وصحفية رقمية.

٢- إن الكتاب الوعاء الأول الذي استفاد منه التهاميون والسرويون في العصر الحديث، وإذا درسنا تصنيف الكتاب (المخطوط، أو المطبوع) ثم وصوله وانتشاره بين الناس فذلك موضوع كبير يوثق في كتب ودراسات عديدة. ووجود الكتاب عند أهل البلاد يعود إلى قرون قديمة . لكن خلال العصر السعودي الحديث (١٣٤٠ـ ١٤٤٧ هـ /١٩٢١ـ ٢٠٢٥م م) تطور وضع الكتاب الخاص والعام، الحكومي والتجاري، وتعددت أنواعه ومجالاته. والكتب الدينية والأدبية واللغوية والتاريخية الأكثر تداولاً بين الناس خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي، وأكثرها تطبع وتنشر خارج البلاد، ثم تجلب رسمياً أو تجارياً وتوزع في المكتبات الحكومية أو التجارية. وأصحاب المكتبات الخاصة أكثر من يحرص على اقتناء الكتب (مصادر أو مراجع). وبعد انتشار وتطور التعليم العام والعالي، وكثرة أعداد المتعلمين في التعليم الجامعي، وتأسيس ثم تكاثر المطابع السعودية المحلية، عندئذ زادت أعداد الكتب وأنواعها وموضوعاتها باللغة العربية ولغات أخرى أجنبية، وأصبحت متوفرة بكثرة في مكتبات المدارس والجامعات والمؤسسات الحكومية والأهلية المتنوعة. قضيت عقوداً عديدة أزور المكتبات الجامعية ، والعامة، والتجارية، والخاصة في أرجاء الوطن (المملكة العربية السعودية). وحضرت معارض كتب عديدة في الرياض، وجدة، والمدينة المنورة، وبعض مدن السروات وتهامة (١٤٠٥ - ١٤٤٦هـ/١٩٨٥- ٢٠٢٤م)، وشاهدت دورة الكتاب ووجوده بين شرائح المجتمع، وكانت ومازالت ثماره وآثاره الإيجابية واضحة للعيان على المستوى العلمي، والإعلامي، والتربوي، والثقافي، والتنويري، والسلوكي وغيرها. ورأيت وعاصرت جهوداً كبيرة للدولة في توفير الكتاب للناس، ومن يطّلع على الكتب المدرسية، فهناك أموال كبيرة وأعمال جليلة وخطط رسمية تقوم على إعداد الكتاب المدرسي، ثم توزيعه على طلاب مراحل التعليم العام بالمجان. وحظي التعليم الجامعي برعاية الحكومة الكريمة في شتى المجالات، وتوفير الكتاب الجامعي للطالبات والطلاب بأسعار مخفضة،

وتعقـد مسـابقات وجوائز عديدة يحصـل المتسـابقون مـن خلالها علـى مكافآت متنوعـة ومنها كتب علميـة ومعرفية وثقافية وجامعية. ومن يـزور مكتبات الكليات والجامعات، وبعض المؤسسـات الحكومية الأخرى فسيجد كميات كثيرة وكبيرة من الكتـب المتنوعـة في عناوينها وخدماتهـا الثقافية والإعلاميـة والتعليمية والبحثية. وتأليف الكتب وإعدادها خلال المئة سـنة الأخيرة، موضوع، حسب علمي، لم يدرس في دراسـات جادة. وظهر في مدن وحواضـر تهامة والسراة مؤلفون عديدون خلال النصـف الثـاني مـن القرن الهجري الماضـي، ومنهم من اسـتطاع طباعـة عمله العلمي ونشـره، وآخرون اكتفوا بتأليـف كتبهم ثم بقيت مخطوطة حتى جاء بعدهم من درس بعضـها وحققها ونشـرها. ومازال هناك الكثير من المخطوطات الجديرة بالتحقيق العلمي ثم النشـر. وشـاهدت من تسـعينيات القرن الهجري الماضي إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥ م) حركة تأليف وطباعة نشـر كتب وبحوث كثيرة في مدن ومناطق وحواضـر جنوب المملكة العربية السـعودية . والمؤلفـون لهذا النتاج العلمي والمعرفي من أهل البلاد، (تهاميين وسرويين) ، ومن السعوديين والعرب، والمسلمين، والأجانـب. وكل هـذا ناتج عـن التطور العلمي والتنموي والحضـاري الذي تعيشـه بلادنا (المملكة العربية السعودية) من سبعينيات القرن الماضي إلى الآن. وشاهدت في العشـرين سنة الأخيرة انتشـار وتأثير الكتاب الورقي ثم الرقمي، حتى صار أي فرد في المجتمع (ذكراً أو أنثى) يستطيع أن يطلع أو يقتني الكتاب الذي يرغب باللغة العربية أو أي لغة أخرى، وفي أي موضـوع أو تخصـص، وبدأ الكتاب الورقي يتراجع عمـا كان عليه سـابقاً لتوفر الكتاب الرقمي بسـهولة ويسـر، وهـذا التطور العلمي الإعلامي والمعرفي لا يخلو من إيجابيات كثيرة، لكن الوصول إلى المعلومة عن طريق الإنترنت في كتاب أو أي وعاء علمي آخر له أيضـاً سـلبيات عديدة، ومنها: سـهولة سرقة المعلومة (المعلومات) واقتصاصها دون حفظ حقوق أصحابها. وبعض طلاب العلـم في جميع المراحل يعودون إلى الكتاب أو المصـدر أو المرجع الرقمي فيأخذون معلومات سطحية لاسـتكمال واجباتهم العلمية والحصول على شهاداتهم المرجوة، دون أن يبذلـوا جهداً كبيراً للتعليـم والتعلم، والنتيجة يتخـرج أجيال من المتعلمين ضعيفة في تحصيلها العلمي، وعاجزة عن أداء واجباتها، الوظيفية بصورة جيدة.

٣- قدمـت الإذاعـة الكثير مـن المعارف والثقافـات والتنويرات العلميـة خلال العقود السـتة الماضـية الأخـيرة. وشـاهدت الراديـو عند الآبـاء والأجداد مـن ثمانينات القرن(١٥هـ/٢٠م) فقـد كان من الوسـائل الإعلاميـة الموجودة والمنتشـرة عند

الأفـراد والأسـر في المـدن، والقرى، والأريـاف، وحتى البوادي. ومما عاصـرته في سـروات عسـير وغامد وزهران في تسـعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حرص أفراد الأسرة الواحدة، ويتقدمهم رب الأسرة، على سماع بعض البرامج الإذاعية الدينية والثقافيـة وغيرهـا. وكانت أجهـزة الراديو في الماضـي متفاوتة مـن حيث الجودة والحجم والنوع والموديل والأسـعار. وزرت خلال العشـرين سـنة الأخيرة (١٤٢٦ - ١٤٤٦هـ/٢٠٠٥ - ٢٠٢٤م) بعض المتاحـف التاريخية العامة والخاصـة في بعض مـدن تهامة والسـراة، وشـاهدت العديد من أنـواع الراديو التي اسـتخدمها بعض السـكان خلال القرن الهجري الماضي. وزرت في العقد الماضـي(١٤٣٠ـ١٤٤٠هـ/ ٢٠٠٩ـ ٢٠١٩م) الأسـواق التجاريـة في مـدن الطائـف، والباحة، وبيشـة، وأبها، وخميس مشـيط، وصـبيا، وجازان، ونجران ورأيت أنواعاً كثيرة من أجهزة الراديو الحديثة ذات المميزات والمواصـفات العالية. لكن جهـاز الراديو في العقود المتأخرة لم يعـد له ذلك الحضـور الجيد بـين الناس، لأنه صـار هناك الكثير مـن البدائل الإعلامية الحديثة والمتطورة في نقل الأخبار بالصـورة والصوت. وأصبحت الأخبار الإذاعية تنقل من راديو السـيارات، والطائرات، وغيرها من وسائل النقل والإعلام المختلفـة. وقـد بذلت الحكومة السـعودية الحديثة أموالاً وجهوداً كبيرة في تأسـيس وتطويـر مؤسسـات الإذاعـة في البـلاد. وأثناء تجـوالي في ربوع السـروات وتهامة خـلال هذا القـرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) شـاهدت إدارات ومراكز ومقـرات للإذاعة مجهـزة بالأجهزة والمعدات التقنيـة والفنية والإدارية الحديثة التي تعمل وتشـرف على الأنشـطة والبرامج الإذاعية المحلية والإقليميـة والعالمية. والتقيت بالعديد من المسـؤولين في هذه المؤسسـات بمناطق عسـير، وجـازان، ونجـران، وأطلعوني على الكثير من المنجزات الحضارية الحديثة والمعاصرة في هذا القطاع الإعلامي المهم.

٤- ازدهـرت وتطـورت وسـيلة الرائـي (التلفـاز) مـن نهايـة القـرن الهجـري الماضـي(١٤هـ/٢٠م)، ففي التسعينيات بدأ البث التلفزيوني في بعض مدن ونواحي تهامة والسراة، وكان وقتها ضعيفاً ، لكننا نقضي أوقاتاً جميلة في مشاهدات العديد من البرامج البيضـاء والسـوداء ثم الملونة مثل المباريات الرياضـية، والمسلسـلات والأغاني المصـرية والشـامية، والأخبار، وبرامج أخرى متنوعة، ولم يكن كل الناس عندهم جهاز تلفزيـون. وفي العقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) تطورت محطات التلفزيون السـعودي، وكانت محطة أبها من أنشـط المحطات في السروات وتهامـة، ثـم زادت أعـداد وأنواع البرامـج التلفزيونيـة، وجرى بعض التطويرات

الكيفيــة والكميــة علــى منجــزات ومناشــط التلفزيــون بقناتيــه الأولى والثانيــة. وتطور وسـيلة الرائــي (التلفاز) الإعلامية خلال العشــرين سـنة الأخيرة (١٤٢٥ - ١٤٤٦هــ/ ٢٠٠٤ - ٢٠٢٤م). وكان للشـبكة العنكبوتيــة والأقمار الصــناعية دورٌ كبيرٌ في ظهور مئات القنوات التلفزيونية العربية والإســلامية والأجنبية. بل تعددت القنوات العامة والتخصصـية، وأصبحنا نشـاهد آلاف البرامج والمعارف التي تبثها هذه الوسـائل الإعلامية. وأصبحت القناتانِ السعوديتان بالإضافة إلى قنوات أخرى مثـل الإخباريــة وغيرها جزءاً صـغيراً جداً مــن منظومة القنوات الكثـيرة المحلية، والإقليمية والإعلامية. وصار هناك العشرات من رجال الأعمال السعوديين يمتلكون شــركات تلفزيونية وفضائية كبيرة ومتنوعة، بل بعضهم استحوذوا على نسب كبيرة جداً من الإعلام والبث الفضائي في العالم ، وبخاصة العالمين العربي والإسلامي.

لا يمكــن حصــر إسـهامات التقنية الحديثـة إعلاميًّا في المحاور والمجــالات الآنف ذكرهــا. بل ظهر مؤخراً الكثير مــن الأجهزة الدقيقة، والبرامــج والتطبيقات الحديثة والمعاصــرة التي تعمل في نقل الأخبار والصور والأفلام والفيديوهات واليوتيوب وغيرها بطرق متنوعة واحترافية. ولم يصبح هناك أي صعوبة في البحث أو الاطلاع أو مشاهدة أو سـماع معلومات أو صــور ومناظر في أي جزء من الكرة الأرضــية. وصــارت وســائل الإذاعة والرائي(التلفاز) التي عرفناها واسـتخدمناها خلال العشرين سنة الأولى من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) وسائل بسيطة ومتواضعة لما نراه ونشاهده في وقتنا الحاضر. وقد نرى في المستقبل وسائل أكثر دقة وتطور وتأثير وانتشار مما نشاهد ونعيشه حاليًّا.

لم أناقش الطرق التقليدية التي مارسها التهاميون والسريون من بداية القرن الهجري الماضــي إلى وقتنا الحاضــر. وللعلم أن هناك الكثير من الوسـائل والممارسات التي عرفها الناس خلال هذا التاريخ الحديث والمعاصــر، خلاف ما تم توثيقه والإشــارة إليه. واطلعت على الكثير من المصــادر والوثائق التي أشــارت إلى شيء من ذلك. ورأيت وعاصرت الآباء والأجداد ونســاء ورجال البلاد في مناطق عسير، والباحة، وجازان كيف كان لهم تعاملات ونشاطات بشرية متنوعة لا تخلو من توظيف الأخبار والإعلان والحياة الإعلامية في الكثير من الجوانب الحياتية المتعددة والمتنوعة، وصل الله وسلم على رسول الله[1].

(١) إن رصـد صـفحات قليلة عن تاريخ الإعلام خلال العصـرين الحديث والمعاصـر في جنوب شـبه الجزيرة العربية، وعن منطقة السروات وتهامة الواقعة بين اليمن والحجاز موضوع متعدد الجوانب ويستحق أن يوثق في بضعة مؤلفات تفصيلية، ونأمل أن يتحقق ذلك من خلال مراكز البحوث العلمية في جامعاتنا المحلية .

(١٠) المتاحف التاريخية في تهامة والسراة وأهميتها في خدمة التاريخ المحلي[(١)]
بقلم. أ. د. غيثان بن علي بن جريس

المتحف: مقر (مكان) تجمع فيه محتويات تراثية، وتاريخية، وأثرية، وحضارية ذات أهمية علمية، أو فنية، أو ثقافية وغيرها. ظهرت المتاحف في العصر الحديث في أوروبا في القرن (١١هـ/١٧م) ثم ازدادت وتكاثرت وتطورت خلال القرون التالية حتى صارت اليوم بالآلاف وانتشرت في أرجاء العالم. وصدرت مئات الدراسات عن تاريخ المتاحف خلال القرون الخمسة الماضية (١١-١٥هـ/١٧ - ٢١م)، ومعظم التراث المكتوب عنها بلغات أجنبية: كاللغة الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والإسبانية، والصينية، والهندية. وما زالت مصادر ومراجع اللغة العربية التي أرخت للمتاحف دون المأمول، مع أن الدول العربية والإسلامية مليئة بالمتاحف الوطنية (الحكومية) والأهلية.

سافرتُ وزرتُ عشرات البلدان شرق العالم وغربه وشاهدتُ الكثير من المتاحف القديمة والحديثة والمتنوعة في محتوياتها، وإداراتها، وملكياتها، وأهميتها في خدمة التاريخ والحضارة. وإذا حصرت كلامي على المملكة العربية السعودية، ففيها الكثير من المتاحف الخاصة والأهلية، وبعض المتاحف الحكومية المحدودة، لكنها مازالت تحتاج اهتمامًا وعنايةً كبيرة على المستويين الحكومي الرسمي، والأهلي (الشعبي).

(*) بدأت أقرأ وأتجول في أرجاء تهامة والسراة، البلاد الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز الكبرى، من تسعينيات القرن الهجري الماضي، وواصلت وما زلت مستمرًا أشاهد، وأبحث، وأكتب، وأسافر في مناكب هذه الديار حتى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م). وعرفت وتأكدت أنها مستودع معرفي وحضاري كبير في شتى المجالات. ومن يقرأ تاريخ أهلها (تهاميين وسرويين) في الماضي والحاضر يجد أنَّ لهم تراثًا وموروثًا ماديًا ومعنويًا متنوعًا، لكن هذه البلاد مازالت غير مخدومة علميًا وإداريًا وتنمويًا وسياحيًا وحضاريًا، ومن خلال الجهود الفردية وأحيانًا الرسمية في الخمسين سنة الأخيرة (١٣٩٥ - ١٤٤٧هـ/ ١٩٧٥-٢٠٢٥م) ظهرت بعض المتاحف التاريخية التي تعكس شيئًا من تاريخ الأرض والناس في الزمن الماضي والحاضر. وفي

---

(١) مقالة منشورة في صحيفة النماص اليوم الرقمية بتاريخ (٦/ أغسطس/٢٠٢٥م). ومنشورة أيضاً في موقع رابطة أدباء الشام الإلكتروني، صحيفة وسوم ، عدد (١١٣٠) (٢٠٢٥/٩/٧م).

الصفحات التالية أذكر لمحات مما سمعته، أو عاصرته، أو شاهدته عن هذا المجال في العقود الماضية المتأخرة، وأرصد مقتطفات من ذلك في النقاط التالية:

١- شاهدت خلال رحلاتي ودراستي داخل المملكة العربية السعودية وخارجها بعض المتاحف الحكومية وأحيانًا الأهلية، ورأيت ضمن محتوياتها بعض العينات أو المواد الأثرية التي تم جلبها من أمكنة عديدة في تهامة والسراة، وبعضها عملات معدنية ومواد تاريخية أخرى تعود إلى عصور ما قبل الإسلام، أو خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة. وهذا يؤكد كلامي السابق. فالبلاد مليئة بالمصادر التاريخية القديمة السطحية والمدفونة، ومازالت بحاجة إلى جهود رسمية وعلمية جادة وكبيرة للتنقيب والبحث وجمع هذا التراث المهم الذي يحتوي على صفحات من حضارة هذه الديار في عصور قديمة.

٢- قرأت عن عدد من الرحالة الأجانب الذين زاروا أمكنة عديدة في السراة وتهامة خلال القرنين (١٣- ١٤هـ/١- ٢٠م)، وجمعوا الكثير من آثار ونقوش البلاد، وأرسلوها إلى متاحفهم في الغرب، ومازالت محفوظة في تلك المتاحف حتى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، كما أن بعضهم أنجزوا دراسات علمية عن بعض نقوش وآثار بلادنا، وقد استفدنا نحن معاشر الباحثين والمؤرخين من هذه الأعمال العلمية.

٣- رأيت في نهاية القرن الماضي(١٤هـ/٢٠م)، والعقدين الأوليين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) بعض المؤسسات والكليات الجامعية التي أنشأت متاحف تاريخية، أو بيئية وطبيعية، بل بعضها كان عندها حدائق حيوانات مصغرة، وكانت كل هذه الإمكانات مخدومة ومرعية من القائمين على تلك الإدارات، وقد استخدمت في ميادين علمية وبحثية وتعليمية، لكن مع تبدل المسؤولين، أو انتقال تلك الكليات أو المؤسسات من مقراتها الأولى إلى أمكنة أخرى في نفس المنطقة أو المحافظة أو الحاضرة التي توجد فيها تلك المتاحف تم التخلص منها. وكوني معاصرًا لهذه التحولات التقيت ببعض الأعلام الذين كانوا قريبين من تلك المتاحف أو الحدائق ومن صناع القرار في تلك المؤسسات، وسألتهم عن مصيرها، وماذا جرى لها؟ فقال لي بعضهم لا نعلم، ويبدو أن عدم قناعة من تعاقب على تلك الإدارات أو الكليات في رعاية تلك المتاحف، كان السبب الرئيسي في إتلافها والتخلص منها. وحيث إنني أستاذ في التاريخ والحضارة، فقد اطلعت على محتويات تلك المتاحف الطبيعية أو التاريخية فوجدتها ثروة علمية كبيرة تحتوي على جزئيات من صفحات تاريخ البشر والطبيعة في بلدان عديدة من السروات وتهامة.

٤- كانت بعض المعاهد أو الإدارات لا تخلو من متاحف زراعية، أو صناعية، أو طبيعية أوجغرافية، أو معارض تعليمية وأزياء وفنون، أو رسم وتصوير وغيرها من الأمكنة أو الآثار والتراث المحلي الذي يندرج تحت مجال المتاحف وأمكنة حفظ وعرض أشياء من موروثنا وتاريخنا الوطني. هذا تاريخ عاصرته ورأيته في مواقع عديدة من مناطق عسير، وجازان، ونجران، والباحة (بلاد غامد وزهران)، والطائف وغيرها خلال العشرين سنة الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم زرت كثيرًا من تلك الأمكنة في ثلاثينيات وأربعينيات القرن نفسه، فلم أجد أو أرى شيئًا مما شاهدته في السابق، وسمعت من الناس في بعض تلك النواحي يقولون: قد ضاعت واندثرت لانعدام الرعاية والاهتمام بها.

٥- **إنَّ المتاحف الخاصة (الأهلية) اليوم الأكثر انتشارًا في أرجاء السروات وتهامة. وقد شاهدت متاحفًا خاصة جيدة في بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) لكن بعد موت أصحابها ومؤسسيها اندثرت ولم يصبح لها وجود. وخلال الثلاثين سنة الأخيرة (١٤١٥-١٤٤٦هـ/١٩٩٥-٢٠٢٤م) زرت أكثر من عشرين متحفًا خاصًا في مناطق تهامة والسراة، وقابلت أصحابها، وسمعت شيئًا من بداياتهم وتاريخهم مع متاحفهم، وبعضهم ذكر لي شيئًا من مشاكلهم وظروفهم وتطلعاتهم في الاعتناء بهذا الموروث الحضاري المحلي، وخرجت ببعض الرؤى مما شاهدته وسمعته، وأذكر شيئًا من ذلك في البنود الآتية:**

أ- جميع المتاحف التي رأيتها أو سمعت عنها موجودة في أبنية وأملاك خاصة لأصحابها، بعضها مقرات قديمة وأخرى في عمارات حديثة، أو مكونة من مرافق حديثة وقديمة. وجميع أصحاب هذه المتاحف من سكان السروات وتهامة، ويتفاوتون في أعمارهم من الثلاثينيات والأربعينيات إلى الثمانينيات، وكل الذين التقيت بهم من الرجال، ولا أعلم حتى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) هل هناك متاحف يملكها أو يقوم عليها نساء.

ب- كل المتاحف التي رأيتها أو سمعت عنها تتفاوت في مساحاتها، ومقتنياتها، وشهرتها، وتمويلها ورعايتها، واستفادة الناس منها، ومقراتها، فمنها: الموجود في قرى ريفية أو مدن وأمكنة نامية ومتمدنة. والذي علمته بشكل عام أنها لا تجد الدعم والرعاية الكافية، وفي الغالب يقوم على كل متحف شخص واحد، هو صاحبه الرئيسي الذي أسسه وقام عليه، وذهبت إلى بعض المحافظات

للاطلاع علـى محتويات متاحف محـدودة، فوجدت ملاكها الرئيسـيين غير موجودين، فقد ذهبوا لبعض أعمالهم خارج قراهم ومنهم من تُوفي منذ زمن ليس بعيد، ولم نحقق أي نتيجة إيجابية مـن رحلاتنا إلى تلك المتاحف. ومن أكبر المعوقات التي تواجه أصـحاب المتاحف الخاصة، اعتمادها على الجهود الفردية الذاتية غير المدعومة رسميًا وشعبيًا، وفي النهاية تندثر وتضيع.

ج ـ رأيت ووقفت على متاحف تعليمية، وزراعية، ومعارض رسـامين ومصـورين، ومتاحـف تاريخيـة مليئة بالأدوات الاقتصـادية المحليـة القديمة في مجالات الرعي، والزراعة، والجمع والالتقاط، والصيد، وحرف وصناعات، وتجارات، وأدوات طبـخ ولباس وزينـة وغيرهـا. ومعظـم أصـحاب تلك المسـتودعات التاريخية التراثية بذلوا الكثير من أموالهم، وأفكارهم، ونشاطاتهم المختلفة بهـدف الحفاظ على هذا المـوروث والتاريـخ الوطني، وإذا بحثنـا عن جهود الوزارات والمؤسسـات الرسمية المعنية برعاية وحفظ تاريخ وتراث البلاد فلا نجد لها الجهد الواضـح والفعلي لخدمة هذه الأنشطة والجهود. وغالبًا نجد ضـياع وتبدد هذا التراث بموت صـاحب المتحف أو مرضـه وعدم قدرته على مواصلة إشرافه وصيانته لمعرضه أو متحفه التاريخي.

د ـ يشـاهد الذاهب في أرجاء البلاد التهامية والسـروية آلاف المتاحف الطبيعية الماثلة للعيان، وهي القرى التراثية القديمة الموجودة في كل مكان. والكثير منها تهدمت واندثرت بشـكل كلي أو جزئي، وما زال هنـاك مئات القرى الطينية، أو الحجريـة، أو حجريـة وطينيـة شاخصـة أبنيتها ومرافقها من الحصـون والقصـور، والمنـازل، والمسـاجد والجوامـع، والآبـار، والمقابـر، والمدرجات الزراعيـة وغيرهـا. وكل هذه المعالم جزءٌ مهمٌ ورئيسـي من تاريخ السـروات وتهامة في عصورها الماضية.

(*) في نهاية هذا المقال أدون بعض الرؤى والمقترحات والتوصيات ذات العلاقة بالمتاحف وأهميتها التاريخية، وكيفية رعايتها ودعمها وأصحابها؛ لأنها من المصادر الرئيسية لتاريخ وحضارة البلاد.

١- يجب دعم وتشـجيع كل إنسان اجتهد وسعى إلى حفظ شيء من تاريخ بلاده وأهله. وأصـحاب المتاحف الأهلية من الأعلام التهاميين والسرويين الذين ساهموا بجهود ذاتيـة في جمـع وحفظ موارد ومصـادر مهمة من التاريخ والحضـارة المحلية. ومن

يطلع على محتويات الكثير من تلك المتاحف يجدها فعلًا تشكيلة كبيرة من التاريخ المادي والمعنوي لأهل تهامة والسراة.

٢- يجب ألَّا تُترك هذه المتاحف قائمة على رعاية أصحابها فقط، بل تتعاون وزارات التعليم، والثقافة، والسياحة، والبلديات والإسكان وغيرها من المؤسسات الرسمية والأهلية لخدمة هذا المجال وتنشئ آليات ونظام حكومي رسمي يتولى الإشراف التنظيمي والإداري والمالي والتوعوي لجميع المتاحف الحكومية والأهلية. وإن تم ذلك فإننا نحافظ على إرث وتاريخ محلي كبير ومتشعب يعكس أصالة وعراقة بلادنا حضاريًا، وإذا خُدم علميًّا وتقنيًّا وعمرانيًّا وثقافيًّا وتنمويًا، فسوف نجني الكثير من الازدهار الاستثماري والسياحي المحلي والإقليمي والعالمي.

٣- أشرت سابقًا إلى القرى التراثية في تهامة والسراة، وإذا تم الاعتناء بها بطرق تنموية وتطويرية حديثة، فهي الأخرى تشكل مصدرًا ورافدًا ثقافيًّا واقتصاديًّا كبيرًا ومهمًا. ويجب أن تتضافر الجهود بين القطاعات الحكومية والأهلية في كل مجال يعود بالنفع على تطوير الأرض والإنسان. وهناك الكثير من الميادين التي تستحق العناية والاهتمام، وفي مقدمتها القرى التراثية والمتاحف التاريخية لما تشتمل عليه من حضارة وموروث عاصره وشيده الآباء والأجداد في قرون غابرة.
وصلى الله وسلم على رسول الله.

١١ لمحات من تاريخ الطب والتطبيب في تهامة والسراة (من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران) في العصرين الحديث والمعاصر(١)

بقلم. أ. د . غيثان بن علي بن جريس

إذا درسنا القرآن الكريم وكتب الأحاديث الشريفة نجد تفصيلات كثيرة تنص على أهمية الصحة للعقل، والجسد، والنفس. والدين الإسلامي الحنيف رسم للإنسان طريق الحياة في كل شيء، ومنها الأحوال الصحية الطبية التي تساعد الفرد للعيش صحيحاً معافى في جميع أوضاعه الروحية، والنفسية، والجسدية، والعقلية. ومن يبحث في كتب التراث الإسلامي المتنوعة خلال القرون الإسلامية المختلفة يجد في بعضها ذكراً واسعاً للتاريخ الصحي الطبي عند المسلمين وغيرهم.

عرفت بلدان شبه الجزيرة العربية العديد من الأطباء والممارسات الطبية المتنوعة قبل الإسلام وبعده. ومن يبحث عن مسيرة الحياة الصحية في هذه الديار فسوف يجد في القرآن الكريم الذي نزل على الرسول الكريم محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب (عليه أفضل الصلاة والسلام) آيات كثيرة حثت على الأقوال والأفعال الإيجابية أو السلبية التي لها صلة بصحة الإنسان من جميع النواحي. وكان الرسول (ﷺ) يروي ويرشد الناس إلى أمور عملية لها علاقة مباشرة بالأوضاع الصحية. وظهر في مناكب البلاد عند عامة الناس وخاصتهم وسائل وطرق عديدة للتداوي، وكان بينهم من يمارس مهنة الطب والتطبيب كل حسب قدراته ومعرفته وتجاربه.

بدأ القرن الرابع عشر الهجري (١٩ـ٢٠م)، وسكان السروات وتهامة جزء صغير من منظومة العالم الإسلامي الذي تسوده الصراعات والفرقة والحروب المحلية، والإقليمية والعالمية. وكان عند أهل البلاد بعض الثقافات التي ورثوها من الأجيال السابقة، أو وصلت إليهم مع العناصر البشرية التي جاءت إلى بلادهم في هيئة أفراد أو جماعات عسكرية أو مدنية، وجلبوا معهم بعض العلوم والمعارف، ومنها خبرات صحية ممثلة في كوادر بشرية، أو أدوات وأدوية طبية. ومن يطّلع على الوثائق العثمانية، أو البريطانية والإيطالية وغيرها من الدول الغربية، أو يبحث في المصادر والوثائق والمراجع العربية المحلية والرسمية يجد معلومات تتعلق بالطب والتطبيب في الحجاز، والسراة وتهامة، واليمن. ومنها ممارسات صحية بدائية تعتمد على ما تحتويه البيئة المحلية

(١) مقالة منشورة في صحيفة النماص اليوم الرقمية بتاريخ (٢٦/سبتمبر/٢٠٢٥م).

من مكونات مادية ومعنوية، وأخرى جاءت مع الجيوش العثمانية والأجنبية الغازية التي وصلت إلى جنوب شبه الجزيرة العربية، واستولت على الأرض وما تحتوي عليه من مقدرات طبيعية وبشرية.

(*) ناقشت في عدد من بحوثي المطبوعة والمنشورة خلال العصر الحديث تاريخ الطب والتطبيب في جنوب شبه الجزيرة العربية، وبخاصة السروات وتهامة المعنية في هذه الدراسة، واتضح لي عدة أمور، أذكر بعضها في المحاور الآتية:

١- قسوة الحياة وصعوبتها انتجت الكثير من العقبات، مثل انتشار الأمراض بأنواعها بين الناس، وكانت طرق التداوي المعروفة عند الناس بسيطة وقديمة وبدائية. ومن أكثر الأوبئة التي فتكت بالبشر حتى سبعينيات وربما ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) الطاعون، والجدري، والسل (الدرن)، والحمى وغيرها، حتى إن الناس صاروا يؤرخون ببعض السنوات التي انتشرت فيها هذه الأمراض وقضت على أعداد كبيرة منهم، فيقال: سنة الجدري، أو سنة الطاعون، وغيرها، ويقصدون بها سنة محددة انتشر فيها مرض أو أمراض معينة، وأهلكت خلقاً كثيراً.

٢- كان الطب الشعبي هو السائد بين الناس، وبعض العارفين، أو من يسمون بـ (الأطباء الشعبيين) يعالجون العديد من الأمراض بالكي، أو مكونات نباتية أو حيوانية توصف للمريض، أو يجمعونها ثم يخلطونها ببعضها بعد سحقها أو بدون ويعطونها للمرضى لتناولها، وأحياناً تنجح في العلاج، ومرات أخرى كثيرة لا تفيد، وغالباً تعتمد على نوع المرض، والعضو المصاب. ولا ينحصر التطبيب البدائي المحلي على الإنسان، فهناك أمراض كثيرة تصيب الحيوانات والطيور والزروع والنباتات، وكان عند الأوائل معارف وثقافات بسيطة يستخدمونها في علاج الإنسان وغيره.

٣- سمعت ورأيت أطباء شعبيين ماهرين في تجبير الكسور، ومازال بعض العارفين بهذه المهنة حتى وقتنا الحاضر، لكن أعدادهم في الماضي كثيرة، واليوم صاروا من النوادر. وكان بعض السرويين والتهاميين يمارسون عملية الختان، ويعتبر بعضهم صاحب علم وخبرة ودراية في هذا الباب. ووجد خلال القرن الهجري الماضي، وهذا القرن(١٥هـ/٢٠-٢١م) من يعالج بالقرآن الكريم، وآخرون يدعون أنهم يستخدمون القرآن في العلاج، لكن لا تخلو أعمالهم من الخرافات والشعوذة والطلاسم.

٤- كتابة تاريخ الطب الشعبي عن بلاد واسعة مثل السروات وتهامة خلال قرن ونصف تقريباً (١٣٠٠-١٤٤٧هـ/١٨٨٣-٢٠٢٥م) موضوع كبير جداً يستحق أن يوثق

في عشـرات الكتب والبحوث والرسـائل الجامعية. ومن يعمـل في هذا المجال يجب عليه أن يلم بالمصـادر والمراجع المكتوبة، وهي متوفـرة داخل البلاد وخارجها، كما لا ينسـى مقابلة بعض الأعلام والرواة الحاذقين الذين يسـتطيعون رواية معلومات دقيقة وصـحيحة. ويجب توظيف التجارب والمشـاهدات من خلال المعاصـرة، ومن يزور المتاحف الرسـمية والخاصـة في أنحاء البلاد فسـوف يرى مواد تراثية وأثرية لها علاقة بالحياة الصـحية والطب والتطبيب الذي كان يمارسـه أبناء هذه البلاد (تهامة وسراة) خلال القرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م).

٥- أمـا الطب والتطبيـب الحديث في أرض تهامة والسـراة، فبـوادره الأولية جاءت مع الجيوش العثمانيـة والحكومات الاسـتعمارية الأجنبية عندما وصـلت إلى البلاد في القرن (١٣هـ/١٨ـ ١٩م)، وتشير إلى أسماء أطباء غربيين وعثمانيين ومسلمين وعرب وصـلوا إلى بعض مدن وقرى وحواضر عسير، وجازان، وبيشة، والقنفذة، والطائف، ونجران وغيرها، وجلبوا معهم بعض العلاجات والأدوية الحديثة. لكن هذه البدايات كانت محدودة في أعدادها وخدماتها، ولا يسـتفيد منها إلا قلة قليلة من علية الناس وبخاصـة العناصر البشـرية الأجنبية الوافدة، وإن وصـل أثرها الإيجابي إلى بعض أهل البلاد فذلك لا يتجاوز الأفراد الذين هم من أصـحاب القرار والشأن الرفيع في بلادهم ولهم صلات جيدة مع القوى الأجنبية الغازية وغيرهم من الوافدين.

بعـد دخول البـلاد تحت نفوذ الملـك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصـل (رحمه الله) نجد الوضـع بدأ في التحول الإيجابي في بناء الأرض والناس، وشـملت إصلاحات هـذا الإمـام الموفق جميع مفاصـل الحياة العامة والخاصـة المعنوية والمادية. وأنشـئت مديرية الصحة السعودية في مكة المكرمة من أربعينيات القرن الهجري الماضي، وعملت واجتهدت على نشر الوعي الطبي والصحي في أرجاء الدولة السعودية الحديثة. وكان لي بعضـ التجارب والمحاولات العلمية في جمـع معلومات تاريخية عن بدايات وتطور الطب والتطبيب في جنوب المملكة العربية السعودية، ولم أكتف بجمع مواد علمية في هذا الباب من الوثائق والسجلات والمدونات المكتوبة، إنما اتصلت ببعض رواد الفكر والعلم والقلم الذين عاصروا النهضـة الحديثة في السروات وتهامة، ومنها الحياة الصحية، وجمعت صـفحات ومذكرات عديدة من بضعة أعلام، ونشرت بعضها، وأخرى مازالت محفوظة ضمن أوراقي الخاصة، آمل أن أتمكن في قادم الأيام من دراستها وطباعتها ونشرها مع غيرها من المدونات والمذكرات المتنوعة والجديدة في محتواها.

من الرواد الذين ساعدوني في كتابة بعض المقتطفات عن بدايات الطب السعودي الحديث في السروات وتهامة الأستاذ محمد بن أحمد (أنور) (رحمه الله)، فأشار إلى شيء من تاريخ الحياة الصحية الحديثة في مدينة أبها خلال الأربعينيات والخمسينيات والستينيات من القرن الهجري الماضي، فقال: «بدأت الصحة في أبها بطبيب سوري اسمه خيري، كان ذلك في عام (١٣٤٦هـ/١٩٢٧م)، ومعه موظف يدعى أحمد أبو شقرة من أهالي أبها، ثم انتقل من أبها وجاء بعده أطباء سوريون عديدون من ضمنهم: عبد العليم الأتاسي، ثم الدكتور أكرم البيطار، ثم الدكتور فؤاد أبوغزالة، ثم انضم لهم كتاب ومحاسبون وممرضون...ولم تكن الإمكانيات الطبية مثلها الآن. وأذكر أن طبيب أسنان يدعى عبد الستار العلمي جلس مدة طويلة يتقاضى راتباً ضخماً وبدون عمل في انتظار وصول المعدات الطبية من كرسي وما يستلزم عمله كطبيب أسنان، ثم تطور الحال بأطباء ومساعدين وممرضين وممرضات إلى ما هو موجود الآن، ولم يكن هناك عقبات ولا مشاكل، فالطبيب العادي يستطيع مكافحة كل مرض علماً بأن أسماء كثير من الأمراض المسماة الآن لم تكن موجودة ولا معروفة، وكان أهم الأمراض الجدري، والحصبة، والسل، وكان يقوم مقام السرطان الآن، ومريضه الكل يتحاشاه ويبتعد عنه».

نستخلص من هذه المدونة تأسيس الطب الحديث في أرض السروات وتهامة وكانت بداية بسيطة، ومدينة أبها من أوائل البلدان التي حظيت بالرعاية الصحية الحديثة، ثم انتشرت الخدمات الطبية تدريجيًّا إلى المدن والحواضر الأخرى. وكانت جميع الأيدي العاملة الفنية وافدة من دول عربية وسوريا في المقدمة، ثم دول عربية أخرى كالأردن، وفلسطين ، ومصر، والسودان وغيرها.

كتب الأستاذ يحيى بن حسن بن مستور العسيري مذكرة تفصيلية تشتمل على معلومات قيمة عن مسيرة الحياة الصحية الحديثة في جنوب البلاد السعودية منذ بدايتها حتى منتصف العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وجل توثيقاته عن منطقة عسير، وتحديداً حاضرة أبها وما حولها، فذكر تفشي الأمراض في البلاد خصوصاً مرض الجدري في منتصف القرن الهجري الماضي، ولم يكن في الديار طبيب مختص يعالج الناس، وفي عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٥م) قدم إلى سروات عسير طبيب هندي يدعى عطاء، جاء من عدن إلى جازان حتى أبها، وجلب معه بعض الأودية واللقاحات لمرض الجدري، وبدأ تطعيم موظفي الإمارة، والجنود، وطلاب المدارس، ومن رغب في التطعيم من بقية الناس، وأنشئت أول طبابة في أبها عام (١٣٥٦هـ/١٩٣٥م) بطبيب

واحـد وممرض وثلاثة عمال، وتركـزت أعمالهم على معاينة مـن يتوظف في الجيش أو الشـرطة، أو من يرسـل لهم من المسـاجين. والأدوية المسـتخدمة آنذاك مساحيق تجهز بواسـطة مساعد الصيدلي، وبعض الحبوب المتنوعة في أحجامها وأشكالها، وبعض الإبر (الحقن) العلاجية، وقطرات بسـيطة للعيون، وصـبغات اليود المطهرة للجروح، وبعض المراهم. وفي بداية السـتينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) تطورت طبابة أبها إلى مسـمى (مديرية صحة عسـير)، وكانت مترابطة ماليًّا وإداريًّا وفنيًّا بالمديرية العامة للصحة في مكة المكرمة. ونجد أوائل الطبابات والمراكز الصحية الحديثة التي تأسست في الطائف، والقنفـذة، والباحـة، والنماص، وبيشـة، ونجران وجازان وحواضـر أخـرى في تهامة والسـراة خلال الفـترة الممتدة مـن (١٣٤٥-١٣٧٤هــ/١٩٢٦-١٩٥٤م)، كانت جميعها تسـتمد قراراتها مـن المديرية العامة للصـحة في الحجاز. وبذلت تلك المؤسسـة جهوداً كبيرة في تأسيس ونشر الكثير من الخدمات الطبية الحديثة والضرورية في أرجاء المملكة العربية السعودية، وفازت بلاد السروات وتهامة بالنصيب الوافر من تلك الخدمات.

الأستاذان محمد أنور ويحيى بن مستور وبعض السجلات والوثائق تشير إلى بعض الصـعوبات التـي واجهت المراكز الطبيـة في البلاد التهامية والسـروية خلال العقدين السادس والسابع من القرن الهجري الماضي، مثل: محدودية الأيدي العاملة من الأطباء والممرضـات والممرضـين، والذي زاد من الصـعوبة ضـعف وسائل المواصـلات ووعورة الطـرق التـي تربط بين أجـزاء البلاد، أو بين تهامة والسـراة والحجـاز، ومع هذا كان القائمـون على الخدمات الصـحية في الحجـاز أو المناطق النائيـة المتفرقة لا يدخرون جهداً في تقديم أفضل ما عندهم حسب قدراتهم وإمكاناتهم المادية والفنية والطبية.

تحولـت المديرية العامة للصـحة في مكة المكرمة إلى وزارة للصـحة، ونقلت جميع الوزارات من المنطقة الغربية إلى العاصـمة الرياض، وقام وزير الصحة آنذاك الدكتور رشـاد فرعون بزيارة لبعض مناطق المملكة ومنها سروات عسـير وتحديداً مدينة أبها، وكانـت فرصـة أن عرض عليه الناس مشـاكلهم الصـحية، وطالبوه بزيـادة الخدمات الصـحية بتوفير الأجهزة والإمكانات اللازمة، كالأشـعة والمختبرات والأعداد المناسبة مـن الأطباء والأخصـائيين والفنيين وغيرهـم، فوافقهم علـى كل مطالبهم، لكن ذلك لا يتحقـق إلا بتوفـير مبنى لمستشـفى حكومـي، يلي ذلـك التجهيزات اللازمـة. وأثناء زيارة الملك سـعود لمنطقة عسـير عام (١٣٧٤هـ/١٩٥٤م) عرضوا عليه طلباتهم فأمر ببناء مستشـفى حكومي بأبهـا وتم افتتاحه عام (١٣٧٨هــ/١٩٥٨م)، وتزويده بالكثير مـن المعدات والتجهيزات الطبية والكوادر البشـرية متعددة التخصصـات. وفي الفترة

نفسها توسعت الخدمات الصحية في مدن ومناطق السروات وتهامة الرئيسية، وبدأت المستشفيات والمراكز الصحية تنشئ في أمكنة عديدة من مناطق غامد وزهران، والقنفذة، وحواضر ومدن عسير، وجازان، ونجران.

وجدت مذكرة في وزارة الصحة مؤرخة في بداية العقد الثاني من القرن (١٥هـ/ ٢٠م) تلخص مسيرة الحياة الطبية في بلدان تهامة والسراة، وتذكر أسماء بعض الطبابات والمراكز ثم المستشفيات الصحية التي افتتحت في بلاد جازان، وعسير، والباحة، والطائف، والقنفذة خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي وبدايات القرن الحالي، لكن الجميل فيها أن وثقت لمحات موجزة عن الطب والتطبيب في هذه الديار الجنوبية السعودية قبل بدايات هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) . وذكرت أن الخدمات الصحية في جنوب المملكة العربية السعودية كانت قاصرة على مدن وحواضر محدودة، من خلال الطبابات ثم المستوصفات أو النقاط الصحية القليلة، وأخيراً بعض المستشفيات المحدودة حتى نهاية التسعينيات من القرن(١٤هـ/ ٢٠م) ، وكان قوامها ممرضاً أو مساعد ممرض يعمل في غرفة أو غرفتين من البيوت الشعبية، وإمكاناتها من الأدوات والتجهيزات الصحية متواضعة، وكان الدور الأساسي لتلك المراكز الصحية دوراً علاجياً محدوداً جداً، ونظراً لقلة هذه النقاط الطبية، فكانت لا تغطي إلا أجزاء قليلة من البلاد، أما النواحي الوقائية فتعمل بإمكانات بسيطة ضمن المكاتب الصحية، أو مراكز رعاية الأمومة والطفولة، ولم تكن تمارس وظائفها ضمن استراتيجيات وأسلوب عمل مركز ومستمر وكبير، إنما كانت في معظم الأوقات تجتهد نسبياً في السيطرة على الوباء عند تفشيه، ولم تكن الاستعدادات الموجودة حينذاك تتبع الرعاية والتخطيط المدروس للسيطرة على الأمراض المعدية قبل حدوثها، ولم يكن هناك تطعيمات أساسية إجبارية، إنما كانت التلقيحات إذا وجدت لمن يبحث عنها، ويحرص على أخذها، ولا يوجد لتلك المستوصفات والمراكز الصحية أو المستشفيات المحدودة أي عناية أو اهتمامات بالبيئة أو صحة المياه. والعاملون في القطاع الصحي خلال العقود الأخيرة من القرن الهجري الماضي يواجهون صعوبات كثيرة، كانعدام أو ضعف وسائل النقل، ووعورة الطرق، وقلة أو ضعف الإمكانات المساندة كالمقرات أو الأبنية المناسبة، والكهرباء، والمياه، والاتصالات، والتجهيزات الصحية، ووسائل الإسعاف. وإذا كانت الخدمات الطبية بدأت من خمسينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، إلا أنها أخذت عقوداً حتى تحسنت نوعاً ما ، وعند بدايات هذا القرن(١٥هـ/ ٢٠م) أصبحت الرعاية الصحية العامة والخاصة تسير نحو التطور في شتى المجالات الطبية .

(*) ومعرفتــي ومشـاهدتي لجزئيـات متعـددة مـن تاريخ الصـحة الحديثة في جنـوب المملكـة العربية السـعودية جعلنـي أوثق بعض الصـور العامة لهـذا الميدان الحضـاري الحديث والمعاصر من تسـعينيات القرن الهجري الماضي إلى الآن (١٤٤٧ هـ/ ٢٠٢٥ م)، وهي على النحو الآتي:

بدأت حياتي التعليمية المبكرة في النماص، ورأيت مستوصفاً وحيداً في بلدة النماص، وطاقمه البشـري لا يتجاوز الشخصـين أو الثلاثة، أحدهم الطبيب المسـؤول والمشرف على المركز، ولا أعرف في الثمانينيات من القرن الهجري الماضـي مركزاً صحيًّا آخر في السروات الممتدة من بلاد بلقرن وشمران شمالاً إلى بلَّسمر وبلّحمر جنوباً . وشاهدت من بعـد عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) بعض الأطباء الذيـن يأتون من أبها إلى مدارس النماص الابتدائية، والمتوسـطة لتطعيم الطلاب من بعض الأمراض المعدية كالسـل، والحصبة، والملاريا وغيرها. وذكر لي أن مثل تلك الخدمات الصحية كانت منتشرة في العديد من مدن وقرى وبلدان السراة وتهامة خلال العقدين الأخيرين من القرن الهجري الماضي.

انتقلـت إلى أبها في منتصـف تسـعينيات القرن(١٤هــ/٢٠م)، وزرت العديد من المـدن والنواحي في منطقة عسـير، وجازان، ونجران، والباحة خـلال العقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ورأيت العديد من المستشفيات المدنية الحديثة في الكثير مـن المدن الرئيسـية بالمحافظات الجنوبية السـعودية، ويعمل فيهـا العديد من الأطباء والفنيـين والموظفين. وبعض تلك المستشـفيات مجهـزة بالكثير من الأجهـزة والمعدات الطبية لخدمة المرضـى في التحاليل والعمليات والفحوصـات الطبية المتعددة. ولم تخلو حواضر المناطق الرئيسـية من مراكز ومستوصفات وأحياناً مستشفيات أهلية. ومعظم الطبيبات والأطباء والفنيين من بلدان عربية وإسلامية وأحياناً أجنبية.

وجـود إدارات عسـكرية أمنية ودفاعية في تهامة والسـراة، وقـد اجتهدت وزارتي الدفاع والداخلية على إنشـاء مراكز صحية ثم مستشفيات مخصصة لخدمة منسوبي القطاعات العسكرية. ورأيت مدينتي الطائف وخميس مشيط من أفضل بلدان السروات وتهامة التي أنشئ فيها مستشفيات عسكرية مجهزة بالأيدي العاملة الجيدة من الأطباء، والممرضـات والممرضـين والفنيين في مجالات صـحية عديدة. وزرت بعض مستشفيات خميـس مشـيط والطائف في أعوام عديـدة من العقدين الأولين من هـذا القرن (١٥هـ /٢٠م)، وشـاهدت مقرات عمرانية حكومية كبيرة متعددة المرافق والأغراض الطبية، ورأيـت فيها الكثير من الطبيبات والأطباء العرب والأجانب، بالإضـافة إلى التجهيزات

والخدمات الطبية المتنوعة. ويوجد مراكز صحية عديدة في عسير، وجازان، ونجران، والباحة لخدمة منسوبي وزارة الداخلية، لكنها ليست في مستوى المستشفيات ومراكز الرعاية الصحية الخاصة بوزارة الدفاع .

إن للتعليم الجامعي الذي أنشئ في مدينة أبها عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) دوراً رياديًّا في تطوير معظم مجالات الحياة في مناطق عسير، وجازان، ونجران وغيرها. فكان تأسيس كلية الطب في بداية هذا القرن في سروات عسير، وتحديداً في حاضرة أبها خطوة مباركة لتطوير الحياة الصحية في جنوب البلاد السعودية. وعملت طالباً ثم أستاذاً في فرع جامعة الملك سعود في أبها، وعاصرت الكثير من المنجزات الطبية التي قامت عليها ورعتها تلك الكلية الطبية الرائدة وشاهدت وعرفت عشرات الأساتذة المميزين الذين كانوا يدرسون ويعملون في تلك الكلية، وتخرج فيها مئات الطالبات والطلاب خلال العشرين سنة الأولى من تاريخها (١٤٠١ - ١٤٢٠هـ/١٩٨١- ١٩٩٩م)، وقد نشرت دراسة علمية تفصيلية عن هذه الكلية منذ نشأتها إلى أربعينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م) . ودراسة الآثار الإيجابية طبيًّا ومعرفيًّا وصحيًّا لتلك الكلية ليس على مجتمع منطقة أبها أو عسير، بل جميع بلدان السروات وتهامة، وعلى بعض مدن ومناطق وحواضر أخرى في المملكة العربية السعودية، يُعد من الموضوعات البحثية الجديدة التي لم تُدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية جامعية، آمل أن نرى باحثاً جاداً يقوم بخدمة هذا الموضوع الجدير بالاهتمام بحثيًّا وتحليليًّا.

انتشرت الكثير من الكليات، والمراكز، والمستشفيات التخصصية في مدن عديدة من تهامة والسراة، مثل مراكز طب الأسنان الحكومية ثم الخاصة التجارية. والكليات الصحية التابعة لوزارة الصحة، وتدرس العديد من العلوم الطبية: كالمختبرات، والأشعة، وطب الأسرة، والعلاج الطبيعي، والتمريض وغيرها، ومستشفيات الصحة النفسية، ومستشفيات الأمراض الصدرية ومراكز أخرى عديدة للطب الشرعي، ومراكز مرضى السكري، ومراكز القلب، والتأهيل الطبي وغيرها من الإدارات والقطاعات الطبية التي بدأت مبكراً في الطائف، ثم مدينتي أبها، وخميس مشيط، ثم حواضر أخرى في جازان، ونجران، والباحة.

حصلت على بعض التقارير والسجلات والإحصائيات عن مستشفيات في منطقة عسير، مثل مستشفى عسير المركزي الذي بدأ العمل فيه عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، وكان تشغيله التجريبي عام (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م). ومستشفى الصحة النفسية في مدينة أبها الذي افتتح عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). ومستشفى الأمراض الصدرية والحميات الذي بدأ العمل فيه عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) تحت مسمى مصحة أبها لعلاج حالات الأمراض

السـارية) ، ثم تغير الاسـم إلى مستشـفى العزل بأبها، ثم تحول اسـمه إلى مستشـفى الأمراض الصـدرية والحميـات بأبها، واسـتمر يـؤدي عمله حتـى ألغي عـام (١٤١٤ـ ١٤١٥هـ)، ووضـع مكانه بين مدينتي أبها وخميس مشـيط كلية العلوم الصـحية للبنين. ومستشـفى النسـاء والولادة الذي حل محل مستشـفى أبها العام بعد افتتاح مستشـفى عسـير، ثم نقـل إلى مقره الجديد علـى طريق المحالة. وجمعت أيضـاً بعض المذكرات والمعلومات والوثائق والصـور الفوتوغرافية عن مستشفيات خميس مشيط، وسمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في بيشـة، والنماص، وسـبت العلايا، وسراة عبيدة، ورجال ألمع، وبارق، والمجاردة، وأحد رفيدة وغيرها. واتضح لي من خلال هذا المسح الصحي السريع أن العشـرين سـنة الأولى من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) كانت مباركة لكثرة ما افتتح من المستشفيات والمستوصفات ومراكز الرعاية الأولية في جميع مناطق تهامة والسراة.

(*) إذا درسـنا التطور التاريخي الصـحي في مناطق جنوب المملكة من العشرينيات إلى أربعينيات هذا القرن (١٥هـ/ ٢١م)، فإننا نجد قفزات طبية كبيرة في شتى الجوانب. وفي الصفحات التالية أذكر شيئا من هذه النهضة الحضارية التهامية والسروية.

١- بعد تأسيس جامعة الملك خالد جرى تطوير التعليم العالي في مناطق عسير، وجازان، ونجـران حتى صـار في هذه البلدان أربـع جامعات وفي كل جامعة عـدد من الكليات الصحية، (طب عام، وطب أسـنان، وصيدلة، وعلوم طبية تطبيقية)، والوضع نفسه حصـل في مناطق الباحة، والطائف، والليث، والقنفذة من خلال جامعات أم القرى، والطائف والباحة. وهذه المؤسسـات الطبية في أرجاء تهامة والسـراة خدمت الحياة الصـحية في مجالات كثـيرة تعليمية، وتدريبية، وعلاجية. وتوظيفية، بالإضـافة إلى عقـد الكثير من اللقاءات، والندوات، والمؤتمرات المحلية والإقليمية والعالمية. وصـدر عن هذه الكليات وأقسـامها وأسـاتذتها وطلابها مئات الدراسات الطبية في ميادين بحثيـة عديـدة. ناهيك عـن الوعي الثقافي الصـحي الذي انتشـر بين النـاس. وإذا تعمقنا في جهود هذه المؤسسات الجامعية وما نتج عنها من فوائد على المستوى المحلي والوطني فسـنجد أشـياء إيجابية كثـيرة تحققت خلال العقديـن الأخيرين(١٤٢٦- ١٤٤٦هـ ٢٠٠٥ - ٢٠٢٤م). ونلاحظ إنشاء العديد من المستشفيات الجامعية ومراكز الخدمات الطبية التي ترعاها وتشرف عليها الكليات الصحية في هذه الجامعات.

٢- زرت معظـم الكليـات الصـحية في جامعـات السـروات وتهامـة خـلال ثلاثينيات هـذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، ورأيت ضـمن مرافقها المعماريـة الكثيرة من الأجهزة

الطبية المتقدمة، بالإضافة إلى مكتبات رقمية، ومختبرات طبية مدعومة بأفضل المواد والمعدات الصحية. وشاهدت معظم أعضاء هيئة التدريس من السعوديين، وأكثرهم تخرجوا في كلية الطب بفرع جامعة الملك سعود في أبها (١٤٠١-١٤٢٠هـ/١٩٨١-١٩٩٩م)، ثم واصلوا دراساتهم العليا في عدد من دول العالم الغربي والشرقي، وهم حالياً يتولون الإدارة والقيادة والإشراف على الكليات الطبية في الباحة، وبيشة، وجازان، ونجران.

٣- جمعت الكثير من التقارير السنوية لجامعات السروات وتهامة، واطلعت على التطور الكيفي والكمي لكل جامعة من حيث أعداد الطالبات والطلاب، لجميع المراحل (البكالوريوس، والدبلومات، والماجستير، والدكتوراه)، وأعضاء هيئة التدريس السعوديين وغير السعوديين، وقرأت كيف بدأت كل جامعة وكانت أعداد المتعاقدات والمتعاقدين فيها الأكثرية، وفي عامي (١٤٤٥-١٤٤٦هـ/٢٠٢٣-٢٠٢٤م) ارتفعت نسبة السعوديين في الكليات الصحية وبخاصة في جامعة الملك خالد حتى صارت بعض الأقسام مخدومة بنسبة (٧٠-٩٠٪) من الكوادر الوطنية، ومازال هناك أقسام طبية في بعض الجامعات مثل جازان، ونجران، وبيشة، والباحة ونسبة المتعاقدين فيها تزيد عن (٦٠- ٨٠٪). أما المرافق الطبية العمرانية فأوضاعها في الوقت الحاضر جيدة جداً مقارنة بفترة العشرينيات من هذا القرن، والموظفات والموظفون في عام (١٤٤٥/ ٢٠٢٣م) جميعهم سعوديات وسعوديين ماعدا بعض الإدارات والمراكز والوحدات الفنية والتقنية فأعداد المتعاقدين فيها عالية. ونجد أعداداً كثيرة من المبتعثات والمبتعثين في أقسام صحية متعددة يدرسون دراساتهم العليا في دول عربية، وإسلامية، وأجنبية كثيرة، ولكل كلية صحية أنشطة علمية متنوعة من محاضرات عامة، وندوات ومؤتمرات محلية وإقليمية وعالمية، بالإضافة إلى أوراق بحثية تخصصية متنوعة منشورة في مجلات عربية وأجنبية. والكثير من الجامعات والكليات الصحية التهامية والسروية عقدت تعاون وشراكات مع مؤسسات حكومية وأهلية في المملكة العربية السعودية ، وبعضها وقعت اتفاقيات مع جامعات ومؤسسات علمية ومعرفية عربية وإسلامية وأجنبية.

٤- إذا بحثنا عن ميزانيات الجامعات المحلية منذ نشأتها إلى الآن، نجد الكليات والأقسام الطبية في ميزانية كل جامعة قد حظيت بالنصيب الأوفر من الخدمات التي يعود أثرها على مسارات التعليم والتدريب والإشراف والمتابعات الصحية المتعددة. وعرفت مؤخراً أن بعض الكليات والأقسام الصحية حصلت على تقييمات

واعتمـادات أكاديميـة إقليميـة وعالميـة. ومن يزور جميـع المستشـفيات الحكومية والأهليـة، ومراكـز الرعايـة الصـحية، وبعضـ المستوصـفات الأهلية في حواضـر الطائـف، والليث، والقنفذة. ومناطق عسـير، والباحة، وجازان، ونجران فسـيجد لأسـاتذة وطلاب الكليات الصـحية وجود عملي وعلمي كبير وبخاصة في الحواضر الرئيسـة القريبـة من مقـرات الجامعات الأم، مثـل: مدن أبها، وخميس مشـيط، والباحـة، وبيشـة، ومدينتي جـازان ونجران. ومـن يدرس ريـادة وإبداعات بعض أسـاتذة كليات الطب في المنطقة الجنوبية السـعودية فسـيجد أعداداً كثيرة منهم برعوا في تخصصاتهم ليس على مستوى السروات وتهامة، ومنهم من فاقت سمعته العلمية أرجاء الوطن وامتدت إلى بلدان عربية وإسـلامية وأجنبية عديدة، وتشـير بعض الإحصـائيات إلى تفوق بعض الطالبات والطلاب أو الأسـاتذة الذين حصلوا على جوائز إقليمية وعالمية في بعض منجزاتهم واختراعاتهم العلمية والطبية.

٥- لا ننسى جهود وزارات الصـحة، والداخلية، والدفاع، والحرس الوطني فلها أعمالاً كثيرة ومتنوعة في خدمة الحياة الصـحية في المملكة العربية السـعودية. والوزارات العسـكرية (الدفـاع، والداخليـة، والحرسـ الوطني) طورت منظومتها الصـحية ابتداءً من مدينة الرياض العاصـمة، ثـم امتدت جهودها إلى جميع مناطق المملكة التـي يوجـد فيها مستشـفيات وخدمات صـحية تابعة لهذه الـوزارة، ولم تتوانى في تقديم الكثير من الرعاية والخدمات الطبية المتنوعة لمنسوبي هذه المؤسسات وجميع أفراد أسرهم، وفي بلاد تهامة والسروات إدارات طبية كثيرة تابعة لهذه القطاعات العسكرية، ولها تاريخ واسع ومتشعب في الخدمات الصحية.

٦- اجتهدت وزارة الصـحة في أداء أعمالها الطبيـة منذ كانت مديرية في مكة المكرمة إلى أن صارت وزارة كبيرة تشرف على الحياة الصحية في أرجاء البلاد. ومن يتابع جهودها في مناطق السـروات وتهامة يجد أنها لم تدخر جهداً في تقديم الكثير من الخدمـات ابتـداءً بالطبابات والمراكز الصـحية القليلة والمحـدودة التي ظهرت في النصـف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى أن صـار عندها عشرات المستشفيات الكبيرة والمتوسطة والصغيرة في أنحاء البلاد، ناهيك عن مراكز الرعاية الصحية المنتشـرة في كل مدينة، وحاضـرة، وقرية، وريف، وبادية. كذلك النقاط الصحية، ثم المستوصـفات، ومؤخراً المستشفيات الخاصة الموجودة في كل مكان من السروات وتهامـة وبخاصـة المـدن الكبيرة والمتوسـطة. وإذا بحثنـا في الإحصـائيات المادية والبشرية التي حظيت بها القطاعات الصحية الحكومية والأهلية التي تشرف عليها

وزارة الصحة فإننا سنجد تطوراً هائلاً شمل جميع مفاصل هذا القطاع الحيوي المهم، وتعد العشرين سنة الأخيرة (١٤٢٦ - ١٤٤٦هـ/٢٠٠٥ - ٢٠٢٤م) العصر الذهبي لنهوض وتطور وتنوع الخدمات الطبية التابعة لوزارة الصحة في أرجاء المملكة العربية السعودية .

٧- تجولت في السروات وتهامة خلال الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢١م) ، ورأيت الكثير من الطبيبات والأطباء، والفنيين والمتخصصين الصحيين السعوديين الذين درسوا في كليات طب أو علوم طبية تطبيقية سعودية وغير سعودية وأصبحوا هم الذين يقودون مسيرة الحياة الصحية في أوطانهم ومناطقهم. وشاهدت مئات الصيدليات الحكومية والتجارية المنتشرة في كل ناحية من مناطق تهامة والسراة، ومحلات تجارية أخرى كثيرة متخصصة في مجالات طبية متنوعة مثل نظارات العيون، ومحلات تجميلية، ومواد طبية وأطراف صناعية وغيرها من الأغراض والمهن الصحية. وبعض هذه الخدمات موجودة من تسعينيات القرن الهجري الماضي إلى نهاية العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، لكنها كانت محدودة في المدن الكبيرة ، أما اليوم فصارت في كل مكان من البلاد، ومازالت تزداد انتشاراً وتطوراً كميًّا وكيفيًّا .

٨- دخلت خدمات الإنترنت والتقنية الحديثة في كل شيء في حياة الناس. والقطاعات الصحية من الميادين التي استفادت كثيراً من عالم التقنية. وشاهدت جميع المؤسسات الطبية التوعوية، والتعليمية، والخدماتية، والعلاجية، والفنية، والإدارية والمالية، والإشرافية وغيرها في مناطق السراة وتهامة نجحت في توظيف المجال التقني في أعمالها، وهذا مما جعلها تزدهر وتتطور في ميادين صحية كثيرة خلال العشرين سنة الأخيرة، وسوف نرى في قادم الأيام تطورات أوسع وأكثر وأفضل في العدد والنوع والجودة. والحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم على رسول الهدى محمد بن عبدالله، عليه أفضل الصلاة والتسليم[1] .

---

(١) وجدت قطاع الصحة (الطب والتطبيب) في حواضر ومناطق جنوب المملكة العربية السعودية من الموضوعات الحضارية الحديثة والمعاصرة الكبيرة، وله تاريخ طويل ومتشعب، ولم أجد حتى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) أي دراسة (دراسات علمية) توثيقية ترصد مسيرته خلال العصرين الحديث والمعاصر. أرجو من المؤرخات والمؤرخين التهاميين والسرويين أن يخدموا هذا الميدان وغيره من المجالات الحضارية الأخرى في بحوث علمية جادة وموثقة .

١٢ كلمة عن الأسواق الأسبوعية في جنوب البلاد السعودية[١]

بقلم: أ. د. غيثان بن علي بن جريس

إن جنـوب المملكة العربية السـعودية، من جنوب مكة المكرمـة والطائف إلى حدود جمهورية اليمن، ديار واسـعة متنوعة في جغرافيتها البشـرية وتركيبتها السكانية. ومن يدرس مواردها الطبيعية، وأنشـطة سـكانها المختلفة عبر العصـور التاريخية فسـوف يجدها عالماً كبيراً من التاريخ الحضاري والإنساني[٢].

إذا حصـرنا حديثنا على التاريخ الاقتصـادي والاجتماعي فسـوف نرى الكثير من المعالم والمصادر المادية التي عكست شيئاً من حياة الإنسان التهامية والسروية في هذين المجالين الحضاريين، والكتابة عنهما تملأ مئات الصفحات منذ عصر ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضـر (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، وهذا الميدان مازال بحاجة إلى دراسات علمية عميقة وجادة[٣].

من يقرأ في كتب الحضـارة الإسـلامية بشـكل عـام يجدها تحتوي على إشـارات، وأحياناً صـفحات أو فصول فصلت الحديث عن الأسواق الأسبوعية (الشعبية) خلال القرون الإسـلامية (ق١ـ ق١٤هـ/ق٧ـ ق٢٠م). وشـبه الجزيـرة العربية تأتي من أكثر بلدان العالم الإسلامي التي يوجد فيها أسواقاً أسبوعية. والمعروف أن الأسواق الأسبوعية قديماً لها صلة واسعة وكبيرة بالعشائر والقبائل، وجزيرة العرب كانت ومازالت مأهولة بالقبائل الكثيرة والمتشعبة في تاريخها السياسي والحضاري[٤].

---

(١) مقالة منشورة في صحيفة النماص اليوم الرقمية بتاريخ (١٢/ أغسطس/٢٠٢٥م).

(٢) هذا الذي شاهدته وأنا أتجول في مناطق غامد وزهران (الباحة)، وعسير، وجازان، ونجران من ثمانينيات القرن الهجري الماضـي، فهناك الكثير من الموروث المادي والمعنوي الذي يعكس عمق وأصـالة هذه البلاد. بالإضـافة إلى ما تشـتمل عليه النقوش والرسـومات الصـخرية، والوثائق، والمصـادر والمراجع المطبوعة والمخطوطة التي أرخت لهذه الأوطان التهامية والسروية.

(٣) قـد يقول باحـث أو قارئ " إن هناك قلة أو ندرة في المصـادر التي تؤرخ لهذه الحياة، وبخاصـة في التاريخ القديم، والعصـر الإسـلامي المبكر والوسـيط"، وهذا قول صـحيح، لكن من يعمل ويبحث في تلك العهود القديمة، فقد يجد شذرات عن حياة الأرض والناس، والمصادر الأثرية السطحية والمدفون من الأساسيات في البحث والتوثيق.

(٤) الذي أشـرت إليه في المتن حقيقة واضـحة. فمن يقرأ تاريخ شـبه الجزيرة العربية قبل الإسـلام، وخلال العصـر الإسلامي إلى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) فسـوف يجد معظم القبائل، والعشائر، والبلدان الريفية والمتحضرة لديها أسواقٌ أسبوعية لخدمة الأرض وأهلها.

مما قرأت وسمعت وشاهدت خلال الستين عاماً الماضية (١٣٨٦ - ١٤٤٦هـ/١٩٦٦ - ٢٠٢٥م) مئات الأسواق الأسبوعية في بلدان السروات وتهامة، من مكة المكرمة والطائف إلى منطقتي جازان ونجران، وقد جمعت شيئًا من المصادر والوثائق والصور الفوتوغرافية عن بعضها، ووثقت صفحات محدودة عن أسواق قليلة في جازان، وعسير، والباحة[١]. ولست في هذه المدونة أسعى إلى إنجاز دراسة تفصيلية ووافية عن هذا الموضوع الكبير في مكانه وزمانه. وهو من المشاريع الكبيرة التي يجب خدمتها من الجامعات المحلية، وحبذا أن نرى بعض كلياتها ومراكز أبحاثها تدعمه مادياً وبشرياً وعلمياً[٢].

(*) في الصفحات التالية أدون لمحات عامة عن الأسواق الأسبوعية في جنوب البلاد السعودية مما استطعت قراءته وجمعه، أو شاهدته وتذكرته، وأسجل ذلك في المحاور الآتية:

١. الأسواق الأسبوعية (الشعبية) موجودة في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية منذ آلاف السنين قبل الإسلام، والمصادر التقليدية القديمة، والنقوش والآثار السطحية والمدفونة ذكرت أسماء أسواق عديدة في مناطق نجران، وجازان، وعسير. ونجد بعض كتب السير، والتاريخ الحولي أو الموضوعي (المحلي)، والجغرافيا والرحلات، والأدب تشير إلى بعض الأسواق في تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١ـ ق١١هـ/ق٧ـ ق١٧م)[٣].

٢. إن الأسواق الأسبوعية التي سمعنا أو قرأنا عنها، أو شاهدت بعضها خلال العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م)، والعقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) جزء صغير من حضارة الإنسان عبر أطوار التاريخ. وهذا النوع من الأسواق كانت ومازالت بعضها في كل مكان من العالم، وغالباً تُعقد في يوم واحد من الأسبوع، وفي

(١) من يطالع دراساتي وكتبي التي طبعت ونشرت خلال الأربعين عاماً الماضية (١٤٠٧- ١٤٤٦هـ/ ١٩٨٧- ٢٠٢٤م) فسوف يجد الكثير من الأقسام والصفحات التي أرخت للتاريخ الاقتصادي في بلاد تهامة والسراة، ومنها الأسواق الأسبوعية خلال العصر الإسلامي الوسيط والحديث.

(٢) عملت أستاذاً في كليات وجامعات الجنوب السعودي خمسة عقود (١٣٩٦ـ ١٤٤٤هـ/١٩٧٦ـ ٢٠٢٣م) وقدمت الكثير من الرؤى والمقترحات العلمية البحثية لإدارات هذه المؤسسات العالية، لكنها للأسف لم تعمل أي شيء بخصوص توصياتي التي قدمتها مكتوبة، والكثير منها مطبوع ومنشور في بعض المؤلفات الوثائقية التي صدرت عن مكتبتي (مكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية) .

(٣) للأسف إن هذا الموضوع لم يُدرس في أعمال علمية تفصيلية، وهو من الموضوعات المهمة الجديرة بالخدمة العلمية الجادة.

مكان محدد، وتسمى بأسماء الأيام أو الأماكن التي تقام فيها، وأحياناً تُعرف بعض الأسواق بأسماء أسر أو أشخاص كان لهم جهد وأدوار فعلية في تأسيسها[١].

٣. قـرأت العديد مـن المصـادر والمراجع العربيـة المحليـة، وكتب الرحالـة الأجانب، وآلاف الوثائـق العربيـة ، والعثمانيـة، والأجنبية التي أرخت لبلاد تهامة والسـراة خـلال القرنين الماضـيين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م). واطلعـت فيها على مادة علمية متناثرة رصـدت معلومات جيدة عن أسـواق محلية أسـبوعية في البلاد الممتدة من الليث والطائف إلى مدن وحواضر نجران وجازان. وقرأت عشرات البحوث العلمية والرسائل الجامعية التي صدرت في موضوعات تاريخية وحضارية مختلفة عن هذه البلاد خلال السـتين عاماً الأخـيرة (١٣٨٥-١٤٤٦هــ/١٩٦٥-٢٠٢٤م)، ولا تخلو بعضـها من توثيقات محدودة عن أسـواق أسـبوعية عرفتها جنوب شـبه الجزيرة العربية في العصور القديمة، والإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة[٢].

٤. جمعـت مئات الوثائق الرسـمية والمحلية التي تعود إلى العقود الوسـطى من القرن الهجـري الماضـي (١٣٤٠ــ١٣٧٥هـ/١٩٢١ـــ١٩٥٥م)، ونشـرت الكثـير منها في كتابي: **القـول المكتوب في تاريخ الجنوب (٣١) مجلـداً**، وغيره من مؤلفاتي، وفيها نسـبة كبيرة تؤرخ لنشـاط بعض الأسـواق الأسـبوعية في مناطق عسـير، وجازان، ونجـران، مـن حيـث حمايتها، ومـا يعرض فيها مـن البضـائع ، وإدارة شـؤونها، والضرائب والرسوم الحكومية التي تجبى منها، وبعض لأنشطة والأحداث السياسية والحضارية التي جرت على أرضها[٣].

(١) هذا الذي قرأته في كثير من الكتب والدراسـات التي أرخت للأسـواق الأسـبوعية في دول أوربا، وأمريكا، وإفريقيا، وآسيا، وأستراليا. وليست هذه الأنواع من الأسواق محصورة على الدول العربية أو الإسلامية أو على شبه الجزيرة العربية، لكن جزيرة العرب والبلدان العربية مكتظة بالأسواق الأسبوعية منذ عصور ما قبل الإسلام إلى العصر الحديث.

(٢) قلـت جنوب شـبه الجزيـرة العربية، ومنهـا مناطق جنـوب المملكة العربية السـعودية(الباحة، وعسـير، وجـازان، ونجـران)، وأكثر الأعمال التـي رأيتها من الدراسـات الحديثة والرسـائل الجامعية تركز على اليمن في العصر الحديث، أما بلاد السروات وتهامة في المملكة العربية السعودية، فلم تنل حقها الكافي في الجانب الحضـاري، كالأسواق الأسـبوعية وغيرها. وكتب الرحالةٍ الأجانب والوثائق غيرِ المنشورة مصادر مهمة لمن جمعها واستخدمها في رصد تاريخ هذه البلاد اقتصادياً واجتماعياً وحضارياً.

(٣) هناك آلاف الوثائق العربية غير المنشورة التي أرخت لبلاد تهامة والسراة خلال العقود الوسطى من القرن الهجري الماضـي، ومن يجمع هذه المصـادر ويدرسـها ويحللها ثم يطبعها وينشرها فسوف يخدم المسيرة العلمية والبحثية في بلادنا.

٥- قمت بالكثير من الرحلات الميدانية إلى بلاد الطائف، والقنفذة. وتجولت في حواضر ومدن وقرى عديدة من مناطق الباحة، وعسير، وجازان، ونجران. وزرت عشرات الأسواق الأسبوعية في هذه البلاد من (١٣٩٦-١٤٤٦هـ/ ١٩٧٦-٢٠٢٤م)[١]. وخرجت بالكثير من الانطباعات التي أذكر بعضها في النقاط الآتية :

أ - إن أعداد الأسواق الأسبوعية في بلاد السروات وتهامة تقدر بالمئات . ومنها الأسواق الكبيرة والمهمة في أماكنها ، والقبائل التي تشرف عليها ودورها في خدمة المجتمع، وكانت جميع الأسواق حيوية ونشطة على جميع الأصعدة إلى نهاية العقد الثاني من القرن الحالي (١٥هـ/ ٢٠م) ، ثم بدأت تتراجع تدريجياً ، ولم نصل إلى بداية الثلاثينيات، إلا اندثر معظمها ، ومنها الذي انتهى وألغي تماماً ، وأخرى جرى لها تراجع كبير، وتعقد في الوقت الحاضر بشكل خفيف. وشاهدت في بداية الأربعينيات من هذا القرن (١٥هـ/ ٢١م) بعض أسواق مدن وحواضر ومحافظات في تهامة مازالت أنشط من غيرها في السروات من الطائف إلى نجران[٢] .

ب - المعروف في الماضي أن شيخ القبيلة هو المسؤول مع قومه وجماعته عن حماية السوق والدفاع عنه، وكان معظم الشيوخ ومن يساعدهم في أوطانهم يحضرون يوم السوق للإشراف والحماية وحل ما يطرأ من مشاكل. وكان يحضر معهم موظفون من الدولة السعودية الحديثة لمساعدة الشيخ في ضبط السوق، وجمع الضرائب والرسوم. هكذا كان ديدن الأسواق الأسبوعية في جنوب البلاد السعودية حتى العقود الأخيرة من القرن الهجري الماضي، ثم بدأت مؤسسات الدولة (الإمارة، والشرطة، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبلدية) تتولى خدمة الأسواق الأسبوعية ورعايتها والإشراف عليها، وتراجعت مسؤوليات شيخ القبيلة ومن كان يعاونه من قبيلته أو عشيرته[٣] .

---

(١) لقد وثقت بعض رحلاتي المحلية، وهي منشورة ومتفرقة في الكثير من مؤلفاتي. والأخ الأستاذ الكريم محمد بن أحمد مُعَبر أصدر إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) أربعة مجلدات في حوالي (٢٤٠٠) صفحة بعنوان: الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي (في مؤلفات غيثان بن علي بن جريس) (ق٢- ق١٤هـ/ق٨ - ق٢٠م).

(٢) يلاحظ القارئ والباحث الكريمان أنني لم أذكر أسواقاً محدودة، وأشرت إلى مشاهدات عامة، وربما يعترض البعض ويذكرون أسواقاً مازالت حيوية في السروات ، وليس عندي أي اعتراض فكل سوق قديم ومهم وكبير في هذه البلاد يستحق أن يفرد له دراسة مطولة تخرج في مئات الصفحات .

(٣) وثقت نقاطاً عامة عن حماية الأسواق وأوضاعها في السروات وتهامة خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، وعرفت ذلك من عشرات القواعد القبلية التي جمعتها من أعيان وشيوخ القبائل، بالإضافة إلى الكثير من الوثائق الرسمية

ج ـ ليسـت الأسـواق الأسـبوعية قديماً مخصصـة للبيع والشـراء فقط، بل كان لها أدوارٌ حضـارية كثيرة. فالسـوق بيئة اجتماعية واسعة، يتقابل الناس فيه ويتبادلـون الأخبـار المنوعـة، ويعقدون الصـفقات التجاريـة، أو الاتفاقيات، السياسية والعسكرية والدبلوماسية، أو بعض الأعمال الاجتماعية، وفي السوق تُعلـن الأخبار القبلية، أو الحكومية، أو الوعظيـة والتنويرية، وأحياناً تنفذ في حق الجنـاة بعض الحـدود والعقوبات الشـرعية، وأعمال أخـرى عديدة[١]. وتلك الأنشـطة تختلف من سوق لآخر، فالأسواق الموجودة في مدن أو حواضر أو تجمعـات سـكنية كبيرة، فالحراك يكـون فيها أكبر، مقارنة بالأسـواق في البوادي والأرياف، وعلى طول الطرق التجارية الرئيسية[٢].

د ـ لم تعـد الأسـواق الأسـبوعية اليـوم كما كانـت في الماضـي لانتشـار وهيمنة التجارات اليومية الحديثة. فالسواد الأعظم من الأسواق الأسبوعية تلاشت، ولم نعد نجد لها أثراً وهناك أسواقٌ تولت البلديات إعادة ترميمها وتطويرها عمرانيـاً، وأصـبحت تُعرف باسـم (الأسـواق الشـعبية) وتعمل جميـع أيام الأسـبوع، وفي اليوم الذي عُرف به السـوق في السـابق تزيد نسـبة المرتادين للسـوق في ذلـك اليـوم، وكانت معظم السـلع التي تُعرض في الأسـواق قديماً محليـة، والقائمـون عليها من أهل السـروات وتهامة. أما الأسـواق الشـعبية اليوم ففيها الكثير من السـلع المستوردة، بالإضـافة إلى معروضات مصنوعة داخل شـبه الجزيرة العربية، ومعظم الأيدي العاملـة من الوافدين الذين تم اسـتقدامهم من بلدان عربية وإسـلامية وأجنبية، وأكثرهم من جنوب شرق آسيا (الهند، وبنجلاديش، وإندونيسيا وغيرها)[٣].

التي شـرحت دور المؤسسـات الإدارية في إدارة الأسـواق وحمايتها خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـــ٢١م). ومن يشـتغل على هذا الموضـوع، ويدرس المصـادر والوثائق المكتوبة التي أشـارت إلى إدارة الأسواق الأسبوعية من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) فسوف يفيدنا علميًّا ومعرفيًّا.

(١) اطلعـت علـى الكثير من الوثائق التـي تحتوي على معلومات جيدة عن الأسـواق التهامية والسـروية خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ولا أجد دراسات عميقة وجادة في هذه المحاور الحضارية.

(٢) وجدت في بعض المصادر الإسلامية المبكرة مثل كتب الرحالة والجغرافيين وأيضاً الكتب والمراجع الحديثة إشـارات لطرق الحج والتجـارة التي تربط بين اليمن والحجاز، وتخترق أراضـي السـراة وتهامة، ويوجد عليها عشرات المحطات، التي لا تخلو بعضها من أسواق يرتادها التجار والحجاج، ويجري فيها الكثير من التعاملات التجارية، والصلات الاجتماعية بين المسافرين والسكان المحليين من أهل البوادي والحاضرة.

(٣) حبذا أن نرى مؤرخين محليين يدرسـون تاريخ الأسـواق الأسـبوعية قديماً وحديثاً. كيف كانت في الماضي، والأدوار الرئيسـية التـي قامت بهـا في خدمة المجتمعات؟، وماذا حصـل لهذه الأسـواق في مناطق جنوب المملكـة العربية السـعودية خلال الثلاثين عامـاً الأخيرة (١٤١٥ـــ١٤٤٦هـ/١٩٩٥ـــ٢٠٢٤م)، مع ذكر الحلول المناسبة لتطويرها والاستفادة منها تنموياً وحضارياً؟.

هـ ـ كان يُعرض في الأسواق الأسبوعية قديماً جميع احتياجات الناس، وليس هناك أمكنة أخرى تحل محلها في خدمة الناس اقتصاديًّا. والعاملون فيها من الرجال، ونسبة النساء اللاتي يذهبن أو يعملن في السوق قليلة جداً، وأكثر وجودهن في الأسواق الكبيرة الموجودة في المدن والحواضر. وعند تراجع تلك الأسواق في العقود الأخيرة، واستمرار بعض الأسواق الشعبية، زادت أعداد النساء العاملات، ومنهن السعوديات وأكثرهن كبيرات في السن، ويعمل معهن بعض الخادمات الوافدات من بلدان خارجية. أما المتسوقين فهم خليط من الرجال والنساء، ومن داخل المملكة العربية السعودية وخارجها[١].

وـ قمت بجولات إلى عدد من الأسواق الأسبوعية في محافظات الطائف، والقنفذة، وبيشة، والباحة، وبلجرشي، والنماص، والمجاردة، ومحايل عسير، وأبها، وخميس مشيط، وأحد رفيدة وسراة عبيدة ، وحاضرة نجران، والدرب، وصبيا، وحاضرة جازان، وأبوعريش، وصامطة[٢]. ووجدت في هذه النواحي أسواقاً تم ترميمها وتطويرها حتى صارت تعمل طوال الأسبوع، وصارت مرتادة بنسب قليلة من المتسوقين، لأن الأسواق الحديثة الصغيرة والكبيرة (المولات) أصبحت الأكثر ارتياداً من جميع الأجناس البشرية، وبخاصة النساء من كل الأعمار. ومن يقرأ عن تاريخ ومجد الأسواق الأسبوعية (الشعبية) التي تم زيارتها، ويشاهد ما آلت إليه في وقتنا الحاضر، فإنه يلاحظ الفرق الكبير بين الأثر والتأثير الذي كانت عليه في الماضي والتراجع والمحدودية والانحسار في كل شيء في الوقت الراهن[٣].

---

(١) نجد تحولات كبيرة في كل شيء خلال هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ـ٢١م)، ونهضة البلاد وتطورها في جميع القطاعات من الأسباب الرئيسية في الانفتاح والتوسع الحضاري الذي تمر به المملكة العربية السعودية . وأدركت الدولة مؤخراً أهمية تطوير الاقتصاد من مصادر غير النفط، وتعد السياحة من المجالات الربحية المهمة، وتطوير الأسواق الأسبوعية (الشعبية) وغيرها من الخطط التي تسعى الحكومة إلى تطويرها والاستفادة منها سياحيًّا وتنمويًّا.

(٢) مازال هناك أسواق كثيرة في هذه البلاد لم أزرها، أما الأسواق التي اندثرت ولم يبق لها وجود، فأعدادها بالعشرات، ومازالت بعض أطلالها خراباً وماثلة للعيان. المصدر: مشاهدات الباحث خلال الفترة (١٤١٥- ١٤٤٦هـ/١٩٩٥-٢٠٢٥م).

(٣) إن كل سوق من الأسواق الأسبوعية الموجودة في البلدان الآنف ذكرها في المتن لها تاريخ وسجل طويل زماناً ومكاناً. حبذا أن نرى في قادم الأيام مؤرخين جادين منصفين يصدرون عن كل سوق دراسة مستقلة يوضحون فيها تاريخه في العصر الحديث (ق١٠ــ ق١٤هـ/ق١٦ــ ق ٢٠م)، وحالة كل سوق في الوقت الحاضر.

(*) أعلـم أننـي أوجـزت الحديـث في هـذه الكلمة عن موضـوع كبـير يكتب فيه عشـرات الكتـب والدراسـات العلميـة[(١)]. وفي الفقرات التالية أرصـد بعض النتائج والتوصيات التي خرجت بها من هذه الخلاصة العلمية التوثيقية.

١- كانت الأسـواق الأسـبوعية قطاعاً مهماً وحيوياً لجميع شـرائح المجتمعات التهامية والسـروية، لمـا يجدون فيهـا من خدمات تعـود عليهم بالخـير والبركة في مجالات عديدة، وفي مقدمتها الحياة الاقتصادية.

٢- نجد في تراثنا الشـفوي الشعبي ، وفي مصادرنا ووثائقنا المكتوبة، وفي آثارنا المادية السـطحية مادة علمية كثيرة ومتنوعة عن أسـواقنا الشـعبية (الأسـبوعية)خلال القرون الماضية المتأخرة، ومن يجمع هذه المصادر فسوف يجد فيها تاريخاً حضاريًّا محليًّا مهماً يستحق أن يوثق ويحفظ في أعمال علمية توثيقية جادة.

٣- وقفت على عشـرات الأسواق التي كان لها صيت وذكر في البلاد، وارتبطت بأحداث تاريخية وحضـارية كثيرة، وصـارت اليـوم غير موجودة على الإطـلاق، ولا نرى إلا أطلالهـا ، أو مواقعهـا الجرداء الخالية من الحياة. وأسـواق أخـرى تغيرت معالمها القديمـة، وتم اسـتبدالها بأنماط عمرانية حديثة، تختلـف في المظهر والجوهر عن طبيعة الأسواق الأسبوعية التي عرفها وعاصرها وأدار شؤونها جيل الآباء والأجداد.

٤- من رغب معرفة صـفحات من تاريخ الناس في السـراة وتهامة، فلينظر أو يقرأ عن التجمعات الكبيرة في الأمكنة العامة. والأسـواق الأسـبوعية من أفضل المواقع التي يلتقي فيها الكثير من شـرائح المجتمعـات القبلية أو القروية، ويتخالطون ويتبادلون الكثير من المنافع المادية والمعنوية. وعاصـرت وشاهدت شيئاً من ذلك التاريخ وتلك الحضـارة في بعض أسواق مناطق عسـير، والباحة، وجازان، ونجران خلال القرن الهجري الماضي وهذا القرن (١٣٩٠ـ ١٤١٥هـ/ ١٩٧٠ـ ١٩٩٥م) [(٢)].

٥- يوجـد في جامعاتنا المحلية، والحمدلله، الكثير من الأقسـام الأكاديمية والأسـاتذة المتخصصين في مجالات (التاريخ، والآثار، وعلم الاجتماع وغيرها) ، وعلى الجميع

---

(١) آمـل أن يجـد القارئ والباحـث في هذه المقتطفـات بعض المؤشـرات المعرفية التي تُنـير الطريق لمن رغب العكوف على أعمال أكثر رصانة وعمق وجدية.

(٢) مازالـت الذاكـرة تختزل الكثير من حيـاة الناس العامة في تهامة والسـراة خلال تلك السـنوات المذكورة في المتن. وقد رصـدت شـيئاً من ذلك في بعض مؤلفاتي، ومنها: تاريخ الناس في تهامة والسـراة (١٣٠٠ـ ١٤٤٥هـ)، ومازال عندي الشيء الكثير الجدير بالجمع والتوثيق، وآمل أن يتحقق ذلك في قادم الأيام .

أن يخدموا هذا الوطن المبارك (المملكة العربية السعودية) من خلال بحوثهم ومجالاتهم العلمية. وتأتي أرض السروات وتهامة من البلدان الثرية بتراثها وحضارتها، والحياتين الاقتصادية والاجتماعية وما تشتمل عليه من موضوعات معرفية في مقدمة المجالات الجديرة بالاعتناء العلمي والبحثي.

٦- مازالت تهامة والسراة مليئة بالأسر، أو الأعلام الذين مارسوا التجارة، وارتادوا عشرات الأسواق الأسبوعية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، والعقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ومن يجتهد في الالتقاء بهم وسماع أخبارهم وحياتهم ورواياتهم التي عاصروها وعرفوها وهم يترددون على أسواق جنوب البلاد السعودية، ثم يدون ويحفظ هذا التاريخ، عندئذ سوف نحصل على مادة تاريخية وحضارية محلية يصعب أن نجدها في أي مصدرٍ آخر[١].

٧- إن أسواق السروات وتهامة الأسبوعية (الشعبية) في الماضي والحاضر من الأبواب الحضارية الكبيرة التي تعكس جزئيات كبيرة ومتنوعة عبر العصور . وإيجاد دراسات مقارنة بين القديم والحديث موضوعات مهمة لمن رغب أو سعى إلى خدمتها من الدارسين وطالبات وطلاب الدراسات العليا في جامعاتنا السعودية ، وغيرها من الجامعات العربية والإسلامية. وصلى الله وسلم على رسول الله .

(١) إن مقابلة الرواد الأوائل في أي قطاع، وجمع صفحات من تاريخ بلادنا من خلالهم، يعد ذلك من المصادر المهمة التي لا يلتفت لها كثير من المؤرخين والباحثين وعلى كل مؤلف أو باحث يسير في هذا المنهج أن يكون حذراً ومحتاطاً في جمع معلوماته، فلا تخالطها المجاملات والعواطف، أو عوامل سلبية أخرى تقود الباحث أو المؤرخ إلى توثيق تواريخ غير صحيحة ولا دقيقة. هذا الذي عرفته وشاهدته أثناء تجوالي في بلدان عديدة من تهامة والسراة، وسماعي إلى بعض الرواة الذين تخونهم الذاكرة في صدق ما يقولون ويدلون به، وأحياناً يتعمد بعضهم أن يغالطوا ويزيفوا الحقائق.

١٣ وقفةٌ مع الابتعاث ما لَهُ وما عليه من خلال التجارب والمشاهدات. (أمريكا وبريطانيا أنموذجا)[1]

بقلم. أ. د . غيثان بن علي بن جريس

عشـت حياتي الأولى في سروات محافظة النماص في العقدين الأخيرين من القرن الهجري الماضـي. وكنت أسـمع بعضَ أبناء قبائلنا الذين ذهبوا للدراسة في الغرب، ولم يكـن عنـدي أيُّ خـبرةٍ أو اهتمام بهذا الأمر، وبعد الحصـول على الثانويـة العامة عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، وتحقيق تقدير عـالٍ ذهبت إلى الرياض مثلـي مثلَ غيري أبحث عن وظيفة، وعند وصولي إلى هناك سمعتُ فرصَ ابتعاثٍ إلى أمريكا، فذهبت إلى مقر التسـجيل في وزارة المعارف وقدمت ملفي وفي نفس اليومً حصـلت على القبول للابتعاث في تخصـص إدارة الأعمال، وعند العودة يكون عملي في وزارة البرق والبريد والهاتف، وخلال أربعة أيام حصـلت على جواز سـفر، وكنا في شـهر رجب، والذي قام على إنهاء إجراءات قبولي رجـلٌ أمريكيٌّ يجيدُ التحدثَ باللغة العربية، وقال لي: ارجع إلى أهلك، وبعد عيد الأضـحى تأتي للسـفر. عدت إلى قرية والدي في سـروات حاضـرة النماص، وخلال تلك المدة من شهر رجب إلى شهر ذي الحجة عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦) كنت أسعى إلى جمع معلومات عن أمريكا، وكانت هناك صعوبةٌ كبيرةٌ في الحصول على ذلك، والذي أزعجني حديث بعض الأفراد الأكبرَ مني سـناً والأكثرَ تجربةً في الحياة عندما قالو: إنّ لونَك يميل إلى الأسـود، والبيضُ في أمريكا يذبحون السـود. وأيضـاً كنت الابنَ الوحيدَ للوالدة التي لا ترغب في سفري خارج البلاد، عندئذ ذهبت بعد عيد الأضحى إلى ذلك الأمريكي الذي أنهى أوراقي في البداية، وطلبت منه ملفي، فحاول إقناعي لكنني قررت عدمَ الابتعاث، فأعطاني الملف، وعدت إلى أبها وسجلت في كلية الشريعة واللغة العربية، ثم انتقلت إلى كلية التربية وتخرجت فيها عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

ندمت على الانسـحاب من البعثة، وعرفت أن من يجتهد ويحصل على مستوىً جيد في الجامعة فإنه يسـتطيع الابتعاثَ لبرامج الدراسـات العليا (الماجستير، والدكتوراه)ً. ولم أدخر جهداً في تحقيق هذا الهدف، وتعينت معيداً في قسم التاريخ بفرع جامعة الملك سعود في أبها خلالَ النصف الأولِ من عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، وخلالَ السنوات الأربع التي قضـيتُها في الجامعة جَالسـت وسـمعت وعرفت الكثير من المعلومات عن جامعات

---

(١) مقالة منشورة في صحيفة النماص اليوم الرقمية ، بتاريخ (٧/ أغسطس/٢٠٢٥م).

الغرب وبخاصة أمريكا، وكان معظمُ الذين استمعت إليهم أساتذةٌ عربٌ، ومسلمون، وأجانبُ درسوا في جامعات غربية أو شرقية، ثم جاءوا للعمل كأعضاء هيئة تدريس في كلية التربية بأبها. وكان لبعضهم فضلٌ كبيرٌ عليَّ عندما تعينت معيداً، وبدأتَ أبحثُ عن قبول في جامعات أمريكية، وتلك مرحلةٌ صعبةٌ لكل طالب يرغب الابتعاث؛ لعدم معرفته باللغة الإنجليزية، وكذلك تنوع الإجراءات والشروط التي تطلبها الجامعاتُ والمعاهدُ في الولايات المتحدة الأمريكية. لم يكن عندي أيُّ علم أو خبرة عن الابتعاث إلى دولٍ عربية أو أجنبية أخرى؛ لأن جامعتنا آنذاك (جامعة الملك سعود) توجهك وتجبرك على الابتعاث إلى أمريكا. وبقيت حوالي ثمانيةَ أشهر حتى بدايات عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) أجمع الذي أقدر عليه بخصوص الجامعات الأمريكية، وكلَّ ماله علاقةٌ بالدراسات العليا هناك. وحصلت على القبول في جامعة تكساس بمدينة أوستن، وسافرت إلى هناك في الأشهر الأولى من عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م). وقصةُ سفري من أبها إلى مطار الظهران، ثم مطار هيثرو في لندن (Heathrow Air Port) في بريطانيا، ومنه إلى مطار جون إف كيندي (J F K) في نيويورك، ثم إلى مطار هيوستن في تكساس استغرقت أكثرَ من يومين، وعانيت الكثيرَ من الصعوبات التي يصعب شرحُها في هذه العجالة، وقد شرحت بعضَها في كتابي الذي صدر حديثاً: **ذكرياتُ طالب مبتعث في أمريكا وبريطانيا (١٤٠٠-١٤٠٩هـ/ ١٩٨٠-١٩٨٩م)**. بقيت بضعَ سنوات في أمريكا (١٤٠١-١٤٠٥هـ/ ١٩٨١-١٩٨٥م)، أدرس اللغةَ الإنجليزيةَ ودرجةَ الماجستير، وتنقلت في ثلاث جامعات، وزرت أكثرَ من ثلاثين ولاية أمريكية، وحضرت عشرات الندوات واللقاءات والمؤتمرات، وعرفت وصاحبت آلافَ البشر عرب ومسلمين وغير مسلمين ومن جميع شرائح المجتمع ومن جنسيات عديدة، وقابلت الكثيرَ من العقبات الصحية، والاجتماعية، والفكرية، والثقافية، والعلمية، والتعليمية. وحصلت أيضاً على فوائدَ وإيجابيات كثيرة، وكلُّ هذه المحاور أعمل حالياً على دراستها وتوثيقها ثم طباعتها ونشرها تحت عنوان: **أمريكا كما رأيتُها وعشت فيها (١٤٠١-١٤٠٥هـ/ ١٩٨١-١٩٨٤م)**.قطعت بعثتي عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، وعدت إلى أبها لظروف عديدة جعلتني أتخذ هذا القرار، وكان عدمُ الرغبة في مواصلة دراسة الدكتوراه في الولايات المتحدة الأمريكية أحدَ الأسباب الرئيسة، والحديثُ عن هذه النقطة يحتاج شرحًا في بضع صفحات. وعدت على وظيفتي السابقة نفسها معيداً في كليتي بأبها من عام (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) إلى مطلع عام(١٤٠٧هـ/١٩٨٦ م)، وقابلت الكثير من السلبيات والإيجابيات وسوف أدونها

بالتفصيل في أحد أعمالي العلمية القادمة -بإذن الله-. لكنني أخيرًا قررت الذهاب إلى بريطانيا لدراسة الدكتوراه، وغادرت أبها في بدايات عام (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م) ذاهباً إلى جامعة مانشستر ومكثت فيها حتى نهاية عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) وحصلت على درجة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية. وتجولت في أنحاء المملكة المتحدة، وزرت بعض الدول الأوربية، وشاركت وحضرت محاضرات عامة وندوات ولقاءات عديدة، وتناقشت وجلست مع العديد من الأساتذة المستشرقين الكبار والصغار، وحصلت على الكثير من الخبرات والتجارب، وآمل أن أفصل ذلك في عمل علمي مستقل بعنوان: <u>بعض دول أوربا كما رأيتها وعشت فيها (١٤٠٧-١٤٠٩هـ/١٩٨٧-١٩٨٩م)</u>.

<u>(*) الذي رصدته في الفقرات السابقة إشارات مختصرة جداً، وعندي أملٌ في قادم الأيام أن أكتب عنها في دراسات أطول، وأفضل، وأعمق. وفي الصفحات التالية أذكر شيئاً عن الابتعاث إيجابياته وسلبياته وبخاصة في أمريكا وبريطانيا من خلال المعاصرة والمشاهدة والتجارب، وأرصد ذلك في النقاط التالية:</u>

١- إن القارئ والباحث لتاريخ وحضارة هذا البلد المبارك (المملكة العربية السعودية) من بدايات القرن الهجري الماضي إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، يرى أن من مشاريعه التنموية الكبيرة تعليم إنسان هذه البلاد وتطويره دينياً وأمنياً، وعلمياً ومعرفياً وثقافياً. وكل مجال من هذه القطاعات يكتب فيه عشرات الدراسات العلمية، ومن ذلك الابتعاث الذي بدأ من ستينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكانت أوائل البعثات الطلابية تُرسل إلى بعض الدول العربية، ثم الإسلامية، وأخيراً الأجنبية. وأثناء ابتعاثي إلى أمريكا ثم بريطانيا خلال العقد الأول من هذا القرن(١٥هـ/٢٠م)كانت أعداد المبتعثين السعوديين إلى دول شرقية وغربية تقدر بالآلاف. وصدرت بعض الكتب، والرسائل العلمية الجامعية، والدراسات المحكمة المطبوعة والمنشورة في هذا الباب، ومازال أيضاً ميداناً واسعاً يحتاج إلى عشرات البحوث العلمية المطولة والجادة.

٢- نحن أبناء الشعب السعودي لنا قيمٌ وأعرافٌ وتقاليدُ ومبادئُ، واجتهدت دولتُنا وأهلُنا من الأجداد والجدات، والآباء والأمهات وغيرهم على تربيتنا على الصلاح والثبات على دين الحق، وعلى الفضائل والسلوكيات والآداب الطيبة والنظيفة. ومن يعيش على ذلك ثم ينتقل فجأة إلى بيئة أو بلاد على النقيض مما عرف وتعلم وعاش عليه، وعندئذٍ يحدث له بعض الصدمات النفسية والثقافية والأخلاقية.

وهذا الذي عاصرته وعشته، فعند ذهابي إلى أمريكا حصل لي الكثير جداً من الصعوبات والعقبات ومثلي الكثير، وهناك من جاهد واجتهد حتى نجا من سلبيات كثيرة تعليمية، واجتماعية، وأخلاقية ودينية، ولم تسلم هذه الشريحة من الوقوع في مشاكل عديدة، وكنت واحدًا من أولئك عندما بدأت دراسة اللغة في معهد تجاري في مدينة هيوستن، ثم انتقلت إلى معهد جامعة تكساس في أوستن، ومن صعوبة الدراسة واختلاف كل شيء حصل لي صدمة نفسية وثقافية أدخلتني المستشفى لمدة شهر عام (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، والشيء المؤلم أنهم وضعوني خلال هذا الشهر في قسم الأمراض النفسية، وعشت مع الكثير من الأفراد (ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً) وجميعهم يعانون من أمراض عقلية ونفسية مختلفة، وكنت وقتها لا أعرف أحدًا، اللهم إلا موظفًا في الملحقية التعليمية في مدينة هيوستن أدخلني المستشفى، وبعدها لم أر أحداً، ولم يزرني أيُّ إنسانٍ، وأوشكت أن أفقد عقلي من هول ما رأيته وعشته. ومن المؤكد أنٍ هناك طلاباً عانوا وواجهوا مثلما واجهت وربما أكثر. وعاصرت وشاهدت طلاباً عرباً ومسلمين خرجوا عن الطريق الجادة، وصاروا يقلدون الأمريكان وغيرَهم في سلوكياتٍ ليست من تعاليم الإسلام وقيمه. ووجدت ضمن هذه الفئة من كانوا صغاراً في السن ويدرسون في مرحلة البكالوريوس، وبالتالي فلا يتورعون عن السير في ركاب الغربيين، ومنهم بعض العرب، ومن دول عربية مختلفة فضلوا الزواجَ من نساء غربيات والعيشَ في أمريكا وعدمَ الرغبة في العودة إلى أوطانهم.

٣- كلُّ الطلاب المبتعثين عاشوا وتعايشوا مع المجتمع الغربي في بلدان أمريكا وبريطانيا وغيرها. لكن أحوالَهم وأوضاعَهم الاجتماعية تختلف من مكان لآخر، وللجامعة والجاليات العربية والإسلامية دور كبيرٌ في حياة الطلاب المبتعثين. وبما أني درست في أكثر من جامعة أمريكية وبريطانية، فقد شاهدت دور المساجد والمراكز الإسلامية، وكذلك المجتمعات العربية والإسلامية في المدن التي أقمت فيها فلم تكن على مستوى واحد من خدمة الطلاب المبتعثين العرب والمسلمين، فبعضها كان فيها العديد من الطلاب الجيدين الذين يواصلون دراساتهم، لكنهم لم ينسوا أخواتهم وإخوانهم العربَ والمسلمين، فيقومون على رعاية المساجد والمراكز الإسلامية، ويعقدون اللقاءات والمحاضرات العامة والهادفة لحماية ورعاية المبتعثين وأسرهم، ورأيت الجاليات العربية والإسلامية في بعض جامعات شمال الولايات المتحدة الأمريكية، أفضلَ من جامعات درست بها وبقيت فيها

بعض الوقت في جنوب وغرب البلاد نفسها. وإذا حصرت حديثي على الطالبات والطلاب السعوديين، فقد كانوا في فترةَ ابتعاثي يعيشون أفضلَ وأجملَ أوقاتهم في أمريكا وبريطانيا، وكذلك في بلدان أخرى عديدة، وذلك مما قرأته وسمعتَ عنه. وكانت الدولة (المملكة العربية السعودية) وجميع وزاراتها ومؤسساتها الحكومية والأهلية تبذل قصارى جهودها في خدمة طلابها المبتعثين إدارياً، ومالياً، وتوعوياً، وعلمياً، وصحياً، ونفسياً. وترعى وتدعم السفاراتُ السعوديةُ والملحقياتُ التعليميةُ أنديةَ الطلبةِ السعوديين المنتشرةَ في أرجاء البلاد الأمريكية والبريطانية. وكوني عملت عضواً في إدارة بعض تلك الأندية، وحضرت الكثير من اللقاءات التي كان يعقدها بعضُ المسؤولين في السفارات والملحقيات مع الطلاب المبتعثين، وقد عرفت وشاهدت الكثير من الخدمات والرعاية الكبيرة والمتنوعة. وعندما زار الملكُ فهدُ بنُ عبدالعزيز آل سعود (يرحمه الله) وبعضُ الأمراء والوزراء بريطانيا وأمريكا، كان ضَمنَ برامجهم الالتقاءُ بالطلاب المبتعثين، وقد وجدنا منهم الدعمَ والتوجيه المنقطعَ النظير. ومن يعمل دراسةً مقارنةً بين أحوال وحياة الطلاب السعوديين المبتعثين مع غيرهم من الطلاب العرب والمسلمين، فسوف يجد الفرق الشاسع بين الفريقين. فالطلاب السعوديون ينعمون بأشياء كثيرة غير موجودة عند الآخرين، ومازال طلابُنا المبتعثون حتى الآن يتمتعون بالرعاية الحكومية السعودية في شتى مناحي الحياة.

٤- كان الابتعاث السعودي قديماً يشمل كلَّ التخصصات النظرية، والعلمية. والدراسةُ وبخاصة في برامج الدراسات العليا في دول الغرب وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا جيدةٌ جداً لتوفر جميع الإمكانات الضرورية من مختبرات، ومكتبات، وأساتذة متخصصين. وذهبت في البعثة مرتين إلى أمريكا ثم بريطانيا لدراسة التاريخ والحضارة الإسلامية ، ورأيت وعاصرت طلابًا عربًا ومسلمين كثيرين درسوا تخصصات نظرية عديدة: كاللغة العربية (علم اللسانيات)، والفقه الإسلامي والمقارن، وعلوم القرآن الكريم والسنة النبوية، والجغرافيا، والأدب العربي وغيرها من العلوم الأدبية. وقد يسأل سائل: كيف لأبناء الإسلام والعرب أن يدرسوا هذه العلوم على أيدي أساتذة غربيين؟ وهذا سؤال وجيه، والحقيقة أن تلك البلاد أفضل من ديار العرب في خدمة البحث العلمي، ثم إن عندَهم مكتبات ممتازة لا توجد عندنا، ناهيك عن توفير وتسهيل الخدمات البحثة. ولو درسنًا الفرق بيننا وبينهم في هذا المجال، وجدناهم أفضلَ منا بكثير. وزرت عشرات

المكتبات الجامعية والأهلية في بريطانيا وأمريكا فوجدت بعضَها تشتمل على آلاف المخطوطات، وعشرات الآلاف من المصادر، والمراجع العربية، والفارسية، وغيرها. ومن يذهب إلى هناك للدراسات العليا، ويحرص على الاستفادة من هذه الإمكانات، فتلك فرصة مهمة قد لا يجدها في مكان آخر. وعند عودتي إلى بلادي عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ثم الاستمرار في الدراسة والبحث العلمي وجدت وعرفت الفرق والمعاناة الكبيرة التي يواجهها الطالب والباحث في البلدان العربية والإسلامية.

٥- تعلمون أن تلك الدول الغربية (أمريكا، وبريطانيا وغيرها) حكومات استعمارية، ويرون أوطان الشعوب الأخرى وبخاصة العرب والمسلمين مجالاً مهماً لتطلعاتهم السياسية، وسيطرتهم على مقدراتهم واقتصادهم، ولهذا اجتهدوا في تأسيس الجامعات والمراكز والأقسام الاستشراقية التي يدرسون من خلالها تراث وتاريخ وحضارة الشعوب الإفريقية والآسيوية، ومن خلال هذه المؤسسات العلمية والمعرفية يرسمون خططهم ودسائسهم ومؤامراتهم من أجل التحكم والسيطرة على عقول وبلدان الآخرين. ومن خلال رحلاتي في بلدان الغرب حوالي سبع سنوات درست عند الكثير من المستشرقين، وناقشتهم وتحدثت معهم في أمور كثيرة لها صلة مباشرة وغير مباشرة ببلادنا وتراثنا وحضارتنا العربية والإسلامية، ولم يكونوا على وتيرة واحدة، فالبعض لا يتورع أن يقول ويكتب بغضه لكل شيء له صلة بالإسلام والعرب، وإذا تناقشنا مع هذا النوع لا يتورع في إظهار حقده وكراهيته، وأعرف العديد من الطلاب المسلمين والعرب الذين واجهوا مشاكل كثيرة مع أساتذتهم المشرفين على دراساتهم ورسائلهم العلمية. وصنف آخر يحملون البغض للشعوب الإسلامية وموروثهم، لكنهم لا يصرحون بذلك، ومنهم من يوثق شيئاً من ذلك في دراساتهم العلمية، وغالباً لا يرغبون المواجهة في النقاشات الكلامية. ونوع ثالثٌ أقلَّ حدةً من الصنفين الأولين، وأحياناً يكونون معتدلين ومنصفين في أطروحاتهم. وقد قرأت واطلعت على عشرات الكتب والبحوث للأصناف الثلاثة، ومعظمهم باحثون جيدون في دراساتهم وتحليلاتهم، بصرف النظر عن توجهاتهم وقناعاتهم الفكرية والعقائدية. ومن يدرس جهود المستشرقين في تحقيق ودراسة الكثير من كتب التراث الإسلامية، ويكون حيادياً ومنصفاً، فإنه يرى لهم جهودًا جيدةً وكبيرةً في هذا المجال. وخلال فترة ابتعاثي حضرت مؤتمرات وندوات ولقاءات علمية، وسمعت الكثير من النظريات والتحليلات الجيدة والسيئة، ودونت

توثيقات كثيرة عنها، ومازالت مسـودات في مكتبتي العلمية، وأسأل الله أن يعينني على مراجعتها وتدقيقها ثم طباعتِها ونَشْرِها.

٦- إن أمريكا وبريطانيا وغيرَها مـن دول الغرب مليئةٌ بالأفـكار والآراء والمعتقدات العقائدية الإسلامية وغيرها مـن الديانات والتيـارات الأخرى. وعلى الطالب المسلم المبتعث أو المسافر إلَى تلك الأوطان أن يكون حصيفاً وحذراً، فلا يجلس أو يسمع لكل من هب ودب، وأن يجعل نصب عينه الاستقامة على منهج الله، والخوف مـن عقوبة رب العالمين. ومن إقامتي في تلك البلدان، ودراسـة مواد دراسـية مع لفيـف من الطـلاب مختلفي التوجهات، وحضـوري بعضَ المؤتمرات الإسـلامية وغـيرَ الإسـلامية التي كانت تقام في بعض الولايات أو المدن، ويقـدَّمُ فيها الكثيرُ من المَغالطات والانتكاسـات والتيارات المزعجة والمعوجة، وإذا لم يجتهد المسلمُ في حفظ نفسِه وَتحصينِها، وإلَا قد يقع فَي براثن هذه الأمكنة أو البيئات المَنحرفة.

٧- هنـاك فرقٌ كبيرٌ بين دراسة البرامج العليا في أمريكا وبريطانيا. فالخطط الموجودة في الجامعات والأقسام العلمية الأمريكية تعتمد على التعليم الأفقي، ويكلف الطالب بدراسـة عشرات المواد الدراسية في تخصصه وغيرها. وفي نهاية المطاف يمتحن الامتحان الشـامل، وإذا اجتازه يُعطى مشـروعاً صـغيراً يسـتكمله ويحصـل على الدرجة، وبالتالي فالطالب يهيأ أن يكون مدرسـاً أو أسـتاذاً جامعياً، يستطيع إلقاء المحاضـرات بيسر وسهولة. أما الدراسة في بريطانيا فالطالب ينجز دراسته بشكل عمودي أو رأسـي، ويُعطى عنواناً لبحثه ويقضي كل وقته في إنجاز هذا العمل، وإذا انتهى منه يشكل له لجنة مناقشة تناقشه في الموضوع الذي درسه، وفي النهاية يمنح درجته العلمية. ومن يدرس في البلدين يستطيع أن يجمع بين المنهجين.

٨- إن الطلاب المبتعثين السعوديين إلى بريطانيا أو أمريكا، أو غيرها من دول العالم، لم يكونوا هم المستفيدين علمياً ومعرفياً فقط، بل إن أعداداً كثيرة منهم اصطحبوا معهم زوجاتهم وأولادهم (ذكوراً وإناثاً)، وحصـلوا أيضـاً على نصـيب جيد من العلـم والثقافة والمعرفة. فالبعض من الزوجات نالوا درجات عليا في تخصصـات علميـة وأدبية، وبعض الأبناء أكملـوا تعليمهم العام هناك ثـم التحقوا بجامعات أمريكيـة أو بريطانية جيدة . وكثير من أبنـاء المبتعثين ولدوا أثناء ابتعاث آبائهم، وتلقوا بعضَ تعليمهم العام هناك، وعند عودتهم كانـت لغتُهم الإنجليزية جيدةً، وواصـلوا تعليمَهم الجامعيَّ في المملكة العربية السعودية، وحققوا نجاحات كبيرةً، ثم واصـل بعضُـهم دراسـاتِهم العليا، وتراهـم اليوم يعملون في عشـراتِ الكليات

والأقسام العلمية، في الجامعات أو الوزارات السعودية.

٩- من يرصد تاريخ التطور والتنمية الذي تمر به المملكة العربية السعودية من ثمانينيات القرن الهجري الماضي إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، فإنه يلحظ آثارَ الابتعاث الإيجابيةَ على جميع مؤسسات الدولة الرسمية والأهلية. بل يجد النهضةَ التي تعيشها البلاد خلال العقود الستة الماضية، وكيف أن التعليمَ العامَّ والعاليَ داخلياً وخارجياً قاد البلاد والعباد حتى أصبحت دولتُنا المباركةُ تتصدرُ دولَ العالم في خدمة الإنسان وتطويره في شتى المجالات. ومن يبحث في جهود الدولة في مجال الابتعاث فسوف يرى التقَارير، والسجلات، والوثائق والإحصائيات والصور الفوتوغرافية، والمقاطع الرقمية التي أرَّخت ورصدت مسيرة الابتعاث والمبتعثين، وما حظيت به البلاد من خلالهم من نمو وخير وبركة في جميع القطاعات وعلى كل المستويات.

١٠- أعرف يا إخواني أنني تحدثت في موضوع واسع، ويكتب فيه مئات البحوث العلمية، والشذرات التي تلوتها عليكم جمعتها من خلال رحلتي وابتعاثي إلى الغرب في بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ومن يفرغ نفسه ويعمل على إصدار دراسة علمية رصينة في هذا الباب، فإنه سوف يطلع على الكثير من المصادر والحقائق التاريخية التي تعكس دور الابتعاث السعودي في النهوض بالبلاد إلى مستويات متقدمة، وذلك فضل من الله (عز وجل) ثم جهود حكومتنا المباركة الموفقة (المملكة العربية السعودية) التي بذلت الغالي والرخيصَ من أجل خدمة أرضها وشعبها، فجزى الله ولاة أمرنا كلَّ خير، وحفظ الله بلادَنا من كل شر، وجعلنا أعضاءَ مثمرين صالحين .نافعين لخدمة ديننا وبلادنا وأهلنا، وصلى الله وسلم على رسول الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

(١) قدمت هذه الورقة محاضرة في ثلوثية الأستاذ محمد بن عبدالله بن حميّد في مدينة أبها يوم الثلاثاء (١٤٤٦/١٢/٢٨هـ الموافق ٢٠٢٥/٦/٢٤م).

١٤ رئيس قسم التاريخ والآثار في جامعة الملك خالد يزور مع بعض طلابه (مؤرخ تهامة والسراة: غيثان بن علي بن جريس) في منزله بأبها[1]

بقلم. أ. محمد غرمان العمري

جامعة الملك خالد تسعى إلى خدمة المجتمع على شتى المستويات، وتبذل جهودًا جيدة في خدمة المجتمع. ولا يتسع المجال لرصد جهود ونشاطات هذه المؤسسة التعليمية العالية، فلها الكثير من الأعمال المحلية والإقليمية، ومن يكتب تاريخها فسوف يجد منجزات كثيرة وكبيرة تخرج في مجلدات عديدة.

هذا المقال يرصد نموذجًا صغيرًا لإسهامات جامعة الملك خالد خارج أسوارها الجغرافية والأكاديمية، فهذا رئيس قسم التاريخ والآثار في كلية العلوم الإنسانية بالجامعة الدكتور غرمان بن عبد الله بن غصاب الشهري يقوم على تدريس طلابه في مادة (انتشار الإسلام في العالم)، ومن ضمن المراجع التي قررها على الطلاب كتاب لأستاذه؛ الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس، الموسوم بـ: **(الوجود الإسلامي في أرخبيل الملايو: إندونيسيا وماليزيا أنموذجًا). (ق١ - ق١٠هـ/ق٧ - ق١٦م).**

وفي أثناء متابعة الدكتور غرمان لطلابه في هذه المادة، وجميعهم من مناطق جنوب المملكة العربية السعودية، طلبوا منه الالتقاء بصاحب الكتاب ابن جريس. وللعلاقة الجيدة والطويلة بين الدكتور ابن غصاب وأستاذه ابن جريس وعدهم بالإعداد والترتيب لذلك، وتمت زيارة الدكتور غيثان بن جريس (مؤرخ تهامة والسراة) في منزله بحي المنسك في أبها يوم الأحد (١٤٤٧/٢/٩هـ الموافق ٢٠٢٥/٨/٣م)، وامتد اللقاء من الساعة (٧ــ١١،٣٠) مساءً.

الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس، أستاذ مخضرم، وابن قسم التاريخ في مدينة أبها منذ تأسيسه عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) واستمر طالبًا، ثم معيدًا، فأستاذًا في هذا القسم حوالي خمسين عامًا (١٣٩٦ــ ١٤٤٤هـ/١٩٧٦ــ٢٠٢٣م). فرغبة طلاب الدكتور غرمان (رئيس قسم التاريخ والآثار) مقابلة هذا الأستاذ السعودي السروي والجلوس معه لم تأت من فراغ، فهو من أهل البلاد، وعاصر وعمل في مجال التعليم الجامعي منذ شبابه إلى كهولته. ثم إن الدكتور غرمان بن غصاب أحد أبناء وطلاب

(١) مقالة منشورة في صحيفة النماص اليوم الرقمية، بتاريخ (٧/أغسطس/٢٠٢٥م). ومنشورة أيضاً في موقع رابطة أدباء الشام الإلكتروني، صحيفة وسوم، عدد (١١٣٠)، (٢٠٢٥/٩/٧م).

الدكتور غيثان بن جريس، فلم يكن هناك صعوبة في تحقيق رغبة وطلب الطلاب، للصلة التي بين الإثنين (ابن جريس، وابن غصاب) فتلك صداقة وود وتقدير واحترام.

يحسب للدكتور غرمان بن غصاب، كونه رئيس قسم التاريخ والآثار في هذه الجامعة الرائدة (جامعة الملك خالد) ، أن يحقق رغبة طلابه ويزورون هذا المؤرخ السعودي الذي أفنى عمره في خدمة العلم والتعليم والبحث، ومازال حتى كتابة هذه السطور، وقد قارب السبعين من عمره، يعمل ويدرس ويبحث ويحقق، ونسأل الله أن يمد في عمره على طاعته، ولا يحرمه أجر وثواب ما قدم لأهله وبلاده ووطنه. كما نشكر الأستاذ الدكتور غرمان الشهري على هذا الإخلاص في عمله وخدمة طلابه، وعلى وفائه في الاتصال بأستاذه الدكتور غيثان بن جريس وإخباره برغبة الطلاب زيارته في منزله، وقد وافق ابن جريس على تحقيق تلك الرغبة، واشترط أن يتناولوا العشاء معه، وتم الاتفاق على ذلك.

اجتمع الطلاب مع أستاذهم ورئيس قسمهم في الحي الذي يسكن فيه الدكتور غيثان بن جريس بمدينة أبها، وصلوا المغرب في أحد المساجد القريبة من منزله، ثم دخلوا عند مضيفهم (ابن جريس) وكان في استقبالهم مع بعض أولاده، ورحب بهم أجمل ترحيب، وكان الطلاب من محافظات ومدن عديدة في تهامة والسراة، وقد كانوا فرحين مستبشرين بمقابلة هذا المؤرخ العتيق. دخلوا والدكتور غرمان يتقدم طلابه، وبعد الجلوس وتناول مشروب القهوة تحدث رئيس القسم وذكر أنه يُدرّس الطلاب في مادة (انتشار الإسلام في العالم) ، وقد انتهوا من قارة إفريقيا، وعندما بدأوا دراسة قارة آسيا، وجدوا أن كتاب الدكتور غيثان بن جريس المذكور في بداية المقال جدير أن يكون ضمن الكتب المقررة، وعندما اطلع الطلاب عليه ولخصوا مادته رغبوا زيارة المؤلف والسماع منه، وأيضًا ذكر بعض الآراء والمقترحات عن هذا الكتاب.

هكذا كان قول الدكتور غرمان بن غصاب والهدف من الزيارة، فكرر ابن جريس ترحيبه بهم، ثم رغب الدكتور غيثان ترتيب الحديث والنقاش، لكن قبل ذلك طلب من رئيس القسم تلاوة بعض الآيات الكريمات من كتاب الله، وبعد الانتهاء من التلاوة، فضل الدكتور غيثان بن جريس أن يقرأ عليهم خلاصة مركزة ومختصرة جهزها لهم عن جنوب شرق آسيا وتحديدًا إندونيسيا وماليزيا موضوع الكتاب (الوجود الإسلامي في أرخبيل الملايو...) ، وقد لخص وأوجز ذلك في بضع دقائق، ثم تولى رئيس القسم إدارة الحوار، وبدأ طلابه يذكرون ما توصلوا إليه من قراءة الكتاب، وعند الانتهاء مما جهزوه وكتبوه، بدأ النقاش العام بين الجميع، وطرح الطلاب وأيضًا الدكتور رئيس القسم بعض الاستفسارات والأسئلة على مؤلف الكتاب، وتجاوب معهم وشرح لهم الكثير من الجوانب التي سألوا عنها.

والدكتور غيثان بن جريس ابن المنطقة الجنوبية السعودية، ومن الباحثين في تاريخها وتراثها وموروثها وحضارتها منذ عصور ما قبل الإسلام إلى العصر الحديث والمعاصر، وطبع ونشـر مئـات الكتب والبحوث العلمية حتى صـار يطلق عليه (مـؤرخ الجنوب) أو (مؤرخ تهامة والسـراة) ومن يطّلع على مؤلفاته المتنوعة وفي مقدمتها: **موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب (٣١مجلدًا)**، يعرف ويتأكد له أنه فعلًا جدير بهذه الألقاب.

نجـد المـؤرخ غيثان بـن جريسـ ينتهز الفرصـة واجتماعـه برئيس قسـم التاريخ والآثـار في الجامعة وطلابه الذين هم من سـكان السـروات وتهامة، وبـدأ يتحدث عن تاريخنـا المحلي، وقال: «لقد أحضـرت لـكل واحد منكم هدية عشـرة مؤلفات كلها عن تاريخ وحضـارة بلدان تهامة والسروات من الطائف ومكة المكرمة إلى جازان ونجران»، وأضـاف قائـلا «أرجوكم اهتموا بتدويـن تراث وتواريـخ بلادكم وأهلها، وبخاصـة في العصرين الحديث والمعاصر، وأحضرت لكم أيضا دعوة وطلب مكتوب»، ثم وزع على كل واحد منهم نسخة من تلك الدعوة.

كان عنوان ونص ذلك الطلب على النحو الآتي: « خطاب ودي لطلاب وقسم التاريخ الذيـن زاروني في منزلي بحي المنسـك في مدينة أبها يوم الأحد (٩ صـفر /١٤٤٧هـ): السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد: أرحب بكم وأشكركم على زيارتي مع أستاذكم الوفي الدكتور غرمان بن عبدالله بن غصاب الشهري. وأقول لكم، بارك الله فيكم، أنتم تدرسـون وتتعلمون علم التاريخ في قسـمكم العريق الذي بدأ عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م). وبلادكـم يا أبنائي في حاجتكم علميًا ومعرفيًا وتوثيقيًا، ومن يجد عنده الرغبة والقدرة على كتابة بعض تجاربه ومشاهداته وانطباعاته عن بلاده ومسقط رأسه، وتكون مدونته ذات فائـدة علمية تفيد الباحـث والقارئ فأرجوا العمل على الاعتنـاء بهذا المطلب، ثم ترسـل لي أعمالكم على رقمي (٠٥٠٣٧٣٩٣٧٠) وسـوف أراجعها وأدققها ثم أنشر كل عمل تحت اسم صاحبه، وقد أجمع جميع مدوناتكم وتوضع تحت عنوان رئيسي، ثم تجد طريقها للطباعة والنشر ورقيًا ورقميًا، أرجو ممن يرغب تحقيق هذا المطلب (المقترح) أن يحرص ويجتهد على توثيق مشـاركة جيدة وصـحيحة وحيادية ودقيقة. وتكون المادة المكتوبة من المعاصرة والمشاهدات، وليست من مصادر أو مراجع مكتوبة. وكتبه محبكم الداعي لكم بظهر الغيب غيثان بن علي بن عبد الله بن جريس الثوابي الجبيري الشهري الحجري».

انتهـى اللقاء بأخذ صـورة جماعية، مع أن الاجتماع من أوله إلى آخره تم تسـجيله وتصويره، وقبل مغادرة الزوار، أهداهم المضيف (ابن جريس) كل واحد منهم مجموعة

مجلدات، وجميعها تؤرخ لموضوعات عديدة في تهامة والسراة عبر أطوار التاريخ (القديم، والإسلامي المبكر والوسيط والحديث والمعاصر)، وذهبوا مودعين الدكتور غيثان بن جريس وأولاده.

(*) من هذه الزيارة واللقاء العلمي والاجتماعي بين أساتذة في التاريخ والحضارة والآثار وطلابهم خرجنا ببعض الدروس والفوائد التي نرصد بعضها في النقاط الآتية:

١- أشكر الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس الذي حرص على توثيق هذا اللقاء ورقيًا ورقميًا، ولا يستغرب هذا العمل من ابن جريس فهو يسعى ويجتهد في حفظ تراث وتاريخ السروات وتهامة من عصر ما قبل الإسلام إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، وقد استمتعت بهذا اللقاء الذي شاهدته في الفيديو الذي أرسله لي الدكتور غيثان، وكذلك نسخة من الخطاب الذي وزع على ضيوفه، بالإضافة إلى ما سمعت منه عندما تحدثت معه على الهاتف، وقد اجتهدت في كتابة هذه الورقات حتى أساهم بشيء يسير من الحراك العلمي والثقافي الذي تعيشه بلادنا (المملكة العربية السعودية).

٢- نعلم أن الجامعات من المؤسسات المهمة التي تحرص على تنويع جهودها ونشاطاتها الداخلية والخارجية. وهذه جامعة الملك خالد نجد لها حضور في كل مكان لخدمة البلاد والعباد. وما قام به الأستاذ الدكتور غرمان بن غصاب، رئيس قسم التاريخ والآثار، وطلابه من مبادرة علمية اجتماعية وزيارتهم لأحد أعلام البلاد (مؤرخ تهامة والسراة: غيثان بن علي بن جريس) ليس إلا خطوة موفقة ومباركة للاستفادة العلمية من تجارب وخبرات ورحلة هذا الأستاذ الباحث الذي خدم دينه وبلاده. ونتساءل كيف يكون شعور هؤلاء الطلاب الذين مازالوا في العشرينيات من أعمارهم، وفي بداية رحلتهم العلمية والتعليمية عندما يقابلون هذا المؤرخ الخبير الذي هو أستاذ رئيسهم وأستاذهم. ولا نقول: إلا شكرًا لك يا رئيس قسم التاريخ والآثار، الدكتور غرمان بن غصاب، على هذا العمل، وهذا الدرس العملي الذي يستخلص منه الكثير من العبر والدروس. كما أشكر طلابك الذين طلبوا ورغبوا مقابلة أستاذك الدكتور ابن جريس، وأقول: الحمد لله أن بلادنا ومجتمعاتنا ما زالت بخير، لما يوجد فيها وعند أهلها من الفضائل والقيم والأعمال المباركة والموفقة.

٣- إن مجتمعاتنا صاحبة مبادئ، ولها تراث وتاريخ جميل فهذا أستاذ وطلابه يزورون أستاذًا لهم جميعًا للسلام عليه، والسماع منه حول أحد مؤلفاته عن انتشار الإسلام

في جنوب شــرق آســيا. وهذا الإنســان الذي رغبوا زيارته لم يوافق على الزيارة إلا بالجلوس والاجتماع على وجبة بسيطة بعيدة عن التكلف والمباهاة. وقد وافق الزوار على طلب المضـيف، وتناقشوا وتدارسوا وسمعوا من بعضهم حوالي خمس ساعات، كانــت كلها مثمرة ومفيدة علميًا وثقافيًا ومعرفيًا وبإذن الله (عز وجل) لن يُحرموا جميعًا الأجر والثواب من رب الأرض والسماوات.

٤- من خلال ســماعي للفيديو، وأيضًــا قراءتي الخطاب الذي قدمه الدكتور غيثان بن جريس لضــيوفه اتضــح لي أن هذا الباحث (ابن جريس) يحمــل دائمًا هَــمَّ العلم والبحث وبخاصــة ما يتعلق بأرضــه وبلاده (تهامة والسراة). ومن يقرأ ويطلع على آلاف الصفحات التي ألفها وطبعها ونشرها يجده يردد أهمية خدمة التاريخ المحلي، ويوصــي وينادي الباحثات والباحثين ومؤسســات التعليم العالي بجميع أســاتذتها، وكلياتها، وأقســامها، ومراكز بحوثها على ضــرورة خدمة ودعم وتشــجيع كل عمل بحثي أو علمي له صــلة بالأوطان المحلية وأهلها. ونأمل أن هذه التوصــيات تجد من يخدمها ويحولها إلى برامج ومشاريع علمية على أرض الواقع.

٥- وأخيرًا الحمد لله أننا نرى ونســمع ونتشــارك مع قــدوات ذات عطاءات ومبادرات إيجابيــة في بلادنا. ويجب أن نكون جميعًا كذلك لأننا نعيش في بلاد مباركة، وتحت قيادة حكومة موفقة تحكم بشــريعة الإســلام الصــحيحة، وتبذل قصارى جهودها منذ زمن بعيد على بناء وتطوير أرضها وإنسانها، والذي نشاهد من جهود ومنجزات فردية طيبة ومباركة، فذلك من بركات وخيرات ومســاعي دولتنا العظيمة (المملكة العربية الســعودية) والحمد لله رب العالمين. وصــلى الله وســلم على رســول الهدى محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

١٥ بعض التغيرات والتحولات الحضارية في جنوب المملكة العربية السعودية (تهامة وسراة) في العصرين الحديث والمعاصر .[١]

بقلم. أ. د. غيثان بن علي بن جريس

أولاً : تمهيد :

إن بلاد تهامة والسروات، الواقعة بين اليمن والحجاز، ذات تراث وتاريخ وحضارة عبر العصور التاريخية، والباحث في تراثها وتاريخها وآثارها المادية والمعنوية، السطحية والمدفونة يلحظ شيئاً من موروثها وحضارتها[٢].

من يدرس حياة الأرض والسكان قبل الإسلام وبعده فسيجد تحولات سلبية أو إيجابية، أو تطورات وتراجعات، وما من شك أن السياسة والدين عاملان رئيسيان في إيجاد تغيرات على الناس في شتى مناحي الحياة. فعندما كان التهاميون والسرويون يعيشون في بلادهم قبل الإسلام كان لهم حراك ونشاطات حضارية متنوعة، لكنهم يفتقدون إلى نظام سياسي يوحدهم، وإلى منهج أو حياة عقدية واضحة وعامة يعتقدونها ويتخذونها طريقاً رئيسياً في نظام حياتها[٣].

ظهر الإسلام في مكة المكرمة، ثم المدينة المنورة، وكانت أول دولة إسلامية يتولى إدارتها الرسول الكريم محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، عليه أفضل الصلاة

---

(١) آمل أن أعكف في قادم الأيام على تحويل هذا المقال إلى كتاب أفصل فيه أشياء كثيرة من التحولات والتغيرات التي عاصرتها من عام (١٣٨٠ــ ١٤٤٧هـ/١٩٦٠ــ ٢٠٢٥م).

(٢) إذا نقبنا في تاريخها وتراثها في العصور القديمة ، والقرون الإسلامية المبكرة والوسيطة فإننا نجد سطحية وندرة فيما تم رصده وتوثيقه عنها. ومازالت آثارها المادية في تلك العصور غير مدروسة ولا مخدومة بطرق علمية واسعة وجادة، وإذا خدم هذا المجال فقد نجد شيئاً من تاريخها وحضارتها خلال تلك الأزمان الغابرة .

(٣) نعم كانت عموم البلاد (سراة وتهامة) محكومة بقبائلها وأهلها ، لكنهم غير متحدين سياسياً وإدارياً، ولا يوجد لهم دين وعقيدة واضحة يجتمعون تحتها، ويمارسون حياتهم في استقرار وأمن وأمان، بل كانوا على العكس من ذلك، فأكثرهم يعبدون الأوثان، وكان فيهم من يؤمن ببعض العقائد النصرانية، واليهودية، والمجوسية وغيرها.

والســلام، وصحابته الكرام (رضوان الله عليهم) ، وعندئذ تبدلت أحوال شبه الجزيرة العربية أرضـاً وسكاناً[١] . وبلاد السروات وتهامة، من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران، جزء محدود من جزيرة العرب، لكنها ناحية واسعة وذات كثافة سكانية كبيرة. والباحث في كتب الشـريعة، واللغة والأدب، والتاريـخ والجغرافيا والرحلات، والطبقات والأعلام والأنسـاب وغيرها من مصـادر التراث الإسـلامي يجـد مقتطفات من تاريخ وحضارة البلاد والعباد في الفترة المبكرة من عصر الإسلام[٢] .

صارت دولة الإسلام محكومة سياسياً وإدارياً ، وانتشر الدين الإسلامي في الجزيرة العربية وفي عموم بلاد العرب والمسـلمين. والمتأمل في التاريخ الإداري والسياســي خلال القرون الإسـلامية المبكرة والوسـيطة (ق٢ــ ق١١هـ/ق٨ ــ ق١٧م) فسيجد كماً هائلاً مـن التراث المكتوب الذي فصـل الحديث عن التطورات والتغيرات التي عاشـها العرب والمسلمون في أصقاع العالم (عسكرياً ،وسياسياً ، واجتماعياً ، وعقدياً ، وحضارياً)[٣] .

إذا عدنا إلى جزيرة العرب في العصر الإسلامي الوسيط وجدنا أحوالها السياسية والحضـارية تختلف من مكان إلى آخر، فالبلدان السـاحلية في شـرق الجزيرة العربية وغربها، وبعض حواضـر اليمن والحجاز كانت نشـطة بشـكل كبير في الحياة السياسية المحلية والإقليمية والعالمية[٤] .

---

(١) يوجـد مئات المصـادر والبحوث والمراجع التي فصـلت الحديث عن التحولات التي جرت على عموم شـبه الجزيرة العربية خلال العقود الأربعة الأولى من عصــر الإسلام. ومازال هناك أيضاً عناوين وموضوعات لم تنل حقها من البحث والتحليل والدراسـة، وهذه مسـؤولية المؤرخين والباحثين الجادين المنصـفين من العرب والمسلمين والأجانب.

(٢) ذكرت في سـطور سابقة فقدان الوحدة السياسـية والدينية في تهامة والسراة خصوصاً وفي جزيرة العرب عمومـاً قبـل ظهور الإسـلام، لكن بعد نـزول الوحي على الرسـول الكـريم في الحجاز ثم تأسـيس الدولة الإسـلامية، في المدينة المنورة تغير الحال، وتبدلت أوضـاع النـاس في كل مكان بعد دخولهم دين الإسـلام، وصـاروا أمـة موحدة تحت حكـم الله (عزوجل) ثم إدارة الرسـول (ﷺ) ، وخلفائه الراشـدين. ونجد البلاد وأهلها تحولوا من الفوضـى والضـياع والشتات إلى شعوب تؤمن بالله رباً والرسول (محمداً) نبياً ، بل صـاروا جزءاً من كيان أمة الإسلام التي دسـتورها القرآن الكريم، وكان عليهم الجد والاجتهاد في رفع راية الدين الإسلامي في بلادهم وفي أي مكان يعيشون فيه داخل الجزيرة العربية أو خارجها .

(٣) إن الموروث والتراث الموثق والمكتوب عند العرب والمسلمين خلال القرون العشرة الأولى من عصر الإسلام يفوق الوصف من حيث الكثرة والتنوع. وظهر عند غير المسلمين شرق العالم وغربه الكثير من رجال العلم والسياسـة والدين الذين كتبوا أو شجعوا دراسة أوضـاع العرب والمسلمين السياسية والحضارية، وبالتالي صـار عندنا مـادة علمية كبيرة عربية وإسـلامية وأجنبية وجميعها اهتمت بتاريخ وتراث المسـلمين خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة .

(٤) من يطّلع على مصادر ذلك العصر باللغات العربية والأجنبية فإنه سيجد صحة ما تم الإشارة إليه في المتن، ولا يتسع المجال هنا لذكر تفصيلات وأمثلة ، لكن الظروف العامة والخاصة التي كان يعيشها العالم آنذاك

أمـا المناطق الداخلية الحضـرية والبدوية أوالنائية في شـبه الجزيرة العربية فلم تكن في المسـتوى السياسـي والحضـاري والإداري الذي كانت عليه المناطق المشار إليها في الفقرة السـابقة، مع أن البلاد جميعها مستوطنات بشرية قديمة، ومأهولة بالسكان عـبرٍ أطوار التاريخ. وبلدان السـروات وتهامة في مقدمة تلك الديـار الريفية. والمعزولة غالباً عن حواضـر الجزيرة العربية الكبيرة والمشهورة. وربما يختلف معي بعض القراء والباحثـين ويذكرون بعض الأمكنة مثل: نجران والطائف، وبعض الموانئ على السـاحل الشـرقي للبحر الأحمر، كالبرك، وبيش، وجازان وغيرهـا ، ويقولون تلك بلدان معروفة ومذكـورة في بعضـ كتب التراث العربي والأجنبي، وهذا كلام صـحيح لكننا لا نجد لها ذكراً واسعاً مقارنة ببعض المدن والحواضر في الحجاز، واليمن، والبحرين. وربما كانت في مصاف تلك الحواضر الحجازية واليمنية، لكن لم يكتب تاريخها ، مع أن الذي عرفته وقرأته في العديد من المصادر المبكرة والمتأخرة عن السرويين والتهاميين أنهم كانوا إلى حد كبير يعيشـون في عزلة خلال العصر الإسلامي الوسيط (ق٣ـ ق١١هـ/ق٩ـ ق١٧م) وكانت القبيلة بأعرافها وأعيانها وأعلامها وشـيوخها هم الحاكمون الآمرون لبلادهم وأهلها ، وكانت قبائل وعشـائر هذه الديار تحكم أوطانها بشـكل مستقل، فكل قبيلة هي المسؤولة في أرضها ، وكانت التحالفات القبلية معروفة وسائدة بين أهل البلاد ، وبالتالي فلم يكن هناك قوة سياسـية عامة تحكم الأوطان، مع أن دين الإسـلام هو السائد على جميع أفراد وطبقات المجتمع التهامي والسروي[1] .

جاء العصـر الحديث بعد القرن الحادي عشـر الهجري (السابع عشر الميلادي) ، وبـدأت جزئيـات من تاريخ السـروات وتهامة وغيرها من بلدان شـبه الجزيرة العربية الريفية يرد ذكرها في بعض المصادر (المخطوطات، والوثائق) المحلية والإقليمية .

ونجـد في القرنـين (١٢ـ١٣هـ/١٨ـ١٩م) الكثـير مـن الأمـور العلميـة المعرفيـة التاريخية والحضـارية تتضـح أكثر في مصـادر عربية وأجنبية وبخاصـة عند وصـول

جعلت من هذه البلاد ذات أهمية لشعوب العالم، ومازالت حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م).

(١) الذي ذكرته في المتن موضـوع واسع ومتشعب ويكتب فيه عشـرات الكتب والبحوث العلمية. وللأسف مازال غير مدروس بصـورة كافية، وهو مجال مهم وجديد لمن أراد بحثه ودراسـته من المؤرخين والمتخصصـين والذي لا نجد له مصـادر مكتوبة وموثقة حياة وتاريخ قبائل تهامة والسـراة وبخاصـة في الحياة الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية. ومن يتجول في أرجاء هذه البلاد يلاحظ ويشاهد الكثير من الآثار السـطحية، مثل: المسـاجد، والمقابر، والقرى القديمة، والحصـون والقلاع، والآبار، والأسواق الأسبوعية، والدروب، والعيون والسـدود وغيرها. ومن يبحث في الجانب المعرفي المعنوي العادات والتقاليد الاجتماعية فكل ذلك يعكس صفحات من تاريخ الأرض والناس قديماً وحديثاً.

الدولــة العثمانيــة إلى مواطن كثـيرة داخلية في الجزيرة العربية، ثــم ظهور العديد من القوى الأجنبية على ســواحل البحرِ الأحمرِ الشــرقية، ناهيك عن الإمارات والحكومات المحلية فقد كانت هيِ الأخرى لاعباً رئيسياً في تاريخ وحضارة البلاد. كل هذه الأحداث أثرت سـلباً أو إيجاباً على مسـيرة الحياة العامة والخاصــة. وإذا حصــرنا نقاشنا على أحوال تهامة والســراة فقد كانت مســتمرة في تقوقعها وانطوائها على نفســها وبخاصة البلدان التهامية الداخلية الواقعة عند سفوح السروات الغربية، والديار الجبلية الممتدة من ســروات قحطان وشهران إلى ســروات الطائف وزهران، ومن المؤكد سوف يعترض على توثيقاتي باحثون ومؤرخون، ويذكرون بعض الأنشطة والأحداث السياسية والحربية وربما الحضــارية التي وقعت في البلاد المعنية أثناء امتداد الدولة الســعودية الأولى إلى جنوب شبه الجزيرة العربيةِ، وظهور قوى سياسية محلية في جازان، وعسير وغيرها من أرضِ تهامة والسراة، وأيضاً حروب العثمانيين مع السرويين والتهاميين، وهذه التواريخ فعلاً، حدثت وســاهم فيها ســكان غامد وزهران، والقنفذة، وعسير، وجازان، ونجران وغيرهم، لكن الكثير منها وصلت إليهم بدون رضاهم، ومع ذلك كانت القبائل وشيوخها أصحاب الكلمة الأولى والأخيرة في أوطانهم، وكانت حياة الاضطراب والفوضى وفقدان الأمن والاحتراب المحلي الساري والمعمول به في أرجاء البلاد[١].

ثانياً: بعض التغيرات والتحولات الحضارية في جنوب البلاد السعودية في العصرين الحديث والمعاصر:

إذا كان عنــوان هــذه الورقة التغيرات والتحولات الاجتماعية في تهامة والســراة في العصرين الحديث والمعاصر، فمن خلال السرد السابق منذ فجر الإسلام إلى ثلاثينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومما احتوت عليه المصادر والمراجع من تاريخ وحضارة فإننا نجد الكثير جداً من التحولات التي عرفتها وعاشــتها البلاد، وأهمها أن عموم ســكان الديار صــاروا يدينون بدين الإسلام، وبقوا على ذلك حتى وقتنا الحاضر، بصرف النظر عن التاريخ السياســي والعسكري والإداري الذي عاصــرته الديار وأهلها خلال هذا التاريخ الطويل (ق١ـ ق١٤هـ/ق٧ـ ق ٢٠م)[٢].

---

(١) من يبحث في النقاط المدونة في المتن فسيجد لها الكثير من المصادر والمراجع التي تشرح الحياة السياسية والعســكرية التــي كانت موجــودة في أوطان الســروات وتهامة من نهايــة القرن الثاني عشــر الهجري إلى أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٢) أقــول إن دراســة التغيرات الحضــارية وآثارها علــى البلاد والعباد خــلال تلك القــرون المتتالية مازالت جزئيات جديرة بالاهتمام والبحث العلمي الرصين الجاد، ومن يقوم بذلك فسوف يطلعنا على مادة علمية مهمة وجديدة في بابها.

جاءت الدولة السعودية الحديثة، وهي جزء من الحلقات التاريخية الحضارية التي عرفتها وانضوت تحت لوائها الكثير من بلدان شبه الجزيرة العربية في العصرين الحديث والمعاصر، ولا أسعى في هذه الورقات إلى مناقشة التاريخ السياسي والعسكري الذي جرى في بلدان المملكة العربية السعودية عموماً، ولا في مناطق جنوب المملكة (عسير، وجازان، ونجران، والقنفذة، وغامد وزهران وما جاورها) خصوصاً، وأن هذا الموضوع كبير، وعنه دراسات وتوثيقات عديدة ومتفاوتة في الطول والقصر، وفي العمق والجودة والضعف والركاكة[١].

الذي سوف أركز عليه شذرات من التبدلات والتغيرات الحضارية التي شهدتها أرض تهامة والسراة من أربعينيات القرن الهجري الماضي إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، ولا أدعي أنني سوف أقدم عملاً علمياً تفصيلياً وتحليلياً عميقاً، فليس هذا مكانه، بل الأقسام العلمية ومراكز البحوث التاريخية والحضارية هي المنوطة بمثل هذه المشاريع البحثية الكبيرة، وأرجو أن أوثق لمحات محدودة تساعد وتنير الطريق لباحثات وباحثين، ومؤرخات ومؤرخين صادقين وجادين فيعكفون على دراسة موضوعات مهمة وجديدة تستحق البحث والرصد العلمي الجاد، وفي النقاط التالية أسجل شيئاً مما قرأته أوعرفته أو شاهدته من التحولات الحضارية الحديثة والمعاصرة.

١. إن ظهور الإمام (الملك) عبدالعزيز آل سعود على الساحة السياسية ثم مواصلة مشروع التوحيد السياسي والإداري والأمني لبلدان المملكة العربية السعودية يعد من المعجزات والمنجزات الحديثة التي يصعب أن نجد لها مثيل، فالأوطان وأهلها كانوا ممزقين جغرافياً، وأمنياً، وسياسياً، ونفسياً، واقتصادياً، وحضارياً. ويظهر هذا الرجل العربي الأصيل الذي جعل القرآن الكريم والسنة النبوية منهجه الرئيسي الذي يجب السير عليه والعمل بموجب ما جاء في هذين المصدرين الشرعيين، عندئذ تحقق له الفوز والنجاح، فجمع تلك الكيانات والشعوب المبعثرة والمتناحرة تحت راية التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ولم يتحقق له ذلك إلا بعد عقود عديدة، واجه فيها الكثير من الفتن والكوارث والصعوبات، وفي النهاية رزقه الله النصر والعزة، لأنه تنكب طريق الهدى والرشد والالتزام بما جاء في كتاب الله

(١) هذا مجال واسع، ويوجد عنه الكثير من المصادر والوثائق المخطوطة التي مازالت تستحق الجمع والبحث والتحليل. وهناك بعض البحوث والكتب المطبوعة والمنشورة في الموضوع نفسه، وهي لا تخلو من الإيجابيات والسلبيات، والذي نتطلع إليه دراسات علمية جادة وعميقة وحيادية ونزيهة وشفافة، ونأمل أن تحقق هذه التوصية على أيدي باحثين منصفين وجادين.

وسـنة رسوله (ﷺ)(١). واصـل الإمام عبدالعزيز البناء السياسي والأمني فأسس مؤسسـات حديثة عصرية (سياسية، وأمنية، ودفاعية، وإدارية) تقوم على خدمة البلاد والعباد. ومنذ البداية أمر بتأسـيس قاعدة شرعية وعلمية ومعرفية وتوعوية ودعوية يُرسـم من خلالها سياسـية البلاد واسـتراتيجياتها. ومـن يطالع الأنظمة الرسـمية الأولى التـي قامـت عليهـا الحكومـة في الأربعينيات والخمسـينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) فإنه يتضـح له القوة والمتانة لنشأة الدولة الحديثة، والمنطلقة مـن التشـريعات الربانية الواردة في كتاب الله وسـنة نبيه (عليه أفضـل الصـلاة والسـلام). وكـوني باحثاً ومؤرخاً فقـد قرأت واطلعت وكتبـت في مجالات تاريخية سياسـية وأمنية وإدارية عديدة في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية (عسير، وجازان، ونجران، والباحة)، وعرفت بعض التحولات السياسية والأمنية التي جرت علـى البلاد خلال العقود الوسـطى من القرن الهجري الماضـي (١٣٤٠-١٣٨٠هـ/ ١٩٢١-١٩٦٠م). ومن ثم بدأ الرعب والخوف والقتل والفوضى والتشرذم الذي كان منتشراً في كل مكان يتحول تدريجياً إلى أمن وسلم ونمو واستقرار. هذا الذي وجدته مكتوباً في آلاف الوثائق والسجلات التي اطلعت عليها خلال الخمسين سنة الماضية (١٣٩٦- ١٤٤٦هـ/ ١٩٧٦-٢٠٢٤م)، وجلسـت في عشـرات المجالس الاجتماعية في طول البلاد وعرضها من تسعينيات القرن الهجري الماضي وسمعت الكثير من الرواة الذيـن يقصـون الروايات المتنوعة التي عرفوها وعاصـروها خلال النصـف الأول مـن القـرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، وكانت كلها معاناة ومربكة لأمن واسـتقرار الناس (ذكوراً وإناثاً، صـغاراً وكباراً، حكاماً ومحكومين)، ثم تبدل الحال خلال النصف الثـاني من القرن نفسـه وخلال هذا القـرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م)، وصـاروا ينعمون بالكثير من المناقب والفضـائل التي جلبت لهم الأمن المجتمعي، والتطور الحضاري المادي والمعنوي. ومن تسـعينيات القرن الماضـي إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) أقرأ وأتجول في ربوع بلادي تهامة والسـراة وأشـاهد مئات المؤسسات الدفاعية والأمنية والإدارية والسياسـية التي يعمل فيها آلاف البشر المؤهلين والمزودين بكل الإمكانات والآلات والتقنيات والتدريبات التي تركز على تطوير أنفسهم وأعمالهم حتى يقوموا

(١) قد يظهر من يقول إنني انحرفت عن الحق والصواب، ويصفني بالكذب والتدليس والتزييف والمحاباة، وهذا أمر وارد أن يأتي من يتهمني بذلك. وأقول له يترك كلامي جانباً ويعود إلى المصـادر المبكرة وشـهود العيان من المؤرخين العرب والأجانب الذين عاصـروا الملك عبدالعزيز آل سعود وشاهدوا الكثير من الأحداث التي جرت في عصـره. ومن يعود إلى الوثائق الرسـمية العربية وغير العربية فسـيجد فيها تفصيلات كثيرة عن ذلك التاريخ الذي يؤكد على النجاحات التي حاز عليها ابن سعود بتوفيق الله. (عز وجل).

بواجباتهم في إداراتهم على أكمل وجه. ومن يقارن تاريخ الحياة السياسية والأمنية خلال الثمانين سنة الأخيرة (١٣٦٥ - ١٤٤٦هـ/١٩٤٥- ٢٠٢٤م) مع ما سبقها من عصور فلا يوجد مجال للمقارنة لضعف وتدهور الأوضاع في العصور القديمة، وازدهارها وتطورها في العقود الحديثة والمعاصرة[١].

٢. إذا درسنا حالة الإنسان التهامي والسروي التنموية والحضارية، وجدنا أنها كانت ضعيفة وهشة قبل توحيد المملكة العربية السعودية. فالجميع كانوا يمارسون الكثير من الأعمال والمهن التي يقتاتون من خلالها من رعي، واحتطاب، وصيدٍ، وزراعة، وممارسة بعض الحرف والصناعات المحلية المحدودة، ونسبة قليلة جداً يعملون في التجارة، ومنهم من كان يذهب إلى خارج بلاده من أجل تصدير أو استيراد بعض السلع القليلة والبسيطة. وكان الحصول على الوظيفة شبه نادرة، وإذا وجدت بعض الوظائف فكانت محصورة في الحواضر والمدن الكبيرة، والأفراد الموظفون قليلون من السكان المحليين أو الوافدين. وعند مجيء ابن سعودٍ ثم تأسيس دولته وتوحيد بلدانها عمل على خدمة الإنسان وتطويره معنوياً ومادياً ومعرفياً، وركز على الكثير من القطاعات الحضارية التطويرية، وفي مقدمتها:

أ ـ بسط الأمن السياسي والأمني والعسكري والمجتمعي، وانخرط في هذه الميادين سكان البلاد (المملكة العربية السعودية). واطلعت على الكثير من المصادر والوثائقِ والمراجع التي أوردت آلاف الأسماء التهامية والسروية الذين التحقوا وظيفياً بهذه المجالات خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وصاروا موظفين في خدمة دينهم وبلادهم ومجتمعاتهم في أرجاء الوطن، وفي الوقت نفسه يحصلون على رواتب رسمية مقابل أعمالهم ووظائفهم في الدولة

---

(١) قرات عشرات التقارير ومئات الوثائق التي أرخت للمؤسسات العسكرية والأمنية والدفاعية والقضائية والحقوقية في مناطق عسير، وجازان، ونجران، وغامد وزهران خلال المئة سنة الأخيرة (١٣٤٥- ١٤٤٦هـ/١٩٢٦- ٢٠٢٤م). كما زرت عشرات الإدارات والأقسام في البلاد نفسها، والتقيت وقابلت الكثير من الأعلام الذين عملوا في هذه القطاعات ، وجمعت من جميع هذه المصادر مواد علمية كثيرة وجيدة توضح وتشرح الجهود العظيمة التي بذلتها الدولة في محاربة الفوضى، وترسيخ قدم الأمن والاستقرار حتى أصبحت عموم بلاد السراة وتهامة تعيش في أفضل عصورها بعد أن كانت في حالة صعبة ويرثى لها يوم كانت القبيلة هي المتسلطة وصاحبة النفوذ الكامل على أرضها، وفي حالة حروب واقتتال دائم مع جيرانها من القبائل والعشائر الأخرى، فاللهم لك الحمد والشكر، وغفر اللهُ لك يا عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ولأبنائك الملوك والأمراء من بعدك، فلقد كنتم فتحاً وخيراً وبركة على هذه البلاد المباركة (المملكة العربية السعودية).

الحديثة (المملكة العربية السـعودية) (١). وتوسـع المجـال الوظيفي الحكومي (المـدني، والعسـكري) خلال هذا القـرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م) ثـم جاء وتطور القطاع الخاص (الأهلي) والتحق به ملايين البشر من السعوديين والوافدين، وبالتالي صـار الناس يعيشـون تحت رعايـة وخدمات دولة حديثـة تعمل ليلاً ونهاراً على توفير الأمن والتطور والاستقرار لجميع فئات المجتمع(٢).

ب ـ واجهت الدولة السعودية الحديثة عقبات ومشاكل متنوعة وكثيرة خلال القرن الهجري الماضي، مثل اتساع رقعة البلاد وصعوبة تضاريسها، وتنوع التركيبتين البشرية والجغرافية، وانتشار الفقر والأمية، وضعف وقلة المصادر المادية. ولو توقفت مع كل عنصـر من هذه المحاور فإننا سنجد تاريخ طويل لهذه الميادين في أرجـاء الوطـن، وقـرأت وجمعت مصـادر كثيرة عن بلدان جنـوب المملكة العربية السـعودية (الباحة، وجازان، ونجران، وعسـير) فوجدت الكثير من المعاناة والصـعوبات التي عاشها الناس وعاصرتها الحكومة بجميع موظفيها المدنيين والعسـكريين، ومع استمرار العمل والجهود الكبيرة الجادة والمباركة، ثـم ظهور النفط في البلاد عندئذ بدأت الأمور تدريجياً تسـير نحو الأفضـل، واسـتمر التطور التنموي للأرضٍ والإنسـان، ولم نصـل إلى تسعينيات القرن الهجري الماضـي، وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلا التبدلات والتحولات الحضـارية الإيجابيـة امتـدت إلى الجبل والسـهل، وإلى البـوادي والأرياف والسـواحل، وصار الإنسـان السروي والتهامي السـعودي في رغد من العيش، وفي شتى الميادين والقطاعات (٣).

---

(١) نجد آلاف الموظفين التهاميين والسـرويين الذين التحقوا بالوظائف الأمنية والعسكرية والإدارية في الدولة السـعودية الحديثة (١٣٤٥ــ١٤٠٠هـ/١٩٢٦ــ١٩٨٠م)، وهذا الموضـوع حسـب علمي غير مدروس في أي كتاب أو رسالة علمية، وهو مجال كبير يكتب فيه عشرات الدراسات.

(٢) هذا فعلاً الواقع، فعندما كانت القبيلة هي المتحكمة في إدارة أرضـها وأفرادها وأسـرها، لكن بعد توحيد البلاد تحت نفوذ حكومة عصرية، تغير الوضع وصار ابن القرية أو العشيرة أو القبيلة أو البادية أو الريف ينتمي إلى دولة تحميه وترعى مصـالحه، وأصـبح عضواً صـالحاً وعاملاً في خدمة بلاده (المملكة العربية السـعودية)، وخدمة نفسـه وأهله، وامتد خيره إلى جماعته ومسـقط رأسـه في ميادين كثيرة. وأقول إن خروج الإنسـان التهامي والسـروي من محيط قريته أو عشـيرته أو قبيلته إلى عالم أوسـع وأكبر في وطنه الكبـير، ومـا نتج عن ذلك من تحولات وآثار إيجابية عليه شخصـياً وعلى بلاده من الموضـوعات الجديدة التي تستحق الدارسة في عدد من البحوث العلمية الجادة.

(٣) إن الذي وثقته حقيقة وهذا الذي عكسته آلاف الوثائق المحلية والرسمية، ويرويها مئات الرواة الذين عرفوا وعاشـوا وعاصـروا في مناكب السروات وتهامة من الأربعينيات إلى التسـعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م). ونجد الكثير من المؤلفات والدراسـات العلمية التي أرخت للمملكة العربية السـعودية بشـكل عام، لكننا لا

٣. إذا درسنا قطاعات الدولة المدنية من مؤسسات علمية وتعليمية وثقافية، وقضائية، وفكرية ودعوية، ومالية، واقتصادية، واجتماعية وغيرها، فكل هذه الموضوعات لها تاريخ كبير وحقيقي تدرج ثم تطور في مراحل متتالية منذ توحيد المملكة في خمسينيات القرن الماضي إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م). وقد أنجزت الكثير من البحوث والدراسات العلمية الخاصة ببلدان ومناطق عديدة في عموم تهامة والسراة، لكن الموضوع نفسه أكبر من أن يلم به شخص أو أشخاص معدودون بل هو مشروع كبير يجب أن يُخدم من قبل جامعات الجنوب السعودي المحلية فتشكل فرق علمية جادة ومتخصصة ثم ترعاها بالدعم والتشجيع والمتابعة، وآمل أن أرى ذلك يتحقق في القريب العاجل[١].

٤ـ عشت هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م) وعاصرت الكثير من التغيرات الاجتماعية والحضارية في طول وعرض بلاد تهامة والسراة، وأرصد شذرات مما عرفته أو سمعت عنه في البنود التالية:

أ ـ توفر العمل الحكومي والأهلي، وتحسن دخل الفرد، وانعكس ذلك على الحياة المعيشية، فقد كان الطعام والشراب، واللباس والزينة محدوداً جداً، وعند البعض يكاد يكون غير موجود ثم زاد المال والخير حتى صارت هذه السلع متوفرة في كل قرية ومدينة، ومنزل. وأصبح عند الناس أكثر مما يحتاجونه حتى أن الغالبية (نساءً ورجالاً، صغاراً وكباراً) يمتلكون كميات كثيرة ومتنوعة من اللباس والطعام. وإن ذهبنا إلى متاجر هذه البضائع في أي ناحية من مناطق عسير، وجازان، ونجران، والباحة فإننا نشاهد الأسواق الكثيرة والمتفاوتة في مساحاتها ومحتوياتها والأيدي العاملة فيها، بل نرى أن جميع السلع مستوردة من داخل المملكة العربية السعودية. وللأسف فقد واكب

نجد أعمالاً نوعية ومحددة كتبت تاريخ أهل تهامة والسراة وبخاصة كيف كانوا، وكيف أصبحوا حضارياً وتنموياً خلال القرن الهجري الماضي، أرجو أن نرى مؤرخين ومتخصصين جادين يدرسون هذا المجال دراسة عميقة.

(١) اللهم لك الحمد فقد كان الآباء والأجداد يعانون من الفقر وضيق ذات اليد، وفقدان الأمن، والجهل والأمية. ثم سخر الله لهذا الوطن (المملكة العربية السعودية) رجالاً صالحين يقودهم الباني والمؤسس الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ومن جاء بعده من الملوك فتحولت أوضاع الناس من ضعف إلى قوة، ومن فقر وشتات إلى سعة في العيش واستقرار وطمأنينة، ومن عدم وجود بشر يقرؤون ويكتبون إلى مجتمعات متعلمة، ومن كتاتيب قليلة ومحدودة يقوم عليها بعض المحتسبين إلى آلاف المدارس ومؤسسات تعليمية عامة وعالية تخرج فيها ملايين المتعلمات والمتعلمين.

هذه الطفرة أو الوفرة الكبيرة ظهور بعض العادات والتقاليد السلبية التي لم تكن موجودة من قبل، مثل الإسراف والتبذير في إعداد الأشربة والأطعمة سواء في المنازل، أو المناسبات الاجتماعية الكبيرة والصغيرة، وإن ذهبنا إلى المطاعم والمطابخ التي تتاجر في إعداد الأطعمة والأشربة فهي الأخرى تهدر الطعام بكميات كثيرة، ولاتتورع في رميه في صناديق النفايات، وهناك من يحذر من هذه العادات السيئة لكن لا أحد يستجيب، وعلى جميع طبقات المجتمع مسؤولية عظيمة في محاربة هذه المشكلة والعمل بجد وإخلاص في مواجهتها على المستوى الحكومي والأهلي، ويجب أن تحارب مع نشر الثقافة التوعوية عن خطورتها وما ينجم عنها من آثار غير جيدة كالعقوبات الإلهية، ناهيك عن الآثار المادية والبيئية والسلوكية وغيرها[١]. ومما رأيته وسمعته في التجمعات الصغيرة والكبيرة خلال الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م) التباهي أحياناً بما يقدم في الولائم وعلى الموائد الصغيرة والكبيرة، من خلال الاستعراضِ الاجتماعي وتصوير الأطعمة والأشربة بعد تجهيزها على السفرة ، وغالباً يكون التصوير الرقمي قبل بداية الأكل للضيوف أو من أعدت لهم تلك الموائد، وهناك من يقوم بتصوير الناس وهم يتناولون الطعام، واتسعت دائرة هذه العادة الدخيلة إلى أماكن الطعام والشراب التجارية مثل المطاعم وأماكن المشروبات المنتشرة على طول الطرق الرئيسية والفرعية والأسواق (والمولات) التجارية[٢].

لم تسلم عادات اللباس والزينة من التبدلات، فعندما كان الناس محدودي الدخل، ولهم تقاليد وأعراف عرفوها واكتسبوها من تعاليم الدين الإسلامي، ومن نظم وأعراف أهلهم وبلادهم محلياً، فقد كان لهم أساليب يتبعونها

(١) عاصرت شيئاً من الفقر والجوع والحاجة في بعض البوادي والأرياف خلال الثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ورأيت ما حل ببلدان عربية وإسلامية من الفاقة والجوع، ومازال بعضها حتى الآن(١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) تعيش في فقر شديد. ثم رأيت وسمعت عن الإسراف والتبذير في أرجاء البلاد السعودية، ومما شاهدته ويوجد في مناطق الجنوب السعودي خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م) يوثق في مئات الصفحات، وعلينا جميعاً واجبات ومسؤوليات تجاه هذه الآفات التي يجب مواجهاتها بالكثير من الطرق الرسمية والأهلية .

(٢) هذه عادات لم تكن موجودة إلى نهاية العشرينيات من هذا القرن، وانتشار التقنية الحديثة والتأثر بما يشاهده الناس في الثقافات العربية والأجنبية الوافدة والمنتشرة على وسائل التواصل الاجتماعي تعد من الأسباب الرئيسية التي جعلت أعداد ليست قليلة من الناس (ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً) يمارسون هذه السلوكيات السلبية والدخيلة على تراثنا وثقافتنا وحضارتنا المحلية .

أثناء ارتداء ملابسهم داخل البيوت وخارجها، وفي المناسبات الاجتماعية المختلفة. وشرحت صفحات من ذلك في عدد من كتبي وبحوثي المطبوعة والمنشورة [١]. ومع التطور المادي الذي جرى للناس، ثم التواصل والانفتاح مع شعوب ومجتمعات عربية وإسلامية وأجنبية ظهر الكثير من التقاليد الاجتماعية المصاحبة لأشكال الملابس وأدوات الزينة، وأنواعها، وطرق لبسها داخل المنازل وخارجها. ومن يجري دراسة مقارنة على تاريخ الزينة والملابس قديماً في أرجاء المملكة العربية السعودية، أو في بلدان السروات وتهامة فإنه سيجد تباينات واختلافات كثيرة، ومنها الوفرة والكثرة في وقتنا المعاصر، أما التغيرات فهي كثيرة عند كل الناس، ومنها ألبسة النساء المتعددة والمتنوعة وأغلبها متأثرة بالموضات الأجنبية في شرق العالم وغربه والتي لا تراعي ما نصت عليه كتب الشريعة الإسلامية من حيث الستر والاحتشام الذي يجب على المرأة المسلمة الالتزام به في حياتها العامة والخاصة[٢].

ب - إن طبيعة العمارة الحديثة جلبت الكثير من الإيجابيات والميزات للناس من حيث سعة الدور، ونظافتها، وتعدد مرافقها، وتوفر الخدمات كالكهرباء، ودورات المياه، وتوصيل شبكات الماء في الكثير من المدن الرئيسية وبعض المحافظات والقرى، وجودة الأثاث والأدوات المنزلية. وكل هذه الخدمات صارت موجودة في كل مكان أو عمارة حديثة سكنية، أو تجارية، أو صحية وتعليمية، أو سياحية وترفيهية وغيرها[٣]. ولا يخلو هذا الجانب من تغيرات وتحولات

---

(١) للمزيد انظر: كتاب: عسير (١١٠٠ - ١٤٠٠هـ/١٦٨٨ - ١٩٨٠م) ط١، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، وانظر دراسات عديدة في الموضوع نفسه منشورة في (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٣٢ مجلداً)، وفي مؤلفات أخرى منشورة ورقياً ورقمياً ، للمزيد انظر الموقع الإلكتروني للأستاذ الدكتور غيثان بن جريس، وأيضاً قناته على التليغرام (مكتبة التاريخ العامة).

(٢) إن قضية اللباس موضوع كبير وشائك خصوصاً إذا أخضعنا نوع اللباس وأدوات الزينة عند الرجل والمرأة على حد سواء لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية. وألبسة النساء أكثر حساسية وتعقيداً. ونصوص الشريعة الإسلامية واضحة فيما يجب على المرأة المسلمة في لباسها وزينتها، وللأسف إننا نرى تبدلات سلبية كثيرة في نوع وطريقة ألبستنا اليومية في وقتنا الحاضر.

(٣) هذا الوضع السائد في جميع بلدان المملكة العربية السعودية. وتجولت في أرجاء مدن وقرى وحواضر السروات وتهامة خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠ - ٢١م) وشاهدت الجهود الكبيرة التي بذلتها الدولة في تطوير حياة الناس عمرانياً، ومازالت خطط الحكومة حتى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) مستمرة في تطوير ورعاية هذا المجال. وبذلت الكثير من البحث والجهود في جمع دراسات علمية جادة عن تاريخ البناء والعمارة خلال المئة السنة الأخيرة (١٣٤٥- ١٤٤٦هـ/١٩٢٦-٢٠٢٤م) لكنني للأسف لم أجد شيئاً واضحاً علمياً وبحثياً ، وهذا الميدان جدير أن يخدم من خلال أقسام ومراكز بحوث الجامعات التهامية والسروية .

حضــارية جيدة وسـيئة. فالإيجابيات كثيرة، وأشـرت إلى بعضـها في سطور سابقة والأجمل في ذلك أن نظام العمران أصبح محكوماً بالكثير من الأنظمة والقوانين والإجراءات الرسمية التي تشرف عليها وزارات وإدارات ومؤسسات ومكاتب هندسية رسمية، وصار هناك معاهد، وكليات وأقسام علمية وتعليمية تعلم وتخرج كوادر بشـرية سـعودية تعمل في قطاع العمـارة والعمران. ثم إن الحياة العمرانية متنوعة في أهدافها، ومسـؤولياتها ، ومجالاتها، من سكنية، وتجارية، وصـناعية، وخدماتية تنموية مدنية وعسـكرية، حكومية وأهلية[١]. ونجد التغيرات السلبية كثيرة، ومنها: المبالغات الكبيرة عند بعض السكان في مسـاحات البناء، ونوعية مواد العمران، والأثاث، وبعض السلوكيات والتباهي في عرض بعض الكماليات الموجـودة في بعض المنازل والقصـور الخاصـة. والمؤسسـات الحكوميـة المعنيـة بالبناء والعمـارة تعاني من بعض التعديات والتجاوزات عند بعض الأسـر أو الأفراد الذين يضـعون أيديهم على أراضـي لا يملكونهـا، أو علـى ممتلكات الآخرين، وينتج عن ذلك رفع دعاوى وقضـايا في المحاكـم والإمـارات والبلديات وغيرها تسـتغرق أحياناً شـهوراً وقد تمتد إلى سـنوات. ومع التوسـع الكبير في تعمير المدن، والأحيـاء، والمخططات، إلا أن هناك شـرائح كثيرة في المجتمع مازالوا يعيشـون في منـازل بالإيجار، وفي العشرين سـنة الأخيرة (١٤٢٦ـ ١٤٤٧هـ/٢٠٠٥ـ ٢٠٢٥م). ارتفعت أسعار الأراضــي، والعمارات، والإيجارات بنسـبة كبيرة جداً، وصارت البنوك تورط الكثـير من الموظفـات والموظفين في قروض عقارية باهظة، حتى أن الإنسـان أصبح يعيش في ضائقة مالية كبيرة خلال الحياة اليومية[٢].

ج ـ القطـاع العلمـي التعليمـي، والثقـافي والإعلامي مـن الموضـوعات الكبيرة. ففـي القـرن (١٤هـ/١٩ ـــ ٢٠م) كانت الحيـاة التعليمية والثقافية ضـعيفة ومحدودة، ثم بدأت تنشـط وتتطور تحت مظلة الدولة السعودية الحديثة، ولم

(١) إن البحث في هذا الموضـوع يكفي لإنجاز عشـرات الكتب والبحوث والرسـائل الجامعية. وأحث الأسـاتذة وطلاب الدراسـات العليا في أقسـام التاريخ والحضارة، والهندسـة المعمارية وغيرها أن يسعوا إلى خدمة هذا الباب من خلال دراساتهم العليا في أقسام التاريخ والحضارة، والهندسة المعمارية وغيرها .

(٢) هـذا الـذي عاصـرته وتعاملت معه مـن بداية هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م) إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م). ودراسـات التحولات والتاريخ الإيجابي والسـلبي للعمارة والعمران من الموضـوعات الكبيرة، والذي أشرت إليـه فقط شـذرات محدودة، آمل أن نرى مؤرخين ومهندسـين جادين يدرسـون مسـيرة البنـاء والعمارة في مناطـق عسـير، والباحة، وجـازان ونجران من ثمانينيات القرن الرابع عشـر الهجـري إلى الآن. ومن يتخصص في هذا الجانب فسوف يجد مادة علمية كثيرة وكبيرة تكتب في مئات الأعمال العلمية التوثيقية .

يبـدأ هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلا تغيرت الأحوال من ضـعف إلى قوة، ومن ندرة ومحدودية إلى توسعات تنموية رأسية وأفقية[١].

(*) عشت وارتحلت وعملت ودرست وبحثت في بلاد السروات وتهامة خلال هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ــ ٢١م)، وقرأت وعاصـرت شيئاً من تاريـخ البلاد خلال العقدين الأخيرين من القرن الهجري الماضـي، واسـتطعت الخروج ببعض الخلاصـات التي لها علاقـة بالحياة العلميـة والثقافية والإعلامية إيجابيا أو سـلبيا، وأذكر بعضـها في العناصر التالية :

١. أدركـت الدولـة (وفقها الله) أن عليها الاسـتفادة من تجـارب الآخرين، ومن ثم اسـتقدمت الكثير مـن الكوادر البشـرية العربيـة والأجنبية التي تقـوم على تعليم وتثقيـف وتدريب الإنسـان السـعودي (ذكوراً وإناثـاً) [٢]. وأنشـئت آلاف المدارس، والمعاهد، والكليات، والجامعات، والإدارات والأقسـام العلمية والتعليمية، والثقافية والإعلامية، وجلبت الكثير من الأنظمة والخطط والبرامج من أنحاء العالم من أجل تطوير كل قطاع أو مجال له صلة بالحياة التعليمية والمعرفية والتنويرية والثقافية[٣].

٢. عاصـرت مسـيرة التعليـم والثقافة في مناطق الباحة، وعسـير، وجـازان في العقد الأخـير من القرن (١٤هـ/٢٠م)، والعقد الأول من القرن (١٥هـ/٢٠م). ثم تأملت ودرسـت ورأيت التطور الذي مرت به البلاد مـن عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) إلى الآن

(١) كل من عاش في أي ناحية من بلدان المملكة العربية السعودية من عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م) إلى نهاية العقد الثاني من القرن الحالي (١٥هـ/٢٠م) يلحظ ويدرك النمو والطفرات التعليمية والثقافية والإعلامية التي عاشـتها البلاد رسـمياً وأهلياً. وذلك انعكس على حياة الناس صغاراً وكباراً ذكوراً وإناثا. ونحن في حاجة ماسـة إلى دراسـة هذه التأثيرات الإيجابية على البلاد والعباد، ولا يمنع أن نذكر وندرس الجوانب السلبية التي واكبت هذا النمو الحضاري والمعرفي .

(٢) دراسة استقدام كوادر بشرية من أنحاء العالم لبناء وتطوير الديار السعودية (أرضاً وسكاناً) من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، والآثار الجيدة التي استفادت منها البلاد موضوع مهم ويستحق أن يدرس في الكثير من الكتب والدراسات العلمية .

(٣) أوجزت الحديث عن مجالات معرفية وحيوية كبيرة. ولو توقفنا مع كل مؤسسة علمية وثقافية وإعلامية في بلاد تهامة والسـراة (من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران) فإننا نحتاج إلى مجلدات موسوعية نفصـل فيها تاريخ وتطور هذا القطاع الحضـاري الحديث والمعاصر . مع أنني تنقلت في أرجاء هذه الديار السـعودية العربية العريقة، وألفت عنها عشـرات الكتب والبحوث العلمية في مجالات كثيرة، ومنها الحياة الثقافية والتعليمية والإعلامية، إلا أن هذا الميدان واسـع ويسـتحق أن تتولى الجامعات السـروية والتهامية خدمته من خلال أسـاتذتها وكلياتها وأقسـامها ومراكزها البحثية، وللأسـف إن هذه المؤسسات التعليمية العالية مازالت مقصـرة ودون المأمول في رعاية ودعم وتشـجيع البحث العلمي التنموي الذي تعيشه البلاد من ثمانينيات القرن الهجري الماضي إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م).

(١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) فلم أعد أستطع الإلمام بالنهضة العلمية والإعلامية والثقافية التي حدثـت خلال هذه العقود الماضـية المتأخـرة، وإذا كان الذي جرى يغلـب عليه التقدم والإزدهار للأرض والناس، إلا أنه لا يخلو من السلبيات والمؤثرات التي عادت على البشر بالعديد من المنغصـات الثقافية، والأخلاقية، والسـلوكية، والاجتماعية، والاقتصادية وغيرهـا، وكل هذه الأمور لها معوقات وأسـباب عديدة وفي مقدمتها التوسـع والانفتاح التقني الذي يعيشه العالم، ففي الماضي كانت أوضاع الناس محدودة من خلال الوسائل التقليدية التي كانت متاحة آنذاك، وبعد دخول خدمات الإنترنت إلى عالم الاسـتخدام حـدث انفجار معـرفي وإعلامي وثقافي له ماله وعليه ما عليه من سـلبيات وإيجابيات. والحقيقـة إن في ذلـك فتـح تعليمي كبير ومفيـد، ومن يوظف ذلك في كل عمل صـالح ومثمر فما من شـك أن خيره وأثره طيب ومبارك، أما من يركب موجة الجانب السلبي فالنتائج غير جيدة أخلاقياً ودينياً، وثقافياً، وعلمياً ومعرفياً [١].

د ـ البحـث في تاريخ المجتمع السـروي والتهامـي جغرافياً، واقتصـادياً، وإدارياً، واجتماعيـاً، وسـياحيا. فكل هـذه الأبواب يكتب فيها آلاف الصـفحات لتنوع التاريخ والأحداث والأنشـطة الخاصـة بهذه الميادين، ولن أسـهب في دراسـة هذه الموضوعات، لكنني أشير إلى نقاط قليلة ومحدودة لها صلة بهذا المجال:

١. جغرافية تهامة والسراة مدروسة في العديد من الدراسات، لكن التطور التنموي الذي حدث للبلاد خلال الستين سنة الأخيرة (١٣٨٦ـ١٤٤٦هـ/١٩٦٦ـ٢٠٢٤م) أثر سـلباً على الغطاء النباتي، وزيـادة التلوث البيئي، وتراجـع الزراعة، وقلة المياه الجوفية، وانقراض بعض الكائنات الحية. والدولة وكثير من مؤسسـاتها وبعض الناس يعرفون ذلك ويدركونه، وهناك جهود رسـمية وأهلية في معالجة هذه المشـاكل، لكن الوضع أكبر مما يتصوره الإنسان، ونأمل أن نرى إنجازات علمية وعملية حقيقية تقلل من مخاطر هذه المعوقات[٢]..

(١) لا مجـال لسـرد أمثلة وإحصـائيات، ومن يسـعى إلى تحقيق ذلك فسـيجد مادة علمية كبـيرة تدعم هذا التوجـه. وإيـراد مثل هـذه التوثيقات في هـذه المقالة المحـدودة من أجـل أن يطلع عليها بعض الباحثات والباحثين المتخصصـين، فقد يجدون فيها نقاطاً أو مفاتيح تهديهم إلى دراسـة موضـوعات علمية جادة وعميقة في هيئة بحوث مُحَكّمة، أو رسائل علمية جامعية.

(٢) قرأت العديد من الدراسـات العلمية المطبوعة والمنشـورة التي أشـارت إلى الكثير من المشـاكل الجغرافية الطبيعية والبشـرية خلال العقود السـتة الماضية. كما عاصـرت وشاهدت تحولات سلبية كثيرة جرت على المناخ، والتضاريس والكائنات الحية من نباتات وحيوانات وطيور وغيرها. وقد أكتب دراسات في هذا الباب من خلال ما عرفت ورأيت من تسعينيات القرن الهجري الماضي إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م).

٢. كانت الحياة الاقتصادية قديماً صيد، ورعي، وزراعة، وممارسة حرف تقليدية متنوعة. وفي الوقت الحديث والمعاصر تراجعت مهن الزراعة، والرعي، وتطورت الكثير من الصناعات والمهن إلى ورش ومحلات عديدة ومتنوعة مع استخدام الكهرباء والآلات الحديثة، وأخيراً وظفت التقنية في أعمال صناعية ومهنية صغيرة وكبيرة. أما التجارة فلم تكن منتشرة بشكل كبير خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومنذ تسعينيات القرن الهجري الماضي وهذا القرن (١٥هـ/٢٠ــ٢١م) صارت التجارة هي الحرفة الأولى التي يمارسها الكثير من السرويين والتهاميين (ذكوراً وإناثاً، أفراداً ومجموعات، مؤسسات وشركات). وكانت الأيدي العاملة الوافدة محدودة في القرن الماضي، أما في القرن الحالي فهي العمود الفقري الرئيسي لممارسة الأعمال الاقتصادية المختلفة[١].

الجوانب الإيجابية والسلبية للحياة الاقتصادية كثيرة، ولها صلة بحياة الناس المادية، والسياسية والإدارية، والاجتماعية، والفردية والأسرية والمجتمعية، وأيضاً الظروف والتاريخ المحلي، والإقليمي، والعالمي، وكذلك الحياة الجغرافية، والأمنية والعسكرية، والتركيبة السكانية وغيرها لها آثار جيدة وسيئة على سير الحياة الاقتصادية منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر . وكل هذه العوامل والصلات بين الاقتصاد وغيره مجال واسع وجيد في ميدان البحث والدراسة والتحليل العلمي والتوثيقي[٢].

٣. الناحيتان الإدارية والاجتماعية، قطاعان مهمان ولهما تاريخ طويل ومتشعب. ومما قرأته وسمعته، ثم عاصرته وشاهدته البدايات البسيطة لهذين القطاعين في القرن(١٤هـ/٢٠م)، ثم التطور التاريخي كماً وكيفاً خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠ــ٢١م) في فروع ومجالات إدارية واجتماعية كثيرة. وإذا درسنا موضوع الإيجابيات والسلبيات فسنجد تاريخ حديث ومعاصر للنوعين، وقد تكون ميادين التاريخ الاجتماعي أوسع في النوع والعدد والأحداث . وإذا ركزنا فقط على التقاليد والأعراف والعادات وجدنا تغيرات كثيرة خلال العشرين

(١) لخصت الوضع العام للتاريخ الاقتصادي خلال المئة سنة الأخيرة (١٣٤٦ - ١٤٤٦هـ/١٩٢٧ - ٢٠٢٤م)، وكل النقاط المدونة في المتن جديرة بالبحث الجاد والعميق في عشرات الأبحاث والرسائل الجامعية. وبلاد السروات وتهامة ميدان خصب في هذا الميدان.

(٢) قد ينتقدني بعض القراء على شمولية الحديث وعدم إيراد أمثلة وتفصيلات وإحصائيات دقيقة وموثقة. وهذا الانتقاد في محله، لكن ليس مكانه في هذه الورقات المحدودات، وآمل أن نرى من طالباتنا وطلابنا في أقسام التاريخ من يتولى دراسة هذه المواضيع بطريقة أجود وأفضل وأعمق.

سنة الأخيرة (١٤٢٦-١٤٤٦هـ/٢٠٠٥-٢٠٢٤م)، والانفتاح الحضاري والتقني الذي يعيشــه العالم خلال هذه الفترة عامل مؤثر ورئيســي في ظهور الكثير من المتغيرات الســلبية في حياة العامة والخاصــة (أفراداً وجماعات). وتجولت في عمــوم الســروات وتهامة من عشــرينيات هــذا القرن (١٥هــ/٢١م) إلى عام (١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م)، وزرت الجامعات والكليات في هذه البلاد ولم أجد أقساماً علمية لعلم الاجتماع، والواجب على هذه المؤسســات التعليمية العالية أن تسارع في إنشــاء أقسام ومراكز بحثية اجتماعية ثم تخرج ببعض النتائج والتوصيات التي تساعد السكان في معالجة ظروفهم ومشاكلهم الاجتماعية.

٤. أرض الســروات وتهامة سياحية بامتياز، لجودة غطائها النباتي، وتنوع مناخها وتضاريســها، وتباين تقاليد وأعراف وعادات أهلها. أما عمق وأصــالة وتشعب تاريخها وحضــارتها عبر العصــور فتلك ميزة مهمة وجيدة جداً. ونجد الدولة وأهل البلاد يجتهدون في اســتثمارها سياحياً، والمشوار مازال صعباً وطويلاً في هذا الميدان، ونأمل أن نرى الوزارات والهيئات والمؤسسات المتخصصة في قطاع الســياحة تضــاعف الجهود من حيث العمل والدراسة للسياحة في بلادنا، وعلى المواطنين أيضــاً أن يكونــوا فاعلين وعمليين في تطوير قراهم وبلدانهم (ســراة وتهامة) حتى تكون من المقومات الإيجابية سياحياً وتنموياً. ومما رأيته وعاصرته خلال الخمسين ســنة الأخيرة (١٣٩٦ــ ١٤٤٦هـ/١٩٧٦ــ٢٠٢٤م) إن كثير من الأمكنة السياحية مازالت بحاجة إلى عناية وخدمات تطويرية مع الاستفادة من تجارب وخبرة البلدان العربية والإسلامية والأجنبية التي لها تاريخ طويل وجيد في الحياة الســياحية. كما أن الســكان مازالوا بحاجة إلى توعية وتثقيف علمي ومعرفي بالطرق والوسائل والسلوكيات الجيدة التي تصب في خدمة السياحة في أرجاء البلاد. وزرت مناطق سياحية عديدة في جنوب المملكة العربية السعودية، وشــاهدت بعض الأنشــطة الفردية والجماعية الســلبية التي تصــدر من بعض الســواح تجاه البيئة أو الأمكنة السياحية وما تحتوي عليها من مرافق وإمكانات وأدوات لها علاقة بالأنشــطة السياحية . وأقول: نحن بحاجة إلى مراكز تدريب ومعاهــد وبرامج علمية تركز على تطوير المكان والإنســان في القطاع الســياحي والترفيهي، وإذا توفرت مثل هذه الإدارات والمؤسســات فقد نرفع نســبة الوعي البشري، ونحمي الممتلكات السياحية من التراجع والاندثار[١].

(١) قلت هذه التوصــية بناءً على ما عاصــرته وشــاهدته وأنا أرتحل في مناكب الســراة وتهامة من نهاية القرن الهجري الماضي إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م).

(*) في الختام :

مـرت بلادنـا (تهامة وسـراة) . بحقب عديدة عـبر العصـور التاريخية القديمة، والإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة، والمعاصرة. ولكل زمان ظروفه من حيث وفرة المـادة التاريخيـة أو ندرتها وحديثي في هذه المدونة عن العصـرين الحديث والمعاصـر، وهذا الزمن له تاريخ طويل وموثق في مصـادر ومراجع عديدة لمن رغب دراسـته دراسة علمية جادة. والذي أنجزته توثيق وقفات لبعض التطورات والتبدلات والتحولات السلبية والإيجابية التي مارسها الناس في أوطانهم خلال الخمسين أو الستين عاماً الأخيرة. ولا أدعي الإبداع فيما سـجلته، لكنها محاولة ذكر بعض الإشارات التي قرأتها، أو سمعتها، أو شـاهدها في مناطق جنوب المملكة العربية السـعودية التي مازالت بحاجة إلى خدمة أبنائها من الباحثات والباحثين، ولو اجتهد كل واحد في رصـد شيء من تاريخ وحضارة قريته أو مدينته أو مسقط رأسه فقد نخرج بحصيلة جيدة عن تاريخنا المحلي الحديث والمعاصـر. وأرجـو من يرى عنده المقدرة أن يكتب لمحات مـن تاريخ بلاده وأهلها، فتلك خدمة وطنية يقوم بها الباحث أو الدارس تجاه موطن وبلاد الآباء والأجداد.

القسم الرابع

صفحات من تاريخ عسير الحديث والمعاصر في عين مؤرخ مصر: سردية من التجارب الإنسانية والعلمية (١٤٤٠ - ١٤٤٧هـ / ٢٠١٨ - ٢٠٢٥م)

(الجزء الأول)

القسم الرابع

صفحات من تاريخ عسير الحديث والمعاصر في عين مؤرخ مصري : سردية من التجارب الإنسانية والعلمية (١٤٤٠ - ١٤٤٧هـ / ٢٠١٨ - ٢٠٢٥م) (الجزء الأول) . بقلم. أ.د. عبد العزيز محمد رمضان(١) .

(١) الدكتور عبد العزيز رمضان أستاذ التاريخ في العصور الوسطى بجامعة عين شمس، وفي كلية العلوم الإنسانية في جامعة الملك خالد . باحث جاد ومتمكن في مجال تخصصه، على قدر كبير من اللطف وحسن الخلق . صدر له عشرات الكتب والبحوث العلمية. للمزيد عن سيرته، انظر ، غيثان بن جريس – القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٤٢هـ – ٢٠٢٠م) (الجزء الثامن عشر) ، ص ٣٤ . للمؤلف نفسه منطقة نجران : دراسات، وإضافات، وتعليقات (من قبل الإسلام – ق ١٥هـ/ ق ١– ق ٢١) ، ط٢ (الجزء الثاني)، ص ١١ – ٢١٢، (ابن جريس) .

أولاً : مدخل [١]

عملت في سـلك التعليم الجامعي حوالي نصـف قرن (١٣٩٦ - ١٤٤٤ هـ/ ١٩٧٦ - ٢٠٢٣م) ، وزاملت عشرات الأساتذة المتعاقدين، من بلدان عربية، وإسلامية، وأجنبية، ورايت بعضـهم قضـوا سـنوات طويلة في كليات وجامعات الجنوب السـعودي، وسمعت الكثـير من الأخبـار والروايات والانطباعات التي رووها عن بلادنا (تهامة والسـراة) وأهلها من خلال المشاهدات والتجارب والانطباعات. وكوني أستاذاً في علم التاريخ فقد طلبت من بعضـهم أن يدونوا شـيئا مما عرفوه وعاصروه، وتجاوب معي بعضهم فكتبوا لي لمحات مما عرفوه أو تذكروه ، و طبعت ونشرت بعض مذكراتهم، وما زال في مكتبتي الخاصـة عدد من المدونات التي تحتاج إلى ترتيب ومراجعة، وآمل أن أنشـرها في بعض أعمالي العلمية القادمة[٢] .

لقد اتصـلت ببعض الأساتذة المتعاقدين في أقسام وكليات وجامعات منطقة عسير مـن بدايـة العقد الثـاني في هذا القـرن (١٥ هــ/ ٢٠م) ، وطلبت منهـم أن يكتبوا لي مرئياتهم وانطباعاتهم عن تاريخ وحضـارة بلاد عسـير (تهامة والسـراة) من خلال المعاصـرة والمشاهدات ، وللأسـف أن السـواد الأعظم منهم تجاوبوا مع طلبي مبدئياً، لكنهـم في النهاية لم يوفوا بوعودهم لظروف وأسـباب عديـدة لا مجال لذكرها في هذا المدخل. وهناك أعضاء معدودون زودوني ببعض المدونات المتفاوتة في مستواها العلمي، وما تحتوى عليه من معارف ومعلومات[٣] .

---

(١) هذا المدخل . من إعداد صاحب (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (ابن جريس) .

(٢) نجـد المملكـة العربية السـعودية مرت بالعديـد من مراحل التطـور والتنمية منذ منتصـف القرن (١٤ / ٢٠م) إلى الآن (١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م) ، وقد فتحت الباب لاسـتقدام الكثير من البشـر والجنسيات العربية والأجنبيـة الذيـن جاءوا إلى بلادنا، وسـاهموا في البناء والتطوير خلال العقود التسـعة الماضـية (١٣٥٥ - ١٤٤٦ هـ / ١٩٣٦ - ٢٠٢٤م)، وتعد شـريحة المدرسـات والمدرسـين في التعليم العام ، ثم أعضـاء هيئة التدريس بالكليات والجامعات من أكثر الشـرائح التي قدمت إلى المملكة وخدمت في قطاع التعليم ، وكانت النتيجة تعليم وتطوير الطلاب السعودبين (ذكوراً واناثا) حتى صاروا يقودون مسيرة التعليم في كل مكان هذا الذي قرأته وشاهدته من ثمانينيات القرن الهجري الماضى إلى الآن (١٤٤٧ هـ / ٢٠٢٥م) . وللأسف فإن تاريخ المتعاقدات والمتعاقدين وأثارهم وتأثيرهم على المجتمع السـعودي غير موثقة ولا مدروسـة ، مع أنهم من المصادر المهمة لمن أراد كتابة تاريخ التعليم العام والعالي في أي مكان من الوطن (المملكة العربية السـعودية)، وأمل أن نرى باحثين جادين يدرسـون هذا الموضـوع في العديد من الكتب العلمية والرسـائل الجامعية .

(٣) قد يكون لي في المسـتقبل دراسـة مطولة في هذا المنهج الذي استكتبت الكثير من خلاله والكثير من شرائح المجتمـع التهامـي والسـروي، ومنهـم الذين عملوا في مجـال التعليم العـام والعالي من السـعوديين وغير السعوديين، وعندي الكثير من المدونات والمصادر والوثائق التي لها صلة بهذا الجانب المعرفي .

نأتي إلى صاحبنا الذي دون هذه السردية الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن محمد ابن رمضان (مصري الجنسية)، فقد تعرفت على هذا الرجل من عام (١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م)، وزرته وزارني ثم شاركني بالعديد من الدراسات العلمية القيمة التي تم نشرها في بضعة أجزاء من **(موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب)**، وأخيراً أرسل لي هذه المدونة الجيدة التي ذكر فيها الكثير من الموضوعات العلمية والاجتماعية والإنسانية في محيط حاضرة أبها، وفي المدن المقدسة (مكة المكرمة والمدينة المنورة) وغيرها من الموضوعات التي أوردها في طيات بحثه، ولن أتكلم عن مادة هذه السردية التاريخية، لأن فيها ما يكفي من التفصيلات التاريخية و الحضارية الحديثة والمعاصرة لكنني أورد بعض أنطباعاتي علي الأستاذ الكاتب في البنود الآتية:

١- لقد جلست وتناقشت وسمعت واستكتبت الكثير من أساتذة الجامعات العربية والأجنبية، ووجدتهم يتفاوتون في مستوياتهم وقدراتهم العلمية والتعليمية والمعرفية، ووجدت هذا الأستاذ؛ الأستاذ (عبد العزير رمضان) يأتي في الطليعة علماً، وأدباً، وخلقاً، وموضوعية، وشفافية، وعندما يكون المؤرخ بهذه الصفات الايجابية فهو فعلاً أستاذ مميز، لأنه أمتلك الكثير من صفات الإنسان المسلم الصادق والعالم المؤرخ الجاد.

٢- ايضاً تحدثت واستمعت إلى العديد من الأساتذة السعوديين، والمصريين وغيرهم ممن عرفوا وتعاملوا مع الدكتور عبد العزيز رمضان فوجدتهم يتفقون معي فيما ذهبت إليه من حيث التمكن العلمي، وطيب المعشر. بل إنني جلست وسمعت بعض الطالبات وطلاب الدراسات العليا في أبها والرياض، وتحديداً في جامعة الملك خالد، ودارة الملك عبد العزيز فوجدتهم يثنوا على الدكتور ابن رمضان علمياً وأخلاقياً. وأقول هنيئاً لك يا دكتور عبد العزير على هذا الذكر الطيب والسمعة الحسنة، وأرجو أن تواصل مسيرتك الطيبة والمباركة التي لن تجني منها (بإذن الله تعالى) إلا الأجر والتوفيق والسداد في الدنيا والآخرة.

٣- ربما يأتي من يقول: أن الذي ذكرته عن هذا الأستاذ المصري محاباة ومجالة. ومن يعرفني جيداً يدرك أنني لا أجامل في ميدان العلم والمعرفة، وحالياً خارج الجامعة، وليس لي مصلحة كي أمدحه بما ليس فيه، وهو فعلاً ليس بحاجة إلى مدحي، لكنه، ويشهد الله على ما أقول، شهادة حق، والذي قلته بخصوص هذا الأستاذ النشط المبدع أقل مما يستحقه، ولست ذلك الإنسان الذي جاء من خارج الجامعة، بل تعلمت في عدد من الجامعات العربية والأجنبية، ثم عملت في جامعتي الملك سعود،

والملك خالد (٤٤) عاماً ، فأدرك وأعرف ما أقول عندما أحكم على أستاذ أكاديمي في علم التاريخ ومن شريحة المؤرخين.

٤- أعلم يابن رمضان أنني قد أزعجتك في طلبي بخصوص هذه السردية، وقد تحملتني أكـثر مــن عام كامل وأنا أردد طلبي عليك، وكنت أحيانــاً تردني رداً جميلاً ، وتبدى العديد من الأعذار لكثرة مسؤولياتك الخاصة والعامة، لكن للطفك وحسن حلقك، وطيــب معدنك كنــت تجاملني وتطلب بعضــ الوقت. وقد وصــلت في بعض الأوقات إلى مرحلــة اليأســ ، وأقول : أن الدكتور عبد العزيز لن يــوفي بوعده، وبعد تكراري الإرســال والاتصال بكم تحقق ما طلبت وأرسلت لي هذه المدونة الجميلة الصادقة التي تحتوي على معلومات قيمة يصعب أن نجدها في أي مصدر آخر، وسوف تكون في قادم الأيام وثيقة تاريخية يســتفيد منها الكثير من الباحثات والباحثين وطلاب العلم، فجزاك الله عنا كل خير، وأجزل لكم الأجر والثواب.

٥- أرجــو المعذرة يا دكتور عبد العزيز لانني أجريت بعضــ التعديلات التي أعتقد أنها تخــدم المادة العلمية الموثقة، وأيضــاً غيرت عنوان الســردية بعنــوان أرجو أن يكون الأقرب إلى المحتوى العام . واعرف أنك لا تريد مصطلح (مؤرخ مصري) الوارد في العنوان، وتفضــل أن يكون (أستاذ وافد) . وإذا كنت يادكتور لا ترى نفسك مؤرخاً ، وتجد أنك أقل من ذلك فهذا وأيم الله تواضــع منك ، بل أنت أستاذ ، ومؤرخ، وعالم زادك الله من فضله، وكرمه ، وبركاته ، وجوده و صل الله وسلم على رسول الله[1] .

(١) ما زال في كلياتنا وجامعاتنا التهامية والســروية عشــرات الأساتذة الســعوديين والمتعاقدين الذين يعرفون الكثير من تاريخنا المحلي . من خلال مسيرتهم التعليمية والوظيفية، أمل أن نرى من يجد في نفسة النشاط والقدرة فيكتب لنا صــفحات مما عاصــر و عرف وشــاهد، ومن يفعل ذلك فهو يخدمنا معاشــر الدارسين ويطلعنا على تواريخ حضارية محلية، لم نسمع بها ولا نعرفها (والله من وراء القصد) .

ثانياً : صفحات من تاريخ عسير الحديث والمعاصر في عين مؤرخ مصري: سردية من التجارب الإنسانية والعلمية (١٤٤٠ - ١٤٤٧هـ / ٢٠١٨ - ٢٠٢٥م)

١ - المقدمة:

في الخامس من نوفمبر من عام (٢٠١٨م)، غادرتُ مطار القاهرة في رحلة مباشرة إلى مطار أبها، وكان قلبي آنذاك مسرحًا لعاصفة من المشاعر المتباينة. لم تكن الرحلة مجرد انتقال جغرافي من مدينة إلى أخرى، بل كانت اقتلاعًا رقيقًا من تربةٍ عشت فيها عمرًا بأكمله.

كنت أترك خلفي جامعتي الأم، عين شمس، التي لم تكن مجرد مؤسسة علمية، بل كانت بيتي الأول، وموطئ خطاي منذ أن عُينتُ معيدًا بها عام (١٩٩٤م). تسعة وعشرون عامًا من الذكريات، والمكاتب، والمحاضرات، وملامح الوجوه التي عبرت حياتي كأنها محطات نور، أودعها الآن وأنا أستعد لسنوات إعارة طويلة في جامعة الملك خالد بأبها (المملكة العربية السعودية)، حيث لا أعرف ما ينتظرني، لكني أحمل معي كل ما علّمتني إياه تلك السنوات: العلم، والانتماء، وألم الفراق.

٢- فكرة السفر:

ظلت فكرة السفر الطويل مؤجلة في ذهني قرابة عقدين من الزمان، كأنها ظلّ يتوارى خلف أولويات الحياة وتفاصيلها المزدحمة. كنت أؤثر خوض تجارب السفر القصيرة، تلك التي تمنحك نفحة من الغربة دون أن تخلعك من جذورك. هكذا التحقت بجامعة السلطان قابوس أستاذًا زائرًا لفصل، ثم ارتحلت إلى جامعة برلين الحرة باحثًا ما بعد الدكتوراه، في رحلات لا تتجاوز الستة أشهر، تنتهي قبل أن تبدأ في التآلف العميق مع المكان. كنت أعود دومًا إلى القاهرة، إلى جامعتي، إلى مكتبي القديم ورفوف الكتب التي تحفظ ترتيبها كما تركته. أما السفر الطويل - ذلك الذي ينقل المرء من موقع الثبات إلى مفترق التحوّل - فقد ظل مؤجلاً حتى جاء موعده في نوفمبر (٢٠١٨م)، وكأن العمر قد قرر أن ينفتح على فصل جديد، كنت أتهيّب بدايته بقدر ما أتطلّع إليها.

كانت بداية العقد الخامس من حياتي محطة للتأمل العميق وإعادة ترتيب الأولويات، لحظة صمت داخلي تفرضها ضرورات الحياة ومتطلباتها، وتدفعك للتفكير في مرحلة طال تأجيلها. أعني بذلك الإعارة إلى إحدى الجامعات الخليجية، وهي خطوة لم تكن

مجـرد خيار مهني، بل منعطفًا وجوديًا يسـتدعي كثيرًا من الـتروي. ولم أكن أدري من أين تكون نقطة الانطلاق. فخبرتي في هذا الباب كانت شبه منعدمة، ولم يكن ثمة دليل واضـح أو خريطة طريق يمكن أن يسترشـد بها من قرر مغادرة جامعته الأم إلى جامعة أخرى. كل شيء كان أشبه بخوض بحر بلا أفق، تقودك فيه إشارات مبهمة، ومراسلات تتطلب صبرًا طويلًا، وانتظارًا قد يطول أو يقصر دون مقدمات. ورغم ذلك، كنت أشعر أن الزمن يدفعني دفعًا نحو هذه النقلة، وأن التأجيل لم يعد ممكنًا، لا على مستوى المهنة ولا على مستوى الذات الباحثة عن تجديد موقعها في الحياة.

كانـت بذرة التفكـير الأولى قد نبتت على حـين غفلة من الزمن، وجـاءت في هيئة مكالمـة هاتفية هادئة في ظاهرها، عاصـفة فيما أثارته من تسـاؤلات. كان المتصـل هو زميـل مُعار مـن جامعتي الأم إلى جامعة الملك خالد، رحمه الله رحمة واسـعة. اتصـل بي في الأسـبوع الأخير من سـبتمبر عام (٢٠١٢م)، يحثني بإلحاح صـادق على إرسال سـيرتي الذاتية في أسـرع وقت، مشيرًا إلى رغبة قسـم التاريخ – شطر الطالبات – في التعاقد معي. كان صوته يحمل نبرة ثقة وأمل، كأنما يحمل لي قدرًا لم أكن أترقبه. غير أن الظرف لم يكن يسـمح بغير الاعتذار المؤدب؛ فقد كنت على وشـك السفر إلى ألمانيا لبـدء مهمـة علمية كباحث ما بعد الدكتـوراه في جامعة برلين الحـرة، وهي رحلة كانت كل تفاصـيلها قد اكتملت: تذكرة السـفر، السكن، والمواعيد الرسـمية. لم يتبقَ إلا أيام معدودات على موعد السفر المحدد في أول أكتوبر.

أخـبرت الصـديق أن هناك التزامًـا أخلاقيًا وعلميًا لا يمكـن التراجع عنه، وأنني وإن كنت أقدّر ما عرضـه عليّ، فإن الظروف تملي غير ما يشـتهي الإنسان أحيانًا. لكن الصـديق -رحمه الله-، بعفويته الصادقة وإلحاحه الهادئ، ظل يؤكد أن الفرصة قد لا تتكرر، وأن عليّ أن أعيد التفكير ولو للحظة. ثم انتهت المكالمة باتفاق كريم على أن ينقل ظـروفي كما هي لإدارة القسـم، لعلهم يملكـون مرونة في تأجيل التعاقـد حتى أعود من مهمتـي العلمية بألمانيا. وفي اليوم التالي لتلك المكالمة التي فتحت باب الاحتمال، جاءني صوت الزميل ذاته، ببشرى لم أكن أتوقعها بتلك السرعة. أخبرني – بنبرة امتزج فيها السـرور بصـدق المحبة – أن إدارة شطر الطالبات في قسـم التاريخ ترحب بانضمامي إليهم بعد عودتي من ألمانيا، وأن الباب سيظل مفتوحًا حتى حين.

كان لهذا الخبر وقع خاص في نفسـي، أشـبه بنور صغير يُضـاء في نفق التأمل. ثم سـافرت إلى برلين، حامـلًا معي ذلك العزم المؤجل، لأبدأ رحلـة علمية دافئة في طقس لم أعتـد برودته، ولم أكن أعرف أن المدن الباردة قد تحتضـن العقل وتؤنس الروح على

نحـو لا يُنسـى. وفي أواخر تلك الرحلة، وتحديدًا في أواخـر فبراير من عام (٢٠١٣م)، جاءني صـوت الزميـل الراحل من جديد، حاملاً هذه المرة دعـوة عاجلة: لجنة التعاقد مـن جامعة الملك خالد موجودة الآن في الملحقية الثقافية السـعودية بالقاهرة، وإن عليّ أن أتوجـه فورًا لمقابلتها والبدء في إجراءات التعاقد. أجبته بأسـف حقيقي، أني لا أزال في برلين، وأن موعد عودتي إلى القاهرة محدد سلفًا في الأول من أبريل، وأن بيني وبين اللجنة آلاف الأميال التي لا يمكن اجتيازها في تلك اللحظة. ولم أكن أعلم أن القدر قد قرر تأجيل هذه الخطوة لسـنوات لاحقة، وأن النداء الذي جاء أول مرة هامسًـا، سيعود لاحقًا أكثر إلحاحًا ووضوحًا.

ولما يقرب من خمس سنوات تلت رحلتي العلمية في برلين، ظلت فكرة الإعارة حاضرة في الخلفية، تُلوّح بين الحين والآخر بعروض لم تكتمل. عروض جاءت من جامعات كبرى كجامعة الملك فيصـل، والملك سعود، وحائل، لكنها ما لبثت أن تلاشت، كما لو أن القدر كان ينسج طريقًا واحدًا لا يريدني أن أحيد عنه، طريقًا اسمه: جامعة الملك خالد.

٣- الطريق إلى التعاقد مع جامعة الملك خالد:

في أواخـر عام (٢٠١٧م)، عاد صـوت الصـديق الراحل ـ رحمـه الله ـ ليطرق باب قلبـي مـرة أخرى، ولكن هذه المرة كان أكثر تصـميمًا ووضـوحًا. أخبرني بأن شـطري قسـم التاريخ، للطلاب والطالبات، قد تم دمجهما في قسم واحد، وأن الحاجة ما زالت قائمة، بل أشد من ذي قبل. ثم زودني بعنوان بريد إلكتروني، وحثّني على إرسال سيرتي الذاتيـة إليه. غـير أنني فوجئت بطلب منه ألّا أذكر اسـمه في الرسـالة، ما دفعني إلى سـؤاله، بصراحة لا تخلو من حيرة: «وعلى أي أسـاس أرسل هذا الإيميل إذن؟» لم أكن مرتاحًا لفكرة إرسـال رسـالة بلا سـند ظاهر، وظللت أيامًا أؤجل الأمـر، وقد اقتنعت في قرارة نفسـي أنها محاولة أخرى ستنضـم إلى قائمة الفرص المؤجلة. لكن الصـديق الراحل، كما عهدته دومًا، لم يتركني لفتور العزيمة. ظل يتواصل بإلحاح شفيف، لا يخلو من رجاء، حتى غلبتني محبته وثقته، فأرسـلت الإيميـل في نهاية المطاف، دون أن أرجو كثيرًا مما بعده.

وذات مسـاء جاءني صـوت عبر الهاتف، بنبرة رسـمية هذه المرة، عرّف المتحدث نفسه بأنه من الملحقية الثقافية السعودية بالقاهرة، وأخبرني بهدوء أن لجنة التعاقدات الخاصة بجامعة الملك خالد موجودة الآن، وأنها تطلب مقابلتي في اليوم التالي مباشرة. أغلقت الهاتف وأنا أشعر أن شيئًا ما قد تحرّك أخيرًا في صفحة قديمة من كتاب حياتي،

وأن الرحلــة، التــي طالما بدت بعيدة، قد بــدأت تكتب بدايتها بالفعــل. في اليوم التالي، توجهــت إلى الملحقيــة الثقافية السـعودية بالقاهــرة، كما طُلب مني، تحيطني مشــاعر مختلطة من الترقب والحذر.

وهناك، التقيت بسـعادة عميد كلية العلوم الإنسـانية (السـابق)، رجل بدا لي من اللحظة الأولى أنه يحمل من الوقار الإنسـاني والبسـاطة ما يجعلك تشـعر أنك لا تقف أمام مسـؤول رسـمي، بل أمام عقل نبيل وإنسـان راق بكل ما تحملـه الكلمة من معنى. لم تكـن المقابلة اختبـارًا بالمعنى التقليدي، ولا جلسـةً تقويم لقدرات أو عرض للسـيرة الذاتيـة، بـل كانت أقرب إلى حوار صـادق، فيه كثـير من التقدير والثقـة. عرض عليّ سعادته الانضمام إلى قسم التاريخ بالكلية، وشرح لي حاجة القسم، ورغبة أعضائه في التعاقد معي، كأن الأمر قد حُسم قبل أن أجلس. ثم سألني بلطف عن علاقتي بالقسم، ولماذا ورد اسـمي تحديدًا. فأجبته بهدوء، مسـتعيدًا بإيجاز حكايـة ذلك العرض الأول في عام (٢٠١٢م)، حين اتصـل بـي الزميل الراحل، وكيف أن التزامي آنذاك بالسـفر إلى ألمانيا حال دون إتمام التعاقد، رغم رغبة القسم في ذلك الحين. هزّ سعادة العميد رأسـه بإيماءة من يفهم جيدًا ما يعنيه الوفاء بالتزامات سـابقة، وقال كلمات بسـيطة لكنها طمأنتني: «كل شيء بوقته.»

٤- الرحلة إلى أبها:

كانـت تلك بداية شـعرت فيها، ولأول مرة، أنني على أعتـاب انتقال حقيقي، لا إلى وظيفـة جديدة فقط، بـل إلى مرحلة أخرى من العمر. وفي الثالـث من نوفمبر من عام (٢٠١٨م)، كان ذلك المسافر المرتحل يجلس في مطار القاهرة، ينتظر رحلته الأولى إلى أبهـا، مدينة لم تطأها قدمـاه من قبل، لكنها بدت في مخيلته كالوعد البعيد بالسـكينة والتجـدد. كان يلملـم داخلـه ذكريات حديثة لا يزال أثرها عميقًا، عن رئاسـته لقسـم التاريخ بجامعة عين شمس، وعن الضغوط الإدارية التي أثقلته في الشهور الأخيرة، حتى بـات يشـعر أن عـبء الإدارة قد غطّى على لـذة العلم، وأن الوقت قـد حان لخلع عباءة المسـؤولية، ولو مؤقتًا، والانطلاق نحو سلام نفسـي وذاتي افتقده طويلًا. أعاد في ذهنه تفاصـيل إجراءات لم تسـتغرق سوى أسبوعين، تم فيها كل شـيء بدهشة تُشبه التيسير الربـاني: توقيع الإخـلاء، جمع الأوراق، وحجـز التذكرة. كأن القدر قد قرر أن يُفسـح الطريـق أخيرًا، بعد أعوام من الانتظار والتردد. لم يكن الأمر مجرد انتقال من جامعة إلى أخـرى، بل كان أشـبه بالهروب النبيل من ضـغوط أنهكت الـروح، والتطلع إلى أفق مختلف، أكثر هدوءًا، أكثر اتساعًا، وربما... أكثر صدقًا مع الذات.

في مطار أبها، حطت الطائرة بهدوء كأنها تنزل ستارة على فصل وتفتح أفقًا لفصل جديد. وبين صالة الوصول والقلق المعتاد في المدن الغريبة، التقت عيناي بوجهين مألوفين في القلب، وإن اختلفت درجة الألفة. كان أحدهما زميل عزيز في جامعتي الأم، وهو أ.د. حسن أحمد حسن الإبياري، أستاذ للتاريخ القديم، طالما جمعتني به قاعات النقاش وأروقة الكلية في جامعة عين شمس. أما الآخر، فكان لقائي به الأول، لكنه بدا وكأنه كان يعرفني منذ زمن، أو كأن روحي تعرّفته قبل أن تمتد اليد بالسلام، وهو أ.د. محمد فهيم بيومي، أستاذ للتاريخ الحديث والمعاصر بجامعة الأزهر. سرعان ما أدركت أن حضوره لم يكن محض مصادفة، بل هدية من السماء إلى وافد يتلمّس أولى خطواته في أرض جديدة. لقد حمل الأستاذ الأزهري من الصفاء والنبل ما يعجز القلم عن إنصافه، شخصية تنضح بالمودة، وتُشعرك بأنك لست غريبًا، بل فرد في بيتك منذ اللحظة الأولى.

إن اللحظات الأولى لأي وافد جديد مصيرية بحق؛ إنها اللحظات التي تترك الانطباع الأول، وترسم ملامح العلاقة بين الإنسان والمكان. لقد كان استقبال هذين الزميلين - بحرارته ومحبته - بمثابة بلسم وضع على قلب قلق، تاركًا بصمة حب عميقة لن تزول، بل ستظل في الذاكرة كأول شعلة دفء في مدينة الجبال والضباب. لم يكن الصديقان مجرد مستقبلين في صالة الوصول، بل كانا رفيقي درب حقيقيين في الأيام الأولى التي تكون دومًا الأصعب، حين تتداخل الغربة مع الترقب، والحنين مع الحذر. بقيا إلى جوار الوافد الجديد، يُخففان من وقع الانتقال، ويُقيمان حوله سياجًا من الألفة في بيئة لا تزال في طور الاكتشاف.

كان الأستاذ الأزهري، بنبله المعهود وصفائه الذي لا يُشبهه إلا ذاته، أكثر من مجرد رفيق. لم يترك هذا القادم الجديد طوال عام كامل، صار فيه أنيسًا ومرشدًا وصديقًا قلّما يجود الزمان بمثله. لكن لسوء الطالع؛ كان عامه الأخير في إعارته إلى جامعة الملك خالد، في الوقت الذي كان فيه ذلك العام هو الأول للوافد الجديد. يا لها من مفارقة مؤلمة! فبين البداية والنهاية، نشأت صداقة كان يُقدّر لها، لو شاءت الأقدار، أن تمتد لسنوات أطول. وكثيرًا ما تمتم الوافد لنفسه: «ليتني بدأت الرحلة في (٢٠١٣م)، يوم جاءتني الدعوة الأولى، لكان لي مع هذا الرجل النبيل عُمرٌ أطول من الصحبة.» لكنها مشيئة الله، تأتي بمن نحب أحيانًا في اللحظة التي توشك أن تفلت، لتظل الذكرى مضيئة، نابضة، عصية على النسيان.

لم يقتصـر فضل هذين الأسـتاذين الجليلين على ما لمسـته فيهما من نبل إنساني وصـدق في المعاملة، بل تجاوزه إلى جوانب علمية تركت بصـمتها الواضـحة في مساري خـلال فترة معاصـرتي لهما بأبها، على قِصـرها. فقد كان الأسـتاذ العشمسـي مثالًا صـادقًا للعالم الحق، شديد التمسك بمنهجه، صارمًا في تعامله مع القضايا البحثية، لا يقبل التهاون ولا يرضـى بالسطحية. وما زلت أذكر له بالعرفان أنه كان صاحب الفضل الأول في تحفيزي -كما سيرد لاحقًا-، خلال الأيام الأولى لوصولي إلى أبها، على التقدم بمقترح مشـروع بحث ضمن برامج المشاريع البحثية المدعومة من الجامعة. كان رفيقي في كل خطوة من خطوات ذلك المشـروع، منذ أن ذهبنا سـويًا إلى وكالة الجامعة للبحث العلمي، ورفع المشـروعين على نظام الجامعة، وحتـى إغلاقهما بعد تمامهما. لقد كنت ألمس فيه الحرص الصادق، والمتابعة الدقيقة، والعزم الذي لا يلين، حتى شعرت أنني لم أكن أخوض المشروع منفردًا، بل كان يسير معي خطوة بخطوة.

أما الأستاذ الأزهري، فقد كان صورة أخرى للباحث المتقد نشاطًا، لا يهدأ له سعي في ميادين العلم داخل الجامعة وخارجها. عرفته منذ اليوم الأول مشعلًا يتقد بالحيوية، يفتـح أمامك الآفاق الواسـعة ويحدثك عـن الفرص البحثية المتاحـة في المملكة العربية السـعودية، في حفـز لا ينقطع وتشـجيع لا يفتر. كان حديثه دائمًا يبعـث في النفس أملًا ويغرس في القلب ثقة بأن المجال العلمي هنا رحب متسع، وأنه بإمكان الباحث الجاد أن يجد ما يلبي طموحه إن أحسـن اسـتثمار الفرص. ولقد ظل الأسـتاذ الأزهري بالنسبة إليَّ نموذجًا للعالم الذي يزاوج بين جهد شخصي دؤوب وانفتاح واسع على المحيط، يمد يده لزملائه ويسعى أن يكونوا شركاءه في الإنجاز. وهكذا، وإن قصرت فترة معاصرتي لهمـا في أبها، فإن أثرهما في نفسـي وفي عملي ظل ممتـدًا، ماثلًا في كل خطوة خطوتها بعد ذلك في مساري العلمي.

أ. اليوم الأول:

كان يومـي الأول في مقر الكلية بحي القريقر شـرق مدينة أبها يوماً يفيض بحرارة اللقاءات الأولى، تلك التي لا تُنسى، خاصة حين يكون الاستقبال نابضًا بالود والتقدير. استُقبلت من رئيس قسم التاريخ وقتها، أ.د. سعيد بن مشبب القحطاني، وأعضاء هيئة التدريـس بترحاب صـادق، شـعرت معه أنني لا أدخـل مكانًا غريبًا، بـل أعود إلى بيتي الثاني. ولا أنسـى أبدًا كلمات رئيس القسـم حين رآني للمرة الأولى، وقد هزّتني بلطفها العميق: «أراك أسـتاذ جامعة حقيقي.» جملة قصيرة، لكنها حملت من الثقة والاحتفاء ما ملأني طمأنينة، وأزال عني بقايا التردد والوجل. أخذني من يدي مباشرة، كما يأخذ

المضيف ضيفًا عزيزًا، إلى مكتب العميد، لألتقي للمرة الثانية بسعادة عميد الكلية، بعد لقائنا الأول في الملحقية عام (٢٠١٧م). كان لقاءً يعكس امتداد الود، لا استئنافه، وتأكيدًا على أن ما بدأ هناك، في القاهرة، قد كُتب له أن يكتمل هنا، في المدينة الجامعية بحي القريقر.

لكن المفاجأة لم تكن في هذا اللقاء، بل فيما تلاه؛ إذ أخذني رئيس القسم إلى مكتب آخر، وعلى بابه لافتة تقول: «كرسي الملك خالد للبحث العلمي.» وهناك، التقيت بالمشرف على الكرسي، أ.د. أحمد بن يحيى آل فائع، في أول لقاء بيننا. شخصية آسرة بهدوئها ووقارها، يُشعرك حضورها بأنك أمام رجل علم يحمل همّ المعرفة ويزن الكلمات بمكيال الحكمة. وفي خضم الحديث، وإذا برئيس القسم يفاجئني- دون سابق تمهيد - مخاطبًا المشرف على الكرسي بقوله: «هذا هو من تبحث عنه، إنه مدير تحرير المجلة الوليدة التي تترأس هيئة تحريرها، مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية.» التفت إليّ رئيس الكرسي بابتسامة هادئة وسؤال نبيل عن تجاربي السابقة في المجلات العلمية. فذكرت له ما خضته من مسارات تحريرية: من رئاستي لتحرير حولية التاريخ الإسلامي الوسيط بكلية الآداب بجامعة عين شمس، إلى عضويتي في الهيئات التحريرية والاستشارية لعدد من المجلات المصرية والإقليمية المحكمة. كان ذلك أول تكليف لي في عملي الجديد، لكنه بدا لي، منذ لحظته الأولى، تكليفًا ينطوي على كثير من الثقة، وكثير من المسؤولية.

ب.مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية:

وهنا، عند هذه المحطة المفصلية من تجربتي في أبها، يحسن بي أن أتوقف وقفة تأمل وامتنان، لأستعيد بدايات واحدة من أكثر المهام التي شكّلت ملامح رحلتي الأكاديمية هناك: مهمتي كمدير لتحرير مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية، تلك المجلة الوليدة التي تسلّمت مسؤوليتها يومها من نقطة الصفر، دون أرشيف سابق، ولا تجارب ممهدة. صدر عددها الأول في يناير من عام (٢٠٢٠م)، وسط تحديات التأسيس الأولى، بكل ما فيها من تفاصيل مرهقة، وقرارات دقيقة، وسباق مع الزمن لبناء هوية علمية راقية تحفظ للمجلة مكانها واسمها.

واليوم، بعد ما يقرب من ست سنوات من الإصدار المنتظم- وقت كتابة هذه السطور- تتبوأ المجلة مكانة مرموقة بين المجلات المتخصصة في التاريخ على مستوى العالم العربي، وتستقطب أقلام الباحثين من مشرقه إلى مغربه. لقد كانت تجربة

ملهمة بحق، لا لأنها ارتبطت بتحرير مجلة فحسب، بل لأنها شكلت مساحة يومية للتعلم والتطويـر والتحدي، ولأنها جمعتني بقامة إدارية فـذة، رئيس التحرير، الذي أدار هذا المشـروع الطموح بعين العارف، وقلب المحب، وعقل الإداري المحنك. لقد كان حريصًـا إلى حد الإعجاب، دقيقًا في متابعته، واسع الأفق في رؤيته، وكان لعنايته الفائقة بالمجلة الـدور الأكبر في بلوغها هذا المسـتوى. وحين أتأمل اليوم هـذه التجربة، أراها لا تقل في قيمتها الأكاديمية والإنسـانية عن أي فصـل من فصـول التدريس أو البحث العلمي، بل ربمـا كانت أكثرها تأثيرًا في تشـكيل حضـور حقيقي لي في جامعة الملـك خالد، بل وفي المشهد الأكاديمي المعاصر.

لم تكن إدارتي لتحرير تلك المجلة مجرد مهمة إدارية محدودة أو عمل روتيني عابر، بل كان أشبه ببوابة واسعة انفتحت على عوالم لم أكن لأبلغها لولا تلك التجربة. فمن خلالها تعرّفـت على طيف متنوع من الباحثين، جاء بعضـهم من مدن المملكة العربية السـعودية المختلفة، وآخرون من خارجها، يحملون معهم رؤى علمية وأفكارًا متجددة تبحث عن منبر للنشر والتحكيم. ومع كل بحث يُقدَّم، ومع كل رسالة تُرسل، كان ثمة فرصة جديدة لنسج خيط من المعرفة والود، ولتكوين صـلات أكاديمية لم تقتصـر على حدود الورق والرسائل الإلكترونية، بل تجاوزتها إلى علاقات صـداقة حقيقية ومجالات تعاون علمي ممتد. وقد كان للمحكّمين، ومعظمهم من أسـاتذة الجامعات السعودية، دورٌ بارز في ذلك؛ إذ أتاحوا لي فرصـة الاطلاع على تجاربهم وخبراتهم، وكانوا يلجؤون إليّ في مهام تتصـل بتحكيم الترقيات، أو مناقشـة رسائل الماجسـتير والدكتوراه، أو تقييم البحوث المرشحة للنشر في مجلات أخرى تابعة لمؤسسـات وجامعات متباينة. وكل ذلك ألقى في روعي أن التجربة لم تعد مجرد عمل أكاديمي ضـيق النطاق، بل غدت مسـارًا رحبًا جعلني أعيش الجامعة من الداخل والخارج معًا، فلا تبقى خبرتي محصورة في أسوار جامعة الملك خالد أو مقصورة على فضـاء أبها وحدها، بل امتدت لتصبح جسـورًا معرفية تصلني بأطراف مختلفة من المشهد الأكاديمي داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

والآن، وأنـا أُسـطِّر هذه الكلمات بعد مضـي ما يقارب سـت سـنوات على صـدور العـدد الأول مـن تلك المجلة، أجـدني أعود بذاكرتـي إلى البدايـات الأولى، إلى لحظة التدشين التي كانت أشبه ببذرة صغيرة وُضعت في أرض خصبة لتبدأ رحلتها نحو النمو والاكتمـال. لم يكن الأمر آنذاك سـوى حلم طموح يحدونا الأمـل في أن يرى النور، لكن مع مرور الأعوام، ومع تراكم الجهود والبحوث التي استقبلتها صفحاتها، تَحوَّلت المجلة شيئًا فشيئًا إلى منارة علمية ذات شأن، حتى صارت اليوم واحدة من المجلات المرموقة

التي تحظى بمكانة معتبرة في حقل الدراسات التاريخية، ليس داخل المملكة العربية السعودية فحسب، بل في أرجاء العالم العربي كله.

حين أُحاول أن أقيم الرصيد المتراكم من هذه التجربة، أجد أن أثرها لم يقتصر على الجانب المؤسسي أو على سمعة المجلة بين الأوساط الأكاديمية، بل انعكس عليَّ شخصيًا بعمق. فقد منحتني خبرة عملية في إدارة العمل البحثي والتحكيمي، ووسّعت من دوائر معارفي وصلاتي بالباحثين والمؤرخين، وأكسبتني ثقة أكبر في أن الجهد الفردي إذا ما التقى بالرؤية الجماعية يمكن أن يُحدث أثرًا ملموسًا في مسار المعرفة. ولعل ما أعتز به أكثر من غيره أن هذه التجربة أضافت إلى سنواتي في أبها بُعدًا جديدًا، فلم تكن إقامتي فيها محصورة في التدريس أو المهام الأكاديمية المعتادة، بل امتدت لتصبح ساحة رحبة للتفاعل العلمي والإسهام في بناء صرح ثقافي ومعرفي سيبقى أثره متجددًا مع كل عدد جديد يُضاف إلى رصيد المجلة.

٥- ثلاث محطات ذات أثر علمي:

أ- منح المشاريع البحثية:

كانت أبها، بما حملته من خصوصية المكان وهدوء الجغرافيا واتساع الأفق الأكاديمي، نقطة تحوّل عميقة في اهتماماتي البحثية، بل لعلها تشكل المرحلة الأكثر تجددًا في مساري العلمي. ففيها، ومن خلال إقاماتي الأولى، بدأت بوصلتي البحثية تنحرف عن مساراتها التقليدية، لتغوص تدريجيًا في تاريخ الجزيرة العربية، لا سيّما جنوبها، في عصوره القديمة والوسيطة.

ثلاث محطات رئيسة صنعت هذا الأثر، كان أولها محض مصادفة، لكنها مصادفة تفتح أبوابًا وتبدّل مسارات. في الأسبوع الأول من وصولي إلى أبها، لم أكن أعلم شيئًا يُذكر عن برامج الجامعة لدعم البحث العلمي، ولا عن آليات التقديم أو مواعيد التنافس على المشروعات. كنت قد وُجهت من قبل الصديقين المستقبلين لي في مطار أبها للإقامة في فندق السامر السكني في قلب البلد، ولا يزال مقامي فيه حتى لحظة تدويني لهذه الكلمات.

ذات عصر، وأنا أعود إلى الفندق برفقة زميلي العزيز أستاذ التاريخ القديم، وكان هو دائمًا صاحب فضل لا يُنسى في تمهيد خطواتي الأولى بأبها، أخبرني وهو يقود سيارته ـ وكأنها إشارة لا تتكرر ـ بأن الجامعة قد فتحت باب التقديم لمشروعاتها البحثية

للعـام (١٤٤٠هـ/٢٠١٨م)، وأن اليوم هو الأخير لرفع المقترحـات على موقع الجامعة! وجدتـه يحثّني بإخلاص على التقـديم، وأنا أجيبه بتردد: كيف لِمَن لم يمض على وجوده أيام معدودة، أن يصـوغ مشـروعًا بحثيًا متكامل الأركان في سـويعات قليلة؟! عدت إلى شـقتي في الفندق مثقـلًا بالتفكير، وقررت أن أخلد إلى الراحة بعد سـاعات طويلة من الدوام، لكن النوم جافاني، وفكرة المشـروع ظلت تتقافز في ذهني كأنها تسـتحثني على أن أقدِم، لا أن أتردد.

فجأة، خطرت لي فكرة، بدت في حينها قوية، غير تقليدية، ومتماسـة مع بيئة أبها التاريخية، فنهضت كمن نُودي لأمر جلل، وأسرعت إلى حاسوبي المحمول، وبدأت في كتابة مشـروع بحثي بعنوان: «دخول المسـيحية إلى جنوب الجزيرة العربية في ضـوء المصادر غير العربية (السـريانية، البيزنطية، الحبشـية، وغيرها).» قضيت ساعات منهمكًا في صـياغته، مسـتندًا إلى خلفيتي في اللغات والمصادر، مستلهمًا المكان الجديد وسياقاته. وعندما أنهيته، نظرت إليه وقد رأيت فيه نضـجًا لم أتوقعه في مثل هذه العجالة، وشـيئًا من الرضـا عن مضـمونه واتساق أركانه. رفعت المشروع في السـاعة الأخيرة تمامًا من الموعد المحدد، كأنني كنت أتسابق مع الزمن لاجتياز بوابة مرحلة بحثية جديدة.

كانـت السـعادة غامرة، بل مذهلـة، حين وصـلني البريد الإلكـتروني الذي يحمل بين سـطوره خبر قبول مشـروعي البحثي. شعرت أن هذا المشـروع، الذي وُلد في ساعة أخيرة من زمن ضـيق، لم يكن طارئًا ولا وليد صـدفة، بل كان أشـبه ببوابة واسعة أزيح عنها السـتار، لألج منها إلى عالم جديد مـن الاهتمام البحثي. لقد كانت لحظة القبول تلك نقطة انطلاق حقيقية نحو الغوص في مصـادر تاريخ جنوب الجزيرة العربية قبيل الإسـلام، لا سيما تلك التي تنتمي إلى القرون الممتدة من الرابع إلى السابع الميلاديين. ومنذ تلك اللحظة، تبلورت في ذهني خريطة معرفية جديدة، وأخذت أنقّب في النصوص السـريانية والحبشـية واليونانية، بحثًا عن خيوط ضـوء تكشـف عن ديناميكيات ذلك الزمـن الـثري بالغموض والتحول. وقـد أثمرت هذه الرحلـة البحثية، التـي بدأت من فندق صـغير في أبها، دراسات ومقالات علمية نُشرت في عدد من الدوريات المحكمة، في السـعودية ومصـر والأردن، وأسـهمت في بناء ملف بحثي أكثر عمقًا وتماسكًا مما كنت أتخيله في بدايات الرحلة.

ب- موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) وصاحبها:

أما المحطة الثانية، التي عمّقت هذا الاتجاه البحثي ووسّعته، فكانت الدعوة الكريمة التي تلقيتها من الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس، للمشاركة معه في عمله الفريد «**القول المكتوب في تاريخ الجنوب**». لقد كانت تلك الدعوة بمثابة بوصلة جديدة، دفعتني دفعًا نحو مغامرة علمية لم أخضها من قبل. وما زاد من أثرها في نفسي، هو شخصية الدكتور غيثان بن جريس نفسه، التي تجمع بين حماسة الباحث، وصدق العارف، وروح المعلم الذي لا يترك متكاسلاً إلا حفّزه، ولا مترددًا إلا شجّعه. كانت مشاركتي معه، بما فيها من الترجمة والتحقيق والتحليل، أشبه بمشروع علمي مستقل، حمل في طياته محاولة جادة لنقل المصادر غير العربية من لغاتها الأصلية إلى العربية، وإعادة تقديمها للقارئ العربي المعاصر، في صورة تتجاوز الترجمة الحرفية إلى الفهم والسياق والتحليل[1].

قد احتوى سفر «**القول المكتوب في تاريخ الجنوب**» ثمار هذا الجهد، في عدد من البحوث التي ما كنت لأكتبها لولا هذه الدعوة السخية، التي فتحت لي آفاقًا غير مسبوقة في فهم الجنوب العربي قبل الإسلام، بلغاته ودياناته وتحولاته الكبرى. بل لقد أثمر هذا التوجه البحثي المتعمق عن ثمرة فريدة أعتز بها كثيرًا، لأنها لم تكن مجرد جمع للعناوين فحسب، بل كانت بمثابة خريطة معرفية شاملة للباحثين في حقل تاريخ الجنوب العربي القديم؛ أول دراسة ببليوغرافية واسعة النطاق تتناول ما كُتب بالعربية أو نقل إليها من كتب وبحوث ودراسات تتصل بتاريخ وحضارة جنوب الجزيرة العربية في العصور القديمة. لقد شعرت أثناء إعدادها، وكأنني أستعرض مسارات أجيال من الباحثين، وأتتبع خيوط فكرية وثقافية امتدت على مدى قرن أو يزيد، محاولاً جمعها في سياق واحد يُعين الباحث الشاب، ويُيسّر على المتخصص، ويوجه المهتم نحو المداخل الأصلح لمقاربة هذا الحقل المعرفي الثري.

وأجد من الوفاء أن أقف وقفة متأنية أمام صاحب هذا السفر الجليل، (**موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب**)، لأستعيد بعضًا مما علق في الذاكرة عن معرفتي بهذا العلّامة، الذي شاء القدر أن ألتقيه في أروقة مبنى الجامعة بحي القريقر منذ بدايات

(١) يا دكتور عبد العزيز لقد اعطيتني أكثر وأكبر من حجمي ووضعي الحقيقي، وأسأل الله أن يجعلني عند حسن ظنك وظن غيرك من الباحثين الجادين المثمرين. ونحن يا دكتور قد استفدنا وتعلمنا الكثير من علمك وجهودك البحثية المباركة واسأل الله ان إلا يحرمك الأجر والثواب (ابن جريس) .

وجـودي في أبهـا. عرفته أول ما عرفته كأسـتاذ جليل القدر، واسـع العلم، رفيع الخُلق، له هيبة العالم ومهابة الإنسـان النبيل، غير أن تلك المهابة لم تحجب تواضعـه الجم ولا فطرته الصـافية التي تفيض بساطة وصـدقًا. كانت لقاءاتنا الأولى لا تتجاوز التحيات العابرة أو السـؤال الودود عن الأهل في مصـر، لكنني ما لبثت أن اكتشفت أن وراء ذلك التواضع شخصية علمية نادرة، قادرة على أن تجمع بين حزم الباحث ودماثة الإنسان.

مـع مرور الأيـام بدأت دائرة الحديث بيننا تتسـع، فتتحـول المجاملات الأولى إلى مناقشـات جـادة في قضـايا علميـة وتاريخية، ومن هنا جـاءت دعوتـه الكريمة الأولى لي للمشـاركة معـه في موسـوعته الغرّاء. كان ذلـك – على حد ما تسـعفني به ذاكرتي الضـعيفة – في عامي الأول بجامعة الملك خالد، وكانت تلك الدعوة -كما أشـرت قبلًا- بمثابة نافذة جديدة تطل بي على حقل معرفي لم تكن دراسـاتي السابقة قد أولته عناية تذكر. ثم توالت بعد ذلك دعواته السـخية، يفتح لي الأبواب واحدًا تلو الآخر، ويتيح لي أن أوسّع مجال أبحاثي بما لم يكن في حسباني من قبل[1].

مـا أريـد أن أؤكد عليـه هنا ليس مجرد البعـد العلمي لتلك الدعـوات، بل الجانب الإنسـاني في شخصـية الدكتور غيثان بن جريس. فقد كان بحق مثالاً في كرم الأخلاق، وصبر المربي، وحكمة العالم. كم من مرة أتتني دعوته في أوقات كنت فيها مثقلًا بالمهام، غارقًا في ركام هائل من الأعمال والمسؤوليات، أو مرهقًا من ضغط الواجبات التي تكاد تحاصـرني مـن كل جانب، ومـع ذلك لم يكن ليعرف ضـجرًا ولا اسـتعجالًا. كان يتقبل أعذاري برحابة صـدر، بل يمنحني من الوقت ما أشـاء من مهلة، وكأنه يدرك بفطرته الهادئة أن الأعباء قد تطغى على صاحبها فتمنعه عما يحب. ومع ذلك فإن صبره وخلقه الجم كانا يضاعفان شعوري بالحرج، إذ كنت أرى أنني أبطأت عن رجل أحببته في الله، عالمًا وأخًا وصديقًا. فكان هذا الشعور بالحرج والامتنان معًا يدفعني لأن أتخلى عن كثير مـن الأعمال المؤجلة لأفرغ نفسـي وأكرّس جهدي لإنجاز المشـاركة البحثية التي وعدته بها، حتى وإن اضطررت أحيانًا إلى الانعزال عن مكالماته ورسائله، لا جفاءً ولا إعراضًا، وإنما خجلًا من أن أطلب منه وقتًا إضـافيًا، وهو الذي لا يرد طالبًا، ولا يضـيق صـدرًا، بل يمنح بلا حدود. وهكذا، بين شدّ الأعذار وجذب الالتزام، تعلمت من هذه العلاقة أن

(١) يادكتور عبد العزيز (غفر الله لك) ، لقد اكرمتنا يا معاشـر الباحثين والمؤرخين بالعديد من الدراسـات العلمية الحادة، وحظيت بلاد نجران بنسـبة كبيرة من بحوثك قبل الاسـلام ، ونشـرت أولا في (موسـوعة القـول المكتوبـة في تاريـخ الجنـوب) ثم جمعت في حـوالي اكثر من (٢٠٠) صـفحة في الجـزء الثاني من كتـاب (منطقـة نجران : دراسـات ، وإضـافات، وتعليقات) ، انظر الطبعـة الثانيـة (١٤٤٧ / ٢٠٢٥م) ، ص ١١ – ٢١٢. (ابن جريس).

العلم لا يقوم على الجهد الفردي وحده، بل على المحبة الصــادقة والقدرة على التحفيز التَي تجعل المرء يتجاوز إرهاقه ليقف وفيًّا بالعهد الذي قطعه.

ج. مشاريع الجزيرة العربية في المصادر غير العربية:

تأتــي المحطة الثالثة لتكون بمثابة النقلــة النوعية المؤثرة بعمق، التي انفتحت أمامي كمــا تنفتــح أبواب لم تكن في الحســبان، فتلقيــك فجأة في قلب مغامــرة علمية ذات أفق مختلف تمامًا. وكما المحطة الأولى، ربما لعبت فيها المصادفة، وبالتأكيد المشيئة الربانية، دورًا حاســمًا. فبعد أســابيع قليلة فقط من وصــولي إلى أبها، وردني بريد إلكتروني من عالم جليل وأســتاذ قدير، هو أســتاذ للتاريخ القديم بجامعة الملك سعود، وكان ذلك أول تواصل مباشر بيننا. كان موضوع رسالته استفسارًا فريدًا: هل أستطيع المساعدة في فك شفرة مخطوط يوناني يحوي صورًا لأشخاص بزي عربي، وخيام، وإبل؟ وأضاف أن هذا المخطوط محفوظ في مؤسسة بحثية كبرى بالمملكة العربية السعودية، وقد أبدت المؤسسة رغبتهــا في فهم محتــواه بدقة. لم أتردد لحظة، ورددت بكل ترحيب واســتعداد، مدفوعًا بشغف البحث وشعور عميق بأنّ وراء هذه الدعوة شيئًا أكبر من مجرد قراءة مخطوط.

بعدها جاءني اتصــال هاتفي من شــخص قدّم نفســه باســمه الكــريم، لكن لحداثة عهدي بالمملكة العربية الســعودية، لم أدر من يكون. ثم علمت لاحقًا أنه المســؤول الأول عن تلك المؤسســة العلمية الكبرى. كان طلبي الأول بســيطًا: أريد غلاف المخطوط أو صــفحته الأولى فقط. وبمجرد أن وقعت عيناي عليه، اســتطعت أن أحدد هوية المؤلف ومكان حفظ النســخة الأصــلية من العمل، بدقة وســرعة. وقد ترك هذا الانطباع الأول أثرًا عميقًا لدى الطــرف الآخــر، فكان مدخلًا إلى مســاحة أوســع من الثقــة والتعاون العلمــي. ومن هنا، بــدأت مرحلة جديدة تمامًا في تجربتي بأبها، إذ أصــبحت مشــاركًا في مشــروعات بحثية رفيعة المســتوى، جلّها يدور في فلك تعريب المصادر غير العربية ذات الصلة بتاريخ العرب والجزيرة العربية، وخاصــة المصــادر البيزنطية والســريانية. وكانت هذه المرحلة تتطلب قــدرًا عاليًا من الإلمام باللغــات القديمة، إلى جانب الفهم للســياقات التاريخية والثقافية التي كتبت فيها تلك النصوص، وهو ما وجدت نفسي فيه مستعدًا بشكل فطري وعلمي معًا. ولعل هذه النقلة، بما حملته من مســؤولية وتقدير، كانت من أكثر ما أثرى تجربتي العلمية والمهنية في أبها، وجعل من وجودي بها مسؤولية معرفية أكثر منه مجرد انتقال وظيفي[1].

(١) ياخي الغالي الدكتور ابن رمضان لست المستفيد الأوفر حظاً في رحلتك العلمية والوظيفية إلى المملكة العربية السعودية، بل نحن أبناء هذه البلاد، وبخاصة معاشر المؤرخين من الأساتذة والطلاب الذين استفدنا من علمك وتجاربك العلمية والبحثية، ولا نقول إلا جزاك الله عنا و عن العلم كل خير (ابن جريس)

د. أثر هذه المحطات الثلاث:

لا شك أن تلك المتغيرات الثلاثة كانت بمثابة النقلة النوعية الكبرى في مساري العلمي، إذ انتقلت باهتماماتي البحثية من حيز التخصص الأكاديمي الضيق إلى آفاق أوسع تستهدف إفادة المجتمع العلمي، عبر الكشف عن نصوص مهمة وغير مألوفة، تكشف بدورها عن جوانب جديدة ومغفلة من تاريخ العرب القديم، وتُسهم في إعادة قراءة ذلك التاريخ بلغة المصادر الأصلية. وكان الانخراط مع مؤسسة بحثية مرموقة على مستوى المملكة العربية السعودية فتحًا علميًا آخر، إذ أتاح لي المشاركة في مشروعات نوعية تهدف إلى تعريب نصوص سريانية وبيزنطية وغيرها من اللغات، ضمن السياق الأوسع لتاريخ وحضارة الجزيرة العربية والمسلمين في العصرين القديم والوسيط. وقد شكّل هذا الانخراط منعطفًا مهمًا في رؤيتي للدور الحقيقي للباحث الأكاديمي، إذ لم يعد يقتصر على التدريس والنشر الفردي، بل تجاوز ذلك إلى البناء المعرفي الجماعي المتكئ على ثقة المؤسسات العلمية واحتياجاتها.

لعل عملي في تحرير مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية كان فصلًا آخر لا يقل أهمية في هذه المسيرة، إذ أتاح لي التواصل العلمي الرفيع مع نخبة من المحكّمين والباحثين من مختلف الجامعات داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، في فضاء من الجدية والرقي العلمي، ما عمّق شعوري بالمسؤولية تجاه هذه التجربة، وجعل من أبها فضاءً علميًا لا يقل في عمقه وإلهامه عن المدن التي شهدت محطات سابقة من حياتي الأكاديمية. ولعلي أخجل من القول إنني كنت معروفًا قبل قدومي إلى أبها، لكن المؤكد أن أبها منحتني ما يشبه إعادة اكتشاف النفس. لقد كانت منعطفًا مهمًا لا في مسيرتي المهنية فحسب، بل في تكويني العلمي والإنساني معًا.

لعل من المواقف التي ظل وقعها في النفس دافئًا محفزًا، أن زميلًا وصديقًا سعوديًا لي، هو البروفيسور سعيد بن مشبب القحطاني، سافر إلى ألمانيا للمشاركة في مؤتمر علمي بجامعة ماربورغ، فإذا به يتصل بي من هناك، ليخبرني بأنه في ضيافة صديق قديم لي يعمل بتلك الجامعة. لقد أصر ذلك الصديق على استضافته فور علمه بأنه قادم من جامعة الملك خالد، وكان ذكر اسمي مفتاح المودة بينهما.

في موقف آخر لا يقل أثرًا، حين حلّ وفد من الجمعية التاريخية السعودية لافتتاح فرع الجمعية بجامعة الملك خالد، وكان من بين أعضائه أستاذ مرموق من جامعة الملك سعود، هو رئيس الجمعية ذاتها، فما إن رآني حتى دعاني باسمي «د. رمضان»، وأقبل

نحوي مرحّبًا بحرارة، ثم حدّث الجمع بأن جامعته كانت قد اتخذت كل الإجراءات للتعاقد معي، لولا أن سبقتها جامعة الملك خالد، في سبقٍ كريمٍ أقدّره وأحفظه للجامعة التي احتضنتني.

وثالث المواقف التي لا تُنسى، يوم زار القسم أستاذ شهير من جامعة الكويت، كان ضيفًا على إمارة منطقة عسير لإلقاء محاضرة ضمن موسمها الثقافي الرمضاني. فما إن أبصرني حتى أبدى دهشة سرور، وغمرتني كلماته النبيلة بما أشعرني بأن السنوات لا تُطفئ جذوة المودة، ولا تُغيّب حضور العلم الصادق حيث وُجد[١].

٦- المناخ العلمي:

كان المناخ العلمي الذي صادفته في أبها أشبه بما اعتدت عليه في القاهرة من جدية وثراء، لكنه تفوّق عليه في بعض الجوانب، خصوصًا من حيث الفرص البحثية العريضة، والأفق العلمي الرحب الذي ينفتح أمام الباحث، لتغدو هذه المحطة بكل ما تحمله من ثراء معرفي، علامة فارقة في أي مسيرة علمية وبحثية. وإذا كنت بطبيعتي أميل إلى الرفق والمجاملة في النقاشات العلمية، فقد وجدت في بيئة أبها ومناخها الأكاديمي ما أعاد ضبط هذه العاطفة لتتماشى مع قيمة الموضوعية والحياد العلمي.

أ. التحكيم العلمي بمجلة الدراسات التاريخية والحضارية:

رأيت ذلك واضحًا في عملي بمجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية، حين يُحال البحث إلى محكّمين لا يعرفون للمجاملة طريقًا، ولا يعرفون صاحب المادة العلمية، فتأتي أحكامهم صريحة دقيقة، منطلقة من موازين العلم ومعاييره فحسب. لقد حرصت هيئة تحرير المجلة، ومعها رئيس التحرير، على أن يكون نهجها منذ اللحظة الأولى نهجًا يقوم على أقصى درجات المهنية والموضوعية، فلا مجال فيها للمحاباة أو التدخل أو الميل مع الهوى. وأول ما يتم الحرص عليه أن تُراجع البحوث فور استلامها عبر الموقع الإلكتروني للمجلة، ليتبين مدى صلاحيتها مبدئيًا قبل أن تُحال إلى المحكمين المختصين. وهذه الخطوة لم تكن مجرد إجراء إداري، بل كانت ضمانة أساسية تحمي المجلة من أن يتسرب إليها ما لا يليق بمستواها العلمي. وحين تنتقل البحوث بعد ذلك إلى أيدي المحكمين، فإن المسار يظل نقيًّا من أي تدخل من

(١) أشكرك على تواضعك يادكتور عبد العزيز رمضان، فأنت تذكر أمثلة وكأنك غير معروف وبخاصة في المجتمعات العلمية والأكاديمية، ولكن أعلم ياأخي أن علمك وجهودك البحثية منتشرة في كل مكان من العالم، ويعود إليها الكثير من الباحثين والمؤرخين العرب والأجانب. (ابن جريس).

الهيئـة أو رئيسـها، فلا يلتفت إلى شخصـية الباحـث، ولا إلى موقعه أو انتمائه، سـواء أكان من داخل جامعة الملك خالد أم من خارجها. وهذه شـهادة أقولها ابتغاء وجه اللّٰه الكريم، إذ لا يسع المنصف إلا أن يعترف بصرامة هذا المنهج ونزاهته.

غير أن التحكيم العلمي، بطبيعته، لا يخلو من التباين، وهذا ما خبرته عبر مساري الطويـل في إدارة وهيئات تحرير مجلات علمية أخرى. فالمحكمون – وهم بشـر قبل أن يكونوا علماء – يختلفون في طرائقهم ومناهجهم، فيأتي بعضهم صارمًا إلى حد التشدد الـذي يكاد يُغلق الأبواب، بينما يميل آخرون إلى اللـين أو المرونة في تقويم الأعمال. ولم يكـن هذا التبايـن في جوهره عيبًا، بل هو انعكاس طبيعي لتعـدد زوايا النظر واختلاف المدارس العلمية. وقد تنبّه نظام تحرير المجلة إلى هذا الأمر منذ تدشـين المجلة، فجعل له علاجًا مؤسسـيًا راسـخًا؛ فإذا وقع أن رفض أحد المحكمين بحثًا وارتآه آخر صـالحًا للنشـر، فالحل لا يكون في إهمال رأي هـذا أو ذاك، بل في اللجوء إلى محكم ثالث يُعهد إليه بقول الفصل. وبهذا ظلّت المجلة تحافظ على توازنها، فلا تسقط في فخ التشدد ولا في هاوية اللين، بل تسير في طريق قويم يضمن أن ما يُنشر على صفحاتها قد مرّ بميزان دقيق من النقد والتمحيص[(١)].

ب. وقفة مع بعض لقاءات (سيمنارات) التاريخ في أبها:

لمسـت هذا المناخ نفسـه في سـيمنار تسجيل الرسـائل العلمية (تخصـص التاريخ الإسلامي)، حين يناقش أعضاء هيئة التدريس خطط الباحثين في الماجستير والدكتوراه، في حوارات جادة لا تفسـدها علاقات الزمالة أو المجاملة، بل تفتح المجال لتقويم علمي صريح يصبّ في صالح الباحث ويدفعه إلى الأفضل.

شـهدت منذ قدومي إلى أبها عشـرات الجلسـات (للسـيمنار) العلمي، وكانت في بدايتها تعقد وفق النمط التقليدي في قاعة اجتماعات مجلس القسم بمقر الجامعة حي القريقر. هناك كان الحضـور مقتصـرًا على أعضـاء هيئة التدريس في شطر الطلاب فقط، يجلسـون في مجلس علمي مصغر تتقاطع فيه الخبرات وتتلاقى فيه الآراء، بينما يقدم الباحث خطته أمامهم، سـواء كان طالب ماجسـتير أو دكتوراه. وإذا كان الباحث ذكرًا فإنه يحضر بنفسه إلى قاعة القسم ليعرض خطته مباشرة، أما إذا كانت الباحثة

(١) هـذه الطريقـة المعقولة والمعمول بهـا مع المجلات العلمية الجيـدة، وفي مجالس الجامعـات العلمية أثناء تحكيم بعض الأعمال العلمية، أو نظام الترقيات وهذا الذي رأيته وعاصرته وعرفته أثناء عملي في التعليم العالي حوالي (٤٤) عاماً (١٤٠٠ – ١٤٤٤هـ / ١٩٨٠ – ٢٠٢٣م). (ابن جريس).

من شطر الطالبات، فإن مشاركتها تتم عبر الشبكة الاتصالية التي تربط كلية العلوم الإنسانية بشطر الطالبات، وكذلك الحال مع عضوات هيئة التدريس، إذ يشاركن عن بُعد عبر هذه الشبكة. وهكذا، كان المشهد قبل جائحة كورونا قائمًا على حضور الأساتذة فقط، أما طلاب الدراسات العليا الآخرون فلم يكن لهم نصيب في متابعة هذه الجلسات، التي بقيت مقتصرة على من بيدهم المناقشة والتقويم.

ثم جاءت جائحة كورونا لتبدل موازين العادة وتغير من صورة المشهد. فقد أُغلقت القاعات وتوقف الحضور المباشر، وصار التواصل الافتراضي هو السبيل الوحيد لاستمرار (السيمنار). ومع امتداد فترة الإغلاق الطويلة اعتاد الجميع هذا النمط الجديد، حتى صار مألوفًا وأكثر يُسرًا من الناحية العملية، لما فيه من ملاءمة لظروف الأعضاء المختلفة. ومن ثمار هذا التحول أنه فُتحت للمرة الأولى أبواب (السيمنار) أمام طلاب الدراسات العليا ليشهدوا بأنفسهم عرض خطط زملائهم، وليستمعوا إلى ما يوجه إليها من نقد وملاحظات. كان ذلك فتحًا جديدًا أغنى تجربتهم، ومنحهم خبرة عملية في كيفية إعداد الخطط البحثية والدفاع عنها، وهو ما لم يكن متاحًا لهم من قبل في النمط التقليدي[١].

هكذا، انتقل (السيمنار) من كونه لقاءً محدودًا بين الأساتذة والباحث صاحب الخطة، إلى فضاء أوسع يتشارك فيه الطلاب مع أساتذتهم في مشاهدة النقاش العلمي وتبادل التجارب. وبذلك تحول، مع الزمن، إلى ورشة تدريب حية تساهم في صقل الباحثين الناشئين، وتمنحهم وعيًا مبكرًا بآليات النقد والحوار العلمي، وتُرسخ لديهم قناعة بأن البحث ليس جهدًا فرديًا منعزلًا، بل ممارسة جماعية تُبنى على المشاركة والتفاعل[٢].

---

(١) ربما لم تشهد حضور طلاب الدراسات العليا جلسات مناقشات الخطط بالطريقة التقليدية، إلا أن هذا الأمر كان موجوداً ومعمولاً به في قسم التاريخ من عام (١٤٢٤هـ/ ٢٠٢٣م) حتى حدوث جائحة كورونا. ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يكتب مسيرة أقسام التاريخ في أبها من سنة التأسيس (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٦ م)، وهو موضوع جدير بالعناية البحثية (ابن جريس).

(٢) يا أستاذ عبد العزيز إن التعليم العالي (الجامعي) تطور تطوراً كبيراً خلال نصف قرن (١٣٩٦-١٤٤٦هـ/١٩٧٦-٢٠٢٤م)، وعلى كل المستويات. هذا الذي عرفته وعاصرته وكتبت عنه، وما زال هذا المجال بحاجة إلى دراسات علمية جادة وعميقة ورصينة، آمل ان يتحقق ذلك من خلال قسمكم (قسم التاريخ والآثار) بجامعة الملك خالد (ابن جريس).

ج. أمسيات الإمارة الثقافية والعلمية:

مما أدهشني بحقّ في أبها، ذلك الحرص الكبير على تنظيم اللقاءات الثقافية والعلمية، لا سيما تلك التي يشرف عليها سمو أمير المنطقة بنفسه، حيث تُعقد اللقاءات طوال العام، وفي شهر رمضان خاصة، تتحول إلى صالون علمي راقٍ يجتمع فيه العلماء والمثقفون من مختلف أنحاء المملكة العربية السعودية والعالم العربي. كان حضوري لتلك اللقاءات أشبه بمتابعة ندوة فكرية تُدار في إحدى عواصم الثقافة الكبرى. لقد فاجأني الأمير بغزارة علمه، وعمق ثقافته، وحرصه على الحوارات والمداخلات التي تلي كل محاضرة.

أذكر إحدى أمسيات رمضان عام (١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م)، حين استوقفني حديثه عن أحد الأديرة المصرية، الذي ترعاه وتحميه قبيلة سيناوية أصيلة. طرح سمو الأمير السؤال على الحضور، ووعد بجائزة لمن يصيب الإجابة. ترددت المحاولات حتى بادرتُ بالإجابة الصحيحة، فحظيت باستحسان الأمير، غير أنني نسيت – لسوء الحظ – اسم القبيلة، فضاعت المكافأة، لكنّي كسبت ما هو أثمن منها: حوارًا راقيًا، وإن كان قصيرًا عابرًا، مع شخصية متواضعة محبة للعلم والثقافة، تمثل القدوة في التفاعل الحي مع المعرفة وأهلها.

لا أنسى أمسية أخرى في رمضان (١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م)، حين خُتمت إحدى الفعاليات الثقافية بدعوة من الأمير إلى السحور، فإذا به يجلس على مائدة واحدة مع بعض الضيوف والباحثين والوافدين -كنت أحدهم-، يتبادل معهم أطراف الحديث، ويُشعرهم أنهم في بيتهم، وأن الثقافة ليست مقامًا للتكلف، بل للحوار الصادق والرفقة الراقية.

كثيرة الندوات التي حظيت بحضورها، ومتنوعة الموضوعات التي غمرتني بفوائدها، خلال تلك الأمسيات الرمضانية التي عُقدت في دار الإمارة. كانت أشبه بملتقيات فكرية تجمع أطيافًا متعددة من القضايا، تمتد من صفحات التاريخ الوطني السعودي بما يحمله من محطات كبرى ورموز ملهمة، إلى دراسات معمقة في تاريخ الحروب الصليبية وما ارتبط بها من تفاعلات بين الشرق والغرب، ومن القضايا العربية والإسلامية التي ما زالت تلقي بظلالها على واقعنا الراهن، إلى مباحث في الجغرافيا السياسية وما يكشفه الموقع الاستراتيجي من فرص وتحديات، بل وتصل إلى آفاق الحضارة الفرعونية والتاريخ الأوروبي المعاصر. كان الطيف واسعًا بحق، يتيح

للعقل أن يرتحل بين الأزمنة والحضارات في مكان واحد، فتغدو تلك الأمسيات أشبه بمدرسة مفتوحة تتجاور فيها التجارب الإنسانية والمعارف العلمية[١].

من بين ما بقي عالقًا في ذاكرتي ندوة فريدة عُقدت في المكتبة المركزية لجامعة الملك خالد؛ تلك المكتبة التي تفوق في مساحتها وتجهيزاتها وحجم مقتنياتها كثيرًا من المكتبات العالمية التي قدّر لي أن أزورها في أسفاري. في ذلك المساء، وجدتني في حضرة محاضرة استثنائية ألقاها خبير أو دبلوماسي روسي سابق، تناول فيها تطور العلاقات السعودية الروسية في العصر الحديث. وقد ازدادت الندوة ثراءً ورونقًا بفضل الرعاية الكريمة والحضور المشرّف لسمو أمير منطقة عسير، الذي أضفى على اللقاء طابعًا رسميًا ومكانة خاصة، فكان حضوره شاهدًا على الاهتمام الذي توليه القيادة المحلية لكل ما يعزز مكانة المنطقة على خريطة الفكر والثقافة.

تميزت المحاضرة بثراء معلوماتها، وبالزاوية العملية التي طرحها المحاضر، إذ لم يكن حديثه مجرد تحليل نظري للعلاقات الدولية، بل شهادة حيّة تعكس خبرة رجل عاش تفاصيلها. وحين التقت هذه الخبرة بحضور أكاديمي متنوع، طلابًا وأساتذة وباحثين، بدا المشهد وكأنه حلقة وصل بين النظرية والتجربة، وبين التاريخ القريب والواقع الماثل. ولعل ما جعل تلك الندوة متفردة أكثر أن الحضور شعروا جميعًا أنهم جزء من حدث حيّ يربطهم مباشرة بمسار السياسة الدولية، وأن الجامعة ليست مجرد قاعات دراسة، بل منبر حيّ للتفاعل مع القضايا الكبرى التي تشكل حاضرهم ومستقبلهم.

د. أمسيات صاحب موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب):

لا يسعني إلا أن أعود للحديث عن صاحب **(القول المكتوب في تاريخ الجنوب)** لأستوقف القارئ أمام بُعد آخر لا يقل أهمية عن علم الرجل ودأبه، أعني به كرم الرجل وفضله. فقد كان مضربً مثل في السخاء والود، يفتح أبواب بيته العامر مرارًا وتكرارًا بدعوات كريمة لموائد عامرة، خصوصًا في ليالي رمضان المفعمة بالروحانية والبركة، أو في غيرها من أيام العام، حيث تتحول الموائد إلى مناسبات علمية وإنسانية معًا. فكثيرًا ما وجدت نفسي في رحاب بيته أتعرف على وجوه جديدة من الأكاديميين والباحثين والمتخصصين في حقول الأدب واللغة والتاريخ وسائر العلوم الإنسانية.

---

(١) يا دكتور عبد العزيز أن مدينة أبها حظيت بأنشطة علمية وأدبية وثقافية وندوات ومؤتمرات ولقاءات يقدر عددها بالمئاتٍ من بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م)، لكن للأسف الشديد لا نجد لها حفظاً ولا توثيقاً، وبالتالي ضاعت مع تقادم الزمن، آمل أن نرى مؤسسات ومراكز علمية تقوم على حفظ مثل هذه المصادر المعرفية حتى تكون في متناول أيدي الباحثين والمؤرخين متى رغبوا بحثها ودراستها. (ابن جريس).

من أبرز من أتذكرهم، وقد عرفتهم في هذا البيت العامر، هناك وجهٌ صار مألوفًا، هو وجه الأديب والباحث الجاد الأسـتاذ محمد بن أحمد مُعَبِّر، صـاحب الإنتاج الغزير الذي يتدفق في مختلف ميادين الثقافة، والذي لمست فيه الجمع بين رهافة الأديب ودقة الباحـث. ولم تقتصـر ثمرات تلـك المجالس العامرة على العلماء فحسـب، بل شـهدت هناك خليطًا مثيرًا للاهتمام من الشخصـيات التي جمعت بين الطيبة الفطرية والرقي الإنساني. أذكر من بينهم عم حسن، ذلك الشيخ المصري الأسمر الذي جاء من الريف المصــري الأصيل، وقد حفر الزمن على قسماته خطوط الكد والاجتهاد، حتى بدا وجهه ككتاب مفتوح يروي حكايات الصبر والعمل. كان حضوره البسيط يزيد المجلس ثراءً، إذ يذكّرك أن للعلم جذورًا في العرق والكد مثلما له ثمارًا في الفكر والقلم[١].

وهكذا، لم تكن لقاءات بيت صـاحب (**موسـوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب**) مجرد مناسبات اجتماعية عابرة، بل كانت في حقيقتها مجالس علم ومختبرات ثقافية، تبدأ على هيئة حوارات عادية ثم لا تلبث أن تتحول إلى حلقات علمية تستدعي الذكريات، وتفيض فيها الأفكار والمعلومات، ويختلط فيها الجد بالود، والبحث بالألفة، في مشهد قلّ أن تجده إلا في بيت عالم جمع الله له بين السعة في المعرفة والرحابة في القلب والصدر.

هـ. باحثون وعلماء:

قبل قدومي إلى أبها لم تكن لدي صورة كاملة عن المستوى العلمي والأكاديمي الذي بلغه الباحثون السـعوديون. كنت قد عرفت بعضـهم وأنا في مصر عبر المؤتمرات أو من خلال الاطلاع على بعض بحوثهم، غير أن هذه المعرفة الجزئية لم تكن لتمنحني صورة مكتملـة المعالم أو وافية التفاصـيل. كانت مجرد ملامح متناثـرة لا تفي بالغرض. لكن سـنواتي الممتـدة في جامعة الملك خالد غيّرت هذه النظرة تغيـيرا عميقًا؛ إذ أتاحت لي فرصــة الاحتكاك المباشر والمستمر بنخبة من العلماء والباحثين الذين لمست فيهم علمًا راسخًا، وخلقًا كريمًا، وتواضعًا يليق بأهل العلم والفضل[٢].

---

(١) غفر الله لك يادكتور عبد العزيز، فنحن نتعلم منك المصـداقية ولطف القول والمعشـر، وعدم نسـيان من عرفتهم وجالستهم عندما تكرمت عليّ وزرتني في منزلي، وأنت صاحب الفضل على محبكم والداعي لكم بظهر الغيب. (ابن جريس) .

(٢) إن الذي ذكرته وشاهدته في أبها أو غيرها من طبقة المتعلمين والباحثين كانت بداية علمهم وتعلمهم على أيدى أسـاتذة جيديـن وموفقين متعاقدين، وأكثرهم من جمهورية مصـر العربيـة، وهناك الآف الطلاب السعوديين. الذين نهلوا علومهم من أولئك الأعلام الأساتذة الوافدين (ابن جريس).

لم تكن معرفتي بهم مقصورة على قاعات التدريس أو جدران القسم، بل جاءت في سياقات متعددة ومتنوعة: مناقشات أطروحات الماجستير والدكتوراه، حضور (سيمنارات) التاريخ الإسلامي، دعوات كريمة للإفطار في رمضان، طلعات متكررة على مدار العام، أو حتى اجتماعات لجان الاعتماد الأكاديمي التي كثيرًا ما تخلّت عن الرسميات لتكشف عن وجوه إنسانية صافية. في كل هذه المواطن وجدت أمامي باحثين وعلماء جمعوا بين الدقة المنهجية والرصانة العلمية، وبين الأخلاق والتواضع الجم. لقد كان المشهد مدهشًا بحق: بعضهم يتسم بالصرامة والانضباط إلى حدّ يجعل من حضوره نموذجًا يُحتذى، وبعضهم الآخر يغلب عليه التواضع الرفيع الذي يفتح القلب قبل العقل، وجميعهم يفيضون علمًا غزيرًا وجهدًا مثمرًا.

وإني أخشى أن أنسى أحدًا منهم، وإن وقع ذلك فليغفر لي صاحبه، فكلهم يستحق الذكر والشكر. غير أن عاطفتي تدفعني دفعًا إلى ذكر اثنين منهم بالاسم، فقد اقتربا من قلبي وعقلي معًا، لا لأنهما أبرزا علمًا أكثر من غيرهما، بل لأن القَسَمات الإنسانية والعلمية جمعَتنا على نحو خاص. لعل القرب السني جعلنا أكثر ألفة، وإن كنت أكبرهما ببضع سنوات، وربما كان الشغف المشترك بالبحث العلمي هو ما قرّب المسافات أكثر، لكن المؤكد أن خصالًا إنسانية مشتركة جمعتنا وجعلت العلاقة تمتد من إطار الزمالة المهنية إلى فضاء الود والصداقة.

أولهما التقيت به لأول مرة في بيت صاحب (**<u>موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب</u>**)، وهو الدكتور عوض بن ناحي عسيري، الحاصل على درجة الدكتوراه من جامعة برمينجهام، والذي يعمل أستاذًا مشاركًا في التاريخ الإسلامي بجامعة نجران، وتبدّت لي في أول لقاء معه ملامح باحث جاد، محب للعلم، شغوف بالغوص في التفاصيل الدقيقة. أما الثاني، الدكتور علي بن عوض آل قطب، فهو زميل لي في قسم التاريخ، جمعني به من اللحظة الأولى رابط خفي من الشغف العلمي، والتطلع الجاد نحو البحث، وسرعان ما تطورت العلاقة بيننا إلى صداقة وطيدة، عمّقتها الأيام، ووطّدتها المواقف. وهو الآن أستاذ مشارك في التاريخ الحديث، ويشغل منصب مدير مركز تاريخ منطقة عسير بجامعة الملك خالد. ومن عمق ثقته بي علميًا وإنسانيًا، أصر على أن أكون مستشارًا علميًا للمركز الذي يديره، وهو شرف أعتز به واعتبره من محطات الفخر في رحلتي. ولحسن الحظ، كان هذان الصديقان على صلة وثيقة ببعضهما، وهو ما أتاح لنا فرص لقاءات متكررة، كثيرًا ما جمعتنا على طاولات المقاهي الهادئة في أرجاء مدينة أبها، حيث كنا نغرق في النقاشات العلمية، ونتبادل الآراء، ونخوض في سجالات فكرية وثقافية لا تخلو من المتعة والجدل والنقد البناء. لقد أفدت من كلاهما فائدة عظيمة، لا من جهة

التخصص فحسب، بل من حيث الرؤية الأوسع لطبيعة العمل الأكاديمي وكيفية خدمة المعرفة بصدق وإخلاص. ومع مرور الوقت، تشاركنا في بعض المشروعات البحثية، وكان لكل مشروع طابعه الخاص، وروحه التي تنبض بروح الصداقة والعلم معًا[١].

٧- التواصل الإنساني:

أما عن العلاقات الإنسانية الدافئة التي صادفتها في أبها، فهي في ذاتها تجربة فريدة لا تقل أثرًا عن المتغيرات العلمية التي مرت بي. لقد كانت أبها كريمة في ناسها، سخية في ودّها، واحة دفء في مهجر الغربة. وبالإضافة إلى أمسيات الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس في منزله العامر، التي تحدثت عنها قبلا، كانت هناك كذلك لقاءات دورية غير رسمية، يطلق عليها الزملاء بـ (الطلعة)، وجمعها «طلعات»، حيث يجتمع أعضاء القسم في إحدى استراحات أبها المتناثرة عبر الجبال، في جو يفيض بالألفة، بعيدًا عن الرسميات، فتتحول الطلعة إلى جلسة محبة، وبوح، وتبادل للقصص والمواقف التي لا تنسى[٢].

كانت دعوات الزملاء على الإفطار في رمضان من أجمل ما مر بي في غربتي، إذ كنت أجد فيها طعم البيت ودفء الصحبة، وذكرى القاهرة البعيدة. ولا أنسى طلعةً بعينها، دعاني إليها أحد الزملاء، وكانت على أحد الجبال الشاهقة بأبها، وسط طبيعة خلابة تأسر القلب وتُسكن الروح. هناك، وبين سكون الطبيعة وصفاء السماء ودفء اللقاء، شعرت أنني لم أبتعد كثيرًا عن موطني، وأن الغربة قد تكون أحيانًا أقرب الطرق إلى اكتشاف الذات ومعاني الحياة.

ولا أنسى كذلك تلك الرحلات الميدانية التي نظمتها الكلية والقسم والجمعية التاريخية السعودية – فرع عسير – إلى عدد من المواقع الأثرية والتاريخية التي تفيض بعبق الماضي وسحر المكان. من موقع جرش الأثري، الذي تنطق حجارته بصمت القرون، إلى متحف تمنية الأهلي، حيث تتجاور الذاكرة الشعبية مع مقتنيات الحياة اليومية في تناغم آسر، إلى قصور أبو سراح التاريخية التي ما تزال تقف بشموخها في وجه العصور،

---

(١) شكر الله لك يا دكتور عبد العزيز على صدقك ووفائك، فانت أستاذ قدوة وصادق في أطروحاتك، والأستاذان الفاضلان الكريمان ابن ناحي و ابن قطب، فهما من الكوادر العلمية الجادة والمثمرة، والحقيقة أنهم من الأبناء الذين أفخر بجهودهم العلمية المباركة والهادفة، وإسأل الله لكم جميعاً التوفيق والسداد. (ابن جريس) .

(٢) يادكتور عبد العزيز هذه عادات موجودة عند التهاميين والسرويين من قديم الزمان، وزادت أكثر بعد النمو والتطور الحضاري الذي تعيشه البلاد في العصرين الحديث والمعاصر ، ومثل هذه التقاليد حبذا أن تدرس في بحوث علمية من الباحثين والمؤرخين المحليين . (ابن جريس) ،

إلى تلك القرى التراثية الغارقة في تفاصيل الحجر ونماذجها المعمارية الفريدة التي تحاكي روح المكان وتُجسد عبقرية الإنسان في تكيّفه مع الطبيعة والبيئة. لقد كانت هذه الرحلات أكثر من مجرد زيارات علمية، كانت نوافذ تطل على تاريخ حي نابض، وتجارب تنقلك من الورق إلى الواقع، ومن التصور إلى المعايشة. وكل خطوة في هذه الأمكنة كانت تُغني الوجدان وتضيف إلى المخزون العلمي والبصري والإنساني شيئًا لا يُنسى(١).

من العادات والتقاليد المألوفة التي استرعت انتباهي في المجتمع السعودي، تلك الروح البسيطة والبعيدة عن التكلف في التعامل، لا سيما بين المقرّبين من الزملاء والأصدقاء. وقد كان هذا النمط من التفاعل جديدًا على شخص نشأ على قدر من التحفّظ والحساسية في مخاطبة من هم أكبر سنًا أو أرفع مقامًا. من المألوف في البيئة الأكاديمية هنا أن يخاطبني بعض الزملاء المقربين بكنيتي «أبو كريم»، نسبة إلى ولدي(٢)، وهي عادة تنم عن دفء العلاقة وقربها، وإن كنتُ نفسي لا أستخدم الكنى إلا في حالات نادرة، مثل مناداة صديقيّ المقرّبين بـ«أبي فيصل» و«أبي يزن»، وهما الأستاذان المشاركان بجامعتي نجران والملك خالد، واللذان سبق الحديث عنهما، لما بيننا من علاقة تتجاوز حدود الزمالة الأكاديمية إلى صداقة نافعة.

شعرت غير مرة بحرج بالغ حين يخاطبني بعض الزملاء ممن يكبرونني سنًا ومقامًا بلقب «أستاذنا»، وهو ما لم أكن معتادًا عليه قبل قدومي إلى أبها. ولم يكن ردي في هذه المواقف إلا أن أقابل اللقب بمثله، لا مجاملة بقدر ما هو احترام وتقدير متبادل، وإن لم يكن ذلك ديدني مع الجميع، بل كنت أخص بهذه المجاراة أولئك الذين يتسمون بتواضع جم، ويسعون إلى بناء علاقة إنسانية أصيلة تتجاوز الاعتبارات الشكلية(٣).

---

(١) شكر الله لك يا دكتور عبد العزيز رمضان، لقد طوفت بنا مع العديد من الأمكنة والموضوعات التاريخية والحضارية في منطقة عسير، وبخاصة في حاضرة أبها. وأقول لك ولكل أستاذ في التاريخ والآثار أن بلاد تهامة والسراة، الممتدة من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران مستودع كبير جداً من الإرث والتاريخ والحضارة المادية والمعنوية. ونأمل من جامعاتنا المحلية، ومراكزها البحثية، وأقسامها العلمية أن تسخر كل ما في وسعها لخدمة الأرض والناس (سراة وتهامة) علمياً، وبحثياً، وتوثيقياً ، ومعرفياً (والله من وراء القصد) . (ابن جريس).

(٢) هذه ايضاً يا أبوكريم من العادات السائدة والمنتشرة عند السعوديين عموماً، وعند السرويين والتهاميين خصوصاً. و ما زال عندنا في جنوب البلاد السعودية الكثير من التقاليد الراقية والجميلة ، وهي من الموضوعات الحضارية الجديرة بالبحث والدراسات العلمية (ابن جريس) .

(٣) تذكر يادكتور عبد العزيز جوانب إنسانية جيدة جداً وطريفة، وفي الوقت نفسه يعكس كلامك ومنهجك ولطفك وحسن خلقك عندما توثق هذه الثقافة الاجتماعية اللطيفة . (ابن جريس) .

٨- التدريس وقيود جائحة كورونا:

أما على مستوى التدريس بجامعة الملك خالد، فتلك أيضًا كانت تجربة ملهمة لا تقل عمقًا عن سابقتها في ميدان البحث العلمي. ورغم أن إشرافي على طلاب الدراسات العليا وتأطيرهم العلمي قد تأخر قليلًا، فإن التدريس لطلاب البكالوريوس كان في حد ذاته مغامرة معرفية وتجربة إنسانية متميزة، كشفت لي عن طلاب متعطشين للمعرفة، ذوي استعداد فطري للتلقي والنقاش والانفتاح على الطروحات الجديدة. ومن المصادفات الغريبة أن السنوات السبع التي قضيتها حتى الآن في أبها، شهدت خلالها الجامعة والمدينة تحولات كبرى، بعضها فرضته الطبيعة، وبعضها الآخر كان ثمرة إرادة بشرية واعية بالتنمية والتطوير.

كانت أولى التحولات الكبرى التي عاصرتها في أبها متمثلًا في جائحة (كوفيد-١٩)، التي اجتاحت العالم في أواخر (٢٠١٩م)، وفرضت على البشرية عزلة قسرية. ومع إغلاق الجامعات والتحول إلى التعليم عن بُعد، وجدت نفسي – كما غيري – مدفوعًا إلى هذا العالم الرقمي الجديد، مستندًا إلى بنية تحتية تقنية متينة وفرتها الجامعة بقدر عالٍ من الكفاءة. لقد فاقت هذه الطفرة التقنية التي بلغتها المملكة العربية السعودية كل تصورات سابقة لديّ، فكل شيء يتم إلكترونيًا، بلا طوابير ولا تعقيدات إدارية، في مشهد تنظيمي يشهد بحُسن الإدارة ووضوح الرؤية.

لكن، وكما لكل وجه ضوؤه وظله، فقد كانت لتلك المرحلة آثارها النفسية أيضًا، فالغربة مضاعفة في زمن الإغلاق، والوحدة أثقل حين تكون في مدينة اختارها القلب ولم تُرافقها الأسرة. لقد عشت ثلاثة فصول دراسية من التدريس عن بُعد، ثم جاء الفرج بالسفر إلى القاهرة بعد عامين، لأقضي إجازتي السنوية بين من أحب، لكن رحلة العودة كانت هي الأخرى تجربة من نوع خاص. لم يكن متاحًا لي دخول المملكة العربية السعودية مباشرة، فمررت بإحدى دول الترانزيت التي شُكلت حينها كمحطات للحجر الصحي قبل السماح بالدخول. وبقيت هناك أسبوعين كاملين، أعد الأيام والليالي شوقًا للعودة إلى قاعات الدرس، وزملاء القسم، وجدران أبها التي أصبحت جزءًا من ذاكرتي.

كانت جائحة كورونا، أو ما يُعرف علميًا بـ (كوفيد-١٩)، تجربة غير مألوفة، جمعت بين وجوه متناقضة في أثرها. فمن جهة، وفّرت لي عزلة نافعة أتاحت التفرغ للإنتاج العلمي، وأعفتني من ساعات كنت أقضيها عادةً في التنقل بين البيت والجامعة أو في الفترات التي تفصل بين المحاضرات، وهي أوقات كنت أحرص جاهدًا على استغلالها

بما تيسر من أعمال مصطحبًا معي دائمًا حاسوبي الشخصي (اللابتوب). غير أن لهذه التجربة وجهًا آخر لم أعهده من قبل؛ إذ وجدت نفسي عالقًا في القاهرة بعد صدور القرار الذي اشترط لاستئناف السفر إلى المملكة العربية السعودية استكمال جرعتي اللقاح داخلها. ولأنني كنت قد غادرت المملكة بعد عامين متواصلين من البقاء فيها مكتفيًا بجرعة واحدة، بدا الموقف معقدًا، وزادت إقامتي في القاهرة عن المدة النظامية للإجازة حتى قاربت الثلاثة أشهر.

ذات ليلة، وبينما كنت برفقة ابنتي الكبرى في مدينة نصر لزيارة إحدى العيادات، تلقيت مكالمة من صديق يعمل في جامعة أم القرى يسألني عن ترتيبات عودتي. لم تكن لدي آنذاك خطة واضحة، فأخبرني أنه سيسافر في اليوم التالي على متن رحلة خاصة من مطار برج العرب إلى عمان، حيث يقضي المسافرون فترة الحجر الصحي. وأوضح أن ثمة مقعدًا شاغرًا بعد اعتذار أحد المسافرين، وأن الفرصة سانحة إذا رغبت في الانضمام. لم يحتمل الموقف إطالة التفكير، فوافقت، وسارعت بإنهاء ما يلزم من إجراءات، وتواصلت مع ابنتي الصغرى كي ترسل لي صورة من جواز السفر على عجل.

كان وقع القرار مفاجئًا على أسرتي حين علموا أن السفر بعد ساعات قليلة، غير أنهم تهيأوا للأمر وساعدوني في تجهيز ما يلزم. وفي يوم الرحلة، توجهت إلى نقطة الالتقاء المتفق عليها على الطريق الصحراوي بالإسكندرية، حيث انتظرت صديقي لساعات طويلة في أحد المقاهي. وحين وصلنا إلى مطار برج العرب بعد العاشرة مساءً، واجهتنا عقبة لم تكن في الحسبان؛ إذ أبلغني موظف شركة الطيران أن اسمي غير موجود في قائمة الركاب، وربما أغفلت الشركة السياحية المسؤولة إضافته. طال الموقف وتعددت الاتصالات حتى جرى تصحيح الأمر وإصدار التذكرة وختم الخروج من الجوازات. غير أن الطريف في الحادثة أنني، بعد صعودي إلى الطائرة، لاحظت أن التذكرة تحمل اسم شخص آخر، يبدو أنه الراكب الذي اعتذر عن الرحلة في اللحظة الأخيرة، فسافرت مكانه فعليًا. وكانت تلك المفارقة كفيلة بأن تضفي على الرحلة مسحة خاصة، جعلتها تختلف عن كل ما سبق من أسفاري المعتادة.

من بين تجارب جائحة كورونا التي تركت أثرها العميق ما فرضته من قيود مشددة تتعلق باللقاح والفحوصات المخبرية، ذهابًا وإيابًا. فقد وجدتني في إحدى المرات مضطرًا إلى السفر إلى الرياض لاستقبال زوجتي وإبني، بعدما حُظر الطيران المباشر إلى أبها وفق القواعد النظامية وقتها، ولم يكن ثمة بديل سوى أن تمر الرحلة عبر العاصمة. لم تكن رحلة الذهاب من أبها إلى الرياض بالطائرة شاقة أو عسيرة، بل

كانت المشكلة الكبرى في رحلة العودة؛ إذ لم يكن مسموحًا لزوجتي ولا لابني الصغير أن يستقلا الطيران الداخلي من الرياض إلى أبها لعدم حصولهما بعد على أي جرعات من اللقاح. وهكذا لم يكن أمامنا سوى الطريق البري الطويل، رحلة استغرقت ما يقارب ست عشرة ساعة متصلة، حملت في طياتها مشقة السفر وإرهاق الطريق، لكنها في الوقت نفسه جسّدت ما كانت تفرضه الظروف من تعقيدات غير مألوفة، جعلت من أبسط التنقلات عبئًا يستنزف الجسد والذهن معًا[١].

لم تقف الصعوبات عند هذا الحد؛ ففي فترة وجودي في بلد الحجر الصحي، الأردن، واجهت معاناة أخرى حين قررت تلقي الجرعة الثانية من اللقاح في العاصمة عمّان، بعد أن قاربت صلاحية الجرعة الأولى التي تلقيتها في المملكة العربية السعودية على الانتهاء. كنت أظن أن الأمر يسير، فما عليّ إلا أن أتلقى الجرعة وأرسل الشهادة إلى موقع اللجنة العليا بالرياض لاعتمادها، لتظهر بعدها في تطبيق توكلنا الذي صار في تلك الأيام العصيبة على قدر أهمية جواز السفر وهوية الإقامة في آن واحد. غير أن ما حسبته أمرًا بسيطًا تحوّل إلى رحلة مضنية من المعاملات؛ إذ رُفضت شهادتي ثلاث مرات متتالية من اللجنة العليا، وفي كل مرة كنت أعود إلى وزارة الصحة في عمّان لتصحيح خطأ هنا أو تعديل معلومة هناك، ثم أعيد الإرسال من جديد، بانتظار لم يكن يخلو من القلق والحيرة.

مع اقتراب صلاحية الجرعة الأولى من الانتهاء دون أن يُعتمد تسجيل الثانية رسميًا، وجدت نفسي أمام خيار صعب. كان عليّ أن أقرر بين الاستمرار في انتظار المجهول، أو أن أجد وسيلة أخرى تضمن لي العودة في الوقت المناسب. وهكذا اتخذت قرارًا غير مألوف بإلغاء حجزي على الخطوط الملكية الأردنية، واختيار السفر برًا من عمّان إلى أبها. لم يكن دافعي هذه المرة تقليل المشقة أو تجنب التعقيد، بل حساب توقيت الوصول؛ فالسفر البري، على ما فيه من عناء، كان يضمن لي أن أصل أبها صباح الخميس، بينما كان الوصول عبر الطيران يعني الوصول ليل الجمعة، وهو توقيت لم أجد فيه ما يلبي حاجتي. لقد كانت هذه المفارقة وحدها كافية لتجعلني أدرك أن الجائحة لم تغير من تفاصيل الحياة اليومية فقط، بل قلبت موازين الأولويات، وجعلت قرارات السفر والإقامة تُبنى على اعتبارات جديدة لم نكن نحسب لها يومًا حسابًا.

---

(١) أمل يادكتور عبد العزيز أن تنجز في المستقبل سردية أخرى تشرح تنقلاتك في مناطق ومدن المملكة العربية السعودية، وتوثق شيئًا مما رأيته أو سمعته من تاريخ الأرض والناس أثناء تلك الرحلات. (ابن جريس).

٩- انتقال مقر الجامعة من حي القريقر إلى المدينة الجامعية في القرعاء:

أما التحول الثاني الذي عاصرته في أبها، فكان انتقال جامعة الملك خالد إلى مقرها الجديد بالقرعاء، وما تبعه من انتقال كلية العلوم الإنسانية إلى مبناها الجديد هناك. لا شك أن المقر الجديد اتسم بسعة في المساحة، وتطور في البنية، وتجهيزات أكثر حداثة. ومع ذلك، ظل المقر القديم بالقريقر حاضرًا في الوجدان، يحمل رائحة البدايات وذكريات السنوات الأولى لقدومي إلى المملكة العربية السعودية، وما شهدته من لحظات تعلم وتأقلم وتجربة. وقد تزامن هذا الانتقال مع تخصيص مبنى متكامل لبرامج الدراسات العليا على طريق الملك عبد الله، جُهز بأحدث الوسائل التعليمية من شاشات ذكية وقاعات متطورة. ولأن عالم ما بعد كورونا لم يعد كما كان قبله، فقد أخذت الجامعة منحى جديدًا في تحسين جودة العملية التعليمية، وكان من أبرز ملامحه السعي الحثيث للحصول على الاعتماد الأكاديمي لبرامجها من هيئة التقويم والاعتماد الأكاديمي(١).

هكذا، تحولت الفترة الممتدة من عام (٢٠٢٢م) وحتى الآن نهاية عام (٢٠٢٥م) إلى مرحلة مكثفة من الإعداد والتوثيق، وتشكيل اللجان والفرق، والعمل على إعداد الملفات، وتجميع الأدلة، واستيفاء الشواهد، في طريق التقديم للحصول على الاعتماد أو استكمال متطلباته. ورغم ما اتسمت به هذه المرحلة من مشقة وضغط مستمرين، فقد كانت مفيدة على المستويين الفردي والمؤسسي. وعلى الصعيد الشخصي، فقد كانت فرصة لصقل خبراتي التعليمية والإدارية، واكتساب مهارات جديدة ما كان لي أن أطرق أبوابها لولا هذا الانخراط العميق في أعمال الجودة والاعتماد.

كان انتقال مقر الجامعة من حي القريقر إلى القرعاء بعد جائحة كورونا واحدًا من الأحداث اللافتة التي تركت أثرها الواضح في تجربتي بأبها. فقد كنت معتادًا طوال السنوات السابقة أن أقطع مسافة لا تتجاوز اثني عشر كيلومترًا بين الفندق الذي أقيم فيه في أبها وحرَم الجامعة شرق مدينة أبها، وهي مسافة يسيرة لم تكن تُثقل يومي. غير أن انتقال المقر إلى القرعاء ضاعف هذه المسافة تقريبًا، فصارت الرحلة اليومية تبلغ نحو ثلاثين كيلومترًا، وهو ما شكّل في بدايته خبرًا صادمًا لي ولغيري من الزملاء الذين آثروا، مثلي، أن يقيموا في أبها دون أن يمتلكوا سيارة خاصة.

(١) أرجو من قسم التاريخ والآثار، ومن الباحثين والمؤرخين في منطقة عسير أن يدونوا تاريخ التعليم العالي في جنوب البلاد السعودية، وتاريخ جامعة الملك خالد على وجه التحديد، ومجال التعليم الجامعي في تهامة والسراة ما زال غير مخدوماً بحثياً وتوثيقياً. (ابن جريس).

لقد كان قراري بعدم اقتناء سـيارة في أبها له أسـبابه المتعددة. فمن جهة، لم تكن المسـألة مُلحة وأنا أعيش أعزبًا بلا أسـرة، ولا أعتمد على تنقلات يومية متشـعبة. ومن جهـة أخـرى، فإن الأمـان الوظيفي لم يكن يسـمح حينها بمثل هـذه الالتزامات المادية الطويلة الأمد. يضـاف إلى ذلك أن اسـتخراج رخصـة القيادة السـعودية كان يتطلب تفرغًـا لأسـبوعين متتاليين للتدريب في مدرسـة القيادة، رغم أنني كنـت أحمل بالفعل رخصـة قيادة مصرية. أما السبب الأهم، الذي ظل حاضرًا في ذهني دوما، فهو طبيعة الطـرق في أبها: مفتوحة وسـريعة، على النقيض تمامًا من شـوارع القاهرة المزدحمة دومًا. وقد كنت أشـاهد من حين لآخر حوادث طرق هنا في أبها، الأمر الذي جعل فكرة امتلاك سيارة خاصة أقل إغراءً وأكثر إثارة للتوجس.

ومهمـا يكن، فإن الانتقـال إلى القرعاء فرض علينا جميعًا واقعًا جديدًا يحتاج إلى اسـتعداد وتكيـف. في البدايـة راودنا – أنـا وبعض الزملاء – التفكيـر في مغادرة أبها العامرة بحثًا عن فندق جديد يكون قريبًا من المقر الجديد للجامعة. غير أن هذا الخيار لم يلبـث أن تلاشـى بعد زيارة قصـيرة للمكان. فقد تبـيّن لنا أن الفنـادق القريبة من القرعاء تقع في مناطق صغيرة شبه منعزلة، تحيط بها تجمعات سكانية محدودة للغاية، تتوافـر فيها الخدمات الأساسـية بالحد الأدنى، لكنها تفتقـر إلى الحيوية التي ألفناها في مدينـة أبهـا. كان الهدوء هناك يقترب من العزلة، وكأن الحياة تسـير بإيقاع بطيء يكاد يثقل على الروح. وعلى النقيض، كانت أبها قد صـارت لنا مألوفة، عامرة بالحركة والخدمـات والأجواء التي اعتدنا عليها خلال نحو ثلاث سـنوات من الإقامة. لذلك بدا تركها والانتقال إلى تلك المناطق شـبه المنعزلة خيارًا صعبًا، فآثرنا البقاء في المدينة[1]، على ما في ذلك من مشقة في قطع المسافة اليومية الطويلة.

هكـذا، كان انتقال الجامعة إلى القرعاء حدثًا لم يغـير المكان وحده، بل دفعنا إلى إعـادة التفكير في أنماط حياتنـا اليومية، والتكيف مع واقع جديد لم يخطر لنا على بال قبل الجائحة، واقع يُعيد رسم تفاصيل العيش والدراسة والعمل معًا.

---

(١) هذا القرار هو الأفضـل ، فالعيش في حاضـرة توجد فيها جميع الخدمات أحسـن من الانعزال في إحدى الأرياف . ولو تم الانتقال فقد تحصلون على بعض السكينة والهدوء ، لكن لن تستغنوا من التردد على المدن الرئيسية في المنطقة لقضاء حوائجكم المتنوعة . (ابن جريس) .

١٠- البنية التقنية والخدمات الإلكترونية:

مـن بـين أكثر ما شـدّ انتباهي وأثار إعجابـي منذ اللحظـة الأولى لدخولي المملكة العربية السـعودية، تلك البنية التقنية والرقمية المتطورة التي وجدتها ماثلة في كل شأن من شؤون الحياة، وبخاصة في المجال التعليمي. كنت قد جُبت بلدانًا أوروبية عدة، وحملت عن أنظمتها صـورة متقدمة بلا شك، لكنني لم أجد فيها ما يوازي شمولية هذا النظام الرقمي السـعودي، الذي يتغلغل في تفاصـيل يومية صـغيرة وكبيرة على السواء، ويجعل حياتك الأكاديمية والإدارية تمضي في مسار منظم وسلس إلى حدّ يثير الدهشة[١].

لم يكـن الأمـر مجرد ترف تقني، بـل كان بنية متكاملة، أشـبه بعمود فقري للدولة الحديثة، تعمل على اختصـار الزمن، وتبسيط الإجراءات، وتخفيف معاناة الإنسان في طوابير الانتظار أو مكاتب الموظفين. ولأنني لم أعهد مثل هذا التطور من قبل، كان عليّ أن أواكب، وأن أعيد تشكيل أسلوبي في العمل والتواصل، بما يتفق مع هذا الواقع الجديد.

لعـل أبرز مـا واجهني في جامعة الملك خالـد هو نظامها الإلكـتروني المتميز، ذلك النظـام الذي يضـم بـين طياته كل ما قد يحتاجه عضـو هيئـة التدريـس أو الطالب أو الموظـف مـن خدمات. كان بالنسـبة لي نافذة كـبرى تطل على حيـاة أكاديمية وإدارية متكاملة. فعبر الملف الأكاديمي وجدت سـجلًا شـاملًا ومتكاملًا عن مسـيرتي كأستاذ، قابلًا دومًا للتحديث بإضـافة الكتب والمؤلفات والبحوث الجديدة، فضـلًا عن مسـتودع الأبحاث الذي يتيح رفع ملفات الإنتاج العلمي ليكون متاحًا ومحفوظًا في خزانة الجامعة الرقمية.

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل كان هناك أيضًا باب واسع على المكتبة الرقمية السـعودية، ذلـك العالم الزاخر بقواعـد البيانات العربية والأجنبيـة، الذي فتح أمامي أفقًـا معرفيًا رحبًا. كنت كلما ولجت هذه القواعد شـعرت أننـي أمام مكتبة عالمية، وأن المعرفة أصبحت قاب قوسين أو أدنى من الباحث أينما كان.

أما من حيث الخدمات الإدارية، فقد شـكلت أيقونة الخدمـة الذاتية ثورة حقيقية في مفهومـي عن إنجـاز المعاملات. فمن خلالها اسـتطعت أن أقدّم طلبـات الإجازة أو المباشـرة بعدها، وأتابع أوامر الصـرف الخاصـة بالمكافـآت والرواتـب، وأراجع ملف

(١) هذه الحقيقة فالمملكة العربية السـعودية قطعت أشـواطاً كبيرة خلال العشـرين سـنة الأخيرة (١٤٢٥-١٤٤٦هـ/٢٠٠٤-٢٠٢٤م) في مجال توظيف التقنية في معظم المجالات الرسمية والأهلية. (ابن جريس).

الخدمة بكل تفاصيله الدقيقة. لم أعد بحاجة إلى مراجعة مكتب هنا أو هناك، ولا إلى طرق أبواب الموظفين في أوقات محددة، بل صار كل شيء في متناول يدي بكبسة زر. وهنا أدركت أن التقنية ليست فقط وسيلة للرفاهية، بل أداة لإرساء العدالة والشفافية، إذ لا مجال فيها للمحاباة أو التأجيل، فالنظام يحكم والوقت يُحترم.

وعلى صعيد التعليم والتدريس، كان لأيقونتين بالغتي الأهمية أثر كبير في تجربتي: الأولى هي «أكاديميا»، التي تعد نافذة متكاملة على الجدول الدراسي، وتقارير الإرشاد الأكاديمي، وسجلات الطلاب، وقوائم الحضور والغياب، ورصد الدرجات، ومتابعة سير العملية التعليمية بكل تفاصيلها. أما الأيقونة الثانية فهي «البلاكبورد»، التي وفرت لي منصة تفاعلية متقدمة للتواصل مع طلابي. فمن خلالها كنت أعدّ الفصول الافتراضية، وأعرض الخرائط والصور والملفات، وأفتح نافذة على شبكة الإنترنت أمام طلابي. لم يكن الأمر مجرد بديل طارئ، بل كان تجربة تعليمية متكاملة، اكتسبت قيمتها العليا خلال أزمة كورونا، حين أغلقت أبواب القاعات الدراسية، لكن التعليم لم يتوقف يومًا واحدًا. كانت البنية الرقمية في جامعة الملك خالد صمام أمان حقيقي، ضمنت استمرار التدريس والاختبارات والأنشطة الأكاديمية كما لو أن الحياة تسير في مسارها المعتاد.

وخلال أزمة كورونا، كان من أبرز ما عايشته بصفتي مقيمًا في المملكة العربية السعودية، تلك التطبيقات الوطنية التي أدارت الأزمة بذكاء وفاعلية. يأتي على رأسها تطبيق توكلنا، الذي يمكن القول إنه صار في تلك الفترة بمثابة بطاقة الهوية اليومية، أو جواز المرور الإجباري لكل مواطن ومقيم[١]. فكل تحرك أو دخول إلى مؤسسة عامة أو خاصة كان مشروطًا بإبراز الحالة الصحية عبر التطبيق: محصّن، متعافٍ، أو غير ذلك. ومع مرور الوقت توسعت وظائفه، فلم يعد مقتصرًا على الحالة الصحيةً، بل صار منصة شاملة للخدمات: من إصدار التصاريح أيام الحظر الكلي، إلى حجز المواعيد الرسمية، وحتى عرض بيانات الإقامة ورخصة القيادة، ومخالفات المرور، وتفاصيل العائلة والأبناء المسجلين. كان بحق تطبيقًا يجسد رؤية الدولة في أن التقنية يمكن أن تكون أداة للحوكمة الشفافة وحماية المجتمع في آن واحد[٢].

---

(١) جزاكم الله كل خير يادكتور عبد العزيز في ذكر العديد من المنافع التي حققتها التقنية للإنسان، وبخاصة من بعد جائحة كورونا، وتاريخ التقنية مجال رحب ويستحق أن يدرس في عدد من الدراسات العلمية الجادة. (ابن جريس).

(٢) تطبيق (توكلنا) من الخدمات التقنية الرسمية التي وظفتها الدولة في تقديم الكثير من الخدمات الأمنية والأدارية والاقتصادية والاجتماعية والصحية وغيرها، وهذا التطبيق من العناوين الجديدة التي يجب دراستها في عدد من البحوث العلمية. (ابن جريس).

أما تطبيق صحتي، فقد شكّل الوجه الآخر للعملة نفسها، إذ كان البوابة الرئيسة للحصول على اللقاح وتسجيله رسميًا. كان عليّ أن أحجز من خلاله الموعد والمكان، وأتلقى عبره التنبيهات بالمواعيد القادمة أو الجرعات المعززة. كما أتاح الاطلاع على السجل الطبي، ونتائج الفحوصات، والتقارير الصادرة من المراكز الصحية. لقد كان التطبيق حلقة وصل مباشرة بين الفرد والمنظومة الطبية، بلا وسيط أو تأخير، بما يختصر الكثير من المعاناة. أذكر أنني في تلك الفترة كنت أراقب باهتمام كيف أن كل خطوة في برنامج التطعيم مسجلة لحظة بلحظة، فلا مجال للخطأ أو النسيان. كان ذلك أشبه بملف طبي رقمي دائم، لا تحتاج فيه إلى أوراق أو مراجعة عيادات لحمل تقاريرك القديمة.

ثم جاء تطبيق نسك ليجسّد بُعدًا آخر من هذه الرؤية الرقمية، مرتبطًا بالشعائر الدينية التي يقصدها ملايين المسلمين كل عام. من خلاله صار حجز العمرة أو الحج أمرًا لا يستغرق سوى دقائق، تحدد فيه المدينة التي تنطلق منها، وتختار باقة الخدمات، وتسدّد عبر تطبيقك البنكي، ثم يصلك التصريح الرقمي جاهزًا على هاتفك. ولم يقتصر التطبيق على الحجوزات فقط، بل أتاح خدمات إضافية مثل معرفة أوقات الذروة في الحرم، وتحديد المداخل والمخارج، وإرشادات مفصّلة للمناسك خطوة بخطوة. بالنسبة لي ولأسرتي، شكّل «نسك» نقلة نوعية جعلت رحلات العمرة والحج أكثر تنظيمًا وطمأنينة، بعيدًا عن العشوائية أو الاعتماد على الوسطاء.

من بين التطبيقات التي لا يكاد مقيم أو مواطن في المملكة العربية السعودية يستغني عنها، يبرز تطبيق أبشر بوصفه الأشمل والأوسع نطاقًا. فمنذ أن بدأت أستخدمه، أدركت أنه لم يعد مجرد وسيلة لإنجاز معاملة حكومية، بل أصبح منصة جامعة تختصر ما كان يستغرق أيامًا وأسابيع من مراجعة الدوائر والمكاتب. عبره فقط، ومن خلال شاشة الهاتف، صارت أبواب وزارة الداخلية كلها مفتوحة أمامي، بانتظام ودقة وانسياب لا يعرف التعقيد.

لقد ارتبط استخدامي لأبشر أساسًا بخدمات المقيمين، وعلى رأسها إصدار تأشيرات الخروج والعودة لأسرتي، وهي الخدمة التي طالما كانت هاجسًا ثقيلًا في تجارب سابقة مع البيروقراطية التقليدية. لكن هنا، صار الأمر لا يتجاوز بضع دقائق: تدخل إلى حسابك، تختار اسم الفرد، تحدد نوع التأشيرة ومدتها، ثم تؤكد الطلب. في لحظة، يظهر التصريح الإلكتروني موثقًا، جاهزًا للاستعمال، دون أوراق ولا أختام ولا مراجعة موظف.

غــير أن مــا يثير الإعجــاب أن أبشــر لا يتوقف عند هذا الحد. فهو أشــبه بســجل إلكتروني شــامل لحياة المقيم داخل المملكة العربية الســعودية. فعــبره أطلع في أي وقت على بيانات إقامتي وصــلاحيتها، وتفاصــيل جواز سفري، وتواريخ دخولي وخروجي من المملكة، وأي مخالفات مرورية قد تُسـجل على الســيارة التي أستقلها. إنه بمثابة «مرآة رقميــة» تعكــس كل ما يتعلق بالوجــود النظامي للفرد في البلاد، وتجعلــه مطمئنًا أن كل شيء تحت السيطرة، مؤرشف وموثق ومتاح في أي لحظة.

وليس بعيدًا عن ذلك، يتيح أبشر عددًا هائلًا من الخدمات المتنوعة التي لا يتصور المرء حجمها إلا حين يبدأ باستخدام التطبيق بانتظام. من تجديد الإقامة، إلى تحديث بيانات جواز الســفر، إلى تســجيل المواليد أو الإبلاغ عن الوثائــق المفقودة، وحتى حجز المواعيــد الرســمية في إدارات الجوازات والأحــوال المدنية والمرور. كل خدمة مصــاغة بدقة، مدعومة بإشــعارات ورسائل نصــية تؤكد إتمامها. وبذلك لم يعد الفرد في حاجة إلى الوقــوف في طوابــير طويلة أو التنقل بين المكاتب، بل صــار هاتفه هو نافذته الكاملة على هذه الخدمات[1].

عندمــا أتأمل في تجربة أبشــر، أجــد أنه ليس مجرد تطبيق منفصــل، بل جزء من منظومة التحول الرقمي الكبرى التي أطلقتها المملكة في إطار رؤية (٢٠٣٠). فهو الوجه الأبــرز لهــذه الرؤية في حياة الناس اليومية؛ لأنه يجســد فلســفة «الخدمة الذكية» التي تضــع الفرد في قلب المعادلة. ومن خلاله تشــعر أن الزمن اختُصــر، وأن الدولة صارت أقرب إليك من شاشــة هاتف، وأن ما كان يُرهق النــاس في الماضــي من معاملات ورقية معقدة، صار مجرد إجراء إلكتروني ميسّر لا يستغرق إلا ثوانٍ معدودة.

عندما أجمع هذه التجارب معًا، أجد أن هذه التطبيقات ـ: (أبشر، توكلنا، صحتي، نســك) ـ لم تكن مجــرد أدوات عابرة، بل كانت تعبيرًا عمليًــا عن التحول الرقمي الذي تبنته المملكة في إطار رؤية (٢٠٣٠). لقد صــنعت واقعًا جديدًا يدمج بين التقنية والروح اليومية للناس: من الصحة إلى العبادة، ومن الحركة في المجتمع إلى إنجاز المعاملات. وكانت النتيجة أن حياتي، كأســتاذ جامعي مقيم، مضــت في يســر غير مسبوق، شعرت معه أن التقنية هنا ليست خيارًا تكميليًا، بل ركيزة من ركائز الدولة الحديثة.

---

(١) غفــر الله لك يابن رمضــان في هذا العمل الســردي الذي ناقشــت فيه موضــوعات كثــيرة ومتنوعة ، وكل موضوع أشرت إليه في ورقتك يكتب فيه عشرات الدراسات العلمية. (ابن جريس) .

لعل ما يثير إعجابي حقًا أن هذه البنية التحتية لم تُصمم من أجل الترف أو التجميل، بل لتكون أداة عملية في يد كل قاطن على أرض المملكة العربية السعودية. والفقير إلى الله، على مدار سنوات إقامته هنا، لا يكاد يتذكر مرة واحدة اضطر فيها إلى الوقوف طويلًا أمام باب مكتب أو في طابور ممدود طلبًا لخدمة. لقد كان التحول الرقمي هنا تجسيدًا حيًا لفكرة «الحياة الميسّرة»، ولرؤية دولة اختارت أن تجعل التقنية في خدمة الإنسان، لا عبئًا عليه(١).

١١- تجربة الاعتماد الأكاديمي:

كانت تجربة الإعداد والتجهيز لنيل الاعتماد الأكاديمي بعد جائحة كورونا مباشرة واحدة من أهم المحطات التي مررت بها في أبها، لا على مستوى القسم فحسب، بل على المستوى الشخصي أيضًا. فقد انخرط القسم في آن واحد في ملفات اعتماد برامجه الثلاثة: البكالوريوس والماجستير والدكتوراه، وهي مغامرة علمية وإدارية لم تخلُ من مشقة وضغط، لكنها في المقابل منحتني خبرة ثرية لن أنساها. صحيح أنني كنت قد خضت سابقًا شيئًا من أعمال التطوير وضمان الجودة في جامعتي الأم بالقاهرة، لكن تلك الخبرة لم تتجاوز حدود إعداد توصيف المقررات وتقاريرها وتوصيف البرنامج، وهو أمر طبيعي لقسم لم يكن قد تقدم حتى ذلك الحين بطلب اعتماد أكاديمي شامل. أما هنا في جامعة الملك خالد، فقد وجدت نفسي منذ اللحظة الأولى أمام عالم مختلف تمامًا، بأدواته وإجراءاته وملفاته التي لم أكن قد سمعت بها من قبل: الخطة التشغيلية، تقرير مؤشرات الأداء، تقرير قياس المخرجات، الدراسة الذاتية، وغيرها من المصطلحات التي كانت تبدو لي في البداية عوالم غريبة تحتاج إلى تفكيك وصبر(٢).

بدأت التجربة فعليًا منذ عام (٢٠٢٢م)، حين كُلفت برئاسة فريق إعداد الدراسة الذاتية لبرنامج البكالوريوس، ومعي زملاء وزميلات خاضوا التجربة منذ بدايتها، وكانوا نعم العون والسند. لم تكن المهمة يسيرة؛ بل كانت الأصعب على الإطلاق بحكم أنها التجربة الأولى، وقد استنزفت من الجهد والوقت ما لا يمكن تقديره، وأثّرت

(١) حفظ الله بلادنا (المملكة العربية السعودية)، فقد جعل حكامها خدمة البلاد والعباد من الأعمال الرئيسية التي أسسها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل (رحمه الله)، ثم ملوك البلاد من بعده حتى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، فجزاهم الله كل خير وغفر الله لموحد البلاد الامام عبد العزيز. (ابن جريس).

(٢) جزاكم الله كل خير يادكتور عبد العزيز على الشفافية والأنصاف الذي اتبعته في توثيق معلومات هذه السردية، وأسأل الله ألا يحرمك أجر ما قمت برصدة وتوثيقة. (ابن جريس).

بطبيعة الحال على وتيرة الإنتاج العلمي. ومع ذلك، فقد تكللت بالنجاح بالحصـول على الاعتماد المشـروط. صـحيح أننا لم نبلغ مرتبة الاعتماد الكامل، لكن ما حال دون ذلك لم يكـن في جوهـر أدائنـا أو التزامنا، وإنما في عوامل موضـوعية خارجـة عن إرادتنا. ومنـذ تلك اللحظة لم يتوقف المسـار: فُتـح ملف اعتماد الدكتوراه، ثـم أعيد العمل على اسـتيفاء متطلبـات البكالوريوس، فإجراءات الماجسـتير، ثم العـودة إلى الدكتوراه، في عملية متواصـلة تكاد لا تنتهي، يعلم الله وحده مقدار ما تسـتهلكه من جهد وطاقة عبر سنوات متلاحقة.

رغـم مـا يكتنـف هذا العمل مـن عناء، فقـد كان له فضـل كبير علـيّ؛ إذ أتاح لي الانخراط في جانب ظل بعيدًا عن دائرة اهتمامي، بل ربما كنت متحفظًا إزاءه من قبل، وهو جانب الجودة والاعتماد الأكاديمي. لقد كان اهتمامي طوال مسـاري منصـبًا على البحث العلمي والدراسـة التاريخية، لكن هذه التجربة دفعتني دفعًا إلى سـاحة أخرى، فـإذا بها تمنحني أفقًا جديـدًا، وتعلّمني أن العمل الأكاديمي الحق لا ينفصـل عن بناء المؤسسات وتجويد برامجها.

وللحق، فإن إدارة القسم كانت خير سند لنا في هذه الرحلة المضنية، فلم تبخل يومًا بمددها ودعمها، بل كرست جهودها لتوفير ما يمكن أن يعيننا على المضي قدمًا. وأذكر أنني ذات يوم دخلت على رئيس القسـم لأبثه ما أصـابني من إنهاك جسدي وذهني بعد طـول متابعـة للملفات، فما وجدت منه إلا كل تقديـر راق وتعامل رفيع وثقة مطلقة فيما نقوم به. كانت تلك اللحظة كفيلة بأن تخفف من وطأة العَنـاء، وتعيد إليَّ شيئًا من اليقين بأن العمل، مهما طال وتعددت ملفاته، إنما يثمر حين يجد من يؤمن بقيمته[١].

١٢- أزمة جامعة كمبريدج:

لم تكـن هـذه الأزمة في يوم ما مادية، بل كانت في جوهرهـا معنوية أرهقت الذهن وأثقلـت النفس. فمنـذ عـام (٢٠١٦م)، كنت أعمـل مستشـارًا غير متفرغ مع قسـم الاختبـارات الدوليـة في جامعة كمبريدج، مقيمًـا في بلدي، متفرغـا لمهامي الأكاديمية الأخرى، لكن حاضـرًا معهم في كل ما يخص صـياغة الاختبارات بمسـتوياتها المختلفة ونمـاذج التصـحيح المعيارية. وقد كانـت تلك التجربة بحق من أخصـب التجارب التي

(١) مازلت يادكتور عبد العزيز أدعو لكم بظهر الغيب، عندما تذكر أهل الفضـل بفضـلهم، والحمد الله أن في قسـم التاريخ والآثار كوكبة من أبنائنا الأسـاتذة الذين عرفناهم طلاباً ثم أعضـاء هيئة التدريس في الجامعة، وما زالوا يقدمون الكثير من المنجزات التي تصب في خدمة البلاد والعباد. (ابن حريس).

مررت بها، إذ صقلت خبرتي، ووسّعت مداركي، وقرّبتني من مدرسة رصينة في التفكير الأكاديمي والإداري. كنت أستدعى أكثر من مرة في العام الواحد إما للتدريب أو لحضور اجتماعات صياغة الاختبارات ومراجعة النماذج، وكان الأمر يسيرًا إلى حد كبير؛ فما إن تصلني الدعوة الرسمية حتى أحصل على موافقة جامعتي الأم بالقاهرة، ثم تستخرج التأشيرة من القنصلية البريطانية في بضعة أيام، فيغدو السفر إلى كامبريدج جزءًا طبيعيًا من إيقاع حياتي العلمية.

لكن الأمر اختلف جذريًا بعد انتقالي إلى أبها، إذ وجدت نفسي غريبًا عن النظام الجديد، حديث عهد بجامعة لم أعرف بعد مساراتها الإدارية ولا سياقاتها التنظيمية. تلقيت دعوة رسمية كالمعتاد من كمبريدج، غير أنني كنت أعلم أن تقديم الطلب لم يعد بيدي، فكتبت للمرسل أوضح أن ظروفي تغيرت. فجاءني رده يطلب عناوين بريد رئيس القسم وعميد الكلية. وبعد أيام استدعاني رئيس القسم، وسألني إن كنت قد حصلت على الدكتوراة من كمبريدج أو من أي جامعة بريطانية أخرى، فأجبته بالنفي، موضحًا أن تجربتي لم تتجاوز منحة إشراف مشترك مع جامعة لاسابينسا في روما. أوضحت له طبيعة علاقتي بمؤسسة كمبريدج، فأومأ بتفهم، ثم مضت أيام قبل أن أعلم أن الطلب قد عُرض على لجنة الدراسات العليا والبحث العلمي، فجاء ردها بالاعتذار؛ لأن النظام لا يسمح بسفر عضو هيئة تدريس متعاقد إلا بعد مرور سنتين على استقدامه.

لم يكن أمامي إلا أن أكتب إلى كمبريدج معتذرًا، فتلقيت ردًّا لم يخلُ من إصرار: سيجربون مرة أخرى عبر مخاطبة رئيس جامعة الملك خالد مباشرة. وكانت المفاجأة أن صدرت الموافقة فعلًا، لكن المفاجأة السارة لم تكتمل، إذ تأخرت الموافقة إلى حد جاوز الفترة الزمنية المسموح بها لإصدار التأشيرة قبل موعد السفر، فتبدّدت خطة السفر إلى غير رجعة. وفي العام التالي، جددت المحاولة، وقدمت الطلب مرة ثانية، فقيل لي إنه رُفع إلى الجامعة، وأن الرد جاء بالرفض. وبعدها مباشرة اجتاحت الجائحة العالم كله، وأغلق السفر أبوابه من أساسه، وكما يقال: رب ضارة نافعة؛ فقد أعفتني هذه الظروف من تكرار الحرج أمام كمبريدج، وفرضت على المؤسسة نفسها عقد الاجتماعات عن بعد. ومنذ ذلك الحين، وحتى بعد انقضاء الأزمة، ظلّت اللقاءات تُعقد افتراضيًا، ربما لأن القائمين رأوا أن الفائدة قائمة، بل إن ذلك أهون عليهم من تكاليف الطيران والإقامة والإعاشة[١].

---

(١) بارك الله لك وفيك يادكتور عبد العزيز فأنت من الأساتذة الجامعيين المميزين في علمك، وأدبك، ولطف معشرك، ومن يقرأ هذه السردية يتأكد له صحة ما خرجت به ودونته في هذه العبارات. (ابن جريس).

مع أن هذا التغيير سـهّل بعض الأمور، إلا أن سـنوات ما بعد الجائحة حملت معها ضـغطًا متزايدًا في ملف الاعتماد الأكاديمي ومتطلبات الجودة داخل القسم الأكاديمي، حتى وجدتني أكثر من مرة مضـطرًا للاعتذار لجامعة كمبريدج عن الاسـتمرار معهم، وكان ردهـم الدائـم مؤدبًـا ومتفهمًا: يؤجّلـون الأمر إلى حين إيجاد بديـل مدرَّب. غير أن اللحظـة الحاسـمة لم تتأخر، لحظة شـعرت فيهـا أن حمل العمل قـد جاوز طاقتي، وأن علـيّ أن أخفـف من التزاماتي الخارجية. لقد فضفضـت ذات يـوم إلى زميل كريم بشـيء من إرهاقي وتعبي، فقال لي ناصـحًا: «خفف من الأعباء التي تضطلع بها خارج الجامعة.» قالها وهو لا يعلم أنني بالفعل كنت قد تخلّيت عن أغلب تلك الأعمال، بما في ذلك الاعتذار عن تحكيم البحوث العلمية، وكل ما كان يزيد من وطأة الانشغال. وهكذا أدركـت أن الأزمـة لم تكن يومًـا في الموارد، بل في الطاقة الإنسـانية التـي لا بد أن تجد لنفسها فسحة للراحة والتقاط الأنفاس[١].

١٣- فندق ليالي السامر السكني:

منذ يومي الأول في أبها، وحتى الآن وأنا أختتم عامي السابع فيها، ظلّ مكان إقامتي ثابتًا لم يتغيّر. لم يكن اختياري أنا، بل كان من تدبير صـديقَيَّ اللذين اسـتقبلاني عند وصـولي إلى المطار، فكان فندق السـامر السكني هو مقر إقامتي الدائم، كأنه قدر كُتب لي أن أعيش في قلـب المدينـة لا على أطرافهـا. يقع الفندق في شـارع الإمام محمد بن سـعود، أحد الشوارع الجانبية الرئيسـة في أبها، شارع يحمل من الخصائص ما يجعله شـريانًا صـغيرًا يربط بين معالمٍ كبيرة. فأعلاه ينتهي عند نادي أبها الأدبي، ويقود إلى طريق الحزام ودار الإمارة حيث تُعقد الأمسيات الرمضانية الثقافية، وإلى مسجد الملك فيصـل الكبير، بينما طرفه الأدنى شـديد الانحـدار يؤدي إلى مستشـفى أبها الخاص وفندق السـلام، اللذين أزيلا مؤخرًا ضـمن مشروع الإمارة لتطوير مدينة أبها. وينتهي ذلك المنحدر عند شـارع الملك خالد بن عبد العزيز، أحد شوارع المدينة الرئيسة، حيث تقـع على أحد جانبيه مكتبة أبها العامة والممشـى السـياحي الـذي كان ملاذًا لابني في سـنواته الأولى، يخرج فيـه ليلًا ليجرب الألعاب الحديدية المنتشـرة على طوله، ويطلق طاقته الطفولية في فضاء مفتوح.

---

(١) نعم إن لنفسك عليك حق، مع أن هناك الكثير سوف يخسرون الاغتراف من علمك وتجاربك ذات الصلة بالعلم والمعرفة، وأسأل الله أن يرزقك من فضلة وكرمه. (ابن جريس).

على الجانب الآخر من شارع الملك خالد يتفرع شارع صغير يضم المركز الإداري ومسجد الإمارة، وأمامه موقف واسع للسيارات استُخدم خلال جائحة كورونا كمركز طبي لتلقي اللقاحات. وهناك أيضًا كان يقوم سوق شعبي كبير يُعرف بسوق الجملة أو سوق الذهب، يضج بالحركة وتتنوع فيه المحلات بين الذهب والمجوهرات والهواتف المحمولة والعطارة والخردوات وألعاب الأطفال والملابس وغيرها. كان هذا السوق متنفسًا لي كلما رغبت في كسر الرتابة والخروج من عزلة الفندق، غير أنه اليوم دخل في طور الإزالة في إطار المشروع التطويري للمنطقة(١).

على مقربة من الفندق يتفرع شارع يؤدي إلى شارع آخر صار علمًا على المدينة: شارع الفن. وهو متنزه عام يزدان بالزهور المتنوعة، ويشغل وسطه ممشى أخضر طويل يحتل معظم مساحته، ويغدو مركزًا للاحتفالات في الأعياد والمناسبات، ولا سيما اليوم الوطني في (٢٣) سبتمبر من كل عام، حيث تنصب الأكشاك المؤقتة وتُعرض الشاشات الكبيرة وتصدح الفرق الموسيقية. إنه شارع يثير البهجة لمن يزوره، لكنه بالنسبة لي كان مرهونًا بظروف خاصة، إذ يستلزم النزول في طريق منحدر ثم الصعود مجددًا، وهو ما جعل زياراتي له نادرة، تقتصر غالبًا على وجود الأسرة معي. كان ابني، وهو في الثامنة عند قدومي إلى أبها، مولعًا بالخروج إلى ممشى شارع الملك خالد أو شارع الفن أو ممشى الضباب البعيد، الذي كنا نصل إليه بعد ترتيب مسبق مع السائق اليمني أبو حنظلة، وكان ذلك الممشى عند قمة جبل يزخر بالقرود، الأمر الذي جعله مصدر جذب للطفل. أما اليوم، وقد شب الابن ودخل مرحلة الشباب، فقد انصرف عن مثل هذه الرحلات، وهو ما أعفاني من مشقة النزول والصعود المتكرر.

أما شارع الإمام محمد بن سعود نفسه، حيث أقيم، فهو شارع تجاري بامتياز، تنتشر على جانبيه متاجر السوبر ماركت والمطاعم التي تقدم الأكلات الشعبية كالفول والعدس والتميس والفلافل، إلى جانب الشاورما السورية والدجاج البروست والسندويتشات السريعة، فضلًا عن محلات العصائر الطازجة والفواكه والخضروات. كما تتوزع فيه صيدليات ومحلات أدوات مدرسية ومكتبية، وعطور ومستحضرات تجميل، وحلاقون كثر، ومتاجر صغيرة للأدوات الكهربائية البسيطة. وكان في الشارع

---

(١) هذه الناحية المذكورة وسط مدينة أبها لها تاريخ كبير متنوع خلال العصرين الحديث والمعاصر، ومازالت هذه المنطقة تستحق مزيداً من الدراسة والبحث التاريخي وبخاصة خلال هذا القرن (١٥هـ / ٢٠ – ٢١م) . للمزيد عن الأماكنة التي ذكرت وعن مدينة أبها عموماً، انظر غيثان بن جريس . أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م). (ابن جريس).

أيضًـا متجران كبـيران يبيعان الأدوات المنزلية. ومع مرور الوقت لاحظت تغيّر أنشـطة كثير من المحلات وتبدل أصـحابها، وكأن السـوق يعيد تشـكيل نفسـه بحثًا عن جدوى اقتصـادية في شـارع لم يُخلق ليكون مقصدًا رئيسًا للتسوق، بقدر ما هو ممر يربط بين شارع الملك خالد وطريق الحزام أو شارع الفن.

ومـع ذلـك، فـإن موقع الفنـدق ظل حيويًـا، يُحيط بـه كل ما قد يحتاجـه المرء في حياتـه اليوميـة، وهو ما جعلنـي أجد فيه اكتفـاءً يغنيني عن كثرة الخـروج. وربما كان ذلك أيضًـا انعكاسًـا لطبيعتي التي تميل إلى الاستقرار وتؤثر البقاء في مكان واحد على التنقل المسـتمر، أو لعل السـبب الأهم هو ضيق الوقت وكثرة الأعمال. فأبعد مكان كنت أتردد عليه أحيانًا لم يتجاوز سوبرماركت العثيم الكبير في طريق الحزام، وكنت أفضّل الذهاب إليه سـيرًا على الأقدام في مشـوار لا يسـتغرق أكثر من عشـر دقائق. وهكذا، ظل فندق السـامر وشارعه ومحيطه الصـغير بمثابة العالم اليومي الذي عشته في أبها سـبع سـنوات كاملة، عالمًا صغيرًا لكنه كان نافذتي إلى مدينة أكبر، تختلط فيها الحياة اليومية بالذاكرة وبالتجربة العلمية والإنسانية معًا[١].

لعل سـر تمسـكي بالإقامة في هذا الفندق، رغم ما يُقال عن ارتفاع إيجاره مقارنة بفنادق المنطقة المحيطة، ورغم دعوات بعض الزملاء المتكررة بأن أتركه لألتحق بهم في أماكن أخرى، لا يعود فقط إلى طبيعتي التي تجنح إلى الالتزام بمكان واحد والاستقرار فيـه، بل إلى مـا يتميز به الفندق من نظافة وخدمات قد لا تتوفر في غيره. فهنا، لسـت مطالبًا بشـيء سـوى دفع الإيجار الشهري، أما سائر الخدمات الأساسية فمضمونة بلا عناء. شـبكة الإنترنت قوية، والغاز مركزي يصل إلى المطبخ دون جهد، وحتى الكهرباء إن انقطعت – وهو أمر نادر – فإن المولدات تعمل تلقائيًا لتعيد الأمور إلى نصـابها. لم أجد نفسـي يومًا مضـطرًا إلى دفع هللة واحدة لإصلاح جهاز كهربائي أو معالجة عطل في الكهرباء أو السباكة، إذ يكفي أن أرفع سماعة الهاتف الأرضي وأضغط الرقم صفر، ليأتيني صوت موظف الاستقبال الذي يبعث الطمأنينة في النفس: بابو الهندي.

كان هـذا الرجـل، الذي غدا جـزءًا من تفاصـيل حياتي اليومية، متعـدد المهارات علـى نحـو يكاد يثير الدهشـة. فهو كهربائي حين يتعطل سـلك أو مفتاح، وسـبّاك حين

(١) شـكراً يادكتور على هذا الرصـد من خلال المشاهدة والمعاصـرة، ونحن في حاجة إلى أمثالك من الأخوة الأسـاتذة الوافدين إلى بلادنا (المملكة العربية السـعودية) فيكتبوا لنا صـفحات من تاريخنا المحلي الذي عرفوه وشاهدوه. (ابن جريس).

يتسرب الماء من ماسورة أو صنبور، ونجار حين يتهالك باب أو يختل مقبض، وميكانيكي عند حاجة غيري من نزلاء الفندق، يعمل بلا مبالغة كما لو كان موسوعة في الصيانة والخدمة. وما يميزه أكثر من قدرته على إنجاز كل ذلك هو سرعة الاستجابة؛ فما إن يُبلَّغ عن عطل حتى يكون على الباب خلال دقائق، يحمل أدواته وينهمك في الإصلاح. وإن كان العطل في جهاز كهربائي كبير كالبراد أو الغسالة أو السخان أو حتى التلفاز، فالأمر لا يستغرق أكثر من لحظات حتى يُستبدل الجهاز بآخر جديد كليًا، وكأن الفندق يُصر على أن يوفر للمقيمين راحة كاملة دون أدنى شعور بالضيق أو النقص.

لم تتوقف الخدمات عند هذا الحد؛ فالفندق يوفّر أيضًا خدمة توصيل قوارير وكراتين المياه إلى باب الشقة، فضلًا عن جمع القمامة مرات عدة في اليوم الواحد، مما يجعل الحياة فيه أشبه بإقامة فندقية حقيقية رغم كونه سكنًا طويل الأمد. وهكذا، فإن القيمة الشهرية المدفوعة، مهما بدت مرتفعة، تغدو في ميزان الراحة والطمأنينة شيئًا يسيرًا، إذ تجتمع في هذا المكان عناصر الراحة والاستقرار معًا، فيغدو المرء مطمئنًا إلى أن بيته محروس بالخدمات، وأنه لا يحتاج أن يشغل باله بما يُثقل كاهل المقيم عادةً من أعطال ومشكلات. ومن هنا كان تمسكي به ليس مجرد عادة، بل قناعة بأن راحة البال لا تُقدر بثمن.

إلى جانب ما سبق من خدمات، فإن الفندق يمتاز أيضًا بدرجة عالية من الأمان؛ إذ جُهز بكاميرات مراقبة تغطي أرجاءه كافة، حتى المصعد الكهربائي لم يُترك بلا عين ترصده، كما أن الدور الأرضي المخصص للجراج يخضع بدوره لرقابة دقيقة، بما يجعل المقيم يشعر بالاطمئنان الدائم، وكأن المكان يحرس نفسه بنفسه[1].

ولأن الفندق كبير المساحة نسبيًا، ويُدار بطريقة تجعل ساكنه يعيش في طمأنينة، فقد كان من الطبيعي أن يُعهد بإدارته إلى فريق من الموظفين متعدد الاختصاصات. كان في مقدمتهم المدير الأستاذ خالد المصري، رجل يتسم بحضور هادئ وحرص واضح على تسيير الأمور بانضباط، وإلى جانبه بابو — الذي سبق الحديث عن مهارته — ثم سكيب وشافكت، وهما من العاملين الهنود اللذين جمعا بين الوداعة والاجتهاد، فكانا يسهمان كلٌ بطريقته في أن يبدو الفندق كبيت كبير أكثر منه مكانًا للإيجار. ولا أنسى أيضًا سوليش، العامل الهندي الذي غاب عن المكان زمن جائحة كوفيد، إذ علق في

(١) أسأل الله أن يرزقك الراحة والاستقرار في مقر سكنك ، وأحسنت في قرارك وكلامك الواقعي ، فعندما تتوفر لك الخدمات اللازمة وتعيش في أمن وأمان ، فذلك أفضل وأسلم . (ابن جريس) .

بلـده ولم يتمكن من العـودة، ومنذ ذلك الحين لم أره مرة أخرى، ولا أعلم ما الذي حال دون رجوعـه، لكنه ظل حاضـرًا في ذاكرتي كجزء من تفاصـيل تلك المرحلة التي تركت بصمتها في العالم كله[١].

هكـذا، لم يكـن الفندق مجرد جدران أو شـقق مفروشـة، بل كان مجتمعًا صـغيرًا له وجوهه وأشخاصـه وروحه الخاصـة. كان كل واحد من هؤلاء الموظفين يضـفي لمسـة إنسـانية على إقامتي، حتى صـارت معرفتي بهم جزءًا من روتيني اليومي، كأنما يكتمل بهم المشـهد العام لحياتي في أبها، حيث تتداخل العناصـر العلمية والمهنية مع تفاصـيل العيش البسيطة التي لا تقل أثرًا في تشكيل التجربة.

١٤- زيارات خارج أبها:

رغم أن معظم سـنوات إقامتي في المملكة العربية السـعودية لم تتجاوز حدود أبها، فإن الضـرورة أحيانًـا كانت تدفعني إلى الخـروج نحو مدن أخرى مـن المملكة العربية السـعودية، وأكثر هذه الرحلات ارتبطت بأداء شـعائر العمرة والحـج. وغالبًا ما كانت ترافقنـي زوجتي وابني، وأحيانًـا ابنتاي حين يزوراني في زيـارات خاطفة يكون هدفها الأساس أداء العمرة. ولم أذهب بمفردي إلا مرة واحدة، وكانت رحلتي مرتبطة بعد أداء العمرة بالتوجه إلى جدة لإنهاء معاملة في القنصلية المصرية. ولهذا ارتبطت العمرة في ذاكرتي دومًا بالأسرة، وكأنها عبادة جماعية تزداد حلاوتها بحضور الأهل.

أتذكر أول مرة قصـدت فيها البيت الحرام، لم أصدق نفسي وأنا أقف أمام الكعبة المشرفة، مأخوذًا بجلال المنظر، عاجزًا عن التعبير. كان شعورًا يفوق الوصف، إحساسًا لا يُدرك إلا بالمعايشـة، حيث تلتقي الرهبة بالسكينة، والدهشة بالطمأنينة. ورغم طول المسـافة من أبها إلى مكة وما يكتنفها من مشقة، فإن للعمرة مذاقًا خاصًا يجعل المشقة تهـون. غالبًا ما كنا نعتمد على إحدى الشـركات المنظمة لهذه الرحلات – والتي تُعرف في المملكة باسـم «الحملات» – سـواء في أبها أو خميس مشـيط. وكان الإجراء بسيطًا، لا يتطلب سـوى اتصـال أو رسـالة لمندوب الحملة، وأحيانًا يتم كل شـيء عشية الرحلة نفسـها. ومن ثم يتكفلون بالتنقل والفنادق والإعاشـة، بينما يُطلب منك فقط أن تجهز أغراضك وتكون بعد الظهر عند نقطة الانطلاق المعتادة قرب مكتبة أبها العامة.

في الحافلـة، يُرتب المقاعد عادة بحيث تجلس الأسـر في المقدمة، ثم يأتي الأفراد، وغالبًا ما يكون أغلب المشاركين من المصريين لكون المندوب مصريًا في معظم الأحيان،

(١) سـلمك الله من كل شـر في ذكر بعض الأشخاص الذين أسدوا لك ولغيرك الكثير من الأعمال ذات الصلة براحة واستقرار الساكنين في مقر سكنكم. (ابن جريس).

غير أن الرحلة تظل خليطًا كوزموبوليتانيًا حقيقيًا: يمنيون، سودانيون، أفغان، هنود، بنغال، باكستانيون، وغيرهم، وكلهم يجتمعون على نية واحدة. الطريق يستغرق عادة أكثر من ثنتا عشرة ساعة، وقد يزيد أو ينقص بحسب سرعة السائق وعدد الاستراحات. وإذا كانت الوجهة المدينة المنورة أولا، فالطريق يزداد طولاً. لكن التعب يزول حين تطأ قدمك مكة، مدينة لا تشبه سواها، حيث يلتقي المسلمون من كل فجّ، فتراهم في لباس الإحرام سواسية لا يميز بينهم شيء. وللتجوال في رحاب الحرم متعة روحية لا تضاهيها متعة، تشعرك أنك في مركز الكون، في مكان جمع الله فيه عباده على كلمة سواء.

أما المدينة المنورة، فلا تقل شأنًا ولا أثرًا عن مكة. فزيارة المسجد النبوي والروضة الشريفة والصلاة فيهما تبعث يقينًا وسكينةً لا يشبهها شيء. ثمة سلام داخلي عجيب يغمر القلب وأنت تسير في رحاب مسجد النبي ﷺ، وكأنك تعيش زمنًا ممتدًا إلى صدر الإسلام.

مع تكرار رحلات العمرة، تبقى رحلة الحج التجربة الأبرز والأقرب إلى القلب. فقد منّ الله عليّ وعلى زوجتي أن نؤدي الفريضة في موسم عام (١٤٤٥هـ)، وكانت رحلة امتازت بيسر تنظيمها عبر التسجيل في تطبيق نسك وسداد التكاليف عبر تطبيق بنك الراجحي. اخترت شركة «وادي الجنوب» التي يقع مقرها في حي شمسان بأبها، وتولّت الشركة منذ ذلك الحين كل شيء: التنقل، الإعاشة، وتنظيم أداء المناسك. كان كل شيء مرتبًا بدقة: الإقامة في مزدلفة في خيام حديثة ذات حجرات مكيفة، الوجبات تُقدَّم في صورة ولائم مفتوحة تزخر بألوان الطعام والحلوى، والمشروبات والمياه والمثلجات والشوكولاتة متوفرة على مدار الساعة في ثلاجات منتشرة في الطرقات[١].

غير أن ما عكر صفو التجربة كان الاضطرار إلى استخدام حافلات النقل العامة للانتقال من مزدلفة إلى مكة، بعيدًا عن إشراف الشركة. ومع الزحام والتيه بين طرق غير مألوفة، وجدنا أنفسنا، أنا وزوجتي، نقطع مسافات طويلة في حرّ يوليو اللاهب، لا تقي منه مظلات تُرفع فوق الرؤوس. خرجنا ليلًا لطواف الإفاضة، وظننا أن الأمر يسير، لكن الطريق امتد قرابة عشرة كيلومترات وسط ازدحام خانق. أدينا الطواف والسعي مع بزوغ الصباح، ثم واجهتنا مشقة العودة إلى الخيام، فاضطررنا إلى ركوب سيارة خاصة يقودها رجل نادى أنه متجه إلى الجمرات. ولأن الرمي كان واجبًا في ذلك اليوم، ركبنا معه رغم المغالاة في الأجرة، وما إن أنزلنا في مكان مجهول حتى تابعنا المسير على الأقدام، نقطع كيلومترات إضافية تحت شمس محرقة.

(١) أرجو يا أبو كريم أن يكون لك في المستقبل سردية أخرى مركزه على انطباعاتك ومشاهداتك في مكة المكرمة والمدينة المنورة من خلال رحلاتك وزياراتك لهذه الأماكن المقدسة. (ابن جريس) .

رغم كل هذه الصـعوبات، فـإن رحلة الحج تظل في الذاكرة الأجمـل والأقرب، تجربة روحية خالدة تحب الذاكرة أن تسـتعيدها، لا بما حملته من مشـقة، بل بما انطوت عليه من معانٍ عميقة تذيب في القلب كل أثر للتعب، وتترك مكانه يقينًا وطمأنينة وذكرى لا تمحى(١).

تبقـى جدة، رغم مكانتهـا وأهميتها، الوجهة الثانية -بعد مكـة المكرمة- التي ترددتُ عليهـا كثيرًا خلال سـنوات إقامتي في أبها، لكن الرحلة إليهـا لم تكن يومًا محببة إلى قلبي كمـا هي الحال مع مكـة المكرمة أو المدينة المنورة.؛ ذلـك لأن رحلاتي إليها ارتبطت بهدف واحـد ثقيل الوطأة: توثيق إشـعار تجديد عقدي في جامعة الملـك خالد، وهو أحد المتطلبات التي تفرضها جامعتي الأم في القاهرة لاستكمال إجراءات تجديد إجازتي السنوية. لم يكن هذا شـرطًا عامًا مطبقًا على جميع الجامعات المصـرية، بل كان قدرًا خاصًا بي وبزملائي المنتمـين إلى جامعتي. فهناك من ينتمي إلى جامعات أخرى لا يطالبون إلا بإشـعار بسـيط تصدره الجامعة السعودية، وبعضهم يكتفي بأن يرسل صورة من العقد في رسالة على البريد الإلكتروني أو حتى عبر تطبيق «واتسـاب». أما أنا، فقد كان عليّ أن أخضـع لإجراءات أكثر تعقيدًا، وكأن الجامعة أرادت أن تُثقل خطوات أبنائها المغتربين ببيروقراطية لا فكاك منها.

في السنوات الأولى من قدومي إلى أبها، كانت الأمور أيسر بكثير ,فقد كان هناك مكتب خدمات شـهير يُعرف باسـم «أبو سـرهد»، يتولى عني المهمة كاملة: أسـلّمه العقد في مقره بأبها، ليعود إليّ بعد يوم أو يومين موثقًا ومختومًا، مقابل رسوم مقبولة لا تثقل الكاهل. غير أن هذا الوضـع لم يدم طويلا؛ إذ صـدر قرار من القنصـلية المصرية بأن على كل راغب في توثيق عقده أن يحضر بنفسه إلى مقر القنصلية بجدة. وكان ذلك القرار بداية سلسلة من الرحلات الشاقة التي لم أزل أذكر تفاصيلها حتى الآن، كأنها محفورة في الذاكرة.

في إحدى السنوات، تناهى إلى مسامعي أن بعثة من القنصلية قادمة إلى أبها لإنجاز المعاملات، فاستبشرت خيرًا وحمدت الله على هذا التيسير. ذهبت إليهم في فندق أبها القريب، دفعت الرسـوم، وأنجزت التوثيق، غير أن فرحتي لم تكتمل؛ إذ اكتشفت غياب ختم مكتب التمثيل العمالي، وهو شـرط أساسي لا غنى عنه. سألت أحد موظفي البعثة، فأخبرني أن عليّ الذهاب إلى جدة للحصول على ذلك الختم. حاولت التواصل مع جامعتي الأم لأسـتوثق لعلهم يكتفون بتوثيق الخارجية السـعودية والقنصـلية المصرية، فجاء الرد صـادمًا: لا بـد من وجود هـذا الختم وإلا لم يُعتمد العقد. وهكذا وجدت نفسـي مضـطرًا للسفر إلى جدة، وكأن رحلة البعثة لم تكن سوى محطة ناقصة في الطريق الطويل.

---

(١) أن خصصـت سـردية أخرى لرحلة الحج ، فذلك موضـوع جيد ويسـتحق أن يكتب في هذا الموضوع دراسة مطولة ، وأن فصـلت ذلك فقد تصبح ضمن منظومة الرحالة الذين ارتادوا الحجاز بهدف الحج والعمر . (ابن جريس) .

في سنة أخرى، وكانت أسرتي تزورني، رتبت أمري على أن تسبقني زوجتي وأبنائي إلى مكة المكرمة، على أن ألحق بهم بعد إنهاء معاملة العقد. كان اليوم خميسًا، سافرت بالطائرة إلى جدة، وما إن وصلت إلى القنصلية حتى اكتشفت أنها مغلقة احتفالًا بالمولد النبوي الشريف، فالقنصلية تتبع النظام المصري في العطل الرسمية. كانت تلك خيبة مزدوجة: لا معاملة أنجزت، ولا صحبة مع أسرتي تحققت.

في مرة ثالثة، رتبت رحلتي بعناية أكبر، وحجزت تذكرة عودة على رحلة تقلع الرابعة عصرًا. لكن ازدحام القنصلية كان خانقًا إلى حد أنني كدت أفقد الطائرة؛ إذ لم ألحق بالطائرة إلا في اللحظة الأخيرة. وفي مرة رابعة، أنجزت التوثيق مبكرًا، فوصلت المطار عند الثانية ظهرًا بينما موعد الطائرة السادسة مساء(١). حاولت عبثًا أن أغير الحجز فلم أفلح، وانتظرت الساعات الأربع كاملة. وما إن حانت السادسة حتى جاء الإعلان عن عطل في الطائرة، فأمضيت ساعات أخرى ثقيلة في قاعة الانتظار، ولم أغادر مطار جدة إلا بعد منتصف الليل، مرهقًا جسدًا وروحًا.

لقد صارت رحلتي السنوية إلى القنصلية في جدة واحدة من أثقل المهام التي تفرضها عليّ جامعتي الأم، رحلة لا أتطلع إليها، بل أؤديها مضطرًا. وكم كتبت وأرسلت إلى أصحاب الصلاحية في مصر ألتمس إعادة النظر في هذه الشروط، ولو مقابل رسوم إضافية تغطي نفقات المعاملات البيروقراطية. لكن، وللأسف، لم أجد يومًا من يجيب، وظل الحال على ما هو عليه، حتى غدت الرحلة إلى القنصلية المصرية في جدة بالنسبة لي مرادفًا للمعاناة الإدارية أكثر من كونها رحلة إلى مدينة كبرى لها بريقها الخاص.

أما العاصمة الرياض، فلم تكن وجهتي إلا مرتين، لكنهما كانتا من أثمن الرحلات وأقواها أثرًا في تجربتي بالمملكة العربية السعودية، إذ ارتبطتا بمهمتين رسميتين عهدت إليّ بهما واحدة من أعرق المؤسسات الثقافية وأكثرها تأثيرًا في المشهد الفكري السعودي(٢).

كانت الزيارة الأولى مفاجئة في توقيتها. فقد تلقيت اتصالًا مباشرًا من المسؤول الأول عن هذه المؤسسة، وهو عالم جليل يفيض تواضع العلماء، يسألني عن أمرٍ يتصل بأحد المشاريع الكبرى التي تشرف عليها المؤسسة. بدا سؤاله للوهلة الأولى بسيطًا، لكنه حمل في طياته عمقًا واستفهامًا كبيرًا، فأجبت بما فتح الله به عليّ. ويبدو أن ردي ترك وقعًا حسنًا لديه، إذ لم تمضِ سوى ساعات حتى تواصل معي أحد المسؤولين في المؤسسة

---

(١) يادكتور عبد العزيز ارجو أن تكون هذه السردية التي زودتني بها مشروع كتاب يصدر في المستقبل، وتدعمه ببعض الصور الفوتوغرافية والوثائق التاريخية. (ابن جريس).

(٢) أشرت إلى هذه المؤسسة أكثر من مرة دون ذكر اسمها، وللفائدة وعلاقتي مع شخصكم الكريم، فإنني أخبر القارئ الكريم بأن هذه المؤسسة هي (دارة الملك عبد العزيز). (ابن جريس).

ليرتــب معي زيارة عاجلــة إلى الرياض للقاء معاليه. غير أنني كنت حينها حديث العهد بالقســم، والقواعد وقتها تفرض الحضــور اليومي الصــارم دون اســتثناء، فلم أستطع أن أعــده بالموافقة الفورية. عندها أنهى المكالمة بلطف قائلًا إنه ســيعاود الاتصــال بعد دقائــق، وقد كان. وهكذا، شــعرت أنني على أعتاب تجربــة مختلفة، وأن هذه الدعوة لم تكــن مجرد لقــاء عابر، بل ربما بداية لمســار جديد في علاقتي بالمؤسســات الثقافية في المملكة العربية السعودية.

أما الزيارة الثانية، فقد ارتبطت بتدشين مشروع علمي كبير لهذه المؤسسة العريقة، شرفت بأن تضع ثقتها فيّ وتختارني عضوًا في لجنتها العلمية. وكم كانت سعادتي غامرة حين جلســت إلى طاولة مســتديرة واحدة مع صــاحب المعالي وأعضــاء اللجنة. وزادت الســعادة حين دُعيت مع الأعضــاء إلى المنصــة الرئيســية، لأكون ضــمن من تصــدروا المشهد. كان ذلك المشهد استثنائيًا بالنسبة لي: المتعاقد الوحيد في القاعة وعلى المنصة، حاضــرًا في واجهة العمل العلمي والثقافي. لقد كانت هاتان الزيارتان القصــيرتان إلى الرياض بمثابة محطتين لامعتين في تجربتي بالمملكة العربية السعودية[(١)].

١٥- أبها البهية. (انطباعات عامة):

إن الوافــد الجديــد على أبها ســيدرك مــن الوهلــة الأولى أنه أمــام مدينة فريدة ومتفــردة، مــكان ينبض بخصوصــيته، لا تشــبه القاهرة التي غادرتهــا، ولا برلين التي عشــت فيها، ولا حتى عواصــم الخليج المزدهرة. أبها مدينة تتنفــس الجبال، ويكتنفها الضباب، وتُزينها الخضرة والهواء النقي، حتى ليخال إليك أنها لوحة طبيعية متحركة، يتبدل مشــهدها بتبدل الفصــول وســاعات النهار. وما زلت أذكــر انطباعي الأول حين نظــرت من نافذة الفندق في صــبيحة يومــي الأول: بيوت متدرجة على ســفوح الجبال، طرق متعرجة تحتضنها الأشجار، وسماء يلفها الضباب كأنها تحتفظ بسرّها لنفسها.

ولأبها معالمها التي صارت، مع مرور الوقت، ليست مجرد أماكن للزيارة، بل محطات لها أثر نفســي عميق في حياتي. في مقدمتها قصــر شــدا الأبيض، ذلك المعلم التاريخي الذي يقف شــامخًا في قلب المدينة، يروي حكايات الإداريين والولاة في زمن مضى. زرت القصــر ذات مرة، وشــعرت حينها أنني أدخل ذاكرة حية، جدرانها من الحجر والطين تحكي ببلاغة صامتة عن تاريخ عسير وخصوصية أبنيتها القديمة.

---

(١) يادكتور عبد العزيز لم تكن دعوتك للمشــاركة والانخراط في بعض المشــاريع العلمية على مســتوى الوطن محاباه أو مجاملة لشخصكم الكريم، بل أنها سمعتك العلمية والمنتشرة في بلدان عربية وأجنبية، ولا نقول: إلا زادك الله مجداً ورفعة وتألقاً. (ابن جريس).

أما الطبيعة، فهي الوجه الآخر الأكثر سحرًا لأبها. يكفي أن تقف في مطلّ السودة على ارتفاع آلاف الأمتار، لتشعر أن العالم كله منبسط أمامك، وأن الغيوم ليست فوقك بل من حولك. وقد كان هذا المكان بالنسبة لي ملاذًا خاصًا، ألجأ إليه كلما ضاق صدري أو ازدحمت المهام، فأجد في النظر إلى البعيد شفاءً من ضيق القريب. وعلى مقربة من السودة، يظل منتزه أبو خيال شاهدًا آخر على جمال أبها الطبيعي، حيث الأشجار الكثيفة التي تُظلل الممرات، والهواء الذي ينعش الروح.

ومن بين معالم أبها الحديثة التي لا تقل جمالًا عن تراثها القديم، يبرز سد أبها، ذلك المعلم الحضري الذي جمع بين الفائدة الاقتصادية والجاذبية السياحية. يقع السد في الجهة الجنوبية الغربية للمدينة، على مقربة من وسطها، حتى أصبح واحدًا من أقرب السدود إلى قلب مدينة كبرى في المملكة العربية السعودية. بُني السد في أواخر القرن العشرين ليكون رافدًا لحجز مياه الأمطار والسيول، ولتغذية المخزون الجوفي، لكنه سرعان ما تحول إلى مقصد سياحي يرتاده الأهالي والزوار[١].

حين تقف على ضفاف بحيرته الصناعية، ترى المياه تمتد في مساحة واسعة تحيط بها الجبال من كل صوب، وكأنك أمام لوحة طبيعية رسمتها يد فنان بارع. ولقد كان منظر البحيرة، خصوصًا في مواسم الأمطار، يضفي على المكان بهاءً خاصًا، ويجعل السد متنفسًا لأهل أبها. لا عجب إذن أن محيط السد أصبح مكانًا مفضلًا للنزهات العائلية، وللتجمعات الشبابية في عطلات نهاية الأسبوع، بل وللرحلات المدرسية والطلابية. وقد أدركت أمانة منطقة عسير أهمية هذا المكان، فعملت على تطوير محيطه، بإنشاء مسطحات خضراء، وممرات للمشي، وأماكن للجلوس تطل مباشرة على البحيرة. وفي ليالي الصيف، حين يُقام مهرجان أبها السياحي، يتحول السد إلى مسرح مفتوح للألعاب النارية والعروض الفنية، وتزداد الحركة حوله حتى ساعات متأخرة من الليل[٢].

لكن لسد أبها قيمة أخرى غير كونه مقصدًا سياحياً، فهو رمز لقدرة الإنسان على تطويع الطبيعة، وجعلها مصدر نفع وجمال في آن واحد. إذ لا يقتصر دوره على جمع المياه وتوفير بيئة خضراء، بل يذكّر كل من يقف أمامه بما حققته المملكة العربية السعودية في سنوات وجيزة من نهضة عمرانية وتنموية متسارعة. ولعل أجمل ما يميز سد أبها أنه يجمع بين

---

(١) شكر الله لكم يادكتور عبد العزيز ، وأبها مدينة لها تاريخ وحضارة قديمة ومتنوعة ، للمزيد أنظر ، غيثان ابن جريس . أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

(٢) لله درك يادكتور عبد العزيز في توثيق هذه المعلومات الصحيحة عن مدينة أبها الجميلة ، ولو يقدر الله لك السير في مناكب بلدان تهامة والسراة فسوف تتعجب من التنوع الحضاري الذي تشتمل علية هذه البلدان العربية السعودية الجنوبية . (ابن جريس) .

صـورتين: صورة الطبيعة العذراء التي تكتنفها جبال عسير، وصورة الحداثة العمرانية التي تمثلها مشـاريع التنمية. فهو شـاهد على أن أبها ليست فقط مدينة التراث والقرى القديمة، بل أيضًا مدينة التطوير التي تسعى إلى الجمع بين الماضي والحاضر في تناغم فريد.

لا يمكـن الحديـث عن أبهـا دون ذكر شـارع الفن، الذي صـار رمزًا مـن رموزها الحديثة، ومتنفسًـا حضـاريًا يجمع بين الطبيعة والفن. هناك ترى الأزهار على جانبي الطريـق بألوانها المختلفـة، وترى العائلات وقد امتلأت وجوهها بالبهجة في مناسـبات عامة، لاسـيما يوم العيد الوطني، حين يتحول المكان إلى سـاحة احتفال كبرى، تختلط فيها الأضواء بالموسيقى، والروح الوطنية بالفرح الجماعي.

لأبها أيضًـا بعد عمراني حديث يتمثل في الحزام الدائري الذي يلتف حول المدينة، ويكشف لك من نوافذ السيارة مشاهد بانورامية تخطف الأنفاس: جبل، ثم وادٍ، ثم حي سكني، ثم فجأة تفتح أمامك زاوية على ضباب أبيض يكسو المكان.

لقد تعلّمت في أبها أن المدينة ليسـت شوارعها ومبانيها فقط، بل ما تتركه في قلبك من أثر. وكلما تنقلت بين معالمها، من قصـر شـدا إلى السـودة، ومن سوق الثلاثاء إلى شـارع الفن، أدركت أنني أعيش في مدينة تجمع بين التاريخ والطبيعة والحداثة، وتقدّم نفسها في صورة فريدة لا تملك إلا أن تُعجب بها.

إذا كان لأبها أن تفخر بمعالمها الطبيعية وتضاريسها الساحرة، فإن ما يميزها بحق هو طرازها المعماري الفريد، وذاكرتها العمرانية التي لا تزال حاضرة في قراها التراثية. يكفـي أن تزور قريـة المفتاحة أو قرية رجال ألمع القريبة من أبهـا، حتى تدرك أنك أمام تراث معماري يروي ببلاغة صامتة حكايات مئات السنين. الجدران الحجرية الضخمة، والألـوان الزاهيـة التـي تُزيّـن نوافذ البيـوت، والنقوش البيضـاء التي تُعـرف بـ(القط العسيري)، كلها علامات على هوية لا تخطئها العين[١]. لقد سُجل القط العسيري بالفعل على قائمة التراث العالمي لليونسكو، بوصفه فنًا نسائيًا أصيلًا نشأ في بيوت عسير، حيث كانت النساء يزيّن به جدران منازلهن في ليالٍ طويلة عامرة بالدفء العائلي.

ليس المعمار مجرد شـكل جمالي، بل هو أيضًـا انعكاس لروح المكان. ففي بيوت أبها القديمة تلمس تلك العلاقة الوثيقة بين الإنسـان والجبل: البيوت متدرجة على السفوح،

---

(١) حبذا يادكتور عبد العزيز أن نجد أكثر من مؤرخ وافد إلى بلاد تهامة والسـراة ، ثم يكتب كل ما يسـمع أو يشاهد من تاريخ البلاد وأهلها خلال العصرين الحديث والمعاصر ، ونسأل الله أن نرى هذه الأمنية تتحقق على أرض الواقع . (ابن جريس) .

تبنى بالحجر المحلي، وتصمم لتقاوم قسوة الطبيعة، لكنها في الوقت نفسه تنسجم مع تضاريسها، حتى ليبدو البيت وكأنه خرج من رحم الجبل نفسه. وفي القرى التراثية، ترى الساحات الداخلية التي كانت تُشكّل مركزًا للحياة اليومية.

أما الناس في أبها، فإن تميزهم لا يقل عن تميز معمارهم. أول ما يلفت الانتباه في أهلها هو كرم الضيافة، تلك الخصلة التي تحولت من عادة فردية إلى سمة جمعية. لم أدخل بيتًا إلا واستُقبلت بالقهوة العربية مصحوبة بالتمر، وكأنها بطاقة الهوية الأولى للبيت العسيري. ويُضاف إلى ذلك التواضع الجم الذي يميزهم؛ فعلى الرغم من أن المدينة أصبحت مركزًا حضريًا مهمًا في المملكة العربية السعودية، فإنك لا تزال تجد في أهلها تلك البساطة والوداعة التي تشعرك بأنك قريب، حتى لو كنت غريبًا.

لقد تعلّمت من تعاملاتي لأهل أبها أن المدينة ليست فقط شوارعها ومعمارها، بل هي أيضًا أرواح ساكنيها. وإذا كان معمارها القديم يعكس صلابة الجبل وانسجامه، فإن أهلها يعكسون صورة أخرى: الكرم، التواضع، وروح الجماعة. وهذه كلها تجعل من أبها مدينة لا تزور معالمها فقط، بل تعيش في وجدانها وبين أهلها[1].

١٦- الخاتمة:

إن الحديث عن تجربتي الشخصية في أبها وجامعة الملك خالد حديث ذو شجون تختلجه مشاعر عميقة، لا تسعه هذه الصفحات القليلة، ولا تفيه الكلمات حقه. ولكنه، في الوقت ذاته، حديث ممتع تحركه عاطفة حب وارتباط صادق بالمكان والإنسان، وتجربة فريدة تستحق أن تُسجَّل. فما وجدته في أبها، وفي المملكة العربية السعودية عمومًا، فاق توقعاتي على المستويين الإنساني والعلمي، وما تركه في نفسي من أثر لم يكن يومًا في الحسبان.

لقد كانت البداية أشبه بانتقال وجودي، من صخب القاهرة إلى هدوء الجبال والضباب في أبها، ومن إدارة قسم التاريخ في جامعتي الأم إلى خوض تجارب جديدة على رأسها الاعتماد الأكاديمي وإدارة تحرير مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية. كانت التجربة أشبه بمدرسة متكاملة، أتاحت لي أن أعايش العمل الأكاديمي من جوانبه المتعددة، لا في قاعات المحاضرات وحدها، بل في ملفات الجودة والاعتماد،

(١) ذكرت وشاهدت حياة الناس في أبها، ولو تخرج إلى بقية مدن وحواضر وأرياف بلدان تهامة والسراة في عسير، وجازان، ونجران، والباحة، والطائف وغيرها فسوف تجد الحياة الحضارية التي رأيتها في أبها، بل سوف تجد الكثير من التنوع التاريخي المجيد في هذه الأوطان. (ابن جريس).

وفي ساحات البحث والنشر والتحكيم، وفي حلقات (السيمنار) ولجان المناقشات، وفي علاقات إنسانية وثيقة نسجتها مع زملاء أجلاء وطلاب وباحثين جادين.

لم تكن أبها مجرد محطة للعمل، بل كانت فضاءً رحبًا للحياة اليومية، بما فيها من تفاصيل صغيرة صنعت أثرًا لا يُمحى. من سكني في قلب المدينة بشارع الإمام محمد بن سعود، وما يحيط به من أسواق وممشى وساحات، إلى رحلاتي إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة لأداء العمرة والحج، وإلى جدة لأغراض بيروقراطية، والرياض حيث المحطات العلمية ولثقافية. كلها تجارب شكّلت في مجموعها لوحة متكاملة لما قد يقارب عقد من العمر سيبقى حاضرًا في الذاكرة.

وما زاد التجربة ثراءً، هو ما وجدته في إنسان هذا المكان: طيبة أهل أبها، كرمهم الأصيل، عاداتهم التي تمزج بين البساطة والأصالة، وتقاليدهم التي تعكس عمق الهوية السعودية وارتباطها الوثيق بقيم الإسلام والعروبة. كما أن الطراز المعماري القديم والقرى التراثية، وسد أبها بما يحمله من جمال طبيعي، جعلت من هذه المدينة لوحة نابضة بالحياة، لا تُشبه إلا نفسها.

إنها سردية أستاذ وافد، عاش في أبها سبع سنوات أو يزيد، فوجد فيها بيتًا آخر، ورسمت ملامح منعطف جديد في مسيرته العلمية والإنسانية. ولعل هذه التجربة، وقد دُوّنت في هذا السِّفر النفيس لـ «**موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب**»، تكون شاهدًا حيًا ومصدر إلهام لكل من يمر بمثل هذا الدرب، أو يهمه أن يتأمل عوالمه، أو يطمح أن يرى كيف يمكن أن تتحول الغربة إلى فضاء جديد من المعرفة والإنسانية[١].

---

(١) أعلم يا أخي العزيز الدكتور عبد العزيز بن محمد رمضان انكِ قد أسديت لنا نحن سكان جنوب المملكة العربية السعودية و تحديدا منطقة عسير وحاضرة أبها، معروفاً لا ننساه عندما وثقت لنا تفصيلات كثيرةٍ عن حياة الناس في بلادهم من خلال مشاهداتك ومعاصرتك لهم حوالي سبع سنوات. وأنا شخصياً أعمل في القراءة والبحث والتعليم الجامعي حوالي نصف قرن (١٣٩٦ - ١٤٤٧هـ/ ١٩٧٦ - ٢٠٢٥م) قد استفدت فوائد كثيرة جدا من هذه السردية ، وسوف يكون لي حديث آخر عنها في إحدى دراساتي العلمية التوثيقية المستقبلية (وصل الله وسلم على رسول الله) .

٦- الخاتمـــــــــة

النتائج والتوصيات

الخاتمة : نتائج وتوصيات

إذا نظرنـا إلى الفهرسـت العـام لمحتويات الكتابٍ أتضـح لنا تنوع الموضـوعات في عناوينهـا، وأماكنهـا، وتاريخهـا . ونحـن ندرس بلاداً واسـعة في أبعادهـا الجغرافية، وتضاريسـها وتركيبتهـا البشـرية . إنها البلـدان الواقعة بين منطقتـي اليمن والحجاز (تهامة والسراة)[١].

إنني ومن عمل معي من الباحثين والأساتذة الكرام في جمع وتأليف وإعداد ومراجعة مادة هذا المجلد رقم (٣٢) اجتهدنا قدر الاسـتطاعة في إنجاز بعض الأعمال البحثية التـي نعتقد أن فيها مـادة علمية جديدة، ولا ندعي فيها الكمال أو الابداع والتميز ، لكن حسبنا أننا بذلنا جهدنا، وأرجو أن يأتي بعدنا باحثون أفضل منا فيستكملون مالم نقدر عليـه، أو يصـوبون ما وقعنـا فيه من قصـور أو أخطاء، وهذا أمر طبيعـي فالمتأخرون يواصـلون المسـيرة العلميـة والبحثية، ويكونـون إيجابيين في ربط المسـتقل والحاضـر بالماضـي، مع خدمة جهود وأعمال الأوائل بالتطوير والتصـحيح والاستكمال الذي يقوم على منهج الانصاف والحياد والشفافية[٢].

(*) ان كل موضـوع تم نشـره في هـذا السـفر يشـير إلى محاور عديـدة ، وأذكر بعض التوصـيات التي قد تفيد من يطالع هذه الدراسـات العلمية وبخاصـة معاشـر الدارسـين والباحثين في تراث وأثار و تاريخ وحضارة جنوب شبه الجزيرة العربية، فقـد يجـدون فيها بعض المداخل والنقاط الجديـرة بالبحث الجـاد والعميق، وهذا الذي أرجوه وأتمناه، وأذكر ذلك في البنود التالية :

(١) قلـت ومـا زلت أقول أن هذه الديار السـعودية والتهامية ذات تاريخ طبيعي وبشـري قـديم جداً . وجديرة بالاهتمـام العلمـي والبحثـي التوثيقـي والتحليلـي منذ العصـر الحجـري إلى وقتنا الحاضـر (١٤٤٧ هـ /٢٠٢٥م) . ونأمـل أن نرى مؤسسـاتنا العلميـة والتعليمية بما فيها من إمكانات وقـدرات مادية ومعنوية ، وإدارية ومالية، وعلمية وبحثية فتبذل ما في وسعها لخدمة تاريخ و وحضارة هذه البلاد (من الطائف ومكة المكرمة إلى جازان ونجران) فهي فعلاً بحاجة ماسة إلى دراسة علمية جادة .

(٢) هـذا الـذي نتطلع إليه في أبنائنا الباحثات والباحثين، والمؤرخـات والمؤرخين. وأرجو أن نكون (أنا وجيلي) قد سـلكنا الطريق الصـواب في أعمالنا العلمية البحثية والتوثيقية ، وإن حصـل منا خلل أو قصور فنسأل الله أن يغفر لنا ويتجاوز عنا، إنه على كل شي قدير .

١- إن عموم السـروات وتهامة متصـلة بالعديد من الدروب القديمة والإسـلامية المبكرة والوسـيطة والحديثة والمعاصرة. وبعضـها طرق داخلية، وأخرى تربط مناطق عسـير، وجازان، ونجران وغيرها بأوطان داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها. وهذا الموضوع مجال كبير يكتب فيه عشرات الكتب والبحوث العلمية. وبحـث (قوافل الحج..) الموثق في القسـم الأول من هـذا الكتاب كبير جداً في زمانه ومكانه ، ويكتب فيها دراسات كثيرة قبل الإسلام وبعده.

٢- يشـير البحث الثاني في القسم الأول إلى نقوش أثرية . محدودة لبعض الأفراد الحجريـين بإحدى نواحي بيشـة . ونقول : إن عموم بلدان تهامة والسـراة من جنـوب مكة المكرمة إلى جازان، ومن نجران إلى الطائف مسـتودع من التراث والنقوش والآثـار السـطحية والمدفونة ، ومـا زالت غير مخدومة بشـكل جيد وعملي، وهذا النوع من المصـادر يعد مهماً جداً لخدمته منذ عصـور الأقدمين إلى القـرن الحـادي عشـر الهجري، حبـذا أن تتعـاون الـوزارات والجامعات والهيئـات والمؤسسـات المعنيـة بالتراث والتاريخ والحضـارة علـى رعاية هذا المشـروع في كل مكان، وبخاصة بلادنا (تهامة والسرة) لأنها ما زالت بحاجة ماسة إلى العمل والخدمة الجادة في هذا الميدان.

٣- البحثـان الثالث والرابع في القسـم الأول يتصـل مباشـرة بالأوربيين الغربيين وصـلاتهم مع الشـرق وتحديداً شـبة الجزيرة العربية . وهذا موضـوع كبير، وصـدر عنه مؤلفات كثيرة باللغة العربية ولغات أخرى عديدة. ونجد الدراسة الثالثة تذكر البرتغاليين، وهم أوائل المستعمرين الغربيين في العصر الحديث، ووصـولهم إلى جنوب الجزيرة العربية، وبعض اعتداءاتهم على العرب، وشيئاً مـن حروبهم مـع العثمانيين، والبحث المذكـور في هذا الكتاب مـا زال بحاجة إلى خدمـة أفضـل وأعمق، وإتصـال البرتغاليين باليمن والحجـاز وما بينهما من الموضـوعات الجيدة التي يجب الاعتناء بها من قبل المتخصصين ومراكز البحوث العلمية الجادة.

أما البحث الآخر، فهو مزيج من الأهداف السياسـية العسكرية الاستعمارية ، والناحيـة العلمية ، فقد اعتمد على رحلة رحالة فرنسـى ، تم اختياره وإعداده ودعمه من قوى سياسية أوربية حتى يصل إلى اليمن ونجران في النصف الثاني من القرن (١٣هـ/ ١٩م) . وأنجز رحلته وكتبها ونشر بعضها . هذا الجغرافي والرحالة الأوربي واحد من عشرات الرحالة الغربيين الذين زاروا بلاد العرب،

وشبه الجزيرة العربية تحديداً وكتبوا عنها الكثير من الكتب والبحوث العلمية، وما زالت مناطق السروات وتهامة (نجران، وجازان، وعسير، والباحة، والقنفذة، والطائف وغيرها) تستحق دراسات كثيرة ومتنوعة عن الرحالة العرب المسلمين وغير المسلمين الذين زاروها منذ عصور ما قبل الاسلام إلى وقتنا الحاضر، وحبذا أن نرى جامعاتنا المحلية تدعم وتشجع خدمة مثل هذه المشروع البحثي.

٤- كل الدراسات الواردة في القسم الثاني قراءات وتصويبات ومراجعات لعدد من الكتب والدراسات التاريخية القديمة والإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة، وقد تم إنجازها وصدرت عن مناطق وبلدان وجزيئات في تهامة والسراة. وعندما يصدر عمل علمي في مجال معرفي، ثم يأتي من يصوب ماورد فيه من أخطاء، أو يضيف و يستكمل علوم ومعلومات جديدة لها صلة بموضوع الكتاب أو البحث، فذلك يعد من المناهج العلمية البحثية الجيدة. وكم نحن في حاجة ماسة إلى مثل هذه الدراسات النزيهة، التي هدفها خدمة العلم للعلم، والابتعاد عن ا المجاملات والمحاباة، أو النقد الذي يسعى صاحبه إلى تصفية حسابات شخصية، وبالتالي لا يتورع في ركوب موجة القسوة والتخريج في اللفظ، والخروج عن منهج النقد الراقي الحيادي الشفاف والمنصف.

٥- يحتوى القسم الثالث على (١٥) مقالة قصيرة، ومعظمها تغطي عموم تهامة والسراة في العصرين الحديث والمعاصر. وأغلب الموضوعات المنشورة يُكتب فيها عشرات الكتب العلمية، والرسائل الجامعية، وإيرادها في هذا الجزء، كما فعلت في أجزاء سابقة، من أجل التنبيه على أهميتها، مع أن الكثير منها مازالت عناوين جديدة. لم يسبق دراستها في أي عمل سابق وهي متنوعة في مجالاتها (الإجتماعية، والإقتصادية، والعلمية، والتعليمية، والثقافية، والإعلامية، والصناعية، والعمرانية، والحضارية)، ونأمل أن تُخدم من الأساتذة المؤرخين والباحثين في المملكة العربية السعودية، أو من خارج البلاد فهي جديرة بذلك.

٦- اعتمدت مادة القسم الرابع على الذكريات والمشاهدات والانطباعات. قام بها أستاذ مصري مبدع قدير، اجتهدت في طلبه والالحاح عليه أن يكتب بعض انطباعاته في جنوب المملكة العربية السعودية، وبخاصة حاضرة أبها التي يعيش فيها منذ سبع سنوات. و تجاوب معى، جزاه الله كل خير، فدون الكثير

من التجارب والمشـاهدات والذكريات العلمية والتعليمية، والاجتماعية وغيرها من الجوانب الحضـارية . وربما يقول قائل : (إن مثل هذه التوثيقات الحديثة والمعاصـرة ليس لهـا فائدة كبـيرة ، والأهـم دراسـة وتحليل وتوثيـق التاريخ الماضي) ، وهذا قول طيب ، ولاتثريب على من ينادي بذلك، فهذه طبيعة دراسة التاريـخ، لكن كتابـة التاريخ الراهن (المعاصـر) من الميادين العلمية المهمة، ويجب على أقسـام التاريخ في أي مكان الإهتمام بهذا الجانب، وتدعم وتشجع مـن يعمل في هذا الميدان ، مع الحرص على المصـداقية والحيادية في ما يكتب في الوقت الحاضـر. وعندما يقوم بذلك أستاذ تاريخ ومتمكن مثل صاحبنا في هذا القسـم، فإننا بدون شك نكتب تاريخاً صحيحاً وحقيقياً، وسوف يكون من المصادر الرئيسية الأولية في المستقبل[١] .

٧- يوجـد في ملحـق الوثائـق بالكتاب بعضـ المذكرات التي اسـتكتبت أصـحابها عـن موضـوعات مثل : أقسـام التاريـخ في أبها ، وجامعة الملـك خالد. ولمحات مـن تاريخ الدعوة والجمعيات الخيرية في سـروات بلاد بني شـهر وبني عمرو (محافظتي النماص ، وتنومة) ، ووصلني مجموعة من المدونات القيمة ، التي كتبها أسـاتذة لهم تجارب ومشاهدات وارتأيت نشرها في ملحق الوثائق، أرجو أن يسـتفيد منها بعض الباحثين وطلاب العلم ، مع أنها مـا زالت بحاجة إلى توضيحات و شروحات أكثر في الحواشي، وقد أقوم بذلك في المستقبل .

(١) لي مرحلـة طويلة مع اسـتكتاب الباحثين والمتعلمين في مجالات عديـدة ، وحققت بعض النجاحات في هذا الباب ، ونشـرت مدونات عديدة في مجالات متعددة ، ومصـادرها بعض الأعلام من المسؤولين وغيرهم ، فدونوا الكثير من انطباعاتهم ومشاهداتهم وتجاربهم .

٧- ملاحق الكتاب العامة

أولاً : ملحق الوثائق

ثانياً : سيرة ذاتية مختصرة

ملاحق الكتاب العامة

أولاً : ملحـــق الوثائـــق

م		الموضوع	الصفحة
١	ملحق رقم (١)	أربعة خطابات من الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة، رئيس مالية أبها، خلال الأربعينيات والخمسينيات من القران (١٤هـ / ٢٠م) ، يشرح له فيها ويوجهه إلى بعض الأمور الإدارية والمالية والاجتماعية وغيرها في جنوب البلاد السعودية.	٤٩٧
٢	ملحق رقم (٢)	مجموعة من الخطابات (الوثائق) عامي (١٣٥٢هـ/ ١٣٥٣هـ) من الأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود (ولي العهد) إلى الشيخ عبد الوهاب بن محمد أبو ملحة وغيره . ومادتها العلمية تدور حول بعض التعليمات والتوجيهات التي يجب القيام بها، ومعظمها إدارية، وأمنية، ومالية لها صلة بحملة الأمير سعود العسكرية إلى نجران في الخمسينيات من القرن الهجري الماضى.	٥٠٣
٣	ملحق رقم (٣)	عشرون وثيقة إدارية ومالية (رواتب، وزكوات، وتنظيمات حضارية ومراسلات متنوعة) من بداية الأربعينيات إلى الخمسينيات من القرن (١٤هـ / ٢٠م) وهي متبادلة بين العديد من الأمراء والشيوخ والأعيان وبعض الموظفين وغيرهم في منطقة عسير وغيرها. وجميعها تدور في مجال خدمة البلاد والعباد عسكرياً، واقتصادياً، ومالياً وإدارياً، وأمور أخرى عديدة.	٥١٥

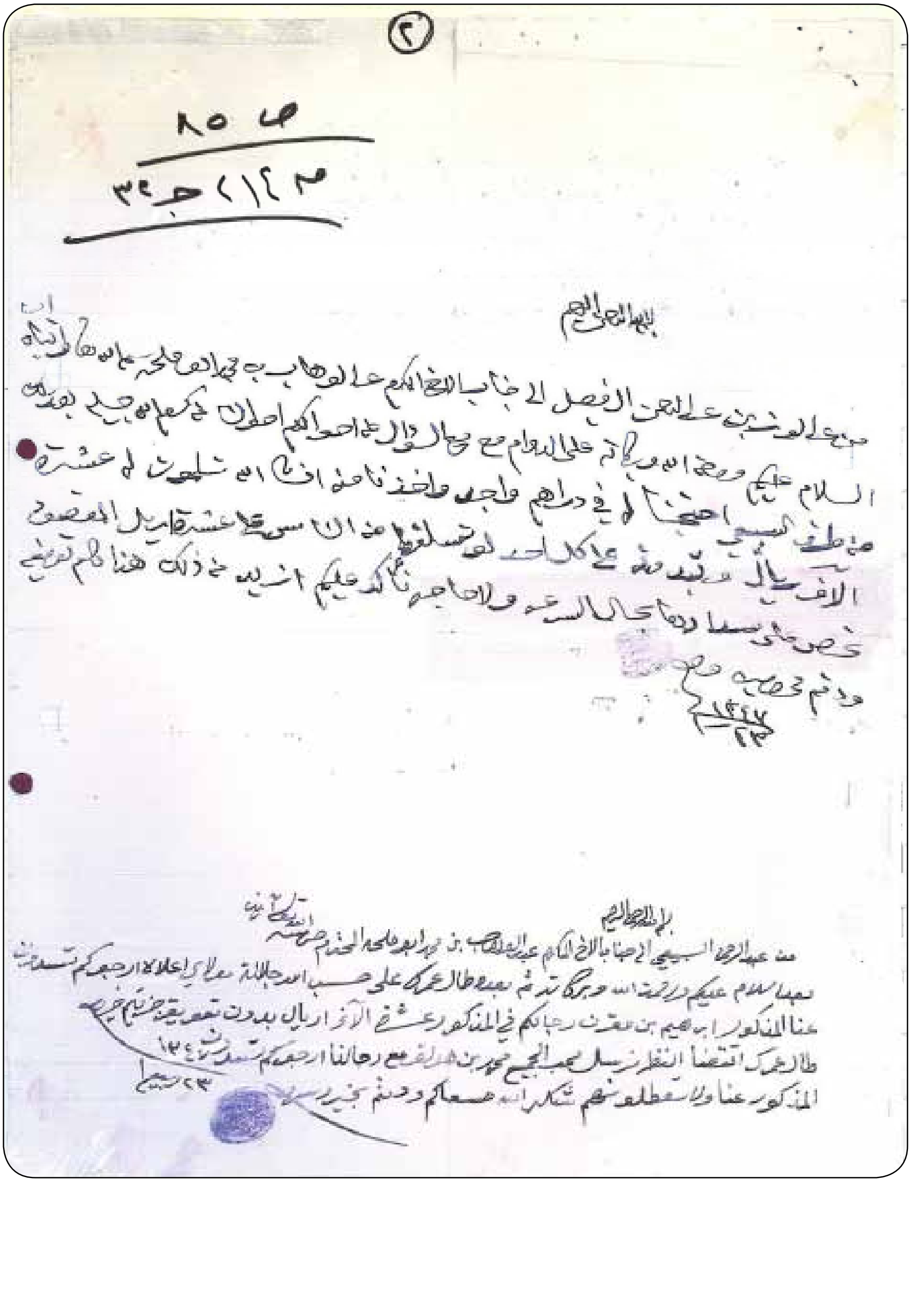
م			الموضوع	الصفحة
٤	ملحق رقم (٤)		قائمة بأسماء المدرسين المتعاقدين الذين عملوا في إدارة تعليم أبها والمدارس التي تشرف عليها في منطقه عسير عام (١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) ويتضح من هذه المذكرة أسماء المعلمين، والأمكنة أو (المدارس) التي اشتغلوا فيها ، ومؤهلاتهم العلمية. وكان معظمهم من دولتي الأردن وفلسطين، ونسبة قليلة من سوريا، والعراق ، والسودان.	٥٣٧
٥	ملحق رقم (٥)		ثلاث مذكرات مختصرة عن مسيرة الدعوة والارشاد وبعض الجمعيات الخيرية في سروات بني شهر وبني عمرو في العصرين الحديث والمعاصر . وأصحاب هذه المدونات هم :	٥٦٣
		١	الشيخ عبدالله بن سعيد الكريمي العمري.	٥٦٤
		٢	الشيخ حمود بن ظافر الجبيري الشهري.	٥٦٧
		٣	مكتب الجمعية الخيرية بالنماص، وعنهم رئيس مجلس إدارة هذه الجمعية في الوقت الحاضر الأستاذ سلمان بن عبد الرحمن العمري.	٥٧٠
٦	ملحق رقم (٦)		تسع مذكرات لأساتذة كتبوا عن مسيرة أقسام التاريخ في أبها، ولمحات من تاريخ التعليم الجامعي في أبها وعسير وأصحاب هذه المدونات هم .	٥٧٣
		١	أ. صبري بن ناصر مكين	٥٧٥
		٢	د. رشاد بن عبد الله الطنيني الشهري	٥٨٤
		٣	د. سعيد بن على الحتارشة الشهراني	٥٨٩
		٤	د. جمعان بن عبد الله الشهراني	٥٩٥
		٥	د. عوض بن عبدالله بن ناحي عسيري	٥٩٩
		٦	أ. أحمد بن مريع أبو زوعة العسيري	٦٠٣
		٧	د. محمد بن على آل ناهض عسيري	٦٠٨
		٨	أ.د. سعيد بن مشبب القحطاني	٦١٢
		٩	أ. ناصر بن أحمد العماري الشريف	٦١٥

ملحـــق رقـــم (١)

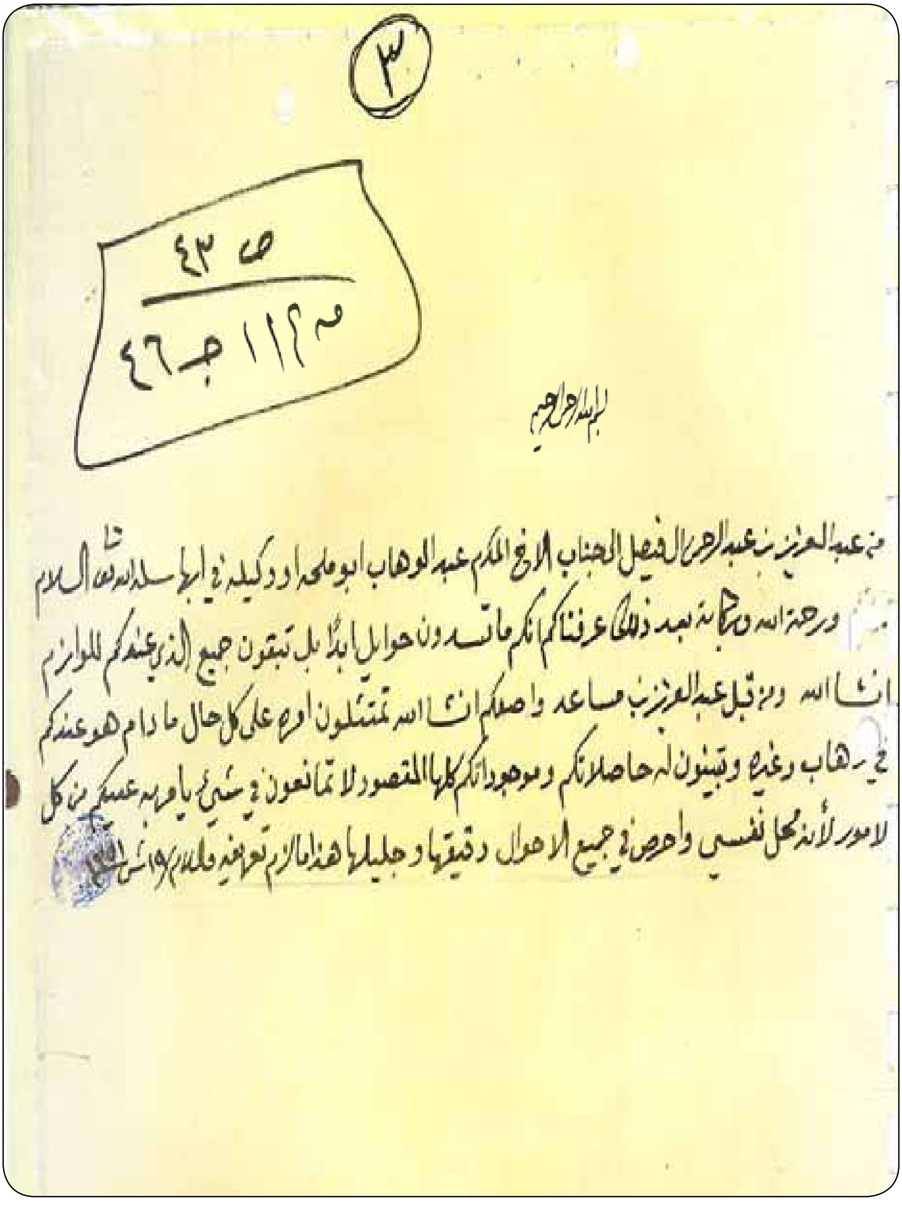
أربعـة خطابـات مـن الملـك عبـد العزيـز بن عبـد الرحمن الفيصـل إلى الشـيخ عبد الوهـاب أبو ملحـة، رئيس مالية أبهـا، خلال الأربعينيات والخمسـينيات مـن القران (١٤هـ / ٢٠م)، يشـرح له فيها ويوجهـه إلى بعض الأمور الإدارية والمالية والاجتماعية وغيرها في جنوب البلاد السعودية.

المصـدر: مكتبـة د. غيثان بن جريسـ العلمية ، الوثـائق العامة (ق ١٤هـ/ ٢٠م) (الأجزاء ٣٢،٣٣ ٤٣،٤٦) .

ملحـــق رقـــم (١)



تابـــع ملحـــق رقـــم (١)

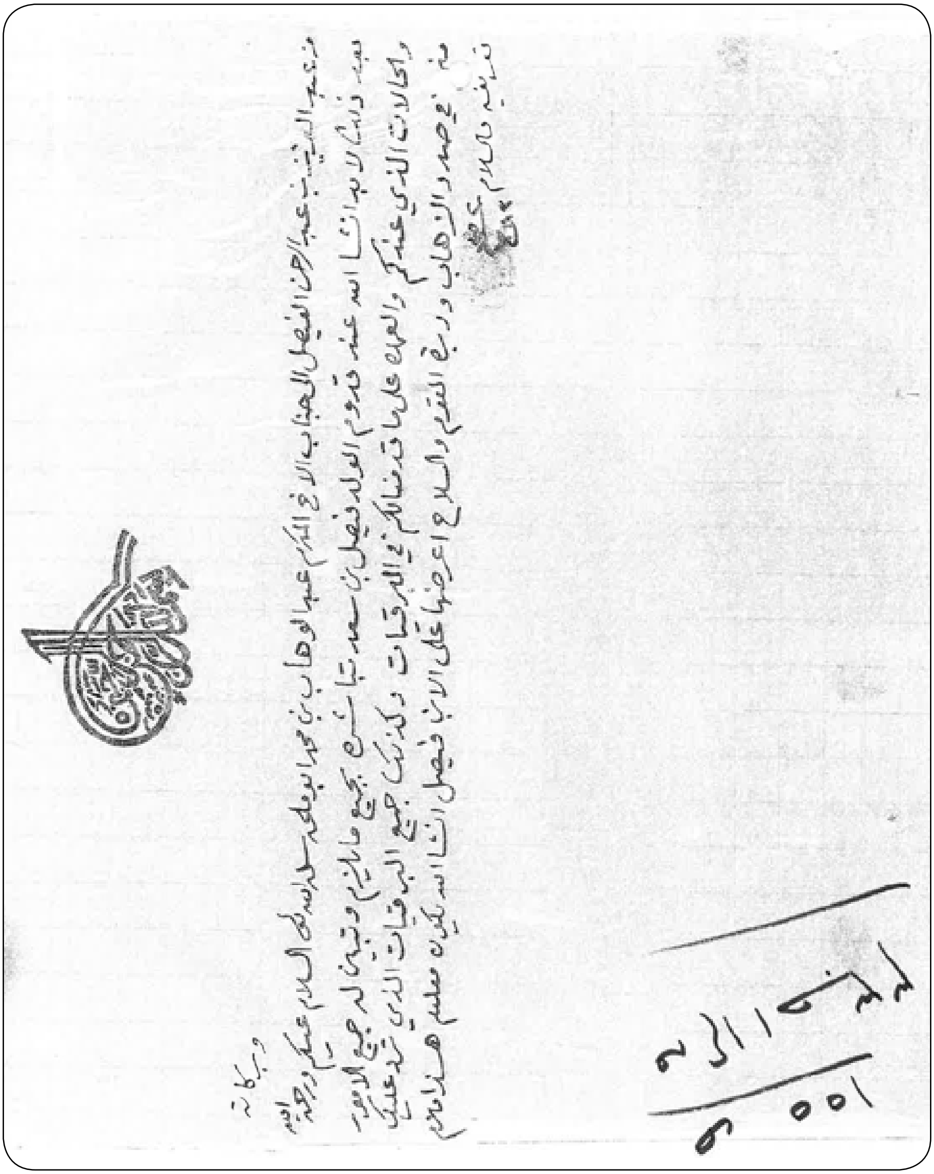

٣

ص ٤٣
م ١١٤ ج ٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

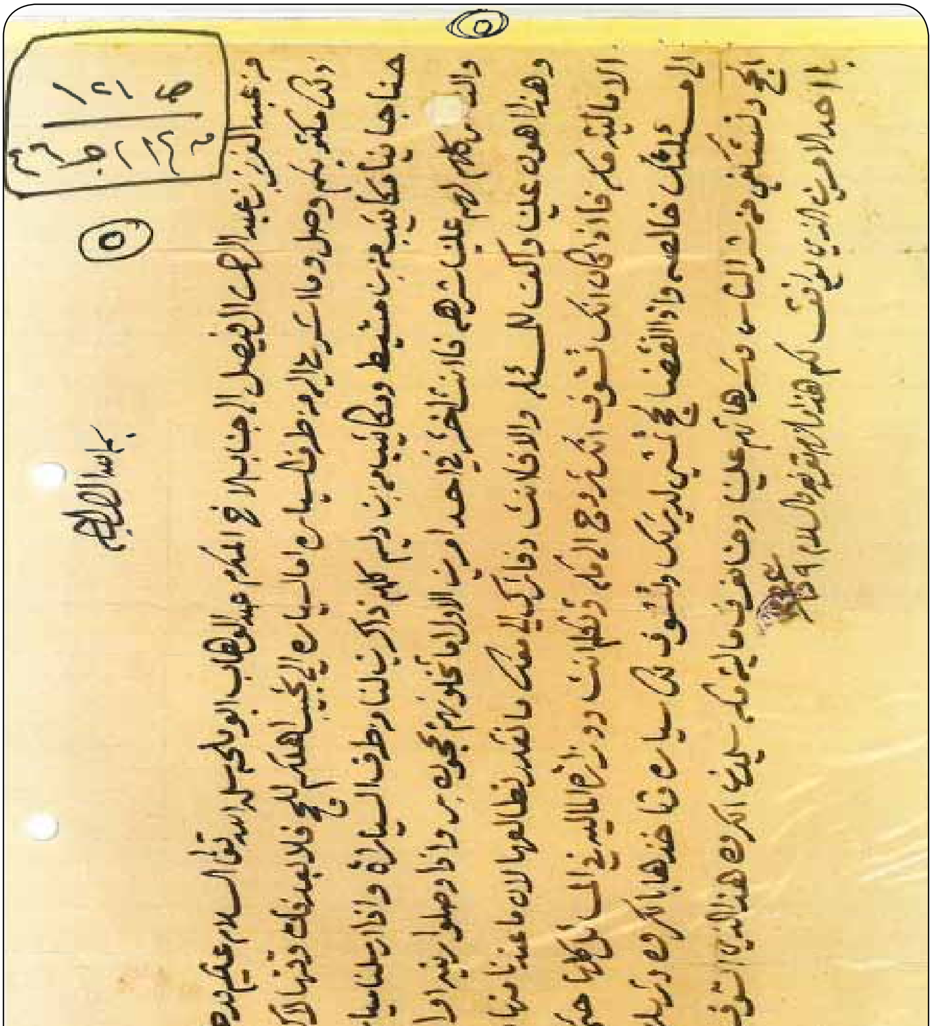
من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الجناب الاخ المكرم عبد الوهاب ابو ملحه ووكيله في ابها سلمه الله تعالى السلام
ورحمة الله وبركاته بعد ذلك عرفناكم انكم ماتسوون حوايل ابدًا بل تبقون جميع الذي عندكم للوازم
ان شاء الله ومن قبل عبد العزيز بن مساعد واصلكم ان شاء الله تمتثلون امره على كل حال ما دام هو عندكم
في رهاب وغيره وتبينون له حاصلاتكم وموجوداتكم كلها المقصود لا تمانعون في شيء يامر به عسكر من كل
الامور لانه محل نفسي واحرص في جميع الاحوال دقيقها وجليلها هذا ما لزم تعرفونه والسلام ١٩ شعبان

تابــع ملحــــق رقــــم (١)



من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب الاخ المكرم عبد الوهاب بن محمد ابو ملحه سلمه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعد ذلك لابد انشا الله عند قدوم الولد فيصل بن سعد تباشره بجميع ما يلزم وتبين له جميع الامور
والحالات الذي عندكم والعهد على ما قد ضنا لكم في البرقيات وكذلك جميع البرقيات الذي ترد عليك
منه في صد والذهاب وربع القوم والسلاح اعرضها على الابن فيصل انشا الله يكون معلم هذا محل
تعريفه والسلام

تابــع ملحـــق رقـــم (١)

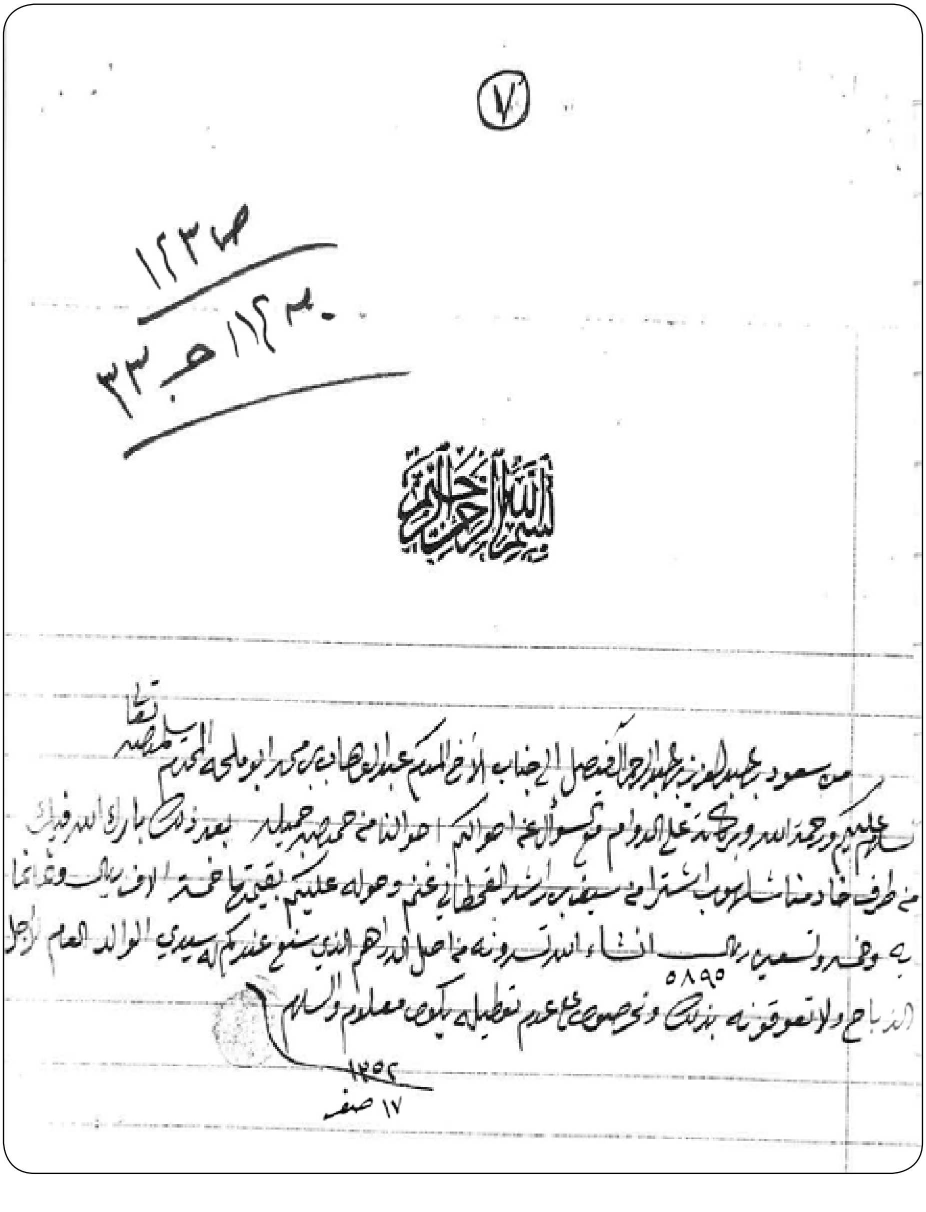


ملحق رقم (٢)

مجموعة من الخطابات (الوثائق) عامي(١٣٥٢هـ/ ١٣٥٣هـ) من الأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود (ولي العهد) إلى الشيخ عبد الوهاب بن محمد أبو ملحة وغيره. ومادتها العلمية تدور حول بعض التعليمات والتوجيهات التي يجب القيام بها، ومعظمها إدارية، وأمنية، ومالية لها صلة بحملة الأمير سعود العسكرية إلى نجران في الخمسينيات من القرن الهجري الماضي.

المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) (متفرقة في عدد من الأجزاء).

ملحق رقم (٢)



بسم الله الرحمن الرحيم

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب الأخ المكرم عبد الوهاب بن محمد أبو ملحة المحترم سلمه الله تعالى

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن أحوالكم أحوالنا من جهة الله جميلة بعد ذلك بارك الله فيك

من طرف خادمنا سليمان بن سيف بن راشد القحطاني وحوالة عليكم بقيمة خمسة آلاف ريال وثمانمائة

وخمسة وتسعين ريال إن شاء الله تسلمونه من أصل الدراهم الذي عندكم له سيدي الوالد العام الأول

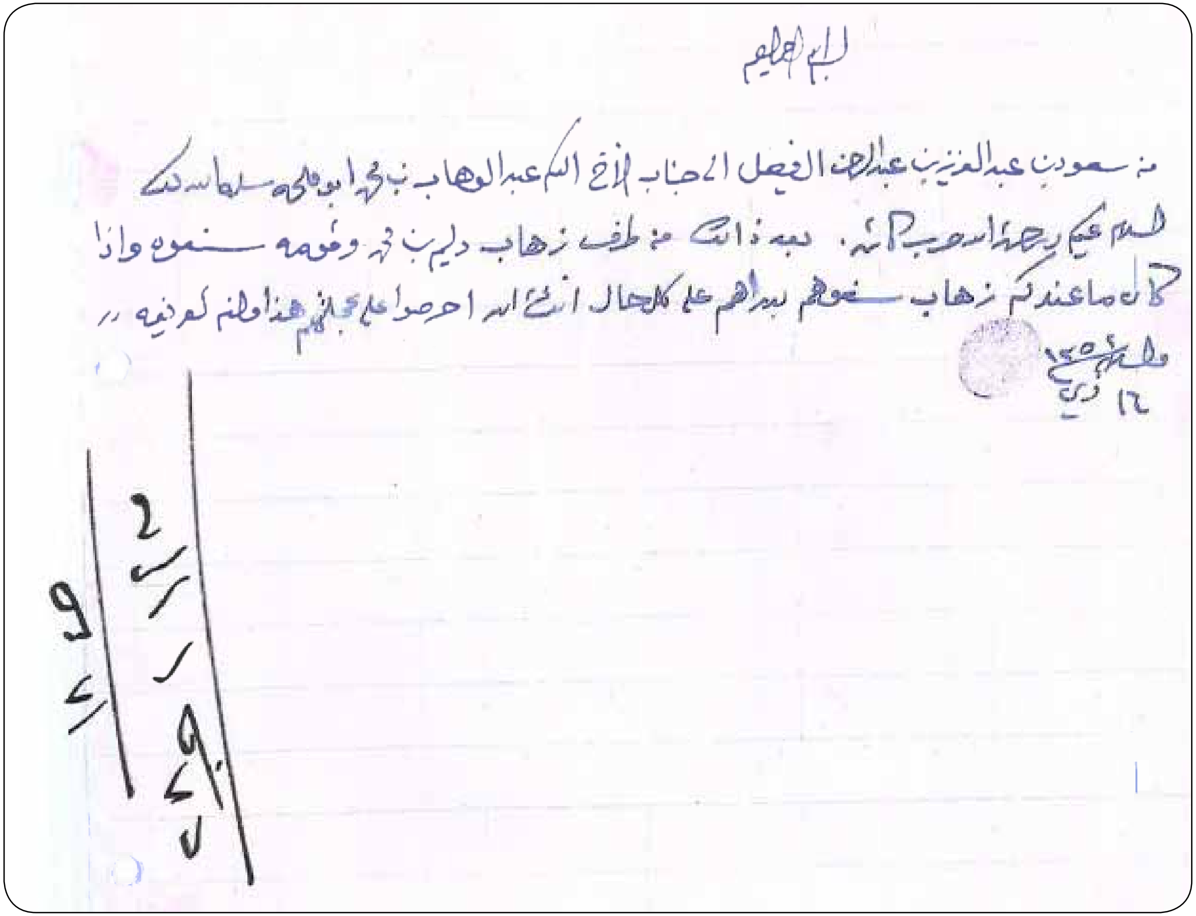
٥٨٩٥

الدباح ولا تعوقونه بذلك ونحرص على عدم تعطيله يكون معلوم والسلام

١٣٥٢

١٧ صفر

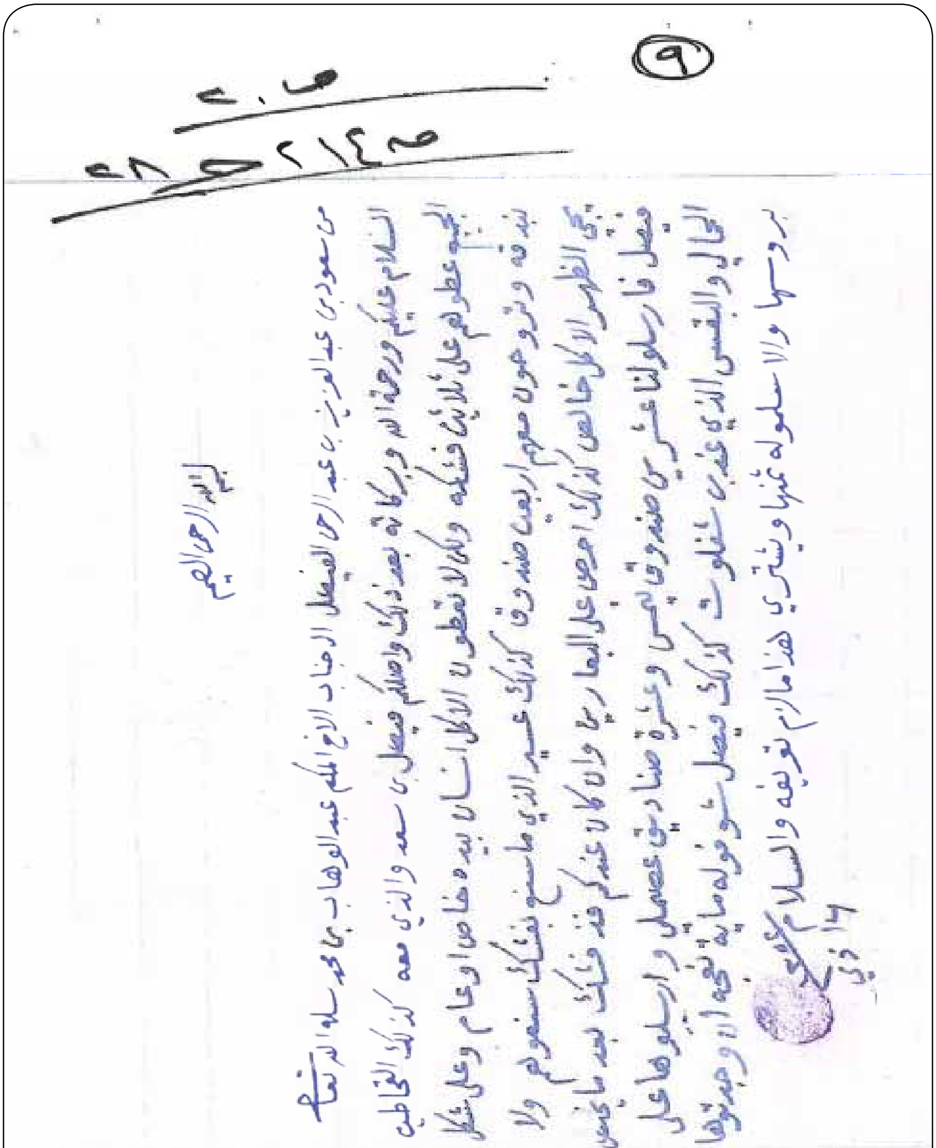
تابــع ملحـــق رقـــم (٢)


الله الحليم

من سعود بن عبدالعزيز بن عبدالله الفيصل الى جناب الاخ المكرم عبدالوهاب بن محمد ابو ملحه سلمه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بعد ذلك من طرف ذهاب دليم بن محمد وعوضه سعود واذا
كان ما عندكم ذهاب سعوهم بيداهم على كل حال انشاء الله احرصوا على جلبهم هذا ولكم تحياتنا ،،

والسلام
١٦ ذي

تابـــع ملحـــق رقـــم (٢)

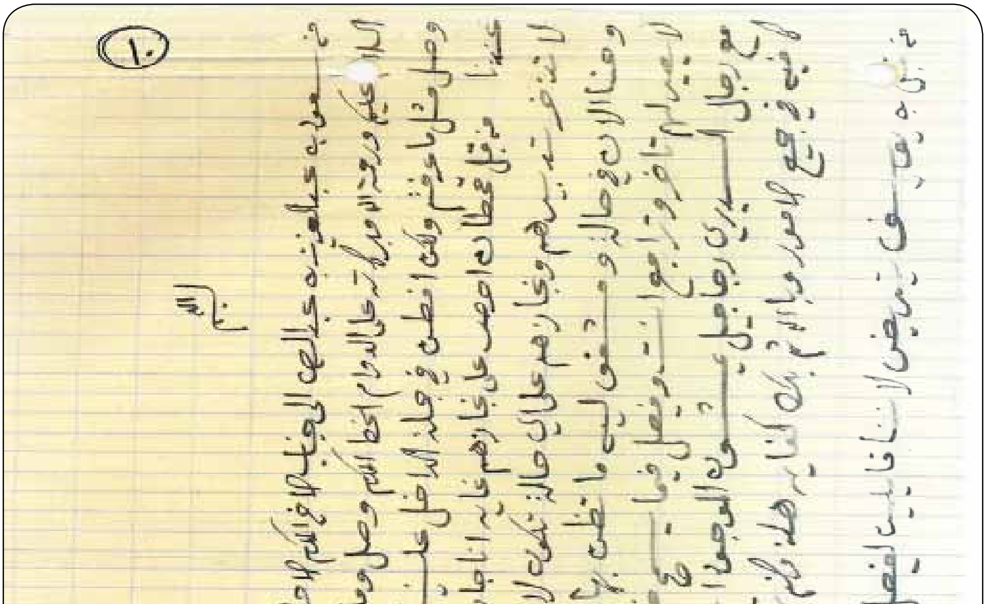


٩

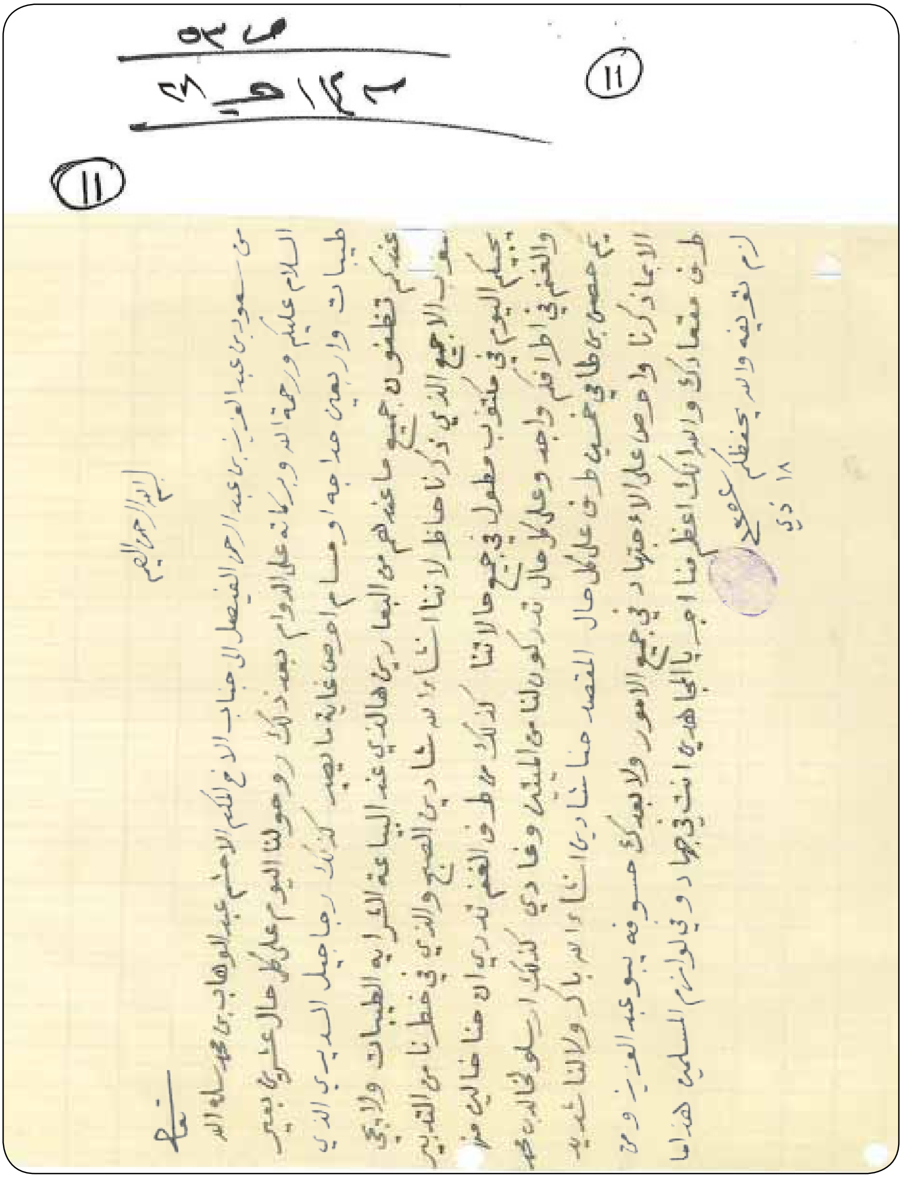
بسم الله الرحمن الرحيم

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب الاخ المكرم عبد الوهاب بن محمد سلمه الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعد ذلك واصلكم فيصل بن سعد والذي معه كذلك التحاطيب
الجميع عطوهم على ثلاثين فشكه ولكن لا تعطون الا كل انسان بيده خاص او عام وعلى شكل
بندقه ويتروحون معهم اربعين صندوق كذلك عبيد الذي ما سنع بنفسك سنعوهم ولا
يجي الظهر الا كل خالص كذلك احرص على البعارين وان كان عندكم فذ فشك بعد ما يجمن
فيصل فارسلوا لنا عشرين صندوق بمس وعشرة صناديق عصملي وارسلوها على
الجمال والبقس الذي عند بن شلهوب كذلك فيصل شوفوله ماية نعجه ان وجدتوها
بروسها والا سلموله ثمنها ويشتري هذا ما لزم تعريفه والسلام
١٦ ذي

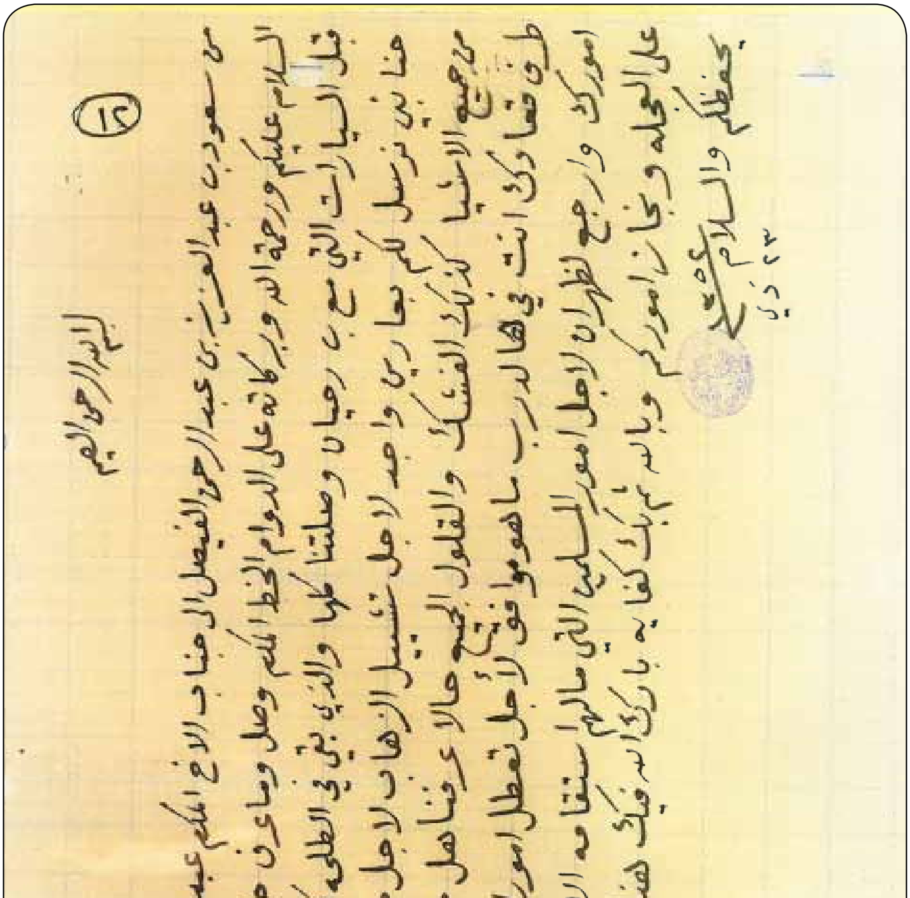
تابــع ملحــــق رقـــم (٢)



تابع ملحق رقم (٢)



تابـــع ملحـــق رقـــم (٢)


بسم الله الرحمن الرحيم
(١٢)
من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب الاخ المكرم عبد الوهاب بن محمد سلمه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام الخط المكرم وصل وما عرفت جنابكم كان معلوم من
قبل السيارات التي مع ب رحيان وصلتنا كلها والذي بقي في الطلحه كله فيه دمار من قبل
هنا نبي نرسل لكم بعارين واجد لاجل تشييل الزهاب لاجل حتنه واصل والزهاب
من جميع الاشيا كذلك الفشك والقلول الجميع حالا عرفنا اهل هنا نرسلها ام لا من
طرف فعادك انت في ها الدرب ما هو موافق لاجل تعطل امور المسلمين حالا رتب جميع
اموركم وارجع لظهران لاجل امور المسلمين التي ما لها استقامه الا بالله ثم بها واحصوا
على العجله وبجاز اموركم وبالله ثم بكم كفايه بارك الله فيك هذا ما لزم تعريفه والله
يحفظكم والسلام
٢٣ ذي

تابــع ملحــــق رقــــم (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

١٦٨ ص
٤٦ جـ ١٤٢ م

(١٣)

ديوان ولي عهد

المملكة العربية السعودية

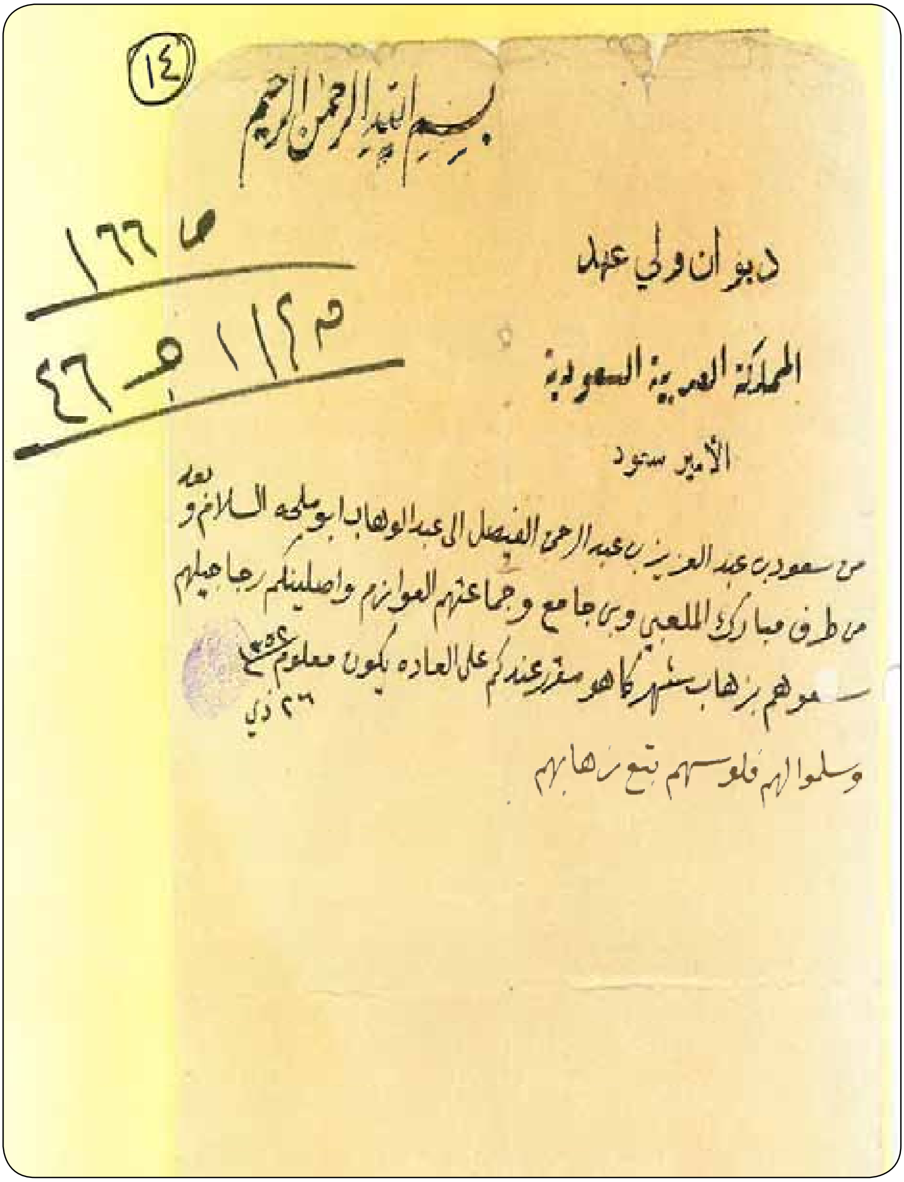
الأمير سعود

سلمه الله

من سعود بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الى جناب الاخ المكرم عبدالوهاب بن محمد ابو ملحه سلمه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام من ذلكم من قبل خبر العيال وخدامنا
البدو والحضر وردناهم عليكم في زهابهم لانهم خالين من كل شي حال
وصولهم الا ان تجزونهم لاجل لهم تعطل لان ما عندهم شي
واذا انهم اختلت ركابهم الذي جعلكم عليها احرص غايه ونهايه
وزهابهم يصير زهاب شهر على العاده الا ان كان من تظن ما عندكم
لهم كفايه زهبهم المعجل عندكم اما زهاب عشرين يوم او نصف
شهر ولانه خاته يصير زهاب شهر العصد لا يتعطلون وعرفنا
ان زهبتهم بالمعجل في الماليه من كل شي ايضا الخيل عرفنا
هل عندكم شعير وردناهم في شعير او فلوس سنعالهم فلوس
العصد عرفنا عن الذي عندكم كذلك تشوف للخيل الخاصه
حد عاض مقدار ما يبي صاع شعير وتجعلها علينا
احرص على جميع اعمالكم والاهتمام فيها وبالله ثم بكم كفايه
ودمتم محروسين
٦ رجب ١٣٥٠

احرص على انه يصير زهاب شهر لا ينقص منه شي

تابــع ملحــــق رقــــم (٢)



(١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

ص ١٦٦

١١٤٣ م

ج ٤٦

ديوان ولي عهد

المملكة العربية السعودية

الأمير سعود

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى عبد الوهاب ابو ملحه السلام عليكم و بعد

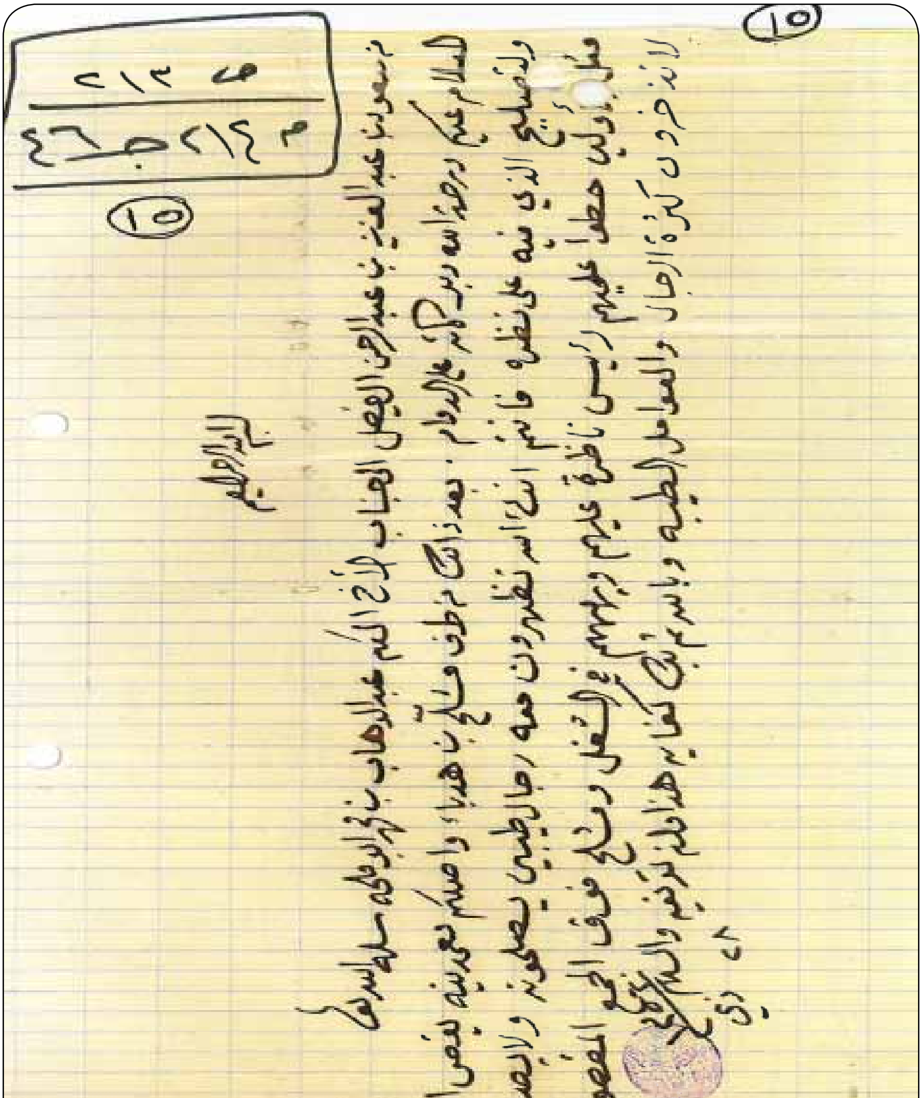
من طرف مبارك اللعبي و بن جامع و جماعتهم العوازم واصلينكم رجاجيلهم

ـعوهم زهاب شهر كما هو مقرر عندكم على العاده يكون معلوم

٢٦ ذي

وسلموا لهم فلوسهم تبع زهابهم

تابــع ملحـــق رقـــم (٢)



(١٥)

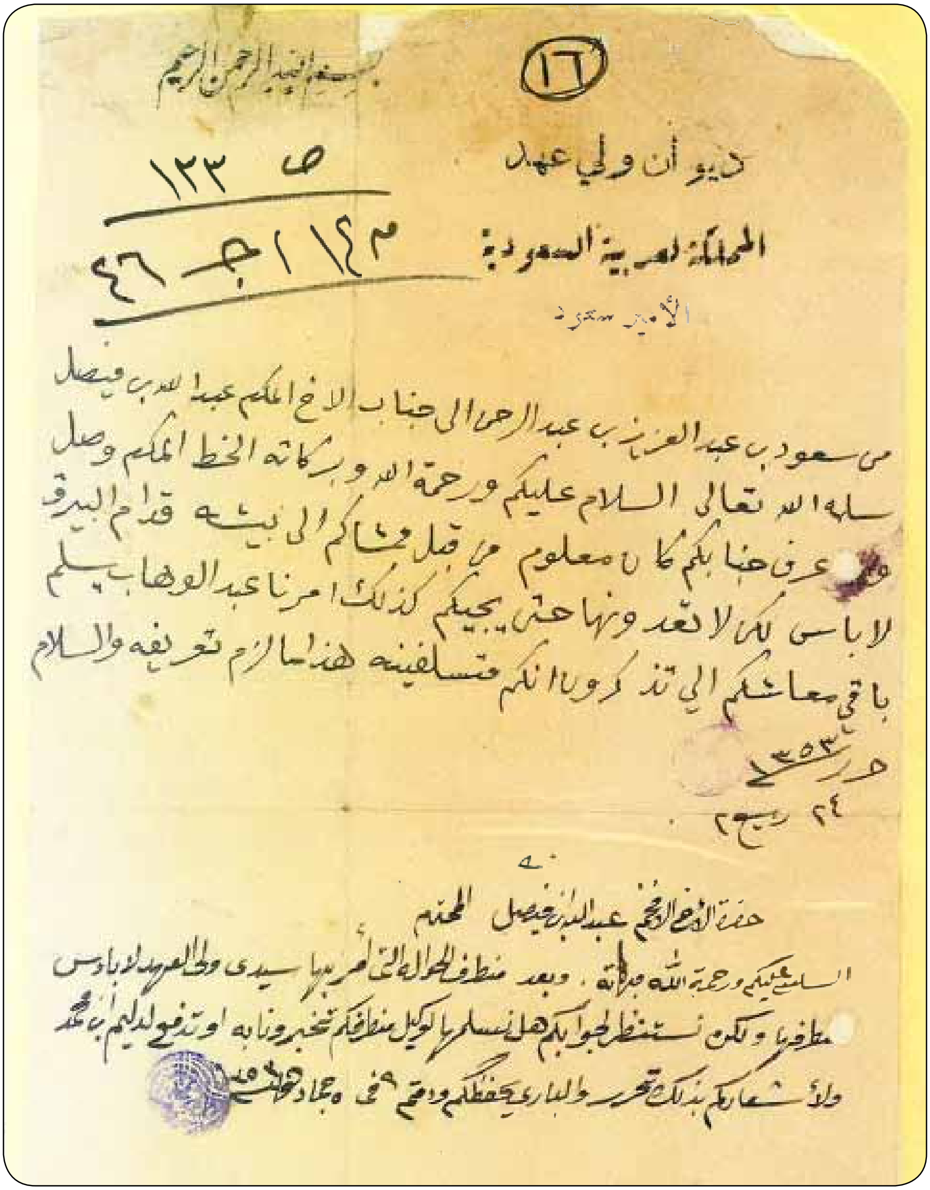
بسم الله الرحمن الرحيم

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الجناب الأخ المكرم عبد الوهاب بن محمد أبو ملحه سلمه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام. بعد ذلك من طرف فالح بن هدياء واصلكم نعمد بيه تفحص الدريب ولتصليح الذي فيه على نظره فانتم انشاء الله تنظرون معه رجال طيبين يصلحونه ولا يصيرون مثل أولين حطوا عليهم رئيس ناظرة عليهم ويهمهم في الشغل ومصالح فوق الجمع المقصود لا تأخذون كثرة الرجال والعوامل الطيبة وبالله ثم بك كفاية هذا ما لزم تعريفه والسلام

٢٨ ذي

تابــع ملحـــق رقـــم (٢)


بسم الله الرحمن الرحيم

(١٦)

ديوان ولي العهد

ص ١٢٣

المملكة العربية السعودية

م ١٤٣ / ١ جـ ٤٦

الأمير سعود

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الى جناب الاخ المكرم عبد الله بن فيصل
سلمه الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته الخط المكرم وصل
عن جنابكم كان معلوم من قبل مشاكم الى بيشه قدام البيرق
لاباس لكن لا تعد ونها حتى يجيكم كذلك امرنا عبد الوهاب يسلم
باقي معاشكم الي تذكرون انكم متسلفينه هذا ما لزم تعريفه والسلام

١٣٥٣

٢٤ ربيع ٢

هـ

حضرة الأخ الأكرم عبد الله بن فيصل المحترم

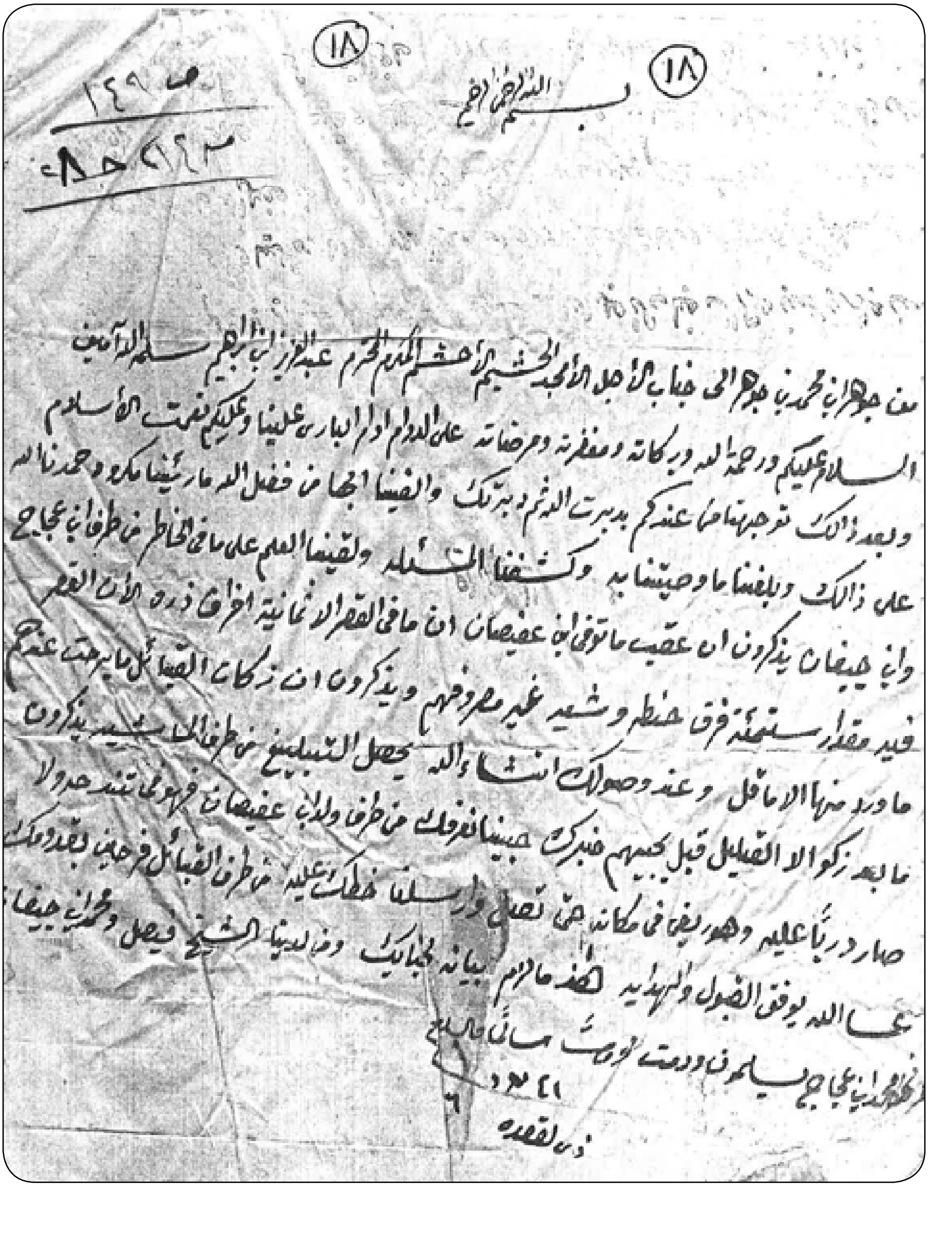
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد منطوف الحوالة التي أمر بها سيدي ولي العهد لا بأس
مظروفها ولكن نستنظر جوابكم هل تسلمها الوكيل من طرفكم تخبرونا به او تدفع لديكم بن محمد
ولأشعاركم بذلك تحرر والباري يحفظكم ودمتم ٩ في جماد الاول

ملحـــق رقـــم (٣)

عشرون وثيقة إدارية ومالية (رواتب، وزكوات، وتنظيمات حضارية ومراسلات متنوعة) من بداية الأربعينيات إلى الخمسينيات من القرن (١٤هـ / ٢٠م) وهي متبادلة بين العديد من الأمراء والشيوخ والأعيان وبعض الموظفين وغيرهم في منطقة عسير وغيرها. وجميعها تدور في مجال خدمة البلاد والعباد عسكرياً، واقتصادياً، ومالياً وإدارياً، وأمور أخرى لعديدة.

المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق ١٤ هـ ٢٠ م) . (توجد ضمن أجزاء عديدة) .

ملحـــق رقـــم (٣)



(١٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

من جبر ابن محمد بن بدر الى جناب الأجل الأمجد الحشيم الأفخم المكرم المحترم عبد العزيز ابن ابراهيم سلمه الله آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ومرضاته على الدوام ادام البارى علينا وعليكم نعمت الاسلام

وبعد ذالك نوجهها عندكم بدبرت الله ثم بدبرتك والفينا اجا من فضل الله ما رأينا ما كره وحمدنا الله

على ذالك وبلغنا ما وصيتنا به وكشفنا المسألة ولقينا العلم على ما في الخاطر من طرف ابن عجاجة

وابن جيفان يذكرون ان عقيب ما توفي ابن عفيصان ان ما في القصر الا ثمانية اخراق ذرة الا ان القصر

فيه مقدار ستمية فرق حنطة وشعير غير مصروفهم ويذكرون ان زكات القبايل ما برحت عندهم

ما ورد منها الا ما قل وعند وصولك انشا الله يحصل التبليغ من طرف الشيخ يذكرون

ما بعد زكوا الا القليل قبل يجيهم خبرك جينا نفرحك من طرف ولا ابن عفيصان فهو مع تنفذ حدود

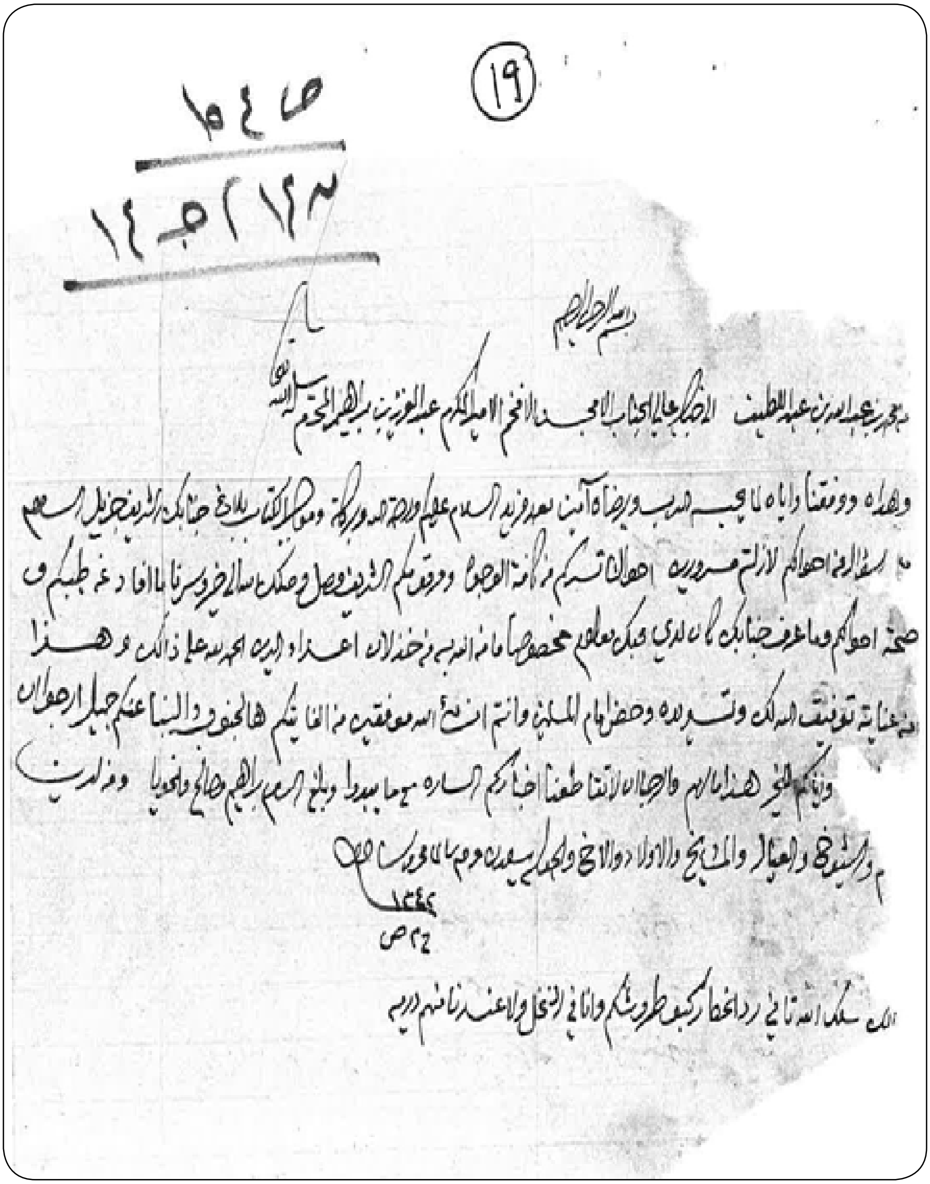
صار دربا عليه وهو ريض في مكانه حتى تصل وارسلنا خطك وعليه من طرف القبايل فرحين بقدومك

والله يوفق الصول والهداية هذا ما لزم بيانه لجنابك ومن لدينا الشيخ فيصل ومحمد ابن جيفان

من الحقير ابن عجاجة سلموك ودمت محروس سالما سالم

٦ ذي القعدة ١٢٢١

تابـــع ملحـــق رقـــم (٣)



(١٩)

١٤٥ ص

١٤٣/١ جـ ١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله بن عبد اللطيف إلى حضرة جناب الجناب الأمجد الأفخم الإمام المكرم عبد العزيز بن عبد الرحمن [illegible] سلمه الله تعالى

وهداه ووفقنا وإياه لما يحبه ويرضاه آمين بعد فريد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وموجب الكتاب إبلاغ جنابكم الشريف جزيل السلام

والسؤال عن أحوالكم لا زالت مسرورة [illegible] وخطكم الشريف وصل [illegible] وسرنا ما أفاد [illegible] طيبكم و

صحة أحوالكم وما عرف جنابكم [illegible] مخصوصاً [illegible] أعداء الدين الحمد لله على ذلك وهذا

من عناية توفيق الله لك وتسديده وحفظه إمام المسلمين وأنتم [illegible] الجنوب والشمال عندكم [illegible]

[illegible] هذا ما لزم [illegible] أخباركم السارة [illegible] وبلغ السلام [illegible]

والشيوخ والعيال والمشايخ والأولاد والإخوان [illegible] والسلام

١٣٤٤

٢٤ ص

[illegible]

تابع ملحق رقم (٣)

ص ٢٠٧
م ٢١٤ ج

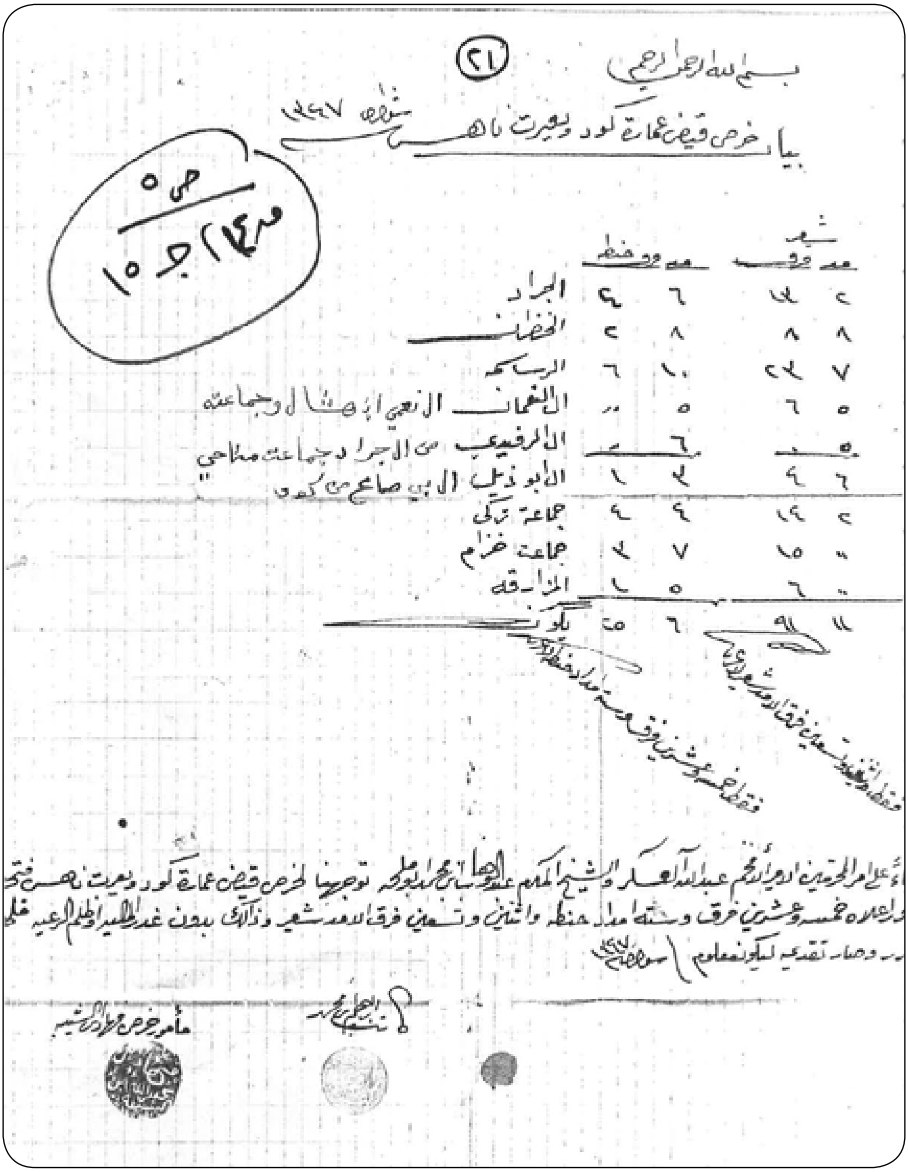
(٢٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله العسكر الى الاخ المكرم محمد بن دليم ابو العشة دام محروس
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ذلك حال وصول
الخط اليك قد انت تستقبض لك بحوزتك من الشيوخ
ثلاثة فرق منصوفة حنطه وشعير وتقبض على فردان
بروحه من الشيوخ خمسة عشر فرق منصوفه وعلى دليم عشرين
فرق منصوفه وعلى عبد الله بن دليم عشرة افراق منصوفه
وعلى جبران واخوانه خمسه وخمسين فرق منصوفه
الجميع ثمانية فرق والباقي ستة فرق منصوفة ان
اردتوا تأخذوا سعر الحنطة على ستة امداد بريال
والشعير من فرق بريال لا باس وان على غير فوقوها
الى وكيل بيت المال عبد الوهاب ابو ملحة ليكون لديكم معلوم

والسلام
١٣٤٤
شوال

تابــع ملحــــق رقــــم (٣)



(٢١)

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان خرص قيض عمارة كود وبعيرت ناهس شوال ١٣٤٧

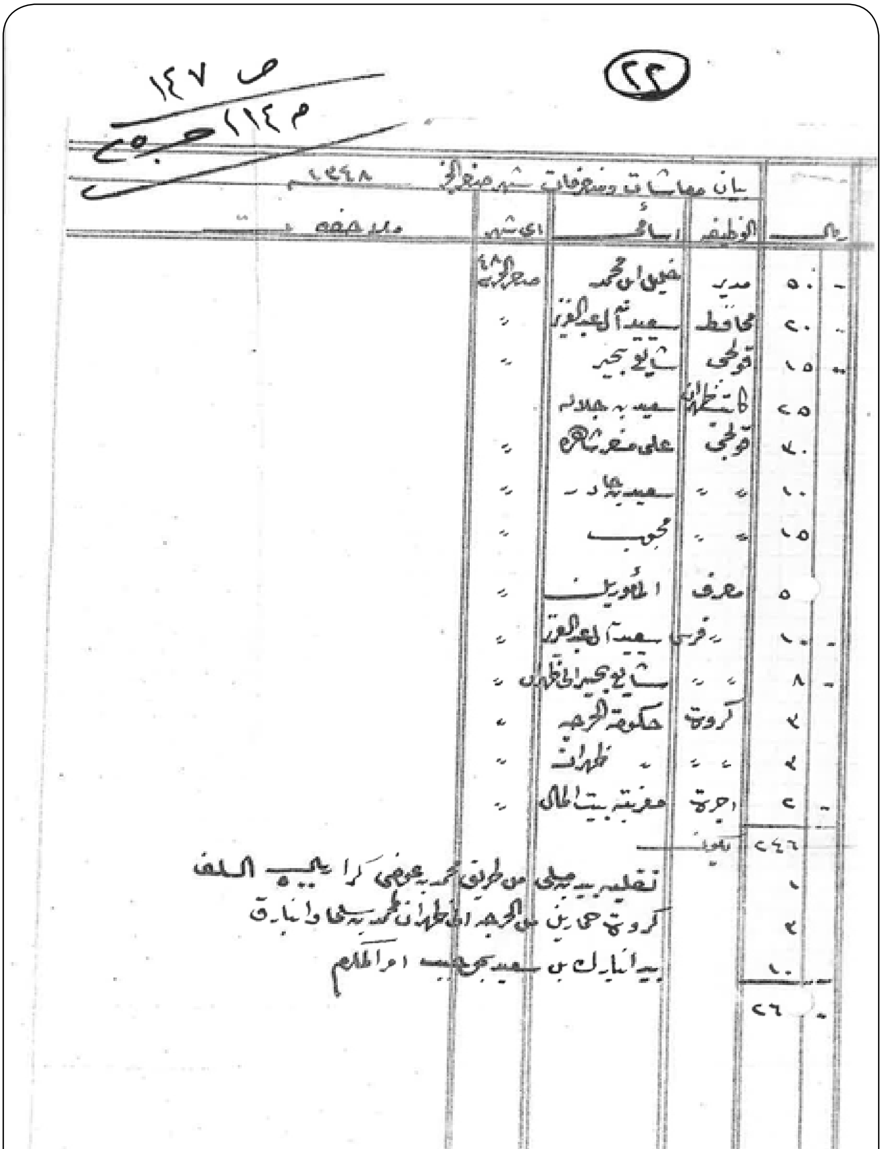
	عدد	حبوب	عدد	حنطة
الجراد	٢	٤٤	٦	٩
الحضان	٨	٨	٨	٢
الرساكه	٧	٢٤	١٠	٦
آل النعمان الزعبي ابو صالح وجماعته	٥	٦	٥	"
آل المرقيعيب من الجرا وجماعت صالحي	٥	٢	٦	٢
آل ابو ذيب آل بن صالح من كود	٦	٩	٤	١
جماعة تركي	٢	١٩	٩	٤
جماعة خدام	"	١٥	٧	٤
المزارقة	"	٦	٥	١
بلوغ	١١	٩١	٦	٥٠

... على امر الحرمين ادام الله ... عبدالله العسكر ... الشيخ المكرم ... توجهنا لخرص قيض عمارة كود وبعيرت ناهس ...
... علاه خمسة وعشرين فرق وستة امداد حنطة واثنين وتسعين فرقا لاغير شعير وذلك بعد ...
... وصار تقديمه ليكون معلوم ... ١٣٤٧

مأمور خرص ...

نائب ...

تابـــع ملحـــق رقـــم (٣)



(٢٢)

ص ١٤٧

م ١١٤

صحيح

بيان معاشات وصرفيات شهر صفر الخير ١٣٤٨

ريال	الوظيفة	الاسم	اي شهر	ملاحظة
٥٠	مدير	ضيف الله محمد	صفر الخير ٤٨	
٢٠	محافظ	سعيد ابن عبد العزيز	〃	
١٥	قولجي	شايع بجير	〃	
٢٥	كاتب قلم	سعيد بن جلال		
٢٠	قولجي	علي معشي	〃	
١٠	〃	سعيد جاد	〃	
١٥	〃	محبوب	〃	
٥	عرف	الهويش	〃	
١٠	نفر	سعيد ابن عبد العزيز	〃	
٨	〃	شايع بجير الخطاني	〃	
٢	كروة	حكومة الحج	〃	
٢	〃	ظهران	〃	
٢	اجرة	صرفيته بيت المال	〃	
٢٤٦	المجموع			
١	تقليم سيمي من طريق محمد بن عوضي كرا بيت المال			
٢	كروة حمارين من الحجه الى ظهران محمد بن سعيد وابنه			
١٠	[illegible]			
٢٦				

تابــع ملحــــق رقـــــم (٣)

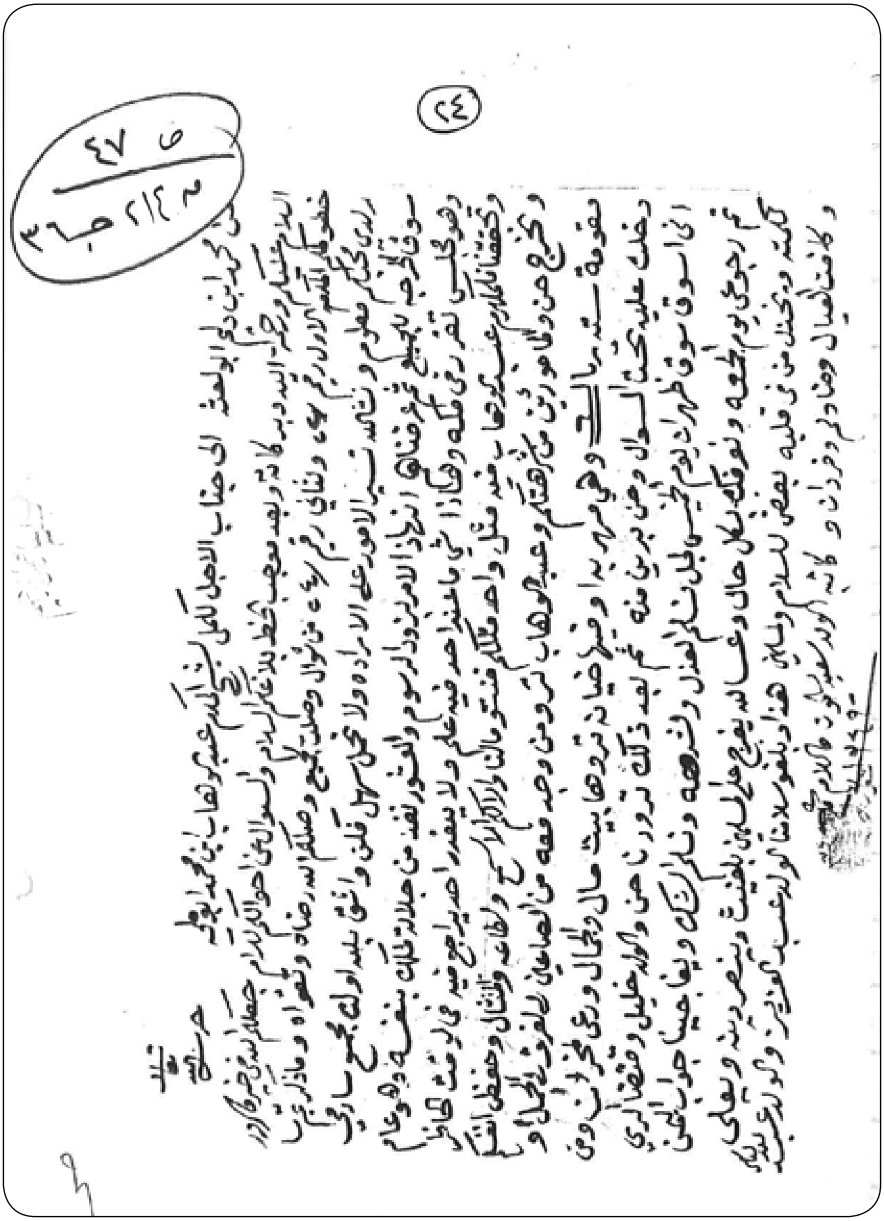
(٢٣)

ص ١١٨

٢١١٤ م ٢٥ ج

بيان ر	آ	اسم الوظيفة	من أي شهر	أسامي الموظفين	ملاحظات
٥٠	-	مدير الحرجه	جمادى ٤٨	خليل بن محمد	
٢٠	-	مأمور تحصيل الحرجه	〃 〃	سعيد آل عبدالعزيز	معاش ومن لحق مصرف العرضي
١٥	-	قهوجي	〃 〃	شايع بجيد	
٢٥	-	كاتب حمدان	〃 〃	سعيد بن جلاله	
١٥	-	مأمور تحصيل 〃	〃 〃	مجيد آل عبدالوهاب	
١٠	-	قهوجي 〃	〃 〃	سعيد بن جادر	
	-	سيحة	〃 〃	علي مسفر	
٥٥	-	مصرف المأمورين	〃 〃	المأمورين	
٨	-	مصرف	〃 〃	شايع بجيد عوض وعوض	
٧	-	لروية حلوية	〃 〃	الحرجه علي بن سعود	
٢	-	مصرفية 〃	〃 〃	〃	
١٠	=	لروية السمحه	〃 〃	حمدان سيف بن جيزه	
٢٥٧	..	[illegible]			

تابع ملحق رقم (٣)



(٢٤)

من محمد ابن دليم ابو لعشة الى جناب الاجل المكرم الشيخ الاكرم عبد الوهاب ابن محمد ابو ملحه حرسه الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد موجب الخط بلاغكم السلام والسؤال عن احوالكم لا زلتم جعلكم الله من خيره كذا
خطوطكم المقدم الاول رقم ٢٥ والثاني رقم ٢٦ من شوال وصلت الجميع وصلكم الله رضاه وتقواه وما ذكرتم سابقا
لدى محبكم معلوم ونشاهد تيسير الامور على الارادة ولا تحمل سهل فلن واثق بلده اولا بجموع سار حتى
سوق الحرجه بالجميع ثم عرضناها ان اذا الامر يزود الرسوم والعشور نفذ من جلالة الملك بنفسه وهو عام
وهو مجلس تفرح في مكه وهذا شي ما عندنا احد فيه علم ولا يقدر احد يراجع فيه في لو حث الخاطر
وتحققنا ان المكرم عبد الوهاب فيه مثل واحد منكم فنشوا ما لنا والاكم الا السمع والطاعه والامتثال وحفظ انفسكم
وتخرج من والمامورين من شرهتكم وعبد الوهاب تروح ومن وجد معه من الصاعين للفرق الجمال او
مقومة ستة ريالات وهي مرهبة او فيها ضيانة تروحها بيت مال والجمال ورعي المخزن ومن
دخل عليه تحت السوال ومن يبري منه ثم بعد ذلك تروح ناحن والولد خليل وقضا لزي
الى اسوق سوق ظهران يوم الخميس لاجل نسلم العذل والفرحه ونسلم الزكاة ويغا جيبا جواب اليمن
ثم رجوعي يوم الجمعه ونعرفكم بكل حال وعسى الله يفرج على المسلمين بالفتيت وينصر دينه ويعلي
كلمته ويخذل من في قلبه بغض للاسلام والمسلمين هذا وبلغوا سلامنا الولد عبد العزيز والولد عبد الله
وكافة العيال وصاد لكم وفردان و كاتبه الولد سعيد [illegible] كالاكرام [illegible]

تابــع ملحـــق رقـــم (٣)

ص ١٨٢
٢/١٢٣ م
جـ ٢ ٨

(٢٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعد بن علي بن كدس الى جناب الأكرم الأحشم الشيخ الأخ عبد الوهاب ابن محمد ابو مليح سلمه الله تعالى آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته دائماً على الدوام السؤال عن احوالكم لا زالت احوالنا نحمد الله جميلة خطكم وصل وكلما له

رضاه وما ذكره لدينا [illegible] حمدنا الله على صحتكم عن خصوص التعريف في شأن السلاح فلم عندنا فيه [illegible] الا نسلم الكل

حسب الامر والذي صدر اليكم وصرح بيانه عن خصوص الشكاية الصادرة كما [illegible] الف [illegible] عندنا خمسة الاف

صادرة اليكم عند عامر ابن مسعود فعسى الله [illegible] وعن خصوص [illegible] بيننا وبينكم [illegible]

[illegible] بيننا واحد وعن خصوص [illegible] جميع [illegible] وعدها [illegible]

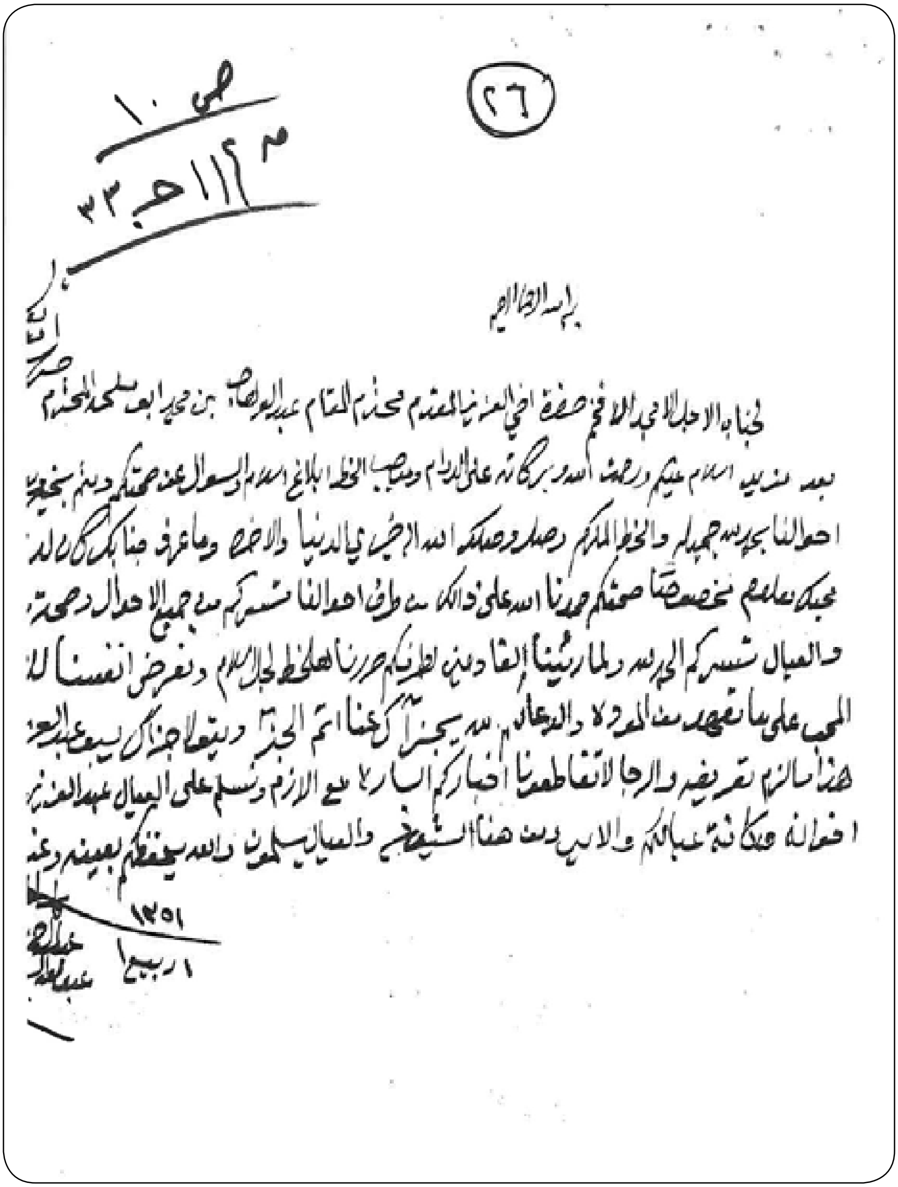
[illegible] الله [illegible] وعباده المؤمنين [illegible] لنا ولكم [illegible] وان يجعل [illegible]

[illegible] هذا ما لزم [illegible] مبذول [illegible] وابلغ سلامنا [illegible] عبد العزيز [illegible]

[illegible] ودمتم [illegible] في ١٢ جماد أول ١٣٥٠

يا محب [illegible] الرصاص خمس ريال [illegible]

تابـــع ملحـــق رقـــم (٣)



(٢٦)

ص ١٠

٢٣ ج ١١٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

لجناب الأجل الأمجد الأفخم حضرة أخي العزيز المقدم محترم المقام عبد الوهاب بن محمد ابو ملحة المحترم

بعد مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام وصحبت الخط ابلاغ السلام والسؤال عن صحتكم ودمتم بخير

احوالنا بحمد الله جميله والخط المكرم وصل وصلكم الله الخير في الدنيا والآخرة وما عرفت جنابكم [illegible]

محبك نعلمكم بخصوص صحتكم حمدنا الله على ذلك من طرف احوالنا تسركم من جميع الاحوال وصحة

والعيال تسركم الحمد لله ولما رأينا [illegible] لطفكم حررنا هالخط لجل السلام ونعرض انفسنا لك

المحب على ما تعهد من المودة والوداد [illegible] الخبر [illegible]

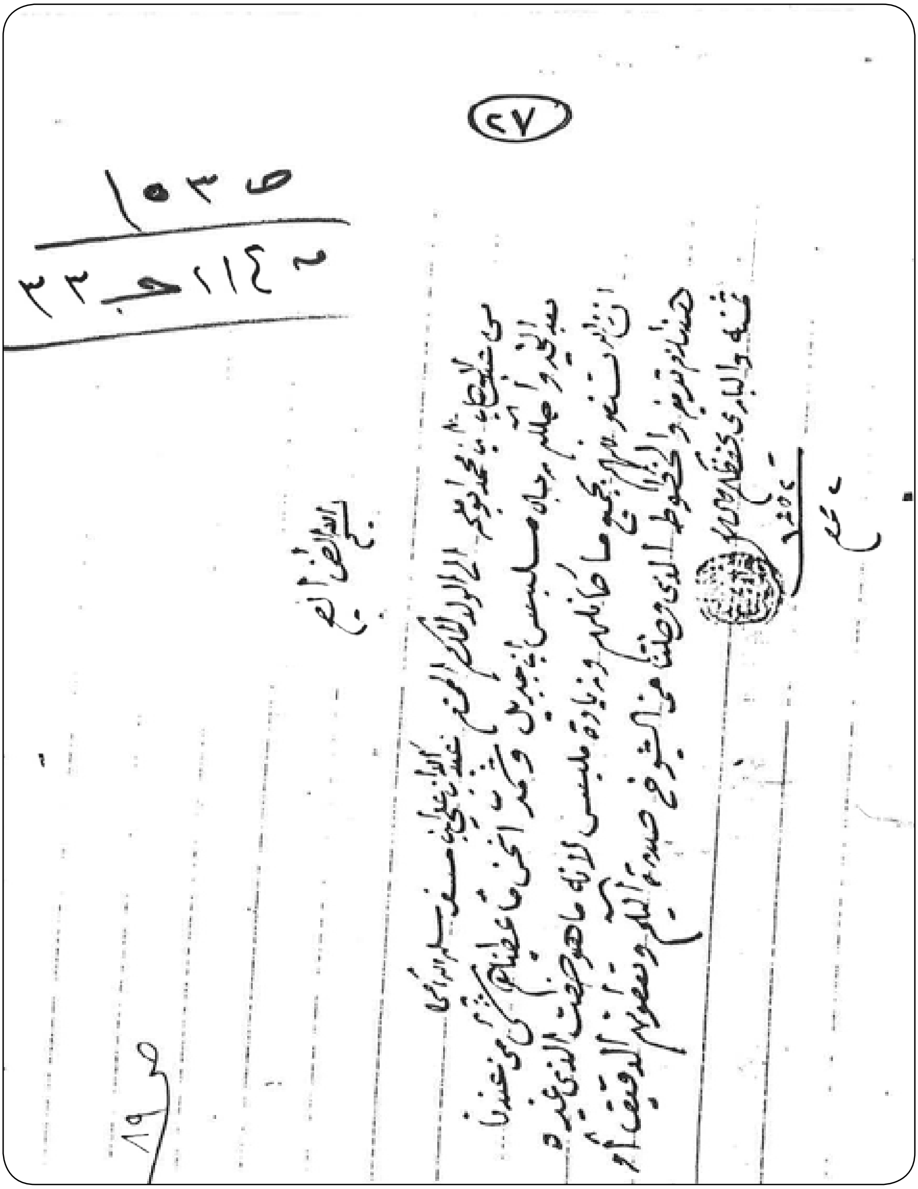
هذا ما لزم تعريفه والرجا لا تقاطعونا اخباركم [illegible] مع اللازم ونسلم على العيال [illegible]

اخوانه [illegible] والله يحفظكم بعينه [illegible]

١٣٥١

١ ربيع ١

تابـع ملحـق رقـم (٣)



تابع ملحق رقم (٣)

(٢٨)

المملكة العربية السعودية

وزارة المالية

المكتب الخاص

عدد

١٤٨

١٣٥٠ ص

١٢٤٣ م

٢٢ /١١ /٤٣

سلمه الرحمن

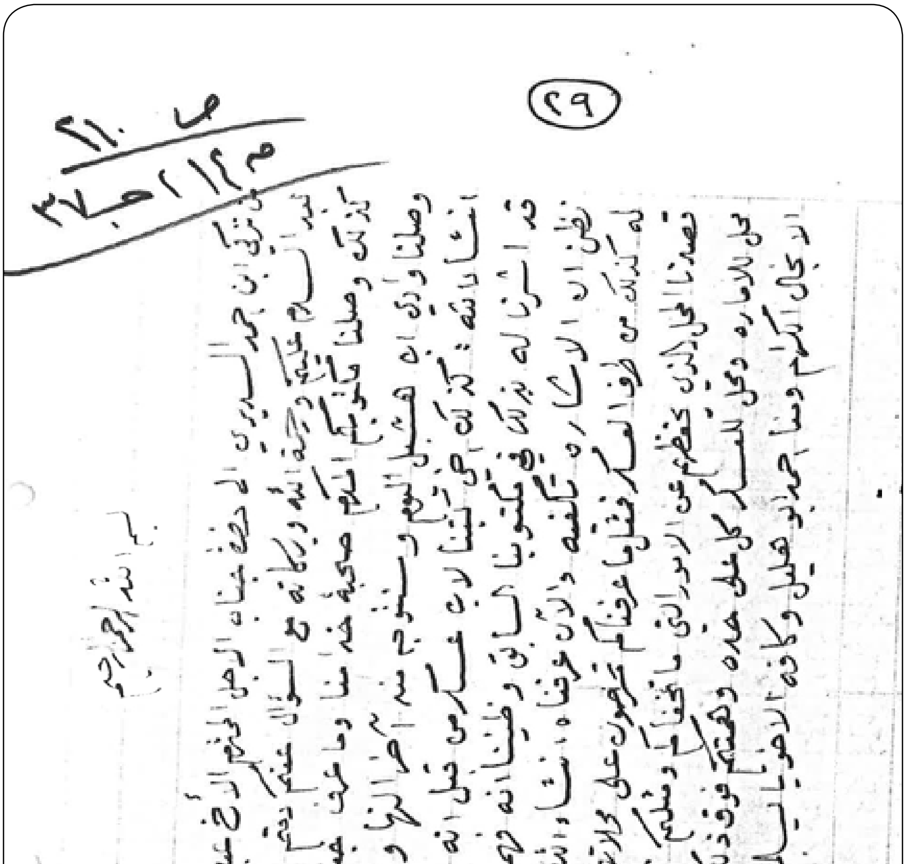
حضرة الاخ المكرم الافخم عبد الوهاب بن محمد أبو ملحه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فان الامير تركي بن احمد السديري توجه بالسيارات الى رنيه ومنها سيتوجه على جيش الى طرفكم . وعليه فلابد وانه يحتاج الى ركاب للطريق وكذلك يلزمه ان يستاجر من رنيه بعض ركايب لاجل خرباه الذين لحقوا معه وقد عرفناه بان تقوم باجراء ذلك من قبل . ثم اذا وصل لطرفكم يبين لكم ما اصرف على ذلك لتسددون له مقابله . انشاء الله تعتمدون ذلك حسب امر سمو سيدي النائب العام . هذا ما لزم تعريفه ودمتم محروسين حرر في ٨ ربيع الاول ١٣٥٠

وزير المالية

[توقيع]

تابـــع ملحــــق رقـــم (٣)



ص ٩٢

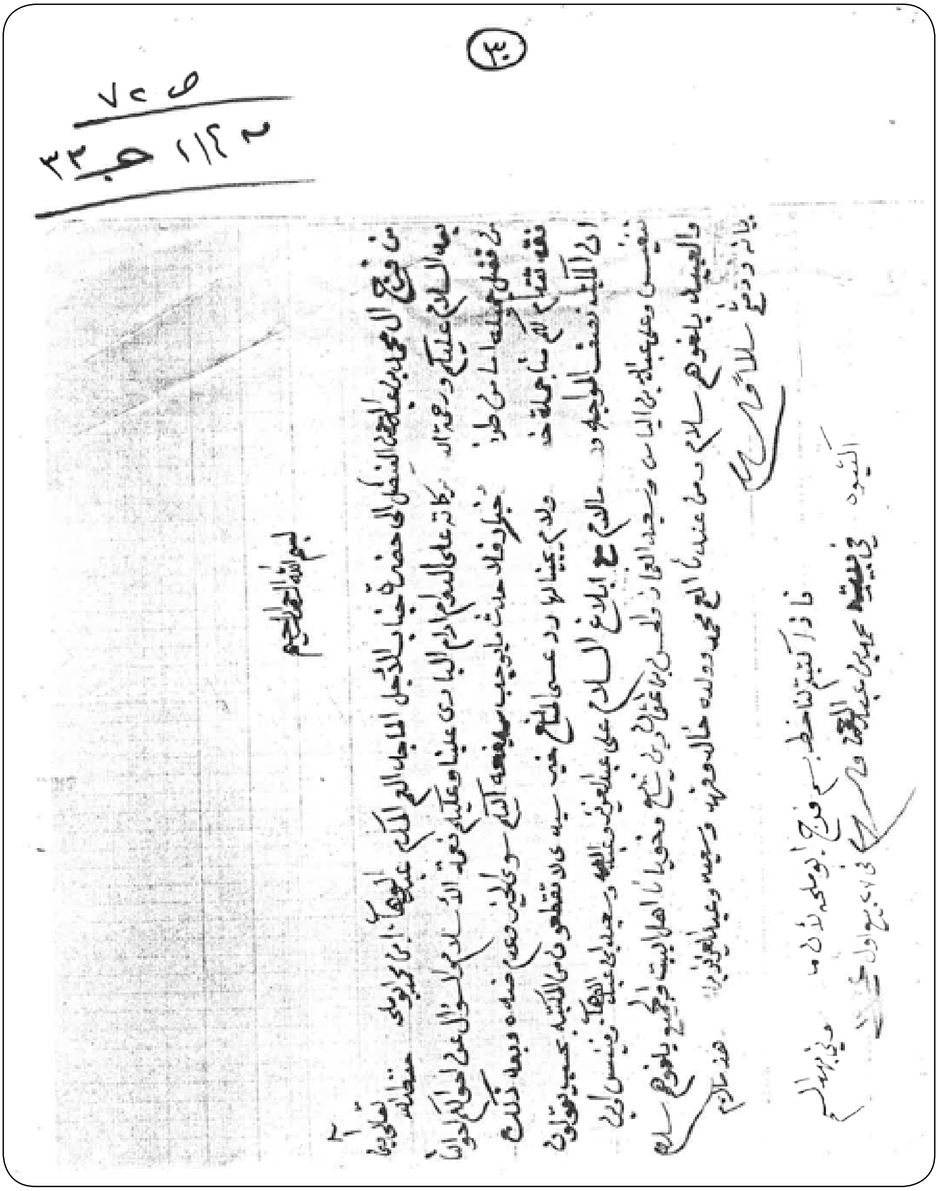
٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

من تركي بن احمد السديري الى حضرة جناب الاجل المحترم الأخ عبد الوهاب بن محمد ابو ملحه سلمه الله
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع السؤال عنكم دمتم بأتم العفوة والسرور
كذلك وصلنا مكتوبكم المكرم صحبة خدامنا وما عرفتم به صار معلوم من طرفنا حيث
وصلنا وادي ابن هشبل اليوم وسنتوجه منه آخر النهار ونمسي عندكم وفي غد عندكم
انشاء الله. كذلك حين كتبنا لابن عسكر من قبل انه يفرغ محل الحكومة ونحن
قد اشرنا له بذلك في مكتوبنا السابق وظنينا انه فهم الاشارة لأن من مثله
نظن ان الاشارة تكفيه والآن عرفناه انشاء الله تشرفون على كتابه وترسلونه
له كذلك من طرف العسكر فمثل ما عرفناكم تشرفون على محلاتهم لقصد مثل ما اشرنا لكم
قصدنا المحل الذي يحفظهم عن الامور التي ما تخفاكم ومثلكم نظر كافي لما يصلح لنا وللعسكر
محل للاماره ومحل للعسكر كل على حده وهمتكم فوق ذلك هذا ما لزم مع ابلاغ السلام
الرجال الكرام ومنا حمد ابو هليل وكافة الاخويا يسلمون والسلام
٢٠ ربيع

ص ٢١٠
٢/١٢/١٣٤٧

تابـــع ملحـــق رقـــم (٣)



تابــع ملحــــق رقـــم (٣)

(٣١)

بيان السلاح الوارد كما هو موضح في الأوراق الواردة من طالبية الرياض مع بيان ما استلمناه أدناه

١٠٩٥
١١٢٢ م
٢٢ ص

	المنطوق به في الأوراق الواردة من طالبية الرياض عدد البنادق	الوارد لنا بالذي استلمناه عدد البنادق
اسلاح قصيره	١٠	١٠
" " " طويل	٦	٦
ميزر	٥	١٢
ام صندوق انجليز عادي	١٠٩	١٠٩
ام سكة " " " "	١٠٢	١٠١
مطبق الملاف	٢٩٥	٢٩٥
تجاري خضيري	١٢	١٧
ام عشر	١٤٦	١٤٦
ام حبة مريكانى	١٤	١٢
حدشن قصير	١٠٠	١٠٠
" " " طويل	٢٠١	٢٠٠
ناصيه طويل ام ركبه	٢٥	٢٤
خفيه	١٢	١٢
	٩٩٦ تكون	١٠٠٤ تكون

ثبت الوارد إلى طالبية الحجاز من السلاح كما هو موضح أنه عدد بالف وأربعة بنادق منها ستة وثلاثون بندق مختلفة الأجناس
وصار تطبيقها على الأوراق الواردة من طالبية الرياض فوجدنا أنه كما ذكر بأنه عدد تسعمائة وستة وتسعون بندق منها المتكسرة
التي ذكرها وأما الحجاز فوجدناه مطابقاً وللإحاطة سعادتكم تحرر سيدي ٢٩ ربيع الثاني ١٣٢٢ محلوكم

تابع ملحق رقم (٣)

٣٢

ص ٤٣

١١٢٥ ص ٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الوهاب ابن محمد أبو ملحة إلى الولد المكرم عبد الله بن عبد الرحمن الياسين المحترم

بعد التحية والإعلام السلام نفيدكم بأنكم تنظمون بيت فؤاد حمزه بفرشه وجميع ما يلزم من أثاث والآن يا عندكم الـ
يوم الخميس حسب المشار إليه فعليه احرصوا على تكملته لوقت حلول المذكور وتحطون أكل يليق له ولا بد نفيدكم عند مـ
برقياً هذا ما لزم ودمتم سالمين ١٠ شوال ١٣٥٥

تابـــع ملحـــق رقـــم (٣)

(٣٣) بيان دفتر خرص عبيده وطريب والعرين الـ... ١٢٠٥هـ

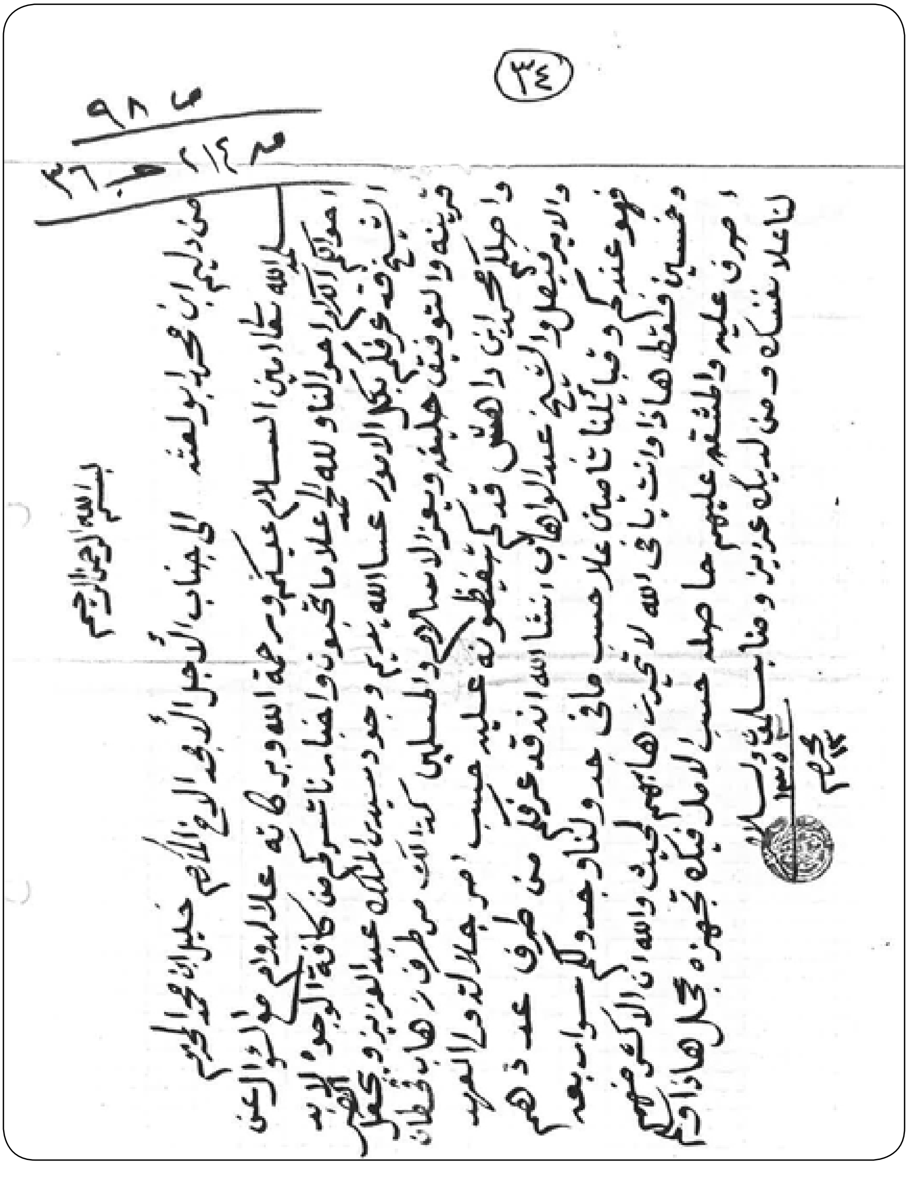
ص ١٢٨

(٣٣)

الاصقر					
الربعه	٤٨	٤	٢	.	.
الالجلده	٢٤	.	.	.	.
الالغرف	٢٢	.	.	.	.
القسه	١٩	.	.	.	.
القرعه	١٩	٨	.	٦	.
القريس	١٥	.	.	.	.
السليمان	١٠	٦	.	.	.
البسام	٢	٦	.	.	.
الثابت	.	.	.	.	.
الاعظه	١	.	١	.	.
الزحنون	.	.	.	.	.
المهدي	.	.	.	.	.
الدبيل		.	.	.	.
الجده	١٧٤	.	٦	٦	.
الجلده الجوف	١٢	٦	١	١	١
	١٨٦	٦	٧	٧	١
بني طلق					
هميزة	٩	٩	.	٤	.
خطار	١	٨	١	.	.
عمل زهيد	١٢	.	.	.	.
عم	٧	.	١	.	.
الدبكين		٥	.	.	.
المنادية	.	.	١	.	.
الرهط		.	١	.	.
القرية		.	.	.	.
المفرج الصفاق		.	.	.	.
الاجرد	١٦	.	.	.	.
	٥٤	١٠	٥	٤	.
العرش					
البستران	٦٢	.	.	.	.
العرفان	١١	.	.	.	.
الجارير	١	.	.	.	.
رغوه واللبرعان		.	.	.	.
الحراملة	٢٢	.	.	.	.
الوهسة	٢	.	.	.	.
الفرس	٢٥	.	.	.	.
	١٦	.	.	.	.

الامحمر						
سحبان	٤	١٥	٢	١	٤	.
الرتايع	٩	٢٩	٥	٢	.	٢
الخضره والجد	٢	٢٠	٢	١	٨	١
العبد الرحمن	.	١٢	.	.	.	.
علو الجوف	١	٥٩	١٠	٢	٦	٢
الوهابة						
الرماح	١	٢٠	.	.	.	.
الامهروي	٧	٤٢	.	.	.	.
السليمان	١٠	١٥	.	.	.	.
الجرمه	٦	٢٨	.	.	.	.
الجرده	٦	١٢	.	.	.	.
الغلقه	.	٨	.	.	.	.
الزهره	٨	٩	.	.	.	.
ابن الود	.	١	.	.	.	.
الوشاعره	٨	٧	.	.	.	.
الحراملة	٩	١٦	.	.	.	.
الوزلبو	٤	١٤	.	١	.	.
ابن دريم	٩	٢٠	.	.	.	.
الدغلم	.	.	.	.	.	.
الجامعي	.	.	.	.	.	.
الخطابة						
	١	٤٢٨	٨	٨	٦	٧
طريب						
مشيروفة	٨	٤٧	.	.	.	.
الحدا	٤	١٥	.	.	.	.
العرفان	٦	١٠	.	.	.	.
	٦	٦٤	.	.	.	.
الجرايع	٢	١٦٠	.	.	.	.
	٨	٢٢٤	.	.	.	.
الجملة						
الاصقر	٢	١٨٦	٦	٧	٧	١
بني طلق	٤	٥٤	١٠	٥	٤	.
الامحمر	١	٢٢٨	٨	٨	٦	٧
طريب	٨	٢٢٤	.	.	.	.
العرش	.	١٦	.	.	.	.
	٦	٩٥٤	.	٢٢	٥	٩

تابع ملحق رقم (٣)



٣٤

م ٩٨

م ٢١٤ هـ ٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

من دليم ابن محمد ابو لعشة الى جناب الأجل الأمجد الأخ المكرم خليل ابن محمد الحريم

سلمه الله تعالى امين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن

احوالكم الكرام احوالنا ولله الحمد على ما تحبون واخبارنا تسركم من كافة الوجوه الا بعد

الشيخ قد عرفكم بكل الامور عسا الله يديم وجود سيدي الملك عبد العزيز ويجعل النصر

قرينه والتوفيق حليفه ويعز الاسلام والمسلمين كتاب الك من طرف زهاب قحطان

واصلكم محمد ابن داهش قد كم تحفظونه عليه حسب امر جلالته وولي العهد

والامير فيصل والشيخ عبد الوهاب انشا الله انه قد عرفكم من طرف عدد هم

فهو عندكم وقبايلنا تاصين على حسب ما في جدول الناو جدولكم سوا بعد

وخمسين فقط هاذا وانت باخي الله لا تجيب هابهم الحيث والله ان الاكثر منهم

اصرف عليه والمشتغم عليهم ما صلح حسب الامل فيك تجهزه تجل هاذا وعلم

لنا على نفسك ومن لديك عزيز ومنا بالسلام والسلام

١٣٥٣

محرم ١٢

تابــع ملحــــق رقـــم (٣)

(٣٥)

عسير - شهران - ١٢٥٦

ص ١٩٧
م ١٢ / ٢ ص ٤٠٠

بيان دراهم زكات قبيلة شهران لعام ١٢٥٦

باع عرب		سمن	مفرق ذوره	مفرق شعير	
١٢	٢	٩٦٤	٩٥٤ ٧	١٤١ ١	الرشيد وال الغمر
٤٢	١	٤٨٨	٤٨٦ ٧	٢ ١	كود تندحه
٤٤	٧	٤٦٠	٤٦٠ ١	١٠	علو تندحه
٤٢	٧	٤٤١	٤٤٨ ١١	٤ ١٠	وادي شهران
٤٢	٥	٨٦	٧١ ١١	١٩ ٧	كود الاعرات
١٨	٤	٩٠	٨٠ ١	١٢ ٨	ناهس تابع الاعرات
١	٨	٤٤٢١	٤٤٩١ ٢	٥٤ ١	صح الكون خمسه وتفريش شهران
	٢	٢٤٤			نزل عشر امير الشعل والنواب
١	٦	٤١٨٨			
		١٠			نزل غلط على بني علي تابع ناهس بموجب شرتهم ٥٠
١	٦	٤١٧٦			مبلغ

قد صح بموجب ... اعلاه قد اجرا ... بموجب الامر وقد استلمنا ... حتى ... سعيد بن عبد العزيز ... نصف العشر والا ... العشر ... والنواب نصف العشر بالوقا التي ... على ... الحاضر المذكور ... فقط وذلك من ... شهران عام ١٢٥٦ ولم يبقا لنا ... العشر ... من ... التصديق على ... ١٢٥٦

نايب التنيا ... نايب ... العصيه ... الزرقه ... الاول كود تندحه بن مشهور وادي ... الاعرات ... شهران

تابـع ملحـــق رقـــم (٣)

٣٦

ص ٧٦٣

١١٤٣

ج ١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

من تركي بن احمد السديري إلى الأخ المكرم سعد بن علي بن لدسه المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد التحية من طرف العمال لا يزدهم يحتاجون

زهاب خوي فأنتم انت ما لله تسعفونهم بما ذكرنا زهاب شهر ولا بدهم

يبيبون لكم كشف وعند استعدهم من نفود الانظار يسلمونكم ما يكونوا

يتقربلكم هذا ما لزم | ابلغ السلام ابناكم هذا ما يلزم ١١/٩/١٣٥٧

[illegible]

[illegible]

تابــع ملحـــق رقـــم (٣)

(٣٧)

ص ٤٥

١١٤٣ ج ٣٨

حضرة الفاضل المحترم [illegible] الموقر

بعد التحية والاحترام

نتشرف بأن نوضح لسعادتكم انه بمناسبة سفرنا الى نجد [illegible] سعادة [illegible] ولا يخفاكم ان [illegible] تأهلنا بهذا الظرف فاحتجنا [illegible] لما عندكم

لذا نسترحم صدور امركم باعطاء [illegible] نصف راتب لنا [illegible]

[illegible] بحفظكم ٩/٤/٢/٥٢

سواحه — سواحه — سواحه — سواحه

[illegible]

[illegible]

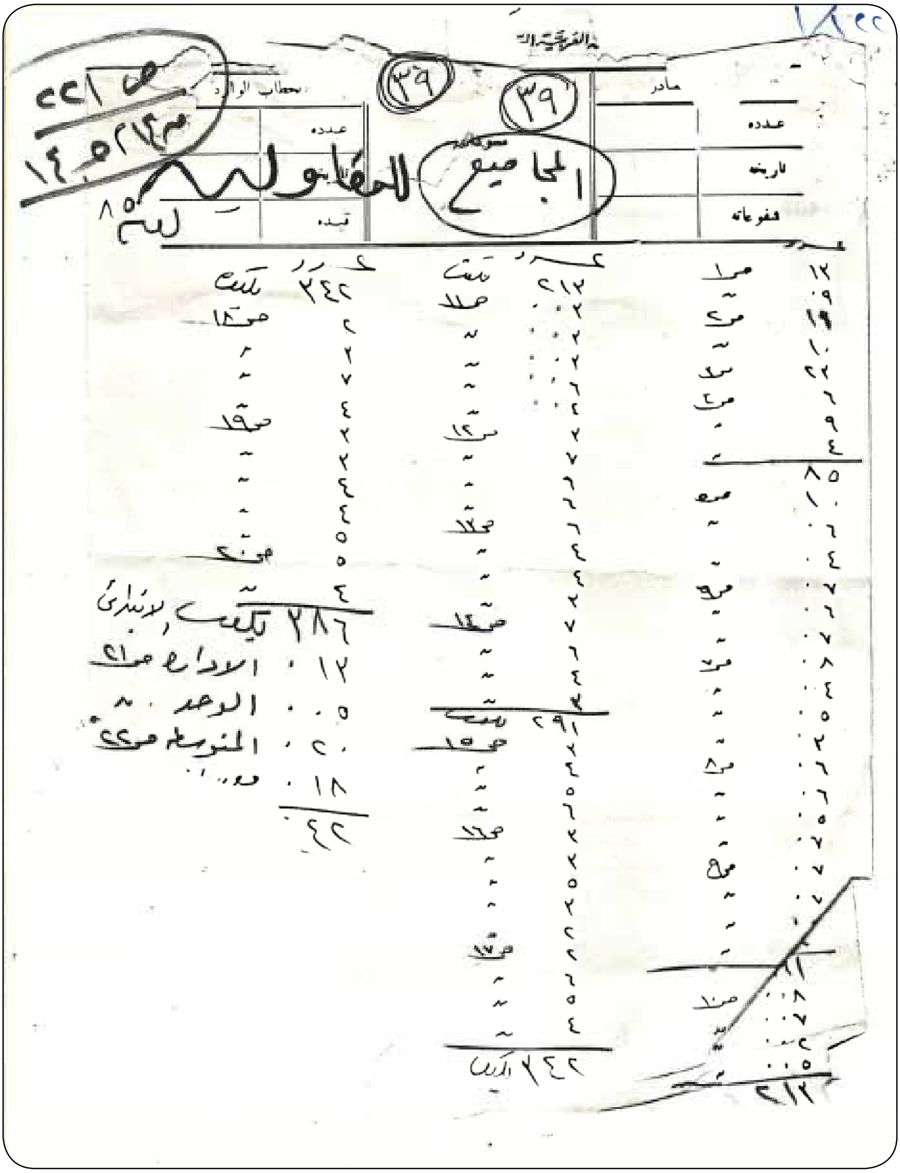
[illegible]

ملحـــق رقـــم (٤)

قائمة بأسماء المدرسين المتعاقدين الذين عملوا في إدارة تعليم أبها والمدارس التي تشرف عليها في منطقة عسير عام (١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) ويتضح من هذه المذكرة أسماء المعلمين، والأمكنة أو (المدارس) التي اشتغلوا فيها، ومؤهلاتهم العلمية. وكان معظمهم من دولتي الأردن وفلسطين، ونسبة قليلة من سوريا، والعراق، والسودان.

المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس، الوثائق العامة (ق ١٤هـ / ٢٠م)، ج١٤، ص ٢٢١ - ٢٤٤

ملحق رقم (٤)



صادر

عدده

تاريخه

مفرداته

الخطاب الوارد

عدده

قيده

٣٩

٣٩

الجاميع المقاولية

ص ٢٢١

٨٥

٢٤٢

٢٨٦

٢٩١

٢٤٢

٢١٢

تابــع ملحـــق رقـــم (٤)

صادر ٢٢٢ / ٢١٤٣ م

٢٨٢٢٣

(٤٠) كشف بأسماء المتعاقدين فقط لسنة [illegible] (٤٠)

الرقم	اسم المدرس	المديرية	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	~~عوض محمد البنا~~	السعودية	توجيهي ٥٧	فلسطيني	للعمل بإدارة التعليم
٢	~~[illegible]~~	=	= ٥٦	=	= =
٣	موسى عواد صرصور	=	معهد معلمين ٥٩	=	(١)
٤	سليمان أحمد رشيد الحمدان	=	متوسط ٥٧	أردني	(٢)
٥	~~محمد إبراهيم الحجار~~	=	توجيهي ٥٥	فلسطيني	
٦	سعيد بدر عبده البرقوني	=	= ٥٦	فلسطيني	زوجته مدرسة (٣)
٧	محمود عبد الوهاب عباك	=	ثانوية سورية ٥٨	=	(٤)
٨	عبد العزيز إبراهيم شديد	=	ثانية جامعة ٦١	أردني	أعزب (٥)
٩	محمد إبراهيم محمد أبو صالح	=	دبلوم معلمين ٥٨	فلسطيني	(٦)
١٠	أحمد محمد ديب نبهان	=	بكالوريا ٦١	سوري	(٧)
١١	عصام رشدي العنزي	=	معلمين ٥٥	=	زوجته مدرسة (٨)
١٢	محمد خليل محمد يحيى الشلبي	=	توجيهي ٦١	أردني	= = (٩)
١٣	حافظ مصطفى السيد	=	بكالوريا ٥٦	فلسطيني	أعزب (١٠)
١	خزاعي أحمد كلوب	الفيصلية	توجيهي ٥٥	فلسطيني	زوجته مدرسة ١
٢	سليمان علي سالم	=	دبلوم معلمين ٥٨	=	٢
٣	عبد الحميد سعيد زهورة	=	ثانوية علمي ٥٦	=	زوجته مدرسة ٣
٤	شاكر عبد الهادي مسلم	=	توجيهي ٥٧	=	= ٤
	~~[illegible]~~	=	ثانوية عامة ٥٦	=	للعمل بإدارة التعليم
٦	إبراهيم محمد أحمد أبو عجمية	=	ثانية جامعة ٦٠	أردني	أعزب ٥
٧	محمد عبد الرحمن السعيد	=	توجيهي ٦٢	=	= ٦
٨	محمد خالد شكري	=	متوسط ٥٨	=	زوجته مدرسة ٧
٩	إبراهيم محمد الهادي حميد	=	دبلوم معلمين ٥٨	فلسطيني	٨

تابع ملحق رقم (٤)

ص ٢٢٣
١٤٢/١٤٣ صـ ١٤

(٤١)

٣/١٢٢٣

الرقم	اسم المدرس	المدرسة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات	
١	توفيق عطوان الطابه	العزيزيه	مترك ٥٨	اردني	زوجته مدرسه	١
٢	صالح [illegible] علي محمد أحمد	〃	〃 ٥٥	〃		٢
٣	محمد عبد الحميد مطر السعودي	〃	دار المعلمين ٦٢	〃	العزب	٣
٤	صبحي عبدالله يعقوب	〃	ثانية جامعه	〃	〃	٤
٥	جميل سليم الساحلي	〃	دار المعلمين ٦٢	〃		٥
٦	مصطفى محمد عبد الأزدي	〃	مترك ٥٦	〃		٦
٧	عبدالله محمد المدقه	〃	توجيهي ٥٨	فلسطيني		٧
٨	~~محمد [illegible] حمارنه~~	〃	~~مترك ٥٩~~	اردني	يعمل بالمستودع مؤقتاً وزائد بالمدرسة	
٩	محمد مزيد رشيد	〃	اهلية تعليم ابتدائي	فلسطيني	العزب	٨
١٠	حسن محمد علي الصحصح	〃	ثقافيه	سوري		٩
١١	~~عبد الرؤوف مراد~~	〃	~~دار المعلمين ٦٤~~	اردني	العزب	
١٢	محمد عيد محمد مصطفى					١٠
١	زهدي محمد صالح حسيبه	المحمديه	مترك ٥٦	اردني	زوجته مدرسه	١
٢	~~يوسف علي الشريف~~	〃	~~مترك ٥٧~~	〃		
٣	علي محمد ابو شمار	〃	معلمين اردني ٥٧	〃	شقيقته مدرسه	٢
٤	~~هشام محمد حجازي~~	ــ	~~مترك ٥٤~~	〃	يعمل بالدوام	
٥	محمود احمد حسين ابو محيميد	〃	معلمين اردني ٦٠	〃	كبير السن	٣
٦	علي يوسف عوصفيه	〃	توجيهي ٥٥	فلسطيني		٤
٧	محمد حسين الجاروري	〃	توجيهي ٥٢	〃	زوجته مدرسه	٥
٨	عبد الرحيم الموشلي	〃	ثانوية زراعيه ٥٠	سوري		٦
٩	احمد محمود علوم	〃	ثانويه ٥٨	〃		٧
١٠	عبد الله حسين عبد الله الفوز	〃	دار المعلمين ٦٢	اردني	العزب	٨
١١	محمود ابو عصبه	〃	مترك ٥٦	اردني		٩

تابــع ملحــــق رقــــم (٤)

ص ٢٢٤   (٤٢)   ٤/١٠٢٣

م ١٤٣/٢/٥١٤٠

عدد	اسم المدرس	المدرسة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	عبد الله اسماعيل ابو رحمة	خميس مشيط	توجيهي ٥٧	فلسطيني	زوجته مدرسة
٢	عبد الرحمن محمد سليم العفيفي	"	" ٥٤	اردني	"
٣	حماد محمد عقل	"	" ٥٦ ودبلوم صناعة	فلسطيني	"
٤	توفيق يوسف ابو الرب	"	دار معلمين ٥٥	اردني	"
٥	محمد عثمان السلايمة	"	توجيهي ٥٩	"	المدرسة الخالدية
٦	محمود احمد سالم	"	توجيهي ٦٢	اردني	
٧	خليل سالم مصطفى الاصفر	"	دار معلمين ٦٤	اردني	المدرسة الخالدية
٨	محمد عزت محمد سعيد	"	توجيهي ٥٩	"	
٩	حسين عبد الله شحادة	"	ثانية جامعة ٦٢	فلسطيني	زوجته مدرسة
١٠	عيسى علي صالح عوض	"	دار معلمين ٦٢	اردني	" "
١١	محمود رضا ابراهيم	"	توجيهي ٥٦	فلسطيني	
١٢	فوزي عبد الحميد سالم مصلح	"	توجيهي ٦٢	اردني	شقيقته مدرسة
١٣	ابراهيم حمدي السعدي	"	بكالوريا ٦١	فلسطيني	الخالدية
١٤	ابراهيم محمود الخلايلة	"	دبلوم معلمين ٥٨	اردني	زوجته مدرسة
١٥	يوسف محمد العرجى	"	توجيهي ٥٩	فلسطيني	
١٦	عاهد عمر منصور	"	مترك ٥٨	اردني	
١٧	ابراهيم محمود اربيع	"	توجيهي ٥٦	فلسطيني	
١٨	محمود احمد ابو عصبة	"	مترك ٥٦	اردني	
١٩	راشد خالد صمنديد	"	بكالوريا ٦٠	فلسطيني	الخالدية
٢٠	عبد الله طالب حمد الوحيدي	"	دار المعلمين ٦٢	اردني	
٢١	احمد صبحي احمد الفزع	"	اهلية التعليم ٥٠	سوري	الخالدية
٢٢	علي اديب العلمي	"	بكالوريا ٦١	فلسطيني	
٢٣	احمد توفيق الناصر	"			الخالدية

(٢)

تابـــع ملحـــق رقـــم (٤)

٥/١٢٢٣ (٤٣) ص ٢٢٥
م١٤٣/٥/١٤

عدد	اسم المدرس	المدينة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	محمد رضا محمد مصطفى رضا محمد	[illegible]	متريك ٦٠	اردني	
٢	مصطفى احمد ابو الرب	"	" ٥٨	"	
٣	عبد الحميد طه شراب	"	السنة جامعة ٦٢	فلسطيني	(٤)
٤	محمد احمد السناجي	"	بكالوريا ٦١	"	
٥	عاطف عوض محمد	"	بكالوريا ٦٢	"	
٦	محمد حسين صالح ربيع	"	توجيهي ٥٥	"	
١	رشيد احمد رشيد الخطيب	تندحه	متريك ٥٧	اردني	
٢	حسين موسى ياسين مراد	"	ثانوية عامة ٦٢	"	
٣	محمد فوزي عيسى محمود	"	توجيهي ٦٢	"	
٤	عزت محمد صالح	"	متريك ٥٧	"	
٥	محمد [illegible]	"	توجيهي ٦٢	"	
٦	محمد موسى المصالحة	"	"	"	
٧	محمد ناصر الدين سرحان	"	بكالوريا ٦٠	فلسطيني	
٨	محمد فؤاد عبد ربه	"	" ٦٤	"	
٩	مروان مصطفى يوسف	"	" ٦٠	"	
١	ابراهيم محمد ابو سعده	العدام	متريك ٥٧	اردني	١
٢	مروان احمد الشجاع	"	دار المعلمين ٦٤	"	٢
٣	فتحي حماد الخالدي	"	توجيهي ٦٢	"	٣
٤	~~[illegible]~~	~~"~~	~~متريك ٦٠~~		

تابـــع ملحـــق رقـــم (٤)

ص ٤٢٦
م ١٤ / ٢ / ١٩٥٢

(٤٤)

١٢٢٣ / ٦

عدد	اسم المدرس	المدرسة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	عبد الرحمن فؤاد عبد الحميد	احمد منيع	توجيهي ٦٢	اردني	
٢	حسن عبد الفتاح ابو شقر	=	= =	=	
٣	يوسف محمد حسين مطاحن	=	= =	=	
٤	منصور عبد الرحمن ابراهيم	=	مترك ٥٧	=	(٥)
٥	صبحي احمد سليمان حسن	=	توجيهي ٦٢	=	
٦	عبد الرحيم السلامات	=	ثانوية شرعية ٦٤	سوري	
٧	عرفات السويركي	=	دبلوم معلمية ٥٨	فلسطيني	
٨	محمد مصطفى ابو نقير	=	دار المعلمين ٦٢	اردني	
٩	محمد حسين احمد حمد	=	ثانوية عام ٦٠	فلسطيني	
١٠	سليمان محمد سليمان العلي	=	مترك ٥٧	اردني	
١	عبد الله حسن احمد صبح	كود	مترك ٥٩	اردني	
٢	ابتسام مصطفى صالح	=	توجيهي ٥٩	=	
٣	عثمان احمد حسنين	=	توجيهي ٦١	=	
٤	عبد المجيد محمد سعفور	=	دار المعلمين ٦٢	=	
٥	عطا حامد توتنج	=	صف معلمية ٦٢	اردني	
٦	محمد حسين ابو صالح	=	مترك ٥٢	=	
١	محمد ابراهيم يوسف الشريف	السبيله	دار معلمية ٦٥	اردني	
٢	سليمان محمد خليل ابو غنيمة	=	= =	=	
٣	كمال احمد عقل	=	= =	=	
٤	ذياب حسن ذياب حسنه	=	= =	=	
٥	نبيل فندي شقير	=	توجيهي ٦٥	اردني	

تابع ملحق رقم (٤)

ص ٥٢٧

م ١٤٣ / ٢ ص ١٤

(٤٥)

٧/١٢٢٣

الرقم	اسم المدرس	المدرسة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	محمد صادق حمراء	ذراة تحسين	توجيهي ٦٢	اردني	
٢	برهان رشيد خورشيد	〃	〃 ٦١	〃	
٣	محمد حسن اجشي	〃	〃 ٥٩	〃	
٤	هيثم شاكر بكر صالح	〃	〃 ٥٨	〃	(٦)
٥	حسين شبيب السلايمة	〃	ثانوية عامة ٦٤	〃	
٦	حسين القواسمي	〃	توجيهي ٦٧	〃	
٧	محمود الجليقاوي	〃	مترك ٥٩	〃	
١	فايز ابراهيم الحمير	آل سرحان	توجيهي ٦٢	اردني	
٢	فيصل محمود عويضه	〃	〃 〃	〃	
٣	محمد احمد الصافوري	〃	〃 ٦٠	〃	
٤	جعفر محمود خورشيد	〃	〃 ٦١	〃	
٥	رجا صالح زيد	〃	ثانية جامعة	〃	
٦	عمر عطية حماد علي	〃	ثالثة جامعة	〃	
١	نهاد عزات حمودي	آل زيد	مترك ٦٠	اردني	
٢	عبدالله محمد حسين جابر	〃	توجيهي ٦٠	〃	
٣	حسين ابو شامة	〃	〃 〃	〃	
٤	وليد ابراهيم درويش	〃	مترك ٥٧	〃	
٥	صبحي عبدالله محمد الناصر	〃	〃 ٥٨	〃	
٦	نجيب يوسف نهار يونس	〃	〃 ٦٠	〃	
~~٧~~	~~محمد فؤاد الحريري~~	~~〃~~	~~توجيهي ٥٧~~	~~〃~~	

تابـع ملحـق رقـم (٤)

ص ٢٢٨

٣/١٤/٢/م ١٤

(٤٦)

٨/١٢٢٣

رقم	اسم المدرس	المدرسة	المؤهل	الجنسية	الملاحظات
١	فوزي حسني عبدالرحيم	العرعاد	توجيهي ٦٠	اردني	١
٢	محمود حسين يوسف جابر	"	دبلوم الصناعة ٥٧	"	٢
٣	جميل عبد الفتاح عباد	"	مترك ٥٨	"	٣
٤	حلمي محمد عباس	"	" ٥٩	"	٤
٥	يوسف ابراهيم خليل	"	دبلوم معلمين ٥٨	فلسطيني	٥ (٢)
~~٦~~	~~[illegible]~~	~~"~~	~~التوجيهي ٦٤~~	~~اردني~~	نقل [illegible]
٧	حامد احمد شوشوح	"	دار المعلمين ٦٢	"	٦
٨	محمد محمود حسين عودة [illegible]	"	مترك ٦٠	"	٧
١	عبد الرحمن شاكر احمد	السمعي	مترك ٥٩	اردني	
٢	احمد رشاد [illegible]	"	" ٥٥	"	
٣	جبر فندي عبيدات	"	خامس ثانوي ٥٤	"	
٤	يوسف شاهيه	"	مترك ٦٠	اردني	
١	جمال مصطفى ابو [illegible]	تمنيه	توجيهي ٦٢	اردني	
٢	محمد سعد [illegible]	"	" "	"	
٣	كمال محمد محمود محمد	"	" "	"	
٤	مصطفى حمد العمري	"	بكالوريا ٦٠	فلسطيني	
٥	عادل حسين [illegible]	"	توجيهي ٦٠	اردني	
١	فوزي موسى [illegible]	[illegible]	دار معلمين ٦٥	اردني	
٢	محمد محمود رشيد (نقل [illegible])	"	" " "	"	
٣	قاسم محمد نزال	"	" " ٦٢	"	

تابع ملحق رقم (٤)

ص ٢٢٩

٢١٤٣ ص ١٤

(٤٧)

٩/١٢٢٣

الرقم	اسم المدرس	المدرسة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	مفضل ابو عرقوب	خالد بن الوليد	دار معلمين ٦٢	اردني	(٨)
٢	علي محمد صالح	"	مترك ٥١	"	
٣	عبد الله شاكر مجاهد	"	توجيهي ٦٢	"	
٤	عبد الله [illegible]	"	" "	"	
٥	محمد صالح [illegible]	"	مترك ٥٦	"	
٦	محمد [illegible] دياب	"	الثانوية العامة	فلسطيني	
١	محمد محجوب عبد الكريم	شرطة	ثانوية ٦٢	سوداني	
٢	علي محمد أحمد [illegible]	"	العالمية عربية ٦٠	"	
٣	محمد [illegible] ابو [illegible]	"	ثانوية دينية ٦٢	"	
٤	عبد الرحمن [illegible]	"	كلية الشريعة ٦١	"	
٥	[illegible] علي احمد	"	ثانوية عامة ٦٢	"	
٦	[illegible] محمد احمد	"	" تجارية ٥١	"	
١	سليمان العابدي	عمر بن الخطاب	دبلوم المعلمين ٥٨	فلسطيني	
٢	علي عبد الله [illegible]	"	توجيهي ٥٤	"	
٣	جميل النابلسي	"	" ٥٥	"	
٤	لطفي عبد الستار [illegible] صالح	"	دار المعلمين ٦٥	اردني	
٥	حمدان محمد محمود الشاعر	"	معهد معلمين خاص ٥٧	فلسطيني	
١	محمد كامل العبد الرحيم	ربيع ورشيد	مترك ٥٨	اردني	
٢	اسماعيل علي محمد [illegible]	"	ثانوية ٦٢	"	
٣	سالم احمد السلامه	"	حضوري ٦٢	"	
٤	محمد عبد الرحيم رشيد	"	دار معلمين ٦٤	"	
٥	مصطفى محمد [illegible]	"	بكالوريا ٦٢	فلسطيني	
٦	فوزي سليم مجذوب	"	توجيهي ٥٩	"	
٧	محمد خليل حجازي	"	ثانوية ٦٢	"	

تابـع ملحـــق رقــم (٤)

ص ٢٠١٠

١٤٥/٢/١٤٣

(٤٨)

٣-٢-٢-١/١٠

الرقم	اسم المدرس	المدرسة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	عبد الحميد ابو سليمان	الهزكيد	ترك ٥٩	اردني	
٢	يوسف سليم ابو لوحه	"	توجيهي ٦٢	"	
٣	محمد حسين مصطفى الرفاعي	"	" "	"	
٤	ديب محمد نادر	"	بكالوريا ٦٢	سوري	(٩)
٥	عبد الرحمن محمد الخطيب	"	خامس ثانوي	اردني	
٦	عبد الفتاح عمر ابو الرب	"	ترك ٦٠	"	
٧	محمد سليم الحميد حمادة	"	دبلوم دروس ثانوية	١٠ فلسطيني	
١	عوني داود ابو الحمص	آل معمر	توجيهي ٦٢	اردني	
٢	رشيد ممدوح احمد	"	ترك ٥٨	"	
٣	عبد الهادي محمد الزبيدي	"	توجيهي ٦٢	"	
٤	خالد عبد الفتاح مرعي	"	" ٦٢	"	
٥	شوقي عبد الرحمن محمد شبابه	"	دبلوم معلمين ٥٨	فلسطيني	
٦	عقاب عبد الرحمن محمد حسين	"	توجيهي ٥٨	اردني	
٧	محمد صالح محمد موسى	"	ثالثة شرعية ٦٤	"	
١	محمد اكرم الحليم	آل قاسم	ثانوية الأزهر ٦٠	اردني	
٢	محمد سعيد سكوكاني	"	ترك ٥٨	"	
٣	محمد القراحسي	"	توجيهي ٦٢	"	
٤	زيد المدير القواسمي	"	ترك ٦٠ وتوجيهي ٦١	"	
١	احمد ابو شاح حسين	آل زيدي	توجيهي ٦٢	اردني	
٢	اسماعيل عبد العزيز الاسمر	"	دار معلمين ٦٤	"	
٣	احمد محمد صحبات	"	" ٦١	"	
٤	صالح سليمان محمد عمريات	"	ترك ٦٠	"	

تابــع ملحــــق رقــــم (٤)

م ٢١ — ١٤٢٣/٥/١٤ — (٤٩) — ١١/١٢٠٠٣

الرقم	اسم المدرس	المدرسة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	ناجي أحمد داود	آل محمد	مترك ٥٩	أردني	١
~~٢~~	~~[illegible]~~	~~"~~	~~[illegible]~~		
~~٣~~	~~[illegible] أبو [illegible]~~	~~"~~	~~دار المعلمين ٦٢~~	~~"~~	
~~٤~~	~~[illegible]~~	~~"~~	~~" "~~	~~"~~	
٤	فارس سعود نايد	"	معلمين أردني ٥٥	"	(١٠)
٥	[illegible] زعموت	"	أهلية التعليم الابتدائي ٦٤	فلسطيني	
٦	محمد محمود فتح الله	"	المعلمين الابتدائي ٦٢	سوري	٤
٧	أحمد علي أبو سليم	"	دبلوم حضوري ٦٢	أردني	٥
٨	سمير محمود خالد	"	بكالوريا ٦٢	فلسطيني	٦
٩	محمد سالم النجار				٧ (م/ع)
١	محمد نافع أبو السرة	الحلف	مترك ٥٩	أردني	
٢	أحمد محمود إبراهيم الصمد	"	مترك ٥٨	"	
٣	محمد حسين أبو ديه	"	توجيهي ٦٢	"	
٤	محمود عمر صالح ناجي	"	" ٦٢	"	
٥	محمد توفيق الشريف	"	" ٦١	"	
٦	إبراهيم عقله الزغبي	"	" ٦٢	"	
٧	محمد هشام صبحي الشحه	"	بكالوريا ٦٤	سوري	
١	عبد العزيز سليمان / عطا الله المصيري	آل مصيري	دار المعلمين ٦٤	أردني	
٢	علي عيسى أبو عرقوب	"	توجيهي ٦٢	"	
١	أحمد علي يوسف دلس	العبيدية	توجيهي ٦٢	أردني	
٢	مصطفى أحمد سعد الله	"	" ٦٢	"	
٣	إبراهيم أحمد رشيد مصطفى	"	" ٦٢	"	
٤	أحمد داود عياش	"	دار المعلمين ٦٢	"	
٥	إبراهيم علي خليفه	"	توجيهي	"	

تابـــع ملحـــق رقـــم (٤)

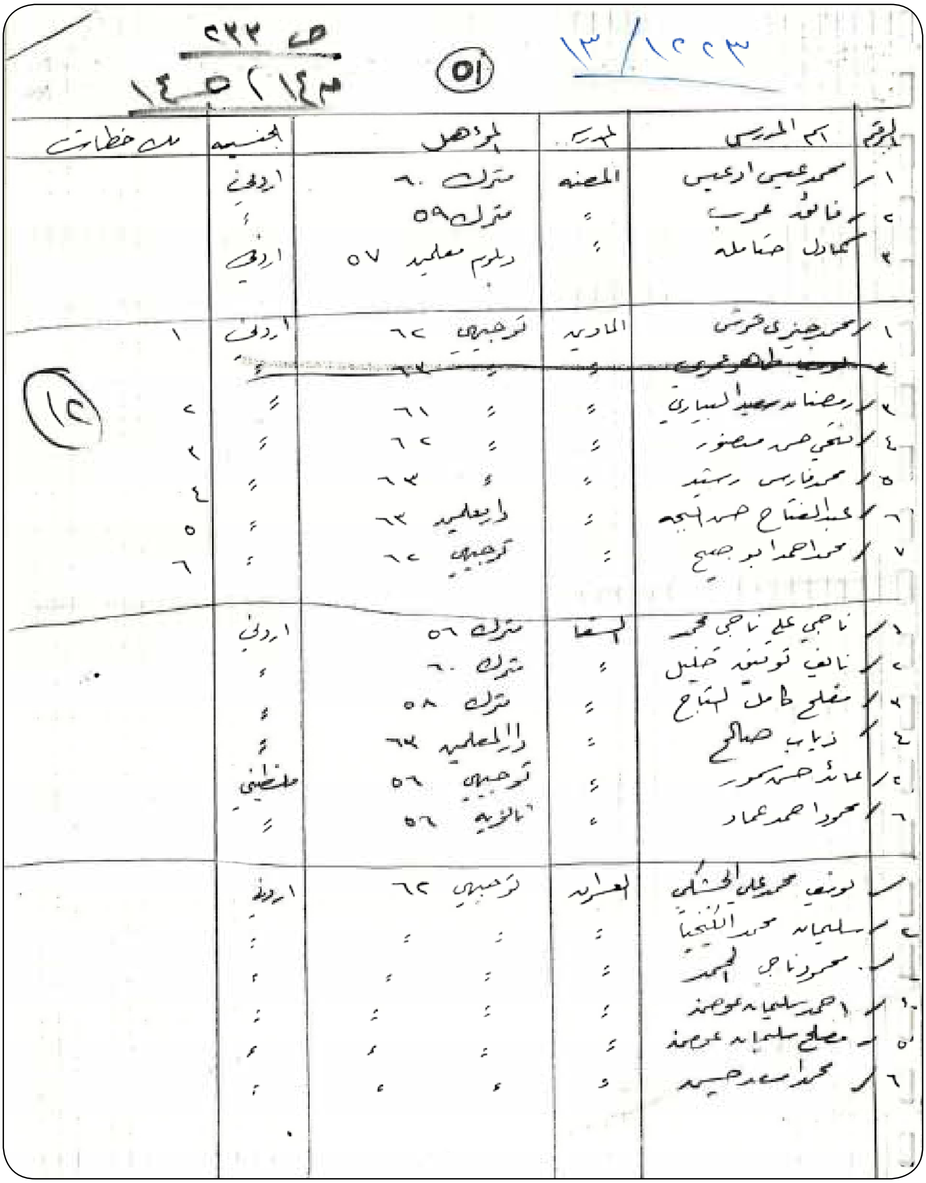
ص ٢٢٢
١٢٣ / ١ هـ ١٩٤

(٥٠)

١٢/١٢٢٣

الرقم	اسم المدرس	المدرسة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	محمود توفيق ابو موسى	السام	توجيهي ٦٢	اردني	
٢	الغماسه توفيق مرعي (?)	=	= =	=	
٣	عاطف لطفي محمد	=	مترك ٥٨	اردني	
١	محمد شحاده نزال	العابس	مترك ٦٠	اردني	(١١)
٢	~~... علي ...~~	~~=~~	~~توجيهي ٦٢~~	~~=~~	
٣	أمين كاظم العاصي	=	=	=	
٤	عبد الرحيم ابراهيم	=	مترك ٦٠	=	
١	جبريل حماد عياش	ال نادر	توجيهي ٦٢	اردني	
٢	محمود مصطفى [illegible]	=	ثالثة جامعة ٦٤	اردني	
٣	سعدات حسين عبد [illegible]	=	ثالثة جامعة ٦٤	=	
١	انور عطوان بطاينه	الطلحه	توجيهي ٦٢	اردني	
٢	عمر عز السيد محمد	=	= =	=	
٣	ابراهيم علي ابو زريد	=	= =	=	
٤	موسى شحاده العيسه	=	= =	=	
٥	يحيى حسين محمد عبيد	=	= =	=	
٦	محمود عبد المعطي عبد القادر	=	توجيهي ٥٨	اردني	
١	عادل سليمان الحوراني (?)	الصفيه	توجيهي ٦٢	اردني	١
٢	جمال الدين عنبتي	=	= =	=	٢
٣	منصور محمود شاكر	=	= =	=	٣
٤	محمد عبد الرؤوف يوسف عوده	=	= ٦٧	=	٤
٥	علي عبد الله عصفور	=			٥

تابــع ملحـــق رقـــم (٤)



ص ٢٢٢

م ١٤٣ / ص ١٤٠

(٥١)

١٣/١٢٢٣

الرقم	اسم المدرس	المدرسة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	محمد عيسى ارعيبي	المصنه	مترك ٦٠	اردني	
٢	فائقة محروب	〃	مترك ٥٩	〃	
٣	كمال حمامله	〃	دبلوم معلمين ٥٧	اردني	
١	محمد حيزي قرش	المادية	توجيهي ٦٢	اردني	١
~~[illegible]~~					
٢	رمضان محمد البياري	〃	〃 ٦١	〃	٢
٤	لطفي محمد منصور	〃	〃 ٦٢	〃	٣
٥	محمد فارس رشيد	〃	〃 ٦٣	〃	٤
٦	عبد الفتاح محمد اسعيد	〃	دار المعلمين ٦٣	〃	٥
٧	محمد احمد ابو صبيح	〃	توجيهي ٦٢	〃	٦
١	ناجي علي ناجي محمد	الشقا	مترك ٥٦	اردني	
٢	نايف توفيق خليل	〃	مترك ٦٠	〃	
٣	مفلح كامل الشاح	〃	مترك ٥٨	〃	
٤	ذياب صالح	〃	دار المعلمين ٦٤	〃	
٥	عائد محمد منصور	〃	توجيهي ٥٦	فلسطيني	
٦	محمود احمد عمار	〃	ثانوية ٥٦	〃	
١	يوسف محمد علي الحشكي	العرايد	توجيهي ٦٢	اردني	
٢	سليمان محمد اللحيا	〃	〃 〃	〃	
٣	محمود ناجي احمد	〃	〃 〃	〃	
٤	احمد سليمان عوضه	〃	〃 〃	〃	
٥	مصلح سليمان عوضه	〃	〃 〃	〃	
٦	محمد اسعد حسين	〃	〃 〃	〃	

(١٢)

تابــع ملحـــق رقـــم (٤)

ص ٢٣٤

٢١٤٣م ١٤ (٥٢) ١٤/١٢٢٣

الرقم	اسم المدرس	المدرسة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	صالح علي عياش	الوادية	توجيهي ٦٢	اردني	
٢	محمد محمد عبد الوهاب	"	ثانية جامعة	"	
٣	اسماعيل احمد مصطفى	"	مترك ٥٩	"	
٤	موفق السنوسي	"	توجيهي ٥٥	سوري	(١٢)
٥	ممدوح مصباح الحصري	"	بكالوريا ٦١	فلسطيني	
٦	يعقوب الزبار	"	" "	"	
١	محمد محمد حسين مصلح	الوصابه	توجيهي ٦٢	اردني	
٢	عزمي احمد خليل	"	دار المعلمين ٦٢	"	
٣	احمد عفار عبد القادر	"	توجيهي ٦٢	"	
٤	مصطفى يوسف الزبيدي	"	" "	"	
١	فايز احمد عثمان القاسم	العقيل	توجيهي ٦٢	اردني	
٢	مرزوق عمر شوشه	"	بكالوريا ٦٢	سوري	
٣	فايز أمين حميدان	"	توجيهي ٦٢	اردني	
٤	نذير عبد الرحمن رشد	"	بكالوريا ٦٢	سوري	
١	عبد الله مصباح عبد الله	العزيزه	مترك ٥٧	اردني	
٢	عبد الحميد احمد سلطان	"	توجيهي ٦٠	"	
٣	ذياب موسى حبيبا	"	دار المعلمين ٦٤	"	

تابــع ملحـــق رقـــم (٤)

٣٥ هـ / ١٤٢٣ م — ٢٠١٥

(٥٣)

١٢٢٣/١٥

رقم	اسم المدرس	المدرسة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	جمعة عمران الكركي	بني زرام	توجيهي ٦٢	اردني	
٢	فريد محمد عبد الرحمن	"	مترك ٥٨	"	
٣	محمد رجا جماع	"	" ٥٧	"	
	عبد الرحمن محمد عبد الرحمن	"	توجيهي ٦٠	"	
	محمد علي الصابيي	"	مترك ٥٨	"	(١٤)
٦	كامل محمد اسعد حماري	بكالوريا "	بكالوريا ٥٥	فلسطيني	
٧	صلاح محمد علي تايه	"	توجيهي ٦٢	اردني	
١	عبد السلام محمد زمقا	بيجا سد	ثانية حقوق	اردني	
٢	مصطفى عبد الرحمن العبد الشيخ	"	زراعة العامية ٦٤	"	
٣	يوسف ذيب حسن علي	"	توجيهي ٦٢	"	
	عبد العزيز محمود ابو لوش	"	مترك ٥٥	"	
٥	مهنا احمد عوض	"	بكالوريا ٦١	فلسطيني	
٦	يوسف لطفي شحادة	"	"	"	
١	~~محمد احمد العكور~~	~~عروة عيب~~	~~توجيهي ٦~~	~~اردني الثقفي~~	
٢	عبد الرحمن محمد ابو يوسف	"	مترك ٥٩	"	١
	محمود عبد الحميد فضل الله	"	" ٦٠	"	٢
	محمد يوسف عصفور	"	توجيهي ٦٢	"	٣
١	السايس ابراهيم البلبل	حواره	مترك ٥٩	اردني	
٢	يوسف احمد ابو تايه	"	توجيهي ٦٢	"	
٣	داود محمد صالح حسين	"	مترك ٦٠	"	

تابـــع ملحـــــق رقـــــم (٤)

ص ٢٣٦
١٤٣/٥/١٤
٥٤
١٢٢٣/١٦

الرقم	اسم المدرس	المدرسة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	عمر محمد العابدي	الحرجه	ثانوية ٦٠	فلسطيني	
٢	محمد عبد العال الشقر	=	دبلوم معلمين ٦٠	اردني	
٣	محمد احمد ابو زيد	=	دار معلمين ٦٢	=	
١	حنفي محمود جبر	دهر	توجيهي ٦٢	اردني	١٥
٢	عبدالله فوزي المصري	=	اهلية التعليم ٦٤	فلسطيني	
٣	اسعد يعقوب اليعقوب	=	بكالوريا ٦١	=	
٤	محمد احمد علي عيب	=	توجيهي ٦٢	=	
١	حسن محمد ابراهيم عبد النبي	زهره	دار المعلمين ٦٢	اردني	
٢	لابد فارس قروره	=	توجيهي ٦٢	=	
٣	محمد عادل العقاد	=	بكالوريا ٥٥	سوري	
٤	محمد فؤاد النابلسي	=	اهلية التعليم ٥٠	=	
٥	عبد الله احمد [illegible]	=	توجيهي	اردني	
١	نوح حسين صالح	[illegible]	دار المعلمين ٦٤	اردني	
٢	ماجد محمد الفقش	=	دبلوم زراعة ٦٢	=	
٣	سالم محمد ابراهيم [illegible]	=	= حضوري =	=	
٤	عيسى محمد الحميد [illegible]	=	مترك ٥٨	=	
٥	محمد منذر [illegible]	=	دار المعلمين ٦٢	=	
	ابراهيم حسين صالح	=	=	=	

تابـــع ملحـــق رقـــم (٤)

ص ٢٣٧
م١٤٢ / ص١٤٠

(٥٥)

١٧/١٢٢٣

الرقم	اسم المدرس	المدرسة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	نعيم محمود الناصر	سيلواد	ثانوية شرعية ٥٩	أردني	
٢	عفيفة محمد الخضرا	"	بكالوريا ٦١	فلسطيني	
٣	سعاد أحمد صمادي	"	" ٦٠	سوري	
١	محمود حسن مسلم	الشرف	دار المعلمين ٥٧	أردني	
٢	يوسف علي أبو [illegible]	"	دبلوم معلمين	فلسطيني	(١٦)
٣	محي الدين كردعلي	"	بكالوريا ٦٠	سوري	
١	عبد القادر العبدادي	[illegible]	توجيهي ٦٢	أردني	
٢	محمود عبد الرحيم أبو حبوره	"	" ٦١	"	
٣	عواد حسين بدوي	"	دار معلمين ٦٢	"	
٤	زياد محمد إسماعيل	"	" ٦٤	"	
٥	إبراهيم موسى فضالة	"	مترك ٥٩	"	
١	أحمد عطا الله الشرفا	[illegible]	توجيهي ٦٢	أردني	
٢	رشيد عبد الله حسن	"	" "	"	
٣	يوسف أحمد شبلة	"	" ٥٦	"	
٤	~~[illegible]~~	"	" ٦٣	"	تنقل لمدرسة الحنيس
١	مصطفى إبراهيم بكر	الخالة	توجيهي ٦٢	أردني	
٢	مصطفى عادل النجار	"	ثانوية الأزهر ٥٦	فلسطيني	

تابـع ملحـــق رقــم (٤)

ص ٢٣٨
١٤/٥/١٣٨٣هـ

(٥٦)

١٨/١٠٢٣

الرقم	اسم المدرس	المدرسة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	نبيل النحاس	جمع	ثانية جامعة ٦٢	اردني	
٢	وصفي علي زيد	"	انترميديت	"	
١	جمال طه الخطيب	طيب	توجيهي ٦١	اردني	
٢	عبدالفتاح محمود يعقوب	"	دار المعلمين ٦٤	"	
٣	عبدالكريم زيد شلصه	"	مترك ٦٠	"	(١٧)
٤	عبدالهادي محمد عبدالباقي	"	ثانوية عامة ٦٢	سوداني	
٥	يحي الحسن احمد الطيب	"	"	"	
٦	محجوب محمد الجنيد	"	ثانوية دينية ٦٢	"	
١	علي صالح دعيش	طريب	توجيهي اردني ٦٢	اردني	
٢	صبحي عبدالرحمن زعيتر	"	" ٦٠	"	
٣	علي محمد ابو الرب	"	" ٦٢	"	
٤	احمد محمد ابو سعده	"	دار المعلمين ٦٤	"	
٥	علي خليل مصطفى خليل	"	ثانية جامعة ٦٤	"	
١	جمال موسى الزبادي	ظهران الجنوب	بكالوريا ٦١	فلسطيني	
٢	صبحي محمد كراشنه	"	توجيهي ٦٢	اردني	
٣	حسن محمد ابو داود	"	مترك ٦٠	"	
٤	صالح احمد محمد عليان	"	توجيهي ٦٥	"	

تابـــع ملحـــق رقـــم (٤)

ص ٢٣٩
١٤ـ٥٢١٤٣

(٥٧)

١٩/١٢٢٣

الرقم	اسم المدرس	المدرسة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	جمال داود حسن داود	عبل	ثانوية ٦٢	أردني	
٢	صبحي حسن عايش	»	دبلوم تعليم ٦٠	فلسطيني	
١	محمد راجح الخياط	العنابس	توجيهي ٦١	أردني	
٢	محمد خليل أبو زعرور	»	» ٦٠	»	
٣	محمد أحمد إبراهيم أبو سعيد	»	» ٦٢	»	(١٨)
١	رجا محمد حسين الملطي	الكوفه	مترك ٥٩	أردني	
٢	بسام قاسم إبراهيم	»	» ٦٠	»	
٣	سليمان محمد علي الصيرفي	»	توجيهي ٦٢	»	
١	سليمان إبراهيم مسعود	الحوارة جابر	توجيهي ٦٢	أردني	
٢	سليمان محمود قنطاري	»	» »	»	
٣	توفيق أحمد الله سعد	»	تكالوريا ٦٣	فلسطيني	
٤	محمود سليم سرور	»	تكالوريا ٦٢	»	
٥	لطفي محمد الحاج عيسى	»	توجيهي ٦٢	»	
٦	محمد صالح حمودة	»	تكالوريا ٦٢	»	
٧	محمد عبد الله ناصر هديب	»	توجيهي ٦٢	أردني	
١	محمد خليل عبد الرزاق الحيح	المغاير	توجيهي ٦٠	أردني	
٢	محمد كامل محمد يوسف	»	دار المعلمين ٦٢	»	
٣	عبد اللطيف كامل الصباح	»	مترك ٥٢	»	
٤	يسري صبري أحمد	»	» ٥٩	»	
٥	محمد إبراهيم أحمد	»	ثانية جامعة	م	

تابــع ملحــــق رقـــم (٤)

ص ٢٤٠
م ٢/١٤٣
ص ١٤

(٥٨)

٢٠/١٢٢٣

الرقم	اسم المدرس	المدرسة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	اديب محمود اديب حسين	وادي الطالع	توجيهي ٦٢	اردني	
٢	صبيح فرحان ابو جوده	″	″ ٦١	″	
٣	محمود عبد الله ابو الجيز	″	دار المعلمين ٦٣	″	
١	محمود موسى ابو جراده	الوشه	مترك ٥٨	اردني	(١٩)
٢	ابراهيم محمد اسماعيل	″	″ ٥٧	″	
٣	عبد الرحمن عيد ابو الهيجا	″	″ ٦٠	″	
٤	لطفي احمد شحاده	″	توجيهي ٦٢	″	
١	مصطفى احمد مسلم خليل	صبرة زهير	توجيهي ٦٢	اردني	
٢	احمد سالم احمد سليمان	″	دار معلمين ٦٤	″	
٣	احمد محمد الحسنه	″	توجيهي ٦٢	″	
٤	خليل احمد كنعانه	″	مترك ٦٠	″	
١	حسين عبد الرحيم محمد عبد الرحيم	بدر الجنوب	اولى جامعة ٦٣	اردني	
٢	جميل محمد عبد القادر	″	توجيهي ٦٢	″	
٣	بهجت عبد الرحمن الحسيني	″	ثانوية ٦٢	″	
٤	زكريا علي درباس	″	بكالوريا ٥٩	سوري	
١	وليد محمد الشعار	سنا الحصاد	ثانية جامعة ٦٤	اردني	
٢	تمام محمد القرواني	″	″ ″ ″	″	
٣	يوسف محمد اسماعيل حمدالله	″	دار معلمين ٦٤	″	
٤	عطا احمد موسى ابو ذياب	″	″ ٦٥	″	
٥	احمد سعيد زغل	″	″	″	
٦	عبد الرحيم حمايل	سنا الحصاد	بكالوريا ٦٢	فلسطيني	
٧	محمد محمود شتي	″	دار معلمين ٦٥	اردني	

تابـــع ملحـــق رقـــم (٤)

ص ٢٩١
م ٢١٢٣ / ١٤

(٥٩)

٢١/١٢٢٣

الرقم	اسم المدرس	المدرسة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	عبد الرحيم عمايرة (نقل إلى العيزرية)	وادي العقص	بكالوريا ٦٣	فلسطيني	
٢	عبدالله أحمد درويش شلبي	"	اهلية تعليم ٦٤	"	
٣	نبيل درويش شيخ الشيخ	"	توجيهي ٦٥	اردني	
٤	عثمان حسن الترعه	"	" ٦٤	"	
٥	داود صالح محمد جوده	"	" "	"	(٢٠)
١	يحيى عبد الرؤوف عطايه جبر	الجرف	ثانوية ٦٢	اردني	
٢	محمد عبد الرزاق سعيد	"	اهلية تعليم ٦٤	فلسطيني	
٣	محمد خليل قنيبي	"	توجيهي ٦١	اردني	
٤	شعيب محمد جوده	"	" ٦٢	"	المجموع (٢٩٨)

تابـــع ملحـــق رقـــم (٤)

[illegible]

(٦٠)

٢٢٣/٢٢

الرقم	اسم المدرس	المدرسة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	نور الدين أحمد إبراهيم	الوداعة	مترك ٥٩	اردني	امتحانات
٢	حسين رضا تفاحه	"	مترك ٥٦	اردني	للتحريرات
٣	محمود داود علي عبد اللطيف	"	توجيهي ٦٢	"	الحصار
٤	محمود أبو الهيجا	"	دار المعلمين ٦٥	"	متقاعدين / تأديبه
٥	مصطفى علي زيادة	"	مهندس كيماويات ٦٢	"	مهندس
٦	عمر السمير	"	بكالوريا ٦٠	سوري	للتحريرات
٧	محمد رؤوف الجواهري	"	ليسانس آداب ٤٧	عراقي	مفتش مقيم
٨	حازم أحمد رجب	"	براءة التعليم	سوري	" "
٩	أحمد داود عواد	"	الطليعة الثانوية ٤١	اردني	
١٠	سليمان خالد السليم	"	شارة الكشافة	سوريا	مشرف كشفي
١١	محمود [illegible]	"	ليسانس اجتماع ٦٢	فلسطيني	" اجتماعي
١٢	غسان عبد الكريم [illegible]	"	دبلوم رياضة	سوري	مفتش رياضي
١٣	خالد خالد صفا	"	أهلية التعليم ٦٢	سوري	ـ المستودع
١٤	إبراهيم أبو غنيم	"	توجيهي ٥٦	فلسطيني	المتقاعدين
١٥	فرج صالح [illegible]	"	ثانوية عامة ٥٦	"	"
١٦ ١٧	[illegible]	"	مترك ٥٩	اردني	المستودع المتقاعدين
١	أحمد محمد إبراهيم مصطفى	الوحدة الصحية	خلاصة تمريض	اردني	ممرض
٢	إبراهيم عبد السلام الجبور	"	مساعد صيدلي ٥٩	فلسطيني	مساعد صيدلي
٣	إبراهيم علي [illegible]	"	تمريض	اردني	ممرض
٤	محمد عبد الحفيظ [illegible]	"	~~مساعد صيدلي~~	~~فلسطيني~~	~~مساعد صيدلي~~
٥	فؤاد رشدي كشكو	"	مساعد صيدلي	فلسطيني	مساعد صيدلي

(٢١)

تابــع ملحــــق رقـــــم (٤)

ص ٩٤٣

١٤٠٥/١٢/٣

٦١

٢٣/١٢٢٣

الرقم	الاسم	المدرسة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	عثمان نافع الضاعر	المتوسطة بها	بكالوريوس تجارة ٦٢	فلسطيني	
٢	خليل احمد ابو رحمة	〃	ثالثة جامعة ٦١	〃	
٣	محمد منذر خولة	〃	ثانوية ٦١	سوري	
٤	احمد محمود الهيتي	〃	ليسانس انجليزي ٦٥	اردني	
٥	احمد مفلح صالح الحوراني	〃	〃 آداب ٦٤	〃	
٦	محمد احمد حسن الجبارين	〃	مترك ٥٥	〃	٢٢
٧	عبد الكريم محمد صوانة	〃	استجابة المعلمين ٤٦	〃	
٨	منصور الامين منصور	〃	〃 ٥٥	〃	
٩	خزيم عبد الفتاح ابو صبح	〃	〃 〃 ٥٢	〃	
١٠	عبد الحليم محمد الدرديري	〃	عالية عربية ٦٢	سوداني	
١١	محمد مصطفى العضونة	〃	ثانوية ٦٤	اردني	
١٢	محمد صالح ادريس المحقي	〃	دار المعلمين ٦١	〃	
١٣	جمال محمود ابو مني	〃	ليسانس آداب ٦٢	〃	
١٤	عبد الهادي عبده فهد	〃	〃 انجليزي ٦٢	〃	
١٥	محمد فخر الدين فخر الدين	〃	بكالوريا ٦٠	سوري	
١٦	حامد الصديق محمد دوليما	〃	تأهيل تدريسي	باكستاني	
١٧	ابو القاسم بدوي كالابه	〃	〃 〃	〃	
١٨	عبد الكريم عليان النجار	〃	ليسانس حقوق ٦٤	فلسطيني	
١٩	رافل محمد عليم البنواب	〃	بكالوريوس ادارة اعمال	عراقي	
٢٠	غازي حميد السيرس	〃	〃 جغرافيا ٦٤	〃	
٢١	موسى علي الشريف	〃	مترك ٥٧	اردني	

تابــع ملحـــق رقـــم (٤)

ص ٩٤٤
م ١٤/٢/١٩٤٥ [?]

(٦٢)

٢٤/١٢٢٢ [?]

الرقم	الاسم	المهنة	المؤهل	الجنسية	ملاحظات
١	أحمد محمد أبو غنيمة	معلم ابتدائي	ليسانس اجتماعيات	فلسطيني	
٢	أحمد عامر أبو شراب	"	دار المعلمين ٦٧	اردني	
٣	إبراهيم عبد المحسن أبو لبدة	"	ليسانس حقوق ٦٠	فلسطيني	
٤	موسى أحمد حميد	"	" انجليزي ٦٥	اردني	
٥	محمد رضا وليد [illegible]	"	متوسطة ٦١	سوري	
٦	فتحي عبد العزيز [illegible] السعدي	"	الاردني ٤٧	اردني	(٦٢)
٧	محمود اسماعيل معروف	"	توجيهي ٥٦	فلسطيني	
٨	أحمد محمود [illegible]	"	ليسانس فلسفة ٦٤	"	
٥ [?]	نايف زيد الدين [illegible]	"	" عربي ٦٢	اردني	
١ [?]	محمد نذير عبد	"	" علوم ٦٤	سوري	
١١	محمد علي النابلسي	"	ليسانس تربية وعلم النفس	"	
١ [?]	مكي محمد جمال الدين	"	بكالوريا ٦١	"	
١٢	أحمد محمد أبو [illegible]	"	[illegible] ٦٤	اردني	
١ [?]	منير عبد الرحمن [illegible]	"	كلية اللغة العربية ٦٢	سوري	
١٦ [?]	علاء الدين الروحي [?]	"	اهلية تعليم ٥٢	"	
١١ [?]	خالد [illegible]	"	بكالوريوس تجارة	عراقي	
١ [?]	محمد رجب إبراهيم	"			
١٨	صالح عبد الله	"			
١ [?]	عبد اللطيف عواد	"	دار المعلمين ٦٤	اردني	

أحمد [illegible]

[توقيع]

محمود وارد علي [?]

ملحـــق رقـــم (٥)

ثلاث مذكرات مختصرة عن مسيرة الدعوة والارشاد وبعض الجمعيات الخيرية في سروات بني شهر وبني عمرو في العصرين الحديث والمعاصر [١] . وأصحاب هذه المدونات هم :

م	الموضوع	الصفحة
١	الشيخ عبدالله بن سعيد الكريمي العمري.	٥٦٤
٢	الشيخ حمود بن ظافر الجبيري الشهري.	٥٦٧
٣	مكتب الجمعية الخيرية بالنماص، وعنهم رئيس مجلس إدارة هذه الجمعية في الوقت الحاضر الأستاذ سلمان بن عبد الرحمن العمري.	٥٧٠

(١) يوجد الأصل وصورة من هذه المذكرات ضمن الأوراق والمذكرات في مكتبه د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق الخاصة (ق ١٥هـ / ٢٠ – ٢١م) .

ملحـــــق رقــــم (٥)

(*) مدونة مرسلة من الأستاذ (الشيخ) عبدالله بن سعيد الكرمي: (١)

المكرم الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس سلمه الله (١)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

بناء على عزمكم رصد المسيرة التاريخية للدعوة في سروات بني شهر وبني عمرو، وطلبكم مني المشاركة في إعداد هذه المسيرة، وهذا جهد مبارك يضاف إلى جهودكم السابقة للتأليف والكتابة الموثقة والتاريخية عن هذه البلاد التي نشأتم فيها وتقلبتم في جبالها وسهولها، نسعد بالمشاركة بشيءٍ مما نذكره أو نتذكره أو عاصرناه عن هذا التاريخ الحديث والمعاصر.

مما عُلم عن الآباء ولم نعاصره: أنه كان في كل سوق من الأسواق الأسبوعية مكانًا مرتفعًا يسمى (الراية)، وكانت تلك الرايات مصدرًا للإعلام والبلاغات التي تصدر من الحكومة فيما يختص بمصالح المواطنين وينظم العلاقة بين المسؤول والمواطن، ومنبرًا كذلك للدعوة وتذكير الناس وحثهم على الالتزام بتعاليم الشريعة، وكان يوجد من يتولى ويمارس هذه الأنشطة الدعوية، وإن كانوا قلة، وممن عرفنا الشيخ عبدالله بن حوبة من قرية المركبة أسفل عقبة القامة، وفايز بن محمد البكري (رحمهما الله)، وكانت أغلب جولاتهم في الدعوة إلى الله في تنومة والنماص وقد يتنقلون في بعض القرى ويرتادون الأسواق الأخرى في سروات وأحيانًا بوادي بني شهر وبني عمرو.

كان هناك بعض الأفراد الآخرين ممن يحملون هم الدعوة إلى الله من طلبة العلم ومن أئمة المساجد وغيرهم، فتراهم يقومون بإلقاء الكلمات احتسابًا وتطوعًا دون الارتباط بجهة رسمية وكان ذلك مسموحًا به دون التقيد بإذن أو ترخيص.

بعد حادثة الحرم سنة (١٤٠٠هـ ١٩٨٠م) اهتمت الحكومة السعودية الحديثة (وفقها الله) بتنظيم الدعوة وعمل تراخيص وبطاقات كمرجعية للأنشطة الدعوية والالتزام بضوابطها من الكتاب والسنة.

مما أذكره وعاصرته كذلك: أنه بعد تلك الحادثة الآنف ذكرها، تأسس في النماص أول مكتب دعوي يعمل بشكل رسمي ويشرف عليه الشيخ محمد العبيدي، وكان وقتها قاضيًا في محكمة النماص، ومن المشاركين كأعضاء في ذلك المكتب الشيخ سلمان بن يعن الله العمري، والشيخ جابر بن عبدالله بن حلبد، وكاتب هذه المدونة، ورُفعت الأسماء إلى أبها بواسطة البريد. وانضم بعد ذلك للمشاركة

(١) من مسلسل هذه المذكرة من الأستاذ (الشيخ) عبدالله بن سعيد (ابن عمرو) الكرمي العمري، العاملة في مجال الدعوة إلى الله في محافظة النماص في العصرين الحديث والمعاصر ٢٧/٤/١٤٤٧هـ

أ.د. غيثان بن جريس ٢٧/٤/١٤٤٧هـ

تابع ملحق رقم (٥)

(٢)

الشيخ حمود بن ظافر الجبيري، والشيخ عبدالله بلقاسم البكري، وفي مركز بني عمرو الشيخ عبد الرحمن العمري، والشيخ عبد الهادي العمري.

بعد تلك المرحلة أصبحت إدارة الأوقاف في كل محافظة تتولى تنظيم المناشط الدعوية، وإعداد جداول المحاضرات بالتاريخ والمكان واسم الداعية وموضوع المحاضرة بالتعاون مع طلبة العلم، ثم إصدار الإعلانات بعد الموافقة الرسمية.

كانت تلك التطورات نقلة جيدة في المسيرة الدعوية، كما زار المنطقة ومحافظاتها علماءُ ودعاةٌ من منطقة عسير وغيرها من مناطق المملكة العربية السعودية، وكان لهم تأثيرٌ وحضورٌ مميزٌ، ومن كبار أولئك العلماء: الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين، والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الغديان، والشيخ عبدالله بن سليمان المنيع وغيرهم من كبار علماء هذه البلاد المباركة، حرسها الله وزادها استقرارًا وأمنًا.

ولما تشهدها بلادنا، والحمد لله من نهضة تنويرية وعلمية من حلقات القرآن الكريم ، ومدارس ومعاهد وجامعات ، تحتوي على كليات (شرعية، وأدبية، وعلمية) واكبت هذه النقلة المباركة وطورت المجال الدعوي، وأصبح في كل المحافظات ومعظم المراكز مكاتب دعوية تعاونية مصرح لها بتنظيم المحاضرات والدروس العلمية، وتخاطب العلماء وطلبة العلم في كل مناطق المملكة، وبخاصة في فصل الصيف حيث يرتاد منطقةَ عسير ، وبلاد السروات ، ومحافظاتها كثيرٌ من الوافدين للاستمتاع بجمال الطبيعة واعتدال أجوائها.

اليوم وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود وولي عهده حفظهما الله، وما فتح الله على هذا البلد (المملكة العربية السعودية) من تقنيات علمية حاسوبية والكترونية يسرت تبادل المعلومات، وسهلت قنوات التواصل، تحولت مكاتب الدعوة إلى جمعيات خيرية دعوية غير ربحية، تابعة للمركز الوطني وتدعمها الوزارة، ومسموح لها بفتح حسابات رسمية لدعم أنشطتها من المحسنين والمهتمين بهذا المجال، وضمن عمل مؤسسي يقوم عليه فريق من طلبة العلم، وكان هذا فتحًا من الله — عز وجل– لدعم المسيرة الدعوية في كل مجالاتها. وقد فتحت الوزارة تطبيقًا الكترونيًا (تيسير) يحتوي على المعلومات الكاملة عن هذه الجمعيات، والمنتسبين إليها من الدعاة. والتعريف بمؤهلاتهم وتخصصاتهم، وعن طريق هذا التطبيق تتواصل الجمعيات مع الوزارة الكترونيًا، وهذا التطوير التقني يسر مسيرة الدعوة وربط مناطق المملكة بعضها ببعض.

(*) تحفظ نسخة في مكتب

٢٧/٢/١٤٤٧

تابـع ملحـــق رقـــم (٥)

(٣)

ومن منجزات هذا التطبيق الجديد قام الشيخ خلوفة بن سالم العماري القرني أحد دعاة وزارة الشئون الإسلامية بتجربة فريدة على مستوى المملكة، وذلك بتنظيم جولة دعوية كل يوم أربعاء (جولة الأربعاء) في أحدى محافظات أو مراكز منطقة عسير، والمناطق المجاورة كمنطقة مكة المكرمة، ومنطقة الباحة. وهناك الكثير من الوثائق والسجلات والتسجيلات الورقية والرقمية لمن بحث عنها في أراشيف المؤسسات الحكومية والأهلية بهدف توثيق موضوع الدعوة بدراسات علمية أكاديمية.

وأخيرًا: شكر الله للأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس الجبيري الشهري على هذه المبادرة للكتابة عن المسيرة التاريخية للدعوة في سروات بني شهر وبني عمرو، وأسأل الله أن يمده بعونه وتوفيقه، وأن يجعل عملنا جميعًا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يديم على بلادنا أمنها واستقرارها، وأن يوفق ولاة أمرنا لرعاية هذه الأمة مهبط آخر رسالات السماء إلى الأرض، وأن يسددهم لرفع شأنها ومكانتها.

هذا ما تيسر لي إن كان صوابًا فمن الله وإن وجد خلل نحوي أو إملائي أو غير ذلك فقد أذنت للدكتور غيثان بن علي بن جريس بإصلاح ما يراه نافعًا ومفيدًا للتوثيق التاريخي الحضاري الرصين، وذلك لسابق خبرته في البحث والتأليف والكتابة وكما قال الشاعر:

يا باري القوس بريا ....لست تحسنه .... لا تفسدنها وأعط القوس باريها

هذا وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه أخوكم ومحبكم عبدالله بن سعيد بن علي الكريمي العمري (قرية آل مقبول -محافظة النماص) وحرر يوم الخميس (الموافق ٢٧/صفر من سنة ١٤٤٧ من الهجرة).

ملحوظة: تحفظ نسخة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية

أ.د. غيثان

١٤٤٧/٣/٢٧

- ٣ -

تابـــع ملحـــــق رقـــــم (٥)

(*) مدونة مرسلة من الأستاذ (الشيخ) حمود بن ظافر الجبيري: (٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

سعادة الأخ العزيز الدكتور غيثان بن علي بن جريس حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

شكرًا على اتصالك الهاتفي بتاريخ (٢ /٣ /١٤٤٧هـ الموافق ٢٥ / ٨ /٢٠٢٥م)، وطلبك شيئًا مما عاصرته عن مسيرة الدعوة في سروات بني شهر وبني عمرو، وقد أرسلت لك لمحة مما عرفته وشاهدته، وأذكر ذلك في النقاط التالية:

١ــ كانت أحوال القرى والأرياف عام (١٣٨٢هـ /١٩٦٢م) شبه بدائية، فلا يوجد كهرباء ولا تلفزيون ولا هاتف سوى الهاتف المسمى بالهندل.

٢ــ كانت حياة الفاقة والفقر هي السائدة، والاعتماد على الله – عز وجل –ثم على المزارع ومنتجاتها، وأحيانًا تتعرض للخراب والهلاك بأسباب الطقس وأحواله وأمراض أخرى عديدة.

٣ــ في ذلك الزمن لم يكن هنالك دعوة وإرشاد للمجتمع إلا ما قد يتيسر من شيء قليل جدًا، وكانت الأمية والجهل هما الغالبان، وعند العشائر والقبائل قوانين يتحاكمون اليها، وبعضها خارجة عن أحكام الشريعة، كالنكالات التي يقرره أعضاء لجنة القبيلة أو ما يسمى بـ (الثمانية)، وهم أعضاء يختارهم شيخ القبيلة، وغالبًا حكم النكال والعقوبات الأخرى مما يقرونه ويتفقون عليه.

٤ــ كان القائمون على التعليم والمدارس في الغالب من المتعاقدين والنادر حصول الطلاب على التربية الصحيحة المناسبة، إلا أن الحال تحسن إلى حد لا بأس به في بداية التسعينيات من القرن الهجري الماضي.

٥ــ خطباء المساجد قديمًا يعتمدون على الخطب القديمة التي تعتمد على السجع والموعظة فلم يكن الناس يتلقون الدروس العلمية والتوجيهات التربوية المطلوبة.

٦ــ كان النساء لا يلبسن خمار الوجه لعدم العلم بوجوبه، والرجال والنساء يجتمعون على حد سواء في حصيد الزروع ونحوها، وذلك حسب ظروفهم وضرورة التعاون في ممارسة أعمالهم المتعددة.

٧ــ بعد التخرج من المرحلة الثانوية توجهت للرياض للدراسة الجامعية، ووجدت الحال هنالك مغايرًا تمامًا لأوضاع الناس في قرى وبوادي وأرياف تهامة والسراة. ففي الرياض الدعاة والمربين والخطباء الذين

(*) هذه النبذة مرسلة من الأستاذ (الشيخ) حمود بن ظافر الجبيري ... وتشير إلى بعض الأنشطة الدعوية في محافظة النماص في العصر الحديث.

د. غيثان

٧/ ٣/ ١٤٤٧هـ

تابـــع ملحـــــق رقـــــم (٥)

(٥)

يقدمون ما يحتاجه السكان من علم وفقه وتوجيه مستمر، كذلك الجامعات والمدارس يوجد بها الكثير ممن يعلم الناس العلم والفقه وغيره من العلوم الشرعية، إضافة إلى وجود الدروس العلمية المنتشرة في كل مكان. وقد استفدت، والحمد لله، في سنوات الدراسة وحضور مجالس العلماء والمشايخ كسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز وغيره.

٨ـ وفي أثناء تلك المدة كنت أقضي فترة الصيف في النماص والغالب أن شهر رمضان يكون في بلادي ومسقط رأسي. ومما أذكره أن صلاة التراويح لا تتعدى دقائق معدودة، ولم تكن لذة رمضان في الغالب إلا في السحور والإفطار، وبعد المغرب برامج أم حديجان في ليالي رمضان. وأما قيام رمضان فلا أذكر له وجود إلا في جامع المنداة ببلدة النماص، وعدد المصلين قليل جدًا. وكان الوضع مختلفًا جدًا مقارنة مع مدينة الرياض، حيث رمضان في العاصمة له شأن كبير خصوصًا في صلاة التراويح والقيام والمواعظ في جميع الليالي.

٩ـ عدت إلى الرياض وعقدت العزم على الانتقال للنماص حيث لابد من تحريك الدعوة إلى الله لكي يتعلم الناس الدين الصحيح لعظم المسؤولية. فزرت رئيس الإدارة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد الشيخ عبدالله الفنتوخ (رحمه الله)، وذكرت له الوصف الذي عليه تعيش ديارنا، وأخبرته بأحوال منطقة ثربان في تهامة بني شهر وانتشار الجهل وعبادة الأصنام فكانت شبه صدمة له، وأخبرته بأن الأمر ليس من باب الحماس والمبالغة، فوعدني بالزيارة في حدود أربعة أيام أو أن يبعث نائبًا عنه.

١٠ـ وبالفعل اتصلت الإمارة بي بعد أربعة أيام للحضور، وعند الحضور وجدت مدير مكتب الدعوة والإرشاد بعسير، ورئيس المحكمة، ومديري الشرطة والمباحث، وهيئة الأمر والنهي عن المنكر، ومدير المعهد العلمي. ودار الاجتماع بوجود شكوى من مواطن للحالة التي عليها بعض أجزاء المنطقة وبخاصة في الحياة الدعوية والتوعوية.

١١ـ تم تكليفي مندوبًا للدعوة والإرشاد ببني شهر وبني عمرو وبلّسمر مع الجاردة وثربان وبارق. وتكليفي بإعداد جدول لعام كامل يشمل جميع القرى والمحافظات.

١٢ـ جرى اختيار مجموعة من المشايخ للمشاركة في البرامج وتم إرسال بطاقة دعوة لكل مكلف من وزارة الداخلية، ثم بدأ العمل بالدعوة إلى الله مع إرسال خطاب لإمام الجامع أو نائب القرية بموعد المحاضرة في مسجدهم، وكانت أغلب المحاضرات فيما يخص العقيدة والعبادات والمعاملات. وقد كان للدعوة أثر ظاهر ملموس ومؤثر واستجاب الناس والحمد لله في وقت يسير.

تحفظ نسخة في الملف الخاص

١٤٢٧/٣/٧

تابـــع ملحــــق رقـــم (٥)

٦

١٣ـ تم دعوة العديد من مشايخ المملكة العربية السعودية لإلقاء المحاضرات وشرح المتون المناسبة لطلاب العلم، وكان لذلك الأثر الإيجابي الظاهر على المجتمع ذكورًا وإناثًا.

١٤ــ كان للمراكز الصيفية التي تقيمها وزارة التربية والتعليم الأثر الكبير في تربية الطلاب، حيث ترسل الوزارة تعميم لإدارة التعليم لإقامة مركز على مستوى مدارس الإدارة، وتم تكليفي مديرًا للمركز، فأعدت خطة العمل التشغيلية المبنية على الهدف العام وتحته أهداف تفصيلية، وقد استفاد الطلاب في حفظ أوقاتهم والشرود بهم عن الأفكار الخارجة عن نطاق التربية والتعليم والدعوة الوسطية.

١٥ــ في عام (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) تم افتتاح مكتب لهيئة الإغاثة الإسلامية بالنماص وتم تكليفي من قبل إدارة الهيئة بعسير رسميًا برئاسة إدارة المكتب، وكان لها أثر كبير في توزيع الصدقات وخصوصًا المواد الغذائية على الفقراء والمعوزين ومن تجب عليه الصدقة.

١٦ــتم تعييني إمامًا وخطيبًا لجامع بلال بالنماص عام(١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)حتى عام(١٤١٦هـ/١٩٩٦م) وكان للخطابة الأثر الإيجابي على المصلين لتناول الخطب ما يحتاجه المجتمع من الموضوعات المهمة فيما يتعلق بالعقيدة والعبادات والموضوعات التي تهم الاسرة.

١٧ـ تلقيت اتصالًا من سمو الأمير سعود بن فهد بن عبدالعزيز عام (١٤٠٩هـ ١٩٨٩م)، وخلاصة الاتصال تواترت الأخبار على أنه يوجد في قرى ثربان بتهامة بني شهر خلل في العقيدة ووجود الأصنام التي تعبد من دون الله مع وجود فقر وجهل وممارسات غير طبيعية كعملية الختان وطلب الأمير إرسال تقرير مفصل بالتصوير، فطلبت تعميد من سموه وبالفعل تم ذلك، وزرت أمير ثربان في حينه وشكلت لجنة من ضمنها رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الشيخ غرامة (رحمه الله)، والدكتور يحيى القحطاني، وعضو من أخوياء الإمارة وهو شيخ إحدى القبائل في ثربان. وتم اعداد التقرير مع التصوير بالفيديو، وعلى ضوء ذلك كان هناك زيارات متتابعة لثربان تم من خلالها عقد المحاضرات والدروس والخطب لأكثر من عامين، وبفضل من الله تغير الحال وتعلم الناس وتركوا الممارسات الخاطئة. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على الرسول الامين. من إعداد حمود ابن ظافر الجبيري الشهري السبت (١٤٤٧/٣/٧هـ الموافق ٢٠٢٥/٨/٣٠م)

تابـــع ملحـــــق رقـــــم (٥)

الجمعية الخيرية بمحافظة النماص

الرقم ٥٨٠
التاريخ ٢٠٢٥/٠٩/٠٢م

يرسل نسخة إلى الدكتور غيثان بن جريس
١٠/٣/١٤٤٧هـ

الجمعية الخيرية بالنماص(١)

في عام ١٤٠٩هـ تقدم عدد سبعون شخصاً من شيوخ وأعيان النماص بطلب فتح جمعية خيرية وقد صدرت موافقة معالي وزير العمل والشؤون الاجتماعية بفتح الجمعية وبدء عملها بتاريخ ١٤١١/٠٩/١٤هـ، وقد صدر لاحقاً تسجيل الجمعية لدى الوزارة برقم(١١١) بتاريخ ١٤١٣/١٢/٠٤هـ.

تكوّن أول مجلس إدارة للجمعية برئاسة فضيلة الشيخ /محمد بن عبدالله العبيدي القاضي بمحكمة النماص وبعضوية كلا من :

١-محمد بن ظافر بن متعب.
٢-محمد بن عبدالرحمن بن غرم .
٣-علي بن محمد بن فايز العسبلي
٤-محمد بن أحمد الحفظي .
٥-أحمد بن محمد بن محسن الشهري .
٦-علي بن عبدالرحمن بن فايز .
٧-زحمي بن عبدالرحمن بن علي الشهري .
٨-ظافر بن علي بن صالح الشهري

وقد عقد أول اجتماع للمجلس بتاريخ ١٤١٢/٠٣/١٥هـ ومن ضمن المواضيع التي طرحت إيجاد مقر للجمعية فتبرع عضو المجلس الأستاذ/علي بن محمد العسبلي بشقة في عمارته بالنماص كمقر للجمعية لمدة سنتين بدون مقابل .

ولكون الجمعية هي أول جمعية أهلية غير ربحية بالنماص فقامت على الأهداف التالية :

١-تقديم المساعدات للفقراء والمساكين والمعسرين ومنكوبي الكوارث والأيتام والمعوقين .
٢-تسوير المقابر التي لم تمتد لها خدمات البلدية والقيام بخدمة المرافق العامة.
٣-إنشاء حلقات تحفيظ القرآن الكريم ومحو الأمية والخدمات الدينية .
٤-إنشاء المؤسسات الاجتماعية لرعاية الطفولة والأمومة .

وبتاريخ ١٤١٦/٠٥/٠١هـ عقد مجلس الإدارة الجديد أولى الجلسات وكان التشكيل كالتالي :

١- الشيخ/محمد بن عبدالله بن عامر العبيدي رئيساً
٢- الأستاذ/محمد بن ظافر بن متعب الشهري نائباً للرئيس

١٠/٣/١٤٤٧هـ

تابـــع ملحـــــق رقــــم (٥)

الجمعية الخيرية
بمحافظة النماص

(٨)

الرقم ٥٨٠
التاريخ ٢٠٢٥/٠٩/٠٢م
١٤٤٧/٣/١٠

٣- الشيخ/سلمان بن عبدالرحمن بن يعن الله العمري أميناً للصندوق
٤- الأستاذ/ علي بن ظافر بن فهد المشهوري أميناً عاماً
٥- الأستاذ/ عوض بن يوسف بن عبدالله عضواً
٦- الأستاذ/محمد بن عبدالرحمن بن غرم عضواً
٧- الشيخ/ محمد بن إبراهيم السعود عضواً
٨- الشيخ /جابر بن عبدالله بن ظافر الشهري عضواً
٩- الشيخ /عبدالله بن سعيد العمري عضواً

وفي شهر محرم ١٤٢٥هـ تشكّل مجلس جديد برئاسة الشيخ /سلمان بن عبدالرحمن العمري وعضوية كل من :

١- علي بن ظافر بن فهد نائباً للرئيس
٢- عبدالله بن سعيد أميناً للصندوق.
٣- عوض بن يوسف
٤- محمد بن علي الهرفلي
٥- خالد بن عبدالله بن غرم
٦- عامر بن ظافر بن محمد
٧- عبدالرحمن بن علي الأشول
٨- مهدي بن غرم الشهري

وفي عام ١٤٤٣ شكّل مجلس جديد للجمعية برئاسة الأستاذ/ علي بن محمد بن سلمان العمري وعضوية كل من :

١- عبدالله عبدالرحمن بن مغرم الشهري نائباً للرئيس.
٢- عبدالله بن زهير بن عاطف العمري عضواً
٣- ناصر بن عبدالله بن زاهر الشهري عضواً.
٤- خالد بن مشبب بن مغرم الشهري عضواً ، ولا حقاً قدّم استقالته من المجلس ورشّح بديلاً عنه الأستاذ/عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله الشهري

ولازال المجلس يمارس مهامه إلى وقتنا الحاضر.

وأصبحت أهداف الجمعية حسب اللائحة الجديدة كالتالي :

١- تقديم المساعدات المالية والعينية الدورية والطارئة للأفراد والاسر المحتاجة

(*) تحفظ نسخة في المكتبة الخاصة. أ.د. عيشان
١٤٤٧/٣/١٠

تابـــع ملحـــــق رقـــــم (٥)

الجمعية الخيرية
بمحافظة النماص

(٩)

الرقم: ٥٨٠
التاريخ: ٢٠٢٥/٠٩/٠٢م
١٤٤٧/٣/١٠هـ
المرفقات:

٢- المساهمة في رفع المستوى الصحي والثقافي والتعليمي والاجتماعي للفئات المستفيدة

٣- تقديم البرامج والأنشطة التدريبية لتأهيل وتدريب الأسر لسوق العمل

٤- تمكين العمل التطوعي وتوسيع دائرة الشراكة المجتمعية .

نطاق الجمعية الجغرافي من الظهارة إلى المدانة وتخدم ما يقارب (١٠٠٠) ألف أسرة وتتبنى عدة مشاريع وبرامج منها(مشروع الزكاة، مشروع تفريج الكرب ، مشروع كسوة الشتاء، مشروع دعم سداد فواتير الكهرباء، مشروع افطار صائم ،مشروع سقيا الماء، مشروع إفطار طالب (فسحة) ،برنامج التطوع،مشروع مساعدة المقبلين على الزواج ، مشروع السلة الغذائية ، مشروع الحقيبة المدرسية ،مشروع حفظ النعمة ،مشروع كفالة الأسر الفقيرة، مشروع الاضاحي، مشروع دعم سداد الإيجارات، برامج التأهيل والتدريب ،مشروع الرعاية الصحية ،مشروع كفالة الايتام مشروع السلة الرمضانية ،مشروع المريول المدرسي ،مشروع المأوى ،مشروع حجة الإسلام ، مشروع جمع الأثاث،مشروع توزيع اللحوم ،مشروع ترميم المنازل ،مشروع توفير الأجهزة الكهربائية).

(*) ملحوظة:
هذه نبذة مختصرة وصلتني من القائمين على الجمعية الخيرية بمحافظة النماص، آمل أن تستخدم مستقبلاً في عمل علمي توثيقي ومن الله المعونة. أ.د. غيثان
١٤٤٧/٣/١٠

أ.د. غيثان علي جريس

ملحـــق رقـــم (٦)

تسع مذكرات لأساتذة كتبوا عن مسيرة أقسام التاريخ في أبها، ولمحات من تاريخ التعليم الجامعي في أبها وعسير، وأصحاب هذه المدونات هم .

م	الموضوع	الصفحة
١	أ. صبري بن ناصر مكين	٥٧٥
٢	د. رشاد بن عبد الله الطنيني الشهري	٥٨٤
٣	د. سعيد بن على الحتارشة الشهراني	٥٨٩
٤	د. جمعان بن عبد الله الشهراني	٥٩٥
٥	د. عوض بن عبدالله بن ناحي عسيري	٥٩٩
٦	أ. أحمد بن مريع أبو زوعة العسيري	٦٠٣
٧	د. محمد بن على آل ناهض عسيري	٦٠٨
٨	أ.د. سعيد بن مشبب القحطاني	٦١٢
٩	أ. ناصر بن أحمد العماري الشريف	٦١٥

(١) أصحاب هـذه المدونات من طلابي خـلال العقود الأربعة الماضـية، وقد طلبت منهـم أن يكتبوا نبذة مما عرفوه وعاصروه وشاهدوه وهم يدرسون الجامعة في حاضرة أبها، ورجوتهم أن يكون تركيزهم على مسيرة أقسـام التاريخ في هذه المدينة العسيرية وعندما وصـلتني توثيقاتهم رتبتها حسب المادة المدونة زمنياً ، ثم نشرتها في هذا السفر، على أمل أن تستفيد منها طالبات وطلاب الدراسات العليا والبحث العلمي ، ويوجد نسخة من هذه المذكرات ضمن الوثائق الخاصة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية .

ملحق رقم (٦)

(١٠)

لمحة عن قسم التاريخ كما عاصرته في كليتي اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، والعلوم الإنسانية في أبها (١٤١١ـ١٤٣١هـ/١٩٩١ـ ٢٠١٠م).

بقلم . أ . صبري بن ناصر مكين (١)

سعادة الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد مقابلتك ثم اتصالكم ورغبتكم أن اكتب شيئا مما عرفته وعاصرته عن التعليم الجامعي في أبها، وبخاصة أثناء دراستي في قسم التاريخ لمرحلتي البكالوريوس والماجستير، فأنني أدون شذرات من ذلك في الصفحات التالية .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: ففي طريقي من أبي عريش ـ درة جازان ـ إلى منزلي الكائن بقرية خضير التابعة لمركز وادي جازان تلقيت اتصالاً هاتفياً من لدن سعادة الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس، وذلك في عصر يوم الاثنين الموافق للتاسع من شهر ربيع الأول من عام سبعة وأربعين وأربعمائة ألف من الهجرة، وفيه طلب سعادته المشاركة عن مسيرة أقسام التاريخ في أبها ومن خلال ما تجود به الذاكرة بداية من الالتحاق بالقسم وحتى آخر العهد به. وبناءً على ما تقدم فإني أتوجه بالشكر الجزيل للدكتور غيثان على ما أولاني به من الثقة وحسن الظن، لاسيما بعد أن وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً. وأقول مستعيناً بالله:

أنهيت المرحلة الثانوية بقسمها العلمي عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) بثانوية الواصلي، في ذلك العام لم يكن في منطقة جازان التي أنتمي لها سوى كلية لإعداد المعلمين تابعة لوزارة المعارف، فكان على خريجي الثانوية إما التقديم في هذه الكلية وإما الرحيل إلى إحدى الجامعات في بقية المناطق ابتداءً من أبها مروراً بجدة ومكة والمدينة المنورة والرياض وصولاً إلى المنطقة الشرقية، فتقدمت لكلية إعداد المعلمين بجازان إضافة إلى كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بفرع جامعة الإمام بأبها، فتم قبولي في الجهتين

(١) [illegible] الدكتور صبري [illegible] جامعة الإمام بأبها [illegible] ١٤٢٧/٣/١٩

تابـع ملحـــق رقـــم (٦)

(١١)

وأجريت اختباراً في كلية المعلمين، وتم تحديد موعد لإجراء مقابلة شخصية، وشاء الله أن يكون موعد المقابلة في جازان وأبها في ذات اليوم، وعندها أسقط في يدي وتنازعتني الآراء فكان لزاماً علي الاختيار بين كلية إعداد المعلمين، حيث الأهل والقرب وضمان التعيين في المنطقة ذاتها بعد التخرج، وبين الغربة والبعد وعدم ضمان التعيين في جازان، وبين هذا وذاك وبعد أن استخرت الله واستشرت ذوي الألباب وقع اختياري على كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية في أبها، فتوجهت اليها وأجريت المقابلة وتم قبولي، ولم يبق إلا أن تبدأ الدراسة التي تم تأجيلها مدة من الزمن بسبب أحداث الغزو العراقي للكويت .

وبعد طول انتظار بدأت الدراسة فتوجهت إلى أبها بصحبة من سبقنا من الأقارب والأصدقاء. وتجدر الإشارة إلى أن فرع جامعة الامام آنذاك كان يقع في جهة الشمال من المدينة على طريق الطائف الى اليمين منها، ويتكون من ثلاثة مبانٍ متقاربة يحيط بها سور واحد، فالمبنى الجنوبي خصص لكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، والمبنى الشمالي لكلية الشريعة وأصول الدين، ويتوسط هذين المبنيين ثالث خصص لإدارة الفرع ويقابل هذه الكليات فناءٌ واسع صمم ليكون مواقف لسيارات أعضاء هيئة التدريس والكادر الإداري بالفرع، أما الطلاب فكان عليهم أن يتسلقوا سفوح الجبال المقابلة بسياراتهم ليجدوا موقفاً مناسباً أو الوقوف في مواقف مملوكة لأشخاص مقابل ريالين عن سائر اليوم، أما الطالب الذي لا يملك سيارة فيكفيه ريالان للوصول إلى الفرع. وقد تبين بعد ذلك أن المباني التابعة للفرع مستأجرة، وعلى الجانب المقابل لفرع الجامعة انتظم عدد من المكتبات والمطاعم ومحلات التصوير والطباعة وخدمات الطلاب يعمل بها إخوة لنا من الجنسيات العربية والإسلامية .

كانت أغلب الأطعمة التي تقدم لنا مكونة من الشطائر بأنواعها، أو الفول والعدس والحمص والكبدة وغيرها لمن أراد أن يجلس ويتناول الطعام، ويتصدر الشاي المشروبات الساخنة لمناسبته الطقس البارد، هذا بالإضافة إلى وجود أنواع أخرى من المأكولات والمشروبات. أما عن المكتبات التجارية فكانت حريصة على توفير الكتب التي تدرس عادة في كليات الجامعة بمختلف التخصصات سواءً ما يتعلق بالشريعة أو

- ٢ -

تابـــع ملحـــق رقـــم (٦)

(١٣)

اللغة العربية أو العلوم الاجتماعية، إضافة الى الأدوات المدرسية والقرطاسية المختلفة، وما زالت تلك المكتبات أو بعضها موجود إلى يومنا هذا (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، غير أن رفوفها خلت من الكتب واقتصرت على القرطاسية والطباعة والتصوير .

بعد مرور الأسبوع الأول علم كل الطلاب مقراتهم وحجراتهم الدراسية، ووزعت الجداول متضمنة المواد المقررة والساعات المحددة لكل مادة، ولم تكن الجداول مختلفة كثيراً عن الجداول التي عهدناها في التعليم العام، فاليوم الدراسي يبدأ من الساعة السابعة صباحاً وينتهي عادةً عند الثانية عشر ظهراً وربما امتد إلى الواحدة في أحد أيام الأسبوع، وهذا يعني أن اليوم الواحد يشتمل على خمس ساعات دراسية، أي بمعدل خمسٍ وعشرين ساعة أسبوعياً. والمقرر يحتوي مواد دراسية متنوعة منها ما يخص التاريخ ومنها ما هو من متطلبات الجامعة كالقرآن الكريم والعقيدة والتفسير والنحو والأدب وغيرها .

في أول محاضرة وصلت غلى القاعة فوجدت الدكتور قد سبقني بالحضور وحين اقتربت من الباب نظر إلي شزراً وبادرني قائلاً: أين الشماغ ؟ وقد كنت حاسر الرأس ولم أكن أعلم أن لبس الشماغ من شروط الدراسة بالجامعة، وحين بينت له عدم علمي بذلك سمح لي بالدخول على أن أحضره في المرة القادمة، وكان الدكتور يدرسنا مادة التاريخ القديم وهو من الجنسية المصرية العزيزة على قلوبنا .

والجدير بالذكر أن أعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ في ذلك العام (١٤١١هـ/ ١٩٩١م)كان جلهم من السعوديين بالإضافة إلى عدد من المصريين، ويرأس القسم الدكتور صالح بن عون الغامدي (رحمه الله) ويدير الكلية الدكتور سعد العثمان، ومن الأساتذة الوطنيين: الدكتور فهيد بن عبيد السبيعي الذي درس لنا السيرة النبوية والخلفاء الراشدين، والدكتور محمد بن مسفر عسيري الذي درس لنا تاريخ الجزيرة العربية، والدكتور سعد بن حسين عثمان الذي درس لنا التاريخ العباسي وتاريخ المغرب والأندلس، وكان الدكتور صالح الغامدي يدرسنا تاريخ الدولة العثمانية والدولة السعودية، ومن المحاضرين حينذاك الأستاذ علي بن محمد عواجي والأستاذ محمد بن منصور حاوي وقد درس لنا الأول تاريخ بيزنطة، ومن الدكاترة المنتسبين للقسم ولم

(*)

تابـــع ملحـــــق رقــــم (٦)

(١٣)

يدرسوا لنا الدكتور سعد الحميدي والدكتور إسماعيل البشري وقد كانا مكلفين بأعمال إدارية في الكلية .

أما من الأساتذة المصريين فأذكر: الدكتور محمد مؤنس أحمد عوض الذي علمنا تاريخ أوربا في العصور الوسطى وتاريخ الحروب الصليبية ، والدكتور أحمد صابون المتخصص في التاريخ القديم والدكتور سيد نصر الذي درس لنا تاريخ العرب الحديث والوثائق التاريخية، والدكتور عبدالمنعم الجميعي الذي درس لنا تاريخ الأمريكيتين والتاريخ الأوربي الحديث. هذا ما أسعفتني به الذاكرة سائلاً المولى عز وجل أن يرحم من مات وأن يبارك فيمن بقي ولله الأمر من قبل ومن بعد .

لم يقتصر التنوع على أعضاء هيئة التدريس بل كان في الطلاب أكثر وضوحاً فثمة طلاب من جازان وكانوا هم الأكثرية وطلاب من مختلف محافظات عسير وآخرون من القنفذة والباحة ووادي الدواسر ومن نجران وبلغ العدد الكلي لتلك الدفعة قرابه السبعين طالباً يمثلون نسيجاً رائعاً متناغماً من أبناء المملكة العربية السعودية، وتبين أن جزءاً من هؤلاء الطلاب من خريجي المعاهد العلمية الذين كان لهم الأفضلية في القبول في الجامعة كون تلك المعاهد تابعة للجامعة، وجزء منهم قادمون من مدارس تحفيظ القران الكريم ،والجزء الاخر هم من خريجي الثانوية العامة بقسميها الأدبي والعلمي، وكما تنوعت المناطق التي ينتسب إليها الطلاب فقد تنوعت لهجاتهم وعاداتهم وتقاليدهم.

على أية حال فالعام الدراسي وقتذاك تكون من فصلين دراسيين والفصل الدراسي مستقل بذاته ولكل فصل تقييمه ثم تدمج النتائج الفصلية لينتج عن ذلك المعدل التراكمي من مائة درجة، ودرجة المادة يتم احتسابها من خلال النظر إلى عدد الساعات المخصصة لها. وللطالب الحق في حمل ثلاث مواد كحد أقصى في حالة عدم الاجتياز، ولمجلس القسم والكلية صلاحيات اعتبارية في بعض الحالات الخاصة، وهكذا توالت الفصول الدراسية وكانت السنة الأولى تقسم الى أولى/ أول، وأولى/ ثاني وكذلك بقيه السنوات. وللطالب الحق في التحويل من قسم إلى آخر في السنتين الأولى والثانية بعد التنسيق بين الأقسام والكليات وموافقة أصحاب القرار، ويكون تخرج الطالب من القسم بعد اجتيازه للسنوات الأربع بفصولها الثمانية بعدد يزيد عن مائتي ساعة دراسية

تحفظ نسخة في الملف

١٩/١٢/١٤٢٧هـ

تابع ملحق رقم (٦)

(١٤)

ويكلف الطالب ببحثين علميين الأول أثناء الدراسة والثاني عند التخرج ويسمى ببحث التخرج، ويسلم في نهاية السنة الرابعة، وعلى الطالب أن يراعي فيه ما تعلمه في منهج البحث التاريخي .

وفي تصوري أن قسم التاريخ بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بجامعة الإمام فرع أبها تميز بقوه مناهجه الدراسية وشمولية المواد المقررة، فبالإضافة إلى حفظ جزء كامل من كتاب الله في كل فصل دراسي كان على الطالب أن يدرس جوانب متعددة في العقيدة والتفسير والحديث هذا على صعيد المواد الإسلامية، أما على صعيد اللغة العربية فالدارس في قسم التاريخ عليه أن يلم بكتاب قطر الندى وبل الصدى في النحو وأن يتعرف على جوانب متنوعة في الادب والبلاغة. وهناك من العلوم المساعدة والمرتبطة بالتاريخ ما يجب على الطالب دراستها لاسيما الجغرافيا بعلومها المتنوعة كالجغرافيا السياسية والجغرافيا الطبيعية. ومن المواد كذلك اللغة الإنجليزية بقواعدها ونصوصها التاريخية .

أما مواد التخصص فكانت كفيلة بتخريج طالب متمكن قوي في مادته، فلم يكن القسم يؤمن بالملازم والمذكرات بل على الطالب أن يستقي المادة من أمهات الكتب والمراجع المعتبرة المشهود لمؤلفيها بالكفاءة، وكانت مكتبة الفرع مليئة بالنوادر والفرائد والمصادر والمراجع، وإذا ما أضفنا إلى قوة المنهج كفاءة الأساتذة كانت المحصلة مخرجات علمية متمكنة وقادرة ومتميزة في مجال التعليم مستقبلاً، وكثيراً ما كنا نسمع عبارات المديح مقارنة بخريجي أقسام التاريخ الأخرى، ولعل أبرز ما كان يميز خريجي قسم التاريخ بفرع جامعة الإمام سعة الثقافة والاعتزاز بالدين والقيم وقوه الانتماء للوطن .

مرت السنوات الأربع ابتداءً من عام(١٤١١هـ/١٩٩١م) وحتى العام (١٤١٤هـ /١٩٩٤م)، وأصبحت الدفعة على موعد مع حفل التخرج، إذ كان من عادة الفرع إقامة حفل بهيج لخريجي الكليتين بمختلف الأقسام برعاية كريمة من أمير منطقة عسير ومدير الجامعة، وبعد استكمال الاستعدادات والتجهيزات أقيم الحفل في صالة الاحتفالات الكبرى بالفرع تخللته مشاركات متنوعة، وقد تشرفت بالسلام على صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز ــ أمير منطقة عسير ــ آنذاك وكان

تحفظ نسخة في ملف

١٩/٣/١٤٢٧هـ

تابــع ملحـــق رقـــم (٦)

(١٥)

هذا هو اللقاء الأول الذي يجمعني بسموه الكريم، حيث كان من عادة الفرع أن يتقدم الأوائل من كل قسم بالسلام على سموه. ولم يمضِ وقت طويل حتى تسلم الخريجون وثائقهم وغادروا مقاعد الدراسة، والتحقوا بالعمل في التعليم العام حسب الاحتياج في مناطق بلادنا العزيزة، علماً أن عدد خريجي قسم التاريخ في ذلك العام ثلاثون طالباً تقريباً من أصل السبعين طالباً الذين تم قبولهم قبل أربع سنوات .

لم تنقطع علاقتي بقسم التاريخ بفرع جامعة الإمام بأبها حيث عدت اليه بغرض الحصول على عدد من التزكيات العلمية والأوراق اللازمة لمن يريد مواصلة الدراسات العليا. وهنا لابد من الإشارة إلى شخصية علمية بارزة ومتميزة ممن درسوا لنا في القسم، وأعني به أستاذي سعادة الأستاذ الدكتور محمد مؤنس أحمد عوض، الذي كان له الفضل بعد الله في توجيهي لدراسة الحروب الصليبية، حيث عمل طيلة أيام الدراسة في مرحله البكالوريوس على تشجيعي تارة بعبارات الثناء وتارة بإهدائي كتباً وبحوثاً، ودائماً ما كان يستخدم عبارة "دكتور المستقبل" مما كان له أبلغ الأثر في تكويني العلمي، لاسيما وهو صاحب رؤية ورسالة إضافة إلى مكانته العلمية وسلوكه الحضاري والاخلاقي المتميز، وهذا الامر كان دافعاً لمواصلة الدراسات العليا حباً في دراسة تاريخ الحروب الصليبية ووفاءً لهذا الرجل الفاضل .

وعوداً على بدء وصلت إلى مبنى الكلية وتوجهت إلى القسم والتقيت بأستاذي الدكتور محمد مؤنس، الذي رحب بي وأبدى سعادته برغبتي في مواصلة الدراسات العليا، ومستغرباً في الوقت ذاته من عدم قبولي معيداً بالقسم، وحين أبديت له رغبتي في الحصول على تزكية علمية فرح بذلك كثيراً، وبادر بتعبئة النموذج وقام بتزويدي بعنوانه مفصلاً في القاهرة موضحاً لي أنه على أتم الاستعداد في تقديم أي مساعدة علمية مستقبلاً، ثم أهداني نسخة من كتبه التي صدرت حديثاً. وبعد ذلك توجهت إلى الدكتور محمد بن مسفر عسيري الذي أكرمني بتزكية أخرى، وأخيراً توجهت إلى إدارة الفرع للقاء الدكتور سعد بن حسين عثمان الذي كان عميداً للقبول وشؤون الطلاب فتكرم عليّ بتزكية ثالثة، ثم غادرت القسم بعد أن اعتمدت التزكيات.

- ٦ -

تابع ملحق رقم (٦)

(١٦)

وفي عام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) وبعد عشر سنوات من الفراق بيني وبين قسم التاريخ عدت إليه بصفة جديدة، فقد نما إلى مسمعي أن القسم فتح باب القبول للدراسات العليا ببرنامج الماجستير، فتقدمت بأوراقي لعمادة القبول والتسجيل وحدد موعد لاختبار القبول، وبعد اجتيازه بفضل الله قصدت القسم الذي تم نقل موقعه إلى مبنى مستحدث مقابل إدارة الفرع سابقاً بالدور الثالث، ولكن هذه المرة كان الوضع مختلفاً تماماً فلم يكن القسم تابعاً لكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بفرع جامعة الإمام، إنما كان تابعاً لكلية العلوم الإنسانية بجامعة الملك خالد حيث تم دمج فرع جامعة الإمام بفرع جامعة الملك سعود بأبها لتنشأ جامعة جديدة فتية بمسمى جامعة الملك خالد. وحين بدأت الدراسة في البرنامج تبين أننا نمثل الدفعة الثانية وكان عدد المقبولين في دفعتنا الثانية ثمانية طلاب تقريباً، لم يبقِ منهم سوى خمسة طلاب كنت أحدهم، وبمرور الوقت تبين أنه تم إلغاء مرحلة البكالوريوس، ولم يعد هناك طلاب يدرسون في تلك المرحلة، ويقال إن سبب الإلغاء سوق العمل لم يعد بحاجة إلى خريجي قسم التاريخ!، وعلى مستوى أعضاء هيئة التدريس اتضح أن معظم الأساتذة الذين كانوا موجودين بالقسم في فرع جامعة الإمام ما زالوا موجودين بالقسم في وضعه الجديد، وهم على سبيل المثال لا الحصر: سعادة الدكتور سعد الحميدي الذي أصبح رئيساً للقسم، والدكتور سعد بن حسين عثمان، والدكتور محمد بن منصور حاوي، والدكتور علي بن محمد عواجي، والدكتور صالح بن عون الغامدي (رحمه الله)، والدكتور حسن الشوكاني، أما الذين قدموا من فرع جامعة الملك سعود فأذكر الاستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس الجبيري الشهري .

تنوعت المقررات الدراسية في برنامج الماجستير، إذ كان القسم حريصاً على ذلك لتكوين مخرجات علمية قادرة على المساهمة في تطوير الدراسات التاريخية أسوة ببقية الجامعات السعودية، وعليه فقد اشتملت الخطة الدراسية على دراسات في التاريخ القديم خاصة تاريخ الجزيرة العربية، ودراسات في التاريخ الإسلامي، ودراسات في تاريخ الدولة السعودية وتاريخ القضية الفلسطينية والدور السعودي في دعم فلسطين، وكان لدراسة المخطوطات وتحقيقها مكانة معتبرة في البرنامج وقد قدم لنا الدكتور محمد حاوي خلاصة

(x) تحفظ لنفس في ملف د. غيثان بن جريس ١٤٢٧/١٣/١٩هـ

-٧-

تابـــع ملحـــق رقـــم (٦)

(١٧)

تجربته في موضوع تحقيق المخطوطات، وكذلك بقية الأساتذة الأفاضل كل في مجال تخصصه، لكن ما قدمه لنا الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس كان مختلفاً تماماً إذ لم يكن يكتفي بالمراجع وبعض المصادر بل شرق بنا وغرب، ويبدو أنه لم يكن يعترف بالتقسيم الثلاثي للتاريخ، حيث تناولنا بالدراسة تاريخ الجزيرة العربية منذ فجر التاريخ وحتى القرن العاشر تقريباً، ولم يكن يقتنع بالمصادر التاريخية فقط بل عرج بنا على كل ما له علاقة بالجزيرة العربية من كتب الحوليات والجغرافيا والرحلات والأدب والمعاجم اللغوية والأنساب والطبقات والشعر وغيرها من أوعية العلم .

أتممنا الفصول الثلاثة بساعاتها الثلاثين، وبدأ الجميع في البحث عن موضوع مناسب للرسالة العلمية التي خصص لها ست ساعات على اعتبارها بحثاً تكميلياً، اجتهد الطلاب في اختيار موضوع الرسالة فاختار أكثر الزملاء عناوين لبحوث في التاريخ الحديث، واخترت موضوعاً في الحروب الصليبية بعد أن تواصلت مع أستاذي الدكتور محمد مؤنس في جامعة الشارقة فاقترح عليَّ موضوعاً عن أحد قادة الحملة الصليبية الأولى وهو الدوق جودفري البوايوني ودوره في العدوان على بلاد المسلمين في الفترة من (٤٨٨ - ٤٩٣هـ/١٠٩٥ - ١١٠٠م)، وبعد جهود ومحاولات تم وضع الخطة المقترحة للبحث، ولا يفوتني الدور الرائع والتوجيه المستمر من الدكتور علي عواجي - بحكم التخصص - إذ لم يبخل عليَّ سعادته بوقته وعلمه ومكتبته .

وفي نهاية العشرينيات من القرن الهجري الحالي انتقلت الجامعة والقسم إلى حي القريقر في الناحية الشرقية من حاضرة أبها، واشتمل المقر الجديد للجامعة على عدة منشآت تعليمية وإدارية وخدمية وطرق ومواقف، وتميز بوجود خزان مياه صمم بشكل جميل يراه القادم من مسافة طويلة، وما زال ماثلاً إلى يومنا هذا .

وعلى صعيد قسم التاريخ فقد تم تحديد موقعه في كلية العلوم الإنسانية في أحد المباني الواقعة في الجهة الغربية، هذا بالإضافة إلى تكليف الدكتور محمد بن منصور حاوي برئاسة القسم. وعوداً على بدء فإن الخطة المقترحة لموضوع رسالتي أصبحت جاهزة للنقاش، فتم تحديد موعد مناقشتها "سمنار"، وفي الموعد المحدد حضر عدد كبير من الأساتذة الأفاضل من المتخصصين وغيرهم، وفي حلقة النقاش تلك تعرفت على الدكتور

(*) تحفظ نسخة في مكتبة د. غيثان بن جريس ١٩/١٢/١٤٢٧هـ

تابع ملحق رقم (٦)

(١٨)

عبد العزيز أبو داهش الذي أمدني بملاحظات قيمة، وحقيقة الأمر إنني استفدت كثيراً وتعلمت كثيراً من الجميع .

كان للدكتور غيثان بن علي بن جريس فضل كبير إذ شرفني بقبول الإشراف على رسالتي، وبإقرار الخطة واعتمادها بدأت رحلتي مع جودفري البوايوني ذلك الصليبي المعتدي، واستمرت الرحلة ثلاث سنوات تقريباً. فالموضوع لم يكن محدوداً بل على النقيض من ذلك كان عالمياً وهو يمثل حلقة في الصراع بين الشرق والغرب، وبناءً على ذلك كان لزاماً على الباحث الرجوع إلى مختلف المصادر اللاتينية واليونانية والعربية والسريانية وغيرها، فتواصلت مع عدد من الأساتذة الذين أفادوني كثيراً، وأخص بالذكر أستاذي محمد مؤنس الذي تشرفت بلقائه في القاهرة فامدني بكثير من المصادر والمراجع الأجنبية وفتح لي قلبه كما فتح لي مكتبته، ونصحني بلقاء الاستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم غير أنني لم أتمكن من لقائه (رحمه الله).

بعد عودتي إلى جازان وإلى الدوق جودفري الذي أمسى حديث الجميع في المنزل، حتى إنني لاحظت علامات الغيرة من بعض أفراد الأسرة، عندما صار الدوق سميري في ليلي وهمي في نهاري، ولكن الهم الأكبر هو الوقت الذي يمضي سريعاً، لاسيما والأستاذ المشرف الدكتور غيثان معروف بشدته العلمية وهمته العالية ورهبته الأكاديمية على الرغم من تواضعه وإنسانيته وكرمه وحبه لطلابه وحرصه عليهم. وبعد الانتهاء من الرسالة وإجراء التعديلات التي أوصى بها المشرف، حدد موعد المناقشة التي جرت في يوم الأحد (١٤٣١/١/١٧هـ) وتمت إجازة الرسالة. وبذلك كان الفراق بيني وبين قسم التاريخ بجامعة الملك خالد. هذا والله من وراء القصد. وكتبه: صبري ناصر مكين (قرية خضير ـ منطقة جازان). الخميس (١٤٤٧/٣/١٩هـ الموافق ٢٠٢٥/٩/١١م).

(*) تحفظ النسخة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية
رئيس المكرمة أ.د. غيثان
١٩/٣/١٤٤٧هـ

تابـــع ملحـــــق رقـــــم (٦)

(من) مدونة رسالة من د. رشاد الشهري : (١٩)

(١)

سعادة الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس.   حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أشكرك على اتصالك يوم الخميس (١٢ / ٣ / ١٤٤٧هـ)وطلبك مني أن اكتب لكم عن تجربتي أثناء الدراسة بقسم التاريخ في أبها منذ كان القسم ضمن كلية التربية بجامعة الملك سعود فرع أبها عندما درست مرحلة البكالوريوس، ثم مرحلة الماجستير في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد. وهذا شرف لي يا أستاذنا الغالي فأدون لمحة موجزة عن تلك التجربة الطويلة والصعوبات التي واجهتني وبعض المواقف والذكريات.

تعد الدراسة الجامعية (البكالوريوس) من أهم المراحل التي يمر بها أي شاب حيث تنقله من نظام التعليم العام بمراحله الثلاث الذي اعتاد عليه مدة تزيد عن عقد من الزمان بين عائلته وأصحابه وجيرانه في قريته أو حارته، وعند انتقاله للدراسة الجامعية يشعر بتغير جذري في حياته وبخاصة إذا ذهب لمدينة أخرى ففي البداية يحس بالغربة والإحباط أحياناً وفترة اكتئاب وخاصة في الأشهر الأولى .

أصف إحساسي عندما خرجت من بلدتي تنومة للدراسة الجامعية بأبها في بداية العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري (العشرين الميلادي) ورغم قرب المسافة بين تنومة وأبها إلا أن تلك المشاعر السلبية سيطرت عليّ فترة من الزمن، والذي هونها عليّ وجود بعض زملاء المرحلة الثانوية معي، إضافة لعدد من أبناء تنومة، وكانت أكبر معضلة واجهتني وربما الكثير من الطلاب عدم المعرفة بنظام الجامعة من جداول ومعدل تراكمي وغيرها مما كاد يفقدني مواصلة الدراسة .

في بداية الفصل الدراسي الأول ومعي مجموعة من الطلاب ،كنا لا نعلم بالتسجيل الأكاديمي والحصول على بطاقة جامعية من عمادة القبول والتسجيل، وقد ذهبنا لموظفي لعمادة فأعادونا لعميد الكلية الدكتور عبدالوهاب بابعير (رحمه الله) ولن أنسى موقفه معنا، فقد كان بمكتبه رجل ذا قيمة وهيبه، لكنه استقبلنا وترك ضيفه ورحب بنا، ثم شرحنا له حالنا فهون علينا وأمر بحل مشكلتنا وتم تسجيل مواد الفصل الأول .

- ١ -

(١) وصلتني هذه المذكرة من الدكتور رشاد بن علي الشهري [مرفقاً بها] لمحة عن التاريخ في فرع جامعة الملك سعود بأبها، ثم جامعة الملك خالد

[التوقيع: illegible] [١٤ / ٣ / ١٤٤٧]

تابع ملحق رقم (٦)

(٢)

كانت مواد الفصل الدراسي الأول مدخل علم التاريخ، ومدخل الجغرافيا، ومادة في اللغة الإنجليزية، مع بعض مواد الثقافة الاسلامية واللغة العربية، وبعد الفصل الاول يختار الطالب مسارة، وفي الفصل الثاني تم اختياري تخصص التاريخ، وقد كنت راغبا في هذا العلم، وكان مرشدي الأكاديمي الدكتور غيثان بن جريس، وفي القسم حينها مجموعة مميزة من اساتذة التاريخ من بعض الجنسيات العربية: مصر، والسودان، والأردن بالإضافة للدكتور غيثان وكان السعودي الوحيد بالإضافة إلى عميد الكلية الدكتور بابعير.

لم تكن المواد الدراسية سهلة، فكانت خطة القسم شاملة من التاريخ القديم والوسيط والحديث، والعديد من المواد التربوية كمتطلبات للجامعة والكلية. لم تكن الكلية تعقد أو تقدم ندوات إرشادية وتثقيفية للطلاب بأنظمة الجامعة، ولم نعرف الاجراءات الجامعية بشكل جيد إلا بعد مرور عام تقريبا، وتلك كانت من أكبر السلبيات وشكلت لي وغيري من الزملاء معضلة كبيرة خصوصا في المعدل التراكمي أول فصل دراسي، وهو الذي يبنى عليه بقية فصول الدراسة، مما اضطر بعض الطلاب للانسحاب من الكلية والتوجه لقطاعات أخرى لضعف المعدل التراكمي والرسوب في العديد من المواد، وكان من جهلنا أننا لم نسأل ونستفسر ولم يكن هناك وسائل تقنية للبحث الإلكتروني.

من الصعوبات الأخرى عدم معرفتنا بطرق التعامل مع المكتبة الجامعية، فلم يأخذنا أي أستاذ لها ليعرفنا بطرق البحث عن كتاب أو كيف نستعير الكتب، ورغم هذه الصعوبات في العام الأول، إلا أن الوضع النفسي تحسن واندمجنا مع الدراسة واستطعت مع من تبقى من الطلاب التأقلم مع الوضع الجديد.

لم تخلُ مسيرتنا الجامعية من بعض المواقف الإنسانية لبعض الأساتذة مراعاة للظروف الطلابية الخاصة، وأذكر موقفاً لعميد الكلية الدكتور عبدالوهاب بابعير عندما كان يدرس بعض الساعات في قسم التاريخ، وفي إحدى المحاضرات لاحظ أحد الطلاب حزيناً مهموماً ودموعه في عينية، وعند نهاية المحاضرة اصطحبه لمكتبه لمعرفة مشكلته، وعرف أنه لم يتبق له سوى فصل دراسي واحد ويتخرج من الجامعة ولديه إنذار أكاديمي

(×) تحفظ نسخة مرقمة في مكتبي

- ٢ -

١٤/٣/١٤٢٧هـ

تابـــع ملحـــــق رقـــــم (٦)

(٢١)

قد يحرمه فرحة التخرج وينهي مستقبله، وكان يمر بظروف أسرية ومادية قاسية أثرت عليه، فما كان من الدكتور إلا أن شجعه ووقف بجانبه حتى تخرج. وتلك من المواقف الطيبة التي تحسب لذلك الرجل (رحمه الله) وجعلها في موازين حسناته، أما هذا الزميل فقد أصبح معلماً جاداً ومميزاً في مسيرته العملية.

أعود لمرشدي الأكاديمي الدكتور غيثان بن جريس الذي رغم شدته في التدريس وصرامته أحياناً في بعض القرارات فكان لا يسمح للطالب بتسجيل الساعات إلا حسب معدله وهذا من حرصه على الطالب، ولم يمكث طويلاً حتى أصبح رئيساً للقسم والحقيقة أنه كان حازماً مع الجميع وحاداً في ذات الوقت مع أعضاء هيئة التدريس والطلاب وهدفه بكل تأكيد المصلحة العامة، والطالب على وجه الخصوص فجزاه الله خير الجزاء.

لا أعلم هل أقول كان حظي العاثر أو الجيد عندما أتت مادة بحث التخرج عند الدكتور غيثان، فقد كلفني ببحث صعب جداً على طالب بكالوريوس، وكان عن (آثار وادي عيا)، والحقيقة أنني لقيت صعوبات كثيرة ومتنوعة في جمع المادة وفي الكتابة حتى أنجزته خلال أربعة شهور، وقد نال رضاه وأثنى عليه، وتلك التجربة رغم كراهيتي لها في حينها إلا أنها اكسبتني مهارات بحثية جيدة، واستفدت من الملاحظات إلى الآن، وما زالت تلك النسخة بملاحظاتها عندي في مكتبتي إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م). وتخرجت بفضل الله (عز وجل) عام (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) بعد رحلة شاقة وقاسية، لكنها مازالت من أجمل ذكريات العمر، وآمل أن أكتب سيرتي العلمية والعملية في المستقبل.

بعد تخرجي وعملي في ميدان التعليم كانت الأحلام تراودني بإكمال الدراسات العليا ومع افتتاح برنامج الماجستير في جامعة الملك خالد في بداية العشرينيات من القرن الحالي (١٥ هـ/٢١م) إلا انها لم تسمح ظروفي لإكمال المسيرة إلا عام (١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م) في الجامعة نفسها ضمن برنامج التعليم الموازي، وكانت المواد فيه مكثفة على مدار عامين دراسيين، وقسم التاريخ وقتها يضم أساتذة مميزين لهم من التجربة الشيء الكبير ومعظمهم من السعوديين، بالإضافة إلى أعضاء هيئة تدريس آخرين من الجنسية

(*) يحفظ النسخ ضمن أوراق مكتبتي الخاصة ... ١٤/٣/١٤٤٧هـ

تابــع ملحـــق رقـــم (٦)

(٢٢)

اليمنية والمصرية، وكان الحضور مسائياً نتيجة لارتباط طلاب البرنامج بوظائف، وكان البعض منهم يأتون للدراسة من أماكن بعيدة، والحقيقة أن القسم كان متعاوناً معنا في المواعيد، وما يحسب لهم بكل أمانة جديتهم في التعليم وتكثيف التكاليف والأبحاث إضافة لصعوبة أسئلة الامتحانات، وكل هذا لا يروق للطالب على اية حال ومنهم أنا لكثرة الانشغالات ولانقطاع دام حوالي عشرين سنة من الدراسة، إضافة لقطع مسافة حوالي (٣٠٠كم) في الذهاب والعودة خلال أيام العمل وثلاثة أيام من كل أسبوع.

تلك من أبرز العقبات، لكن بالجد والمثابرة تحققت الأمنيات بنور الله وتوفيقه.

ومن أكثر الأساتذة ضغطاً على الطلاب بكثرة الأعمال والقراءات والأوراق العلمية الدكتور غيثان بن جريس، وتوقعت بعد سنوات طويلة من العمل أن خفت قسوته ولان جانبه، لكنني تفاجأت بالعكس تماماً، وللأمانة فإنه قد أعطانا الكثير والكثير من خبرته وتجربته دون قصور من بقية الأساتذة الفضلاء الآخرين، فلم يبخلوا علينا بشيء، وقد تجنبت ذكر الأسماء واكتفيت بذكر الدكتور غيثان لأنه من طلب مني كتابة هذه الشهادة التي سوف ينشرها بطريقته.

أتذكر في الماجستير عند توزيع الطلاب في مادة بحث التخرج على أساتذة القسم أن كان حظي مع الدكتور غيثان بن جريس وحينها تذكرت بحث التخرج في البكالوريوس، والحقيقة انني تضايقت لمعرفتي التامة بصعوبة التعامل معه في البحث العلمي فلا يقنعه إلا العمل الجيد، وتواصلت معه ولا يخلو أسلوبه من الشدة والصرامة، والحقيقة اني وقعت في مأزق لمعرفي بالرجل لمدة تزيد عن ربع قرن، وفي الأخير قبلت بالأمر الواقع واستعنت بالله، وتم الاتفاق على موضوع ليس بالسهل الكتابة فيه لشح المادة العلمية، وكان عن (سوق السبت الأسبوعي في تنومة خلال العصر الحديث)، وأثناء الإنجاز كان يتابع العمل باستمرار ويحرص على اللقاء لمناقشة ما تم عمله، وابداء الكثير من الملاحظات المكتوبة، وكانت يشعر من يراها بالإحباط فما بالك بمن تخصه. وتم بحمد الله إنجاز مشروع التخرج البحثي بصورة جيدة نالت رضا الدكتور غيثان ومن كان معه من المناقشين.

١٤٤٧/١٢/١٤

تابـــع ملحــــق رقـــم (٦)

(٢٣)

الحقيقة أن برنامج التعليم الموازي– نظام المقررات– كان مناسباً إلى درجة كبيرة لأنه يتيح الفرصة لمن فاتته فرص مواصلة الدراسة وكذلك مرونة البرنامج وتكثيف المواد العلمية فيه، مما يعطي الطالب مخزوناً معرفياً جيداً مع إكسابه للمهارات البحثية.

وأثناء دراستي للدكتوراه في جامعة القصيم التقيت بالعديد من الطلاب ومن جامعات مختلفة، وبشهادة أساتذة القسم هناك فقد كانوا يثنون على خريجي جامعة الملك خالد لمرحلة الماجستير لتمكنهم من مهارات البحث وقدراتهم العلمية الجيدة، وكنت ومن سبقني من الزملاء وحصلوا على الدكتوراه من جامعة القصيم مثالاً للتميز والتفوق العلمي، وهذا دون شك ناتج من الجدية في التعليم بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد، وما حصدنا ثماره فيما بعد. وفي الختام ارجو ان أكون دونت مادة علمية نافعة، وصلى الله وسلم على رسول الله.

من إعداد

الدكتور/ رشاد بن عبدالله الطنيني الشهري،

تنومة بني شهر(منطقة عسير) يوم الاربعاء

السبت (١٤٤٧/٣/١٤هـ/ الموافق٦/٩/ ٢٠٢٥م)

(*) ملحوظة: مادة هذه المذكرة عن قسم التاريخ بفرع جامعة الملك سعود بأبها ثم جامعة الملك خالد

أ.د. غيثان بن جريس

١٤٤٧/٣/١٤

تابـــع ملحـــــق رقــــم (٦)

(٢٤)

بعض ذكرياتي مع أقسام التاريخ في أبها خلال مرحلتيَ البكالوريوس والماجستير.

بقلم . د . سعيد بن علي الحتارشة الشهراني.(١)

سعادة الأستاذ الدكتور/غيثان بن علي بن جريس الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

هذه المدونة مرسلة لك يا أستاذي العزيز وتحكي مشاهدات طالب بكالوريوس وماجستير في أقسام التاريخ بمدينة أبها ما بين عام (١٤١٣هـ ــ١٤٣٠هـ). ففي عام (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) كان هناك شاب في المرحلة الثانوية يعيش في إحدى القرى الجنوبية (قرية بريم السليل) الحالمة، يتطلع لمستقبل مشرق رغم أنه لم يكن يملك خارطة واضحة لمسيرته القادمة. وكان يحمل أحلاماً بريئة، ويشعر أحياناً بالقلق من الغد، لكنه كان مؤمناً بأن الله يختار للإنسان الخير حيث لا يدري، كل هذه الأحلام والتطلعات تدور بخلده وهو يرعى أغنام والده ووالدته وعددها لا يتعدى الخمسين، وكانت مصدر رزقهم يقتاتون من لبنها ولحمها وسمنها، وربما يدبغون من جلودها، وتكفي قوتهم البسيط الذي كان الخبز واللبن والسمن وتلك وجبة رئيسية في الإفطار والعشاء وربما الغداء أحيانا .

بعد إنهاء المرحلة الثانوية، ولأن والدي كان يعمل حارساً في المدرسة ـ وأشاهد الأساتذة والمديرين والمرشدين بشكل مستمر ـ عندئذ نصحني بعض الأقارب الالتحاق بكلية المعلمين في أبها، والمشكلة أننا لانعرف الكثير عن هذه الكلية، ولا التخصصات المتاحة سوى أن بعض الأقارب سبقوني للدراسة فيها بسنة أو سنتين. وقررت أنا وأخي الذهاب للتسجيل في إحدى كليات أبها، وأراد الله ـ عزوجل ـ أن نواصل السير حتى وصلنا فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية شمال حاضرة أبها على طريق

تابــع ملحـــــق رقـــــم (٦)

(٢٥)

الطـائف. وعنـدما توقفـت السـيارة وترجلنـا واتجهنـا إلى كليـة اللغـة العربيـة والعلـوم الاجتماعيـة، وهـي أول مبـنى واجهنـا مـن الجهـة الجنوبيـة، وتم اسـتقبالنا في بهـو المبـنى، وأخـذوا منـا الأوراق وأخـبرونا اختيـار التخصـص مـن خمسـة مجـالات، وجميعهـا أدبيـة، وتخصصنا الأصلي علمي.

تم اختيار عدة تخصصات وآخرها فيما أذكر كان التاريخ. وتم قبولي أنا وأخي في هـذا القسم، وكانت فرحتنا لاتوصف حتى لانفترق ونستمر في الدراسة سوياً، وتم قبول زميل لنا في المرحلة الثانوية بنفس التخصص، بدأنا الدراسة وكانت مشابهة للمدارس في التعليم العام، حيث نبدأ من السابعة صباحاً حتى الثانية عشرة بعد الظهر. لم نكن نعرف أي شيء عن ذلك التخصص؛ ولا عن موضوعاته ولا مستقبله. في بداية الدراسة، وجدت نفسي غريباً وسط قاعات ممتلئة بطلاب يعرفون شيئاً عن التاريخ وأبعاده، والحقيقة إني عانيت من رهبة المكان، وصعوبة المواد، وغرابة المصطلحات، لكنني لم أتراجع. بدأت اجتهد وأحضر المحاضرات بانتظام، وأقوم بواجباتي بشكل جيد.

مـع بداية الدراسة في الفصـل الدراسـي الأول (١٤١٤هـ/١٩٩٤م) نجحـت في جميع المواد ولكن بمعدل متدني، ولا أعرف السبب في ذلك، ولكن مع مرور الفصول الدراسية، بدأت أجد متعة في قراءة التاريخ، والتأمل في أحداث الماضي وكيف صنعت الحاضـر. وأحـب القـراءة في سِيَر القـادة والعلمـاء، والفتوحـات الإسـلامية والحضـارات القديمة، وعـن تاريـخ الجزيرة العربيـة. ووجـدت نفسـي أتطور علميا شيئاً فشيئاً، حتى أصبحت من أكثر الطلاب شغفاً بالقسم ودراسة التاريخ.

واجهت في مسيرتي التعليمية الجامعية عقبات كثيرة: كغربة المكان، وصعوبة بعض المواد، وقلة ذات اليد، وأحياناً إحباط من بعض الزملاء. لكني استشعرت أن طريق النجاح ليس سهلاً، وأن الصبر والعزيمة هما السلاح الحقيقي. وكنت أستيقظ مبكراً لمراجعة دروسي واستمر خلال النهار أقضي جميع أوقاتي في ميدان العلم والتعلم وبدأت أجتهد وأحرص على رفع المعدل حتى تمكنت في الفصل الرابع أو الخامس من الوصول إلى لوحة الشرف وتعليق اسمي كثالث على الدفعة وهذا شرف عظيم يصعب الوصول إليه

(يعتمد) تحفظ نسخة في مكتب [illegible] ٢٧/٣/١٤٢٧

- ٢ -

تابع ملحق رقم (٦)

(٢٦)

(*) كان في قسم التاريخ العديد من القامات العلمية التي درستنا في مرحلة البكالوريوس ولعلني أذكر منها:

١ – الدكتور صالح بن عون الغامدي (رحمه الله) درسنا مواد التاريخ الحديث ونصوص تاريخية باللغة الإنجليزية وربما الكثير من الطلاب كان لا يحب الدكتور ويتضايق منه، ولكنني كنت أعشق اللغة الإنجليزية والتاريخ الحديث فكنت أحصل على الدرجة كاملة عنده وهو بعد الله كان سبباً في رفع معدلي .

٢ـ الدكتور محمد عبدالحميد عيسى (رحمه الله) كان يدرسنا مواد في التاريخ الأندلسي وكأنني أرى دموعه (رحمه الله) تسقط كالخرز لأنني كنت في الصفوف الأولى عندما يتذكر قرطبة وغرناطة ويبكي على ضياعها من المسلمين. ونسأل الله أن تكون شافعة له.

٣ـ الدكتور سعد بن حسين بن عثمان وهو مشرف لرسالتي الماجستير فيما بعد ولكنه كان مشغولاً بالعمل الإداري في فرع الجامعة. أثناء مرحلة البكالوريوس فقد كان عميداً لكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، أو عمادة القبول والتسجيل وشؤون الطلاب .

٤ـ الدكتور سعد الحميدي ودرسني مادة واحدة فقط (منهج البحث التاريخي) .

٥ـ الأستاذ علي محمد عواجي ودرسني مادة المغول .

٦ – الدكتور محمد مؤنس عوض أستاذ تاريخ العصور الوسطى ودرسني مادة الحروب الصليبية، وأهداني مجلة علمية، ومازلت أحتفظ بها في مكتبتي، وهي من أفضل وأجمل الهدايا التي لامست شغاف القلب، ولها وقع كبير في نفسي، وكان ينصحنا ويطلب منا مواصلة الدراسة والاجتهاد .

٧ـ الدكتور أحمد محمد صابون ودرسني مواد التاريخ القديم لكنني للأسف لم أتمكن من معرفة أسلوبه وطريقته في الكتابة والاختبارات .

٨ـ الأستاذ محمد منصور حاوي، ودرسنا مواد السيرة النبوية والخلفاء الراشدين ولا يختلف كثيراً عن سابقه فله أسلوب وطريقة تفكير تختلف عن الجميع.

(*) تحفظ نسخه في مكتبي
د. محمد بن سعد بن عيضة الشهري
- ٣ -
د. محمد ١٤٢٧/٣/٢٧ﻫ

تابـع ملحـق رقـم (٦)

(٢٧)

٩ـ الأستاذ مسفر سعد الخثعمي درسني مادة مدخل علم التاريخ وهو معيد أول سنة، ثم ذهب للدراسة في الخارج ولم ألتقِ به إلا بعد تقاعده متعاوناً بجامعة بيشة.

١٠ـ هناك العديد من الدكاترة لا تحضرني أسماؤهم الآن في تخصص القرآن الكريم، والحديث النبوي، والجغرافيا، واللغة العربية، واللغة الإنجليزية، ومن أبرزهم الدكتور جبر سلومه (أو قريب من هذا الاسم) في النحو والصرف والبلاغة كان لديه خط رائع وجميل وأسئلة يكتبها خارج الصندوق، لكنني فهمته من أول محاضرة ــ ولله الحمد ــ على عكس الكثير من الزملاء الذين كانوا يحملون عنده المادة .

بعد سنوات من الجد والاجتهاد، جاءت لحظة الحصاد. وتخرجت من قسم التاريخ في منتصف شهر صفر عام(١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) بتفوق ليكون شاهداً على أن الإنسان قد يدخل طريقاً لا يعرفه، لكن الأقدار قد تخبئ له الخير الكثير. خرجت من الجامعة أحمل شهادة لم أتوقعها، ومعرفة وروحاً جديدة تؤمن أن الله يكتب للعبد ما هو خير وإن جهل. وبعد ثلاثة شهور من التخرج تعينت معلماً في تعليم بيشة .

وتلك رسالة للأجيال القادمة: أن لا يخافوا من المجهول، فقد يكون وراءه أبواب خير لا تخطر على بال. المهم أن يتمسكوا بالصبر، والإرادة ، وحسن التوكل على الله..

تحملت هم الوظيفة فكنت أول موظف براتب (٤٩٩٥) ريال في بيت العائلة ولديه العديد من الأخوة والأخوات الذين مازالوا على مقاعد الدراسة ودخل والدهم محدود ولابد من معاونته ومساعدته في ظروف الحياة. وكانت فكرة الدراسة وإكمال الماجستير والتقديم على الإعادة بجامعة الملك سعود حاضرة، وفعلا قدمت أوراقي، لكن والدتي أطال الله في عمرها كانت رافضة للفكرة جملة وتفصيلاً .

واصلت عملي معلماً حتى عام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، وفتح التقديم للدراسات العليا في جامعة الملك خالد وقدمت عليها وتم قبولي برفقة خمسة من الزملاء وهم دكاترة الآن: وهم (١) الدكتور مترك السبيعي جامعة الطائف. (٢) الدكتور محمد الخالدي جامعة الملك خالد. (٣) الدكتور شريع سعيد الشهراني ـ تعليم عسير. (٤) الدكتور صبري ناصر مكين ــ تعليم جازان. (٥) الدكتور سعيد الشهراني جامعة بيشة. والدكتور

١٤٢٧ ١٢/٢٧

تابع ملحق رقم (٦)

(٢٨)

صبري والدكتور شريع كانا أفضل منا تعليمياً لكن الفرص لم تتهيأ لهم للانتقال للجامعات السعودية.

(✦) بدأنا دراستنا في الجامعة وأشرف على تعليمنا كوكبة من الدكاترة و منهم على سبيل المثال غير الذين ذكرتهم سابقا:

أ- الدكتور غيثان بن علي بن جريس الشهري وكان يقسو علينا كثيراً في مواده، ولم أعرف فضله إلا بعد دراسة الدكتوراه، وكان يثقل كواهلنا بجمع المادة العلمية وقراءة الكتب، وفي أحد الفصول قمت بإحصاء ماجمعناه خلال الفصل فوصل عدد الأوراق إلى سبعة آلاف ورقة وربما تزيد، وهذا الكم الهائل من المادة العلمية نفعتنا وأصبح لدينا دراية في كيفية جمع المادة العلمية وتدقيقها وصياغتها في فترة زمنيه لاتتعدى أسبوعاً، وأذكر من المهام التي أوكلها لي قراءة في كتاب: الأغاني للأصفهاني، وهو مايقارب (٣٠) مجلداً، وكان علينا جمع المادة العلمية في موضوع يتم الاتفاق عليه، ثم نكتبها ونناقشها في وقت محدد، وكنت أرفع يدي إلى السماء وأدعو عليه لأنه شق علينا وأتعبنا كثيرا، ولكن بعد ذلك أصبحت أدعو له وأقبل رأسه غفر الله لنا وله وللمسلمين والمسلمات.

ب ـ الدكتور صالح حسن المسلوت أستاذ تاريخ العرب الحديث والمعاصر، فقد درَّسنا في أحد الفصول لظروف صحية أصابت بعض الزملاء بالقسم .

ج ـ أيضا الدكاترة الذين درسونا في البكالوريوس وأكملوا معنا بالماجستير وورد ذكرهم أعلاه.

(✦) من الملاحظات التي رأيتها وعاصرتها في مرحلة الماجستير بعد دمج فرعي جامعة الملك سعود وجامعة الإمام محمد بن سعود:

١ـ وجود مناكفات بين أعضاء هيئة التدريس أثناء مناقشة خطة الماجستير، وكان يوافق ذلك يوم مجلس قسم، وقد جلست أمام (١٤) قامة علمية. لكل منهم رأي وفكر يختلف عن الآخر، وكاد العنوان يكون أدراج الرياح لولا تبني الدكتور غيثان بن جريس لفكرة البحث وعنوانه واختياره لي وساعدني بعد ذلك بفتح مكتبته الخاصة وتزويدي بما يقارب (١٠٠) كتاب وبحث وربما تفوق ذلك فجزاه الله خير الجزاء، ثم

(*) تحتفظ لنفسي بنسخة

د. غيثان بن جريس

٢٧/١٢/١٤٢٧هـ

تابـــع ملحـــــق رقـــــم (٦)

(٢٩)

كان للدكتور سعد بن حسين بن عثمان كذلك دورٌ في موافقته على الإشراف علي رسالتيَ في نفس تلك الجلسة.

٢ـ التأخر في الإجراءات الإدارية في الجامعة مما أدى إلى فصل جميع الدفعة أكاديمياً من الجامعة وأخيراً قام معالي مدير الجامعة بإعادة قيدنا وتخرجنا.

٣ـ لاحظت أنه ربما تغلب الأهواء أو السماع من أشخاص في الحكم على بعض الطلبة ممن يدرسون الماجستير وهذا مؤشر غير جيد لا علميا ولا أخلاقيا .

٤ـ في المرحلة التي درسنا بها كانت الدراسة تقليدية تعتمد على الكتب والمراجع والمصادر الورقية، ومازلت محتفظا بها ولكن لابد من التغيير ومواكبة التطور الهائل في التقنية .

هذه بعض الخلاصات التي تذكرتها، وأعلم أنه مازال هناك الشيء الكثير الجدير بالدراسة والتوثيق، لأنها مدة طويلة قضيتها في طلب العلم بقسم التاريخ في فرع جامعة الإمام في أبها ثم جامعة الملك خالد. وتلك الأقسام لها جهود كبيرة على مستوى الكلية، والجامعة، والمنطقة، والوطن. ومن يدرس الآثار الإيجابية لأقسام التاريخ في أبها وبخاصة في المجال التعليمي والتنموي والحضاري فإنه سيجد مادةً كبيرة في هذا الباب. وصلى الله وسلم على رسول الله وآله وصحبه أجمعين.(١٤٤٧/٣/٢٧هـ)

ملحوظة
هذه مذكرة مختصرة عن قسمي التاريخ في فرعي جامعة الإمام في أبها ثم جامعة الملك خالد
أ.د. عشماوي
٣/٢٧ ١٤٤٧هـ

- ٦ -

تابـــع ملحـــــق رقـــــم (٦)

(ج) مدونة مرسلة من د. جمعان الشهراني : (٣٠)

(١)

سعادة أستاذي العزيز الأستاذ الدكتور غيثان بن علي جريس ... سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اتصلت عليَّ أستاذي المحترم بتاريخ الاثنين (١٤٤٧/٣/٩هـ الموافق٢٠٢٥/٩/٢م)، وطلبتَ مني أن أستعيد ما تحفظه ذاكرتي عن رحلتي العلمية في مرحلتي البكالوريوس والماجستير، وعن قسم التاريخ في كلية التربية بفرع جامعة الملك سعود في أبها، ثم في جامعة الملك خالد. وحين عدت إلى الوراء، وجدتني أسترجع مشاهد لا تزال نابضة في الذاكرة، تشكّل مجرى رحلة طويلة مع التاريخ.

بدأت الرحلة عام (١٤١٦هـ/١٩٩٦م) حين تركت قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة الملك سعود، وانتقلت إلى كلية التربية قسم التاريخ. لم يكن ذلك مجرد تبديل لمكان الدراسة، بل انتقال من عالم يركّز على صناعة الحاضر إلى عالمٍ يغوص في أعماق الماضي. وهناك، وتحت رئاسة الدكتور غيثان ابن علي بن جريس لقسم التاريخ آنذاك، أدركتُ أن هذا التخصص ليس رواية أحداث فحسب، بل علم له أدواته ومناهجه؛ يقوم على المصادر الأولية والثانوية، وعلى النقد الداخلي والخارجي، وعلى قراءة الأحداث قراءة تحليلية تُفسّرها لا تُكررها.

كانت المقررات نافذة إلى عوالم واسعة، وكان أساتذتنا من عدة جنسيات عربية تعلمنا منهم الكثير واستفدنا من تجاربهم العلمية والبحثية، وسأذكر أمثلة وليس الكل. فقد كان في مقرر تاريخ الشرق الحديث مع الدكتور علي عبداللطيف (مصري الجنسية)، حيث عشت تفاصيل التحولات السياسية والاقتصادية في الصين واليابان والهند خلال القرن التاسع عشر الميلادي، ومنها حرب الأفيون وما تلاها من آثار عميقة. ولم تكن الأحداث مجرد أسماء محفوظة، بل مشاهد تتجدد في الذهن، تكشف كيف تتشابك القوى العالمية مع العوامل المحلية في صناعة التاريخ. وفي مقرر تاريخ المغرب والأندلس مع الدكتور عفيفي محمود (مصري الجنسية)، بدا التاريخ وكأنه مرآة لسقوط حضارة كاملة، إذ لم يكن الحديث عن الأندلس مجرد سرد لانهيار دولة، بل درس في كيفية قراءة العوامل الاجتماعية والسياسية التي أدت إلى النهاية. أما مقرر تاريخ الشرق الإسلامي فقد كان يضعنا أمام سلسلة من الأحداث التي أعادت تشكيل العالم الإسلامي في العصر الحديث، بعمق يستند إلى تحليل الظواهر وربطها ببيئتها.

(١) هذه الورقات وصلتني من الدكتور جمعان الشهراني، وهو دارس عندنا في قسم التاريخ في كلية التربية فرع جامعة الملك سعود بأبها

حفظنا ... ١١/٣/١٤٤٧

تابــع ملحــــق رقــــم (٦)

(٣١)

في المحاضرات كان الدكتور السر سيد أحمد العراقي (سوداني الجنسية) مثالًا على المنهجية الصارمة؛ إذ لا يكتفي بسرد المعلومة بل يقرنها بالمصدر ويدفعنا لتدوين كل كلمة، حتى صار الاتفاق بيننا أن يتولى كل طالب تدوين محاضرة كاملة ثم نعيد صياغتها جماعيًا في المساء. لقد كان هذا الأسلوب تدريبًا عمليًا على توثيق المعلومات وتحويل المحاضرة الواحدة إلى مادة بحثية تتجاوز العشرين صفحة. كما كان للدكتور سيد أحمد يونس (مصري الجنسية) حضوره بمقرراته التي نقلت إلينا رؤية مختلفة في قراءة المصادر .

كان للسيرة النبوية أهمية تاريخية وأكاديمية بالغة، فهي ليست مجرد سرد للأحداث، بل دراسة متعمقة للشخصية النبوية وسياقها التاريخي والاجتماعي والسياسي. وقد أتاح لنا الدكتور غيثان بن جريس فرصة فريدة للتعامل مع هذا الموروث العظيم بمنهج نقدي وتحليلي، يتجاوز القراءة السطحية إلى فهم أعمق للروايات والمصادر المختلفة. كانت دراستنا للسيرة على يديه بمثابة رحلة معرفية، حيث لم نكتفِ بالنصوص التقليدية، بل تعلمنا كيف نميز بين الروايات الدقيقة والمرسلة، وكيف نحلل المؤلفات التي كتبها المستشرقون، مستعينين بالمنهج العلمي في دراسة التاريخ، وفحص الأدلة، ومقارنة المصادر المختلفة للوصول إلى صورة أكثر موضوعية ودقة.

لقد كانت المهام العملية التي كلفنا بها الدكتور غيثان جزءًا أساسيًا من هذه الرحلة العلمية، فقد أعدّ لنا مجموعة من الأسئلة التي صُممت لتطوير قدرتنا على البحث النقدي والتحليلي. كان علينا العودة إلى المصادر التاريخية الأصيلة، ومراجعة ما كتبه العلماء والمؤرخون عن السيرة النبوية، ثم صياغة إجاباتنا بأسلوب علمي متماسك، يراعي الدقة والتحقق من المعلومات. ومن خلال هذا التمرين، شعرت وكأنني أكتب كتابًا متكاملًا يشابه في عمق معلوماته وتنظيمه مؤلفات مثل كتاب "المباركفوري"، من حيث غزارة المحتوى ودقة التفاصيل، مع إضافة لمسة شخصية من التحليل النقدي.

إن قيمة هذه التجربة لم تكن في جمع المعلومات فحسب، بل في تطوير القدرة على قراءة التاريخ بفهم نقدي واعٍ، وفهم السياق الذي كُتبت فيه الروايات، والتفاعل مع النصوص بطريقة نقدية علمية. فقد أدركنا أن دراسة السيرة النبوية لا تعني مجرد حفظ الأحداث، بل فهم الدروس المستخلصة منها، وتحليل الأبعاد السياسية والاجتماعية والإنسانية التي أحاطت بها، وإعادة النظر في الروايات التقليدية بتساؤلات منهجية، تفتح آفاقًا جديدة للبحث والتفسير.

(*) تم حفظ نسخة ورقية ضمن وثائق مكتب د. غيثان بن جريس الخاصة

أ.د. غيثان ١٣/١١/١٤٤٧هـ

تابـــع ملحـــق رقـــم (٦)

(٣٢)

ومن الملاحظ أن دمج النقد التاريخي مع الدراسة الأدبية للسيرة قد منحنا تجربة فريدة، إذ شعرنا بأننا لسنا مجرد متلقين للمعلومات، بل مشاركين في إعادة بناء المشهد التاريخي، وتحليل شخصية النبي (ﷺ) بأسلوب علمي معمق. كانت هذه الدراسة بمثابة تدريب على التفكير النقدي، وصقل القدرة على البحث الأكاديمي، وإدراك كيفية استثمار المصادر التاريخية في بناء معرفة موثوقة. كما أنها أكسبتنا مهارات تنظيمية في عرض المعلومات وتحليلها، حتى يبدو النص النهائي قريبًا من الكتابة الأكاديمية المحترفة، غنية بالمراجع، دقيقة في الوقائع، وممتعة من الناحية الأدبية.

إن هذه التجربة تعكس كيف يمكن للمنهج الأكاديمي النقدي أن يحول دراسة السيرة النبوية من مجرد قراءة تاريخية إلى رحلة علمية معرفية متكاملة، حيث يمتزج النقد والتحليل بالسرد الأدبي، لتصبح السيرة مادة غنية بالمعرفة، وأداة لتطوير الفكر النقدي، وتعميق الفهم التاريخي، وإدراك القيم الإنسانية والاجتماعية التي حملها النبي (ﷺ) في عصره وما زالت تشع تأثيرًا حتى اليوم..

لم تكن المقررات التربوية المساندة أقل أثرًا، فقد ربطتنا بالواقع الاجتماعي والتربوي، وأكدت أن المؤرخ لا ينفصل عن دوره التربوي في صياغة وعي المجتمع، بل ان المواد التربوية من العلوم المساعدة لدراسة التاريخ وفهمه.

جاءت لحظة التخرج في مرحلة البكالوريوس ، وعملنا بحث تخرج جماعي تحت أشرف رئيس القسم الدكتور غيثان بن علي بن جريس، فاخترنا بحثًا بعنوان: **"تنومة: دراسة تاريخية للألعاب الرياضية ووسائل التسلية خلال القرن الرابع عشر الهجري – القرن العشرون الميلادي"**. واجتمعنا نحن الطلاب، ومن بينهم الأستاذ محمد سعد آل جابس الشهراني، وقسّمنا العمل بيننا. لم يكن البحث مجرد مهمة أكاديمية، بل تجربة ميدانية خرجنا فيها إلى الميدان، وسجلنا شهادات كبار السن، وقارناها بما ورد في الكتب. كان التاريخ هنا ينبض في الذاكرة الشعبية كما ينبض في الوثائق المكتوبة. لقد أدركنا أن البحث التاريخي الحقيقي يقوم على التوثيق الميداني والتحليل النقدي معًا، وأن دراسة الحياة الاجتماعية تكشف عن وحدة المجتمع وتشابهه رغم تنوع مناطقه.

انتهت مرحلة البكالوريوس عام (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م)، وبعد سنوات من العمل عدت عام (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) إلى جامعة الملك خالد لدراسة الماجستير في قسم التاريخ، وكان يرأس القسم حينها الدكتور سعيد مشبب القحطاني. كانت العودة إلى مقاعد الدراسة بعد انقطاع فترة من الزمن، وقد واجهت صعوبات كثيرة أثناء دراسة الماجستير، مثل السفر المنتظم من محافظة بيشة إلى أنها لمسافة

(*) حفظت نسخ ورقية ... ٣ - ...
... (ريف جريس) ...
١٤٤٧/١٢/١١

تابــع ملحـــــق رقـــــم (٦)

(٣٣)

تزيد على الساعتين والنصف بضعة أيام كل أسبوع، غير أن مشقة الطريق كانت جزءًا من الرحلة، تختبر الصبر كما تختبر الإرادة.

في هذه المرحلة، درست على أيدي نخبة من الأساتذة كان لكل واحد منهم أثره في جانب محدد من تكويننا الأكاديمي. فقد تعمقت من خلال مقررات التاريخ مع كل من الأستاذ الدكتور محمد حاوي، والدكتور سعد عثمان، والأستاذ الدكتور محمود قاسم، والأستاذ الدكتور أحمد آل فايع، والدكتور حسن الشوكاني، وقد تعلمنا النقد التاريخي وترسخ مفهوم البحث العلمي الدقيق وتعمقنا في فهم المنهجية التاريخية وفي بناء الإطار النظري للبحث التاريخي. كانت هذه المقررات أبوابًا إلى عالم البحث الأكاديمي المتخصص، تعلمنا من خلالها كيفية التعامل مع الوثائق التاريخية، وكيفية ممارسة النقد الداخلي والخارجي للمصادر، وكيفية المقارنة بين مناطق وأزمنة متعددة لفهم الظواهر التاريخية بعمق أكبر.

انتهت رحلة الماجستير بمناقشة الرسالة، لكنها لم تنته في الذاكرة. فقد غدت التجربة كلها لوحة متصلة: من قاعات البكالوريوس إلى أروقة الماجستير، من المحاضرات المكتوبة بخطوط سريعة إلى الوثائق التي خضعت للنقد، من التعب في الطريق إلى نشوة الفهم، ومن الحكايات الشعبية إلى النصوص الأكاديمية. لقد تعلمت أن التاريخ ليس مجرد مادة دراسية، بل هو وعي حي، يضيء الحاضر ويستشرف المستقبل...

هذا ما استطعت كتابته وحوته الذاكرة ، ومازال عند الكثير وقد أدون مذكرة أطول في الموضوع نفسه في قادم الأيام ، ونعتذر إذا نسينا أسماء أساتذتنا أو أحد من الزملاء ، ونسأل الله أن يجعل ما قدموه في ميزان حسناتهم، هذا والله يحفظكم .

كتبه تلميذكم الدكتور جمعان بن عبدالله الشهراني الموفد السعودي في إدارة سياسات وتطوير المناهج بمملكة البحرين الأربعاء (١٤٤٧/٣/١١هـ الموافق ٣/ ٩/ ٢٠٢٥م).

ملحوظة:
تم حفظ [illegible] المذكرة ضمن أوراق
مكتب د. عثمان بن [illegible]
[illegible] العلمية
د. عثمان
١٤٤٧/٣/١١

تابـــع ملحـــــق رقـــــم (٦)

(×) مذكرة مرسلة من الدكتور عوض بن ناهي : (٣٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

أستاذي العزيز الدكتور غيثان بن علي بن جريس الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

وبعد اتصالك عليَّ وإخباري قيامك بدراسة عن مسيرة أقسام التاريخ في أبها، ثم طلبك مني المشاركة من خلال الذكريات والمعاصرة، ونزولا عند طلبك اكتب لك مدونة تحت عنوان : ذكرياتي عن كلية التربية فرع جامعة الملك سعود بأبها وجامعة الملك خالد(قسم التاريخ أنموذجًا)

كان تأسيس جامعة الملك خالد في أبها حدثًا تاريخيًا ومفصليًا في مسيرة التنمية بمنطقة عسير، وفي مسيرة التعليم الجامعي بوطننا الغالي عامة. لكن نظرة طالب وشاهد عيان في نفس الوقت عاصر هذه المرحلة كفيلة برواية الكثير عن تبعات هذا الحدث المهم من زاوية مختلفة. ففي عام (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) حظيت سروات منطقة عسير بزيارة ميمونة لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز الذي كان وليًا للعهد وقتها، عندما وضع –رحمه الله– حجر الأساس لتأسيس جامعة الملك خالد مدشنًا مرحلة جديدة وطموحة من تاريخ التعليم الجامعي في المنطقة.

لا شك أنَّ انعكاسات هذا الحدث التاريخي على طلبة الجامعات كانت قصة تستحق أن تُروى، إذ لم يمض سوى فصل دراسي واحد ليصدر قرار بضم طلاب قسمي التاريخ بفرعي جامعتي الملك سعود والإمام محمد بن سعود في مقر واحد وبرنامج واحد وخطة دراسية موّحدة. وكان من حُسن حظ طلاب فرع جامعة الملك سعود أنَّ الجامعة الوليدة (جامعة الملك خالد) أقرت الالتزام بنفس الخطة الدراسية بمستوياتها الثمانية ومسارها التربوي المميز وقتها.

وللحق فقد عانى مجموعة من طلبة قسم التاريخ بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود من الآثار السلبية لذلك القرار حيث اضطر بعضهم للعودة لدراسة مقررات إلزامية في مستويات مبكرة، فيما واجه آخرون معضلة تحميلهم عبء مواد لم تقبلها الخطة الدراسية الجديدة في معدلاتهم التراكمية. أما من انتقل من أقسام أخرى فكان لا بد من تحميله عبء معدل مواد لم يستفد منها في البرنامج الذي انضم له، مع الاعتراف بمرونة شروط التحويل من برنامج إلى برنامج آخر على خلاف ما تتبناه الجامعات اليوم من ضوابط دقيقة وصارمة.

إنَّ البدايات صعبة في أي كيان جامعي في طور التأسيس، فقد صدر قرار بفصل أقسام التاريخ والجغرافيا وعلم النفس عن كلية التربية وضمها إلى كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية

(١) هذه المذكرة من الزميل الدكتور عوض بن ناهي العسيري ومعاصر له - أ.د. مكتمل ذات صلة بأقسام التاريخ في أبها ١٤٤٧/٣/٨

تابــع ملحـــق رقـــم (٦)

(٣٥)

التي يقع مقرها ضمن مجمع فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – فرع الجنوب، على طريق الطائف .

كان لا بد للطالب أن يدفع ثمنًا آخر، فصدر قرار انتقالهم إلى ذلك المبنى متزامنًا مع قرار الهيكلة السابق ذكره. ولم يكن الانتقال إلى المبنى الجديد هو الثمن المنتظر بقدر ما كان توقيت الدوام المسائي الذي أُجبر عليه معظم طلبة قسمي التاريخ والجغرافيا فضلًا عن محدودية مواقف السيارات التي كانت مشكلة مؤرقة. وقد واجهت الجامعة الحديثة تحديًا حقيقيًا في توفر المباني المهيئة مقابل أعداد كبيرة من الطلاب ومرحلة جديدة من افتتاح كليات وأقسام جديدة تحت مضلة الجامعة الوليدة.

كان تعدد مباني مقرات الجامعة تحديًا آخر، حيث كان على طلاب الأقسام سالفة الذكر الانتقال من مقر الكلية الجديد إلى عمادة القبول والتسجيل الواقع على حزام المدينة لمعالجة تسجيل المقررات واستكمال الساعات المطلوبة بداية كل فصل دراسي، أو استلام نتائج الفصل الدراسي في أيامه الأخيرة، فضلًا عن المراجعات الروتينية مثل استلام المكافآت، وتجديد البطاقة الجامعية، وإجراءات السكن الطلابي، والحصول على بعض المشاهد والمستندات والوثائق الضرورية.

كانت مرحلة الدراسة في قسم التاريخ تجربة ثرية ساهمت في تحقيق شغف معرفي، وصقل مهارات الطالب، وتأسيس وعي عملي، وزراعة طموح لمستقبل يحلم به الطالب الجامعي في تلك المرحلة العمرية. وكان على طالب قسم التاريخ دراسة (١٢٨)ساعة تقريبًا ما بين مواد تخصصية وعامة وكان بعضها في الحقل التربوي، ويحصل الخريج على درجة البكالوريوس في التاريخ والتربية. وكان من محاسن دمج قسمي التاريخ أن زاد أعضاء هيئة التدريس السعوديين في القسم الجديد القديم، وتولت نخبة مميزة من الأساتذة تدريس الكثير من المقررات وقيادة القسم نحو مرحلة جديدة.

لم تخل الجامعة الجديدة من الممارسات السلبية المؤثرة على طلبة القسم وفي مقدمتها استهتار بعض القيادات الأكاديمية بحقوق الطالب الجامعي. ومن ذلك اتباع سياسة الأبواب الموصدة تجاه الطلاب وعدم الامتثال لأنظمة التعليم الجامعي في معالجة مشاكلهم، حتى أنَّ بعض المسؤولين كانوا يتعمدون في فرض العديد من الصعوبات والمعوقات في مسيرة الطلاب التعليمية.

ومن النماذج السلبية الأخرى لتلك الممارسات سياسة بعض أعضاء التدريس في مسألة الاختبارات ورصد الدرجات، حتى أنَّ نسبة التقدير عند أحدهم كانت تُقاس بعدد الأشبار وحشو

- ٢ -

(*) يحفظ نسخة من مكتبتي الخاصة
أ.د. عسيا ١٤٤٧/٣/٨هـ

تابــع ملحــــق رقـــم (٦)

٣٦

الكلمات، لا جودة المحتوى ودقة الإجابة، أو رضاه الشخصي على الطالب ولا أداؤه في ورقة الامتحان. والحقيقة أن الطالب الجامعي كان يفتقد وقتها للكثير من الخدمات التي تقدمها الأقسام الأكاديمية لمعالجة وضعه الدراسي وإنصافه، وفي مقدمتها الإرشاد الأكاديمي، وتطبيقات الجودة وغيرها من الممارسات التي ساهمت في رفع جودة التعليم الجامعي لاحقًا سواء في جامعة الملك خالد نفسها أو بقية جامعات المملكة. وفي المجمل فإن هؤلاء الكوادر يبقون نماذج قليلة أمام قيادات قديرة علمًا وخلقًا ووعيًا مرت على جامعة الملك خالد وعلى قسم التاريخ تحديدًا فأخلصت في خدمة الجامعة، وقدمت للطالب عصارة خبرتها علميًا وإداريًا وأكاديميًا. يضاف إلى ما سبق أن القسم حظي بنخبة مميزة من دول عربية شقيقة ساهموا في خدمة قسم التاريخ وتعليم طلابه معارف غزيرة ومهارات متنوعة.

لم يمض إلا وقت قصير على قرار دمج قسمي التاريخ آنفي الذكر، حتى فوجئ قسم التاريخ وقتها بقرار إغلاقه مع أقسام إنسانية أخرى لتكون أول ثمار ذلك القرار إيقاف القبول على برنامج البكالوريوس. ويُحسب لأساتذة القسم دفاعهم المستميت وسعيهم الحثيث للحفاظ عليه من مصير الإلغاء بحجة تشبع سوق العمل رغم أن نفس القضية كانت تواجه أقسامًا علمية أخرى. ولعل من تلك الجهود المشهودة كتاب أصدره رئيس القسم وقتها الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس عن قسمي التاريخ بجامعة الملك سعود والإمام محمد بن سعود متناولًا النشأة والتطور والتحولات وصولًا إلى قرار الإغلاق الذي نال نقدًا لاذعًا. ولعل من التحولات الإدارية الناتجة عن قرار الإلغاء، صدور قرار إلحاقي بدمج قسمي التاريخ والجغرافيا في قسم واحد باسم قسم العلوم الاجتماعية، لكن الجهود السابقة أتت ثمارها، وفتحت الجامعة باب القبول في برنامجي ماجستير في التاريخ والجغرافيا عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) وهو ما أعاد بارقة الأمل في التراجع عن قرار الإغلاق واستمرار قسم التاريخ على قيد الحياة.

كان من حسن حظ طلاب أول دفعة من برنامج ماجستير التاريخ في جامعة الملك خالد أن جميع الأساتذة هذه المرحلة هم أساتذة سعوديون أجلاء بخلقهم الراقي وعلمهم الغزير، فقدموا عصارة جهدهم وخلاصة خبرتهم في مناهج البحث التاريخي، وأدوات التوثيق المرجعي، ومهارات تحقيق المخطوطات، وقراءة الوثائق، والبحث في الأرشيفات وغيرها.

(*) تم حفظ في مكتبتي الخاصة

أ. د. غيثان ١٤٤٧/٣/٨هـ - ٣

تابــع ملحـــق رقـــم (٦)

٣٧

كانت رحلة الدراسة التمهيدية لدرجة الماجستير ثلاثة فصول دراسية (ثلاثون ساعة)، إضافة إلى رسالة الماجستير التي يُشترط على الطالب كتابتها والحصول على معدل لا يقل عن (٣,٧٥)، وكان على الطالب إعداد خطة تفصيلية لمقترح البحث، وتقديمها في حلقة (سمينار) بحضور أساتذة القسم. ويُحسب للقسم وقتها تفعيل برنامج الإرشاد الأكاديمي الذي ساهم في توجيه طلبة الدراسات العليا نحو مجالات بحثية فاعلة ومهمة تحولت إلى رسائل ماجستير نالت النجاح وقتها.

وهناك تحول آخر لا يمكن تجاوزه وهو دمج قسم التاريخ بكلية التربية للبنات سابقًا بالقسم القائم، فأصبح هناك شطر للبنات من عضوات هيئة تدريس وكادر إداري وطالبات. وكاتب هذه السطور لم يعاصر هذه المرحلة عن قرب لكن المنطق يقول أنه أعطى القسم قوة أكاديمية جيدة. واستطاع قسم التاريخ بجامعة الملك خالد بفضل الله ثم دعم سمو أمير المنطقة وقيادات الجامعة، وإخلاص منسوبيه تجاوز تحدي البدايات، ومخاطر الإغلاق، فاستعاد ريادته الأكاديمية، وأُعيد برنامج البكالوريوس لشطري الطالبات والطلاب، وتطور برنامج الماجستير وافتتاح برنامج الدكتوراه بمساراته الثلاثة (تاريخ قديم، تاريخ إسلامي، وتاريخ حديث ومعاصر)، وتأسست مجلة متخصصة في الدراسات التاريخية والحضارية مرتبطة بالقسم. وكان آخر حدث لعلم التاريخ إنشاء مركز متخصص لتاريخ منطقة عسير تأكيدًا على أهمية هذا التخصص العريق في توثيق وحفظ تاريخ البلاد وتوظيفه في مسيرة التنمية والبناء التي تشهدها بلادنا (المملكة العربية السعودية) في ظل رعاية كريمة من حكومتنا الرشيدة. والله ولي التوفيق. وكتبه: د. عوض ابن عبدالله بن سعد بن ناحي العسيري (جامعة نجران)، (١٤٤٧/٣/٨هـ الموافق ٢٠٢٥/٨/٣١).

(*) ملحوظة:
تم حفظ نسخة ضمن أوراق
مكتب د. هشام بن ...
المطلع
أ.د. هشام
١٤٤٧/٣/٨

تابــع ملحـــــق رقـــــم (٦)

(٣٨)

ذكريات وانطباعات شخصية عن الدراسات العليا وقسم التأريخ والآثار في حاضرة أبها . بقلم . أ . أحمد بن مريع أبوزوعة العسيري. (١)

سعادة الدكتور غيثان بن علي بن جريس . الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أشكركم عندما اتصلت عليَّ وأخبرتني عن رغبتك في إنجاز دراسة توثيقية عن أقسام التاريخ في مدينة أبها منذ نهاية القرن الهجري الماضي إلى الآن(١٤٤٧هـ/٢٠٢٥)، وطلبت مني المشاركة في هذا المشروع العلمي، ونزولا عند رغبتك وطلبك ارسل لك هذه المدونة المختصرة، وهي على النحو الآتي:

أ - لمحة عن الدراسات العليا في جامعة الملك خالد.

بدأت علاقتي مع الدراسات العليا بجامعة الملك خالد مباشرة في عام (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧ م)، عندما التحقت بالعمل في عمادة الدراسات العليا، وفي تلك الفترة تم تعيين الأستاذ الدكتور عامر بن عبدالله الشهراني عميدًا للدراسات العليا، وكانت مرحلة مهمة في تاريخ الجامعة، تمثلت في ضم كليات البنات وكلية المعلمين والكليات الصحية الى الجامعة، وذلك التغير والتوسع للتعليم الجامعي يتطلب إعادة تنظيم وهيكلة مؤسسات الجامعة ومنها عمادة الدراسات العليا، وأقول لقد كان اختيار الدكتور عامر موفقًا لقيادة هذه المرحلة، نظرًا لخبراته الواسعة ومعرفته بلوائح وأنظمة الدراسات العليا، حيث أتى من عمادة كلية التربية التي كانت رائدة في مجال برامج الدراسات العليا بالجامعة، ومنها مرحلة الماجستير، ثم التوسع في برامج الدكتوراه.

كان أحد القرارات التي اتخذتها الجامعة آنذاك إيقاف القبول في برامج الدراسات العليا بكليات البنات، ثم تحويل القبول ليكون تحت إشراف الأقسام العلمية الرئيسية لكليات الجامعة، وللجنسين الطلاب والطالبات، وتم تحديد قبول أعداد محددة (خمسة طلاب، وخمس طالبات) لمعظم البرامج كتجربة أولية في عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) لتجنب الضغط على الكليات والأقسام العلمية خلال مرحلة التنظيم والهيكلة الأولية، وتم التركيز على تطوير الاحتياجات اللازمة لتنظيم البرامج وزيادة القبول وتعديل الخطط الدراسية بما يتناسب مع متطلبات تلك المرحلة

(١) مدونة من الأستاذ / أحمد أبوزوعة عن قسم التاريخ في جامعة الملك خالد ٢٠/٤/١٤٤٧هـ أ.د. غيثان ١٠/١٢/٢٠٢٥م

تابـــع ملحــــق رقـــم (٦)

(٣٩)

في ظل رؤية العمادة وتوجيهات إدارة الجامعة، عملت عمادة الدراسات العليا على متابعة أوضاع الطالبات المقيدات في برامج الدراسات العليا بكليات البنات اللاتي لم يتم تعيين مشرفين لرسائلهن العلمية حتى ذلك الوقت، وتم تحويل بياناتهن للأقسام العلمية الرئيسة بالجامعة ومنها قسم التاريخ والآثار لتعيين مشرفين حسب اللوائح بالتنسيق مع كليات البنات، بهدف ضمان سير العملية الأكاديمية بسهولة ويسر.

تميز العمل في عمادة الدراسات العليا بتطوير مسارين متوازيين؛ الأول يتعلق بالدراسات العليا بكليات الجامعة وتشمل الطلاب والطالبات، وذلك يتطلب تطويرًا مستمرًا بالتنسيق مع الأقسام والجهات ذات العلاقة. أما المسار الثاني، فهو متابعة الدراسات العليا بكليات البنات وقد واجهت الجامعة تحديات كثيرة مثل: غياب النظام الإلكتروني لتسجيل البيانات الأكاديمية والإشراف العلمي، ونقص أعضاء هيئة التدريس المؤهلين للإشراف على الرسائل العلمية الجامعية، وقد ساهم الدكتور عامر بصفته مشرفًا عامًا على كليات البنات ، بالإضافة إلى إشرافه على عمادة الدراسات العليا في التغلب على الكثير من تلك المشاكل والمعوقات .

عندما تولى الأستاذ الدكتور محمد بن مفرح القحطاني عمادة الدراسات العليا بعد الدكتور عامر ، استمر العمل على التطوير لمواكبة تطلعات رؤية الجامعة، لا سيما بعد الانتقال إلى المقر الجديد للجامعة في حي القريقر، وذلك التطور والتحول المكاني أوجد بيئة أكاديمية مناسبة لدعم التوسع وزيادة أعداد القبول والبرامج الدراسية بما يلبي احتياجات الأقسام وسوق العمل وخدمة المجتمع، ومن ثمار ذلك فتح القبول في برامج الماجستير بنظام المقررات (التعليم الموازي) الذي أتاح فرصة أكبر للطلاب والطالبات للالتحاق بالدراسات العليا. وكان قسم التاريخ كغيره من الأقسام التي عملت بتوجيه الإدارة العليا بالجامعة وفتح برنامج الماجستير بنظام المقررات، وقد عاصرت وشاهدت وسمعت امتعاض البعض من أعضاء هيئة التدريس إزاء هذا البرنامج المستحدث .

بالعودة إلى برامج الدراسات العليا الخاصة بكليات البنات خلال الفترة (١٤٢٥ـ ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٤ـ٢٠٠٧م)، فقد قدم قسم الرياضيات والكيمياء برامج ماجستير ودكتوراه وصلت فيها أعداد الخريجات إلى (٢٨) طالبة ماجستير و (١٣) طالبة دكتوراه. أما الأقسام الأدبية (الدراسات الإسلامية، واللغة العربية، والتربية وعلم النفس، والتاريخ والحضارة، والجغرافيا، واللغة الإنجليزية) فقد تخرج في تلك الأقسام (١٨٦) طالبة ماجستير و (٢٩) طالبة دكتوراه.

تابــع ملحـــق رقـــم (٦)

(٤٠)

كان قسم التاريخ والحضارة بكلية البنات الأقسام الأدبية في أبها تحت إدارة الجامعة قد أتاح برنامج الماجستير في التاريخ الإسلامي، وكانت أول طالبة ماجستير تحصل على الدرجة هي الطالبة/ وجدان عبدالله أبكر عبدالله خان عام (١٤٣٠ هـ/٢٠٠٩م) برسالة عنوانها: **الحياة العلمية زمن الدولة التيمورية (٧٧١ ـ ٩٢١ هـ / ١٣٦٩ ـ ١٥١٦م)** بإشراف الدكتور محمود أحمد محمد سيد قمر من جامعة جازان.

أما مرحلة الدكتوراه، فتضمنت تخصصي التاريخ الإسلامي، والتاريخ الحديث والمعاصر، وأول طالبة حازت على درجة الدكتوراه هي الطالبة/ منى قائد مشبب آل ثابتة ـ عام (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، وكان عنوان رسالتها: **حصار المدينة المنورة وانعكاساته الداخلية وموقف الحامية العثمانية (١٣٣٤-١٣٣٧هـ /١٩١٦-١٩١٩م)**، والمشرف على تلك الرسالة الدكتورة/ دلال مخلد الحربي من جامعة الأميرة نورة.

(❖) اعداد طالبات الدراسات العليا بقسم التاريخ والحضارة..

المرحلة	التخصص	العام الجامعي	العدد
الماجستير	التاريخ الإسلامي	١٤٢٦-١٤٢٧هـ	٣
		١٤٢٨-١٤٢٩هـ	٣
الدكتوراه	التاريخ الإسلامي	١٤٢٥-١٤٢٦هـ	١
	التاريخ الحديث والمعاصر	١٤٢٥-١٤٢٦هـ	٤
		١٤٢٦-١٤٢٧هـ	١
الإجمالي			١٢ طالبة

- ٣ -

(٨) تمطا لسن
م/ المليـ م. د. الشيصات

تابــع ملحـــق رقـــم (٦)

(٤١)

ب – وقفة مع قسم التاريخ والآثار في جامعة الملك خالد.

التحقتُ بالدراسات العليا بقسم التاريخ في عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) لدرجة الماجستير بنظام المقررات (التعليم الموازي)، وانتظمتُ على مقاعد الدراسة. وأكملتُ تلك المرحلة في نهاية عام (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)، وأشرف على بحث التخرج الدكتور حسن بن يحيى الشوكاني، وكان عنوانه: المنتجات الزراعية وطرق تسويقها في الأندلس في القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) من خلال رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة.

من أبرز الملامح الإيجابية لتلك المرحلة الشعور الجميل بالعودة إلى ميدان التعليم والتعلم بعد انقطاع لبعض الوقت، وكان إطلاق برامج الماجستير بنظام المقررات، وتحديد وقت الدراسة في الفترة المسائية، مشجعا ومساعدا للانضمام إلى الدراسات العليا لمن لم يتمكن من الالتحاق بالبرامج التقليدية، وقد توفّرت البيئة الأكاديمية في الجامعة لكثيراً من المقومات؛ مثل قاعات دراسية مجهَزة، ومكتبة متخصصة غنية بالمصادر والمراجع والدوريات العلمية، وهذا مما دعم عملية الاستزادة بالعلم والتعلم والخبرة والتجارب، وقد شاهدت وعاصرت اهتمام ملحوظ من أعضاء هيئة التدريس في القسم بالحث المستمر للطلاب على حضور المناقشات واللقاءات العلمية والندوات والمشاركة بالجمعيات التاريخية، (والسيمينارات) المتعددة للاستفادة العلمية والمعرفية والأكاديمية وغيرها.

في المرحلة التالية، التحقتُ ببرنامج الدكتوراه في مسار التاريخ الإسلامي عام (١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م)، و تزامنت السنة الأولى من الدراسة مع تطبيق نظام الفصول الثلاثة، ووجدت ذلك مناسباً لهذه المرحلة خاصة عند المقارنة مع مرحلة الماجستير، حيث صدر توزيع المقررات بشكل متوازن، وكل فصل يشتمل على ثلاثة مقررات، مما أسهم في التركيز والبحث بشكل أكبر، و أنهيتُ الدراسة المنهجية، وتم اعتماد خطة البحث بعنوان: **الثقافة الوافدة وأثرها على المجتمع المكي خلال العصر المملوكي (٦٦٧-٩٢٣هـ/١٢٦٩-١٥١٧م)**، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبدالعزيز محمد رمضان.

كانت الفترة الزمنية من مرحلة الماجستير إلى الدكتوراه حوالي عشرة أعوام، تخلل هذه الفترة مراحل من التغير والتطور في قسم التاريخ، كما هو الحال في مجتمع الجامعة بصفة عامة، وشأنه شأن الأقسام العلمية الأخرى، كمواكبة المتغيرات السريعة في البيئة الأكاديمية، ومن أبرز تلك المتغيرات التشجيع والاهتمام بتوظيف التقنية لدعم البحث العلمي، وكان لرئيس القسم الدكتور غرمان بن عبدالله بن غصاب الشهري أثرٌ واضحٌ في تعزيز التواصل العلمي بين الطلاب والقسم مثل دعوة طلبة

- ٤ -

تابــع ملحـــق رقـــم (٦)

٤٢

القسم إلى حضور جلسات (السيمنار) لمناقشة خطط البحث المقدمة للقسم التي تُعقد (عن بعد)، وهذا مما أسهم في تحسين وتنمية مهارات البحث لدى الطلاب واستيعاب الملاحظات العلمية من الحضور وبخاصة أساتذة القسم وبعض طالبات وطلاب الدراسات العليا .

مثل هذه الفعاليات تتيح للطلاب فرص فهم طرق البحث بشكل عميق وتعزز لديهم رؤية ناقدة ومستنيرة، وهذا التوجه العلمي يعكس أهمية الاطلاع والتفاعل المستمر ما بين القسم وطلابه، ومع الواقع العلمي لمواكبة المتغيرات وبناء معرفة منهجية متجددة، يتطرق له أعضاء هيئة التدريس أو ما يسمعه ويجده الطالب من خلال متابعته الحوارات وتوسيع مجالها باتجاهات متنوعة.

من خلال خبرتي وتجاربي، رغم أنها محدودة، لاحظت جودة وتأثير العمل الجاد في قسم التاريخ والآثار، خاصة من خلال تنظيم زيارات ميدانية لطلاب القسم في مختلف مراحله الدراسية إلى بعض المواقع التاريخية والأثرية. وهذا يعكس تميز القسم في ربط دراسة الطلاب بالمكان وأهميته. وتشمل الأنشطة زيارات بعض الرموز والشخصيات المؤثرة في المجتمع والمتخصصة في مجال التاريخ والحضارة والبحث العلمي مثل زيارة رئيس قسم التاريخ والآثار مع بعض طلابه للأستاذ الدكتور غيثان ابن علي بن جريس (مؤرخ تهامة والسراة) في منزله، بتاريخ يوم الاحد (٩/صفر/١٤٤٧هـ الموافق ٣/أغسطس/٢٠٢٥م)، و هناك الكثير ممن يستحقون هذه اللفتة، التي أعتقد أن أثرها ينعكس على طلبة القسم في المقام الأول لمعرفة الشخصيات المؤثرة في مجال علوم وفنون العلم والمعرفة المختلفة، ومن ذلك علم التاريخ والأثار، والبحث ومتابعة نتاجهم العلمي، وما يمكن للطالب أن يشاهده ويتعلمه ويستفيد منه.

من زاوية أخرى نجد حرص ومتابعة قسم التاريخ والآثار على التقدم العلمي لطلابه، من خلال تكريم المتميزين الذين أبدعوا وبرزوا في نشاطهم العلمي والمعرفي، وعلى إثره استحقوا الاحتفاء والتكريم، وهذه اللفتة والاعتناء من القسم تسهم في تعزيز ارتباط الطلاب بأساتذتهم، والاستمرار في تحقيق النجاح الأكاديمي.

يُعد إنشاء مركز متخصص في تاريخ منطقة عسير بجامعة الملك خالد خطو حيوية وجيدة جدًا في تعزيز دراسة تاريخ وتراث وحضارة وآثار المنطقة، وأرى أن هذا الأمر يحمل أهمية بالغة في وجوب دعم التعاون بين قسم التاريخ والآثار والمركز في خدمة الباحثين من الطلاب المهتمين بدراسة تاريخ جنوب المملكة العربية السعودية (تهامة وسراة)، وسوف ينعكس ذلك في طرح الخطط والآراء والمقترحات النافعة والمفيدة لتكون نقطة انطلاق مساعدة ومهمة للبحث العلمي الجاد والرصين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (٢٠/٤/١٤٤٧هـ)

- ٥ -

تحفظ لسن ومطلب

د. عيشان

تابــع ملحـــق رقـــم (٦)

(٤٣)

قراءة نقدية من خلال تجربتي الأكاديمية: قسم التاريخ بجامعة الملك خالد بين التميز والقصور. بقلم: الدكتور محمد علي آل ناهض(١)

سعادة الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس.   سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تفضلت مشكورًا أستاذنا القدير، بالتواصل معي يوم الجمعة (١٣/٣/١٤٤٧هـ الموافق ٥/٩/٢٠٢٥م)، وكعادتك المحمودة التي عُرفت بها في اهتمامك الكبير بطلابك، وتاريخكم الطويل في دعمهم وتشجيعهم علميًا وفكريًا. وقد شرفتني في تبني بعض المشاريع العلمية ذات الطابع التوثيقي، ودعوتني مؤخرا للمساهمة في مشروع علمي مهم يُعنى برصد وتوثيق جزئيات من مسيرة قسم التاريخ في جامعة الملك خالد بأبها، وهذا القسم يمتد تاريخه إلى ما قبل نشأة الجامعة نفسها، حينما كان جزءًا من فرعي جامعتي الملك سعود والإمام محمد بن سعود الإسلامية في أبها، ثم استقل لاحقًا ضمن الهيكل الأكاديمي لجامعة الملك خالد. وتلك فترة طويلة لهذا القسم امتدّت من نهاية القرن الهجري الماضي إلى الان (١٣٩٦- ١٤٤٧هـ/ ١٩٧٦- ٢٠٢٥م).

الحقيقة أني سعدت بهذه الدعوة والتكليف، الذي يمثل لي شرفًا علميًا وفرصة ثمينة للحديث عن تجربتي الشخصية داخل هذه القسم الأكاديمي الذي تجاوز تاريخه خمسة عقود، و قد تعلمت فيه واستفد و تأثرت فكريًا ووجدانيًا.

نعم تلقيت تعليمي العالي فيه من مرحلة البكالوريوس وحتى الدكتوراه، وهذا يمنحني زاوية خاصة للرؤية والتقييم. وبناء على ما تقدم، فإنني أعتزم في هذه الورقة أن أتناول تجربتي الأكاديمية من منظور نقدي يتسم بالموضوعية والابتعاد عن الشخصنة، وهو منظور أزعم أنه يمثل أحد أكثر أشكال

---

(١) هذه الورقة [illegible] الدكتور محمد بن علي العسيري [illegible] ذات صلة بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد (١٥/٣/١٤٤٧هـ)

تابـــع ملحـــق رقـــم (٦)

٤٤

النقد نضجًا، إذ يصدر عن طالب عرف وعاصر التجربة بكامل تفاصيلها وتفاعل مع بيئتها الأكاديمية والإدارية على مدى سنوات طويلة.

مع أني أكتب من زاوية نقدية، إلا أنني أقر بأن تجربتي تفتقر إلى عنصر المقارنة مع أقسام تاريخية أخرى في جامعات مختلفة، وهو ما قد يؤثر على درجة الاتزان في أحكامي بين الإفراط في النقد أو المبالغة في الإشادة. ولذلك، فإنني سأتجنب الإشارة إلى أي أسماء أو أوصاف محددة، حرصًا على الطابع التحليلي والتأملي لهذه التجربة، لا الشخصي أو التقييمي المباشر.

١ ـ مرحلة البكالوريوس ـ مفارقة التميز العلمي وضعف الأثر التربوي:

التحقت بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد في مرحلة البكالوريوس، وهي مرحلة أرى أنها مثّلت من جهةٍ فترة ذهبية على مستوى الكادر الأكاديمي، إذ كان القسم يضم في ذلك الوقت عددًا من الأساتذة المتميزين علميًا في مجالات التاريخ المختلفة: القديم، والوسيط، والإسلامي، والحديث، والمعاصر. هذه النخبة من الأكاديميين كانت – نظريًا – قادرة على إنتاج جيل بحثي متميز ينعكس أثره لاحقًا على الحراك الأكاديمي والثقافي في المملكة العربية السعودية . غير أن الواقع لم يكن على هذا النحو. فعلى الرغم من كفاءة أعضاء هيئة التدريس، فإن المخرجات لم تكن بمستوى التوقعات. وهنا بدأتُ أطرح تساؤلاً مشروعًا: كيف يمكن أن يجتمع التميز العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس مع ضعف المخرجات التعليمية والبحثية؟ وبعد تأمل طويل لهذه المفارقة، أرى أن أسبابها تمتد إلى طرفين أساسيين: إدارة القسم والكلية من جهة، والطالب نفسه من جهة أخرى.

فعلى مستوى الإدارة الأكاديمية، كانت هناك ثغرة واضحة تتعلق بغياب آليات متابعة وتقييم أداء الأساتذة، لا سيما فيما يخص طريقة تقويمهم للطلاب في نهاية كل فصل دراسي. إذ كانت الطريقة المتّبعة تعتمد بشكل كبير على الأسئلة المقالية المفتوحة، التي تتطلب إجابات مطولة، وهي طريقة لا تبدو عملية من الناحية الزمنية، إذ يصعب منطقيًا أن يتمكن الأستاذ من قراءة وتصحيح هذا الكم من الأوراق الطويلة بدقة خلال الفترة القصيرة بين نهاية الاختبارات وإعلان النتائج. وقد أدى ذلك إلى شيوع قناعة بين عدد من الطلاب بأن أوراقهم لا تُقرأ أصلًا، وأن التقويم يتم بطريقة جزافية تفتقر إلى الموضوعية. هذه القناعة لم تكن وليدة الإحساس العام فحسب، بل كانت مدعومة أحيانًا بتصريحات غير رسمية من بعض الأساتذة، خاصة في حالات الخلاف مع الطلاب. ورغم أنني لا أسعى إلى تقديم نقد هدام، فإنني أطرح هذا الرأي كمحاولة لفهم الأسباب التي أدت إلى عدم انعكاس التميز

(*) تحفظ نسخه في مكتب د. ...

١٥/٣/١٤٤٧هـ

تابـــع ملحــــق رقـــــم (٦)

(٤٥)

الأكاديمي على المخرجات الطلابية، وهو أمر يستحق التوقف عنده طويلًا من قبل مسؤولي القسم والجامعة.

٢ـ مرحلة الدراسات العليا ــ الانتقال إلى منهجية بحثية أكثر نضجًا:

في مرحلة الدراسات العليا، بدا أن هناك تغيرًا ملحوظًا مقارنة بمرحلة البكالوريوس، رغم بقاء بعض الإشكالات السابقة. فالثابت الذي لم يتغير تمثل في استمرار الطريقة التقليدية في التقويم، والتي لا تزال، في نظري، تفتقر إلى العدالة والموضوعية. أما المتغير الأبرز، فكان اعتماد القسم بدرجة عالية على التدريب البحثي كأداة رئيسة في العملية التعليمية.

فقد شكل البحث العلمي ما يقارب (٩٠٪) من محتوى الدراسة المنهجية، حيث كان يُطلب من الطالب إعداد بحوث علمية في كل مادة تقريبًا، ويُشرف الأستاذ على تطورها تدريجيًا من الفكرة إلى الكتابة ثم التقييم. هذه المنهجية، في رأيي، مثلت نقلة نوعية في طريقة تأهيل الطالب، وأسهمت بفاعلية في تنمية قدراته النقدية والتحليلية، فضلاً عن تعزيز مهارات الكتابة الأكاديمية والانضباط المنهجي. والحقيقة أنني مدين لهذه المرحلة بالكثير من النضج الفكري والمعرفي، إذ كانت نقطة تحول في تكويني كباحث في مجال التاريخ. غير أن ما يؤسف له، هو أن القسم — على ما يبدو — لا يدرك جيدًا حجم التميز الذي يصنعه بهذه المنهجية، مقارنة بما هو سائد في أقسام التاريخ الأخرى داخل المملكة. ولو كان هذا التميز موضع تقدير استراتيجي داخل القسم، لربما تمكن من استثماره في فتح آفاق جديدة لطلابه للمشاركة في النشاط الثقافي داخل الجامعة وخارجها، سواء من خلال المنتديات، أو النشر، أو تمثيل القسم في الفعاليات العلمية. فغالبًا ما بقي هذا التميز حبيس القاعات الدراسية، دون أن يتحول إلى مشروع مؤسسي واضح المعالم.

٣ـ توصيات لتحسين الأداء الأكاديمي وتعزيز روح القسم:

ليس من قبيل المبالغة التأكيد على فعالية النهج البحثي الذي يعتمده قسم التاريخ في مرحلتي الماجستير والدكتوراه. لكن أي تميز لا يُدعم ولا يُصقل، مصيره إلى التراجع والتلاشي. ومن هذا المنطلق، أرى أن من الضروري أن يعيد القسم النظر في عدد من الجوانب العملية و التنظيمية، ومنها :

أ ــ اعتماد أساليب تقويم أكثر عدالة وموضوعية، مثل تقديم ملخصات بحثية مختصرة، أو اختبارات تحليلية ذات طابع تطبيقي، أو مقابلات أكاديمية، بما يضمن أن تكون عملية التقييم انعكاسًا حقيقيًا لجهد الطالب.

(*) تحفظ لنسخ طباعته
د. عشا بن مرهي المطيري
د. عشا
١٥/٣/١٤٤٧

- ٣ -

تابــع ملحـــق رقـــم (٦)

(٤٦)

ب ــ نشر ثقافة النقد التاريخي بمسؤولية: والمهم أن يُغرس في نفوس الطلاب أهمية النقد التاريخي المنهجي، لا بوصفه وسيلة للهدم، بل كأداة لتحليل الروايات التاريخية وفهم السياقات. غير أن هذا النقد يجب أن يُمارس بوعي أكاديمي ومسؤولية معرفية، نظرًا لما قد يترتب عليه من تبعات فكرية أو مجتمعية.

ج ــ تمكين الطلاب من المشاركة في الحراك الثقافي: ويمكن للقسم أن يضع خطة لدمج طلابه في الحياة الثقافية من خلال برامج تدريبية، أو ملتقيات بحثية، أو فرص نشر في المجلات التاريخية المحكمة، مما يعزز من ثقتهم بأنفسهم، ويبرز دورهم في الساحة الأكاديمية الوطنية.

ختاماً:

أؤكد أن تجربتي في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد كانت حافلة بالدروس والخبرات، وأن ما طرحته هنا ليس إلا محاولة لفهم الواقع واستشراف الممكن. إذ إنني أؤمن بأن النقد الذاتي المدروس هو أولى خطوات الإصلاح، وأن القسم ــ بما يمتلكه من كفاءات علمية وتقاليد أكاديمية ــ قادر على تجاوز مكامن القصور، والبناء على عناصر التميز، ليأخذ مكانته التي يستحقها في خريطة التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية. وتحياتي لك يا دكتور غيثان ان منحتني فرصة المشاركة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. من إعداد ابنكم: د. محمد علي آل ناهض، مركز قنا بمحافظة محايل عسير. التاريخ (١٤٤٧/٣/١٥هـ الموافق٢٠٢٥/٩/٧م)

ملحوظة :
هذه المذكرة حفظت ضمن أوراق مكتبي
د. غيثان بن جريس العلمية
والعلم المعرفة م. د. غيثان
١٤٤٧/٣/١٥

تابـــع ملحـــق رقـــم (٦)

(٩٠) مدونة مرسلة من أ.د: سعد مشبب القحطاني:

(٤٧)

(١)

سعادة ا. د غيثان بن علي جريس حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

علمت أنك تعمل على إنجاز دراسة عن أقسام التاريخ في أبها، وتعلم أني كنت رئيساً لقسم التاريخ حوالي عشر سنوات (١٤٣٥– ١٤٤٤هـ/٢٠١٤–٢٠٢٣م)، وأدون لك في السطور التالية شيئاً مما عاصرته وعرفته:

١– تم دمج شطري الطلاب والطالبات تحت رئاسة قسم واحدة عام (١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م).

٢– إنشاء برنامج الدكتوراه عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) بمساراته الثلاثة (القديم، والاسلامي، والحديث) وكل برنامج يختلف تماماً عن البرنامج الآخر، ويدرس فيه الطالب سنه ونصف، وبعد ذلك الاختبار الشامل، واخيراً كتابة الرسالة العلمية .

٣– استحداث برنامج الدبلوم العالي في التراث الوطني المعتمد من الهيئة الوطنية لمدة عام دراسي واحد.

٤– تطوير خطة البكالوريوس بما يتوافق مع الرؤية الوطنية واستراتيجية منطقة عسير، وأصبحت تضم مساري التاريخ والآثار بدلاً من التاريخ. وتمت الموافقة على تعديل مسمى القسم إلى (قسم التاريخ والآثار).

٥–استضافة لقاء رؤساء أقسام التاريخ على مستوى الجامعات السعودية تحت رعاية جامعة الملك خالد ومناقشه كل ما يخص التخصص والخروج بنتائج تخدم التخصص وتعزز من مكانته العلمية بين كل التخصصات .

٦– عقد العديد من اللقاءات العلمية، ومنها على سبيل المثال محاضرة الأستاذ الدكتور جون هيلي من جامعه مانشستر فضلاً عن مشاركة الأعضاء في كثير من اللقاءات العلمية على مستوى الكلية والجامعة والجامعات الأخرى داخل المملكة العربية السعودية وخارجها .

(١) وصلتني هذه الورقة من الزميل الأستاذ الدكتور سعد بن مشبب القحطاني [illegible] جامعة الملك خالد. أ.د. غيثان ١٤٤٧/٣/١٠هـ

تابــع ملحـــق رقـــم (٦)

(٤٨)

٧- تشكيل العديد من اللجان الداخلية لدراسة ملفات المتقدمين من السعوديين للقسم بهدف التعيين كأعضاء هيئة تدريس على درجتي معيد وأستاذ مساعد.

٨- التعاقد مع أعضاء هيئة تدريس على درجتي أستاذ مشارك وأستاذ من جمهوريه مصر العربية، والسودان، والمغرب، واليمن .

٩- تشكيل لجان من أعضاء القسم لدراسة ملفات أعضاء هيئة تدريس في تخصص السياحة على درجه أستاذ مساعد ومعيدين (ذكوراً وإناثاً).

١٠- تخريج العديد من الطلاب والطالبات الحاصلين على درجات الماجستير والدكتوراه.

١١- استحداث برنامج الماجستير الموازي في فتره من الفترات وتخرج فيه عدد كبير من الطلاب والطالبات وحصلوا على درجه الماجستير بدون تقديم رسالة علمية .

١٢- مشاركة بعض أعضاء القسم في اللجان العلمية على مستوى الكلية والجامعة.

١٣- مناقشة بعض أعضاء القسم العديد من الرسائل العلمية (ماجستير، ودكتوراه) داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

١٤- انتقال كلية العلوم الإنسانية، وقسم التاريخ والآثار من مقر الجامعة القديم في مدينة أبها (حي القريقر) إلى المدينة الجامعية في القرعاء والحصول على مكان جيد جداً للكلية وأقسامها.

١٥- التعاقد مع بعض أعضاء هيئه التدريس السعوديين بعد تقاعدهم لسنوات طويله للاستفادة من خبراتهم التعليمية لمرحلتي الماجستير والدكتوراه وغيرها من الأنشطة المختلفة بالقسم.

١٦- نقل طلاب وطالبات الدراسات العليا من المقر القديم إلى مقر الدراسات العليا الجديد على طريق الملك عبدالله.

١٧- العمل الجاد والمتواصل من أجل الحصول على الاعتماد الأكاديمي في البرامج الأكاديمية المختلفة.

(*) تحفظ نسخة في مكتبتي الخاصة

أ. د. غيثان

١٣/١٠/ ١٤٤٧هـ

تابــع ملحـــــق رقـــــم (٦)

(٤٩)

١٨- مشاركة بعض أعضاء هيئة التدريس في القسم بأوراق علمية وبحثية في العديد من المؤتمرات واللقاءات على المستوى الإقليمي والعالمي، ومنهم من ترقى إلى درجتي أستاذ مشارك وأستاذ، وبعضهم أيضاً نشروا بحوثهم في مجلات علمية مرموقة .

١٩- ابتعاث بعض الطلاب لدراسة الماجستير والدكتوراه إلى بعض دول أوربا وبخاصة المملكة المتحدة (بريطانيا) في تخصصات التاريخ القديم والإسلامي والحديث.

هذا الذي استطعت تدوينه آمل أن تجد فيه ما ينفع ويفيد، وتقبلوا تحياتي، والله الموفق .

من إعداد الأستاذ الدكتور سعيد بن مشبب القحطاني، عضو هيئة التدريس بقسم التاريخ والآثار، جامعة الملك خالد الثلاثاء (١٤٤٧/٣/١٠هـ الموافق ٢/٩/ ٢٠٢٥م).

(*) ملحوظة:

تم حفظ نسخة من هذه البحوث ضمن وثائق مكتبة د. غيثان بن جريس الخاصة

أ. د. غيثان

١٤٤٧/٣/١٠

تابـــع ملحـــق رقـــم (٦)

(٥٠)

جامعة الملك خالد في عين طالب دكتوراة (١٤٤٥- ١٤٤٧هـ /٢٠٢٣- ٢٠٢٥م).

بقلم : أ . ناصر بن أحمد العمّاري الشريف.(١)

سعادة أستاذ الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

كلّفتني يا أستاذي بكتابة ورقة أدوّن فيها مشاهداتي و انطباعاتي عن جامعة الملك خالد بعين طالب دراسات عليا في قسم التاريخ والآثار خلال الأعوام(١٤٤٥ـ١٤٤٧هـ/٢٠٢٣ـ ٢٠٢٥م). وأنا ــ ابن الحجازــ المجاور لجامعتين من أعرق الجامعات السعودية؛ جامعة أم القرى الّتي نهلتُ من معينها في مرحلتي البكالوريوس والماجستير في تخصُّص التّاريخ، وجامعة الملك عبدالعزيز التي امتد عطاؤها وأثرها داخل المملكة العربية السعودية وخارجها .

أعلم جيدًا قيمة الجامعات الرّاسخة ودورها في صناعة العلماء والقادة جيلاً بعد جيل، فقد عرفت جامعة أمّ القرى على وجه الخصوص بعمقها التاريخي وأساتذتها الروّاد ومكانتها العلميّة التي لا تخفى على باحثٍ ولا طالب علم. ورأيت ان أوجه بوصلتي نحو جامعةٍ أخرى لأكمل فيها آخر مراحلي العلمية (درجة الدكتوراه) في تخصُّصي (التاريخ الإسلامي).

وأكرمني الله بأن أذهب إلى جامعة الملك خالد بأبها، الجامعة الفتيَّة نسبيًا، لكنها في العقد الأخير أخذت تخطو خطواتٍ واثقةٍ وعملاقةٍ لتلحق بركب الجامعات العريقة التي سبقتها بعقود؛ واستطاعت هذه الجامعة ــ بعزيمة القائمين عليها ــ أن تُرسّخ حضورها العلمي والبحثي، وتبني سمعةً تليق بمكانتها، حتى غدت شامخةً تنافس وتكمل عقد الجامعات السعوديّة الرائدة.

ما إن سجّلتُ طالبًا للدكتوراه في الجامعة عام (١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م))، وبالتالي عرفت أن طالباتها وطلابها ينتمون إلى مختلف مناطق المملكة العربية السعودية: الحجاز، ونجد، والمنطقة الشرقية، والشمال، والجنوب (تهامة وسراة)، بالإضافة إلى أعداد جيدة من الطلبة الدوليين، من بلدان عربية وإسلامية وأجنبية، وهذا في نظري مؤشرّ مهمّ يعكس المكانة التي وصلت إليها الجامعة، حتى أصبحت مقصدًا علميًا يُشد إليه الرحال، كما كنّا نلاحظه في الجامعات العريقة الّتي كانت قبلها.

(١) هذه المقالة [illegible] بجامعة الملك خالد [illegible] للأستاذ د/ ناصر الشريف [illegible] ١٣/٦/١٤٤٧

تابـــع ملحـــــق رقـــــم (٦)

(٥١)

وأثناء دراستي في السنة المنهجيَّة الأولى، وَقَفْتُ على تَقدُّمٍ باهرٍ في أساليب وطرق التعليم، وبخاصة في الشؤون الإدارية والتقنية، ويمكنني إيجاز الحديث حول هذين الجانبين الرئيسيين:

١ – توفر أساليب التعليم الحديثة:

وقبل الإشارة إلى هذا المحور، لا بُدَّ من ذكر الأساتذة التي تميَّزت جامعة الملك خالد باحتوائهم، فهم ممن لهم باعٌ طويلٌ في البحث العلمي والخبرات التعليميَّة، وكانوا ـ ومازالوا ـ إضافةً قويةً لمسيرتنا العلميَّة، وفضلاً عن إفادتنا بمعلوماتهم؛ فقد كانوا حريصين ومجتهدين على بناء شخصية طالب الدكتوراه بأن يكون باحثًا ناقدًا، مُتمكِّنًا من تخصصه، ومؤهَّلاً لأن يكون أستاذًا جامعيًا عبر التدريب المستمر، والحوار، والمناقشة، والتفاعل البنَّاء داخل القاعة. وفيما يتعلق بأساليب التعلُّم الحديثة، فأبهرني تجهيز قاعاتها الدراسية بأحدث أجهزة العرض والتقنيات التعليميَّة، مما سهَّل على الأستاذ عرض مقرره وشرحه، وعلى الطالب تقديم تكليفه ومناقشته، وهذا مما جعل نظام التعليم سلسًا وفعّالًا ومنظمًا.

٢ – رقمنة الشؤون الإدارية :

فالجامعة حققت نقلةً نوعيَّةً في هذا المجال؛ إذ تمتلك منصةً إلكترونيةً متكاملةً تتيح للباحث إجراء جميع احتياجاته الإداريَّة في لحظاتٍ معدودة، بدءًا من الإجراءات الإدارية حتَّى الأعمال التعليميَّة والأكاديمية من متابعة التكاليف والدرجات بينه وبين أستاذه. بل إنَّ التَّواصل بين الطالب وأستاذه أصبح أكثر فاعلية عبر هذه المنصة، التي وفَّرت بيئةً رقميةً تُسهِّل العمل الأكاديميَّ وتختصر الوقت والجهد. نعم، قد تكون هناك جامعات سبقت في هذا الميدان، غير أن ما وقفت عليه في جامعة الملك خالد يبعث على الإعجاب ويستحق التقدير.

في آخر هذا المقال، أشكر أستاذي الدكتور غيثان بن جريس على إعطائي فرصةً أنقل شيئًا يسيرًا ممَّا لمسته في هذه الجامعة السعودية الجنوبية، ومازال عندي تجربة أكاديمية ثرية في هذه المؤسسة التعليمية العالية، وأمل أن أدونها في مقالاتٍ مطوَّلة، وأرى أن جامعة الملك خالد ماضية في طريقٍ واعد، لتحقق الريادة العلمية في هذا الوطن المعطاء، وتكون ركيزةً من ركائز التعليم في المملكة، بل ومنارةً علميةً ذات إشعاعٍ إقليميٍ ودوليٍ متزايد. وصل الله وسلم على رسول الله، الاثنين (١٦/٣/١٤٤٧هـ الموافق ٨/٩/٢٠٢٥م).

ملحـــق رقـــم (٧)

مجموعـة خطابـات متبادلة بين غيثان بـن جريس وبعض الأسـاتذة ، والمؤرخين ، والباحثين، والقراء. وتدور مادتها في موضوعات متعددة، مثل :

السـلام والتحيـة والشـكر والتقديـر علـى بعـض المؤلفـات والبحوث المهداه، أو سـؤال واستفسـارات عن بعض الأحداث والقضـايا التاريخية والحضـارية في شبه الجزيرة العربية، وأحياناً تصـويبات وتعقيبات علـى جزيئات في بعض مؤلفات غيثان، أودعوة للمشاركة في بعض الندوات واللقاءات في البلاد (المملكـة العربيـة السـعودية) أو طلـب نشـر دراسـة في (موسـوعة القول المكتوب في تاريخ الجنـوب). وغيرذلك من الأهداف) [١].

(١) بعض أصحاب هذه الخطابات أعرفهم والتقيت بهم، وأخرون لم أقابلهم ، لكن حصل بيننا تواصل هاتفي أو رقمـي، لكـن المعرفة والعلـم هو الذي جمع بيننـا . وجميع هذه الرسـائل محفوظة ضـمن أوراق مكتبه د. غيثان بن جريس العلمية .

ملحـــق رقـــم (٧)

(٥٢)

سعادة الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس

(مؤرخ تهامة والسراة).   الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أسعد الله أوقاتك بكل خير يا دكتور غيثان، يطيب لنا في بودكاست (متكّى) أن نتشرف بدعوتكم لاستضافتكم في إحدى الحلقات القادمة، حيث نسعى من خلال هذا المنبر إلى فتح حوار عميق وثرٍ مع قامات فكرية وعلمية بارزة كان لها أثر واضح في خدمة المعرفة والتاريخ والحضارة والتراث الإسلامي.

ونظرًا لمسيرتكم المتميزة (كبروفيسور)في التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الملك سعود ثم جامعة الملك خالد، وإسهاماتكم البحثية والمؤلفات التي أغنت المكتبة التاريخية والعلمية والمعرفية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، فإن حضوركم سيكون إضافة نوعية وقيمة كبيرة لجمهورنا من المهتمين بالتراث والتاريخ والثقافة.

كما نراه واجباً علينا أن نبرز قامة تعليمية غفل عنها الإعلام، ويطمع العديد من الناس لسماع قصصها وبدايتها ومؤلفاتها التي سارت بها الركبان.

نأمل أن تحظى هذه الدعوة بقبولكم الكريم، على أن ننسق معكم في الوقت الذي يناسبكم لإتمام اللقاء. مع خالص التقدير والاحترام .

(*) ملحوظة:
هذا الخطاب وصلني
ع (الواتس) بتاريخ
(٥/٣/١٤٤٧)
أ.د. غيثان بن جريس

المرسل محبكم / م. أنس الشهري
مدير بودكاست متكّى التابع
لأثلة للإنتاج المرئي والمسموع.
التاريخ (١٤٤٧/٣/٥هـ الموافق
٢٠٢٥/٨/٢٨م)

تابـــع ملحـــق رقـــم (٧)

(٥٣)

الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس **حفظه الله** (١)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحية طيبة وبعد،

أسعد الله أوقاتكم بكل خير يادكتور، أنا ابنك نايف من محافظة المجاردة ، مهتم بمعرفة تاريخ وأنساب قبائل بني شهر، وتابعت جهودكم المتميزة في توثيق تاريخ منطقة تهامة والسراة عبر العصور، والتي أقدرها كثيراً. وأثناء إطلاعي على المراجع المتوفرة حول نسب القبائل، لاحظت أن قبائل أثرب وثربان تُنسب مباشرة إلى الجبل ثم إلى فخذ العوامر، دون الإشارة إلى الأفراد سعد أو عبد أبناء عامر بن الحجر، رغم أن النسب التقليدي كان يجب أن يشير إلى أحدهما .

كما أود الاستفسار عن الأمر نفسه بالنسبة لقبيلة سفيان، وكيف يتم توثيق نسبها في المصادر والمراجع المتاحة. إنه لشرف كبير لي أن أحظى بردكم وتوضيحكم الكريم حول هذه النقاط، وأي مصادر أو مراجع يمكن الرجوع إليها لفهم هذا الجانب من أنساب هذه القبائل العربية الأصيلة . شاكرًا لكم تجاوبكم واهتمامكم، وأرجو من الله – عزوجل – أن يبارك في جهودكم القيمة في خدمة تاريخ وتراث وحضارة المملكة العربية السعودية. وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير.

المرسل ابنكم: نايف بن عبدالله
ابن دعشوش من قبيلة آل يحمد
تهامة بني شهر (منطقة عسير)
قرية العشة- جبل أثري
(١٤٤٧/٣/١٥هـ)

(١) ملحوظة:
هذا الخطاب وصلني من صاحبه بتاريخ (٥/٣/١٤٤٧هـ) ويستفسر عن بعض القضايا العلمية عن تاريخ بلاد بني شهر وما حولها. الحفظ العلمي في مكتبي
د. غيثان بن جريس ١٥/٣/١٤٤٧

١٥/٣/١٤٤٧

تابـــع ملحــــق رقــــم (٧)

٥٤

الأخ الفاضل الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس وفّقه الله (١)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

أهديتني – جزاك الله خيراً – مجموعةً من الكتب النافعة، أفدتُ منها في بعض أبحاثي، وقرأتُ عدداً منها، فوجدتُ فيها علماً وفائدة كبيرة، فشكر الله لك جهدك، وبارك فيما كتبتَ وقدّمت.

وأثناء مطالعتي لكتابكم: **الرحلات والرحّالة في الجنوب السعودي** (ج ٢، ص ٦١٣)، استوقفني النص الآتي:

"والقرى والبيوت القديمة في أغلب بلاد قحطان وفي أجزاء من بلاد شهران مبنية من الطين، وترتفع إلى دور ودورين وثلاثة. وهناك بيوت مبنية من الطين وبعض الحصون تجدها داخل القرى وتُستخدم للسكن، ويظهر عليها الاتساع والمساحة الفسيحة، في حين أن حصوناً أخرى ترتفع ربما إلى (١٥) أو (٢٠) متراً، وتوجد في الأودية، أو على رؤوس الجبال، أو وسط المزارع، ويغلب عليها الضيق، ولها مدخل ضيّق جداً لا يدخل معه إلا الرجل منحنياً على يديه ورجليه، وبها أبراج صغيرة لا يزيد سعة البرج الواحد عن (٤٠ سم × ٤٠ سم)، والهدف من عمارتها استخدامها للمراقبة أثناء الحروب وحراسة المزارع».

وبالنظر في هذا الوصف، أجد أنه لا يطابق الواقع العمراني في بلاد قحطان وشهران؛ إذ إن غالب المنازل هناك تتراوح بين ثلاثة وخمسة أدوار، وأكثرها من أربعة أدوار، بينما توجد حصون تبلغ ستة أدوار. كما أن الاصطلاح المحلي يطلق مسمى الحِصْن على البيوت المسكونة، أما ما ورد في النص باسم "حصون" فهي في الحقيقة تعرف عند الأهالي بـ القَصيب أو أبراج الحراسة، وقد استُخدمت للحراسة وتخزين الحبوب. وغالب هذه الأبراج ذات شكل مربّع، لا يتجاوز طول ضلعها ما بين ثلاثة أمتار إلى نحو (٢,٥ متر).

١٦/٣/١٤٤٧هـ

- ١ -

(١) هذا الخطاب وصلني في ١٦/٣/١٤٤٧هـ، ومحفوظ نسخته ورقية في مكتبة [illegible] العلمية. أ.د. غيثان

تابــع ملحــــق رقـــم (٧)

٥٥

أما ما ورد في النص من تحديد سعة البرج بـ ٤٠ سم × ٤٠ سم، فهو غير ممكن من الناحية العملية، إذ لا يُتصوَّر أن يتسع لمكوث إنسان أو حتى لفتح بابٍ وظيفي؛ لذا أرجّح أنه خطأ مطبعي تسلّل إلى النص، ولا أظنه يَسلم لمؤرّخ متمكّن بوزنكم.

أحببتُ أن أضع بين يديكم هذه الملاحظة، لعلها تعينكم في طبعة قادمة أو في تصويبات لاحقة، مع خالص التقدير والدعاء لكم بالتوفيق والسداد. وتقبّلوا وافر التحايا والاحترام.

د . عبدالله علي موسى القحطاني،

أبها - منطقة عسير

الاثنين (١٦/٣/١٤٤٧هـ الموافق ٨/٩/٢٠٢٥م)

ملحوظة:

هذه المدونة بما ورد فيها من تصويبات وتعليقات تحفظ ضمن أوراق مكتبي

د/ عثمان بن محمد الصالح

أ.د. عثمان

١٤٤٧/٣/١٦هـ

٣/١٦

١٤٤٧هـ

- ٢ -

تابـــع ملحـــق رقـــم (٧)

٥٦

الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس. **حفظه الله**

السلام عليكم ورحمة الله

مساك الله بالخير يا أستاذ ، كيف حالك يا د. غيثان، وأسعد الله أوقاتكم بكل خير. عندي استفسار علمي طال عمرك، الكاتب محمد فراج بن سامره الشهري استدل في أحد كتبه إلى مخطوطه عبدالرحمن الدليمي بعنوان (المورووث الأزدي)، و ذكر انها أقدم مرجع تحدث عن الفنون الأدائية (الطربية) في منطقة عسير، وبحثت عن هذا المرجع ولم أجده، فهل لديكم اطلاع أو علم بهذا المصدر؟ واين أجده ؟ بارك الله فيكم وسددكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المرسل

علي الشهري

(١٤٤٧/٣/١٦هـ)

تحفظ نسخة ضمن أوراقي الخاصة

أ.د. غيثان

١٤٤٧/٣/١٦

تابـــع ملحـــــق رقـــــم (٧)

٥٧

سعادة أ. د. غيثان بن علي بن جريس، أستاذ التاريخ والآثار

جامعة الملك خالد. حفظه الله وسلمه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

أهديكم أطيب التحيات، وأفيدكم أني تلقيت بسرور بالغ رسالتكم عبر الواتساب المتضمنة الجزأين الثالث والرابع من كتاب: (**الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي في مؤلفات غيثان بن جريس (ق٢ــ ١٥هـ/ ق٨ ــ ٢١م)**) للأستاذ: محمد أحمد معبر، وأعرب لسعادتكم عن شكري وامتناني لهذه المبادرة الكريمة غير المستغربة منكم، أدعوا الله لكم بطول العمر وموفور الصحة، وأن يجزيكم عنا خير الجزاء، وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري؛ والله يحفظكم ويرعاكم،،،

المرسل تلميذكم المحب: إبراهيم محمد الهلالي، محافظة البرك (منطقة عسير)

(١٧/ربيـع الأول/١٤٤٧هـــ الموافـق٩/ سبتمبر/٢٠٢٥م)

تحفظ نسخة ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس الخاصة

أ.د. غيثان ١٧/٣/١٤٤٧هـ

تابــع ملحـــق رقـــم (٧)

(٥٨)

حبيبي الصديق النبيل الغالي

الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الحميد. وفقه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرسل لك هذا الخطاب وفيه أدعو لكم يا آل الحميّد بالتوفيق والسداد، وأشكركم على دعوتي للمشاركة في ثلوثية والدكم(رحمه الله) بتاريخ (١٢/٢٨/ ١٤٤٦هـ)، وأيضاً توزيعكم على ضيوفكم حوالي (٨٠) نسخة من مؤلفاتي التي صدرت مؤخراً، ومنها:

١ــ تاريخ الناس في تهامة والسراة.

٢ــ القول المكتوب في تاريخ الجنوب(الجزء الحادي والثلاثون).

٣ــ تعليم البنات في جنوب المملكة العربية السعودية(١٣٨٨-١٤٠٠هـ).

كما أهديتكم (أنت وشقيقك د .عبدالله) مجموعة كتب آنذاك، ثم أهديتك بتاريخ (١٤٤٧/٣/١٨هـ) مجموعة أخرى من مؤلفاتي الحديثة، وأعتزم بحول الله وقوته زيارتكم في منزلكم العامر بقريتكم بني مالك عسير يوم السبت (١٤٤٧/٣/٢١هـ الموافق١٣/ ٢٠٢٥/٩م)، لهذا أرسلت لك ياصاحبي هذه الرسالة، وأرجوك ــ كما عودتني ــ أن تزودني بخطاب عن تلك الكتب الهدية التي وصلت ديوانيتكم الموقرة، وأيضا الهدية الشخصية لكم حتى تكون في مكتبتي ضمن ملفاتي وأوراقي الخاصة التي أحرص على الاحتفاظ بها من نهاية القرن الهجري الماضي حتى وقتنا الحاضر. وختاماً تقبل تحياتي يا غالي وأسأل الله لك التوفيق والسداد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المرسل محبكم
غيثان بن علي بن عبدالله
بن جريس الجبيري الشهري
الحجري الأزدي الاربعاء
(١٤٤٧/٣/١٨هـ)

(*) تحفظ نسخة ضمن أوراقي الخاصة

د. ح. ...

٣/١٨ ١٤٤٧هـ

تابـــع ملحـــــق رقـــــم (٧)

(٥٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد بن محمد بن عبد الله الحميد		التاريخ 22/ 3 / 1447

إلى سعادة أخينا الكبير **الأستاذ الدكتور** غيثان بن علي بن جريس / وفقه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فقد كان لحضوركم ومشاركتم لنا في نشاط ثلوثية والدنا محمد بن عبد الله الحميد – رحمه الله- في جلستها الثالثة والعشرين المعقودة بتاريخ 1446/12/28، وكان عنوانها (رحلة الابتعاث تجارب ومشاهدات) إضافة مميزة في مسيرة الثلوثية، والتي هي تتويج لعلاقتكم الحميمة مع والدنا – رحمه الله – والذي كان يكن لشخصكم النبيل غاية المحبة والتقدير، ولنتاجكم العلمي أسمى درجات التثمين عبر مقالاته المتعددة التي حوى جملة منها كتابا (رجال استحقوا التنويه) و (إصدارات وقراءات)، ثم ما أفضلتم به من إهداء لرواد الثلوثية من إصدارات مميزة نفدت بعد اللقاء وقد تلقوها بكريم الامتنان شاكرين وهي :

1 – تاريخ الناس في تهامة والسراة.

2- تعليم البنات العام في جنوب المملكة العربية السعودية (1388- 1400) سجل إحصائي.

3- عسير في الوثائق العثمانية (1321- 1327/1903-1909) في مجلدين.

فباسمي ونيابة عن أبناء الأديب محمد بن عبد الله الحميد – رحمه الله – أزجي كل الشكر والتقدير على جهودكم ونسأل الله جلت قدرته أن يمدكم بالتوفيق والصحة والعافية

محبكم

أ/ د أحمد بن محمد الحميد

ملحوظة:
كذلك الكتاب
(القول المكتوب
في تاريخ الجنوب)
(الجزء الحادي عشر والثاني عشر)
من ضمن الكتب المهداة للثلوثية
م. غيثان بن جريس
٢٢/٣/١٤٤٧هـ

تابـــع ملحـــــق رقـــــم (٧)

(٦٠)

سعادة الدكتور غيثان بن جريس . الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

وصلني منكم مجموعة كتب هدية يوم الاربعاء (١٨/٣/١٤٤٧هـ)، وأشكركم على هذه الهدية الطيبة .وأقول: ما شاء الله تبارك الله على هذا الصرح العظيم من الفكر النير كالقمر المضيء لا يأتي من فراغ ، فبارك الله جهودكم ورفع قدركم ورزقكم أضعاف ماتتمنونه .

إن الكلمات تعجز عن الوصف وعن الشكر، وتقف البلاغة حائرة أمامكم، وأمام ما تقدمون من جهد يذكر فيشكر. وهذا الجهد والعمل ـ بإذن الله ـ الذي سوف يبقى على مر الأزمان، وهو موثق بأيدي أمينة، سخرت جهدها ووقتها لكتابة تاريخ وحضارة البلاد. وآلاف الكلمات لا تكفي لشكركم، لكن لكم منا أصدق الدعوات بأن يجعل الله ماقدمتم في موازين حسناتكم وأن ينفع بكم الإسلام والمسلمين. بارك الله جهودكم وأصلح لكم القول والعمل. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المرسل ابنكم
أحمد بن حصان العسيري
أبها(١٩/٣/ ١٤٤٧هـ)

يحفظ نسخة في مكتبتي الخاصة
أ.د. غيثان
١٩/٣/١٤٤٧هـ

تابع ملحق رقم (٧)

10/6/25, 1:44 PM PHOTO-2025-10-02-12-03-28.jpg

(٦١)

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة الأستاذ الدكتور: غيثان بن علي بن جريس الموقّر (١)
أستاذ التاريخ في جامعة الملك خالد (المملكة العربية السعودية)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

وبعد:
أرسل لكم خطابي هذا وبرفقته رسالتي العلمية لدرجة الماجستير في التاريخ الحديث والموسومة بـ(آل عائض ودورهم في تاريخ اليمن ١٨٣٣-١٩٠٨م).

أرجو الاطلاع عليها ونشرها كاملةً أو أجزاءً منها - حسب ما تراه جنابكم الموقر بما يخدم المصلحة العلمية - في كتابكم الموسوعي: - القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الذي وصل الى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) المجلد رقم (٣١). وهذا الخطاب بمثابة موافقة وإذن مني لكم بالتصرف في هذه الرسالة مع حفظ حقوقي العلمية والفكرية... والله يحفظكم ويرعاكم. وجزاكم الله خير الجزاء.

المرسلة صاحبة الرسالة
الاسم: أنسام خالد أحمد النهداوي
التوقيع:
التاريخ: الثلاثاء ربيع الثاني ١٤٤٧هـ / ٢٣/٩/٢٠٢٥م

غيثان بن علي بن جريس

(١) الأستاذة أنسام من دولة العراق ولها رغبة في نشر بعض من الرسالة في (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) باسم المؤلفة
١/٤/١٤٤٧

تابـــع ملحـــــق رقـــــم (٧)

(٦٢)

دعوة عامة

(١)

سعادة الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس. **الموقر**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود المستشار الخاص لخادم الحرمين الشريفين ورئيس مجلس إدارة دارة الملك عبدالعزيز.

يسر دارة الملك عبدالعزيز دعوتكم لحضور ندوة بعنوان: (الطبري والتاريخ: قراءة معاصرة في كتاب تاريخ الملوك وأخبارهم)، وذلك بمناسبة الإصدار العلمي الجديد للدارة: (كتاب تاريخ الملوك وأخبارهم وموالد الرسل وأنبائهم)،تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف وآخرين، ضمن فعاليات معرض الرياض الدولي للكتاب (٢٠٢٥م).

وذلك في يوم الجمعة (بتاريخ ٣ أكتوبر ٢٠٢٥م الموافق ١١ ربيع الثاني ١٤٤٧هـ)، من الساعة (٧:٣٠ م إلى ٩:٣٠ م). وستقام الندوة في المسرح الرئيس لمعرض الرياض الدولي للكتاب بجامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن.*

(١) هذه دعوة من دارة الملك عبدالعزيز إلى د. غيثان بن جريس لحضور إحدى الفعاليات العلمية ٤/١١/١٤٤٧هـ

أ.د. غيثان ٤/١١/١٤٤٧هـ

* ملحوظة: مرفق لكم بطاقة الدعوة وبرنامج الندوة و (QR) لتأكيد الحضور، ويمكن تأكيد الحضور بالضغط على الخانة المخصصة للتأكيد في الدعوة أو الدخول على الرابط التالي:

https://darahservices.com/services/dar_events/1/page7.php

يسعدنا تلبية الدعوة ونتطلع لحضوركم الكريم، ولكم تحياتنا وتقديرنا، إدارة العلاقات العامة والفعاليات، دارة الملك عبدالعزيز.

(١٤٤٧/٤/٧هـ الموافق ٢٠٢٥/٩/٢٩م)

تابـــع ملحـــق رقـــم (٧)

(٦٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس حفظه الله

سعدت غاية السعادة بما تفضّلتم به من إهداء كريم لمجموعة من مؤلفاتكم القيّمة، التي تزدان علماً وتفيض ثراءً، لتكون معيناً لا ينضب لطلاب العلم والباحثين في شتى الميادين التاريخية والاجتماعية في وطننا الغالي.

كما أن ما تناولتموه في مؤلفاتكم حول منطقتي جازان ونجران، وتاريخ عسير الحديث والمراجعات التاريخية، مما يفتح للقارئ آفاقاً رحبة من المعرفة، ويجعله يحمد الله تعالى أن سخّر لهذه الأمة علماء مخلصين أمثالكم، يواصلون البذل والعطاء في ميدان البحث والتأليف. فجزاكم الله خير الجزاء، وبارك لكم في علمكم وعملكم وأهلكم ومالكم.

ابنكم

ا.د. صالح بن عويد الحربي

١٢/٤/١٤٤٧هـ

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

* تحفظ نسخه ضمن أوراق د. غيثان بن جريس الخاص

أ.د. غيثان

١٢/٤/١٤٤٧هـ

تابـــع ملحـــق رقـــم (٧)

(٦٤)

أستاذي الدكتور غيثان بن علي بن جريس حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله،،،،

أعلم مدى تواضعكم في عدم الرغبة في المدح والثناء عليكم، غير أنكم - دكتورنا الكريم - بذلتم جهودًا كبيرة، وأخرجتم صفحاتٍ وافية دونتم فيها الشذرات المكنونة عن تاريخ المنطقة الجنوبية السعودية (تهامة وسراة)، وأفنيتم الوقت والجهد والمال في سبيل تحقيق غايةٍ ارتكزت عليها إستراتيجية البلاد بالإنسان والأرض والاقتصاد.

وأسأل المولى الكريم - عز وجل - ألا يحرمكم الأجر والمثوبة، وأن يجعل ما قدمتم في موازين حسناتكم، ويكتب ما بذلتم وتعبتم فيه شاهدًا لكم لا عليكم. مُكررًا شكري العظيم لله ثم لكم، وأرجو ألا تحرمونا من جميل جديدكم، ولا من دعائكم الطيب.

المرسل

ابنكم/ طلال بن أحمد القفيلي

(أبها - منطقة عسير)

الاحد (١٣/٤/١٤٤٧هـ الموافق ٥/١٠/٢٠٢٥م).

ملحوظة

تم حفظ نسخة منه

وثائق غيثان بن

جريس الخاصة

د. غيثان

١٣/٤/١٤٤٧هـ

تابـــع ملحـــــق رقـــــم (٧)

[redacted] [redacted]

(٦٥)



(١)

اقتراح تكريم
عالمين من رجال الحجر

يتقدم ملتقى قبائل رجال الحجر بدعوة رسمية إلى الجهات المعنية لتسليط الضوء على إنجازات العالمين الكبيرين عبد الله بن محمد العمري أستاذ الجيوفيزياء والمشرف على مركز الدراسات الزلزالية - جامعة الملك سعود رئيس مجلس إدارة الجمعية السعودية لعلوم الأرض مؤسس ورئيس تحرير المجلة العربية للعلوم، والدكتور غيثان بن جريس الشهري أكاديمي ومؤرخ سعودي، مؤرخ تهامة والسراة، وله أبحاث كبيرة في تاريخ المنطقة الجنوبية خاصة والوطن عامة، ونأمل تقديم التكريم والتشجيع والدعم المعنوي اللازم لهما، حيث قدما إسهامات كبيرة في مجالات العلم والتاريخ، ويستحقان التقدير والاعتراف بجهودهما.

نرجو من الجهات الإعلامية والرسمية أن تولي اهتماماً خاصاً لهذين العالمين، وتعمل على تسليط الضوء على أعمالهما وإنجازاتهما، بما يليق بمكانتهما العلمية والثقافية، هذا التكريم سيسهم في تحفيز المزيد من العلماء والمبدعين، وسيعزز من قيمة العلم والبحث العلمي في مجتمعنا.

اللجنة الثقافية والإعلامية
ملتقى قبائل رجال الحجر

(٢) تحفظ لنفسي في
مكتب د. غيثان
من حرب التصحيح
٤/١٨ ١٤٤٧هـ
أ.د. غيثان
١٨/٤/١٤٤٧هـ

12:52 ص

تابـــع ملحـــق رقـــم (٧)

٦٦

سعادة الزميل الحبيب الأستاذ الدكتور/

صالح بن محمد السنيدي سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد:

ارسل لكم ياخي المفضال هذه الرسالة وأهديكم سلامي ، وسبق ان تواصلت معك كتابياً بخصوص بحثكم الموسوم ب :نجران في كتابات الرحالة الفرنسي جوزيف هاليفي ، إذا كان لكم رغبة بنشره ورقيا ورقميا في كتابنا الموسوعي : القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، الذي وصلنا فيه حتى الان (١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥ م) إلى (٣١ مجلدا) ، وأرسلتم لي عبارة " توكل على الله أنشر على بركات الله" ، ونحن جميعا في خدمة العلم والمعرفة ، واشكرك على طيب معشرك و رغبتكم وموافقتكم على نشره ، وهو فعلا من البحوث الجادة الرصينة، ويستحق الخدمة العلمية والانتشار المحلي والإقليمي والعالمي ، وارغب من سعادتكم تزويدي بالاتي:

١ – البحث كاملا بصيغة وورد وبيدي اف.

٢ – سيرة ذاتية لشخصكم الكريم مركزة في حدود صفحة.

٣ – خطاب تسمح لي بنشره في (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب ...) ، وايضاً في الجزء الثالث من كتاب : منطقة نجران: دراسات وإضافات ، وتعليقات ...) مع حفظ حقوقك العلمية والفكرية . بعدها سوف ترى مايسرك. ولك خالص الود والحب والتقدير ياحبيبنا الغالي والسلام

١٤٤٧/٣/١٨

المرسل محبكم الداعي لكم بظهر الغيب الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس، جامعة الملك خالد

الاربعاء (١٤٤٧/٣/١٨هـ/ الموافق ١٠/ ٢٠٢٥/٩م)

(×) تحفظ نسخه مكتب د. غيثان بن جريس

أ.د. غيثان

١٤٤٧/٣/١٨هـ

تابــع ملحـــق رقـــم (٧)

أ.د صالح بن محمد السنيدي

Dr. saleh M. Alsonaidi

٦٧

(١)

سعادة أ. د. غيثان بن علي بن جريس الفاضل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد:

أفيد سعادتكم أنه لا مانع لديَّ من نشر بحثي المعنون بـ **"نجران في كتابات الرحالة الفرنسي جوزيف هاليفي"**، في أوعية النشر لديكم المتمثلة في: موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب، وكذلك في الجزء الثالث من كتاب: منطقة نجران: دراسات وإضافات وتعليقات .. ليستفيد منها الباحثون وطلبة العلم.

ولكم مني خالص الدعوات بأن يبارك جهودكم وينعم عليكم بالصحة والسعادة.

أخوكم المحب

صالح بن محمد السنيدي

أكاديمي سعودي

الرياض في ١٠/ ٩/ ٢٠٢٥م

(١) وصلني هذا التفويض ١٨/ ٣/ ١٤٤٧هـ الموافق ١٠/ ٩/ ٢٠٢٥م والله الموفق

خميس مشيط ١٨/ ٣/ ١٤٤٧هـ

Tel. +966 555 585 305 Tel. +44 667 669 045 Email: [illegible]12345@hotmail.com
www.salehalsonaidi.com

تابـــع ملحـــــق رقـــــم (٧)

الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس (وموسوعة تاريخ الجنوب) .

بقلم . أ . د . إبراهيم بن محمد أبو طالب

إنَّ المتأمِّلَ لما يُنتجه الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس (مؤرخ تهامة والسراة) من سلاسل الكتب التي نهج على تأليفها وإخراجها منذ زمن ليس بالقريب ليدرك هِمَّة هذه الشخصية وجَلَدها وإصرارها على التأليف والجمع والإخراج، وما أجزاء كتابه الموسوعي: **(القول المكتوب في تاريخ الجنوب)** الذي بلغ المجلد الثاني والثلاثين حتى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، ومازال مواصلا سلسلة هذا الكتاب الموسوعي، إلا دليل على مقدار ما يبذله من جهد في التأليف والتقصّي والتَّجميع لكلِّ ما يخصُّ المناطق الجنوبية عمومًا (تهامة وسراة) ومنطقة عسير وما جاورها خصوصًا، وذلك الأمر مما يوفِّر مادة علمية وبحثية كبيرة تقوم عليها الكثير من الدراسات والأبحاث التي تنبني على هذا الجهد وتستفيد منه. هذا فضلا عن قيمتها العلمية والتاريخية والحضارية في ميدانها.

وإن كنتُ لستُ من أهل هذه الصناعة، ولا من المتخصِّصين في مجال التاريخ والحضارة ، ولكني أدرك جيدا ــ من خلال متابعتي وبعض قراءاتي لتلك المجلدات ــ ما تمثله هذه الكتب وتلك الموسوعة من مادة خام تتشكل منها معارف كثيرة شأن أي موسوعة تعتني بنظرة عامة وشاملة، ولا تبتعد عن المنهجية التاريخية والاجتماعية لمعرفة أحوال الناس وحالات المناطق الجنوبية (الباحة، والقنفذة، وعسير، وجازان، ونجران) وجغرافيتها، وما تمر بها من تحولات تاريخية، واجتماعية، واقتصادية، وثقافية وتعليمية وتنموية على وجه الشمول. وكذلك فيما قرأت للمؤرخ غيثان بن جريس من أعمال منها على سبيل المثال كتاب: **(أبها حاضرة عسير ــ دراسة وثائقية)** وقد كتبتُ عنها مقالا قبل فترة من الزمن، نشر في أحد الأجزاء من موسوعة **(القول المكتوب في تاريخ الجنوب)**،بيّنت فيه مدى أهمية هذا النوع من التاريخ للمدن العريقة، والتركيز على تفاصيلها التاريخية والجغرافية ومدى فائدتها للقارئ المثقف والمتخصِّص على حد سواء.

لهذا الباحث و المؤرخ الكثير من الأعمال والكتب التي تناولت مدنًا أخرى بعينها أو محافظات لها بعدها التاريخي والاجتماعي الضارب في أعماق التاريخ السعودي، والعربي القديم، والإسلامي المبكر، والوسيط، والحديث، والمعاصر، كما أن لها خصوصيتها في التشكيل الثقافي والوجدان الشعبي

- ١ -

تابـــع ملحـــــق رقــــم (٧)

للمنطقة الجنوبية التي هي ميدان هذا الباحث وعالمه الذي أفنى فيه ومن أجله عمره المديد لأكثر من أربعة عقود تأليفا، وتدريسا، ومتابعة، وحياة.

ومن هنا فما شهادتي هذه إلا شهادة متابع متأمل، وملاحظة قارئ مهتم بهذا الإنتاج الذي يثير الإعجاب والدهشة لأكثر من سبب وأذكر بعضها في النقاط التالية :

أولًا: الحرص على الاستمرار في بيان تاريخ وحضارة وتراث وموروث البلاد التهامية والسروية بامتدادها الجغرافي من مكة المكرمة والطائف الى مناطق عسير وجازان ونجران التي امتد إليها عمل هذا المؤرخ وغطَّت كتبه الكثير من عوالمها وفضاءاتها التاريخية والجغرافية عبر العصور التاريخية من قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر .

ثانيا: تلك الروح الدؤوب المثابرة على المتابعة والتحرّي والجمع والتنقيب فما يفيد هذه الرقعة من الدراسات سواء التاريخية، أو الجغرافية، أو اللغوية، أو الثقافية، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو الإدارية وغيرها من الميادين الحضارية الأخرى، وفي مقدوره واستطاعته أن يضمنه كتبه وموسوعته فإنه لا يتأخر عن ذلك، بل ويسعى إليه بكل جهد جهيد، وسواء كان ذلك بحثا لأستاذ، أو لطالب دراسات عليا، أو لكاتب قدير فإنه يخرجه ضمن كتبه ويعطيه حقَّه من التقديم ويفسح له المجال في الانتشار والتوثيق بروح الأستاذ وأفق المشرف .

ثالثا: قدرة هذا الأستاذ الفائقة على استثمار علاقاته الإنسانية والعلمية والأخوية والاقتصادية في دعم كتبه وطباعتها طباعة فاخرة في مجلدات قيمة الجودة والإخراج، في زمن ربما مال الناس فيه إلى ما دون الكتاب من الوسائل الأخرى المختلفة، ولكنه ظلّ مخلصا للكتاب وحاملا للوائه العريق.

رابعا: تلك الروح الوثَّابة المتجدِّدة التي يحملها الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس، وقد عُرف بها وسار عليها في أنه لا يدِّخر وسعًا في إيصال كتبه ومؤلفاته إلى كل من يعتقد أنه سيفيد منها أو سيقرأ محتواها وبخاصَّة من الأكاديميين والأساتذة والأعلام والشخصيات الاعتبارية سواء من أبناء بلده (المملكة العربية السعودية) أو من البلدان العربية الشقيقة.

كل هذا وغيره هي صفات إيجابية عالية، وقدرة ومهارة فائقة اكتسبها الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس من خلال رحلته العلمية ومسيرته التأليفية التي بدأت من الابتعاث للدراسة في الخارج في مطلع القرن الهجري الحالي ــ وربما من قبلها ــ واستمرت أثناء عمله وتدريسه في جامعة الملك سعود ثم جامعة الملك خالد (٤٥) عاما، وتسنُّمه لمناصب إدارية وعلمية، وهو لم ينقطع عن ذلك الشغف

- ٢ -

تابـــع ملحـــق رقـــم (٧)

الملازم له في جمع الوثائق وتحري المخطوطات وكتابة الأبحاث والأعمال التي يستثمرها في كتبه، ويسعى إلى المحافظة عليها وإخراجها على الدوام.

<u>وخلاصة القول:</u>

إن هذا العمل جدير بالتحية، وحقيق بالتقدير، وما على الأجيال القادمة إلّا أن تتكئ على إرث قيّم، وفرَّه لها هذا المؤرخ والباحث المجتهد، فلتقلِّبْ في صفحات ما حفظه لها، ولتدرسْ هذه الموسوعة الكبيرة والمؤلفات الكثيرة، وتستثمر ذلك الجهد في أبحاثها ودراساتها المستقبلية.

<u>وختامًا:</u>

كل التقدير لمن يرفع عَلَم العلم عاليا، ويرفع لواء التأليف شامخًا، ويستمر في الكتابة والإنتاج بالشغف ذاته وبالروح نفسها التي يستقبلُ فيها كتابه المئة كما استقبل كتابه الأول بلهفة مشتاق وفرحة محب، ونشوة ميلاد.

جزى اللهُ الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس خير الجزاء على ما ألَّف، وجزاء ما صنَّف وعلى قدر ما أفاد وأعطى، وجعله الله في ميزان حسناته وفي دواوين أعماله. والله ولي الهداية والتوفيق!

كتبه: أ. د. إبراهيم بن محمد أبو طالب
أستاذ الأدب والنقد الحديث بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك خالد
أبها- في (٢٨/٠٤/١٤٤٧هـ الموافق ٢٠/١٠/٢٠٢٥م)

ملحوظة:
هذه المدونة وصلتني من صاحبها أ.د. إبراهيم أبو طالب يوم الثلاثاء (٢٩/٤/١٤٤٧هـ الموافق ٢١/١٠/٢٠٢٥م)
أ.د. غيثان بن جريس

- ٣ -

ملحـــق رقـــم (٨)

مادة هذا الملحق بدأت بخطاب في تاريخ (١٤٤٧/٩/٧هـ الموافق ٢٠٢٥/٣/١٥م) من أ.د. إيناس نور الدين، رئيس مجلس أمناء المؤسسة العربية للعلوم الانسانية والاجتماعية بالإسكندرية، تخبرني أن المؤسسة سوف تكرمني لجهودي البحثية في مجال العلوم الإنسانية والإجتماعية، وتم هذا التكريم ضمن فعاليات المؤتمر الدولي الثاني المنعقد بالإسكندرية بتاريخ (٧-٨/ أكتوبر/ ٢٠٢٥م الموافق ١٥-١٦/ ٤/ ١٤٤٧هـ)، وتم تسليمي (جائزة رواد مؤرخي الجزيرة العربية) يوم الثلاثاء (١٥/ ٤/ ١٤٤٧هـ الموافق ٧/ ١٠/ ٢٠٢٥م). وبعدها أرسل لي بعض الزملاء والأصدقاء خطابات وقصائد شعرية يباركون لي في هذه الجائزة، وأدرجت في نهاية هذا الملحق قصيدة واحدة، وخطاب واحد فقط [1]

---

(١) ما زال هناك العديد من الوثائق والخطابات التي لها صلة بهذه الجائزة والتكريم، وقد أنشر بعضها في كتب أو دراسات أخرى بالمستقبل، واكتفيت فقط بنشر أربع صفحات في هذا الموضوع. وجميع الأوراق والمراسلات توجد ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية .

ملحـــق رقـــم (٨)

(٦٨)

سعادة الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس المُوقر (١)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

يطيب لي أن أتوجه إليكم بهذه الرسالة، بصفتي رئيس مجلس أمناء المؤسسة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية بالإسكندرية، لأدعوكم لحضور المؤتمر الدولي الثاني للمؤسسة، المزمع عقده في الفترة من (٧ إلى ٩ أكتوبر ٢٠٢٥م) تحت عنوان "العلوم الإنسانية والتطبيقية في ظل تكنولوجيا المعلومات والذكاء الاصطناعي".

نحن نتشرف بدعوتكم للمشاركة في هذا الحدث العلمي الهام، حيث سيجمع نخبة من الباحثين والمتخصصين لمناقشة أحدث التطورات والاتجاهات في مجال العلوم الإنسانية والتطبيقية وتأثير تكنولوجيا المعلومات والذكاء الاصطناعي عليها.

سيكون المؤتمر فرصة رائعة لتبادل الأفكار والخبرات، ونتطلع إلى مشاركتكم الفعالة وإسهاماتكم القيمة. ويسعد المؤسسة العربية تكريمكم خلال هذا المؤتمر تقديرًا لجهودكم المتميزة في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية. نأمل أن تتاح لكم الفرصة لحضور فعاليات المؤتمر والاستفادة من النقاشات واللقاءات العلمية.

لمزيد من التفاصيل حول المؤتمر، يرجى زيارة موقعنا الإلكتروني أو التواصل معنا مباشرة.

نشكر لكم اهتمامكم ونتمنى لكم مشاركة ممتعة ومثمرة، مع خالص التقدير والاحترام،

أ. د إيناس نور الدين

رئيس مجلس أمناء المؤسسة العربية

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

بالإسكندرية

(٧ /٩/ ٢٠٢٥م الموافق ١٥ /٣/ ١٤٤٧هـ)

(١) وصلني هذا الخطاب من الأستاذة الدكتورة إيناس نور الدين تدعوني للمؤتمر الدولي الثاني للمؤسسة العربية الإنسانية والاجتماعية في الإسكندرية، وتبلغني بأنهم سيكرموني في ذلك المؤتمر.

١٤٤٧/٣/١٠

أ. د. غيثان بن جريس

تابــع ملحـــق رقـــم (٨)



٦٩



(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الشكر لله (عز وجل). اللهم لك الحمد والشكر (يا حي يا قيوم) على فضلك وكرمك وجُودك، فقد مُنحت اليوم من (المؤسسة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية في جمهورية مصر العربية) جائزة رواد مؤرخي الجزيرة ضمن فعاليات المؤتمر الدولي الثاني المنعقد في الإسكندرية بتاريخ (٧-٨/أكتوبر/٢٠٢٥م) الموافق ١٥-١٦/ربيع الثاني/١٤٤٧هـ). وكان عنوان المؤتمر (العلوم الإنسانية والتطبيقية في ظل تكنولوجيا المعلومات والذكاء الاصطناعي).

وفي الختام:

أشكر جميع الأخوة والأخوات القائمين على المؤسسة وعلى المؤتمر، وأشكر جميع الذين أكرموني ورشحوني لهذه الجائزة، وأسأل الله لهم جميعا التوفيق والسداد، وصل الله وسلم على رسول الله.

وكتبه
محبكم والداعي لكم بظهر الغيب
أ. د. غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس الثوابي الجبيري الشهري الحجري الأزدي.
الثلاثاء (١٥/٤/١٤٤٧هـ
الموافق ١٠/٧/٢٠٢٥م)

هذه الوثيقة تحتوي على صورة شخصية ودرع تكريم (جائزة مؤرخي الجزيرة العربية) الذي حصلت عليه من (المؤسسة العربية للعلوم الإنسانية ...) في (١٥/٤/١٤٤٧ الموافق ١٠/٧/...) وحفظت نسخة في مكتبتي
أ.د. غيثان

تابــع ملحـــق رقـــم (٨)

(٧٠)

{رسالة وأبيات شعرية مرسلة}
إلى الاخ الرفيق والزميل
غيثان بن علي بن جريس

نبارك بهما للأستـــاذ الدكتـــور غيثان بـــن جريـــس ـ وفقــه اللـــه ـ بمناسبة حصوله على جائـــزة رواد مؤرخـي الجزيـــرة العربيـــة مـــــن :

(المؤسسة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية في الإسكندرية بجمهورية مصر العربية)

بتاريخ (١٥/٤/١٤٤٧هـ ـ الموافق٧/١٠/٢٠٢٥م)

وتستاهل التكريم (يابو المثنى) وأقول :

ولك التحيَّةُ من جنوبِ بلادِنا	لمَّـــا بعثْتَ الكنزَ من أمجادِهـــا
ومن المناطقِ كلِّهـــا لمَّـــا رأتْ	يُمْنـاكَ تُحيي العـزَّ في أجدادِهـا
أصبحت رمزًا للعطاءِ مـــوثَّقًـــا	بجمالِ جائـــزةٍ ومن رُوَّادِهـــا
في قولك المكتوب مدرسـةٌ أتَتْ	بالقيِّمـــاتِ البيضِ من إرفادِهـــا
يحدو علاكَ أبا المثنَّى مجدُهـــا	ولأنْتَ أهـلُ الفضلِ من أفرادِها
ماغادرَ المجدُ المطرزُ سِـــفْرَكم	أو غادرتْكَ الــزُّهــرُ من أبـرادِهـا
فاهنأ أخـا الأسفارِ لاتُحصى فقد	بلغتْ مساحتُها مـكانـةَ ضادِهـا

المرسل أخوكم ومحبكم
محمد بن حسن (النقش) الجبيري
الاربعاء (١٦/٤/١٤٤٧هـ
الموافق ٨/١٠/٢٠٢٥م)

- الإرفاد : العطاء لِمَا فيه الفائدة .
- الأسفار : المجلدات المشهورة من تأليف الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس

(٧٠) ملحوظة : تحفظ نسخة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ١٤٤٧/٤/١٦هـ

أ.د. غيثان ١٤٤٧/٤/١٦هـ

تابـع ملحـق رقـم (٨)

(٧١)

أخي الدكتور غيثان بن جريس حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يا أبا المثنى أسعد الله أوقاتك بكل خير، أخي الغالي أشكركم، وأشكر لك لطفك وتكرمك عليّ عندما أهديتني مجموعة من مؤلفاتك وبحوثك القيمة، وأسأل الله أن يزيدك رفعة وعلما، وأن يجعل ما قمت به من جهود في ميزان حسناتك، كما أني أهنئكم حصولكم على درع: (جائزة رواد مؤرخي الجزيرة) من المؤسسة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ضمن فعاليات المؤتمر الدولي الثاني المنعقد في الإسكندرية (جمهورية مصر العربية) بتاريخ (٧ -٨/ أكتوبر/٢٠٢٥م الموافق ١٥-١٦/ربيع الثاني/١٤٤٧هـ) . والذي كان عنوانه (العلوم الإنسانية والتطبيقية في ظل تكنلوجيا المعلومات والذكاء الاصطناعي) بتاريخ الثلاثاء (١٥/٤/١٤٤٧هـ الموافق٧/١٠/٢٠٢٥م)، ونقول لك يا دكتور غيثان مبروك هذا الإنجاز، والله يجعله في ميزان أعمالك، وأن يمدك بالصحة والعافية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الاحد (٢٠/٤/١٤٤٧هـ الموافق١٢/١٠/٢٠٢٥م).

المرسل أخوكم
حسن بن علي الجبيري الشهري
الرياض (المملكة العربية السعودية).

(×) ملحوظة: تحفظ النسخة في مكتب د. غيثان بن جريس العلمية
أ.د. غيثان
٢٠/٤/١٤٤٧هـ

٢٠/٤/١٤٤٧هـ

ثانياً : سيرة ذاتية مختصرة

أولا : معلومات عامة



غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس الجبيري الشهري

١- من مواليد محافظة النماص بلاد بني شهر عام (١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م).
٢- تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي في محافظة النماص وحصل على الثانوية عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).
٣- تلقى تعليمه الجامعي في مدينة أبها بفرع جامعة الملك سعود، قسم التاريخ، وتخرج في عام(١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
٤- ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية ودرس جزء من درجة الماجستير في جامعة تكساس بمدينة أوستن (University of Texas at Austin)، ثم انتقل إلى جامعة إنديانا في مدينة بلومينجتون (University of Indiana) وتخرج فيها عام (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
٥- ذهب إلى بريطانيا وحصل على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة مانشستر (University of Manchester) عام (١٤٠٩هـ - ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩ - ١٩٩٠م)
٦- عاد إلى جامعته في أبها وعمل في العديد من الأعمال الإدارية والأكاديمية بالإضافة إلى رئاسة القسم حوالي ثلاثة عشر عاماً.
٧- حصل على درجة الاستاذية في نهاية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م)، ويُعد أول من حصل على هذه الدرجة العلمية من خريجي كليات وجامعات الجنوب السعودي .

ثانياً: عضوية المجالس والمؤسسات المحلية والعربية والعالمية :

١- رئيس تحرير مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي في الفترة من عام (١٤١٥هـ - ١٤١٩هـ / ١٩٩٥م - ١٩٩٩م) .
٢- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .
٣- عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة .
٤- عضو الجمعية السعودية التاريخية .
٥- عضو جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي.
٦- أول مشرف لكرسي الملك خالد للبحوث العلمية بجامعة الملك خالد.

تابع سيرة ذاتية مختصرة

ثالثاً : المحاضرات العامة، والمؤتمرات، والندوات، والحوارات المحلية والإقليمية والعالمية ، بالإضافة إلى حصوله على بعض الجوائز والتكريم:

١- قدم حوالي (٢٠٠) محاضرة عامة ، وشارك وقدم أوراقاً علمية في أكثر من (٢١٠) ندوة ، أومؤتمر ، أو لقاء علمي، أو ورشة عمل.

٢- حصل على جائزة عبد الحميد شومان على مستوى العالم العربي، في العلوم الإنسانية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) .

٣- تم تكريمه من قبل نادي أبها الأدبي في (١٤١٨/٢/٥هـ / ١٩٩٧م) بمناسبة حصوله على درجة الأستاذية بتميز .

٤- تم تكريمه في عدد من الملتقيات مثل ملتقى بني شهر الأول في الرياض عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، وملتقى زهران العاشر عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).

٥- تم تكريمه ضمن شوامخ المؤرخين العرب في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة عام (٢٠١٣م)، وتاريخ هذا التكريم كان يوم الأربعاء (٢/محرم/١٤٣٥ هـ الموافق ٦/ نوفمبر/٢٠١٣ م) .

٦- تم تكريمه من قبل وزارة الثقافة والإعلام السعودي في معرض الكتاب الدولي الثامن بالرياض عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م). وفاز كتابه : الوجود الاسلامي في أرخبيل الملايو بجائزة الوزارة في ذلك العام (١٤٣٥ هـ)

٧- حصل على جائزة معالي مدير جامعة الملك خالد في مستودع الأبحاث الرقمية العلمية يوم الثلاثاء (١٤٤٠/٨/١٨هـ الموافق ٢٠١٩/٤/٢٣م) .

٨- دشنت جريدة الوطن السعودية موقع الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس الإليكتروني، في مقرها الرئيسي بمدينة أبها يوم الاحد (٣ / ٣ / ١٤٤٠هـ الموافق ١١ / ١١ / ٢٠١٨م) ، وحضر حفل التدشين حوالي (١٥٠) شخصية من المسؤولين ووجهاء منطقة عسير .

٩- تم تكريمه في نادي أبها الأدبي تحت رعاية أمير منطقة عسير كأحد رواد البحث العلمي في مجال التاريخ والحضارة العربية والإسلامية يوم الثلاثاء (١٤٤٠/١١/١٩هـ الموافق ٢٠١٩/٧/٢٢م) .

١٠- زيارة وتكريم مجموعة (أبها عطاء ووفاء) لغيثان بن جريس في منزلة بأبها في (١٤٤١/١١/١٧هـ الموافق ٢٠٢٠/٧/٨م) ، وكان برفقتهم رئيس جامعة الملك خالد وبعض المسؤولين في الجامعة .

تابع سيرة ذاتية مختصرة

١١- تم تكريمه كضيف شرف في ديوانية بني شهر بمحافظة تنومة في منطقة عسير يوم الخميس (٢٨ / ١٢ / ١٤٤٥هـ الموافق ٤ / ٧ / ٢٠٢٤م) .

١٢- زيارة رئيس قسم التاريخ والآثار بجامعة الملك خالد وبعض طلاب القسم للدكتور غيثان بن جريس في منزلة بأبها يوم الاحد (١٤٤٧/٢/٩هـ الموافق ٢٠٢٥/٨/٣م).

١٣- تم تكريمة من (المؤسسة العربية للعلوم الإنسانية والإجتماعية في الإسكندرية بجمهورة مصر العربية)، ومنحة (جائزة رواد مؤرخي الجزيرة العربية)، بتاريخ (١٥/ربيع الثاني / ١٤٤٧هـ - الموافق ٧/أكتوبر/٢٠٢٥م) .

رابعاً: النتاج العلمي:

١- موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب (٣٢) مجلداً

٢- ألف وترجم ونشر أكثر من(٩٣) كتاباً. (جميعها مطبوعة ومنشورة ورقياً ورقمياً) .

٣- قام بتحقيق ومراجعة وتقديم العديد من الكتب والمجلات .

٤- نشر أكثر من (٤٥٠) بحثاً علمياً في مجلات وكتب علمية وثقافية، معظمها باللغة العربية وبعضها باللغة الانجليزية .

History of the South

A Historical and Cultural Encyclopedia

(1 - 15th H. / 7 - 21st G.)

Volume: 32

Prof. Ghithan bin Ali bin Jrais
Previous Professor of History at King Saud University and King Khalid University

First edition
1447 H /2026 G

History of the South

A Historical and Cultural Encyclopedia
(1 - 15th H. / 7 - 21st G.)

Volume : 32

Prof. Ghithan bin Ali bin Jrais
Previous Professor of History at King Saud University and King Khalid University

First edition
1447 H /2026 G